فتح القدير

الجامع

بين فني الرواية والدراية من علم التفسير

تأليف

الإمام محمد بن علي الشوكاني

١١٧٣ - ١٢٥٠ هـ

حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وضبط نصه

محمد صبحي بن حسن حلاق

راجعه وقابل أصوله وصنع فهارسه

د. عبد الرحمن بن محمد العيزري

الجزء التاسع

دار ابن الجوزي

فتح القدير

٩

ح دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ١٤٤٢هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الشوكاني، محمد علي
فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير./
محمد علي الشوكاني؛ محمد صبحي حلاق؛ عبد الرحمن بن محمد العيزري.- الدمام، ١٤٤٢هـ
١٠مج.
ردمك: ٩ ـ ٧٤ ـ ٨٢٩٨ ـ ٦٠٣ ـ ٩٧٨ (مجموعة)
ردمك: ١ ـ ٨٣ ـ ٨٢٩٨ ـ ٦٠٣ ـ ٩٧٨ (ج٩)
١ ـ القرآن ـ تفسير أ. حلاق، محمد صبحي (محقق)
ب. العيزري، عبد الرحمن بن محمد (محقق) ج. العنوان
ديوي ٢٢٧,٣ ١٤٤٢/٤٠٧٩

الطبعة الأولى
١٤٤٢هـ

الباركود الدولي: 9786038298749

دار ابن الجوزي
للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية:
الدمام - حي الريان - شارع عثمان بن عفان
ت: ٠١٣٨٤٢٨١٤٦ - ٠١٣٨٤٦٧٥٩٣
٠١٣٨٤١٢١٠٠
ص ب. واصل: ٨١١٤
الرمز البريدي: ٣٢٢٥٦
الرقم الإضافي : ٤٩٧٣
الرياض - ت: ٠٥٩٢٦٦٢٤٩٥
جوّال: ٠٥٠٣٨٥٧٩٨٨
الأحساء - ت: ٠١٣٥٨٨٣١٢٢
جدة - ت: ٠١٢٦٨١٤٥١٩
جوّال: ٠٥٨٣٠١٧٩٥١

لبنان:
بيروت - ت: ٠٣/٨٦٩٦٠٠
فاكس: ٠١/٦٤١٨٠١

مصر:
القاهرة - تلفاكس: ٠٢٤٤٣٤٤٩٧٠
جوّال: ٠١٠٠٦٨٢٣٧٣٨٨

aljawzi@hotmail.com
+966503897671
aljawzi
eljawzi
aljawzi.net

فتح القدير

الجامع
بين فني الرواية والدراية من علم التفسير

تأليف

الإمام محمد بن علي الشوكاني

١١٧٣ - ١٢٥٠ هـ

حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وضبط نصه

محمد صبحي بن حسن حلاق

راجعه وقابل أصوله وصنع فهارسه

د. عبد الرحمن بن محمد العيزري

الجزء التاسع

دار ابن الجوزي

بسم الله الرحمن الرحيم

سُورَةُ الجَاثِيَةِ

هي سبع وثلاثون آية وقيل: ست وثلاثون. وهي مكية كلُّها في قول الحسن، وجابر، وعكرمة[١].

وأخرج ابنُ مردويه[٢] عن ابن عباس، وابن الزبير أنّها نزلت بمكة، وروي عن ابن عباس، وقتادة[٣] أنهما قالا: إلّا آية منها، وهي قوله: ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ إلى ﴿أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ [الجاثية: ١٤] فإنها نزلت بالمدينة في عمر بن الخطاب، كما سيأتي.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[آيات الله القاطعة العميقة التأثير والدلالة]:

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٣ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٤ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٥ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾.

[توعد أهل الإفك والآثام]:

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٨ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٩ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١٠ هَٰذَا هُدًى وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ۝١١ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝١٢ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ

(١) ذكره عنهم الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٤٢)، والقرطبي في «تفسيره» (١٩/ ١٤٣).
(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٤٢٢).
(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ١٤٣).

جَمِيعًا مِّنْهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ١٣ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجۡزِيَ قَوۡمَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ١٥﴾.

قوله: ﴿حمٓ﴾ قد تقدّم الكلام في هذه الفاتحة، وفي إعرابها في فاتحة سورة «غافر»، وما بعدها، فإنْ جُعل اسماً للسورة فمحله الرفع على أنه خبر مبتدأ[١] محذوف أو مبتدأ، وإنْ جعل حروفاً مسرودة على نمط التعديد، فلا محلّ له.

وقوله: ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ على الوجه الأوّل خبر ثان، وعلى الوجه الثاني خبر المبتدأ، وعلى الوجه الثالث خبر مبتدأ محذوف، أو مبتدأ وخبره ﴿مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾.

ثم أخبر سبحانه بما يدل على قدرته الباهرة، فقال: ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾؛ أي: فيها نفسها؛ فإنها من فنون الآيات، أو في خلقها.

قال الزجاج[٢]: ويدلّ على أن المعنى في خلق السمٰوات والأرض قوله: ﴿وَفِي خَلۡقِكُمۡ﴾؛ أي: في خلقكم أنفسكم على أطوار مختلفة. قال مقاتل[٣]: من تراب ثم من نطفة إلى أن يصير إنساناً.

﴿وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٞ﴾؛ أي: وفي خلق ما يبثّ من دابة، وارتفاع «آيات» على أنها مبتدأ[٤] مؤخر، وخبره الظرف قبله، وبالرفع قرأ الجمهور[٥]، وقرأ حمزة، والكسائي «آيات» بالنصب[٦] عطفاً على اسم إن، والخبر قوله: ﴿وَفِي خَلۡقِكُمۡ﴾ كأنه قيل: وإن في خلقكم وما يبثّ من دابة آيات، أو على أنها تأكيد لآيات الأولى.

---

(١) «روح المعاني» (٢٥/٥ ـ ٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٩/١٤٣).

(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/٤٣٢). (٣) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/٩٤).

(٤) «التبيان» (٢/١١٥٠)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/٢٩٣).

(٥) «التيسير» (ص١٩٨)، و«النشر» (٢/٣٧١)، و«جامع البيان» (٢١/٧٣)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/٢٦٧).

(٦) «التبصرة والتذكرة» (١/١٤٦)، و«جامع البيان» (٢١/٧٣)، و«البحر المحيط» (٩/٤١٣)، و«التبيان» (٢/١١٥٠). وكذلك قرأ يعقوب بالنصب.

وقرأ الجمهور[١] أيضاً: «آياتٌ لقوم يعقلون» بالرّفع، وقرأ حمزة، والكسائي بنصبها[٢] مع اتفاقهم على الجرّ في «اختلاف»، أما جرّ «اختلاف»، فهو على تقدير حرف الجرّ؛ أي: وفي ﴿اخْتِلَافِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ آيات، فمن رفع «آيات»، فعلى أنها مبتدأ، وخبرها في اختلاف، وأما النصب فهو من باب العطف على معمولي عاملين مختلفين.

قال الفراء[٣]: الرفع على الاستئناف بعد إنّ، تقول العرب: إنّ لي عليك مالاً، وعلى أخيك مال، ينصبون الثاني ويرفعونه، وللنحاة في هذا الموضع كلام طويل.

والبحث في مسألة العطف على معمولي عاملين مختلفين، وحجج المجوّزين له، وجوابات المانعين له مقرّر في علم النحو مبسوط في مطوّلاته[٤].

ومعنى: ﴿وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ﴾ ما يفرّقه وينشره ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ تعاقبهما، أو تفاوتهما في الطول والقصر.

وقوله: ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ﴾ معطوف على «اختلاف»، والرزق: المطر؛ لأنّه سبب لكل ما يرزق الله العباد به، وإحياء الأرض: إخراج نباتها، و﴿مَوْتِهَا﴾ خلّوها عن النبات.

ومعنى ﴿تَصْرِيفِ الرِّيَاحِ﴾: أنها تهب تارة من جهة وتارة من أخرى، وتارة تكون حارّة وتارة تكون باردة، وتارة نافعة، وتارة ضارّة.

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾؛ أي: هذه الآيات المذكورة هي حجج الله وبراهينه، [٤/٦١] ومحل: ﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾ النّصب[٥] على الحال، ويجوز أن يكون في محل رفع[٦] على أنه خبر اسم الإشارة، وآيات الله بيان له أو بدل منه.

وقوله: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ حال من فاعل نتلو، أو من مفعوله؛ أي: محقين، أو ملتبسة

---

(١) «البحر المحيط» (٩/٤١٣)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/٢٦٧)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/٢٩٣). وممّن قرأ بالنصب يعقوب.
(٢) انظر: المصادر المتقدمة.
(٣) في «معاني القرآن» للفراء (٣/٤٥).
(٤) «المقتضب» (٤/١٩٥)، و«التبيان» (٢/١١٥٠)، و«الإيضاح» لابن الحاجب (١/٤٢٦).
(٥) «التبيان» (٢/١١٥٠)، و«الفريد» (٤/٢٨١)، و«روح المعاني» (٢٥/١٣).
(٦) انظر: المصادر المتقدمة.

بالحقّ، ويجوز أن تكون الباء للسببية[١]، فتتعلق بنفس الفعل.

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: بعد حديث الله وبعد آياته، وقيل إنّ المقصود: فبأي حديثٍ بعد آيات الله، وذكر الاسم[٢] الشريف ليس إلّا لقصد تعظيم الآيات، فيكون من باب: أعجبني زيد، وكرمه.

وقيل: المراد: بعد حديث الله، وهو القرآن كما في قوله: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ [الزمر: ٢٣]، وهو المراد بالآيات، والعطف لمجرّد التغاير العنواني.

قرأ الجمهور[٣]: «تُؤمنون» بالفوقية، وقرأ حمزة، والكسائي بالتحتية[٤]. والمعنى: يؤمنون بأيّ حديث، وإنما قدّم عليه؛ لأن الاستفهام له صدر الكلام.

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾؛ أي: لكل كذاب كثير الإثم، مرتكب لما يوجبه، والويل: واد في جهنم.

ثم وصف هذا الأفاك بصفة أخرى، فقال: ﴿يَسْمَعُ ءَايَٰتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ﴾ وقيل: إن (يسمع) في محل نصب[٥] على الحال، وقيل: استئناف، والأول أولى، وقوله: ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْهِ﴾ في محل نصب[٦] على الحال ﴿ثُمَّ يُصِرُّ﴾ على كفره، ويقيم على ما كان عليه حال كونه ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾؛ أي: يتمادى على كفره متعظِّماً في نفسه عن الانقياد للحقّ، والإصرار مأخوذ مِنْ إصرار الحمار على العانة ـ الأتان ـ وهو أن ينحني عليها صارًّا أذنيه.

قال مقاتل[٧]: إذا سمع مِنْ آيات القرآن شيئًا اتخذها هزواً، وجملة ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾: في محل نصب[٨] على الحال، أو مستأنفة؛ وأن هي المخففة من الثقيلة، واسمها ضمير شأن محذوف ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ هذا من باب التهكم؛ أي: فبشّره على إصراره واستكباره، وعدم استماعه إلى الآيات بعذاب شديد الألم.

---

(١) «الفريد» (٤/ ٢٨١)، و«روح المعاني» (٢٥/ ١٣).
(٢) «تفسير أبي السعود» (٦/ ١١٣)، و«روح المعاني» (٢٥/ ١٣).
(٣) «التيسير» (ص١٩٨)، و«النشر» (٢/ ٣٧١ ـ ٣٧٢)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٦٧).
(٤) انظر: المصادر المتقدمة. المتواتر عن حمزة والكسائي وابن عامر وأبي بكرٍ ورويسٍ وخلف القراءة بالفوقية، وقرأ باقي العشرة بالتحتية «النشر» (٢/ ٣٧١).
(٥) «التبيان» (٢/ ١١٥١)، و«الفريد» (٤/ ٢٨١).
(٦) «التبيان» (٢/ ١١٥١)، و«الفريد» (٤/ ٢٨١).
(٧) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٩٥).
(٨) «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٢٩٥)، و«التبيان» (٢/ ١٥١)، و«الفريد» (٤/ ٢٨١).

﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا﴾ قرأ الجمهور[١] «علم» بفتح العين، وكسر اللام مخففة على البناء للفاعل.

وقرأ قتادة: ومطر الورّاق على البناء للمفعول[٢].

والمعنى: أنه إذا وصل إليه علمُ شيءٍ من آيات الله ﴿ٱتَّخَذَهَا﴾؛ أي: الآيات ﴿هُزُوًا﴾ وقيل: الضمير في «اتخذها» عائد إلى شيئًا؛ لأنّه عبارة عن الآيات، والأوّل أولى.

والإشارة بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إلى كلّ أفّاك مُتصف بتلك الصفات ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ بسبب ما فعلوا مِنْ الإصرار والاستكبار عن سماع آيات الله، واتخاذها هزواً، والعذاب المهين: هو المشتمل على الإذلال والفضيحة.

﴿مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ﴾؛ أي: من وراء ما هم فيه من التعزّز بالدنيا، والتكبر عن الحقّ جهنّم؛ فإنها من قدّامهم؛ لأنهم متوجهون إليها، وعبّر بالوراء[٣] عن القدّام، كقوله: ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ﴾ [إبراهيم: ١٦] وقول الشاعر[٤]:

ألـيـس ورائِـي إنْ تـراخـتْ مَـنِـيَّـتِـي[٥]

وقيل: جعلها باعتبار إعراضهم عنها، كأنّها خلفهم ﴿وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا﴾؛ أي: لا يدفع عنهم ما كسبوا من أموالهم، وأولادهم شيئًا من عذاب الله، ولا ينفعهم بوجه من وجوه النفع ﴿وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ﴾ معطوف على (ما كسبوا)؛ أي: ولا يغني عنهم ما اتخذوا من دون الله أولياء من الأصنام، و «ما» في الموضعين إما مصدرية[٦] أو موصولة، وزيادة لا في الجملة الثانية للتأكيد.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في جهنم التي هي من ورائهم.

---

(١) «البحر المحيط» (٩/٤١٦)، و«زاد المسير» (٣٥٦٧).
(٢) «القراءات الشاذة» (ص١٣٨)، و«روح المعاني» (٢٥/١٧)، و«زاد المسير» (٧/٣٥٦). وهي قراءة شاذة.
(٣) «تفسير أبي السعود» (٦/١١٤)، و«روح المعاني» (٢٥/١٦١)، و«البحر المحيط» (٩/٤١٦).
(٤) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٥/٤٨٣) دون نسبة.
(٥) وعجز البيت:
أدبُّ مـع الـولـدان أرْحَـفُ كـالـنَّـسْـر
(٦) «التبيان» (٢/١١٥١)، و«الفريد» (٤/٢٨٢).

﴿هَٰذَا هُدًىۖ﴾ جملة مستأنفة من مبتدأ وخبر يعني: هذا القرآن هدى للمهتدين به ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾ القرآنية ﴿لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٌ﴾ الرجز أشدّ العذاب.

قرأ الجمهور[1]: «أليمٍ» بالجرّ صفة للرّجز. وقرأ ابن كثير، وحفص، وابن محيصن بالرفع[2] صفة لعذابٌ.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡبَحۡرَ﴾؛ أي: جعله على صفةٍ تتمكنون بها من الركوب عليه ﴿لِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ فِيهِ بِأَمۡرِهِۦ﴾؛ أي: بإذنه وإقداره لكم ﴿وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ بالتجارة تارة، والغوص للدرّ، والمعالجة للصيد وغير ذلك ﴿وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾؛ أي: لكي تشكروا النِّعم التي تحصل لكم بسبب هذا التسخير للبحر ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ﴾؛ أي: سخّر لعباده جميع ما خلقه في سماواته، وأرضه مما تتعلق به مصالحهم، وتقوم به معايشهم، ومما سخّره لهم من مخلوقات السمٰوات: الشمس والقمر، والنجوم النيرات، والمطر والسحاب والرّياح، وانتصاب ﴿جَمِيعٗا﴾ على الحال[3] من ﴿مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾، أو تأكيد له، وقوله: (منه) يجوز أن يتعلق بمحذوف هو صفة لـ «جميعاً»؛ أي: كائنة منه، ويجوز أن يتعلق بسخّر، ويجوز أن يكون حالاً من ما في السمٰوات، أو خبراً لمبتدأ محذوف.

والمعنى: أنّ كلَّ ذلك رحمة منه لعباده.

[لماذا خصَّ المتفكرين]:

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور من التسخير ﴿لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ وخصّ المتفكرين؛ لأنه لا ينتفع بها إلّا مَنْ تفكر فيها، فإنه ينتقل من[4] التفكر إلى الاستدلال بها على التوحيد.

﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ﴾؛ أي: قل لهم اغفروا يغفروا ﴿لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ وقيل: هو على حذف اللّام، والتقدير: قل لهم ليغفروا. والمعنى: قل لهم

---

(١) «النشر» (٢/ ٣٢٥)، و«التيسير» (ص١٨٠)، و«روح المعاني» (٢٥/ ١٨)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٠١ ـ ٢٠٢).

(٢) انظر: المصادر المتقدمة.

(٣) «الفريد» (٤/ ٢٨٢)، و«روح المعاني» (٢٥/ ١٩).

(٤) «الفريد» (٤/ ٢٨٢).

يتجاوزوا عَنْ الذين لا يرجون وقائع الله بأعدائه؛ أي: لا يتوقعونها، ومعنى الرجاء هنا: الخوف، وقيل: هو على معناه الحقيقي.

والمعنى: لا يرجون ثوابَه في الأوقات التي وقّتها الله لثواب المؤمنين، والأوّل أولى.

[الأيام يُعبر بها عن الوقائع]:

والأيام يُعبّر بها عن الوقائع كما تقدّم في تفسير قوله: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ﴾ [إبراهيم: ٥] قال مقاتل(١): لا يخشون مثل عذاب الله للأمم الخالية، وذلك أنهم لا يؤمنون به، فلا يخافون عقابه. وقيل المعنى: لا يأملون نصر الله لأوليائه وإيقاعه بأعدائه، وقيل: لا يخافون البعث.

قيل: والآية منسوخة بآية السيف.

﴿لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ قرأ ابنُ عامر، وحمزة، والكسائي «النجزي» بالنون(٢)؛ أي: لنجزي نحن. وقرأ باقي السبعة بالتحتية(٣) مبنياً للفاعل. أي: ليجزي اللهُ.

وقرأ أبو جعفر، وشيبة، وعاصم بالتحتية مبنياً(٤) للمفعول مع نصب قوماً، فقيل: النائب عَنْ الفاعل مصدر الفعل؛ أي: لِيُجْزىٰ الجزاءُ قوماً، وقيل: إن النائب الجارّ والمجرور، كما في قول الشاعر:

ولو ولدتْ قُفيرةُ جَرْوَ كَلْبٍ   لَسُبَّ بذلك الجروِ الكلابا(٥)

وقد أجاز ذلك الأخفش(٦)، والكوفيون، ومنعه البصريون، والجملة لتعليل الأمر بالمغفرة.

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٩٦).

(٢) «النشر» (٢/ ٣٧٢)، و«التيسير» (ص١٩٨)، و«زاد المسير» (٧/ ٣٥٩)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٦٨)، و«جامع البيان» (٢١/ ٨٢ ـ ٨٤). هي ثلاثة قراءات متواترة لكن الصواب أن المتواتر عن عاصم هو القراءة بالتحتية مبنياً للفاعل، لا مبنياً للمفعول.ا.هـ. «النشر» (٢/ ٣٧٢).

(٣) انظر: المصادر المتقدمة.

(٤) «روح المعاني» (٢٥/ ٢٥)، و«النشر» (٢/ ٣٧٢).

(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٢٧١)، والبغدادي في «خزانة الأدب» (١/ ٣٣٧).

(٦) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٤/ ١٤٣ ـ ١٤٤) بدون نسبة.

والمراد بالقوم: المؤمنون، أُمروا بالمغفرة ليجزيهم الله يوم القيامة بما كسبوا في الدنيا من الأعمال الحسنة التي من جملتها الصبر على أذية الكفار، والإغضاء عنهم بكظم الغيظ واحتمال المكروه. وقيل المعنى: ليجزي الكفار بما عملوا من السيئات كأنّه قال: لا تكافئوهم أنتم لنكافئهم نحن، والأوّل أولى.

ثم ذكر المؤمنين وأعمالهم، والمشركين وأعمالهم، فقال: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ﴾ والمعنى: أن عمل كل طائفة من إحسان أو إساءة لعامله لا يتجاوزه إلى غيره، وفيه ترغيب وترهيب ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ فيجازي كلاً بعمله إن كان خيراً فخير، وإن كان شرًّا فشرّ.

وقد أخرج عبد الرزاق، والفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وأبو الشيخ في «العظمة» من طريق عكرمة، عن ابن عباس[١] في قوله: ﴿جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ﴾ قال: منه النور والشمس والقمر.

وأخرج ابن جرير[٢] عنه في الآية قال: كل شيء هو من الله.

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابنُ المنذر، والحاكم وصحّحه، والبيهقي في «الأسماء والصفات»، عَنْ طاووس[٣] قال: جاء رجل إلى عبد الله بن عمرو بن العاص فسأله ممّ خُلق الخلق؟ قال: مِنْ الماء، والنور والظلمة، والهواء والتراب، قال: فممّ خُلق هؤلاء؟ قال: لا أدري. ثم أتى الرجل عبد الله بن الزبير، فسأله، فقال مثل قول عبد الله بن عمرو، فأتى ابن عباس، فسأله ممّ خلق الخلق؟ فقال: من الماء، والنور والظلمة، والريح والتراب، قال: فممّ خلق هؤلاء؟ فقرأ ابن عباس ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ﴾ فقال الرجل: ما كان ليأتي بهذا إلّا رجل مِنْ أهل بيت النبيّ ﷺ.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢١٣)، وأبو الشيخ في «العظمة» رقم (٦٨٧) بسند حسن.
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٧٩) بسند ضعيف.
(٣) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢١٣)، والحاكم (٢/ ٤٥٢)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٨٢٩).
قال الذهبي: الخبر منكر.
وقال ابن كثير في «تفسيره» (١٢/ ٣٠٩): هذا أثر غريب وفيه نكارة.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن مردويه عن ابن عباس[1] في قوله: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟﴾ الآية قال: كان نبيّ الله ﷺ يعرض عن المشركين إذا آذوه، وكانوا يستهزئون به ويكذبونه، فأمره الله أن يقاتل المشركين كافة، فكان هذا من المنسوخ.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ﴾ المراد بـ «الكتاب»: التوراة، وبـ «الحُكم»: الفهم والفقه الذي يكون بهما الحكم بين الناس وفصل خصوماتهم، وبـ «النبوّة»: مَنْ بعثه الله [٦٢/٤] من الأنبياء فيهم ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾؛ أي: المستلذّات التي أحلها الله لهم، ومن ذلك المنّ والسلوى ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ من أهل زمانهم حيث آتيناهم ما لم نؤت من عداهم من فلق البحر ونحوه، وقد تقدّم بيان هذا في سورة الدخان.

---

(١) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٤٢٤).
أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٨٠) بسند ضعيف.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾؛ أي: شرائع واضحات في الحلال والحرام، أو معجزات ظاهرات، وقيل: العلم بمبعث النبي ﷺ، وشواهد نبوّته، وتعيين مهاجره ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾؛ أي: فما وقع الاختلاف بينهم في ذلك الأمر إلّا بعد مجيء العلم إليهم ببيانه، وإيضاح معناه، فجعلوا ما يوجب زوال الخلاف موجباً لثبوته.

وقيل المراد بالعلم: يوشع بن نون، فإنه آمن به بعضُهم وكفر بعضهم، وقيل: نبوّة محمد ﷺ، فاختلفوا فيها حسداً وبغياً، وقيل: ﴿بَغْيًۢا﴾ من بعضهم على بعض بطلب الرئاسة ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين، فيجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾ الشريعة في اللغة[1]: المذهب والملة والمنهاج ويقال: لمشرعة الماء وهي مورد شاربيه: شريعةٌ، ومنه الشارع؛ لأنه طريق إلى المقصد، فالمراد بالشريعة[2] هنا: ما شرعه الله لعباده من الدين، والجمع شرائع؛ أي: جعلناك يا محمد على منهاج واضح مِنْ أمر الدين يوصلك إلى الحق.

﴿فَٱتَّبِعْهَا﴾ فاعمل بأحكامها في أُمّتك ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ توحيدَ الله وشرائعَه لعباده، وهم كفار قريش ومَنْ وافقهم ﴿إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾؛ أي: لا يدفعون عنك شيئًا مما أراده الله بك إنْ اتبعت أهواءهم ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾؛ أي: أنصار ينصر بعضهم بعضاً قال ابن زيد[3]: إن المنافقين أولياء اليهود ﴿وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾؛ أي: ناصرهم.

والمراد بالمتقين: الذين اتقوا الشركَ والمعاصي، والإشارة بقوله: ﴿هَٰذَا﴾ إلى القرآن، أو إلى اتباع الشريعة، وهو مبتدأ وخبره ﴿بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ﴾؛ أي: براهين ودلائل، لهم فيما يحتاجون إليه من أحكام الدين، جعل ذلك بمنزلة البصائر في القلوب، وقُرئ[4] «هٰذه بصائر»؛ أي: هذه الآيات؛ لأنّ القرآن

---

(١) «تهذيب اللغة» (١/ ٤٢٤)، و«الصحاح» (٣/ ١٢٣٦).
(٢) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٤٥٠ ـ ٤٥١).
(٣) «الوسيط» للواحدي (٤/ ٩٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١٥٥).
(٤) وهي قراءة شاذة.

بمعناها، كما قال الشاعر[١]:

سـائِـلْ بـنِـي أسـدٍ مـا هـذه الـصـوتُ

لأن الصوت بمعنى: الصيحة.

﴿وَهُدًى﴾؛ أي: رشد، وطريق يؤدي إلى الجنة لمن عمل به ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ من الله في الآخرة ﴿لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾؛ أي: مِنْ شأنهم الإيقان، وعدم الشك والتزلزل بالشُّبه. ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾ أم هي المنقطعة[٢] المقدرة بـ(بل)، والهمزة وما فيها من معنى بـ(بل) للانتقال من البيان الأول إلى الثاني، والهمزة لإنكار الحسبان، والاجتراح: الاكتساب، ومنه الجوارح.

وقد تقدّم في المائدة، والجملة مستأنفة؛ لبيان تباين حالي المسيئين والمحسنين، وهو معنى قوله: ﴿أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾؛ أي: نسوّي بينهم مع اجتراحهم السيئات، وبين أهل الحسنات.

﴿سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ في دار الدنيا وفي الآخرة؟ كلا لا يستوون، فإن حال أهل السعادة فيهما غير حال أهل الشقاوة. وقيل المراد: إنكار أن يستووا في الممات، كما استووا في الحياة. قرأ الجمهور[٣] «سواءٌ» بالرفع على أنه خبر مقدّم، والمبتدأ محياهم ومماتهم والمعنى: إنكار حسبانهم أنَّ محياهم ومماتهم سواء.

وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص «سواءً» بالنصب[٤] على أنه حال من الضمير المستتر في الجار والمجرور في قوله: ﴿كَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أو على أنه مفعول ثان لحسب، واختار قراءة النصب أبو عبيد[٥]، وقال معناه: نجعلهم سواء.

= «روح المعاني» (٢٥/٢٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١٥٥)، و«الكشاف» (٥/ ٤٨٦).

(١) انظر: «الدر المصون» (٦/ ١٢٨).

(٢) «تفسير أبي السعود» (٦/ ١١٧)، و«روح المعاني» (٢٥/ ٢٨).

(٣) «التيسير» (ص١٩٨)، و«التبيان» (٢/ ١١٥٢)، و«النشر» (٢/ ٣٧٢)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٦٨).

(٤) انظر: المصادر المتقدمة.

(٥) «البحر المحيط» (٩/ ٨٨)، و«روح المعاني» (٢٥/ ٤٢٠).

وقرأ الأعمش[١]، وعيسى بن عمر: «مماتَهم» بالنصب على معنى: سواء في محياهم ومماتهم، فلما سقط الخافض انتصب، أو على البدل من مفعول نجعلهم بدل اشتمال.

﴿سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾؛ أي: ساء حكمُهم هذا الذي حكموا به.

﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ﴾؛ أي: بالحقّ المقتضي للعدل بين العباد.

ومحل (بالحقّ) النصب[٢] على الحال مِنْ الفاعل، أو مِنْ المفعول، أو الباء للسببية.

وقوله: ﴿وَلِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ﴾ يجوز أن يكون معطوفاً على الحقّ؛ لأن كلا منهما سبب، فعطف السبب على السبب، ويجوز أن يكون معطوفاً على محذوف، والتقدير: خلق الله السمٰوات والأرض؛ ليدلّ بهما على قدرته ولتجزى، ويجوز أن تكون اللام للصيرورة ﴿وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾؛ أي: النفوس المدلول عليها بكل نفس لا يظلمون بنقص ثواب أو زيادة عقاب.

ثم عجب سبحانه من حال الكفار، فقال: ﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ قال الحسن[٣] وقتادة[٤]: ذلك الكافر اتخذ دينه ما يهواه؛ فلا يهوى شيئًا إلّا ركبه، وقال عكرمة[٥]: يعبد ما يهواه، أو يستحسنه، فإذا استحسن شيئًا وهواه اتخذه إلٰهاً.

قال سعيد بن جبير[٥]: كان أحدهم يعبد الحجر، فإذا رأى ما هو أحسن منه رمى به وعبد الآخر.

﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ﴾؛ أي: على علم قد علمه، وقيل المعنى: أضله عن الثواب على علم منه بأنه لا يستحقه، وقال مقاتل[٦]: على علم منه أنه ضالّ؛ لأنه يعلم أن الصنم لا ينفع ولا يضرّ.

---

(١) «روح المعاني» (٢٥/ ٣١)، و«القراءات الشاذة» (ص١٣٨). وهي قراءة شاذة.

(٢) «الفريد» (٤/ ٢٨٥)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٢٩٧).

(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ١٥٨).

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٩٣)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢١٢) بسند صحيح.

(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ١٥٨).

(٦) ذكره الماوردي في «تفسيره» (٥/ ٢٦٥)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٢٤٥).

قال الزجاج[١]: على سوء في علمه أنه ضال قبل أن يخلقه، ومحل ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ النصب[٢] على الحال من الفاعل، أو المفعول.

﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ﴾؛ أي: طبع على سمعه حتى لا يسمع الوعظ، وطبع على قلبه حتى لا يفقه الهدى ﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾؛ أي: غطاء حتى لا يبصر الرشد.

قرأ الجمهور[٣]: «غِشاوة» بالألف مع كسر الغين، وقرأ حمزة، والكسائي: «غَشْوة» بغير ألف[٤] مع فتح الغين، ومنه قول الشاعر:

لَئِنْ كُنْتِ أَلْبَسْتِنِي غَشْوَةً ... لَقَدْ كُنْتُ أَصْفيتك الودَّ حينا[٥]

وقرأ ابن مسعود، والأعمش كقراءة الجمهور مع فتح الغين[٦] وهي لغة ربيعة، وقرأ الحسن وعكرمة بضمها[٧] وهي لغة عُكْل.

﴿فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِۚ﴾؛ أي: من بعد إضلال الله له ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ تذكر اعتبار؛ حتى تعلموا حقيقة الحال.

ثم بيّن سبحانه بعض جهالاتهم وضلالاتهم فقال: ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾؛ أي: ما الحياة إلّا الحياة التي نحن فيها ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾؛ أي: يصيبنا الموت والحياة فيها، وليس وراء ذلك حياة، وقيل: نموت نحن، ويحيا فيها أولادنا، وقيل: نكون نطفاً ميتة، ثم نصير أحياء.

وقيل: في الآية تقديم وتأخير؛ أي: «نَحْيا ونموت»، وكذا قرأ ابن مسعود[٨]، وعلى كل تقدير، فمرادهم بهذه المقالة: إنكار البعث وتكذيب الآخرة.

﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُۚ﴾؛ أي: إلّا مرور الأيام والليالي قال مجاهد: يعني:

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٤٣٣).
(٢) «التبيان» (٢/ ١١٥٢)، و«الفريد» (٤/ ٢٨٥).
(٣) «النشر» (٢/ ٣٧٢)، و«التيسير» (ص١٩٩)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٦٩).
(٤) انظر: المصادر المتقدمة.
(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ١٦٢).
(٦) «القراءات الشاذة» (ص١٣٨)، و«روح المعاني» (٢٥/ ٣٥).
(٧) «البحر المحيط» (٩/ ٤٢٣)، و«التيسير» (ص١٩٩)، و«النشر» (٢/ ٣٧٢).
(٨) «روح المعاني» (٢٥/ ٣٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١٦٤). وهي قراءة شاذة مخالفة للرسم.

السنين والأيام. وقال قتادة[١]: إلّا العمر، والمعنى واحد. وقال قطرب[٢]: المعنى: وما يهلكنا إلّا الموت.

وقال عكرمة[٣]: وما يهلكنا إلّا الله.

﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾؛ أي: ما قالوا هذه المقالة إلّا شاكين غير عالمين بالحقيقة، ثم بيّن كون ذلك صادراً منهم لا عن علم، فقال: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾؛ أي: ما هم إلّا قوم غاية ما عندهم الظنّ، فما يتكلمون إلّا به، ولا يستندون إلّا إليه.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾؛ أي: إذا تُليت آياتُ القرآن على المشركين حال كونها بينات واضحات، ظاهرة المعنى والدلالة على البعث ﴿مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أنّا نُبعث بعد الموت؛ أي: ما كان لهم حجة ولا متمسك إلّا هذا القول الباطل الذي ليس من الحجة في شيء، وإنما سماه حجة تهكماً بهم.

قرأ الجمهور[٤] بنصب «حُجتَهم» على أنه خبر كان، واسمها ﴿إِلَّآ أَن قَالُوا۟﴾.

وقرأ زيد بن عليّ، وعَمْرو بن عُبيد، وعُبيد بن عمرو برفع[٥] (حجتُهم) على أنها اسم كان.

ثم أمر الله سبحانه رسوله ﷺ أن يردّ عليهم، فقال: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ﴾؛ أي: في الدنيا ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ عند انقضاء آجالكم ﴿ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ بالبعث والنشور ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾؛ أي: في جمعكم؛ لأن من قدر على ابتداء الخلق قدر على إعادته ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ بذلك؛ فلهذا حصل معهم الشكّ في البعث، وجاءوا في دفعه بما هو أوهن من بيت العنكبوت، ولو نظروا حقّ النظر لحصلوا على العلم اليقين، واندفع عنهم الرّيب، وأراحوا أنفسهم مِنْ ورطة الشكّ والحيرة.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/٩٦) بسند صحيح.

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/٢١٦).

(٣) «النكت والعيون» (٥/٢١٦).

(٤) «النشر» (٢/٣٧٢)، و«البحر المحيط» (٩/٤٢٣ ـ ٤٢٤)، و«روح المعاني» (٢٥/٣٩)، و«حاشية الجمل» (٤/١١٩).

(٥) انظر: المصادر المتقدمة. القراءة بالرفع قراءة شاذة.

وقد أخرج ابن جرير[١] عن ابن عباس في قوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾ يقول: على هدًى من أمر دينه.

وأخرج ابن جرير[٢] عَنْ مجاهد في قوله: ﴿سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ قال: المؤمن في الدنيا والآخرة مؤمن، والكافر في الدنيا والآخرة كافر.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «الأسماء والصفات» عن ابن عباس[٣] في قوله: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ قال: ذاك الكافر اتخذ دينه بغير هدًى من الله، ولا برهان ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ يقول: أضله في سابق علمه.

وأخرج النسائي، وابن جرير، وابن المنذر، والحاكم وصححه، وابن مردويه[٤] عنه قال: كان الرّجل من العرب يعبد الحجر، فإذا وجد أحسن منه أخذه وألقى الآخر، فأنزل الله: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾.

وأخرج ابن جرير، [٤/٦٣] وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن أبي هريرة[٥] قال: كان أهل الجاهلية يقولون: إنما يهلكنا الليل والنهار، فقال الله في كتابه: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ قال الله: «يؤذيني ابن آدم يسب الدهرَ، وأنا الدهرُ، بيدي الأمر أقلب الليل والنهار».

وأخرج البخاري، ومسلم، وغيرهما من حديث أبي هريرة[٦] سمعت

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٨٥) بسند ضعيف.
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٨٨) بسند صحيح.
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٩٢)، وابن أبي حاتم كما في «الإتقان» (٢/ ٤٣)، واللالكائي رقم (١٠٠٣)، والبيهقي رقم (٢٣٤) بسند صحيح.
(٤) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» رقم (١١٤٨٥)، وابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٩٣) من قول سعيد بن جبير، والحاكم (٢/ ٤٥٢) من طريق جعفر به.
(٥) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٤٢٧).
أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٩٧)، وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» (١٢/ ٣٦٣) وقال ابن كثير: سياق غريب جدّاً.
(٦) أخرجه البخاري رقم (٤٨٢٦، ٦١٨١، ٧٤٩١)، ومسلم رقم (٢٢٤٦)، وأبو داود رقم (٥٢٧٤)، والنسائي رقم (١١٤٨٦، ١١٤٨٧)، وابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٩٦).

رسول الله يقول: «قال الله ﷻ: يؤذيني ابن آدم يسبّ الدهر، وأنا الدهر، بيدي الأمر أقلب الليل والنهار».

[خسران المبطلون]:

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾.

لما ذكر سبحانه ما احتج به المشركون، وما أجاب به عليهم ذكر اختصاصه بالملك، فقال: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: هو المتصرف فيهما وحده لا يشاركه أحد من عباده، ثم توعد أهل الباطل، فقال: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾؛ أي: المكذِّبون الكافرون المتعلقون بالأباطيل يظهر في ذلك اليوم خسرانهم؛ لأنهم يصيرون إلى النار، والعامل[1] في (يوم) هو ﴿يَخْسَرُ﴾، و(يومئذ) بدل منه، والتنوين للعوض عن المضاف إليه المدلول عليه بما أضيف إليه المبدل منه، فيكون التقدير: ويوم تقوم الساعة يوم تقوم الساعة، فيكون بدلاً توكيدياً، والأولى أنْ يكون العامل في (يوم) هو ملك؛ أي: ولله ملك يوم تقوم الساعة؛ ويكون (يومئذ) معمولاً؛ ليخسر.

(١) «الفريد» (٤/٢٨٦)، و«التبيان» (٢/١١٥٣)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/٢٦٧ ـ ٢٦٨).

[معنى الجثو]:

﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ الخطاب[١] لكل مَنْ يصلح له، أو للنبيّ ﷺ، والأمةُ: الملةُ، ومعنى جاثية[٢]: مستوفزة، والمستوفز: الذي لا يصيب الأرض منه إلّا ركبتاه وأطراف أنامله، وذلك عند الحساب.

وقيل: معنى جاثية: مجتمعة، قال الفراء[٣]: المعنى: وترى أهل كلّ ذي دين مجتمعين.

وقال عكرمة[٤]: متميزة عن غيرها. وقال مؤرِّج[٥]: معناه بلغة قريش: خاضعة.

وقال الحسن[٦]: باركة على الركب، والجثو: الجلوس على الركب، تقول: جثا يجثُو ويجثي جُثُواً وجُثِياً: إذا جلس على ركبتيه، والأوّل أولى.

ولا ينافيه ورود هذا اللفظ لمعنى آخر في لسان العرب. وقد ورد إطلاق الجثوة على الجماعة من كل شيء في لغة العرب[٧]، ومنه قول طَرَفة[٨] يصف قبرين:

ترى جَثْوَتَيْنَ مِنْ ترابٍ عليهما صفائحُ صُمٌّ مِنْ صفيحٍ منضدٍّ

وظاهر الآية أنّ هذه الصفة تكون لكل أمة من الأمم من غير فرق بين أهل الأديان المتبعين للرسل، وغيرهم من أهل الشرك. وقال يحيى بن سلام[٩]: هو خاصّ بالكفار، والأوّل أولى. ويؤيده قوله: ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾ ولقوله فيما سيأتي: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾. ومعنى ﴿إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾: إلى الكتاب المنزّل عليها، وقيل: إلى صحيفة أعمالها، وقيل: إلى حسابها، وقيل: اللوح المحفوظ، والأوّل أولى[١٠].

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١٦٨)، و«النكت والعيون» (٥/ ٢٦٧).
(٢) «الصحاح» (٦/ ١٢٩٨)، و«تهذيب اللغة» (١١/ ١٧١).
(٣) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٤٨).
(٤) «النكت والعيون» (٥/ ٢٦٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١٦٩).
(٥) «النكت والعيون» (٥/ ٢٦٧).
(٦) «النكت والعيون» (٥/ ٢٦٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١٦٩).
(٧) «تهذيب اللغة» (١١/ ١٧١)، و«الصحاح» (٦/ ١٢٩٨)، و«مفردات ألفاظ القرآن» (ص١٨٧).
(٨) «ديوان» طرفة بن العبد (ص٣٣).
(٩) «النكت والعيون» (٥/ ٢٦٧).
(١٠) «تفسير البنوي» (٧/ ٢٤٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١٧٠)، و«روح المعاني» (٢٥/ ٤٢).

قرأ الجمهور[١]: «كلُّ أمة» بالرفع على الابتداء، وخبره: تُدْعى، وقرأ يعقوب الحضرمي[٢] بالنصب على البدل من ﴿كُلَّ أُمَّةٍ﴾.

﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾؛ أي: يقال لهم: اليوم تجزون ما كنتم تعملون من خير وشرّ.

﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ هذا من تمام ما يقال لهم، والقائل بهذا: هم الملائكة وقيل: هو من قول الله سبحانه؛ أي: يشهد عليكم، وهو استعارة[٣]، يقال: نطق الكتاب بكذا؛ أي: بيّن، وقيل: إنهم يقرءونه فيذكرون ما عملوا، فكأنه ينطق عليهم بالحق الذي لا زيادة فيه ولا نقصان، ومحل ﴿يَنطِقُ﴾ النصب[٤] على الحال، أو الرفع على أنه خبر آخر لاسم الإشارة.

وجملة: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ تعليل للنطق بالحقّ؛ أي: نأمر الملائكة بنسخ أعمالكم؛ أي: بكتبها وتثبيتها عليكم.

[معنى الاستنساخ]:

قال الواحدي[٥]: وأكثر المفسّرين على أن هذا الاستنساخ من اللوح المحفوظ، فإن الملائكة تكتب منه كل عام ما يكون من أعمال بني آدم، فيجدون ذلك موافقاً لما يعملونه قالوا: لأن الاستنساخ[٦] لا يكون إلّا من أصل. وقيل المعنى: نأمر الملائكة بنسخ ما كنتم تعملون. وقيل: إن الملائكة تكتب كل يوم ما يعمله العبد، فإذا رجعوا إلى مكانهم نسخوا منه الحسنات والسيئات، وتركوا المباحات.

وقيل[٧]: إنّ الملائكة إذا رفعت أعمال العباد إلى الله سبحانه أمر ﷻ أن يثبت عنده منها ما فيه ثواب وعقاب، ويسقط منها ما لا ثواب فيه ولا عقاب.

---

(١) «النشر» (٢/ ٣٧٢)، و«البحر المحيط» (٩/ ٤٢٥)، و«معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٤٢٥).
(٢) «القراءات الشاذة» (ص١٣٨)، و«المحتسب» (٢/ ٢٦٢)، و«البحر المحيط» (٢/ ٣٧٢)، و«التبيان» (٢/ ١١٥٣). قراءة يعقوب قراءة متواترة.
(٣) «روح المعاني» (٢٥/ ٤٢ ـ ٤٣)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ١٢١).
(٤) «الفريد» (٤/ ٢٨٧)، و«التبيان» (٢/ ١١٥٣).
(٥) في «الوسيط» (٤/ ١٠٠).
(٦) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٨٠١).
(٧) «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٤٨ ـ ٤٩).

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾؛ أي: الجنة، وهذا تفصيل لحال الفريقين، فالمؤمنون يدخلهم الله برحمته الجنة ﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: الإدخال في رحمته ﴿هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ﴾؛ أي: الظاهر الواضح.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: فيقال لهم ذلك، وهو استفهام توبيخ[1]؛ لأن الرسل قد أتتهم، وتلت عليهم آيات الله، فكذبوها ولم يعملوا بها.

﴿فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾؛ أي: تكبرتم عن قبولها، وعن الإيمان بها، وكنتم من أهل الإجرام، وهي الآثام، والاجترامُ: الاكتساب، يقال: فلان جريمة أهله: إذا كان كاسبهم، فالمجرم من كسب الآثام بفعل المعاصي.

﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾؛ أي: وعده بالبعث والحساب، أو بجميع ما وعد به من الأمور المستقبلة واقع لا محالة ﴿وَٱلسَّاعَةُ﴾؛ أي: القيامة ﴿لَا رَيْبَ فِيهَا﴾؛ أي: في وقوعها.

قرأ الجمهور[2]: «والساعةُ» بالرفع على الابتداء، أو العطف على موضع اسم إن، وقرأ حمزة[3] بالنصب عطفاً على اسم إن.

﴿قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ﴾؛ أي: أيّ شيء هي؟ ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾؛ أي: نحدس حَدْساً ونتوهم توهماً. قال المبرد: تقديره: إن نحن إلّا نظن ظنّاً، وقيل: التقدير: إن نظنّ إلّا أنكم تظنون ظنّاً، وقيل: إن نظنّ مضمن معنى: نعتقد؛ أي: ما نعتقد إلّا ظنّاً لا علماً.

وقيل: إن ﴿ظَنًّا﴾ له صفة مقدّرة؛ أي: إلّا ظنّاً بيِّناً، وقيل: إن الظنّ يكون بمعنى العلم والشكّ، فكأنهم قالوا: ما لنا اعتقاد إلّا الشك.

﴿وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾؛ أي: لم يكن لنا يقين بذلك، ولم يكن معنا إلّا مجرّد الظنّ أنَّ الساعة آتية.

﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟﴾؛ أي: ظهر لهم سيئات أعمالهم على الصورة التي هي

(١) «روح المعاني» (٢٥/ ٤٤)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ١٢١).
(٢) «التيسير» (ص١٩٩)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٦٩)، و«جامع البيان» (٢١/ ١٠٧ ـ ١٠٨)، و«النشر» (٢/ ٣٧٢).
(٣) «جامع البيان» (٢١/ ١٠٨)، و«النشر» (٢/ ٣٧٢)، و«التبيان» (٢/ ١١٥٣).

عليها ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾؛ أي: أحاط بهم، ونزل عليهم جزاء أعمالهم بدخولهم النار.

﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾؛ أي: نترككم في النّار كما تركتم العمل لهذا اليوم، وأضاف[1] اللقاء إلى اليوم توسّعاً؛ لأنه أضاف إلى الشيء ما هو واقع فيه ﴿وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ﴾؛ أي: مسكنكم ومستقرّكم الذين تأوون إليه ﴿وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ ينصرونكم فيمنعون عنكم العذاب.

﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾؛ أي: ذلكم العذاب بسبب أنكم اتخذتم القرآن هزواً ولعباً ﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾؛ أي: خدعتكم بزخارفها وأباطيلها، فظننتم أنه لا دار غيرها، ولا بعث ولا نشور ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا﴾؛ أي: من النار.

قرأ الجمهور[2]: «يُخْرَجون» بضم الياء، وفتح الراء مبنياً للمفعول وقرأ حمزة، والكسائي بفتح الياء[3] وضمّ الراء مبنياً للفاعل، والالتفات من الخطاب إلى الغيبة[4] لتحقيرهم.

﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾؛ أي: لا يُسْترضَون، ويطلب منهم الرجوع إلى طاعة الله؛ لأنه يوم لا تقبل فيه توبة، ولا تنفع فيه معذرة.

---

(١) قال الألوسي في «روح المعاني» (٢٥/ ٤٨ ـ ٤٩): وإضافة «لقاء» إلى «يوم» من إضافة المصدر إلى ظرفه، فهي على معنى «في» والمفعول مقدَّر؛ أي: «لقاءكم الله تعالى وجزاءه سبحانه في يومكم هذا».
وقال العلامة التفتازاني: «لقاء يومكم» كـ«مكر الليل» من باب المجاز الحكمي، فلذا أجرى المضاف إليه مجرى المفعول به، وإنما لم يجعل من إضافة المصدر إلى المفعول به حقيقةً، لأن التوبيخ ليس على نسيان لقاء اليوم نفسه؛ بل نسيان ما فيه من الجزاء.
وقال بعض الأجلة: لا يخفى أن لقاء اليوم يجوز أن يكون كنايةً عن لقاء جميع ما فيه، وهو أنسب بالمقام لأن السياق لإنكار البعث.
«حاشية الشهاب» (٨/ ٣٤).

(٢) «التيسير» (ص١٧٥)، و«زاد المسير» (٧/ ٣٦٦)، و«النشر» (٢/ ٢٦٧ ـ ٢٦٨)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٤٦٠).

(٣) انظر: المصادر المتقدمة.

(٤) والالتفات إلى الغيبة للإيذان بإسقاطهم عن رتبة الخطاب استعانة بهم، أو بنقلهم من مقام الخطاب إلى غيابة النار، وجُوِّز أن يكون هذا ابتداء كلام، فلا التفات.
«روح المعاني» (٢٥/ ٤٩)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ١٢١).

﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لا يستحقّ الحمد سواه.

قرأ الجمهور[١]: «ربِّ» في المواضع الثلاثة بالجرّ على الصفة للاسم الشريف.

وقرأ مجاهد[٢]، وحميد، وابن محيصن بالرفع في الثلاثة على تقدير مبتدأ؛ أي: هو ربُّ السمٰوات إلخ.

﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾؛ أي: الجلالُ والعَظَمةُ والسلطان، وخصّ السمٰوات والأرض لظهور ذلك فيهما ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾؛ أي: العزيز في سلطانه، فلا يغالبه مغالب، الحكيم في كل أفعاله وأقواله وجميع أقضيته.

وقد أخرج سعيد بن منصور، وعبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد»، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «البعث» عن عبد الله[٣] بن باباه قال: قال رسول الله ﷺ: «كأني أراكم بالكَوم دونَ جهنم جاثين، ثم قرأ سفيان: «وترى كلَّ أمة جاثيةً»».

وأخرج ابن مردويه[٤] عن ابن عمر في قوله: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ قال: كل أمة مع نبيها حتى يجيء رسول الله ﷺ على كَوم قد علا الخلائق، فذلك المقام المحمود.

وأخرج ابن جرير[٥] عن ابن عباس في قوله: ﴿هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ﴾ قال: هو أمّ الكتاب فيه أعمال بني آدم ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ قال: هم الملائكة يستنسخون أعمال بني آدم.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه[٦] بمعناه مطوّلاً، فقام رجل فقال: يا ابن عباس، ما كنّا نرى هذا تكتبه الملائكة في كلِّ يوم وليلة، فقال ابن عباس: إنكم لستم قوماً عرباً ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ هل يستنسخ الشيء إلّا من كتاب.

---

(١) «البحر المحيط» (٩/ ٤٢٧)، و«روح المعاني» (٥٥)، و«حاشية الجمل» (٤/ ١٢٢).

(٢) وهي قراءة شاذة.
«الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١٧٤)، و«روح المعاني» (٢٥/ ٥٠).

(٣) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٤٢٨ ـ ٤٢٩).
أخرجه ابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٢/ ٣٦٥)، والبيهقي ـ كما في «فتح الباري» (١١/ ٤٠٥).

(٤) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٤٢٩).

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ١٠٤) بسند حسن.

(٦) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٤٢٩).

وأخرج ابن جرير[١] عنه نحوه أيضاً.

وأخرج ابن جرير[٢] عن عليّ بن أبي طالب قال: إن لله ملائكة ينزلون في كل يوم بشيء يكتبون فيه أعمال بني آدم.

وأخرج ابن مردويه[٣] عن ابن عمر [٤/٦٤] نحو ما روي عن ابن عباس.

وأخرج ابن مردويه[٤] عن ابن عباس في الآية قال: يستنسخ الحفظة من أمّ الكتاب ما يعملُ بنو آدم، فإنما يعمل الإنسان ما استنَسخ المَلَكُ من أمّ الكتاب.

وأخرج نحوه الحاكم[٥] عنه وصححه.

وأخرج الطبراني[٦] عنه أيضاً في الآية قال: إن الله وكَّل ملائكته ينسخون من ذلك العام في رمضان ليلة القدر ما يكون في الأرض من حَدَثٍ إلى مثلها من السنة المقبلة، فيُعارضون به حفظة الله على العباد عشيةَ كلِّ خميس، فيجدون ما رفع الحفظةُ موافقاً لما في كتابهم ذلك ليس فيه زيادة ولا نقصان.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه[٧] أيضاً في قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ قال: نترككم.

وأخرج ابن أبي شيبة، ومسلم، وأبو داود، وابن ماجه، وابن مردويه، والبيهقي في «الأسماء والصفات» عن أبي هريرة[٨] قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تبارك وتعالى: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما ألقيته في النار».

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/١٠٨)، وابن المنذر كما في «فتح الباري» (٨/٥٧٤) بسند صحيح.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/١٠٥) من طريق عطاء بن أبي رباح، به.

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/٤٣٠).

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/٤٣٠).

(٥) أخرجه الحاكم (٢/٤٥٤)، واللالكائي في «السُّنَّة» رقم (٩٤٤).

(٦) أخرجه الطبراني رقم (١٠٥٩٥) وقال الهيثمي: وفيه الضحاك، ضعّفه جماعة، ووثقه ابن حبان وقال: لم يسمع من ابن عباس، وبقية رجاله وثقوا. «مجمع الزوائد» (٧/١٩٠).

(٧) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/٤٣١).
أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/١٠٨)، وابن المنذر ـ كما في «فتح الباري» (٨/٥٧٤) بسند صحيح.

(٨) أخرجه ابن أبي شيبة (٩/٨٩)، ومسلم رقم (٢٦٢٠)، وأبو داود رقم (٤٠٩٠)، وابن ماجه رقم (٤١٧٤)، والبيهقي رقم (١٢٢، ٢٦٣، ٢٧٩ ـ ٢٨١).

سُورَةُ الأَحْقَافِ

هي أربع وثلاثون[(١)] آية، وقيل: خمس وثلاثون.

وهي مكية. قال القرطبي[(٢)]: في قول جميعهم.

وأخرج ابن مردويه[(٣)] عن ابن عباس، وابن الزبير قالا: نزلت سورة حمٓ الأحقاف بمكة.

وأخرج ابن الضريس، والحاكم وصحّحه عن ابن مسعود[(٤)] قال: «أقرأني رسول الله ﷺ سورة الأحقاف وأقرأها آخر، فخالف قراءته، فقلت: مَنْ أقرأكها؟ قال: رسول الله ﷺ، فقلت: والله لقد أقرأني رسول الله ﷺ غير ذا، فأتينا رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله ألم تقرئني كذا وكذا؟ قال: بلى، وقال الآخر: ألم تقرئني كذا وكذا؟ قال: بلى، فتمعّر وجه رسول الله ﷺ، فقال: ليقرأ كلّ واحد منكما ما سمع، فإنما هلك من كان قبلكم بالاختلاف».

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[إثبات الوحدانية لله ونفي الشركاء]:

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ۝٣ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٤ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝٦﴾.

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١٧٥)، و«زاد المسير» (٧/ ٣٦٨).

(٢) في «تفسيره» (١٩/ ١٧٥).

(٣) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٤٣٣).

(٤) أخرجه ابن الضريس رقم (٣٢٩)، والحاكم (٢/ ٢٢٣، ٢٢٤)، وصححه أحمد رقم (٢٩٨١) بسند حسن.

[جوهر الرسالة وطبيعتها]:

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾﴾.

قوله: ﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ قد تقدّم الكلام على هذا في سورة غافر وما بعدها مستوفى، وذكرنا وجه الإعراب، وبيان ما هو الحقّ من أن فواتح السور من المتشابه الذي يجب أن يوكل علمه إلى من أنزله.

﴿مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ من المخلوقات بأسرها ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ هو استثناء[١] مفرّغ من أعمّ الأحوال؛ أي: إلّا خلقاً ملتبساً بالحقّ الذي تقتضيه المشيئة الإلٰهية.

وقوله: ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ معطوف على الحقّ؛ أي: إلّا بالحقّ، وبأجل مسمى على تقدير مضاف محذوف؛ أي: وبتقدير أجل مسمى، وهذا الأجل هو يوم القيامة، فإنها تنتهي فيه السمٰوات والأرض وما بينهما، وتبدّل الأرض غير الأرض والسمٰوات.

وقيل: المراد بالأجل[٢] المُسمّى هو: انتهاء أجل كلّ فرد من أفراد المخلوقات، والأوّل أولى، وهذا إشارة إلى قيام الساعة، وانقضاء مدّة الدنيا، وأن الله لم يخلق خلقه باطلاً وعبثاً لغير شيء، بل خلقه للثواب والعقاب.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ﴾؛ أي: عما أنذروا وخوّفوا به في القرآن من البعث والحساب، والجزاء معرضون مولون غير مستعدّين له.

والجملة في محل نصب[٣] على الحال؛ أي: والحال أنهم معرضون عنه، غير مؤمنين به، و«ما» في قوله: ﴿عَمَّآ أُنذِرُوا۟﴾ يجوز أن تكون الموصولة، ويجوز أن تكون المصدرية[٤].

---

(١) «روح المعاني» (٢٥/ ٥٤)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ١٢٤).
(٢) «النكت والعيون» (٥/ ٢٧١).
(٣) «الكشاف» (٥/ ٤٩١)، و«روح المعاني» (٢٥/ ٥٥).
(٤) انظر: المصدرين في التعليقة المتقدمة.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: أخبروني ما تعبدون من دون الله من الأصنام ﴿أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: أيّ شيء خلقوا منها.

وقوله: ﴿أَرُونِى﴾ يحتمل أن يكون تأكيداً لقوله: ﴿أَرَءَيْتُم﴾؛ أي: أخبروني أروني، والمفعول الثاني لـ﴿أَرَءَيْتُم﴾ ﴿مَاذَا خَلَقُواْ﴾، ويحتمل أن لا يكون تأكيداً، بل يكون هذا من باب التنازع؛ لأن ﴿أَرَءَيْتُم﴾ يطلب مفعولاً ثانياً، و﴿أَرُونِى﴾ كذلك.

﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أم هذه هي[١] المنقطعة المقدّرة بـ(بل) والهمزة، والمعنى: بل أَلَهم شركة مع الله فيها؟ والاستفهام للتوبيخ[٢] والتقريع.

﴿ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ﴾ هذا تبكيت لهم، وإظهار لعجزهم وقصورهم عن الإتيان بذلك، والإشارة بقوله: ﴿هَٰذَآ﴾ إلى القرآن؛ فإنه قد صرّح ببطلان الشرك، وأن الله واحد لا شريك له، وأن الساعة حقّ لا ريب فيها، فهل للمشركين من كتاب يخالف هذا الكتاب، أو حجة تنافي هذه الحجة؟. ﴿أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾.

قال في «الصحاح»[٣]: ﴿أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾: بقية منه، وكذا الأثرة بالتحريك. قال ابن قتيبة[٤]: أي: بقية من علم الأوّلين.

وقال الفراء[٥]، والمبرِّد[٦]: يعني: ما يؤثر عن كتب الأوّلين.

قال الواحدي[٧]: وهو معنى قول المفسرين. قال عطاء[٨]: أو شيء تأثرونه عن نبيّ كان قبل محمد ﷺ.

قال مقاتل[٩]: أو رواية من علم عن الأنبياء. وقال الزجاج[١٠]: ﴿أَوْ أَثَٰرَةٍ﴾؛ أي: علامة، والأثارة مصدر كالسماحة والشجاعة، وأصل الكلمة من الأثر، وهي الرواية يقال: أثرت الحديث آثرُه أُثْرة وأَثَارةً وأثراً: إذا ذكرتَه عَنْ غيرك.

---

(١) «روح المعاني» (٢٥/ ٥٥)، و«البحر المحيط» (٩/ ٤٣٢).
(٢) «تفسير أبي السعود» (٦/ ١٢٥)، و«روح المعاني» (٢٥/ ٥٦)، و«البحر المحيط» (٩/ ٤٣١).
(٣) الجوهري في «الصحاح» (٢/ ٥٧٥).
قال: الأَثَرُ بالتحريك: ما بقي من رسم الشيء وضربة السيف.
(٤) في «تفسير غريب القرآن» (ص٤٠٧). (٥) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٥٠).
(٦) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٠٣). (٧) في «الوسيط» (٤/ ١٠٣).
(٨) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٠٣).
(٩) «معالم التنزيل» (٧/ ٢٥١)، و«الوسيط» (٤/ ١٠٣).
(١٠) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٤٣٨).

قرأ الجمهور[(١)]: «أثارةً» على المصدر كالسماحة والغواية.

وقرأ ابن عباس، وزيد بن علي، وعكرمة، والسلمي، والحسن، وأبو رجاء بفتح الهمزة[(٢)] والثاء من غير ألف.

وقرأ الكسائي[(٣)]: «أُثْرة» بضم الهمزة وسكون الثاء.

﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ في دعواكم التي تدّعونها، وهي قولكم إن لله شريكاً، ولم تأتوا بشيء من ذلك، فتبين بطلان قولهم لقيام البرهان العقلي، والنقلي على خلافه.

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ﴾؛ أي: لا أحد أضل منه ولا أجهل، فإنه دعا مَنْ لا يسمع، فكيف يطمع في الإجابة فضلاً عَنْ جلب نفع، أو دفع ضرّ؟ فتبين بهذا أنّه أجهل الجاهلين، وأضلّ الضالين، والاستفهام للتقريع والتوبيخ.

وقوله: ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ غاية لعدم الاستجابة ﴿وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ﴾ الضمير الأوّل للأصنام، والثاني لعابديها.

والمعنى: والأصنام التي يدعونها عن دعائهم إياها غافلون عن ذلك، لا يسمعون ولا يعقلون؛ لكونهم جماداتٍ، والجمع في الضميرين[(٤)] باعتبار معنى مَنْ، وأجري على الأصنام ما هو للعقلاء لاعتقاد المشركين فيها أنها تعقل.

﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً﴾؛ أي: إذا حُشر[(٥)] الناسُ العابدين للأصنام كان الأصنام لهم أعداء يتبرأ بعضهم من بعض، ويلعن بعضهم بعضاً وقد قيل: إن الله يخلق الحياة في الأصنام، فتكذبهم. وقيل: المراد: أنها تكذبهم، وتعاديهم بلسان الحال لا بلسان المقال.

---

(١) «جامع البيان» (٢١/ ١١٥ ـ ١١٦)، و«البحر المحيط» (٩/ ٤٣٢ ـ ٤٣٣)، و«زاد المسير» (٧/ ٣٧٠). القراءة المتواترة هي قراءة الجمهور وغيرها شاذة، والرواية عن الكسائي شاذة والمتواترة عنه ما وافق الجمهور.ا.هـ.

(٢) «القراءات الشاذة» (ص١٣٩)، و«المحتسب» (٢/ ٢٦٤)، و«البحر المحيط» (٩/ ٤٣٣).

(٣) «القراءات الشاذة» (ص١٣٩)، و«روح المعاني» (٢٥/ ٥٨).

(٤) «روح المعاني» (٢٥/ ٦٠)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ١٢٥).

(٥) «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١٨٢).

وأما الملائكة، والمسيح، وعزير، والشياطين، فإنهم يتبرّءون ممن عبدهم يوم القيامة، كما في قوله تعالى: ﴿تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ [القصص: ٦٣] ﴿وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾؛ أي: كان المعبودون بعبادة المشركين إياهم كافرين؛ أي: جاحدين مكذبين.

وقيل: الضمير في (كانوا) للعابدين، كما في قوله: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، والأوّل أولى.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا﴾؛ أي: آيات القرآن حال كونها ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾ واضحات المعاني ظاهرات الدلالات ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ﴾؛ أي: لأجله وفي شأنه، وهو عبارة عن الآيات ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ﴾؛ أي: وقت أنْ جاءهم ﴿هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾؛ أي: ظاهر السحرية.

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ أم هي المنقطعة؛ أي: بل أيقولون افتراه، والاستفهام للإنكار[١] والتعجب من صنيعهم، وبل للانتقال عن تسميتهم الآيات سحراً إلى قولهم: إن رسول الله افترى ما جاء به، وفي ذلك من التوبيخ[٢] والتقريع ما لا يخفى.

ثم أمره الله سبحانه أن يجيب عنهم فقال: ﴿قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾؛ أي: قل إن افتريته على سبيل الفرض، والتقدير: كما تدّعون، فلا تقدرون على أن تردّوا عني عقابَ الله، فكيف أفتري على الله لأجلكم، وأنتم لا تقدرون على دفع عقابه عني؟.

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾؛ أي: تخوضون فيه مِنْ التكذيب، والإفاضة[٣] في الشيء: الخوضُ فيه والاندفاع فيه، يقال: أفاضوا في الحديث؛ أي: اندفعوا فيه، وأفاض البعير: إذا دفع جِرّته من كرشه.

والمعنى: الله أعلم بما تقولون في القرآن، وتخوضون فيه من التكذيب له، والقول بأنّه سحر وكهانة.

﴿كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ فإنّه يشهد لي بأنّ القرآن من عنده، وأني قد

---

(١) «روح المعاني» (٢٥/ ٦٢)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ١٢٥ ـ ١٢٦)، و«البحر المحيط» (٩/ ٤٣٤).

(٢) انظر: المصادر المتقدمة.

(٣) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٦٤٨)، و«تهذيب اللغة» (١٢/ ٧٧).

بلغتكم، ويشهد عليكم بالتكذيب والجحود، وفي هذا وعيد شديد ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ لمن تاب وآمن، وصدّق بالقرآن وعمل بما فيه؛ أي: كثير المغفرة والرحمة [٤/ ٦٥] بليغهما.

﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ البِدْعُ[١] من كلّ شيء المبدأ؛ أي: ما أنا بأوّل رسول، قد بعث الله قبلي كثيراً من الرسل.

قيل: البِدْع بمعنى: البديع كالخِفّ والخفيف، والبديع: ما لم يُر له مثل، من الابتداع وهو الاختراع، وشيء بِدْع بالكسر؛ أي: مبتدع، وفلان بدع في هذا الأمر؛ أي: بديع كذا قال الأخفش، وأنشد قُطْرب:

فما أنا بِدْعٌ مِنْ حوادثَ تعتري رجالاً غدتْ مِنْ بعد موسى وأسْعَدا[٢]

وقرأ عكرمة، وأبو حيوة، وابن أبي عبلة: «بدَعاً» بفتح الدال[٣] على تقدير حذف المضاف؛ أي: ما كنت ذا بدع، وقرأ مجاهد بفتح الباء[٤]، وكسر الدال على الوصف.

﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾؛ أي: ما يفعل[٥] بي فيما يستقبل من الزمان هل أبقى في مكة، أو أخرج منها؟ وهل أموت أو أقتل؟ وهل تعجل لكم العقوبة أم تمهلون؟ وهذا إنما هو في الدنيا.

وأما في الآخرة، فقد علم أنه وأمته في الجنة، وأن الكافرين في النار. وقيل: إن المعنى: ما أدري ما يفعل بي ولا بكم يوم القيامة[٦]، وإنها لما نزلت فرح المشركون، وقالوا: كيف نَتّبع نبيّاً لا يدري ما يُفعل به ولا بنا، وأنه لا فضل له علينا؟ فنزل قوله تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢] والأوّل أولى.

---

(١) «تهذيب اللغة» (٢/ ٢٤٠)، و«الصحاح» (٣/ ١١٨٣).
(٢) نسبه الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٧٢) إلى عدي بن زيد.
(٣) «البحر المحيط» (٩/ ٤٣٤)، و«القراءات الشاذة» (ص١٣٩)، و«المحتسب» (٢/ ٢٦٤).
(٤) «البحر المحيط» (٩/ ٤٣٤)، و«روح المعاني» (٢٥/ ٦٤). القراءة المتواترة بكسر الباء وسكون الدال وغيرها شاذ.
(٥) «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٦٨٧)، و«النكت والعيون» (٥/ ٢٧٢).
(٦) «جامع البيان» (٢١/ ١٢٠ ـ ١٢٢).

﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ قرأ الجمهور[١]: «يُوحَى» مبنيّاً للمفعول؛ أي: ما أتبع إلّا القرآن، ولا أبتدع مِنْ عندي شيئًا.

والمعنى: قصر أفعاله ﷺ على الوحي لا قصر اتباعه على الوحي.

﴿وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾؛ أي: أنذركم عقاب الله، وأخوّفكم عذابه على وجه الإيضاح.

وقد أخرج أحمد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه من طريق أبي سلمة بن عبد الرحمٰن، عن ابن عباس[٢] ﴿أَوْ أَثَـٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ قال: الخطُّ. قال سفيان: لا أعلم إلّا عن النبي ﷺ، يعني: أنّ الحديث مرفوع لا موقوف على ابن عباس.

وأخرج عبد بن حميد، وابن مردويه عن أبي هريرة[٣] قال: قال رسول الله ﷺ: «كان نبيّ من الأنبياء يخط، فمَنْ صادف مثل خطه عَلِمَ» ومعنى هذا ثابت في «الصحيح» ولأهل العلم فيه تفاسير مختلفة.

ومِنْ أين لنا أن هذه الخطوط الرملية موافقة لذلك الخط؟ وأين السند الصحيح إلى ذلك النبيّ؟

أو إلى نبيِّنا ﷺ أن هذا الخط هو على صورة كذا، فليس ما يفعله أهل الرمل إلّا جهالات وضلالات.

وأخرج ابن مردويه[٤] عن أبي سعيد، عن النبيّ ﷺ: «﴿أَوْ أَثَـٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ قال: حسن الخط.

وأخرج الطبراني في «الأوسط»، والحاكم من طريق الشعبي، عن ابن عباس[٥] ﴿أَوْ أَثَـٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ قال: خط كان يخطه العرب في الأرض.

---

(١) «البحر المحيط» (٩/ ٤٣٥)، و«روح المعاني» (٢٥/ ٦٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١٨٧ ـ ١٨٨). بل هي قراءة العشرة.

(٢) أخرجه أحمد رقم (١٩٩٢)، والطبراني رقم (١٠٧٢٥)، وابن عساكر في «تاريخه» (٥١/ ٣٠) بسند صحيح.

(٣) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٤٣٤).
أخرجه أحمد في «مسنده» رقم (٩١١٧) بسند صحيح.

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٤٣٥).

(٥) أخرجه الطبراني في «الأوسط» رقم (٤٧٢)، والحاكم (٢/ ٤٥٤).

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس[(١)] ﴿أَوْ أَثَـٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ يقول: بيّنةٌ من الأمر.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه[(٢)] عنه في قوله: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ يقول: لستُ بأوّل الرسل ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾ فأنزل الله بعد هذا ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢] وقوله: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ﴾ [الفتح: ٥] الآية، فأعلم سبحانه نبيَّه ما يفعل به، وبالمؤمنين جميعاً.

وأخرج أبو داود[(٣)] في «ناسخه» عنه أيضاً أن هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾ [الفتح: ٢].

وقد ثبت في «صحيح البخاري»[(٤)] وغيره من حديث أمّ العلاء قالت: «لما مات عثمان بن مظعون قلتُ: رحمك الله أبا السائب شهادتي عليك لقد أكرمك الله، فقال رسول الله ﷺ: وما يدريك أن الله أكرمه؟ أما هو فقد جاءه اليقين من ربه، وإني لأرجو له الخير، والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي ولا بكم، قالت أمّ العلاء: فوالله لا أزكي بعده أحداً».

[شبهاتهم في نبوة محمد ﷺ وصدق القرآن]:

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَـٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَـٰبُ مُوسَىٰٓ

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ١١٥) بسند ضعيف.
(٢) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٤٣٥).
أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ١١٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» كما في «تغليق التعليق» (٤/ ٣١١) بسند صحيح.
(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٤٣٥) من طريق عكرمة عن ابن عباس.
(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» رقم (٢٧٤٥٧)، والبخاري رقم (١٢٤٣، ٢٦٨٧ ـ ٣٩٢٩، ٧٠٠٣، ٧٠٠٤، ٧٠١٨)، والنسائي في «الكبرى» رقم (٧٦٣٤).

إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾﴾.

قوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ﴾؛ أي: أخبروني ﴿إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ يعني: ما يوحى إليه من القرآن، وقيل: المراد: محمد ﷺ، والمعنى: إن كان مرسلاً من عند الله، وقوله: ﴿وَكَفَرْتُم بِهِۦ﴾ في محل نصب[1] على الحال بتقدير قد، وكذلك قوله: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾ والمعنى: أخبروني إن كان ذلك في الحقيقة من عند الله والحال أنكم قد كفرتم به، وشهد شاهد من بني إسرائيل العالِمين بما أنزل الله في التوراة على مثله؛ أي: القرآن من المعاني الموجودة في التوراة، المطابقة له من إثبات التوحيد والبعث والنشور وغير ذلك، وهذه المثلية هي باعتبار تطابق المعاني، وإن اختلفت الألفاظ.

وقال الجرجاني[2]: مثل صلة، والمعنى: وشهد شاهد عليه أنه من عند الله، وكذا قال الواحدي[3].

﴿فَـَٔامَنَ﴾ الشاهد بالقرآن لمّا تبين له أنه من كلام الله، ومن جنس ما ينزله على رسله، وهذا الشاهد من بني إسرائيل هو عبد الله بن سلام، كما قال الحسن، ومجاهد، وقتادة، وعكرمة وغيرهم[4].

وفي هذا نظر فإنّ السورة مكية بالإجماع، وعبد الله بن سلام كان إسلامه بعد الهجرة.

(١) «التبيان» (٢/ ١١٥٤ ـ ١١٥٥)، و«الفريد» (٤/ ٢٩١).
(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ١٨٩)، والزجاج في «معاني القرآن» (٤/ ٤٤٠).
(٣) في «الوسيط» (٤/ ١٠٤ ـ ١٠٥).
(٤) انظر هذه الأقوال: «النكت والعيون» (٥/ ٢٧٣)، و«جامع البيان» (٢١/ ١٢٨ ـ ١٣٠).

فيكون المراد بالشاهد: رجلاً من أهل الكتاب قد آمن بالقرآن في مكة وصدقه، واختار هذا ابن جرير[١]، وسيأتي في آخر البحث ما يترجح به أنه عبد الله بن سلام، وأن هذه الآية مدنية لا مكية.

وروي عَنْ مسروق[٢] أن المراد بالرجل: موسى عليه السلام.

وقوله: ﴿وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ معطوف على شهد؛ أي: آمن الشاهد، واستكبرتم أنتم عن الإيمان ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فحرمهم الله سبحانه الهداية؛ لظلمهم لأنفسهم بالكفر بعد قيام الحجة الظاهرة على وجوب الإيمان، ومن فقد هداية الله له ضلّ.

وقد اختلف في جواب الشرط ماذا هو؟ فقال الزجاج[٣]: محذوف تقديره: أتؤمنون، وقيل: قوله: ﴿فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ وقيل: محذوف تقديره[٤]: فقد ظلمتم لدلالة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ عليه، وقيل تقديره: فمن أضلّ منكم، كما في قوله: ﴿أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ﴾ [فصلت: ٥٢] الآية. وقال أبو علي الفارسي: تقديره: أتأمنون عقوبة الله، وقيل التقدير: ألستم ظالمين[٤].

ثم ذكر سبحانه نوعاً آخر من أقاويلهم الباطلة فقال: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾؛ أي: لأجلهم، ويجوز أن تكون هذه اللام هي لام التبليغ[٥] ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾؛ أي: لو كان ما جاء به محمد من القرآن والنبوّة خيراً ما سبقونا إليه؛ لأنَّهم عند أنفسهم المستحقّون للسبق إلى كلِّ مكرمة، ولم يعلموا أن الله سبحانه يختصّ برحمته من يشاء، ويعزّ من يشاء، ويذلّ من يشاء، ويصطفي لدينه من يشاء.

﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ﴾؛ أي: بالقرآن، وقيل: بمحمد ﷺ، وقيل: بالإيمان ﴿فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾، فجاوزوا[٦] نفي خيرية القرآن إلى دعوى أنّه كذب قديم، كما قالوا: أساطير الأوّلين، والعامل في «إذ» مقدّر؛ أي: ظهر عنادهم، ولا يجوز

(١) في «جامع البيان» (٢١/ ١٣١).
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ١٢٥ ـ ١٢٦) مرسلاً.
(٣) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٤٤٠). (٤) «التبيان» (٢/ ١١٥٥).
(٥) «روح المعاني» (٢٥/ ٧٤)، و«تفسيره أبي السعود» (٦/ ١٢٩).
(٦) «روح المعاني» (٢٥/ ٧٤، ٧٥)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ١٢٩).

أن يعمل فيه ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾ لتضادّ الزمانين أعني: المضيّ والاستقبال ولأجل الفاء أيضاً.

وقيل: إن العامل فيه فعل مقدّر من جنس المذكور؛ أي: لم يهتدوا به، وإذ لم يهتدوا به فسيقولون: ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ قرأ الجمهور[1] بكسر الميم من «مِنْ» على أنها حرف جرّ، وهي مع مجرورها خبر مقدّم، وكتاب موسى مبتدأ مؤخر، والجملة في محل نصب[2] على الحال، أو هي مستأنفة، والكلام مسوق لردّ قولهم: ﴿هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ فإن كونه قد تقدّم القرآن كتاب موسى، وهو التوراة وتوافقا في أصول الشرائع يدلّ على أنه حقّ، وأنه من عند الله، ويقتضي بطلان قولهم.

وقُرئ بفتح ميم[3] «مَنْ» على أنها موصولة ونصب كتاب؛ أي: وآتينا مَنْ قبله كتاب موسى، ورويت هذه القراءة عن الكلبي[4].

﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾؛ أي: يقتدى به في الدين، ورحمة من الله لمن آمن به، وهما منتصبان على الحال، قاله الزجاج وغيره.

وقال الأخفش[5] على القطع، وقال أبو عبيدة[6]: أي: جعلناه إماماً ورحمة.

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ﴾ يعني: القرآن فإنّه مصدّق لكتاب موسى الذي هو إمام ورحمة، ولغيره من كتب الله، وقيل: مصدّق للنبيّ ﷺ، وانتصاب ﴿لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾ على الحال الموطئة، وصاحبها الضمير في مصدّق العائد إلى كتاب، وجوّز أبو البقاء[7] أن يكون مفعولاً لمصدّق، والأوّل أولى.

وقيل: هو على حذف مضاف؛ أي: ذا لسانٍ عربيّ، وهو النبيّ ﷺ.

﴿لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ قرأ الجمهور[8]: «لِيُنْذر» بالتحتية على أنّ فاعله ضمير

---

(١) «البحر المحيط» (٩/ ٤٣٨)، و«الدر المصون» (٦/ ١٣٧)، و«حاشية الشهاب» (٨/ ٣٠).

(٢) «البحر المحيط» (٩/ ٤٣٨)، و«الفريد» (٤/ ٢٩٢)، و«التبيان» (٢/ ١١٥٥)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٢٩٩).

(٣) «روح المعاني» (٢٥/ ٧٦)، و«مجمع البيان» (٢٦/ ١٠).

(٤) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ٢٥٦). وهي قراءة شاذة.

(٥) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٦٩٣).

(٦) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ٢٥٦). (٧) «التبيان» (٢/ ١١٥٥).

(٨) «التيسير» (ص١٩٩)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٧١)، و«النشر» (٢/ ٢٧٢)، و«جامع البيان» (٢١/ ١٣٥).

يرجع إلى الكتاب؛ أي: لينذر الكتاب الذين ظلموا، وقيل: الضمير راجع إلى الله، وقيل: إلى الرسول، والأوّل أولى.

وقرأ نافع، وابن عامر، والبزي [٤/٦٦] بالفوقية[١] على أن فاعله النبي ﷺ، واختار هذه القراءة أبو حاتم[٢]، وأبو عبيد.

وقوله: ﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ في محل نصب عطفاً على محل لينذر.

وقال الزجاج[٣]: الأجود أن يكون في محل رفع؛ أي: وهو بشرى، وقيل: على المصدرية لفعل محذوف؛ أي: وتبشّر بشرى، وقوله: ﴿لِلْمُحْسِنِينَ﴾ متعلق ببشرى.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾؛ أي: جمعوا بين التوحيد والاستقامة على الشريعة، وقد تقدّم تفسير هذا في سورة السجدة.

﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ الفاء[٤] زائدة في خبر الموصول لما فيه من معنى الشرط ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ المعنى: أنهم لا يخافون من وقوع مكروه بهم، ولا يحزنون من فوات محبوب، وأن ذلك مستمر دائم.

﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾؛ أي: أولئك الموصوفون بما ذُكر أصحاب الجنة التي هي دار المؤمنين حال كونهم ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ وفي هذه الآية من الترغيب أمر عظيم، فإنّ نفي الخوف والحزن على الدوام، والاستقرار في الجنة على الأبد مما لا تطلب الأنفس سواه، ولا تتشوّف إلى ما عداه ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾؛ أي: يجزون جزاء بسبب أعمالهم التي عملوها من الطاعات لله، وترك معاصيه.

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ قرأ الجمهور[٥]: «حُسْناً» بضم الحاء، وسكون السين.

وقرأ عليّ، والسلمي بفتحهما، وقرأ ابنُ عباس، والكوفيون: «إِحْسَاناً»[٦] وقد

---

(١) انظر: المصادر المتقدمة. وللبزي وجه آخر عن ابن كثير بالتحتية.
(٢) ذكره عنهما القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ١٩٣).
(٣) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٤٤٠ ـ ٤٤١).
(٤) «التبيان» (٢/ ١١٥٥)، و«الفريد» (٤/ ٢٩٣).
(٥) «التيسير» (ص١٩٩)، و«النشر» (٢/ ٣٧٣)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٣٠٠)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٧١).
(٦) انظر: المصادر المتقدمة. القراءة بفتح الحاء والسين شاذة، والقراءتان الأُخريان متواترتان.

تقدّم في سورة العنكبوت ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت: ٨] من غير اختلاف بين القراء، وتقدّم في سورة الأنعام، وسورة بني إسرائيل ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣] فلعل هذا هو وجه اختلاف القراء في هذه الآية، وعلى جميع هذه القراءات، فانتصابه[١] على المصدرية؛ أي: وصيناه أَنْ يحسن إليهما حسناً، أو إحساناً، وقيل: على أنه مفعول به بتضمين وصينا معنى: ألزمنا، وقيل: على أنه مفعول له[٢].

﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ قرأ الجمهور[٣]: «كُرْها» في الموضعين بضم الكاف.

وقرأ أبو عمرو[٤]، وأهل الحجاز بفتحهما. قال الكسائي[٥]: وهما لغتان بمعنى واحد. قال أبو حاتم[٦]: الكَره بالفتح لا يحسن؛ لأنه الغضب والغلبة، واختار أبو عبيد[٧] قراءة الفتح قال: لأن لفظ الكَره[٨] في القرآن كله بالفتح إلّا التي في سورة البقرة: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦] وقيل: إن الكُره بالضم ما حمل الإنسان على نفسِه، وبالفتح ما حمل على غيره.

وإنما ذكر سبحانه حمل الأمّ ووضعها؛ تأكيداً لوجوب الإحسان إليها الذي وصّى الله به، والمعنى: أنها حملته ذات كُره، ووضعته ذات كُره.

[أقل الحمل ستة أشهر]:

ثم بيّن سبحانه مدّة حمله وفصاله فقال: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾؛ أي: مدتهما هذه المدّة من عند ابتداء حمله إلى أن يفصل من الرضاع؛ أي: يفطم عنه، وقد استدلّ بهذه[٩] الآية على أَنّ أقلّ الحمل ستة أشهر؛ لأن مدّة الرضاع سنتان؛

---

(١) «الفريد» (٤/ ٢٩٤)، و«التبيان» (٢/ ١١٥٦)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٣٠٠).
(٢) انظر: المصادر المتقدمة.
(٣) «البحر المحيط» (٩/ ٤٣٩)، و«جامع البيان» (٢١/ ١٣٨)، و«التيسير» (ص١٩٩)، و«النشر» (٢/ ٢٤٨).
(٤) «البحر المحيط» (٩/ ٤٣٩ ـ ٤٤٠).
(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ١٩٥).
(٦) «تفسير الرازي» (٢٨/ ١٤).
(٧) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ١٩٥).
(٨) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٧٠٧ ـ ٧٠٨).
(٩) «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١٩٥)، و«الوسيط» (٤/ ١٠٧).

أي: مدّة الرضاع الكامل، كما في قوله: ﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة: ٢٣٣] فذكر سبحانه في هذه الآية أقل مدّة الحمل، وأكثر مدّة الرضاع.

[وحق الأم آكد من حق الأب]:

وفي هذه الآية إشارة إلى أن حق الأم آكد مِنْ حق الأب؛ لأنها حملته بمشقة، ووضعته بمشقة وأرضعته هذه المدّة بتعب ونصب، ولم يشاركها الأب في شيء من ذلك.

قرأ الجمهور(١): «وفصاله» بالألف، وقرأ الحسن، ويعقوب، وقتادة، والجحدري: «وفَصْله» بفتح الفاء(٢)، وسكون الصاد بغير ألف، والفصل(٣) والفصال بمعنى: كالفطم والفطام، والقطف والقطاف.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾؛ أي: بلغ استحكام قوّته وعقله، وقد مضى تحقيق الأشُّد مستوفى، ولا بدّ من تقدير جملة تكون حتى غاية لها؛ أي: عاش واستمرّت حياته حتى بلغ أشدّه، قيل: بلغ عمره ثماني عشرة سنة، وقيل: الأشد: الحلم قاله الشعبي(٤)، وابن زيد(٥).

وقال الحسن(٦): هو بلوغ الأربعين، والأوّل أولى لقوله: ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾، فإنّ هذا يفيد أن بلوغ الأربعين هو شيء وراء بلوغ الأشد. قال المفسِّرون(٧): لم يبعث الله نبيّاً قط إلّا بعد أربعين سنة.

﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ﴾؛ أي: ألهمني.

قال الجوهري(٨): استوزعت الله فأوزعني؛ أي: استلهمته فألهمني.

﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ﴾؛ أي: ألهمني شكر ما أنعمتَ به عليّ من الهداية، وعلى والديّ من التحنّن عليّ منهما حين ربياني صغيراً.

---

(١) «البحر المحيط» (٩/ ٤٤٠)، و«جامع البيان» (٢١/ ١٣٨).
(٢) «النشر» (٢/ ٢٧٣)، و«جامع البيان» (٢١/ ١٣٨)، و«معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٤٤٢).
(٣) «تهذيب اللغة» (١٢/ ١٩٢)، و«الصحاح» (٥/ ١٧٩١)، و«مفردات ألفاظ القرآن» (ص٦٣٨).
(٤) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٢١/ ١٣٩) من طريق مجالد، به.
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٦٦٤) بسند صحيح.
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ٤١٩ رقم ٨٠٨٧).
(٧) «الوسيط» (٤/ ١٠٧)، وزاد المسير (٧/ ٣٨٧).
(٨) في «الصحاح» (٣/ ١٢٩٧).

وقيل[(١)]: أنعمت عليّ بالصحة والعافية، وعلى والديّ بالغنى والثروة، والأولى عدم تقييد النعمة عليه، وعلى أبويه بنعمة مخصوصة.

﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾؛ أي: وألهمني أَنْ أعمل عملاً صالحاً ترضاه منّي.

﴿وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ﴾؛ أي: اجعلْ ذرّيتي صالحين، راسخين في الصلاح متمكنين منه. وفي هذه الآية دليل على أنَّه ينبغي لمن بلغ عمره أربعين سنة أن يستكثر مِنْ هذه الدعوات.

وقد روي أنها نزلت[(٢)] في أبي بكر، كما سيأتي في آخر البحث.

﴿إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ مِنْ ذنوبي ﴿وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾؛ أي: المستسلمين لك، المنقادين لطاعتك، المخلصين لتوحيدك، والإشارة بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إلى الإنسان المذكور، والجمع؛ لأنه يراد[(٣)] به الجنس، وهو مبتدأ، وخبره ﴿ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟﴾ من أعمال الخير في الدنيا، والمراد بالأحسن: الحسن، كقوله: ﴿وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم﴾ [الزمر: ٥٥] وقيل: إنّ اسم التفضيل على معناه، ويراد به ما يثاب العبد عليه من الأعمال، لا ما لا يثاب عليه كالمباح[(٤)] فإنّه حسن، وليس بأحسن.

﴿وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ فلا نعاقبهم عليها. قرأ الجمهور[(٥)]: «يُتقبّل، ويُتَجاوز» على بناء الفعلين للمفعول.

وقرأ حمزة[(٦)]، والكسائي بالنون فيهما على إسنادهما إلى الله سبحانه، والتجاوز[(٧)]: الغُفْران، وأصله من جزتُ الشيء: إذا لم تقف عليه.

ومعنى ﴿فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ﴾: أَنّهم كائنون في عدادهم منتظمون في سلكهم،

---

(١) «النكت والعيون» (٥/ ٢٧٧).

(٢) «الوسيط» للواحدي (٤/ ١٠٧ ـ ١٠٨)، و«زاد المسير» (٧/ ٣٨٧).

(٣) «روح المعاني» (٢٥/ ٨٣)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ١٣٢).

(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١٩٩).

(٥) «التيسير» (ص١٩٩)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٧٢)، و«جامع البيان» (٢١/ ١٤٣)، و«زاد المسير» (٧/ ٣٧٩).

(٦) انظر: المصادر المتقدمة. وكذلك قرأ حفص بالنون وخَلف، ومَنْ قرأ بالنون نصب كلمة «أحسنَ» والجمهور رفع كلمة «أحسنُ» نائب فاعل «النشر» (٢/ ٢٧٣).

(٧) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص١٩٥).

فالجارّ والمجرور في محل النصب[١] على الحال، كقولك: أكرمني الأميرُ في أصحابه؛ أي: كائناً في جملتهم، وقيل: إنّ (في) بمعنى مع؛ أي: مع أصحاب الجنة، وقيل: إنهما خبر[٢] مبتدأ محذوف؛ أي: هم في أصحاب الجنة.

﴿وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾ وعد الصدق مصدر مؤكِّد لمضمون الجملة السابقة؛ لأن قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ﴾ إلخ في معنى الوعد بالتقبل والتجاوز، ويجوز أن يكون مصدراً[٣] لفعل محذوف؛ أي: وعدهم الله وعدَ الصدق الذي كانوا يُوعدون به على ألسن الرسل في الدنيا.

[الاستدلال على أن الشاهد عبد الله بن سلام]:

وقد أخرج أبو يعلى، وابن جرير، والطبراني، والحاكم وصحّحه عن عوف بن مالك[٤] الأشجعي: «انطلق النبيّ ﷺ، وأنا معه حتى دخلنا كنيسة اليهود يوم عيدهم، فكرهوا دخولنا عليهم، فقال لهم رسول الله ﷺ: يا معشر اليهود أروني اثني عشر رجلاً منكم يشهدون أن لا إله إلّا الله وأن محمداً رسول الله يحطّ الله تعالى عَنْ كلِّ يهوديّ تحت أديم السماء الغضبَ الذي عليه. فسكتوا، فما أجابه منهم أحد، ثم ردّ عليهم فلم يجبه أحد ثلاثاً، فقال: أبيتم فوالله لأنا الحاشر، وأنا العاقب، وأنا المُقفَّى آمنتم أو كذبتم.

ثم انصرف وأنا معه حتى كدنا أن نخرج، فإذا رجل من خلفه، فقال: كما أنت يا محمد، فأقبل، فقال ذلك الرجل: أيّ رجل تعلموني فيكم يا معشر اليهود؟ فقالوا: والله ما نعلم فينا رجلاً أعلم بكتاب الله، ولا أفقه منك ولا من أبيك ولا من جدّك، قال: فإنِّي أشهد بالله أنّه النبيّ الذي تجدونه مكتوباً في التوراة والإنجيل، قالوا: كذبتَ، ثم ردّوا عليه وقالوا شرّاً، فقال رسول الله ﷺ: كذبتم لن يقبل منكم قولكم، فخرجنا ونحن ثلاثة، رسول الله ﷺ وأنا وابن سلام، فأنزل الله ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ

---

(١) «الفريد» (٤/ ٢٩٥)، و«التبيان» (٢/ ١١٥٦)، و«روح المعاني» (٢٥/ ٨٦).

(٢) انظر: المصادر المتقدمة.

(٣) «التبيان» (٢/ ١١٥٦)، و«الفريد» (٤/ ٢٩٥).

(٤) أخرج أبو يعلى ـ كما في «الإتحاف ذيل المطالب» رقم (٥٣٩٩)، وابن جرير (٢١/ ١٣٠ ـ ١٣١)، والطبراني (ج١٨ رقم ٨٣)، والحاكم (٣/ ٤١٥، ٤١٦)، وأحمد رقم (٢٣٩٨٤) بسند صحيح.

إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾» وصحّحه[١] السيوطي.

وأخرج البخاري، ومسلم، وغيرهما عن سعد بن أبي وقاص[٢] قال: ما سمعت رسول الله ﷺ يقول لأحد يمشي على وجه الأرض إنه من أهل الجنة إلّا لعبد الله بن سلام، وفيه نزلت: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾.

وأخرج الترمذي، وابن جرير، وابن مردويه عن عبد الله بن سلام[٣] قال: نزل فيّ آيات من كتاب الله نزلت فيّ: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ ونزل فيّ ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ [الرعد: ٤٣].

[وآية الشاهد مدنية]:

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس[٤] ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ قال: عبد الله بن سلام.

وقد روي نحو هذا عن جماعة من التابعين. وفيه دليلٌ على أنّ هذه الآية مدنية، فيخصص بها عموم قولهم إنّ سورة الأحقاف كلها مكية.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير عن قتادة[٥] قال: قال ناس من المشركين: نحن أعزّ ونحن ونحن فلو كان خيراً ما سبقنا إليه فلان وفلان، فنزل: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾.

وأخرج ابن المنذر[٦] عن عون بن أبي شداد قال: كانت لعمر بن الخطاب أَمَة أسلمت قبله يقال لها: زِنّيرة، وكانَ عُمر يضربها على الإسلام، وكان كفار قريش

---

(١) في «الدر المنثور» (٧/ ٤٣٧).

(٢) أخرجه البخاري رقم (٣٨١٢)، ومسلم رقم (٢٤٨٣)، والنسائي في «السنن الكبرى» رقم (٨٢٥٢)، وابن جرير (٢١/ ١٢٦ ـ ١٢٧).

(٣) أخرجه الترمذي رقم (٣٢٥٦، ٣٨٠٣)، وابن جرير (٢١/ ١٢٧)، وابن مردويه، كما في «فتح الباري» (٧/ ١٣٠).

(٤) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٤٣٨).
أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ١٢٧ ـ ١٢٨) مطولاً، وابن مردويه كما في «فتح الباري» (٧/ ١٣٠) بسند ضعيف.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ١٣٢ ـ ١٣٣)، وعبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢١٦) بسند صحيح.

(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٤٤٠).

يقولون: لو كان خيراً ما سبقتنا إليه زِنّيرة، فأنزل الله في شأنها ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ الآية.

وأخرج الطبراني عن سَمُرة بن جندب(١) أن رسول الله ﷺ قال: «بنو غفار وأسلم كانوا لكثير من الناس فتنة، يقولون: لو كان خيراً ما جعلهم الله أوّل الناس فيه».

وأخرج ابنُ عساكر من طريق الكلبي عن أبي صالح، عن ابن عباس(٢) قال: نزل قوله: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾ الآية إلى قوله: ﴿وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾ في أبي بكر الصديق.

وأخرج عبد الرزّاق، وابن المنذر عن نافع بن جبير(٣) [٤/٦٧] أن ابن عباس أخبره قال: إنِّي لصاحب المرأة التي أتى بها عمر وضعت لستة أشهر، فأنكر الناس ذلك، فقلتُ لعمر: لم تَظْلم؟ قال: كيف؟ قلت اقرأ: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا﴾ ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٣٣] كم الحول؟ قال: سنة، قلت: كم السنة؟ قال: اثنا عشر شهراً، قلت: فأربعة وعشرون شهراً حولان كاملان، ويؤخر الله مِنْ الحمل ما شاء، ويقدّم ما شاء، فاستراح عمر إلى قولي.

وأخرج سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم عنه(٤) أنه كان يقول: إذا ولدت المرأة لتسعة أشهر كفاها من الرضاع أحد وعشرون شهراً، وإذا ولدت لسبعة أشهر كفاها من الرضاع ثلاثة وعشرون شهراً، وإذا وضعت لستة أشهر، فحولان كاملان؛ لأن الله يقول: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا﴾.

وأخرج ابنُ مردويه(٥) عنه أيضاً قال: أُنزلت هذه الآية في أبي بكر الصدّيق ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ﴾ الآية، فاستجاب الله له، فأسلم

---

(١) أخرجه الطبراني رقم (٧٠٩٦) وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/٤٦) وفيه من لم أعرفهم.

(٢) أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» (٣٠/٣٣٨) بسند ضعيف.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» رقم (١٣٤٤٦) بسند صحيح.

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/٤٤٢).
أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٢٢٩٤) بسند حسن

(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/٤٤٣).

والداه جميعاً وإخوته وولدُه كلُّهم، ونزلت فيه أيضاً ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ﴾ [الليل: ٥] إلى آخر السورة.

﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

[اللغات في ﴿أُفٍّ﴾ ومعناها]:

لما ذكر سبحانه مَنْ شكر نعمة الله سبحانه عليه، وعلى والديه ذكر مَنْ قال لهما قولاً يدلّ على التضجّر منهما عند دعوتهما له إلى الإيمان، فقال: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا﴾ الموصول عبارة عن الجنس القائل ذلك القول، ولهذا أخبر عنه بالجمع، وأفٍّ كلمة تصدر[(١)] عن قائلها عند تضجّره من شيء يَرِدُ عليه. قرأ نافع وحفص: «أفٍّ» بكسر[(٢)] الفاء مع التنوين.

وقرأ ابنُ كثير، وابن عامر، وابن مُحيصن بفتحها[(٣)] مِنْ غير تنوين، وقرأ الباقون بكسرٍ[(٤)] مِنْ غير تنوين وهي لغات.

وقد مضى بيان الكلام في هذا في سورة بني إسرائيل؛ أي: سورة الإسراء.

واللام في قوله: ﴿لَّكُمَا﴾ لبيان التأفيف؛ أي: التأفيف لكما، كما في قوله: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ [يوسف: ٢٣].

---

(١) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٧٩)، و«تهذيب اللغة» (١٥/ ٥٨٨).

(٢) «النشر» (٢/ ٣٠٦ ـ ٣٠٧)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٤٤)، و«التيسير» (ص١٣٩)، و«زاد المسير» (٧/ ٣٨٠). وقرأ أبو جعفر كقراءة نافع وحفص وقرأ يعقوب كقراءة ابن كثير ومَنْ معه.ا.هـ

(٣) انظر: المصادر المتقدمة.

(٤) «فتح الباري» (٨/ ٤٤٢)، و«حاشية الجمل» (٤/ ١٣٠)، و«النشر» (٢/ ٣٠٧).

قرأ الجمهور(١): «أتعدانِنِيْ» بنونين مخففتين، وفتح ياءَه(٢) أهلُ المدينة ومكة، وأسكنها الباقون.

وقرأ أبو حيوة، والمغيرة، وهشام بإدغام إحدى النونين(٢) في الأخرى، ورويت هذه القراءة عن نافع.

وقرأ الحسن، وشيبة، وأبو جعفر، وعبد الوارث عن أبي عمرو بفتح النون الأولى(٣)، كأنهم فرّوا من توالي مِثْلين مكسورين.

وقرأ الجمهور(٤): «أن أُخْرَج» بضم الهمزة وفتح الراء مبنيّاً للمفعول. وقرأ الحسن، ونصر، وأبو العالية، والأعمش، وأبو معمر بفتح الهمزة(٥) وضم الراء مبنيّاً للفاعل.

والمعنى: أتعدانِني أن أُبْعثَ بعد الموت.

وجملة: ﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِي﴾ في محل نصب(٦) على الحال؛ أي: والحال أن قد مضت القرون من قبلي فماتوا، ولم يبعث منهم أحد.

وهكذا جملة: ﴿وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ﴾ في محل نصب على الحال؛ أي: والحال أنهما يستغيثان الله له، ويطلبان مِنْه التوفيق إلى الإيمان، واستغاث يتعدّى بنفسه وبالباء يقال: استغاث الله، واستغاث به.

وقال الرازي(٧): معناه يستغيثان بالله مِنْ كفره، فلما حذف الجار وصل الفعل، وقيل: الاستغاثة الدعاء، فلا حاجة إلى الباء.

---

(١) «التيسير» (ص١٩٩)، و«النشر» (٢/٣٠٣)، و«البحر المحيط» (٩/ ٤٤٠).

(٢) انظر: المصادر المتقدمة. الصواب في قراءة هذا الحرف: قرأ هشام عن ابن عامر بالإدغام أي بنون مشددة مكسورة وقرأ الباقون بدون إدغام وقرأ نافع وابن كثير وأبو جعفر بفتح ياء الإضافة وقرأ باقي العشرة بسكونها. والرواية التي ذكرها عن نافع شاذة، وكذلك القراءة التي عزاها لأبي جعفر وأبي عمرو بفتح النون الأولى شاذة. انظر: «النشر» (٢/٣٧٣)، و«تخريج القراءات في فتح القدير» (ص٣٦٨).

(٣) «القراءات الشاذة» (ص١٣٩)، و«البحر المحيط» (٩/ ٤٤٠)، و«روح المعاني» (٢٥/٨٨).

(٤) «البحر المحيط» (٩/ ٤٤١)، و«معاني القرآن» للزجاج (٤/٤٤٣).

(٥) «القراءات الشاذة» (ص١٣٩)، و«روح المعاني» (٢٥/٨٨). وهي قراءة شاذة.

(٦) «روح المعاني» (٢٥/٨٨).

(٧) في «تفسيره» (٢٨/ ٢٤).

قال الفراء[(١)]: يقال: أجاب الله دعاءه وغواثه.

وقوله: ﴿وَيْلَكَ﴾ هو بتقدير القول؛ أي: يقولان له: ويلك، وليس المراد به الدعاء عليه، بل الحثّ له على الإيمان، ولهذا قالا له: ﴿ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾؛ أي: آمن بالبعث إنّ وعد الله حقّ لا خُلْف فيه ﴿فَيَقُولُ﴾ عند ذلك مكذباً لما قالاه: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾؛ أي: ما هذا الذي تقولانه من البعث إلّا أحاديث الأوّلين، وأباطيلهم التي سطّروها في الكتب.

قرأ الجمهور[(٢)]: «إنّ وعد الله» بكسر إن على الاستئناف، أو التعليل وقرأ عمر بن فايد والأعرج بفتحها[(٣)] على أنها معمولة (لآمن) بتقدير الباء. أي: آمن بأن وعد الله بالبعث حقّ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾؛ أي: أولئك القائلون هذه المقالات هم الذين حقّ عليهم القول؛ أي: وجب عليهم العذاب بقوله سبحانه لإبليس: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [صٓ: ٨٥] كما يفيده قوله: ﴿فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾.

وجملة: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾ تعليل لما قبله، وهذا يدفع كون سبب نزول الآية عبد الرحمٰن بن أبي بكر، وأنّه الذي قال لوالديه ما قال، فإنّه من أفاضل المؤمنين، وليس ممّنْ حقت عليه كلمةُ العذاب، وسيأتي بيان سبب النزول في آخر البحث إنْ شاء الله.

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾؛ أي: لكلّ فريق من الفريقين المؤمنين والكافرين، من الجنّ والإنس مراتب[(٤)] عند الله يوم القيامة بأعمالهم.

قال ابن زيد[(٥)]: درجات أهل النار في هذه الآية تذهب سفلاً، ودرجات أهل الجنة تذهب علوًّا.

---

(١) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٥٤).

(٢) «البحر المحيط» (٩/ ٤٤٢)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٢٠٣)، و«الإتحاف» (ص٣٩٢).

(٣) «حاشية الجمل» (٤/ ١٣١)، و«البحر المحيط» (٩/ ٤٤٢)، و«القراءات الشاذة» (ص١٣٩). وهي قراءة شاذة.

(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٢٠٣).

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ١٤٦) بسند صحيح.

﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾؛ أي: جزاء أعمالهم. قرأ الجمهور[١]: «لنوفيهم» بالنون. وقرأ ابن كثير، وابن محيصن، وعاصم، وأبو عمرو، ويعقوب بالياء التحتية[٢]. واختار أبو عبيد[٣] القراءة الأولى، واختار الثانية أبو حاتم[٣].

﴿لَا يُظْلَمُونَ﴾؛ أي: لا يُزاد مسيء، ولا يُنقص محسن، بل يوفّى كل فريق ما يستحقه من خير وشرّ، والجملة في محلّ نصب[٤] على الحال، أو مستأنفة مقررة لما قبلها.

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ الظرف[٥] متعلق بمحذوف؛ أي: اذكر لهم يا محمد يوم ينكشف الغطاء، فينظرون إلى النار ويقربون منها.

وقيل: معنى يُعْرَضون: يُعَذّبون من قولهم: عرضه على السيف، وقيل: في الكلام قلب. والمعنى: تعرض النار عليهم.

﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾؛ أي: يقال لهم ذلك، قيل: وهذا المقدّر هو الناصب للظرف، والأوّل أولى.

قرأ الجمهور[٦]: «أذهبتم» بهمزة واحدة، وقرأ الحسن، ونصر، وأبو العالية، ويعقوب، وابن كثير بهمزتين[٧] مخففتين.

ومعنى الاستفهام[٨]: التقريع والتوبيخ. قال الفراء[٩] والزجاج[١٠]: العرب توبخ بالاستفهام وبغيره، فالتوبيخ كائن على القراءتين. قال الكلبي[١١]: المراد بالطيبات: اللّذات، وما كانوا فيه من المعايش.

﴿وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا﴾؛ أي: بالطيبات، والمعنى: أنّهم اتبعوا الشهوات، واللّذات

(١) «النشر» (٢/ ٣٧٣)، و«التيسير» (ص١٩٩)، و«حجة القراءات» (ص٦٦٥)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٧٢).
(٢) انظر: المصادر المتقدمة.
(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٢٠٤).
(٤) «روح المعاني» (٢٥/ ٩٠ ـ ٩١).
(٥) «الفريد» (٤/ ٢٩٧)، و«التبيان» (٢/ ١١٥٧).
(٦) «جامع البيان» (٢١/ ١٤٩)، و«التيسير» (ص٢٠٠)، و«النشر» (١/ ٣٦٦).
(٧) انظر: المصادر المتقدمة. وكذلك قرأ بهمزتين ابن عامر وأبو جعفر.ا.هـ.
(٨) «روح المعاني» (٢٥/ ٩٢)، و«جامع البيان» (٢١/ ١٤٩)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ١٣٣)، و«معاني القرآن» للنحاس (٦/ ٤٥١).
(٩) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٥٤ ـ ٥٥).
(١٠) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/).
(١١) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ١١٠).

التي في معاصي الله سبحانه، ولم يبالوا بالذنب؛ تكذيباً منهم لما جاءت به الرّسل من الوعد بالحساب والعقاب والثواب.

﴿فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾؛ أي: العذاب الذي فيه ذلّ لكم، وخزي عليكم.

قال مجاهد[(١)] وقتادة[(٢)]: الهون: الهوان[(٢)] بلغة قريش.

﴿بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾؛ أي: بسبب تكبّركم عَنْ عبادة الله، والإيمان به وتوحيده ﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾؛ أي: تخرجون عَنْ طاعة الله، وتعملون بمعاصيه، فجعل السبب في عذابهم أمرين: التكبّر عن اتباع الحق، والعمل بمعاصي الله سبحانه، وهذا شأن الكفرة، فإنهم قد جمعوا بينهما.

وقد أخرج البخاري[(٣)] عن يوسف بن ماهك قال: كان مروان على الحجاز استعمله معاوية بن أبي سفيان، فخطب، فجعل يذكر يزيد بن معاوية؛ لكي يبايع له بعد أبيه، فقال عبد الرحمٰن بن أبي بكر شيئًا، فقال: خذوه، فدخل بيت عائشة، فلم يقدروا عليه، فقال مروان: إنّ هذا أُنزل فيه: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا﴾ فقالت عائشة: ما أنزل الله فينا شيئًا مِنْ القرآن إلّا أن الله أنزل عذري.

وأخرج عبد بن حميد، والنسائي، وابن المنذر، والحاكم وصحّحه، وابن مردويه، عن محمد بن زياد[(٤)] قال: لما بايع معاوية لابنه، قال مروان: سُنَّة أبي بكر، وعُمر، فقال عبد الرحمٰن: سُنَّة هِرْقل، وقيصر، فقال مروان: هذا الذي قال الله فيه: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا﴾ الآية، فبلغ ذلك عائشة فقالت: كذب مروان، والله ما هو به، ولو شئت أن أسمي الذي نزلت فيه لسميته، ولكنّ رسول الله ﷺ لعن أبا مروان، ومروان في صُلْبه، فمروان من لعنة الله.

وأخرج ابن جرير[(٥)]، عن ابن عباس في الآية قال: هذا ابن لأبي بكر.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ١٤٩ ـ ١٥٠) بسند صحيح.

(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٨١) عن قتادة.

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٤٨٢٧).

(٤) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» رقم (١١٤٩١)، وابن المنذر ـ كما في «فتح الباري» (٨/ ٥٧٧) ـ والحاكم (٤/ ٤٨١)، وابن مردويه ـ كما في «تخريج أحاديث الكشاف» (٣/ ٢٨٢).

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ١٤٤ ـ ١٤٥) بسند ضعيف.
وقال ابن كثير في «تفسيره» (١٣/ ١٨) وفي صحة هذا نظر، والله أعلم.

وأخرج نحوه ابن أبي حاتم(١) عن السديّ، ولا يصح هذا كما قدّمنا.

[قصة نبي الله هود مع قومه عاد]:

﴿۞ وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿٢١﴾ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوۡهُ عَارِضٗا مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ رِيحٞ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰهُمۡ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمۡ فِيهِ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ سَمۡعٗا وَأَبۡصَٰرٗا وَأَفۡـِٔدَةٗ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَيۡءٍ إِذۡ كَانُواْ يَجۡحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا مَا حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡقُرَىٰ وَصَرَّفۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوۡلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرۡبَانًا ءَالِهَةَۢۖ بَلۡ ضَلُّواْ عَنۡهُمۡۚ وَذَٰلِكَ إِفۡكُهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٢٨﴾﴾. [٤/٦٨]

قوله: ﴿وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ﴾؛ أي: واذكر يا محمد لقومك أخا عاد، وهو هود(٢) بن عبد الله بن رباح كان أخاهم في النسب، لا في الدين، وقوله: ﴿إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ﴾ بدل اشتمال منه؛ أي: وقتَ إنذاره إيّاهم ﴿بِٱلۡأَحۡقَافِ﴾ وهي ديارُ عادٍ جمع حِقْف، وهو الرمل العظيم المستطيل المعوج قاله الخليل(٣) وغيره(٤)، وكانوا قهروا أهل الأرض بقوّتهم، والمعنى: أن الله سبحانه أمره أن يذكر لقومه قصتهم؛ ليتعظوا ويخافوا، وقيل: أمره بأنْ يتذكر في نفسه قصتهم مع هود؛ ليقتدي به ويهون عليه تكذيب قومه.

قال عطاء(٥): الأحقاف: رمال بلاد الشِّحْر. وقال مقاتل(٦): هي باليمن في

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ـ كما في «فتح الباري» (٥٧٧/٨) ـ. وقال ابن حجر: لكن نفي عائشة أن تكون نزلت في عبد الرحمٰن وآل بيته أصح إسناداً وأولى بالقبول.
(٢) «التعريف والإعلام» (ص١٥٦).
(٣) في كتاب العين (ص٢٠٣).
(٤) «تهذيب اللغة» (٦٨/٤).
(٥) ذكره الواحدي في «الوسيط» (١١٣/٤).
(٦) ذكره الواحدي في «الوسيط» (١١٣/٤).

حضرموت، وقال ابن زيد[١]: هي رمال مبسوطة مستطيلة كهيئة الجبال، ولم تبلغ أن تكون جبالاً.

﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ﴾؛ أي: وقد مضت الرسل من قبله ومن بعده.

كذا قال الفراء[٢] وغيره.

وفي قراءة ابن مسعود[٣]: «من بين يديه ومن بعده» والجملة في محل نصب على الحال، ويجوز أن تكون معترضة بين إنذار هود، وبين قوله لقومه: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ والأوّل أولى.

والمعنى: أعلمهم أن الرسل الذين بعثوا قبله، والذين سيبعثون بعده كلهم مُنْذِرون نحو إنذاره.

ثم رجع إلى كلام هود لقومه، فقال حاكياً عنه: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ وقيل: إنّ جعلَ تلك الجملة اعتراضية أولى بالمقام، وأوفق بالمعنى.

﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾؛ أي: لتصرفنا عن عبادتها، وقيل: لتزيلنا، وقيل: لتمنعنا والمعنى متقارب، ومنه قول عروة بن أذينة:

إنْ تكُ عن حسنِ الصنيعةِ مأفو كاً ففي آخرينَ قد أُفِكُوا[٤]

يقول: إن لم توفّق للإحسان، فأنت في قوم قد صرفوا عن ذلك.

﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ من العذاب العظيم ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في وعدك لنا به.

﴿قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: إنما العلم بوقت مجيئه عند الله لا عندي ﴿وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ﴾ إليكم من ربكم من الإنذار والإعذار، فأما العلم بوقت مجيء العذاب، فما أوحاه إليّ ﴿وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ حيث بقيتم مصرّين على كفركم، ولم تهتدوا بما جئتكم به، بل اقترحتم عليّ ما ليس من وظائف الرسل.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ١٥٣) بسند صحيح.

(٢) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٥٤).

(٣) «المحرر الوجيز» (١٥/ ٣١)، و«جامع البيان» (٢١/ ١٥٤)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ١٦٨ ـ ١٦٩). وهي قراءة شاذة مخالفة للرسم.

(٤) قائله عروة بن أذينة، «إصلاح المنطق» (ص٢٧) وفيه المروَّة، بدل: الصنيعة.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا﴾ الضمير يرجع إلى «ما» في قوله: ﴿بِمَا تَعِدُنَآ﴾.

وقال المبرِّد[١]، والزجّاج[٢]: الضمير في ﴿رَأَوْهُ﴾ يعود إلى غير مذكور، وبيّنه قوله: ﴿عَارِضًا﴾، فالضمير يعود إلى السحاب؛ أي: فلما رأوا السحاب عارضاً، فعارضاً نُصب على التكرير يعني: التفسير، وسمي السحاب عارضاً؛ لأنه يبدو في عَرْض السماء.

قال الجوهري[٣]: العارض: السحاب يعترض في الأفق، ومنه قوله: ﴿هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ وانتصاب[٤] عارضاً على الحال، أو التمييز ﴿مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾؛ أي: متوجهاً نحو أوديتهم.

قال المفسرون[٥]: كانت عاد قد حُبس عنهم المطر أياماً، فساق الله إليهم سحابةً سوداء، فخرجت عليهم من واد لهم يقال له: المعتب، فلما رأوه مستقبل أوديتهم استبشروا، و﴿قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾؛ أي: غَيْم فيه مطر.

وقوله: ﴿مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾ صفة لعارض؛ لأن إضافته لفظية لا معنوية، فصح وصف النكرة به، وهكذا ممطرنا، فلما قالوا ذلك أجاب عليهم هود، فقال: ﴿بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ﴾ يعني: من العذاب حيث قالوا: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾.

وقوله: ﴿رِيحٌ﴾ بدل من ما[٦]، أو خبر مبتدأ محذوف.

وجملة: ﴿فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ صفة لريح، والريح التي عُذِّبوا بها نشأت من ذلك السحاب الذي رأوه.

﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ هذه الجملة صفة ثانية لريح؛ أي: تُهلك كلَّ شيء مرّت به من نفوس عاد وأموالها، والتدمير: الإهلاك، وكذا الدمار، وقرئ: «يَدْمُر» بالتحتية[٧] مفتوحة وسكون الدال وضم الميم، ورفع «كلُّ» على الفاعلية من دمر دماراً.

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٢١٣).
(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٤٤٥). (٣) في «الصحاح» (٣/ ١٠٨٥).
(٤) «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٣٠٢)، و«التبيان» (٢/ ١١٥٧).
(٥) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ١١٣).
(٦) «التبيان» (٢/ ١١٥٧)، و«الفريد» (٤/ ٢٩٨).
(٧) «البحر المحيط» (٩/ ٤٤٦)، و«روح المعاني» (٢٥/ ١٠٠). وهي قراءة شاذة.

ومعنى ﴿بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾: أن ذلك بقضائه وقدره.

﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ﴾؛ أي: لا ترى أنتَ يا محمد، أو كل من يصلح للرؤية إلّا مساكنهم بعد ذهاب أنفسهم وأموالهم.

قرأ الجمهور[١]: «لا تَرى» بالفوقية على الخطاب، ونصب مساكنَهم.

وقرأ حمزة، وعاصم بالتحتية[٢] مضمومة مبنياً للمفعول، ورفع مساكنهم.

قال سيبويه[٣]: معناه لا يرى أشخاصهم إلّا مساكنهم، واختار أبو عبيد[٤]، وأبو حاتم القراءة الثانية. قال الكسائي[٥]، والزجاج[٦]: معناها لا يُرى شيء إلّا مساكنهم، فهي محمولة على المعنى كما تقول: ما قام إلّا هند، والمعنى: ما قام أحد إلّا هند.

وفي الكلام حذف.

والتقدير: فجاءتهم الريح فدمرتهم، فأصبحوا لا يُرى إلّا مساكنهم.

﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾؛ أي: مثل ذلك الجزاء نجزي هؤلاء، وقد مرّ بيان هذه القصة في سورة الأعراف.

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ﴾ قال المبرِّد[٧]: «ما» في قوله ﴿فِيمَآ﴾ بمنزلة «الذي»، و«إن» بمنزلة «ما» يعني: النافية، وتقديره: ولقد مكناهم في الذي ما مكناكم فيه من المال وطول العمر وقوّة الأبدان، وقيل: «إن» زائدة وتقديره: ولقد مكناهم فيما مكناكم فيه، وبه قال القتيبي، ومثله قول الشاعر:

فما إنْ طِبُّنا جُبْنٌ ولكنْ ... منايانا ودولةُ آخرينا[٨]

والأوّل أولى؛ لأنّه أبلغ في التوبيخ لكفار قريش، وأمثالهم.

﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً﴾؛ أي: إنهم أعرضوا عن قبول الحجة،

---

(١) «النشر» (٢/ ٣٧٣)، و«التيسير» (ص٣٠٠)، و«جامع البيان» (٢١/ ١٦٠)، و«زاد المسير» (٧/ ٣٨٥).

(٢) انظر: المصادر المتقدمة. ومع حمزة وعاصم يعقوب وخَلَف.

(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٢١٦).

(٤) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٤/ ١٧٠).

(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٢١٦).

(٦) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٤٤٥).

(٧) في «تفسير غريب القرآن» (ص٤٠٨).

(٨) «خزانة الأدب» (٤/ ١١٢).

والتذكّر مع ما أعطاهم الله من الحواسّ التي بها تدرك الأدلة، ولهذا قال: ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ﴾؛ أي: فما نفعهم ما أعطاهم الله من ذلك؛ حيثُ لم يتوصلوا به إلى التوحيد وصحة الوعد والوعيد، وقد قدّمنا من الكلام على وجه إفراد السمع، وجمع البصر ما يغني عن الإعادة، و«من» في ﴿مِّن شَىْءٍ﴾ زائدة، والتقدير: فما أغنى عنهم شيء من الإغناء، ولا نفعهم بوجه من وجوه النفع.

﴿إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ الظرف متعلق بأغنى، وفيها معنى التعليل؛ أي: لأنهم كانوا يجحدون.

﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾؛ أي: أحاط بهم العذاب الذي كانوا يستعجلونه بطريق الاستهزاء حيث قالوا: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ﴾ الخطاب لأهل مكة.

والمراد بما حولهم من القرى: قُرى ثمود، وقرى لوط، ونحوهما مما كان مجاوراً لبلاد الحجاز، وكانت أخبارهم متواترةً عندهم.

﴿وَصَرَّفْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾؛ أي: بيَّنا الحجج ونوّعناها؛ لكي يرجعوا عن كفرهم فلم يرجعوا.

ثم ذكر سبحانه أنه لم ينصرهم من عذاب الله ناصر، فقال: ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ﴾؛ أي: فهلّا نصرهم آلهتُهم التي تقرّبوا بها بزعمهم إلى الله لتشفع لهم حيثُ قالوا: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] ومنعتهم من الهلاك الواقع بهم.

قال الكسائي(١): القُربان: كلُّ ما يتقرّب به إلى الله من طاعة ونسيكة، والجمع قرابين كالرُّهبان والرهابين، وأحد مفعولي اتخذوا ضمير راجع إلى الموصول، والثاني آلهة، وقرباناً حال، ولا يصح أنْ يكون قرباناً مفعولاً ثانياً، وآلهةً بدلاً منه لفساد المعنى، وقيل: يصح ذلك ولا يفسد المعنى، ورجحه ابن عطية(٢)، وأبو البقاء(٣)، وأبو حيان(٤)، وأنكر أن يكون في المعنى فساد على هذا الوجه.

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/٢١٨). (٢) في «المحرر الوجيز» (١٥/٣٦).
(٣) «التبيان» (٢/١١٥٨)، و«الإملاء» (٤/ ٣٢٣).
(٤) في «البحر المحيط» (٩/٤٤٨).

﴿بَلْ ضَلُّواْ عَنْهُمْ﴾؛ أي: غابوا عن نصرهم، ولم يحضروا عند الحاجة إليهم، وقيل: بل هلكوا.

وقيل: الضمير في ضلوا راجع إلى الكفار؛ أي: تركوا الأصنام وتبرءوا منها، والأوّل أولى، والإشارة بقوله: ﴿وَذَٰلِكَ﴾ إلى ضلال آلهتهم.

والمعنى: وذلك الضلال والضياع أثر ﴿إِفْكُهُمْ﴾ الذي هو اتخاذهم إياها آلهةً وزعمهم أنها تقرّبهم إلى الله.

قرأ الجمهور[1]: «إِفْكهم» بكسر الهمزة، وسكون الفاء مصدر أفك يأفك إفكاً؛ أي: كذبهم.

وقرأ ابن عباس، وابن الزبير، ومجاهد بفتح الهمزة[2] والفاء والكاف على أنه فعل؛ أي: ذلك القول صرفهم عن التوحيد.

وقرأ عكرمة بفتح الهمزة[3] وتشديد الفاء؛ أي: صيرهم آفكين. قال أبو حاتم[4]: يعني: قلبهم عما كانوا عليه من النعيم، وروي عن ابن عباس[5] أنه قرأ بالمدّ، وكسر الفاء بمعنى صارفهم.

﴿وَمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ معطوف على إفكهم؛ أي: وأثر افترائهم، أو أثر الذي كانوا يفترونه. والمعنى: وذلك إفكهم؛ أي: كذْبهُم الذي كانوا يقولون إنها تقرّبهم إلى الله، وتشفع لهم ﴿وَمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾؛ أي: يكذبون أنها آلهة.

وقد أخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[6] قال: الأحقاف جبل بالشام.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم من طرق عنه[7] في قوله: ﴿هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ قال: هو السحاب.

---

(١) «جامع البيان» (٢١/ ١٦٣)، و«البحر المحيط» (٩/ ٤٤٨)، و«التبيان» (٢/ ١١٥٨). وهي القراءة المتواترة وما عداها فشاذ.

(٢) «المحتسب» (٢/ ٢٦٧)، و«روح المعاني» (٢٥/ ١٠٦)، و«القراءات الشاذة» (ص١٣٩).

(٣) «القراءات الشاذة» (ص١٣٩)، و«حاشية الجمل» (٤/ ١٣٥)، و«المحتسب» (٢/ ٢٦٧).

(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٢١٩).

(٥) «القراءات الشاذة» (ص١٣٩)، و«المحتسب» (٢/ ٢٦٧).

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ١٥١) بسند ضعيف. وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/ ٣٢٩٦).

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم كما في «تغليق التعليق» (٤/ ٣١١)، و«فتح الباري» (٨/ ٥٧٨).

وأخرج البخاريّ، ومسلم، وغيرهما عن عائشة[١] قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعاً ضاحكاً حتى أرى منه لهواته، إنما كان يتبسم، وكان إذا رأى غيماً أو ريحاً عُرف ذلك في وجهه، قلت: يا رسول الله، الناس إذا رأوا الغيم فرحوا أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيته عرفت في وجهك الكراهية، قال: «يا عائشة: وما يؤمنني أن يكون فيه عذاب، قد عُذِّب قوم بالريح، وقد رأى قوم العذاب، فقالوا: ﴿هَٰذَا عَارِضٌ مُّمۡطِرُنَاۚ﴾».

وأخرج مسلم، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه عنها[٢] قالت: كان رسول الله ﷺ إذا عصفت الريح قال: «اللّهم إني أسألك خيرَها وخير ما فيها، وخير ما أُرْسلت به، وأعوذ بك من شرّها وشرّ ما فيها وشرّ ما أرسلت به، فإذا تخيلت السماء تغير لونه، وخرج ودخل وأقبل وأدبر، فإذا مطرت سُرّي عنه، فسألته فقال: لا أدري، لعلّه كما قال قوم عاد: ﴿هَٰذَا عَارِضٌ مُّمۡطِرُنَاۚ﴾».

وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب «السحاب»، وأبو الشيخ في «العظمة» [٦٩/٤] عن ابن عباس[٣] في قوله: ﴿فَلَمَّا رَأَوۡهُ عَارِضٗا مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ﴾ قالوا: غيم فيه مطر، فأوّل ما عرفوا أنه عذاب رأوا ما كان خارجاً من رجالهم، ومواشيهم تطير بين السماء والأرض مثل الريش دخلوا بيوتهم، وغلقوا أبوابهم، فجاءت الريح ففتحت أبوابهم، ومالت عليهم بالرمل، فكانوا تحت الرمل سبع ليال، وثمانية أيام حسوماً لهم أنين، ثم أمر الله الريح، فكشفت عنهم الرمل وطرحتهم في البحر، فهو قوله: ﴿فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ﴾.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، والحاكم وصححه عن ابن عباس[٤] قال: ما أرسل الله على عاد من الريح إلّا قدر خاتمي هذا.

---

(١) أخرجه أحمد رقم (٢٤٣٦٩)، والبخاري رقم (٤٨٢٨، ٤٨٢٩، ٦٠٩٢)، ومسلم رقم (٨٩٩) وأبو داود رقم (٥٠٩٨).

(٢) أخرجه مسلم رقم (٨٩٩)، والترمذي رقم (٣٢٥٧، ٣٤٤٩)، والنسائي في «السنن الكبرى» رقم (١٨٣١، ١٨٣٢)، وابن ماجه رقم (٣٨٩١).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا رقم (١٣٤)، وأبو الشيخ رقم (٨٣٩) بسند ضعيف جدّاً.

(٤) أخرجه ابن جرير (١٥٨/٢١)، والحاكم (٢/ ٤٥٥) من طريق الأعمش، به.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عنه[١] في قوله: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ﴾ يقول: لم نمكنكم.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه[٢] أيضاً في الآية قال: عاد مُكّنوا في الأرض أفضل مما مكنت فيه هذه الأمة، وكانوا أشدّ قوةً وأكثر أموالاً وأطول أعماراً.

[إيمان الجن بالنبي ﷺ]:

﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭۚ بَلَٰغٌۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

لما بيّن سبحانه أن في الإنس مَنْ آمن، وفيهم من كفر بيّن أيضاً أن في الجنّ كذلك، فقال: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ العامل في الظرف مقدّر[٣]؛ أي: واذكر إذ صرفنا. أي: وجهنا إليك نفراً من الجنّ، وبعثناهم إليك.

وقوله: ﴿يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ في محل نصب[٤] صفة ثانية لنفراً أو حال؛ لأن النكرة قد تخصّصت بالصفة الأولى ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ﴾؛ أي: حضروا القرآن عند تلاوته،

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ١٦٠) بسند صحيح.
وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٩٦).

(٢) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٤٥١).

(٣) «التبيان» (٢/ ١١٥٩)، و«الفريد» (٤/ ٣٠١).

(٤) «التبيان» (٢/ ١١٥٩)، و«الفريد» (٤/ ٣٠١).

وقيل: حضروا النبيّ ﷺ، ويكون في الكلام التفات[(١)] من الخطاب إلى الغيبة، والأول أولى ﴿قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ﴾؛ أي: قال بعضهم لبعض اسكتوا، أمروا بعضهم بعضاً بذلك؛ لأجل أن يسمعوا.

﴿فَلَمَّا قُضِىَ﴾ قرأ الجمهور[(٢)]: «قُضي» مبنياً للمفعول؛ أي: فُرغ من تلاوته.

وقرأ حبيب بن عبيد الله بن الزبير، ولاحق بن حميد، وأبو مجلز على البناء للفاعل[(٣)]؛ أي: فرغ النبيّ ﷺ من تلاوته، والقراءة الأولى تؤيد أن الضمير في ﴿حَضَرُوهُ﴾ للقرآن، والقراءة الثانية تؤيد أنه للنبيّ ﷺ.

﴿وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ﴾؛ أي: انصرفوا قاصدين إلى مَنْ وراءهم من قومهم منذرين لهم عن مخالفة القرآن، ومحذرين لهم، وانتصاب[(٤)]: (منذرين) على الحال المقدّرة؛ أي: مقدّرين الإنذار، وهذا يدل على أنهم آمنوا بالنبيّ ﷺ، وسيأتي في آخر البحث بيان ذلك.

﴿قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ﴾ يعنون: القرآن؛ وفي الكلام حذف، والتقدير: فوصلوا إلى قومهم فقالوا: يا قومنا.

قال عطاء[(٥)]: كانوا يهوداً فأسلموا.

﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾؛ أي: لما قبله من الكتب المنزّلة ﴿يَهۡدِىٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ﴾؛ أي: إلى الدين الحقّ ﴿وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾؛ أي: إلى طريق الله القويم.

قال مقاتل[(٦)]: لم يبعث الله نبياً إلى الجنّ والإنس قبل محمد ﷺ.

﴿يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ﴾ يعنون: محمداً ﷺ، أو القرآن ﴿يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ﴾؛ أي: بعضها، وهو ما عدا حقّ العباد، وقيل: إن «من» هنا لابتداء الغاية.

---

(١) «روح المعاني» (٢٥/١٠٨)، و«تفسير أبي السعود» (٦/١٣٧).
(٢) «البحر المحيط» (٩/ ٤٥٠)، و«المحرر الوجيز» (١٥/ ٤٠).
(٣) وهي قراءة شاذة.
«البحر المحيط» (٩/ ٤٥٠)، و«المحرر الوجيز» (١٥/ ٤٠)، و«روح المعاني» (٢٥/١٠٨).
(٤) «الفريد» (٤/ ٣٠٢).
(٥) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٧/ ٣٩٠)، والقرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٢٢٩).
(٦) «الوسيط» (٤/ ١١٥).

والمعنى: أنه يقع ابتداء الغفران من الذنوب، ثم ينتهي إلى غفران ترك ما هو الأولى، وقيل: هي زائدة.

﴿وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ وهو عذاب النار، وفي هذه الآية دليل على أن حكم الجنّ حكم الإنس في الثواب والعقاب، والتعبد بالأوامر والنواهي.

وقال الحسن[(١)]: ليس لمؤمني الجنّ ثواب غير نجاتهم من النار، وبه قال أبو حنيفة. والأوّل أولى، وبه قال مالك، والشافعي، وابن أبي ليلى. وعلى القول الأوّل، فقال القائلون به: أنهم بعد نجاتهم من النار يقال لهم: كونوا تراباً، كما يقال للبهائم والثاني أرجح.

وقد قال الله سبحانه في مخاطبة الجنّ والإنس: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ۝٤٦ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمٰن: ٤٦، ٤٧] فامتنّ سبحانه على الثقلين بأن جعل جزاء محسنهم الجنة، ولا ينافي هذا الاقتصار ها هنا على ذكر إجارتهم من عذاب أليم، ومما يؤيد هذا أنّ الله سبحانه قد جازى كافرهم بالنار، وهو مقام عدل، فكيف لا يجازي محسنهم بالجنّة، وهو مقام فضل؟ ومما يؤيد هذا أيضاً ما في القرآن الكريم في غير موضع أن جزاء المؤمنين الجنة، وجزاء من عمل الصالحات الجنة، وجزاء من قال: لا إله إلّا الله الجنة، وغير ذلك مما هو كثير في الكتاب والسُّنَّة.

وقد اختلف أهل العلم هل أرسل الله إلى الجن رسلاً منهم أم لا؟ وظاهر الآيات القرآنية أن الرسل من الإنس فقط، كما في قوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ [يوسف: ١٠٩]. وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠] وقال سبحانه في إبراهيم الخليل: ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ [العنكبوت: ٢٧]، فكل نبيّ بعثه الله بعد إبراهيم، فهو من ذرّيته.

---

(١) أخرجه البيهقي في «البعث» رقم (١١٧) عن الحسن عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ «إنَّ مؤمني الجن لهم ثواب وعليهم عقاب» فسألناه عن ثوابهم وعن مؤمنيهم؟ فقال: على «الأعراف، وليسوا في الجنة مع أمة محمد ﷺ» بسند ضعيف.
يوسف بن يزيد: صدوق ربما أخطأ، وعروة بن رويح: صدوق يرسل كثيراً.
وقال النووي في «شرح صحيح مسلم» (١٦٩/٤): والصحيح أنهم يدخلونها ـ أي: الجنة ـ ويتنعمون فيها بالأكل والشرب وغيرهما.
وقال به الحسن وغيره.
«تفسير الرازي» (٣٣/٢٨).

وأما قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٠] فقيل: المراد من مجموع الجنسين، وصدق على أحدهما، وهم الإنس، كقوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمٰن: ٢٢]؛ أي: من أحدهما.

﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: لا يفوت الله، ولا يسبقه، ولا يقدر على الهرب منه؛ لأنه وإن هرب كل مهرب[1]، فهو في الأرض لا سبيل له إلى الخروج منها، وفي هذا ترهيب شديد ﴿وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ﴾؛ أي: أنصار يمنعونه من عذاب الله. بيّن سبحانه بعد استحالة نجاته بنفسه استحالة نجاته بواسطة غيره، والإشارة بقوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ إلى من لا يجب داعي الله، وأخبر أنهم ﴿فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾؛ أي: ظاهر واضح.

ثم ذكر سبحانه دليلاً على البعث، فقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ الرؤية هنا هي القلبية التي بمعنى العلم، والهمزة للإنكار[2]، والواو للعطف على مقدّر؛ أي: ألم يتفكروا، ولم يعلموا أن الذي خلق هذه الأجرام العظام من السمٰوات والأرض ابتداءً.

﴿وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ﴾؛ أي: لم يعجز عن ذلك ولا ضَعُفَ عنه، يقال: عيّ[3] بالأمر وعيي: إذا لم يهتد لوجهه، ومنه قول الشاعر:

عَيُّوا بِأَمْرِهِمُ كَمَا عَيَّتْ بِبَيْضَتِهَا الحَمَامَةْ[4]

قرأ الجمهور[5]: «ولم يَعْيَ» بسكون العين، وفتح الياء مضارع عيي. وقرأ الحسن بكسر العين[6] وسكون الياء.

---

(١) «تفسير الرازي» (٢٨/ ٣٣).

(٢) «تفسير أبي السعود» (٦/ ١٤٠)، و«روح المعاني» (٢٥/ ١١٥).

(٣) «تهذيب اللغة» (٣/ ٢٥٧)، و«مفردات ألفاظ القرآن» (ص٦٠٠).

(٤) نسبه ابن قتيبة في «أدب الكاتب» (ص١٧ ـ ١٨) لعبيد بن الأبرص والذي في ديوان عبيد بن الأبرص (ص١٣٨).

برمت بنوا أسدٍ كما بَرِمَت ببيضتها الحمامه

(٥) «البحر المحيط» (٩/ ٤٥١)، و«المحرر الوجيز» (١٥/ ٤٣).

(٦) «القراءات الشاذة» (ص١٣٩)، و«المحتسب» (٢/ ٢٦٩). وهي قراءة شاذة.

﴿بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾. قال أبو عُبيدة[(١)]، والأخفش[(٢)]: الباء زائدة للتوكيد، كما في قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٧٩].

قال الكسائي[(٣)]، والفراء[(٤)]، والزجاج[(٥)]: العرب تدخل الباء مع الجحد والاستفهام، فتقول: ما أظنك بقائم، والجار والمجرور في محل رفع على أنهما خبر لأن، وقرأ ابن مسعود، وعيسى بن عمر، والأعرج، والجحدري، وابن أبي إسحاق، ويعقوب، وزيد بن عليّ «يَقْدرُ» على صيغة المضارع[(٦)].

واختار أبو عبيد[(٧)] القراءة الأولى، واختار أبو حاتم[(٧)] القراءة الثانية قال: لأن دخول الباء في خبر أنّ قبيح.

﴿بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ لا يعجزه شيء.

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ الظرف متعلق بقول مقدّر؛ أي: يقال ذلك اليوم للذين كفروا ﴿أَلَيْسَ هَـٰذَا بِٱلْحَقِّ﴾ وهذه الجملة هي المحكية بالقول، والإشارة بهذا إلى ما هو مشاهد لهم يوم عرضهم على النار، وفي الاكتفاء بمجرّد الإشارة[(٨)] من التهويل للمشار إليه، والتفخيم لشأنه ما لا يخفى؛ كأنه أمر لا يمكن التعبير عنه بلفظ يدلّ عليه.

﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ اعترفوا حين لا ينفعهم الاعتراف، وأكدوا هذا الاعتراف بالقسم؛ لأنّ المشاهدة هي حق اليقين الذي لا يُمكن جحده ولا إنكاره ﴿قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾؛ أي: بسبب كفركم بهذا في الدنيا، وإنكاركم له، وفي هذا الأمر لهم بذوق العذاب توبيخ بالغ، وتهكم عظيم.

لما قرّر سبحانه الأدلة على النبوّة والتوحيد، والمعاد أمر رسوله بالصبر فقال: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ والفاء جواب شرط محذوف؛ أي: إذا عرفت

---

(١) في «مجاز القرآن» (٢/ ٢١٣).
(٢) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٦٩٤).
(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٢٣٢).
(٤) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٥٦).
(٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٤٤٧).
(٦) «البحر المحيط» (٩/ ٤٥١)، و«النشر» (٢/ ٣٥٥)، و«روح المعاني» (٢٥/ ١١٦).
(٧) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٢٣٢).
(٨) تفسير أبي السعود (٦/ ١٤٠)، و«روح المعاني» (٢٥/ ١١٦).

ذلك، وقامت عليه البراهين، ولم ينجع في الكافرين، فاصبر كما صبر أولوا العزم؛ أي: أرباب الثبات والحزم، فإنك منهم.

[أولوا العزم من الرسل خمسة]:

قال مجاهد[١]: أولوا العزم من الرسل خمسة: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد ﷺ، وهم أصحاب الشرائع. وقال أبو العالية[٢]: هم نوح، وهود، وإبراهيم، فأمر الله رسوله أن يكون رابعهم.

وقال السديّ[٣]: هم ستة إبراهيم، وموسى، وداود، وسليمان، وعيسى، ومحمد ﷺ.

وقيل[٤]: نوح، وهود، وصالح، وشعيب، ولوط، وموسى.

وقال ابن جريج[٥]: إن منهم إسماعيل، ويعقوب، وأيوب، وليس منهم يونس.

وقال الشعبي[٦]، والكلبي[٧]: هم الذين أمروا بالقتال، فأظهروا المكاشفة وجاهدوا الكفرة.

وقيل: هم نجباء[٨] الرّسل المذكورون في سورة الأنعام وهم ثمانية عشر: إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، ونوح، وداود، وسليمان، وأيوب، ويوسف، وموسى، وهارون، وزكريا، ويحيى، وعيسى، وإلياس، وإسماعيل، واليسع، ويونس، ولوط. [٤/٧٠]

واختار هذا الحسين بن الفضل[٩] لقوله بعد ذكرهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام: ٩٠].

وقيل: إن الرسل كلهم أولوا عزم، وقيل: هم اثنا عشر نبيّاً أرسلوا إلى بني إسرائيل.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/١٧٧) بسند صحيح.
(٢) «النكت والعيون» (٥/٢٨٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٩/٢٣٤).
(٣) «النكت والعيون» (٥/٢٨٨)، و«زاد المسير» (٧/٣٩٢).
(٤) «الوسيط» (٤/١١٦).
(٥) «النكت والعيون» (٥/٢٨٨).
(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/٢٣٤).
(٧) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/١١٦).
(٨) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٥/٤٥).
(٩) «المحرر الوجيز» (١٥/٤٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٩/٢٣٢).

وقال الحسن[١]: هم أربعة: إبراهيم، وموسى، وداود، وعيسى.

﴿وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ أي: لا تستعجل العذاب يا محمد للكفار. لما أمره سبحانه بالصبر، ونهاه عن استعجال العذاب لقومه رجاء أن يؤمنوا.

قال: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ﴾ من العذاب ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾؛ أي: كأنّهم يوم يشاهدونه في الآخرة لم يلبثوا في الدنيا إلّا قدر ساعة من ساعات الأيام لما يشاهدونه من الهول العظيم والبلاء المقيم.

قرأ الجمهور[٢]: «بلاغٌ» بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هذا الذي وعظتهم به بلاغ، أو تلك الساعة بلاغ، أو هذا القرآن بلاغ، أو هو مبتدأ، والخبر لهم الواقع بعد قوله: ﴿وَلَا تَسْتَعْجِل﴾؛ أي: لهم بلاغ.

وقرأ الحسن، وعيسى بن عمر، وزيد بن عليّ بلاغاً بالنصب[٣] على المصدر؛ أي: بلغ بلاغاً.

وقرأ أبو مجلز: «بَلِّغْ» بصيغة الأمر[٤]. وقرئ: «بَلَغَ» بصيغة الماضي[٥].

﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ قرأ الجمهور[٦]: «فهل يهلك» على البناء للمفعول. وقرأ ابن محيصن[٧] على البناء للفاعل، والمعنى: أنه لا يهلك بعذاب الله إلّا القوم الخارجون عن الطاعة الواقعون في معاصي الله.

قال قتادة[٨]: لا يهلك على الله إلّا هالك مشرك. قيل[٩]: وهذه الآية أقوى آية في الرجاء.

---

(١) «تفسير الرازي» (٢٨/ ٣٥).

(٢) «البحر المحيط» (٩/ ٤٥٢)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٢٣٧). والقراءة المتواترة قراءة الجمهور وما عداها شاذة.

(٣) «المحتسب» (٢/ ٢٦٨)، و«روح المعاني» (٢٥/ ١٢٠).

(٤) «القراءات الشاذة» (ص١٣٩)، و«المحتسب» (٢/ ٢٦٨).

(٥) «القراءات الشاذة» (ص١٣٩)، و«المحتسب» (٢/ ٢٦٨).

(٦) «البحر المحيط» (٩/ ٤٥٢)، و«زاد المسير» (٧/ ٣٩٤).

(٧) «القراءات الشاذة» (ص١٤٠)، و«المحتسب» (٢/ ٢٦٨)، و«روح المعاني» (٢٥/ ١٢٠). وهي قراءة شاذة.

(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ١٧٨) بسند صحيح.

(٩) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٥/ ٤٧) عن الثعلبي.

قال الزجاج[١]: تأويله لا يهلك مع رحمة الله وفضله إلّا القوم الفاسقون.

وقد أخرج ابن أبي شيبة، وابن منيع، والحاكم وصححه، وابن مردويه، وأبو نعيم، والبيهقي كلاهما في «الدلائل» عن ابن مسعود[٢] قال: هبطوا، يعني: الجن على النبيّ ﷺ وهو يقرأ القرآن ببطن نَخْلة، فلما سمعوه قالوا: أنصتوا، قالوا: صه، وكانوا تسعة أحدهم زوبعة، فأنزل الله: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ إلى قوله: ﴿ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

وأخرج أحمد، وابن جرير، وابن مردويه عن الزبير[٣] ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ قال: بنخلة، ورسول الله ﷺ يصلي العشاء الآخرة ﴿كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: ١٩].

وأخرج ابن جرير، والطبراني، وابن مردويه عن ابن عباس[٤] ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ الآية، قال: كانوا تسعة نفر من أهل نصيبين، فجعلهم رسول الله ﷺ رسلاً إلى قومهم.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن مردويه، وأبو نعيم عنه[٥] نحوه وقال: أتوه ببطن نخلة.

وأخرج الطبراني في «الأوسط»، وابن مردويه عنه[٦] أيضاً قال: صُرفت الجنّ إلى رسول الله ﷺ مرّتين، وكانوا أشراف الجنّ بنصيبين.

وأخرج البخاري، ومسلم، وغيرهما عن مسروق[٧] قال: سألتُ ابن مسعود من آذن النبي ﷺ بالجنّ ليلة استمعوا القرآن؟ قال: آذنته بهم شجرة.

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٤/٤٤٨).

(٢) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/٤٥٢).
• أخرجه ابن أبي شيبة ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٣/ ٣١)، و«والإصابة» (٢/ ٥٨١) ـ وابن منيع كما في «الإصابة» (٢/ ٥٨١)، و«الحاكم» (٦/ ٤٥٦)، وأبو نعيم رقم (٥٥٣) دون ذكر ابن مسعود، والبيهقي (٢/ ٢٢٨) قال الحافظ: إسناده جيد.

(٣) أخرجه أحمد رقم (١٤٣٥).
وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٤٤٨) إلى أحمد وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ١٦٥)، والطبراني رقم (١١٦٦٠) بسند منقطع عكرمة لم يسمع من ابن عباس.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ١٧٠) بسند ضعيف.

(٦) أخرجه الطبراني في «الأوسط» رقم (٦).

(٧) أخرجه البخاري رقم (٣٨٥٩)، ومسلم رقم (٤٥٠/ ١٥٣).

وأخرج عبد بن حميد، وأحمد، ومسلم، والترمذي عن علقمة[١] قال: قلت لابن مسعود: هل صحب رسول الله ﷺ منكم أحداً ليلة الجنّ؟ قال: ما صحبه منا أحد، ولكنا فقدناه ذات ليلة، فقلنا: اغتيل؟ استُطير؟ ما فعل؟ قال: فبتنا بشرّ ليلة بات بها قوم، فلما كان في وجه الصبح إذا نحن به يجيء من قِبل حراء، فأخبرناه فقال: إنه أتاني داعي الجنّ، فأتيتهم فقرأت عليهم القرآن، فانطلق، فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم.

وأخرج أحمد[٢] عن ابن مسعود قال: كنت مع رسول الله ﷺ ليلة الجنّ.

وقد روي نحو هذا من طرق.

والجمع بين الروايات بالحمل على قصتين وقعت منه ﷺ مع الجنّ حضر إحداهما ابن مسعود، ولم يحضر في الأخرى.

وقد وردت أحاديث كثيرة أن الجنّ بعد هذا وفدت على رسول الله ﷺ مرّة بعد مرّة، وأخذوا عنه الشرائع.

وأخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس[٣] قال: ﴿أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾: النبيّ ﷺ، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى.

وأخرج ابن مردويه[٤] عنه قال: هم الذين أمروا بالقتال حتى مضوا على ذلك نوح، وهود، وصالح، وموسى، وداود، وسليمان.

وأخرج ابن مردويه[٤] عن جابر بن عبد الله قال: بلغني أن أولي العزم من الرسل كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر.

وأخرج ابن أبي حاتم، والديلمي عن عائشة[٥] قالت: «ظلّ رسول الله ﷺ صائماً ثم طوى، ثم ظلّ صائماً ثم طوى، ثم ظلّ صائماً قال: يا عائشة إن الدّين

---

(١) أخرجه أحمد رقم (٧١٤٩)، ومسلم رقم (٤٥٠)، والترمذي رقم (٣٢٥٨).
(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (١/ ٣٩٨) بسند ضعيف.
(٣) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٤٥٤).
(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٤٥٥).
(٥) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٤٥٤).
أخرجه الديلمي في «مسنده» رقم (٨٦٢٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٩٧) بسند ضعيف.

لا ينبغي لمحمد، ولا لآل محمد، يا عائشة إن الله لم يرض من أولي العزم من الرسل إلّا بالصبر على مكروهها، والصبر عن محبوبها، ثم لم يرض مني إلّا أن يكلفني ما كلفهم، فقال: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ وإني والله لأصبرنّ كما صبروا جهدي، ولا قوّة إلّا بالله».

۞ ۞ ۞

سُورَةُ مُحَمَّدٍ ﷺ

وتسمى سورة القتال، وسورة الذين كفروا. وهي تسع وثلاثون آية، وقيل: ثمان وثلاثون.

وهي مدنية. قال الماوردي[١]: في قول الجميع؛ إلّا ابن عباس وقتادة فإنهما قالا: إلّا آيةً منها نزلت بعد حجة الوداع حين خرج من مكة، وجعل ينظر إلى البيت وهو يبكي حزناً عليه، فنزل قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ﴾ [محمد: ١٣] وقال الثعلبي[٢]: إنّها مكية. وحكاه[٣] ابن هبة الله عن الضحاك، وسعيد بن جبير وهو غلط مِنَ القول، فالسورة مدنية كما لا يخفى.

وقد أخرج ابن الضُّريس عن ابن عباس[٤] قال: نزلت سورة القتال بالمدينة.

وأخرج النحاس، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل»[٥] عنه قال: نزلت سورة محمد بالمدينة.

وأخرج ابن مردويه[٦] عن ابن الزبير قال: نزلت بالمدينة سورة الذين كفروا.

وأخرج الطبراني في «الأوسط» عن ابن عمر[٧]: أن النبيّ ﷺ كان يقرأ بهم في المغرب ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [محمد: ١].

---

(١) في «النكت والعيون» (٥/ ٢٩٠).
(٢) في «تفسيره» (٩/ ٢٨).
(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٢٣٩).
(٤) أخرجه ابن الضريس في «فضائل القرآن» رقم (١٧).
(٥) أخرجه النحاس في «ناسخه» (ص٦٦٧)، و«البيهقي» (٧/ ١٤٣، ١٤٤).
(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/).
(٧) أخرجه الطبراني رقم (١٢٣٩، ١٧٤٢)، وفي «الكبير» رقم (١٣٣٨٠)، وفي «الصغير» (١/ ٤٥)، وابن حبان رقم (١٨٣٥) بسند صحيح.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[أحوال الكافرين والمؤمنين]:

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۝٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ۝٣﴾.

[القرآن والقتال توجيه المؤمنين لقتال الكافرين]:

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٤ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ۝٦ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝٧ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٨ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٩﴾.

[المؤمنون والكافرون في الدنيا والآخرة]:

﴿۞ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ۝١٠ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ۝١١ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۝١٢﴾.

قوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ هم كُفّار[1] قريش كفروا بالله، وصدّوا أنفسهم وغيرهم عن سبيل الله، وهو دين الإسلام بنهيهم عن الدخول فيه، كذا قال مجاهد[2]، والسديّ. وقال الضحاك: معنى عن سبيل الله: عن بيت الله بمنع قاصديه. وقيل: هم أهل الكتاب، والموصول مبتدأ[3]، وخبره ﴿أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾؛ أي: أبطلها وجعلها ضائعة.

---

(١) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٢٣٩) عن ابن عباس ومجاهد.

(٢) «النكت والعيون» (٥/ ٢٩٠).

(٣) «التبيان» (٢/ ١١٦٠)، و«الفريد» (٤/ ٣٠٥).

قال الضحاك[(١)]: معنى ﴿أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾: أبطل كيدهم ومكرهم بالنبيّ ﷺ، وجعل الدائرة عليهم في كفرهم. وقيل[(٢)]: أبطل ما عملوه في الكفر مما كانوا يسمونه مكارم أخلاق، من صلة الأرحام، وفكّ الأسارى وقَرْي الأضياف، وهذه وإن كانت باطلة من أصلها، لكن المعنى أنه سبحانه حكم ببطلانها.

ولما ذكر فريق الكافرين أتبعهم بذكر فريق المؤمنين، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾ ظاهر هذا العموم[(٣)]، فيدخل تحته كل مؤمن من المؤمنين الذين يعملون الصالحات، ولا يمنع من ذلك خصوص سببها؛ فقد قيل: إنها نزلت في الأنصار، وقيل: في ناس[(٤)] من قريش.

وقيل: في مؤمني[(٥)] أهل الكتاب، ولكن الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

وخص سبحانه الإيمان بما أنزل على محمد ﷺ بالذكر مع اندراجه تحت مطلق الإيمان المذكور قبله تنبيهاً على شرفه وعلوّ مكانه.

وجملة: ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ معترضة[(٦)] بين المبتدأ، وهو قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، وبين خبره، وهو قوله: ﴿كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ ومعنى كونه الحق: أنه الناسخ لما قبله، وقوله: ﴿مِن رَّبِّهِمْ﴾ في محل نصب على الحال، ومعنى ﴿كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾؛ أي: السيئات التي عملوها فيما مضى، فإنّه غفرها لهم بالإيمان، والعمل الصالح ﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾؛ أي: شأنهم وحالهم.

قال مجاهد[(٧)]: شأنهم، وقال قتادة[(٨)]: حالهم. وقيل: أمرهم[(٩)]، والمعاني متقاربة.

---

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ٢٧٧). (٢) «الكشاف» (٥/ ٥١٤).
(٣) «روح المعاني» (٢٥/ ١٢٥).
(٤) ذكره الألوسي في «روح المعاني» (٢٥/ ١٢٥) عن مقاتل.
وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٩١) عن مجاهد.
(٥) «روح المعاني» (٢٥/ ٢٤٠).
(٦) «روح المعاني» (٢٥/ ٢٤٠)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ١٤٣).
(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ١٨١) بسند صحيح.
(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ١٨١)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٢٠) بسند صحيح.
(٩) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ١٨١) من طريق أبي يحيى القتَّات عن مجاهد عن ابن عباس.

قال المبرد[١]: البال الحال ها هنا. قيل: والمعنى: أنه عصمهم عن المعاصي في حياتهم، وأرشدهم إلى أعمال الخير، وليس المراد إصلاح حال دنياهم من إعطائهم المال، ونحو ذلك، وقال النقاش[٢]: إن المعنى أصلح نياتهم، ومنه قول الشاعر:

فَإنْ تقبلي بالودِّ أقبلْ بِمِثْلِهِ وإنْ تُدْبِرِي أذهبْ إلى حالٍ باليا[٣]

والإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى ما مرّ مما أوعد به الكفار، ووعد به المؤمنين، وهو مبتدأ خبره[٤] ما بعده، وقيل: إنَّه خبر مبتدأ[٥] محذوف؛ أي: الأمر ذلك ﴿بـ﴾سبب ﴿بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ فالباطل الشرك [٤/٧١]، والحق التوحيد والإيمان، والمعنى: أنّ ذلك الإضلال لأعمال الكافرين بسبب اتباعهم الباطل مِنْ الشرك بالله والعمل بمعاصيه، وذلك التكفير لسيئات المؤمنين، وإصلاح بالهم بسبب اتباعهم للحقّ الذي أمر الله باتباعه من التوحيد والإيمان، وعمل الطاعات.

﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ﴾؛ أي: مثل ذلك الضرب يبين للناس أمثالهم؛ أي: أحوال الفريقين الجارية مجرى الأمثال في الغرابة.

قال الزجاج[٦]: ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ﴾ يبين الله للناس أمثال حسنات المؤمنين، وإضلال أعمال الكافرين؛ يعني: أن من كان كافراً أضلّ الله عمله، ومن كان مؤمناً كفّر الله سيئاته.

[لماذا خص الرقاب بالذكر]:

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ لما بيّن سبحانه حال الفريقين أمر بجهاد الكفار، والمراد بالذين كفروا: المشركون ومَنْ لم يكن صاحب عهد من أهل الكتاب، وانتصاب[٧] ضَرْبَ على أنّه مصدر لفعل محذوف.

---

(١) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٤/١٧٨).
(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/٢٤١). (٣) «النكت والعيون» (٥/ ٢٩٢).
(٤) «إعراب القرآن» للنحاس (٤/١٧٨)، و«روح المعاني» (٢٥/١٢٦).
(٥) «الكشاف» (٥/ ٥١٥). (٦) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/٦).
(٧) «التبيان» (٢/ ١١٦٠)، و«الفريد» (٤/٣٠٦)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٣٠٥).

قال الزجاج[١]: أي: فاضربوا الرقاب ضَرْباً، وخصّ الرقاب بالذكر؛ لأنّ القتل أكثر ما يكون بقطعها، وقيل: هو منصوب على الإغراء[٢]. قال أبو عبيدة[٣]: هو كقولهم: يا نفس صبراً، وقيل: التقدير: اقصدوا ضرب الرقاب.

وقيل: إنما خُصّ[٤] ضرب الرقاب؛ لأنّ في التعبير عنه من الغلظة، والشدّة ما ليس في نفس القتل، وهي حزّ العُنق، وإطارة العضو الذي هو رأس البدن وعلوّه، وأحسن أعضائه.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ﴾؛ أي: بالغتم في قتلهم، وأكثرتم القتلَ فيهم، وهذه غاية للأمر بضرب الرقاب، لا لبيان غاية القتل، وهو مأخوذ من الشيء الثخين؛ أي: الغليظ، وقد مضى تحقيق معناه في سورة الأنفال ﴿فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ﴾ الوَثاق[٥] بالفتح ويجيء بالكسر: اسمُ الشيء الذي يُوثق به كالرباط.

قال الجوهري[٦]: وأوثقه في الوثاق؛ أي: شدّه، قال: والوثاق بكسر الواو لغة فيه.

قرأ الجمهور[٧]: «فشُدّوا» بضم الشين، وقرأ السُّلمي[٨] بكسرها. وإنما أمر سبحانه بشدّ الوثاق؛ لئلا ينفلتوا، والمعنى: إذا بالغتم في قتلهم فأسْروهم، وأحيطوهم بالوثاق.

﴿فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾؛ أي: فإمّا أن تمنّوا عليهم بعد الأسر منّاً، أو تفدوا فداء، والمنّ: الإطلاقُ بغير عوض، والفداء: ما يفدي به الأسير نفسَه من الأسر، ولم يذكر القتل هنا اكتفاءً بما تقدّم.

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٦).
(٢) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٤/ ١٧٩).
(٣) في «مجاز القرآن» (٢/ ٢١٤).
(٤) «الكشاف» (٥/ ٥١٥ ـ ٥١٦)، و«روح المعاني» (٢٥/ ١٢٨).
(٥) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٨٥٣).
(٦) في «الصحاح» (٤/ ١٥٦٢ ـ ١٥٦٣).
(٧) «البحر المحيط» (٩/ ٤٦٠)، و«الدر المصون» (٦/ ١٤٧).
(٨) «القراءات الشاذة» (ص١٤٠)، و«إعراب القراءات الشواذ» (٢/ ٤٨٤).

[وجه تقديم المن على الفداء]:

قرأ الجمهور[(١)]: «فداءً» بالمد. وقرأ ابن كثير[(٢)]: «فِدًى» بالقصر.

وإنما قدّم المنّ على الفداء؛ لأنّه مِنْ مكارم الأخلاق، ولهذا كانت العرب تفتخر به، كما قال شاعرهم:

ولا نقتلُ الأَسْرَى ولكنْ نفكُّهم إذا أثقلَ الأعناقَ حملُ المغارِمِ[(٣)]

ثم ذكر سبحانه الغاية لذلك، فقال: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَاۚ﴾ أوزار الحرب التي لا تقوم إلّا بها مِنَ السلاح والكراع، أسند الوضع إليها، وهو لأهلها على طريق المجاز، والمعنى: أن المسلمين مخيرون بين تلك الأمور إلى غاية هي أن لا يكون حرب مع الكفار.

قال مجاهد[(٤)]: المعنى: حتى لا يكون دين غير دين الإسلام، وبه قال الحسن[(٥)]، والكلبي.

قال الكسائي[(٦)]: حتى يسلم الخلق.

قال الفراء[(٧)]: حتى يؤمنوا ويذهب الكفر. وقيل المعنى: حتى يضع الأعداء المحاربون أوزارهم، وهو سلاحهم بالهزيمة، أو الموادعة.

ورُوي عن الحسن[(٨)]، وعطاء أنهما قالا: في الآية تقديم وتأخير، والمعنى: فضرب الرقاب حتى تضع الحرب أوزارها، فإذا أثخنتموهم، فشدّوا الوثاق.

وقد اختلف العلماء[(٩)] في هذه الآية هل هي محكمة، أو منسوخة؟ فقيل: إنها

---

(١) «البحر المحيط» (٩/ ٤٦١)، و«التقريب والبيان» (ص١٥٨).

(٢) «روح المعاني» (٢٥/ ١٢٩)، و«القراءات الشاذة» (ص١٤٠). القراءة بالقصر شاذة، وهي رواية شاذة عن ابن كثير والمتواتر عنه كقراءة الجمهور.

(٣) قائله الفرزدق. طبقات فحول الشعراء (٢/ ٤٠٢).

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ١٨٨) بسند صحيح.

(٥) ذكره عنهما القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٢٤٨).

(٦) ذكره الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٥٧ ـ ٥٨).

(٧) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٥٨).

(٨) ذكره عنهما ابن العربي في «أحكام القرآن» (٤/ ١٦٩١ ـ ١٦٩٢).

(٩) «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٢٤٤ ـ ٢٤٨)، و«الناسخ والمنسوخ» للنحاس (٣/ ١٠)، و«أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ١٦٩٠ ـ ١٦٩٢)، و«الوسيط» (٤/ ١١٩).

منسوخة في أهل الأوثان، وإنه لا يجوز أن يفادوا، ولا يمنّ عليهم، والناسخ لها قوله: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، وقوله: ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾ [الأنفال: ٥٧]، وقوله: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾ [التوبة: ٣٦] وبهذا قال قتادة، والضحاك، والسديّ، وابن جريج، وكثير من الكوفيين[١]، قالوا: والمائدة آخر ما نزل، فوجب أن يقتل كل مشرك إلّا مَنْ قامت الدلالة على تركه من النساء والصبيان، ومَنْ تؤخذ منه الجزية، وهذا هو المشهور من مذهب أبي حنيفة، وقيل: إنّ هذه الآية ناسخة لقوله: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥] روي ذلك عن عطاء وغيره.

وقال كثير من العلماء[٢]: إن الآية مُحْكمة، والإمام مخيّر بين القتل والأسر، وبعد الأسر مخير بين المنّ والفداء. وبه قال مالك، والشافعي، والثوري، والأوزاعي، وأبو عبيد وغيرهم. وهذا هو الراجح؛ لأن النبيّ ﷺ، والخلفاء الراشدين من بعده فعلوا ذلك.

وقال سعيد بن جبير[٣]: لا يكون فداء ولا أسر إلّا بعد الإثخان، والقتل بالسيف لقوله: ﴿مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنفال: ٦٧] فإذا أسر بعد ذلك، فللإمام أن يحكم بما رآه من قتل، أو غيره.

﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ﴾ محل (ذلك) الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف؛ أي: الأمر ذلك، وقيل: في محل نصب على المفعولية بتقدير فعل؛ أي: افعلوا ذلك.

ويجوز أن يكون مبتدأ، وخبره محذوف يدلّ عليه ما تقدّم؛ أي: ذلك حكم الكفار، ومعنى ﴿وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ﴾؛ أي: قادر على الانتصار منهم بالانتقام منهم وإهلاكهم، وتعذيبهم بما شاء من أنواع العذاب ﴿وَلَٰكِن﴾ أمركم بحربهم ﴿لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾؛ أي: ليختبر بعضكم ببعض، فيعلم المجاهدين في سبيله، والصابرين على ابتلائه، ويجزل ثوابهم، ويعذب الكفار بأيديهم.

---

(١) انظر: المصادر المتقدمة.

(٢) «الناسخ والمنسوخ» (٣/ ٥ ـ ١١)، و«الأوسط» لابن المنذر (١١/ ٢٢٤)، و«جامع البيان» (٢١/ ١٨٧).

(٣) «الناسخ والمنسوخ» (٣/ ٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٢٤٦).

﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قرأ الجمهور[١]: «قاتلوا» مبنيّاً للفاعل، وقرأ أبو عمرو[٢]، وحفص: «قُتلوا» مبنيّاً للمفعول، وقرأ الحسن[٣] بالتشديد مبنيّاً للمفعول أيضاً.

وقرأ الجحدري[٤]، وعيسى بن عمر، وأبو حيوة: «قَتَلوا» على البناء للفاعل مع التخفيف من غير ألف.

والمعنى على القراءة الأولى، والرابعة: أن المجاهدين في سبيل الله ثوابهم غير ضائع، وعلى القراءة الثانية، والثالثة: أن المقتولين في سبيل الله كذلك لا يضيع الله سبحانه أجرهم. قال قتادة[٥]: ذُكر لنا أن هذه الآية نزلت يوم أحد.

ثم ذكر سبحانه ما لهم عنده من جزيل الثواب فقال: ﴿سَيَهْدِيهِمْ﴾؛ أي: سيهديهم الله سبحانه إلى الرشد في الدنيا، ويعطيهم الثواب في الآخرة ﴿وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾؛ أي: حالهم وشأنهم وأمرهم. قال أبو المعالي[٦]: قَدْ ترد الهداية، والمراد بها: إرشاد المؤمنين إلى مسالك الجِنان، والطريق المفضية إليها، وقال ابنُ زياد[٧]: يهديهم إلى محاجة مُنْكر ونكير.

﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾؛ أي: بيّنها لهم حتى عرفوها من غير استدلال، وذلك أنهم إذا دخلوا الجنة تفرّقوا إلى منازلهم.

قال الواحدي[٨]: هذا قول عامة المفسرين. وقال الحسن[٩]: وصف الله لهم الجنة في الدنيا، فلما دخلوها عرفوها بصفتها. وقيل: فيه حذف؛ أي: عرفوا طرقها ومساكنها وبيوتها.

---

(١) «النشر» (٢/ ٣٧٤)، و«التيسير» (ص٢٠٠)، و«زاد المسير» (٧/ ٣٩٨).
(٢) انظر: المصادر المتقدمة. ومعهما يعقوب، وأما القراءتان الأَخيرتان فشاذتان.
(٣) «القراءات الشاذة» (ص١٤٠)، و«البحر المحيط» (٩/ ٤٦٢).
(٤) «إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ١٨٠)، و«روح المعاني» (٢٥/ ١٣٦).
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ١٩٠ ـ ١٩١) بسند صحيح.
(٦) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٥/ ٥٤).
(٧) «النكت والعيون» (٥/ ٢٩٤).
(٨) في «الوسيط» (٤/ ١٢١).
(٩) «النكت والعيون» (٥/ ٢٩٤ ـ ٢٩٥).

وقيل: هذا التعريف بدليل يدلهم عليها، وهو المَلَكُ الموكّل بالعبد يسير بين يديه حتى يدخله منزله، كذا قال مقاتل[١].

وقيل: معنى ﴿عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾: طيبها بأنواع الملاذّ، مأخوذ من العَرْف، وهو الرائحة.

ثم وعدهم سبحانه على نصر دينه بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾؛ أي: إن تنصروا دينَ الله ينصركم على الكفّار، ويفتح لكم، ومثله قوله: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ﴾ [الحج: ٤٠]. قال قُطْرب[٢]: إن تنصروا نبيّ الله ينصركم ﴿وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾؛ أي: عند القتال، وتثبيت الأقدام عبارة عَنْ النصر، والمعونة في مواطن الحرب.

وقيل: على الإسلام، وقيل: على الصراط.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ﴾ الموصول في محل رفع[٣] على أنه مبتدأ، وخبره محذوف تقديره: فتعسوا بدليل ما بعده، ودخلت الفاء تشبيهاً للمبتدأ بالشرط، وانتصاب[٤] تعساً على المصدر للفعل المقدّر خبراً.

قال الفراء[٥]: مثل سُقْياً لهم ورعياً، وأصل التعس: الانحطاطُ والعثار.

قال ابن السكيت[٦]: التعس: أن يُجرّ على وجهه، والنكس: أن يجر على رأسه، قال: والتعس أيضاً: الهلاك.

قال الجوهري[٧]: وأصله الكبّ، وهو ضد الانتعاش، ومنه قول مجمع[٨] بن هلال:

تقولُ وقد أفردُتها مِنْ حليلِها ... تَعِسْتَ كما أَتْعَسْتَنِي يا مُجمَّعُ[٩]

---

(١) ذكره الرازي في «تفسيره» (٢٨/ ٤٨).
(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٢٥٢).
(٣) «التبيان» (٢/ ١٩٦١)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٣٠٥)، و«الفريد» (٤/ ٣٠٧).
(٤) انظر: المصادر المتقدمة.
(٥) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٥٧ ـ ٥٨).
(٦) «تهذيب اللغة» (٢/ ٧٨)، و«معاني القرآن» للنحاس (٦/ ٤٦٧).
(٧) في «الصحاح» (٣/ ٩١٠).
(٨) مجمّع بن مالك بن هلال. شاعر جاهلي.
«معجم الشعراء» (ص٤٣٨).
(٩) «خزانة الأدب» (١٠/ ٤٠٣).

قال المبرّد[(١)]: أي: فمكروهاً لهم، قال ابن جريج[(٢)]: بُعداً لهم، وقال السديّ[(٣)]: خزياً لهم. وقال ابن زيد[(٤)]: شقاءً لهم، وقال الحسن[(٥)]: شتماً لهم. وقال ثعلب[(٦)]: هلاكاً لهم، وقال الضحاك: خيبةً لهم، وقيل: قبحاً لهم، حكاه النقاش[(٦)].

وقال الضحاك[(٧)]: رغماً لهم. وقال ثعلب أيضاً: شرًّا لهم. وقال أبو العالية: شقوةً لهم.

واللّام في لهم للبيان، كما في قوله: ﴿هَيْتَ لَكَۚ﴾ [يوسف: ٢٣].

وقوله: ﴿وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ معطوف على ما قبله، داخل معه في خبرية الموصول. والإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى ما تقدّم مما ذكره الله من التعس والإضلال؛ أي: الأمر ذلك، أو ذلك الأمر ﴿بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ على رسوله من القرآن، أو ما أنزل على رسله من كتبه لاشتمالها على ما في القرآن من التوحيد والبعث ﴿فَأَحْبَطَ﴾ الله ﴿أَعْمَٰلَهُمْ﴾ بذلك السبب، والمراد بالأعمال: ما كانوا عملوا مِنْ أعمال الخير في الصورة، وإن كانت باطلة مِنْ الأصل؛ لأنّ عمل الكافر لا يقبل قبل إسلامه.

ثم خوّف سبحانه الكفار، وأرشدهم إلى الاعتبار بحال مَنْ قبلهم، فقال: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: ألم يسيروا في أرض عاد، وثمود، وقوم لوط وغيرهم؛ ليعتبروا ﴿فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ﴾؛ أي: آخر أمر الكافرين قبلهم، فإن آثار العذاب في ديارهم باقية.

ثم بيّن سبحانه ما صنع بمن قبلهم فقال: ﴿دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْۖ﴾ والجملة مستأنفة جواب سؤال مقدّر، والتدمير: الإهلاك؛ أي: أهلكهم واستأصلهم، يقال: دمّره ودمر عليه بمعنى.

ثم توعّد مشركي مكة فقال: ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا﴾ أي: لهؤلاء الكافرين أمثال عاقبة مَنْ قبلهم من الأمم الكافرة.

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٢١).
(٢) «معالم التنزيل» (٧/ ٢٨١).
(٣) «النكت والعيون» (٥/ ٢٩٥).
(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٢٥٤).
(٥) «النكت والعيون» (٥/ ٢٩٥).
(٦) «معالم التنزيل» (٧/ ٢٨١)، و«النكت والعيون» (٥/ ٢٩٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٢٥٤).
(٧) انظر: المصادر المتقدمة.

قال الزجاج[1]، وابن جرير[2]: الضمير في ﴿أَمْثَٰلُهَا﴾ يرجع إلى ﴿عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ﴾، وإنما جُمع؛ لأنّ العواقب[3] متعدّدة بحسب تعدّد الأمم المعذّبة، وقيل: أمثال العقوبة، وقيل: الهلكة، وقيل: التدميرة، والأوّل أولى [٤/ ٧٢] لرجوع الضمير إلى ما هو مذكور قبله، والإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى ما ذكر من أن للكافرين أمثالها ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾؛ أي: بسبب أن الله ناصرهم ﴿وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾؛ أي: لا ناصر يدفع عنهم.

وقرأ ابن مسعود[4]: «ذٰلك بأنَّ الله وليّ الذين آمنوا».

قال قتادة: نزلتْ يوم أحد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۖ﴾ قد تقدّم تفسير الآية في غير موضع، وتقدّم كيفية جري الأنهار من تحت الجنات.

والجملة مسوقة لبيان ولاية الله للمؤمنين.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ﴾؛ أي: يتمتعون بمتاع الدنيا وينتفعون به؛ كأنهم أنعام ليس لهم همّة إلّا بطونهم وفروجهم، ساهون عن العاقبة لاهون بما هم فيه ﴿وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾؛ أي: مقام يقيمون به، ومنزل ينزلونه ويستقرّون فيه، والجملة في محل نصب[5] على الحال، أو مستأنفة.

وقد أخرج الفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه عن ابن عباس[6] في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ قال: هم أهل مكة قريشٌ نزلت فيهم. ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ قال: هم أهل المدينة الأنصارُ ﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ قال: أمرهم.

وأخرج ابن المنذر[7] عنه في قوله: ﴿أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ قال: كانت لهم أعمال فاضلة لا يقبل الله مع الكفر عملاً.

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٨). (٢) في «جامع البيان» (٢١/ ١٩٥).
(٣) «روح المعاني» (٢٥/ ١٤١)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ١٤٦).
(٤) «روح المعاني» (٢٥/ ١٤٢)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٢٥٦). وهي قراءة شاذة مخالفة للرسم.
(٥) «روح المعاني» (٢٥/ ١٤٢).
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ١٨٠، ١٨١)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٥٧) من طريق عبيد الله بن موسى، به.
(٧) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٤٥٧).

وأخرج النحاس(١) عنه أيضاً في قوله: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ قال: فجعل الله النبيّ والمؤمنين بالخيار في الأسارى، إنْ شاءوا قتلوهم، وإن شاءوا استعبدوهم، وإن شاءوا فادوهم.

وأخرج ابنُ جرير، وابن مردويه عنه(٢) أيضاً في الآية قال: هذا منسوخ نسختها ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥].

وأخرج ابن جرير، وابن مردويه عن الحسن(٣) قال: أُتي الحجاج بأُسارى، فدفع إلى ابن عمر رجلاً يقتله، فقال ابنُ عمر: ليس بهذا أُمرنا إنما قال الله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾.

وأخرج عبد الرزاق في «المصنف»، وابن المنذر، وابن مردويه عن ليث قال: قلت لمجاهد: بلغني أن ابن عباس(٤) قال: لا يحلّ قتل الأسارى؛ لأن الله قال: ﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ فقال مجاهد: لا تعبأ بهذا شيئًا أدركت أصحاب رسول الله ﷺ، وكلهم ينكر هذا، ويقول: هذه منسوخة إنما كانت في الهدنة التي كانت بين النبيّ ﷺ وبين المشركين، فأما اليوم فلا، يقول الله: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥] ويقول: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ فإن كان من مشركي العرب لم يقبل شيء منهم إلّا الإسلام، فإن لم يسلموا فالقتل، وأما من سواهم فإنهم إذا أسروا، فالمسلمون فيهم بالخيار إن شاءوا قتلوهم، وإن شاءوا استحيوهم، وإن شاءوا فادوهم إذا لم يتحوّلوا عن دينهم، فإن أظهروا الإسلام لم يفادوا. ونهى رسول الله ﷺ عَنْ قتل الصغير، والمرأة، والشيخ الفاني.

وأخرج عبد بن حميد، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن أبي هريرة(٥)، عن النبي ﷺ قال: «يوشك مَنْ عاش منكم أن يلقى عيسى ابن مريم إماماً مهدياً، وحكماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، وتوضع الجزية، وتضع الحرب أوزارها».

---

(١) أخرجه النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص٦٧٢، ٦٧٣).
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ١٨٥) بسند ضعيف.
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ١٨٥) من طريق شعبة، به.
(٤) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» رقم (٩٤٠٥)، وابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ١٨٥) بسند ضعيف.
(٥) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٤٦٠).

وأخرج ابن سعد، وأحمد، والنسائي، والبغوي، والطبراني، وابن مردويه عن سلمة بن نُفيل[١]، عَنِ النبيّ ﷺ مِنْ حديث قال: «لا تضع الحرب أوزارها حتى يخرج يأجوج، ومأجوج».

وأخرج ابن مردويه[٢] عن ابن عباس ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا﴾ قال: لكفّار قومك يا محمد مثل ما دُمّرت به القُرى، فأُهلكوا بالسيف.

[الموازنة بين الفريقين]:

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾.

[موقف المنافقين من الرسول ﷺ والقرآن والجهاد]:

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾.

خوّف سبحانه الكفار؛ بأنّه قد أهلك مَنْ هو أشدّ منهم فقال: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ قد قدّمنا أن «كأين» مركبة من الكاف وأيّ، وأنها بمعنى كم الخبرية؛ أي: وكم من قرية، وأنشد الأخفش[٣] قول لبيد[٤]:

---

(١) أخرجه ابن سعد (٧/ ٤٢٧ ـ ٤٢٨)، وأحمد رقم (١٦٩٦٥)، والنسائي رقم (٣٥٦٣)، والبغوي ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٣/ ٦٠ ـ ٦١) ـ والطبراني رقم (٦٣٦٠) وهو حديث صحيح.

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٤٦٠).

(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٢٥٧). (٤) «ديوان لبيد» (ص٣).

وكـأيّـنْ رَأَيْـنَـا مِـنْ مـلـوكٍ وسُـوقَـةٍ ومـفـتـاحِ قـيـدٍ لـلأسـيـرِ الـمـكـبَّـلِ[(١)]

ومعنى الآية: وكم من أهل قرية هم أشدّ قوةً من أهل قريتك التي أخرجوك منها أهلكناهم ﴿فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ فبالأولى مَنْ هو أضعف منهم، وهم قريش الذين هم أهل قرية النبي ﷺ وهي مكة، فالكلام على حذف المضاف، كما في قوله: ﴿وَسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢].

قال مقاتل[(٢)]: أي: أهلكناهم بالعذاب حين كذبوا رسولهم.

ثم ذكر سبحانه الفرق بين حال المؤمن وحال الكافر، فقال: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ والهمزة للإنكار[(٣)]، والفاء للعطف على مقدّر كنظائره، ومن مبتدأ، والخبر ﴿كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ وأفرد في هذا باعتبار لفظ «مَنْ»، وجمع في قوله: ﴿وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم﴾ باعتبار معناها، والمعنى: أنه لا يستوي مَنْ كان على يقين من ربه، ولا يكون كمن زيّن له سوء عمله، وهو عبادة الأوثان، والإشراك بالله، والعمل بمعاصي الله، واتبعوا أهواءهم في عبادتها، وانهمكوا في أنواع الضلالات بلا شبهة توجب الشك فضلاً عن حجة نيرة.

ثم لمّا بيّن سبحانه الفرق بين الفريقين في الاهتداء والضلال بيّن الفرق في مرجعهما ومآلهما فقال: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ والجملة مستأنفة لشرح محاسن الجنة، وبيان ما فيها؛ ومعنى ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾: وصفها العجيب الشأن، وهو مبتدأ، وخبره محذوف.

قال النضر بن شميل[(٤)]: تقديره: ما يسمعون، وقدّره سيبويه[(٥)]: فيما يتلى عليكم مثلُ الجنة، قال: والمثل هو الوصف، ومعناه: وصف الجنة، وجملة: ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ إلخ مفسرة للمثل.

وقيل: إن (مثل) زائدة، وقيل: إن ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾ مبتدأ، والخبر ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ﴾،

---

(١) والذي في الديوان:

وكـائـنٌ رأيـتُ مـن مـلـوك وسـوقـة وصـاحـبْـتُ وفـدِ كـرام ومـوكـب

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٢٢).

(٣) «تفسير أبي السعود» (٦/ ١٤٧)، و«روح المعاني» (٢٥/ ١٤٤).

(٤) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٥/ ٣٩).

(٥) «المحرر الوجيز» (١٥/ ٣٩)، و«روح المعاني» (٢٥/ ١٤٥ ـ ١٤٦).

وقيل: خبره ﴿كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ﴾، والآسن: المتغير، يقال: أسِن[١] الماء يأسَنُ أسوناً: إذا تغيرتْ رائحتُه، ومثله الآجن، ومنه قول زهير[٢]:

قد أتركُ القَرنَ مُصْفراً أناملُه يميدُ فِي الرُّمْح مَيْدَ المالحِ الأسِنِ

قرأ الجمهور[٣]: «آسن» بالمدّ. وقرأ حُميد، وابن كثير بالقصر[٤]، وهما لغتان كحاذر وحذر.

وقال الأخفش[٥]: إن الممدود يراد به الاستقبال، والمقصور يُراد به الحال.

﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ﴾؛ أي: لم يحمض، كما تغير ألبان الدنيا؛ لأنها لم تخرج مِنْ ضروع الإبل والغنم والبقر.

﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾؛ أي: لذيذة لهم، طيبة الشرب لا يكرهها الشاربون، يقال: شراب لذّ ولذيذ وفيه لذة بمعنى، ومثل هذه الآية قوله: ﴿بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [الصافات: ٤٦].

قرأ الجمهور[٦]: «لذة» بالجرّ صفة لـ﴿خَمْرٍ﴾، وقرئ بالنصب[٧] على أنه مصدر، أو مفعول له، وقرئ بالرفع[٨] صفة لـ﴿أَنْهَٰرٌ﴾.

﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾؛ أي: مُصفّى مما يخالطه من الشمع والقذى والعكر والكدر.

﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾؛ أي: لأهل الجنّة في الجنة مع ما ذكر من الأشربة من كل الثمرات؛ أي: من كل صنف من أصنافها، و «من» زائدة للتوكيد.

﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ لذنوبهم، وتنكير مغفرة للتعظيم؛ أي: ولهم مغفرة عظيمة كائنة مِنْ ربهم.

---

(١) «تهذيب اللغة» (١٣/ ٨٤)، و«مفردات ألفاظ القرآن» (ص٧٦).
(٢) و«ديوان زهير» (ص١٢١).
(٣) «البحر المحيط» (٩/ ٤٦٧)، و«التبيان» (٢/ ١١٦١)، و«التيسير» (ص٢٠٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٢٦٠).
(٤) انظر: المصادر المتقدمة.
(٥) «النكت والعيون» (٥/ ٢٩٧).
(٦) «البحر المحيط» (٩/ ٤٦٨)، و«معاني القرآن» للفراء (٣/ ٦٠).
(٧) «روح المعاني» (٢٥/ ١٤٧)، و«البحر المحيط» (٩/ ٤٦٨)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٣٠٧). القراءة بالنصب والجر شاذتان.
(٨) انظر: المصادر المتقدمة.

﴿كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ﴾ هو خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: أم من هو في نعيم الجنة على هذه الصفة خالداً فيها كمَنْ هو خالد في النار، أو خبر لقوله: مثل الجنة كما تقدّم، ورجح الأوّل الفراء[١]، فقال: أراد أمن كان في هذا النعيم كمن هو خالد في النار؟

وقال الزجاج[٢]: أي: أفمن كان على بينةٍ من ربه، وأُعطي هذه الأشياء كمن زُين له سوء عمله، وهو خالد في النار، فقوله: ﴿كَمَنْ﴾ بدل من قوله: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾.

وقال ابن كيسان[٣]: ليس مثل الجنة التي فيها الثمار والأنهار، كمثل النار التي فيها الحميم والزقوم، وليس مثل أهل الجنة في النعيم، كمثل أهل النار في العذاب الأليم.

وقوله: ﴿وَسُقُوا مَآءً حَمِيمًا﴾ عطف على الصلة عطف جملة فعلية على اسمية، لكنه راعى في الأولى لفظ مَنْ، وفي الثانية معناها، والحميم: الماء الحارّ الشديد الغليان، فإذا شربوه قطّع أمعاءهم، وهو معنى قوله: ﴿فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ لفرط حرارته، والأمعاء جمع معى، وهي ما في البطون من الحوايا.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾؛ أي: من هؤلاء الكفار الذين يتمتعون ويأكلون، كما تأكل الأنعام مَنْ يستمع إليك وهم المنافقون، أفرد الضمير باعتبار لفظ «من»، وجمع في قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ﴾ باعتبار معناها.

والمعنى: أنّ المنافقين كانوا يحضرون مواقف وعظ رسول الله ﷺ، ومواطن خطبه التي يمليها على المسلمين حتى إذا خرجوا من عنده ﴿قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [٤/٧٣] وهم علماء الصحابة، وقيل: عبد الله بن عباس[٤]، وقيل: عبد الله بن مسعود[٥]، وقيل: أبو الدرداء[٦]، والأوّل أولى؛ أي: سألوا أهل العلم فقالوا لهم: ﴿مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾؛ أي: ماذا قال النبيّ الساعة على طريقة الاستهزاء، والمعنى: أنَّا لم

---

(١) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٦٠).

(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ١٠).

(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٢٦١).

(٤) «النكت والعيون» (٥/ ٢٩٧)، و«جامع البيان» (٢١/ ٢٠٤).

(٥) «النكت والعيون» (٥/ ٢٩٧).

(٦) «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٢٦٢).

نلتفت إلى قوله، وآنفاً يُراد به الساعة التي هي أقرب الأوقات، ومنه أمر آنف؛ أي: مستأنف، وروضة أُنُف؛ أي: لم يرعها أحد، وانتصابه[١] على الظرفية؛ أي: وقتاً مؤتنفاً، أو حال من الضمير في «قال».

قال الزجاج[٢]: هو من استأنفت الشيء: إذا ابتدأته، وأصله مأخوذ من أنف الشيء لما تقدّم منه، مستعار من الجارحة، ومنه قول الشاعر:

وَيَحْرُمُ سِرُّ جارتِهم عليهم ... ويأكلُ جارُهم أَنْفَ القِصَاعِ[٣]

والإشارة بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إلى المذكورين من المنافقين ﴿ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ فلم يؤمنوا، ولا توجهت قلوبهم إلى شيء من الخير ﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ في الكفر والعناد.

ثم ذكر حال أضدادهم فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى﴾؛ أي: والذين اهتدوا إلى طريق الخير، فآمنوا بالله، وعملوا بما أمرهم به زادهم هدًى بالتوفيق، وقيل: زادهم النبي ﷺ، وقيل: زادهم القرآن.

وقال الفراء[٤]: زادهم إعراض المنافقين واستهزاؤهم هدًى. وقيل: زادهم نزول النّاسخ هدًى، وعلى كل تقدير، فالمراد: أنَّه زادهم إيماناً وعلماً وبصيرة في الدين.

﴿وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ﴾؛ أي: ألهمهم إيّاها وأعانهم عليها، والتقوى قال الربيع[٥]: هي الخشية، وقال السديّ[٦]: هي ثواب الآخرة.

وقال مقاتل[٧]: هي التوفيق للعمل الذي يرضاه، وقيل: العمل بالناسخ وترك المنسوخ، وقيل: ترك الرخص والأخذ بالعزائم.

---

(١) «الفريد» (٤/ ٣١١)، و«التبيان» (٢/ ١١٦٢).
(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ١١).
(٣) «ديوان الحطيئة» (ص٦٢).
● أُنف القصاع: جيد الطعام وصفوته.
(٤) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٦١).
(٥) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٩٨).
(٦) «النكت والعيون» (٥/ ٢٩٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٢٦٤).
(٧) «النكت والعيون» (٥/ ٢٩٨).

﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ﴾؛ أي: القيامة ﴿أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً﴾؛ أي: فجأة، وفي هذا وعيد للكفار شديد، وقوله: ﴿أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً﴾ بدل من الساعة[١] بدل اشتمال.

وقرأ أبو جعفر الرواسي[٢]: «إنْ تأتهم» بإنْ الشرطية.

﴿جَآءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ﴾؛ أي: أماراتها وعلاماتها، وكانوا قد قرءوا في كتبهم أن النبيّ ﷺ آخر الأنبياء، فبعثتُه من أشراطها، قاله الحسن[٣]، والضحاك.

والأشراط جمع شَرْط بسكون الراء وفتحها. وقيل: المراد بأشراطها هنا: أسبابها التي هي دون معظمها. وقيل: أراد بعلامات الساعة: انشقاق القمر والدخان، كذا قال الحسن[٤].

وقال الكلبي[٥]: كثرة المال، والتجارة، وشهادة الزور، وقطع الأرحام، وقلة الكرام، وكثرة اللئام، ومنه قول أبي زيد الأسود:

فإنْ كنتِ قد أزمعتِ بالصرم بينَنا ... فقد جعلَتِ أشراطُ أوّله تبدُو[٦]

﴿فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ﴾ ذكراهم مبتدأ، وخبره فأنى لهم؛ أي: أنّى لهم التذكّر إذا جاءتهم الساعة كقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ [الفجر: ٢٣] و﴿إِذَا جَآءَتْهُمْ﴾ اعتراض بين المبتدأ والخبر.

﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾؛ أي: إذا علمتَ أنّ مدار الخير هو التوحيد والطاعة، ومدار الشرّ هو الشرك والعمل بمعاصي الله، فاعلم أنه لا إلٰه غيره، ولا ربّ سواه.

والمعنى: اثبت على ذلك واستمر عليه؛ لأنه ﷺ قد كان عالماً بأنه لا إلٰه

---

(١) «التبيان» (٢/ ١١٦٢)، و«الفريد» (٤/ ٣١١).

(٢) «المحتسب» (٢/ ٢٧٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٢٦٦)، و«زاد المسير» (٧/ ٤٠٣). وهي قراءة شاذة.

(٣) ذكره عنهما القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٢٦٥).

(٤) «النكت والعيون» (٥/ ٢٩٩).

(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٢٦٥).

(٦) عزاه الزمخشري في «الكشاف» (٥/ ٥٢٣) لأبي الأسود.

إلَّا الله قبل هذا، وقيل[١]: ما علمته استدلالاً فاعلمه خبراً يقيناً. وقيل المعنى: فاذكر أنه لا إلٰه إلَّا الله، فعبّر عن الذكر بالعلم.

﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾؛ أي: استغفر الله أن يقع منك ذنب، أو استغفر الله ليعصمك، أو استغفره مما ربما يصدر منك من ترك الأولى.

وقيل: الخطاب[٢] له، والمراد: الأمة، ويأبى هذا قوله: ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ فإن المراد به: استغفاره لذنوب أمته بالدعاء لهم بالمغفرة عما فرط من ذنوبهم.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ﴾ في أعمالكم ﴿وَمَثْوَىٰكُمْ﴾ في الدار الآخرة، وقيل[٣]: متقلبكم في أعمالكم نهاراً، ومثواكم في ليلكم نياماً. وقيل[٤]: متقلبكم في أصلاب الآباء إلى أرحام الأمهات، ومثواكم في الأرض؛ أي: مقامكم فيها.

قال ابن كيسان[٥]: متقلبكم من ظهرٍ إلى بطن في الدنيا، ومثواكم في القبور.

وقد أخرج عبد بن حميد، وأبو يعلى، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس[٦]: «أن النبيّ ﷺ لما خرج من مكة إلى الغار التفت إلى مكة وقال: أنت أحبّ بلاد الله إليّ، ولولا أنّ أهلك أخرجوني منك لم أخرج، فأعتى الأعداء مَنْ عتا على الله في حَرمِه، أو قتل غير قاتله، أو قتل بذُحول الجاهلية، فأنزل الله: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾ الآية».

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[٧] ﴿أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ قال: غير متغير.

وأخرج أحمد، والترمذي وصححه، وابن المنذر، وابن مردويه، والبيهقي في

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٢٩٦).

(٢) «المحرر الوجيز» (١٥/ ٦٥).

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ١٢)، و«النكت والعيون» (٥/ ٣٠٠).

(٤) «معالم التنزيل» (٧/ ٢٨٦)، و«جامع البيان» (٢١/ ٢٠٨ ـ ٢٠٩).

(٥) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ٢٨٦).

(٦) أخرجه أبو يعلى ـ كما في «المطالب العالية» رقم (٤١٠٣)، وابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ١٩٨)، وابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٣/ ٦٧) بسند ضعيف جدّاً، حنش وهو الحسين بن قيس الرَّحبي متروك.

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٢٠٠)، وابن أبي حاتم كما في «تغليق التعليق» (٤/ ٣١٢) بسند صحيح.

«البعث» عن معاوية بن حيدة[١]، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «في الجنة بحر اللبن، وبحر الماء، وبحر العسل، وبحر الخمر، ثم تشقّق الأنهار منها».

وأخرج الحارث بن أبي أسامة في «مسنده»، والبيهقي عن كعب[٢] قال: نهر النيل نهر العسل في الجنة، ونهر دجلة نهر اللبن في الجنة، ونهر الفرات نهر الخمر في الجنة، ونهر سيحان نهر الماء في الجنة.

وأخرج ابن جرير، والحاكم وصححه من طريق سعيد بن جبير، عن ابن عباس[٣] في قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾ قال: كنت فيمن يُسأل.

وأخرج عبد بن حميد[٤] من وجه آخر عنه في الآية قال: أنا منهم.

[منقبة لابن عباس]:

وفي هذا منقبة لابن عباس جليلة؛ لأنّه كان إذ ذاك صبيّاً غير بالغ، فإن النبيّ ﷺ مات وهو في سنّ البلوغ، فسؤال الناس له عن معاني القرآن في حياة النبيّ ﷺ، ووصف الله سبحانه للمسؤولين بأنهم الذين أوتوا العلم وهو منهم، من أعظم الأدلة على سعة علمه، ومزيد فقهه في كتاب الله، وسُنّة رسوله، مع كون أترابه وأهل سنه إذ ذاك يلعبون مع الصبيان.

وأخرج ابن أبي حاتم[٥] عن عكرمة قال: كانوا يدخلون على رسول الله ﷺ، فإذا خرجوا من عنده قالوا لابن عباس: ماذا قال آنفاً؟ فيقول: كذا وكذا، وكان ابن عباس أصغر القوم، فأنزل الله الآية، فكان ابن عباس من الذين أوتوا العلم.

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن عساكر عن ابن بريدة[٦] في الآية قال: هو عبد الله بن مسعود.

---

(١) أخرجه أحمد رقم (٢٠٠٥٢)، والترمذي رقم (٢٥٧١)، والبيهقي رقم (٢٦٤) وهو حديث صحيح.

(٢) أخرجه الحارث بن أبي أسامة رقم (١٠٤٧ ـ بغية)، والبيهقي رقم (٢٩٠).

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٢٠٤) من طريق يحيى بن آدم عن يحيى بن الجزّار أو سعيد بن جبير.
وأخرجه الحاكم (٢/ ٤٥٧) من طريق يحيى بن آدم، به ولم يذكر يحيى بن الجزّار.

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٤٦٦).

(٥) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٩٨).

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة (١٢/ ١١٦)، وابن عساكر (٣٣/ ١٤٤).

وأخرج ابن عساكر من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس[١] قال: هو عبد الله بن مسعود.

وأخرج ابن جرير، وابن مردويه عن ابن عباس[٢] في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ قال: لما أنزل القرآن آمنوا به، فكان هدًى، فلما تبيّن الناسخ من المنسوخ زادهم هدًى.

وأخرج ابن المنذر[٣] عنه: ﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ قال: أوّل الساعات.

وقد ثبت في «الصحيحين»[٤]، وغيرهما من حديث أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «بعثتُ أنا والساعة كهاتين، وأشار بالوسطى والسبابة»، ومثله عند البخاري[٥] من حديث سهل بن سعد.

وفي الباب أحاديث كثيرة فيها بيان أشراط الساعة، وبيان ما قد وقع منها، وما لم يكن قد وقع، وهي تأتي في مُصنف مستقل فلا نطيل بذكرها.

وأخرج الطبراني، وابن مردويه، والديلمي عن عبد الله بن عمر[٦]، عن النبي ﷺ قال: «أفضل الذكر لا إلٰه إلّا الله، وأفضل الدعاء الاستغفار، ثم قرأ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾».

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، والترمذي وصححه، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «الشعب» عن أبي هريرة[٧] في قوله: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ قال رسول الله ﷺ: «إني لأستغفر الله في اليوم سبعين مرة».

---

(١) أخرجه ابن عساكر (٣٣/ ١٤٤).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٢٠٥) بسند ضعيف.

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٤٦٧).

(٤) أخرجه البخاري رقم (٦٥٠٤)، ومسلم رقم (٢٩٥١)، والترمذي رقم (٢٢١٤)، وأحمد رقم (١٢٢٤٥).

(٥) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٤٩٣٦، ٥٣٠١، ٦٥٠٣).

(٦) أخرجه الطبراني رقم (١٢٩ ـ قطعة من الجزء ١٣)، والديلمي رقم (١٤١٢).
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٨٤) وفيه الأفريقي وغيره من الضعفاء.

(٧) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٢٣)، والترمذي رقم (٣٢٥٩)، والبيهقي رقم (٦٣٨) وهو حديث صحيح.
وأخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٦٣٠٧): بلفظ: «أكثر من سبعين مرة».

وأخرج أحمد، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن مردويه عن عبد الله بن سرجس[١] قال: «أتيت النبي ﷺ، فأكلت معه من طعام، فقلت: غفر الله لك يا رسول الله، قال: ولك، فقيل: اسْتَغْفَر لك رسولُ الله ﷺ؟ قال: نعم ولكم، وقرأ: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾». وقد ورد أحاديث في استغفاره ﷺ لنفسه ولأمته، وترغيبه في الاستغفار.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[٢] ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ﴾ في الدنيا ﴿وَمَثْوَىٰكُمْ﴾ في الآخرة.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾.

[مصير الكافرين والمنافقين]:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾.

---

(١) أخرجه أحمد رقم (٢٠٧٧٨)، ومسلم رقم (٢٣٤٦)، والترمذي في «الشمائل» رقم (٢٢)، والنسائي في «السنن الكبرى» رقم (١٠١٢٧، ١٠٢٥٤، ١١٤٩٦)، وابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٢٠٩).

(٢) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٤٩٦).

سأل المؤمنون ربَّهم ﷻ أن يُنزِّل على رسوله ﷺ سورةً يأمرهم فيها بقتال الكفار حرصاً منهم على الجهاد، ونيل ما أعدّ الله للمجاهدين من جزيل الثواب، فحكى الله عنهم ذلك بقوله: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾؛ أي: هلّا نزلت ﴿فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ﴾؛ أي: غير منسوخة ﴿وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ﴾؛ أي: فرض الجهاد [٤/٧٤].

قال قتادة[١]: كل سورة ذكر فيها الجهاد فهي مُحْكمة، وهي أشدّ القرآن على المنافقين، وفي قراءة ابن مسعود[٢]: «فإذا أنزلت سورة مُحْدَثة»؛ أي: محدثة النزول، قرأ الجمهور[٣]: «فإذا أُنزلت» وذكر على بناء الفعلين للمفعول، وقرأ زيد بن عليّ[٤]، وابنُ عمير: «نَزَلتْ» وذكر على بناء الفعلين للفاعل، ونصب القتال.

﴿رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾؛ أي: شك، وهم المنافقون ﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾؛ أي: ينظرون إليك نظر مَنْ شخص بصرُه عند الموت؛ لجبنهم عن القتال، وميلهم إلى الكفار.

قال ابن قتيبة[٥]، والزجاج[٦]: يريد أنهم يشخصون نحوك بأبصارهم، وينظرون إليك نظراً شديداً، كما ينظر الشاخص بصره عند الموت.

﴿فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ قال الجوهري[٧]: وقولهم: أولى لك: تهديد ووعيد، وكذا قال مقاتل[٨]، والكلبي، وقتادة[٩].

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٢١/ ٢١٠)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٢٣) بسند صحيح.

(٢) وهي قراءة شاذة. «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٢٧٠)، و«معاني القرآن» للفراء (٣/ ٦٢)، و«زاد المسير» (٥/ ٣٠٠)، و«جامع البيان» (٢١/ ٢١٠).

(٣) «روح المعاني» (٢٥/ ١٨٥ ـ ١٨٦)، و«البحر المحيط» (٩/ ٤٧٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٢٧٠).

(٤) انظر: المصادر المتقدمة. القراءة بالبناء للفاعل شاذة، وكذا نصب القتال.

(٥) في «تأويل مشكل القرآن» (ص٣٥٢).

(٦) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ١٣).

(٧) في «الصحاح» (٦/ ٢٥٣٠).

(٨) ذكره عنهما الواحدي في «تفسيره» (٤/ ١٢٦).

(٩) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٢٣)، وابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٢١١) بسند صحيح.

قال الأصمعي[١]: معنى قولهم في التهديد أَولَى لك؛ أي: وَلِيكَ، وقارَبك ما تكره، وأنشد قول الشاعر:

فعادَى بينَ هادِيَتَيْنِ منها وأَوْلَى أنْ يزيدَ على الثلاثِ[٢]

أي: قارب أن يزيد. قال ثعلب[٣]: ولم يقل في (أولى) أحسن مما قاله الأصمعي.

وقال المبرد[٤]: يُقال لمن همّ بالغضب ثم أفلت: أولى لك؛ أي: قاربت الغضب.

وقال الجرجاني[٥]: هو مأخوذ من الويل؛ أي: فويل لهم، وكذا قال في «الكشّاف»[٦]، قال قتادة[٧]؛ أيضاً: كأنّه قال: العقابُ أولى لهم.

وقوله: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ كلام مستأنف؛ أي: أمرهم طاعة، أو طاعة وقول معروف خير لكم.

قال الخليل[٨]، وسيبويه[٩]: إن التقدير طاعة وقول معروف أحسن، وأمثل لكم من غيرهما. وقيل: إن (طاعة) خبر أولى، وقيل: إن (طاعة) صفة لـ(سورة)، وقيل: إن (لهم) خبر مقدّم، و(طاعة) مبتدأ مؤخر، والأول أولى.

﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ﴾ عزم الأمر جَدّ الأمر؛ أي: جدّ القتال ووَجبَ وفرض، وأسند العزم إلى الأمر، وهو لأصحابه مجازاً، وجواب «إذا» قيل: هو ﴿فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ وقيل: محذوف[١٠] تقديره كرهوه.

---

(١) «الصحاح» (٦/ ٢٥٣٠)، و«تهذيب اللغة» (١٥/ ٤٤٨).
(٢) «خزانة الأدب» (٩/ ٣٤٥). (٣) «تهذيب اللغة» (١٥/ ٤٤٨).
(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٢٧١).
(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٢٧١).
(٦) الزمخشري في «الكشاف» (٥/ ٥٢٥). (٧) «النكت والعيون» (٥/ ٣٠١).
(٨) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (٩/ ٤٧١).
والنحاس في «إعراب القرآن» (٤/ ١٨٧).
(٩) «البحر المحيط» (٩/ ٤٧١)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ٤٨٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٢٧١).
(١٠) «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ١٣).

قال المفسرون[(١)]: معناه إذا جدّ الأمر، ولزم فرض القتال خالفوا وتخلفوا.

﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ﴾ في إظهار الإيمان والطاعة ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ من المعصية والمخالفة.

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ هذا خطاب للذين في قلوبهم مرض بطريق الالتفات[(٢)]؛ لمزيد التوبيخ والتقريع. قال الكلبي[(٣)]: أي: فهل عسيتم إنْ توليتم أمر الأمة أن تفسدوا في الأرض بالظلم.

وقال كعب[(٤)]: ﴿أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾؛ أي: بقتل بعضكم بعضاً.

وقال قتادة[(٥)]: إن توليتم عن طاعة كتاب الله ﷻ أن تفسدوا في الأرض بسفك الدماء، وتقطعوا أرحامكم.

وقال ابن جريج[(٦)]: إن توليتم عن الطاعة.

وقيل: أعرضتم عَنْ القتال، وفارقتم أحكامه[(٧)].

قرأ الجمهور[(٨)]: ﴿تَوَلَّيْتُمْ﴾ مبنيّاً للفاعل، وقرأ عليّ بن أبي طالب[(٩)] بضم التاء والواو وكسر اللام مبنيّاً للمفعول، وبها قرأ ابن أبي إسحاق، ورويس عن يعقوب[(١٠)]، ومعناها: فهل عسيتم إنْ وُلِي عليكم ولاة جائرين أَنْ تخرجوا عليهم في الفتنة، وتحاربوهم وتقطعوا أرحامكم بالبغي، والظلم، والقتل؟.

وقرأ الجمهور[(١١)]: «وتقطّعوا» بالتشديد على التكثير، وقرأ أبو عمرو في رواية عنه، وسلام، وعيسى، ويعقوب بالتخفيف[(١٢)] من القطع يقال: عسيت أن أفعل

---

(١) «الوسيط» (٤/ ١٢٧)، و«معالم التنزيل» (٧/ ٢٨٧).
(٢) «روح المعاني» (٢٥/ ١٨٩ ـ ١٩٠)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ١٥٢).
(٣) «النكت والعيون» (٥/ ٣٠١ ـ ٣٠٢).
(٤) ذكره النحاس في «معاني القرآن» (٦/ ٤٨٢).
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٢١٣ ـ ٢١٤) بسند صحيح.
(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٢٧٣).
(٧) «معالم التنزيل» (٧/ ٢٨٧).
(٨) «النشر» (٢/ ٣٧٤)، و«البحر المحيط» (٩/ ٤٧٢)، و«معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ١٣).
(٩) «القراءات الشاذة» (ص١٤٠)، و«المحتسب» (٢/ ٢٧٢)، و«روح المعاني» (٢٥/ ١٩١).
(١٠) انظر: المصادر المتقدمة. هما قراءتان متواترتان.
(١١) «البحر المحيط» (٩/ ٤٧٢)، و«النشر» (٢/ ٣٧٤)، و«التذكرة في القراءات الثمان» (٢/ ٥٥٧).
قراءة الجمهور ويعقوب متواترتان والصواب أنَّ أبا عمرو يقرأ كالجمهور والرواية عنه هنا شاذة.
(١٢) انظر: المصادر المتقدمة.

كذا، وعسَيت بالفتح والكسر لغتان، ذكره الجوهري[١] وغيره، وخبر عسيتم هو ﴿أَن تُفْسِدُوا﴾، والجملة الشرطية بينهما اعتراض، والإشارة بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إلى المخاطبين بما تقدّم وهو مبتدأ، وخبره ﴿ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾؛ أي: أَبْعَدهم مِنْ رحمته، وطَردهم عنها ﴿فَأَصَمَّهُمْ﴾ عَنْ استماع الحق ﴿وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ عن مشاهدة ما يستدلون به على التوحيد والبعث، وحقية سائر ما دعاهم إليه رسول الله ﷺ.

والاستفهام في قوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ للإنكار[٢].

والمعنى: أفلا يتفهمونه، فيعملون بما اشتمل عليه من المواعظ الزاجرة، والحُجج الظاهرة، والبراهين القاطعة التي تكفي من له فهم وعقل، وتزجره عن الكفر بالله، والإشراك به، والعمل بمعاصيه.

﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾، ﴿أَمْ﴾ هي المنقطعة[٣]؛ أي: بل أَعَلى قلوب أقفالها؟ فهم لا يفهمون ولا يعقلون. قال مقاتل[٤]: يعني الطبع على القلوب، والأقفال استعارة لانغلاق[٥] القلب عَنْ معرفة الحق، وإضافة[٦] الأقفال إلى القلوب للتنبيه على أن المراد بها: ما هو للقلوب بمنزلة الأقفال للأبواب، ومعنى الآية: أنه لا يدخل في قلوبهم الإيمان، ولا يخرج منها الكفر والشرك، لأن الله سبحانه قد طبع عليها، والمراد بهذه القلوب: قلوب هؤلاء المخاطبين.

قرأ الجمهور[٧]: «أقفالها» بالجمع، وقرئ: «إِقْفالها» بكسر الهمزة[٨] على أنه مصدر كالإقبال.

---

(١) في «الصحاح» (٣/ ١٢٦٦ - ١٢٦٧).

(٢) «روح المعاني» (٢٥/ ٢٠٢)، و«البحر المحيط» (٩/ ٤٧٣)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ١٥٢).

(٣) انظر: المصادر المتقدمة.

(٤) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٢٧).

(٥) وتنكيرُ القلوب لتهويل حالها وتفظيع شأنها وأمرها في القساوة والجهالة، كأنه قيل: على قلوب مُنكرة لا يعرف حالها ولا يُقادر قَدْرها في القساوة وقيل: لأنَّ المراد قلوب بعض منهم، وهم المنافقون فتنكيرها للتبعيض أو للتنويع. وإضافة الأقفال إليها للدلالة على أنَّها أقفال مخصوصة بها مناسبةٌ لها غير مجانسة لسائر الأقفال المعهودة.
«روح المعاني» (٢٥/ ٢٠٢)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ١٥٢)، و«البحر المحيط» (٩/ ٤٧٣).

(٦) انظر: المصادر المتقدمة.

(٧) «البحر المحيط» (٩/ ٤٧٣)، و«الدر المصون» (٦/ ١٥٥).

(٨) «روح المعاني» (٢٥/ ٢٠٢)، و«البحر المحيط» (٩/ ٤٧٣)، و«الدر المصون» (٦/ ١٥٥).
القراءة بكسر الهمز في كلمة «إقفالها» شاذة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم﴾؛ أي: رجعوا كفاراً كما كانوا. قال قتادة[(١)]: هم كفار أهل الكتاب كفروا بالنبيّ ﷺ بعد ما عرفوا نعته عندهم، وبه قال ابن جرير[(٢)].

وقال الضحاك[(٣)]، والسديّ[(٤)]: هم المنافقون قعدوا عن القتال، وهذا أولى؛ لأنَّ السياق في المنافقين.

﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى﴾ بما جاءهم به رسولُ الله ﷺ من المعجزات الظاهرة، و«الدلائل» الواضحة ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ﴾؛ أي: زيّن لهم خطاياهم، وسهل لهم الوقوع فيها، وهذه الجملة خبر «إن».

ومعنى ﴿وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾: أن الشيطان مدّ لهم في الأمل، ووعدهم طول العمر، وقيل: إن الذي أملى لهم هو الله ﷻ على معنى: أنه لم يعاجلهم بالعقوبة.

قرأ الجمهور[(٥)]: «أَمْلَى» مبنيّاً للفاعل، وقرأ أبو عَمْرو، وابن أبي إسحاق، وعيسى بن عمر، وأبو جعفر، وشيبة على البناء[(٦)] للمفعول. قيل: وعلى هذه القراءة يكون الفاعل هو الله، أو الشيطان كالقراءة الأولى.

وقد اختار القول بأن الفاعل الله: الفرّاء[(٧)]، والمفضل[(٨)]، والأولى اختيار أنه الشيطان لتقدّم ذكره قريباً.

والإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى ما تقدّم من ارتدادهم، وهو مبتدأ[(٩)]، وخبره ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ﴾؛ أي: بسبب أن هؤلاء المنافقين الذين ارتدّوا على أدبارهم قالوا للذين كرهوا: ما نزل الله، وهم المشركون ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِى

---

(١) «النكت والعيون» (٥/ ٣٠٢)، و«معالم التنزيل» (٧/ ٢٨٧).
(٢) كذا في المخطوط. والصواب ابن جريج. «النكت والعيون» (٥/ ٣٠٢).
(٣) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ٢٨٨).
(٤) «النكت والعيون» (٥/ ٣٠٢)، و«معالم التنزيل» (٧/ ٢٨٨).
(٥) «النشر» (٢/ ٣٧٤)، و«التيسير» (ص٢٠١)، و«زاد المسير» (٧/ ٤٠٩)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٧٧). هنا ثلاث قراءات الأولى للجمهور بصيغة الفعل الماضي المبنيّ للمعلوم وقرأ أبو عمرو بصيغة البناء للمفعول، وقرأ يعقوب بصيغة الفعل المضارع (أمْلي) وما عزاه لأبي جعفر فرواية شاذة عنه.ا.هـ. «النشر» (٢/ ٣٧٤).
(٦) انظر: المصادر المتقدمة.
(٧) في «معاني القرآن» (٣/ ٦٣).
(٨) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٢٨٠).
(٩) «روح المعاني» (٢٥/ ٢٠٤)، و«الفريد» (٤/ ٣١٥).

بَعْضِ ٱلْأَمْرِ﴾ وهذا البعض هو عداوة رسول الله ﷺ، ومخالفة ما جاء به.

وقيل المعنى: إنّ المنافقين قالوا لليهود: سنطيعكم في بعض الأمر، وقيل: إن القائلين اليهود، والذين كرهوا ما أنزل الله المنافقون، وقيل: إن الإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى الإملاء، وقيل: إلى التسويل، والأوّل أولى.

ويؤيد كون القائلين المنافقين والكارهين اليهود قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ﴾ [الحشر: ١١] ولما كان قولهم المذكور للذين كرهوا ما أنزل الله(١) بطريقة السرّ بينهم.

قال الله سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ قرأ الجمهور(٢) بفتح الهمزة جمع سرّ، واختار هذه القراءة أبو عبيد(٣)، وأبو حاتم. وقرأ الكوفيون(٤)، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم، وابن وثّاب، والأعمش بكسر الهمزة على المصدر؛ أي: إخفاءهم.

﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها، و(كيف) في محل رفع(٥) على أنها خبر مقدّم، والتقدير: فكيف علمه بأسرارهم إذا توفتهم الملائكة، أو في محل نصب(٦) بفعل محذوف؛ أي: فكيف يصنعون؟ أو خبر لكان مقدّرة؛ أي: فكيف يكونون، والظرف معمول للمقدّر، قرأ الجمهور(٧): «تَوفتْهُم» وقرأ الأعمش(٨): «توفاهم».

وجملة: ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ في محل نصب(٩) على الحال من فاعل توفتهم، أو من مفعوله؛ أي: ضاربين وجوههم، وضاربين أدبارهم، وفي الكلام

---

(١) «روح المعاني» (٢٥/ ٢٠٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٢٨٢).
(٢) «النشر» (٢/ ٣٧٤)، و«التيسير» (ص٢٠١)، و«جامع البيان» (٢١/ ٢٢٠).
(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٢٨١).
(٤) «جامع البيان» (٢١/ ٢٢٠)، و«النشر» (٢/ ٣٧٤)، و«التيسير» (ص٢٠١).
(٥) «التبيان» (٢/ ١١٦٤)، و«الفريد» (٤/ ٣١٦ ـ ٣١٧)، و«روح المعاني» (٢٥/ ٢٠٥).
(٦) انظر: المصادر المتقدمة. (٧) «البحر المحيط» (٩/ ٤٧٤).
(٨) «القراءات الشاذة» (ص١٤٠)، و«البحر المحيط» (٩/ ٤٧٤)، و«روح المعاني» (٢٥/ ٢٠٦). وهي قراءة شاذة.
(٩) «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٣٠٨)، و«التبيان» (٢/ ١١٦٤)، و«الفريد» (٤/ ٣١٧).

تخويف وتشديد، والمعنى[١]: أنه إذا تأخر عنهم العذاب، فسيكون حالهم هذا، وهو تصوير لتوفيهم على أقبح حال وأشنعه. وقيل ذلك: عند القتال نصرة من الملائكة لرسول الله ﷺ.

وقيل ذلك: يوم القيامة، والأوّل أولى.

والإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى التوفي المذكور على الصفة المذكورة، وهو مبتدأ وخبره ﴿بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ﴾؛ أي: بسبب اتباعهم ما يسخط الله من الكفر والمعاصي، وقيل: كتمانهم[٢] ما في التوراة من نعت نبينا ﷺ، والأوّل أولى لما في الصيغة من العموم.

﴿وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾؛ أي: كرهوا ما يرضاه الله من الإيمان والتوحيد والطاعة ﴿فَأَحْبَطَ﴾ الله ﴿أَعْمَالَهُمْ﴾ بهذا السبب، والمراد بأعمالهم: الأعمال التي صورتها صورة الطاعة وإلّا فلا عمل لكافر، أو ما كانوا قد عملوا من الخير قبل الردّة.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ يعني: المنافقين المذكورين سابقاً، و﴿أَمْ﴾ هي المنقطعة؛ أي: بل أحسب المنافقون؟ ﴿أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ﴾ الإخراج بمعنى: الإظهار، والأضغان جمع ضغن، وهو ما يُضْمِر من المكروه، واختلف في معناه، فقيل: هو الغشّ، وقيل: الحسد، وقيل: الحقد.

قال الجوهري[٣]: الضغن والضغينة الحقد، وقال قطرب[٤]: هو في الآية العداوة، و﴿أَن﴾ هي المخففة[٥] من الثقيلة، واسمها ضمير شأن مقدّر.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ﴾؛ أي: لأعلمناكهم وعرّفناكهم بأعيانهم معرفة تقوم مقام الرؤية، تقول العرب: سأريك ما أصنع؛ أي: سأُعلمك ﴿فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ﴾؛ أي: بعلامتهم الخاصة بهم التي يتميزون بها.

---

(١) «النكت والعيون» (٥/ ٣٠٣ ـ ٣٠٤).

(٢) «الوسيط» (٤/ ١٢٨)، و«النكت والعيون» (٥/ ٣٠٤).

(٣) في «الصحاح» (٦/ ٢١٥٥).

(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٢٨٢).

(٥) «الفريد» (٤/ ٣١٦)، و«روح المعاني» (٢٥/ ٢٠٧).

قال الزجاج[١]: المعنى: لو نشاء لجعلنا على المنافقين علامة وهي السيما؛ فلعرفتهم بتلك العلامة، والفاء لترتيب[٢] المعرفة على الإرادة، وما بعدها معطوف على جواب «لو»، [٤/٧٥] وكررت[٣] في المعطوف للتأكيد.

وأما اللّام في قوله: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ فهي جواب قسم محذوف.

قال المفسِّرون[٤]: ﴿لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ فحواه ومقصده ومغزاه وما يعرّضون به من تهجين أمرك وأمر المسلمين، وكان بعد هذا لا يتكلم منافق عنده إلّا عرفه.

قال ابن زيد[٥]: لحنت له اللحن: إذا قلتُ له قولاً يفقهه عنك، ويخفى على غيره، ومنه قول الشاعر:

منطقٌ صائبٌ وتَلْحَنُ أحيا ... ناً وخيرَ الكلامِ ما كانَ لحنا[٦]

أي: أحسنه ما كان تعريضاً يفهمه المخاطب، ولا يفهمه غيره لفطنته وذكائه، وأصل اللحن[٧]: إمالةُ الكلام إلى نحوٍ مِنْ الأنحاء لغرضٍ من الأغراض.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ لا تخفى عليه منها خافية فيجازيكم بها، وفيه وعيد شديد.

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾؛ أي: لنعاملنكم معاملة المختبر، وذلك بأن نأمركم بالجهاد حتى نعلم من امتثل الأمر بالجهاد، وصبر على دينه ومشاقّ ما كلف به.

قرأ الجمهور[٨] الأفعال الثلاثة بالنون، وقرأ أبو بكر عن عاصم بالتحتية[٩] فيها كلها، ومعنى ﴿وَنَبْلُوَا أَخْبَارَكُمْ﴾: نظهرها ونكشفها امتحاناً لكم، ليظهر للناس من أطاع ما أمره الله به، ومَنْ عصى، ومن لم يمتثل.

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ١٥).
(٢) «روح المعاني» (٢٥/ ٢٠٨)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ١٥٤).
(٣) «تفسير أبي السعود» (٦/ ١٥٤). (٤) «الوسيط» للواحدي (٤/ ١٢٩).
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٢٢٣) بسند صحيح.
(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٢٨٤).
(٧) «الصحاح» (٦/ ٢١٩٣)، و«تهذيب اللغة» (٥/ ٦٠)، و«مفردات ألفاظ القرآن» (ص٧٣٨ ـ ٧٣٩).
(٨) «التيسير» (ص٢٠١)، و«النشر» (٢/ ٣٧٥).
«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٧٨)، و«جامع البيان» (٢١/ ٢٢٤).
(٩) انظر: المصادر المتقدمة.

وقرأ الجمهور[١]: «ونبلو» بنصب الواو عطفاً[٢] على قوله: ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ﴾. وروى رويس عن يعقوب إسكانها[٣] على القطع عما قبله.

[الندب إلى صلة الرحم]:

وقد أخرج البخاري، ومسلم، وغيرهما عن أبي هريرة[٤] قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم بحقو الرحمٰن، فقال: مه، قالت: هذا مقام العائذ بك مِنْ القطيعة؟ قال: نعم أترضي أن أصل من وصلك، وأقطع مَنْ قطعك؟ قالت: بلى. قال: فذلك لك؛ ثم قال رسول الله ﷺ: اقرءوا إنْ شئتم ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾ الآية إلى قوله: ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾». والأحاديث في صلة الرحم كثيرة جدّاً.

وأخرج ابن جرير[٥] عن ابن عباس في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم﴾ قال: هم أهل النفاق.

وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عنه[٦] في قوله: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ﴾ قال: أعمالهم: خبثهم، والحسد الذي في قلوبهم، ثم دلّ الله تعالى النبي ﷺ بعد على المنافقين، فكان يدعو باسم الرجل من أهل النفاق.

وأخرج ابن مردويه وابن عساكر عن أبي سعيد الخدري[٧] في قوله: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ قال: ببغضهم عليّ بن أبي طالب.

---

(١) «النشر» (٢/ ٣٧٥)، و«زاد المسير» (٧/ ٤١١)، و«حاشية الشهاب» (٨/ ٥٠).
(٢) انظر: المصادر المتقدمة.
(٣) «روح المعاني» (٢٥/ ٢١٢)، و«البحر المحيط» (٩/ ٤٧٦).
(٤) أخرجه البخاري رقم (٤٨٣٠ ـ ٤٨٣٢، ٥٩٨٧، ٧٥٠٢)، ومسلم رقم (٢٥٥٤)، والنسائي في «الكبرى» رقم (١١٤٩٧)، و«والحكيم الترمذي» (٢/ ١٨٨)، وابن جرير (٢١/ ٢١٤)، وابن حبان رقم (٤٤١)، والحاكم (٢/ ٢٥٤)، والبيهقي رقم (٧٩٣٤).
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٢١٨) بسند ضعيف.
(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٥٠٣).
(٧) أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» (٤٢/ ٣٦٠).
• ولعل في الأثر نفس رافضي.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٣٢﴾﴾.

[النهي عن الوهن والدعوة إلى السلم ابتداءً]:

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾.

قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ المراد بهؤلاء[(١)]: هم المنافقون، وقيل: أهل الكتاب، وقيل: هم المطعمون[(٢)] يوم بدر من المشركين، ومعنى صدّهم عن سبيل الله: مَنْعُهم للناس عن الإسلام، واتباع الرسول ﷺ (و) معنى ﴿شَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾: عادوه وخالفوه ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ﴾؛ أي: علموا أنه ﷺ نبيّ من عند الله بما شاهدوا من المعجزات الواضحة، والحجج القاطعة ﴿لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ بتركهم الإيمان وإصرارهم على الكفر، وما ضرّوا إلّا أنفسهم ﴿وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾؛ أي: يبطلها.

والمراد بهذه الأعمال: ما صورته صورة أعمال الخير كإطعام الطعام، وصلة الأرحام، وسائر ما كانوا يفعلونه من الخير، وإن كانت باطلة من الأصل؛ لأن الكفر مانع، وقيل: المراد بالأعمال: المكائد[(٣)] التي نصبوها لإبطال دين الله، والغوائل التي كانوا يبغونها برسول الله ﷺ.

ثم أمر سبحانه عباده المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٢٨٦)، و«المحرر الوجيز» (١٥/ ٧٧)، و«روح المعاني» (٢٥/ ٢١٢).

(٢) «معالم التنزيل» (٧/ ٢٩٠).

(٣) «روح المعاني» (٥٥/ ٢١٢).

﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ فيما أُمرتم به من الشرائع المذكورة في كتاب الله وسُنَّة رسوله؛ ثم نهاهم عن أن يبطلوا أعمالهم، كما أبطلت الكفار أعمالها بالإصرار على الكفر، فقال: ﴿وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ قال الحسن[١]: أي: لا تبطلوا حسناتكم بالمعاصي. وقال الزهري[٢]: بالكبائر.

وقال الكلبي[٣]، وابن جريج[٤]: بالرياء والسمعة. وقال مقاتل[٥]: بالمنّ. والظاهر النهي عَنْ كل سبب من الأسباب التي توصل إلى بطلان الأعمال كائناً ما كان من غير تخصيص بنوع معين.

ثم بيّن سبحانه أنه لا يغفر للمصرّين على الكفر، والصدّ عن سبيل الله، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ فقيد سبحانه عدم المغفرة بالموت على الكفر؛ لأنّ باب التوبة وطريق المغفرة لا يغلقان على من كان حيّاً، وظاهر الآية العموم وإنْ كان السبب خاصّاً.

ثم نهى سبحانه المؤمنين عن الوهن والضعف، فقال: ﴿فَلَا تَهِنُوا﴾؛ أي: تضعفوا عن القتال، والوهن: الضعف ﴿وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ﴾؛ أي: ولا تدعوا الكفار إلى الصلح ابتداءً منكم، فإنّ ذلك لا يكون إلّا عند الضعف. قال الزجاج[٦]: منع الله المسلمين أَنْ يدعوا الكفار إلى الصلح، وأمرهم بحربهم حتى يسلموا.

وقرأ أبو عبد الرحمٰن السلمي[٧]: «وتدّعوا» بتشديد الدال من ادّعى القوم وتداعوا.

قال قتادة[٨]: معنى الآية: لا تكونوا أوّل الطائفتين صُرعت إلى صاحبتها.

واختلف[٩] أهل العلم في هذه الآية: هل هي محكمة، أو منسوخة؟ فقيل: إنها محكمة، وإنها ناسخة لقوله: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ [الأنفال: ٦١] وقيل:

---

(١) «النكت والعيون» (٥/ ٣٠٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٢٨٧).
(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٠٦).
(٣) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ٢٩٠). (٤) «النكت والعيون» (٥/ ٣٠٦).
(٥) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ٢٩٠). (٦) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ١٦).
(٧) «القراءات الشاذة» (ص١٤١)، و«المحتسب» (٢/ ٢٧٣).
(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٢٢٧) بسند صحيح.
وتمام الأثر: ودعتها إلى الموادعة، وأنتم أولى بالله منهم والله معكم.
(٩) «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٢٨٩)، و«الناسخ والمنسوخ» للنحاس (٣/ ١٣).

منسوخة بهذه الآية. ولا يخفاك أنّه لا مقتضى للقول بالنسخ، فإن الله سبحانه نهى المسلمين في هذه الآية عن أن يدعوا إلى السلم ابتداءً، ولم ينه عن قبول السلم إذا جنح إليه المشركون، فالآيتان محكمتان، ولم يتواردا على محل واحد حتى يحتاج إلى دعوى النسخ أو التخصيص.

وجملة ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ في محل نصب[١] على الحال، أو مستأنفة مقرّرة لما قبلها من النهي؛ أي: وأنتم الغالبون بالسيف والحجة.

قال الكلبي[٢]: أي: آخر الأمر لكم، وإن غلبوكم في بعض الأوقات، وكذا جملة قوله: ﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمْ﴾ في محل نصب[٣] على الحال؛ أي: معكم بالنصر، والمعونة عليهم.

﴿وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾؛ أي: لنْ ينقصكم شيئًا مِنْ ثواب أعمالكم، يقال: وتَره يَتِره[٤] وتْراً: إذا نقصه حقّه، وأصله من وترتُ الرجل: إذا قتلت له قريباً، أو نهبت له مالاً، ويقال: فلان مأتور: إذا قُتل له قتيل، ولم يؤخذ بدمه.

قال الجوهري[٥]: أي: لن ينقصكم في أعمالكم، كما تقول دخلت البيت وأنت تريد في البيت.

قال الفراء[٦]: هو مشتق من الوتر وهو الدخل، وقيل: مشتق من الوتر وهو الفرد، فكأن المعنى: ولن يفردكم بغير ثواب.

﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾؛ أي: باطل وغرور لا أصل لشيء منها، ولا ثبات له ولا اعتداد به.

﴿وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ﴾؛ أي: إنْ تؤمنوا بالله، وتتقوا الكفرَ والمعاصي يؤتكم جزاء ذلك في الآخرة، والأجر: الثواب على الطاعة ﴿وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ﴾؛ أي: لا يأمركم بإخراجها جميعها في الزكاة وسائر وجوه الطاعات، بل أمركم بإخراج القليل منها، وهو الزكاة.

وقيل المعنى: لا يسألكم أموالكم إنما يسألكم أمواله؛ لأنّه أملك لها، وهو

---

(١) «الفريد» (٤/ ٣١٧)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٣٠٨)، و«روح المعاني» (٢٥/ ٢١٥).
(٢) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ٢٩٠).
(٣) «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٣٠٨).
(٤) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٨٥٣).
(٥) في «الصحاح» (٢/ ٨٤٣).
(٦) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٦٤).

المنعم عليكم بإعطائها. وقيل: لا يسألكم أموالكم أجراً على تبليغ الرسالة، كما في قوله: ﴿مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ [الفرقان: ٥٧] والأوّل أولى.

﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا﴾؛ أي: أموالكم كلها ﴿فَيُحْفِكُمْ﴾ قال المفسِّرون[١]: يُجْهدكم، ويُلْحف عليكم بمسألة جميعها، يقال: أحفى[٢] بالمسألة وألحف وألح بمعنى واحد، والمُحْفِي المستقصي في السؤال، والإحفاء الاستقصاء في الكلام، ومنه إحفاء الشارب؛ أي: استئصاله، وجواب الشرط قوله: ﴿تَبْخَلُواْ﴾؛ أي: إن يأمركم بإخراج جميع أموالكم تبخلوا بها، وتمتنعوا مِنْ الامتثال.

﴿وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ﴾ معطوف على جواب الشرط، ولهذا قرأ الجمهور[٣]: «يُخْرج» بالجزم.

وروي عن أبي عمرو أنه قرأ بالرفع[٤] على الاستئناف، وروي عنه أنه قرأ بفتح الياء[٥] وضم الراء، ورفع أضغانكم، وروي عن يعقوب[٦] الحضرمي أنه قرأ بالنون، وقرأ ابن عباس، ومجاهد، وابن محيصن، وحميد بالفوقية[٧] المفتوحة مع ضم الراء. وعلى قراءة الجمهور، فالفاعل ضمير يعود إلى الله سبحانه، أو إلى البخل المدلول عليه بتبخلوا.

والأضغان[٨]: الأحقاد، والمعنى: أَنَّها تظهر عند ذلك. قال قتادة[٩]: قد علم الله أن في سؤال المال خروج الأضغان.

﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: ها أنتم هؤلاء أيها المؤمنون تُدْعون لتنفقوا في الجهاد وفي طريق الخير ﴿فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ﴾ بما يُطلب منه ويُدْعى إليه من الإنفاق في سبيل الله، وإذا كان منكم من يبخل باليسير من المال، فكيف لا تبخلون بالكثير وهو جميع الأموال؟.

---

(١) «الوسيط» للواحدي (٤/ ١٣٠). (٢) «الصحاح» (٦/ ٢٣١٦).

(٣) «البحر المحيط» (٩/ ٤٧٧ ـ ٤٧٨). بل هي قراءة العشرة، القراءةُ بالجزم مع ضم التحتية وكسر الراء وما عداها فشاذ، والرواية هنا عن أبي عمرو ويعقوب شاذة.

(٤) «البحر المحيط» (٩/ ٤٧٨)، و«روح المعاني» (٢٥/ ٢١٨).

(٥) «القراءات الشاذة» (ص١٤١)، و«المحتسب» (٢/ ٢٧٣).

(٦) «القراءات الشاذة» (ص١٤١)، و«البحر المحيط» (٩/ ٤٧٨).

(٧) «القراءات الشاذة» (ص١٤١)، و«البحر المحيط» (٩/ ٤٧٨)، و«روح المعاني» (٢٥/ ٢١٨).

(٨) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٥٠٩)، و«تهذيب اللغة» (٨/ ١١).

(٩) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٣٠).

ثم بيّن سبحانه أنّ ضرر البخل عائد على النفس فقال: ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ﴾؛ أي: يمنعها الأجر والثواب ببخله، وبَخَلَ يتعدّى بعلى تارةً وبعن أخرى. وقيل: إنّ أصله أن يتعدى بعلى، ولا يتعدى بعن إلّا إذا ضُمِّن معنى الإمساك ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ﴾ المطلق المتنزّه عَنْ الحاجة إلى أموالكم ﴿وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ إلى الله، وإلى ما عنده من الخير والرحمة.

وجملة: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ معطوفة على الشرطية المتقدّمة، وهي وإن تؤمنوا.

والمعنى: وإنْ تعرضوا عن الإيمان والتقوى، يستبدل قوماً آخرين يكونون مكانكم هم أطوع لله منكم ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَـٰلَكُم﴾: في التولي عن الإيمان والتقوى.

قال عكرمة[١]: هم فارس، والروم. وقال الحسن[٢]: هم العجم. وقال شريح بن عبيد[٣]: هم أهل اليمن، وقيل: الأنصار[٤]، وقيل: الملائكة[٥]، وقيل: التابعون[٦]. وقال مجاهد[٧]: هم من شاء الله من سائر الناس.

قال ابن جرير[٨]: والمعنى: ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَـٰلَكُم﴾ في البخل بالإنفاق في سبيل الله.

وقد أخرج عبد بن حميد، [٤/٧٦] ومحمد بن نصر في «كتاب الصلاة»، وابن أبي حاتم عن أبي العالية[٩] قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ يرون أنه لا يضرّ مع لا إلٰه إلّا الله ذنب، كما لا ينفع مع الشرك عمل حتى نزلت: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَـٰلَكُمْ﴾ فخافوا أن يبطل الذنب العمل، ولفظ عبد بن حميد: فخافوا الكبائر أنْ تحبط أعمالهم.

---

(١) «معالم التنزيل» (٧/ ٢٩١). (٢) «معالم التنزيل» (٧/ ٢٩١).
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٢٣٥).
(٤) قاله مقاتل كما في «زاد المسير» (٧/ ٤١٦).
(٥) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» (٥/ ١٧).
(٦) «زاد المسير» (٧/ ٤١٦).
(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٢٣٤) بسند صحيح.
(٨) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٠٨).
(٩) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٥٠٤).
وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٩٩).
وأخرجه محمد بن نصر رقم (١٩٨) بسند ضعيف.

وأخرج ابنُ نصر، وابن جرير، وابن مردويه عن ابن عمر[١] قال: كنا معشر أصحاب النبي ﷺ نرى أنه ليس شيء من الحسنات إلّا مقبول حتى نزلت: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ فلما نزلت هذه الآية قلنا: ما هذا الذي يبطل أعمالنا؟ فقلنا: الكبائر الموجبات والفواحش، فكنا إذا رأينا من أصاب شيئًا منها قلنا: قد هلك، حتى نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦] فلما نزلت كففنا عن القول في ذلك. وكنا إذا رأينا أحداً أصاب منها شيئًا خفنا عليه، وإن لم يصب منها شيئًا رجوناه.

وأخرج ابن جرير[٢] عن ابن عباس في قوله: ﴿يَتِرَكُمْ﴾ قال: يظلمكم.

وأخرج سعيد بن منصور، وابن جرير، وابن المنذر، وابنُ أبي حاتم، وابن مردويه عَنْ أبي هريرة[٣] قال: «لما نزلت: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ قالوا: من هؤلاء، وسلمان إلى جانب النبيّ ﷺ؟ فقال: هم الفرس، هذا وقومه». وفي إسناده مسلم بن خالد الزنجي وقد تفرّد به، وفيه مقال معروف.

وأخرجه عنه عبد الرزاق، وعبد بن حميد، والترمذي، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والطبراني في «الأوسط»، والبيهقي في «الدلائل» عن أبي هريرة[٤] قال: «تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ فقالوا: يا رسول الله مَنْ هؤلاء الذين إن تولينا استبدلوا بنا، ثم لا يكونوا أمثالنا؟ فضرب رسول الله ﷺ على منكب سلمان، ثم قال: هذا وقومه، والذي نفسي بيده لو كان الإيمان منوطاً بالثريا لتناوله رجال من فارس»، وفي إسناده أيضاً مسلم بن خالد الزنجي.

وأخرج ابن مردويه[٥] من حديث جابر نحوه.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٠/ ٢٢٩، ٢٣٠)، ومحمد بن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» رقم (٦٦٩) بسند ضعيف وهو حديث حسن بمجموع طرقه.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٢٢٩) بسند ضعيف.

(٣) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٥٠٦).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٢٣٣ ـ ٢٣٤).

(٤) أخرجه الترمذي رقم (٣٢٦١)، وابن جرير (٢١/ ٢٣٤)، وابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٣/ ٨٣) ـ والطبراني في «الأوسط» رقم (٨٨٣٨)، و«البيهقي» (٦/ ٣٣٤) وهو حديث صحيح.

(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٥٠٦).

سُورَةُ الفَتْحِ

هي تسع وعشرون آية، وهي مدنية. قال القرطبي[١]: بالإجماع.

وقد أخرج ابن الضريس، والنحاس، وابن مردويه، والبيهقي عن ابن عباس[٢] قال: نزلت سورة الفتح بالمدينة.

وأخرج ابن مردويه[٣] عن ابن الزبير مثله.

وأخرج ابن إسحاق، والحاكم وصحّحه، والبيهقيّ في «الدلائل» عن المِسْور بن مَخْرمة[٤] ومروان قالا: نزلت سورة الفتح بين مكة والمدينة في شأن الحديبية من أولها إلى آخرها، وهذا لا ينافي الإجماع على كونها مدنية؛ لأن المراد بالسور المدنية: النازلة بعد الهجرة من مكة.

وأخرج البخاري، ومسلم، وغيرهما عن عبد الله بن مُغفّل[٥] قال: قرأ رسول الله ﷺ عام الفتح في مسيره سورة الفتح على راحلته، فرجّع فيها. وفي «الصحيحين»[٦] عن زيد بن أسلم، عن أبيه: «أن رسول الله ﷺ كان يسير في بعض أسفاره، وعمر بن الخطاب يسير معه ليلاً، فسأله عمر عن شيء فلم يجبه رسولُ الله ﷺ، ثم سأله فلم يجبه، ثم سأله فلم يُجبه، فقال عمر بن الخطاب: هلكت أمّ عمر نَزرتَ رسول الله ﷺ ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك، فقال عمر: فحرّكت بعيري، ثم تقدّمت أمام الناس، وخشيت أن ينزل فيّ قرآن، فما نشبت أن

---

(١) في «تفسيره» (١٩/ ٢٩٤).

(٢) أخرجه ابن الضريس رقم (٧)، والنحاس في «ناسخه» (٦٧٥).

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٥٠٧).

(٤) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٥٩)، والبيهقي (٤/ ١٥٩).

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة (٢/ ٤٧٨)، وأحمد رقم (٢٠٥٤٢، ٢٠٥٤٣، ٢٠٥٥٨، ٢٠٥٥٦)، والبخاري رقم (٤٢٨١، ٤٨٣٥، ٥٠٣٤، ٥٠٤٧، ٧٥٤٠)، ومسلم رقم (٧٩٤)، وأبو داود رقم (١٤٦٧)، والترمذي رقم (٣٠٤)، والنسائي في «السنن الكبرى» رقم (٨٠٥٥)، والبيهقي (٢/ ٥٣).

(٦) أخرجه البخاري رقم (٤١٧٧) و(٤٨٣٣) ولم يعزه المزي في «التحفة» (٨/ ٦) إلى مسلم.

سمعت صارخاً يصرخ بي، فقلتُ: لقد خشيت أن يكون قد نزل فيّ قرآن، فجئت رسول الله ﷺ، فسلمت عليه، فقال: لقد أُنزلت عليّ سورة لهي أحبّ إليّ مما طلعت عليه الشمس، ثم قرأ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾»؛ أي: سورة الفتح.

وفي «صحيح مسلم» عَنْ قتادة أن أنس بن مالك[1] حدّثهم قال: لما نزلت ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ الآية إلى قوله: ﴿فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١ ـ ٥] مرجعه من الحديبية وهم مخالطهم الحُزن والكآبة، وقد نحروا الهدي بالحديبية، فقال: «لقد أنزلت عليّ آيةٌ هي أحبُّ إليّ من الدنيا جميعها».

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[صلح الحديبية]:

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾﴾.

قوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ اختلف في تعيين هذا الفتح، فقال الأكثر: هو صلح الحديبية، والصلح قد يُسمّى فتحاً. قال الفراء[2]: والفتح قد يكون صلحاً، ومعنى الفتح في اللغة[3]: فتح المنغلق، والصلح الذي كان مع المشركين بالحديبية كان مسدوداً متعذراً حتى فتحه الله.

قال الزهري[4]: لم يكن فتحٌ أعظمَ مِنْ صلح الحديبية، وذلك أن المشركين

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» رقم (١٧٨٦)، وأحمد رقم (١٣٢٤٦).

(٢) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٦٤).

(٣) «تهذيب اللغة» (٥/ ٣٩٤)، و«الصحاح» (١/ ٣٨٩).

(٤) أخرجه النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (٣/ ١٧).

اختلطوا بالمسلمين، فسمعوا كلامهم، فتمكن الإسلام في قلوبهم، وأسلم في ثلاث سنين خلق كثير، وكثر بهم سواد الإسلام.

قال الشعبي[(١)]: لقد أصاب رسول الله ﷺ في الحديبية ما لم يصب في غزوه؛ غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر، وبُويع بيعة الرّضوان، وأطعموا نخل خيبر، وبلغ الهدي مَحِلّه، وظهرت الروم على فارس ففرح المؤمنون بظهور أهل الكتاب على المجوس.

وقال قوم: إنّه فتح مكة. وقال آخرون: إنه فتح خيبر[(٢)]. والأوّل أرجح، ويؤيده ما ذكرناه قبل هذا من أن السورة أنزلت في شأن الحديبية.

وقيل[(٣)]: هو جميع ما فتح الله لرسوله من الفتوح، وقيل: هو ما فُتح له من النبوّة، والدعوة إلى الإسلام، وقيل: فتح الروم، وقيل: المراد بالفتح في هذه الآية: الحكم والقضاء. كما في قوله: ﴿ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٨٩] فكأنه قال: إنا قضينا لك قضاءً مبيناً؛ أي: ظاهراً واضحاً مكشوفاً.

﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ الّلام متعلقة بفتحنا، وهي لام العلة.

قال ابن الأنباري[(٤)]: سألتُ أبا العباس: يعني: المبرِّد عن اللام في قوله: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾ فقال: هي لام كي معناها: إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً؛ لكي يجتمع لك مع المغفرة تمام النِّعمة في الفتح، فلما انضمّ إلى المغفرة شيء حادث واقع حَسُن معنى كي، وغلّط من قال ليس الفتح سبب المغفرة.

وقال صاحب «الكشاف»[(٥)]: إن اللام لم تكن علة للمغفرة؛ ولكن لاجتماع ما عدّد من الأمور الأربعة وهي:

المغفرة، وإتمام النعمة، وهداية الصراط المستقيم، والنصر العزيز. كأنه قيل: يسرنا لك فتح مكة، ونصرناك على عدوّك؛ لنجمع لك بين عزّ الدارين، وأعراض العاجل والآجل.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٢٤٤)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٢٥)، والبيهقي في «الدلائل» (٤/ ١٦٢ ـ ١٦٣) من طريق مغيرة، به.

(٢) ذكره عنهما ابن الجوزي في «زاد المسير» (٧/ ٤٢٣).

(٣) «الفريد» (٤/ ٣٢١)، و«البحر المحيط» (٩/ ٤٩١)، و«الكشاف» (٥/ ٥٣٤).

(٤) «إيضاح الوقف والابتداء» (٢/ ٩٠٠).

(٥) في «الكشاف» (٥/ ٥٣٤).

وهذا كلام غير جيد، فإن اللّام داخلة على المغفرة فهي علة للفتح، فكيف يصح أن تكون معللة.

وقال الرازي[١] في «توجيه التعليل»: إن المراد بقوله: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾ التعريف بالمغفرة، تقديره: إنّا فتحنا لك؛ لتعرف أنك مغفور لك معصوم.

وقال ابن عطية[٢]: المراد: أن الله فتح لك؛ لكي يجعل الفتح علامة لغفرانه لك، فكأنها لام الصيرورة.

وقال أبو حاتم[٣]: هي لام القسَم وهو خطأ، فإن لام القسم لا تُكسر، ولا يُنصب بها[٤].

واختلف[٥] في معنى قوله: ﴿مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ فقيل: ما تقدّم من ذنبك قبل الرسالة، ﴿وَمَا تَأَخَّرَ﴾ بعدها. قاله مجاهد وسفيان الثوري وابن جرير والواحدي[٦] وغيرهم.

وقال عطاء[٧]: ما تقدّم من ذنبك يعني: ذنب أبويك آدم وحوّاء، وما تأخر من ذنوب أمتك. وما أبعد هذا عن معنى القرآن.

وقيل[٨]: ما تقدّم من ذنب أبيك إبراهيم، وما تأخر من ذنوب النبيين من بعده، وهذا كالذي قبله.

وقيل: ما تقدّم من ذنب يوم بدر، وما تأخر من ذنب يوم حنين، وهذا كالقولين الأولين في البعد.

وقيل: لو كان ذنب قديم، أو حديث؛ لغفرناه لك، وقيل غير ذلك مما لا وجه له، والأوّل أولى.

ويكون المراد بالذنب بعد الرسالة: ترك ما هو الأولى، وسمي ذنباً في حقه لجلالة قدره، وإنْ لم يكن ذنباً في حق غيره.

---

(١) في «تفسيره» (٢٨/ ٧٨). (٢) في «المحرر الوجيز» (١٥/ ٨٧).

(٣) «إيضاح الوقف والابتداء» (٢/ ٧٠٠، ٩٠٠).

(٤) قال: فإنّه لم يسمع: والله لِيقوم زيدٌ. على معنى: لَيقومنَّ زيدٌ.

(٥) «النكت والعيون» (٥/ ٣١٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٣٠٠).

(٦) في «الوسيط» (٤/ ١٣٤).

(٧) «المحرر الوجيز» (١٥/ ٨٨)، و«معالم التنزيل» (٧/ ٢٩٧)، و«روح المعاني» (٢٥/ ٢٣٨).

(٨) انظر: المصادر المتقدمة.

﴿وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ﴾ بإظهار دينك على الدين كله، وقيل: بالجنة، وقيل: بالنبوّة والحكمة، وقيل: بفتح مكة، والطائف، وخيبر، والأولى أن يكون المعنى: ليجتمع لك مع الفتح تمام النعمة بالمغفرة، والهداية إلى صراط مستقيم، وهو الإسلام.

ومعنى يهديك: يُثّبتك على الهدى إلى أنْ يقبضك إليه.

﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصۡرًا عَزِيزًا﴾؛ أي: غالباً منيعاً لا يتبعه ذلّ.

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾؛ أي: السكون والطمأنينة بما يَسْره لهم من الفتح؛ لئلّا تنزعج نفوسهم لما يرد عليهم ﴿لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ﴾؛ أي: ليزدادوا بسبب تلك السكينة إيماناً منضماً إلى إيمانهم الحاصل لهم من قبل.

قال الكلبي(١): كلّما نزلت آية من السماء، فصدّقوا بها ازدادوا تصديقاً إلى تصديقهم.

وقال الربيع بن أنس(٢): خشية مع خشيتهم.

وقال الضحاك(٣): يقيناً مع يقينهم.

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [٤/ ٧٧] يعني: الملائكة، والإنس، والجن، والشياطين يدبر أمرهم كيف يشاء، ويسلط بعضهم على بعض، ويحوط بعضهم ببعض ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ كثير العلم بليغه ﴿حَكِيمًا﴾ في أفعاله وأقواله.

﴿لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ هذه اللام متعلقة بمحذوف يدلّ عليه ما قبله تقديره: يبتلي بتلك الجنود مَنْ يشاء، فيقبل الخير من أهله، والشرّ ممن قضى له به ليدخل ويُعذبَ.

وقيل: متعلقة بقوله: ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا﴾ كأنّه قال: إنا فتحنا لك ما فتحنا ليدخل ويعذب، وقيل: متعلقة بينصرك؛ أي: نصرك الله بالمؤمنين؛ ليُدخل ويُعذِّبَ، وقيل: متعلقة بيزدادوا؛ أي: يزدادوا ليدخل ويعذب، والأوّل أولى.

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٣٥).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١١/ ٢٩ ـ ٣٠) بسند صحيح عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾ [الأنفال: ٢].

(٣) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ٢٩٨).

﴿وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾؛ أي: يسترها ولا يُظهرها ولا يعذبهم بها، وقدّم الإدخال على التكفير مع أنّ الأمر بالعكس للمسارعة إلى بيان ما هو المطلب الأعلى، والمقصد الأسنى ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾؛ أي: وكان ذلك الوعد بإدخالهم الجنة، وتكفير سيئاتهم عند الله، وفي حكمه فوزاً عظيماً؛ أي: ظَفَراً بكل مطلوب، ونجاة من كل غمّ، وجلباً لكل نفع ودفعاً لكل ضرّ.

وقوله: ﴿عِندَ اللَّهِ﴾ متعلق بمحذوف[1] على أنه حال من ﴿فَوْزًا﴾؛ لأنه صفة في الأصل، فلما قدم صار حالاً؛ أي: كائناً عند الله، والجملة معترضة بين جزاء المؤمنين، وجزاء المنافقين والمشركين.

ثم لما فرغ مما وعد به صالحي عباده ذكر ما يستحقه غيرهم، فقال: ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ﴾ وهو معطوف على (يدخل)؛ أي: يعذبهم في الدنيا بما يصل إليهم من الهموم، والغموم بسبب ما يشاهدونه من ظهور كلمة الإسلام، وقهر المخالفين له، وبما يصابون به من القهر والقتل والأسر، وفي الآخرة بعذاب جهنم.

[المنافقون أشد عذاباً من الكافرين]:

وفي تقديم[2] المنافقين على المشركين دلالة على أنّهم أشدّ منهم عذاباً، وأحقّ منهم بما وعدهم الله به، ثم وصف الفريقين، فقال: ﴿الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ﴾ وهو ظنهم أن النبيّ ﷺ يُغْلَب، وأن كلمة الكفر تعلو كلمة الإسلام.

ومما ظنوه ما حكاه الله عنهم بقوله: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾ [الفتح: ١٢].

﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾؛ أي: ما يظنونه، ويتربصونه بالمؤمنين دائر عليهم حائق بهم، والمعنى: أنّ العذاب والهلاك الذي يتوقعونه للمؤمنين واقعان عليهم نازلان بهم.

---

(١) «التبيان» (٢/ ١١٦٥)، و«الفريد» (٤/ ٣٢٣)، و«روح المعاني» (٢٥/ ٢٤٦).

(٢) وتقديم المنافقين على المشركين؛ لأنهم أكثر ضرراً على المسلمين، فكأنَّ في تقديم تعذيبهم تعجيل المسَرَّة.
«روح المعاني» (٢٥/ ٢٤٦)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ١٦١).

قال الخليل[١] وسيبويه[٢]: ﴿ٱلسَّوْءِ﴾ هنا: الفساد.

قرأ الجمهور[٣]: ﴿ٱلسَّوْءِ﴾ بفتح السين. وقرأ ابنُ كثير، وأبو عمرو بضمها[٤] ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ لما بيّن سبحانه أن دائرة السوء عليهم في الدنيا بَيّن ما يستحقونه مع ذلك من الغضب واللعنة، وعذاب جهنّم ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ من الملائكة، والإنس، والجنّ، والشياطين ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ كرّر هذه الآية؛ لقصد التأكيد، وقيل: المراد بالجنود هنا: جنود العذاب، كما يفيده التعبير بالعزة هنا مكان العلم هنالك.

وقد أخرج ابن أبي شيبة، وأحمد، وأبو داود، وابن جرير، وابن المنذر، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل» عن مُجمّع بن جارية[٥] الأنصاري قال: «شهدنا الحديبية، فلما انصرفنا عنها حتى بلغنا كُراع الغَميم إذ الناس يُوجفون الأباعر، فقال الناس بعضهم لبعض: ما للناس؟ فقالوا: أوحي إلى رسول الله ﷺ، فخرجنا مع الناس نُوجف، فإذا رسول الله ﷺ على راحلته عند كرُاع الغميم، فاجتمع الناس عليه فقرأ عليهم: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾، فقال رجل: إي رسول الله أو فتح هو؟ قال: إي والذي نفسُ محمد بيده إنه لفتح، فقُسمت خيبر على أهل الحديبية لم يدخل معهم فيها أحد إلّا من شهد الحديبية، فقسمها رسول الله ﷺ ثمانية عشر سهماً، وكان الجيش ألفاً وخمسمائة منهم ثلثمائة فارس، فأعطى الفارس سهمين، وأعطى الراجل سهماً».

وأخرج ابن أبي شيبة، وأحمد، والبخاري في «تاريخه»، وأبو داود، والنسائي، وابن جرير، والطبراني، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل» عن ابن

---

(١) قال في العين (ص٤٥٣): سوء، والسوء: نعت لكل شيء رديء.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢٠).

(٣) «جامع البيان» (٢١/ ٢٤٨)، و«النشر» (٢/ ٢٨٠)، و«التيسير» (ص١١٩)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٥٠٥).

(٤) انظر: المصادر المتقدمة. كما قال الإمام الشوكاني، وهذا في قراءة كلمة (دائرة السوء) أما القراءة في كلمة (ظنَّ السَّوء) فاتفق العشرة على فتح السين.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة (١/ ٤٣٧)، وأحمد رقم (١٥٤٧٠)، وأبو داود رقم (٢٧٣٦، ٣٠١٥)، وابن جرير (٢١/ ٢٤٣، ٢٤٤)، والحاكم (٢/ ١٣١)، والبيهقي (٤/ ١٥٦) وهو حديث ضعيف.

مسعود[١] قال: أقبلنا من الحديبية مع رسول الله ﷺ، فبينا نحن نسير إذ أتاه الوحي، وكان إذا أتاه اشتدّ عليه، فسُرّي عنه، وبه من السرور ما شاء الله، فأخبرنا أنه أنزل عليه: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾.

وأخرج البخاريّ وغيره عن أنس[٢] في قوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ قال: الحديبية.

وأخرج البخاريّ، وغيره عن البراء[٣] قال: تعدّون أنتم الفتح فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحاً، ونحن نعدّ الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية.

وأخرج ابن مردويه[٤] عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ قال: فتح مكة».

وأخرج البخاريّ، ومسلم، وغيرهما عن المغيرة بن شعبة[٥] قال: «كان النبي ﷺ يصلي حتّى تتورم قدماه، فقيل له: أليس قد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخر، قال: أفلا أكون عبداً شكوراً»، وفي الباب أحاديث.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، والطبراني، وابن مردويه والبيهقي في «الدلائل» عن ابن عباس[٦] في قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال: السكينة: هي الرحمة وفي قوله: ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ﴾ قال: إنّ الله بعث نبيه بشهادة أن لا إلٰه إلّا الله، فلما صدّق بها المؤمنون زادهم الصلاة، فلما صدّقوا بها زادهم الصيام، فلما صدّقوا به زادهم الزكاة، فلما صدّقوا بها زادهم الحجّ، فلما

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (١٤/٤٥٣، ٤٥٤)، وأحمد رقم (٣٧١٠، ٤٤٢١)، والبخاري في «تاريخه» (٥/٢٥١)، وأبو داود رقم (٤٤٧)، والنسائي في «الكبرى» رقم (٨٨٥٣)، وابن جرير (٢١/٢٣٩)، والطبراني رقم (١٠٥٤٨)، والبيهقي (٤/١٥٥) وهو حديث صحيح.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٤٨٣٤)، وابن أبي شيبة (١٤/٤٢٩)، وابن جرير (٢١/٢٤٢)، والبيهقي (٤/١٥٧).

(٣) أخرجه البخاري رقم (٤١٥٠)، وابن جرير (٢١/٢٤٣).

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/٥١٠).

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة (٢/٤٧٥)، وأحمد رقم (١٨١٩٨)، والبخاري رقم (٤٨٣٦)، ومسلم رقم (٢٨١٩)، والترمذي رقم (٤١٢)، والنسائي رقم (١٦٤٣)، وابن ماجه رقم (١٤١٩).

(٦) أخرجه ابن جرير (٢١/٢٤٥ ـ ٢٤٦)، والطبراني رقم (١٣٠٢٨)، والبيهقي (٤/١٦٨).
وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/١٠٧): فيه عبد الله بن صالح قيل فيه: ثقة مأمون، وقد ضُعِّف.

صدّقوا به زادهم الجهاد، ثم أكمل لهم دينهم، فقال: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣]. قال ابن عباس: «فأوثق إيمان أهل السماء، وأهل الأرض، وأصدقه وأكمله: شهادة أن لا إله إلّا الله».

وأخرج ابن مردويه[(١)] عن ابن مسعود ﴿لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ﴾ قال: تصديقاً مع تصديقهم.

وأخرج البخاري، ومسلم، وغيرهما عن أنس[(٢)] قال: لما أنزل على النبي ﷺ: ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ مَرجِعَه من الحديبية. قال: «لقد أنزلت علي آية هي أحبّ إليّ مما على الأرض، ثم قرأها عليهم، فقالوا: هنيئًا مريئًا يا رسول الله، قد بيّن الله لك ماذا يفعل بك، فماذا يفعل بنا؟ فنزلت عليه: ﴿لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ حتى بلغ: ﴿فَوۡزًا عَظِيمٗا﴾».

[بيعة الرضوان]:

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٨﴾ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿١٠﴾﴾.

[المخلفون من الأعراب والرد عليهم]:

﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ شَغَلَتۡنَآ أَمۡوَٰلُنَا وَأَهۡلُونَا فَٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَاۚ يَقُولُونَ بِأَلۡسِنَتِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ ضَرًّا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ نَفۡعَۢاۚ بَلۡ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرَۢا ﴿١١﴾ بَلۡ ظَنَنتُمۡ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهۡلِيهِمۡ أَبَدٗا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمۡ وَظَنَنتُمۡ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ وَكُنتُمۡ قَوۡمَۢا بُورٗا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمۡ يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَعِيرٗا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٥١٤).

(٢) أخرجه البخاري رقم (٤١٧٢)، ومسلم رقم (١٧٨٦)، والترمذي رقم (٣٢٦٣)، وابن جرير (٢١/ ٢٤١)، وأبو نعيم (١/ ٣٨ رقم ٢٥)، وابن أبي شيبة (١٤/ ٥٠١)، وأحمد رقم (١٣٠٣٥).

﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ١٤ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَاۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ١٥﴾.

قوله: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا﴾؛ أي: على أمتك بتبليغ الرسالة إليهم ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ بالجنة للمطيعين ﴿وَنَذِيرًا﴾ لأهل المعصية.

﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ قرأ الجمهور[1]: «لتؤمنوا» بالفوقية. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو بالتحتية[2]، فعلى القراءة الأولى: الخطاب لرسول الله ﷺ ولأمته، وعلى القراءة الثانية المراد: المبشرين والمنذرين، وانتصاب[3] شاهداً ومبشراً ونذيراً على الحال المقدرة.

﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ﴾ الخلاف بين القراء في هذه الثلاثة الأفعال كالخلاف في ﴿لِّتُؤْمِنُوا۟﴾ كما سلف، ومعنى تُعزّروه: تعظموه وتفخموه؛ قاله الحسن[4]، والكلبي، والتعزير: التعظيم والتوقير.

وقال قتادة[5]: تنصروه وتمنعوا منه. وقال عكرمة[6]: تقاتلون معه بالسيف، ومعنى توقروه: تعظموه[7]. وقال السديّ[8]: تسوّدوه، قيل: والضميران في الفعلين للنبي ﷺ وهنا وقف تام، ثُم يبتدئ وتسبّحوه؛ أي: تسبحوا الله ﷻ.

﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾؛ أي: غدوةً وعشية، وقيل: الضمائر كلها في الأفعال

---

(١) «النشر» (٢/ ٣٧٥)، و«التيسير» (ص٢٠١)، و«زاد المسير» (٧/ ٤٣٧)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٨٠).
(٢) انظر: المصادر المتقدمة.
(٣) «الفريد» (٤/ ٣٢٣)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٣١٠).
(٤) «النكت والعيون» (٥/ ٣١٣).
(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٣٠٤).
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٢٥٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٨٥ رقم ٨٣٥٧) من طريق شعبة، به.
(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٢٥١)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٢٦) عن قتادة بسند صحيح.
(٨) «النكت والعيون» (٥/ ٣١٣).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٢٥١) بسند صحيح عن قتادة.

الثلاثة لله ﷻ، فيكون معنى تعزّروه وتوقروه: تثبتون له التوحيد، وتنفون عنه الشركاء، وقيل: تنصروا دينَه وتجاهدوا مع رسوله.

وفي التسبيح وجهان(١).

أحدهما: التنزيه له سبحانه من كل قبيح.

والثاني: الصلاة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ يعني: بيعة الرضوان بالحديبية، فإنهم بايعوا تحت الشجرة على قتال قريش ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ أخبر سبحانه أن هذه البيعة لرسوله ﷺ هي بيعة له كما قال: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] وذلك؛ لأنهم باعوا أنفسَهم مِنْ الله بالجنة.

وجملة: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ مستأنفة لتقرير ما قبلها على طريق التخييل، في محل نصب(٢) على الحال، والمعنى: أنّ عقد الميثاق مع رسول الله ﷺ كعقده مع الله سبحانه من غير تفاوت.

وقال الكلبي(٣): المعنى: إنّ نعمة الله عليهم في الهداية فوق ما صنعوا من البيعة. وقيل: يده في الثواب فوق أيديهم في الوفاء(٤).

وقال ابن كيسان(٥): قوّة الله ونصرته فوق قوّتهم ونصرتهم.

﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾؛ أي: فمن نقض ما عقد من البيعة، فإنما ينقض على نفسه؛ لأنّ ضرر ذلك راجع إليه لا يجاوزه إلى غيره ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ﴾؛ أي: ثبت على الوفاء بما عاهد الله عليه في البيعة لرسوله.

قرأ الجمهور(٦): ﴿عَلَيْهِ﴾ بكسر الهاء وقرأ حفص والزهري بضمها(٧).

---

(١) «النكت والعيون» (٥/ ٣١٣ ـ ٣١٤).

(٢) «التبيان» (٢/ ١١٦٥)، و«الفريد» (٤/ ٣٢٤)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٣١٠).

(٣) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٠٠).

(٤) ذكره الزجاج في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٥٢).

(٥) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٣٦).

(٦) «النشر» (١/ ٣٠٤ ـ ٣٠٥)، و«التيسير» (ص١٤٤)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٦٦، ٢٨٠، ٢٨١).

(٧) انظر: المصادر المتقدمة.

﴿فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ وهو الجنّة. قرأ الجمهور[١]: «فسيؤتيه» بالتحتية، وقرأ نافع، وابنُ كثير، وابن عامر بالنون[٢]، واختار القراءة الأولى أبو عُبيد[٣]، وأبو حاتم، واختار القراءة الثانية الفراء.

﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ هم الذين خلّفهم الله عن صحبة رسوله حين خرج عام الحديبية.

قال مجاهد[٤]، وغيره يعني: أعراب غِفار، ومُزينة، وجُهينة، وأَسْلَم، وأَشْجع، والدِّئل، وهم الأعراب الذين كانوا حول المدينة.

وقيل: تخلّفوا عن رسول الله ﷺ حين سافر إلى مكة[٥] عام الفتح بعد أن كان قد استنفرهم ليخرجوا معه، [٤/ ٧٨] والمخلَّف: المتروك ﴿شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا﴾؛ أي: منعنا عن الخروج معك ما لنا من الأموال، والنساء، والذراري، وليس لنا من يقوم بهم، ويخلفنا عليهم ﴿فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ ليغفر الله لنا ما وقع منا من التخلف عنك بهذا السبب.

ولما كان طلب الاستغفار منهم ليس عن اعتقاد بل على طريقة الاستهزاء، وكانت بواطنهم مخالفة لظواهرهم، فضحهم الله سبحانه بقوله: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾ وهذا هو صنيع المنافقين، والجملة مستأنفة لبيان ما تنطوي عليه بواطنهم، ويجوز أن تكون بدلاً من الجملة الأولى.

ثم أمر الله سبحانه رسوله ﷺ أن يجيب عنهم، فقال: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾؛ أي: فمن يمنعكم مما أراده الله بكم من خير وشرّ، ثم بيّن ذلك، فقال: ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا﴾؛ أي: إنزال ما يضركم من ضياع الأموال وهلاك الأهل. قرأ الجمهور[٦]: «ضَرًّا» بفتح الضاد، وهو مصدر ضررته ضرًّا.

---

(١) «البحر المحيط» (٩/ ٤٨٧)، و«النشر» (٢/ ٣٧٥)، و«التيسير» (ص٢٠١)، و«معاني القرآن وإعرابه» للزجاج (٥/ ٢٢).

(٢) «البحر المحيط» (٩/ ٤٨٧)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٨٠)، و«النشر» (٢/ ٣٧٥)، و«التيسير» (ص٢٠١). ومع منْ يقرأ بالنون أبو جعفر.

(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٣٠٦).

(٤) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٠٠) عن ابن عباس ومجاهد.

(٥) «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٣٠٧).

(٦) «روح المعاني» (٢٥/ ٢٥٤)، و«التيسير» (ص٢٠١)، و«النشر» (٢/ ٣٧٥)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٨١).

وقرأ حمزة، والكسائي بضمها[١] وهو اسم ما يضرّ، وقيل: هما لغتان ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا﴾؛ أي: نصراً وغنيمة.

وهذا ردّ عليهم حين ظنوا أنّ التخلف عن رسول الله ﷺ يدفع عنه الضرّ، ويجلب لهم النفع.

ثم أضرب سبحانه عن ذلك، وقال: ﴿بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾؛ أي: إن تخلفكم ليس لما زعمتم، بل كان الله خبيراً بجميع ما تعملونه من الأعمال التي من جملتها تخلّفكم، وقد علم أن تخلفكم لم يكن لذلك، بل للشك والنفاق وما خطر لكم من الظنون الفاسدة الناشئة عن عدم الثقة بالله؛ ولهذا قال: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾ وهذه الجملة مفسرة لقوله: ﴿بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ لما فيها من الإبهام؛ أي: بل ظننتم أن العدوّ يستأصل[٢] المؤمنين بالمرة، فلا يرجع منهم أحد إلى أهله، فلأجل ذلك تخلفتم لا لما ذكرتم من المعاذير الباطلة.

﴿وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ﴾؛ أي: وزيّن الشيطان ذلك الظن في قلوبكم فقبلتموه.

قرأ الجمهور[٣]: «وزُيّن» مبنيّاً للمفعول، وقرئ مبنيّاً للفاعل[٤].

﴿وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ﴾ أن الله سبحانه لا ينصر رسوله، وهذا الظن إما هو الظنّ الأوّل، والتكرير للتأكيد والتوبيخ[٥]، والمراد به: ما هو أعمّ من الأوّل، فيدخل الظنّ الأوّل تحته دخولاً أوّلياً ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾؛ أي: هَلْكى، قال الزجاج[٦]: هالكين عند الله، وكذا قال مجاهد[٧].

---

(١) انظر: المصادر المتقدمة.

(٢) قال البغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٠١): وذلك قولهم: إن محمَّداً وأصحابه أكلةُ رأس فلا يرهبون.
وقولهم: هم أكلةُ رأس؛ أي: هم قليلٌ يشبطهم رأسٌ واحد.

(٣) «البحر المحيط» (٩/ ٤٨٨)، و«روح المعاني» (٢٥/ ٢٥٦)، و«الدر المصون» (٦/ ١٦١).

(٤) انظر: المصادر المتقدمة. القراءة على البناء للفاعل شاذة.

(٥) «روح المعاني» (٢٥/ ٢٥٧)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ١٦٤).

(٦) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢١).

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٢٦٠) بسند صحيح.

قال الجوهري[(١)]: البور: الرجل الفاسد الهالك الذي لا خير فيه. قال أبو عبيد[(٢)]: ﴿قَوْمًا بُورًا﴾ هلكى، وهو جمع[(٣)] بائر، مثل حائل وحول، وقد بار فلان؛ أي: هلك، وأباره الله: أهلكه.

﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾ هذا الكلام مستأنف من جهة الله سبحانه غير داخل تحت ما أمر الله سبحانه رسولَه أن يقوله؛ أي: ومَنْ لم يؤمن بهما، كما صنع هؤلاء المخلفون فجزاؤهم ما أعدّه الله لهم من عذاب السعير.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يتصرّف فيه كيف يشاء لا يحتاج إلى أحد من خلقه، وإنما تعبّدهم بما تعبدهم ليثيب مَنْ أحسن، ويُعاقب مَنْ أساء؛ ولهذا قال: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ أن يغفر له ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ أن يعذبه ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾؛ أي: كثير المغفرة والرحمة بليغهما، يخص بمغفرته ورحمته مَنْ يشاء من عباده.

﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا﴾ المخلّفون هؤلاء المذكورون سابقاً، والظرف متعلق بقوله: ﴿سَيَقُولُ﴾ والمعنى: سيقولون عند انطلاقكم أيها المسلمون ﴿إِلَىٰ مَغَانِمَ﴾ يعني: مغانم خيبر ﴿لِتَأْخُذُوهَا﴾ لتحوزوها ﴿ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾؛ أي: اتركونا نتبعكم، ونَشْهد معكم غزوة خيبر.

وأصل القصة أنّه لما انصرف النبي ﷺ ومَنْ معه من المسلمين من الحديبية وعدهم الله فتح خيبر، وخصّ بغنائمها مَنْ شهد الحديبية، فلما انطلقوا إليها قال هؤلاء المخلفون: ذرونا نتبعكم، فقال الله سبحانه: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾؛ أي: يغيّروا كلام الله، والمراد بهذا الكلام الذي أرادوا أن يبدّلوه: هو مواعيد الله لأهل الحديبية خاصة بغنيمة خيبر.

وقال مقاتل[(٤)]: يعني: أمر الله لرسوله أن لا يسيّر معه أحد منهم. وقال ابن

---

(١) في «الصحاح» (٢/ ٥٩٧).

(٢) في «الصحاح»: (أبو عبيدة). وهو عنده في «مجاز القرآن» (٢/ ٢١٧).

(٣) «تهذيب اللغة» (١٥/ ٢٦٥)، و«مفردات ألفاظ القرآن» (ص١٥٢ ـ ١٥٣).

(٤) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٣٨).

زيد[1]: هو قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا﴾ [التوبة: ٨٣] واعترض هذا ابن جرير[2]، وغيره بأن غزوة تبوك كانت بعد فتح خيبر، وبعد فتح مكة، والأوّل أولى، وبه قال مجاهد[3]، وقتادة[4]، ورجحه ابن جرير[5]، وغيره.

قرأ الجمهور[6]: «كلام الله» وقرأ حمزة، والكسائي: «كَلِم الله»[7].

قال الجوهري[8]: الكلام اسم جنس يقع على القليل والكثير، والكلم لا يكون أقلّ من ثلاث كلمات؛ لأنّه جمع كَلْمة مثل نَبْقة ونَبِقْ.

ثم أمر الله سبحانه رسوله ﷺ أن يمنعهم من الخروج معه، فقال: ﴿قُل لَّن تَتَّبِعُونَا﴾ هذا النفي هو في معنى النهيّ، والمعنى: لا تتبعونا.

﴿كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾؛ أي: مِنْ قبل رجوعنا من الحديبية أن غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية خاصةً ليس لغيرهم فيها نصيب ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾ يعني: المنافقين عند سماع هذا القول، وهو قوله: ﴿لَّن تَتَّبِعُونَا﴾ ﴿بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾؛ أي: بل ما يمنعكم من خروجنا معكم إلّا الحسد؛ لئلا نشارككم في الغنيمة، وليس ذلك بقول الله كما تزعمون.

ثم ردّ الله سبحانه عليهم بقوله: ﴿بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾؛ أي: لا يعلمون إلّا علماً قليلاً، وهو علمهم بأمر الدنيا، وقيل: لا يفقهون من أمر الدين إلّا فقهاً قليلاً، وهو ما يصنعونه نفاقاً بظواهرهم دون بواطنهم.

وقد أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[9]

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٢٦٣) بسند صحيح.
(٢) في «جامع البيان» (٢١/ ٢٦١).
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٢٦١ ـ ٢٦٢) بسند صحيح.
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٢٦٢) بسند صحيح.
(٥) في «جامع البيان» (٢١/ ٢٦١).
(٦) «جامع البيان» (٢١/ ٢٦٤)، و«النشر» (٢/ ٣٧٥)، و«التيسير» (ص٢٠١)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٨١).
(٧) انظر: المصادر المتقدمة. القراءة بفتح الكاف وكسر اللّام متواترة وقرأ بها أيضاً خلف.
(٨) في «الصحاح» (٥/ ٢٠٢٣).
(٩) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٥١٦). =

في قوله: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾ يعني: الإجلال ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ يعني: التعظيم، يعني: محمداً ﷺ.

وأخرج ابن أبي حاتم، والحاكم، وابن مردويه، والضياء في «المختارة» عنه[1] في قوله: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾ قال: تضربوا بين يديه بالسيف.

وأخرج ابن عديّ، وابن مردويه، والخطيب، وابن عساكر في «تاريخه» عن جابر بن عبد الله[2] قال: «لما أنزلت على رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾ قال لأصحابه: ما ذاك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: لتنصروه».

وأخرج أحمد، وابن مردويه عن عبادة بن الصامت[3] قال: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في النشاط والكسل، وعلى النفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أَنّ نقول في الله لا تأخذنا فيه لومة لائم، وعلى أن ننصره إذا قدم علينا يثرب، فنمنعه ممّا نمنع منه أنفسنا، وأزواجنا، وأبناءنا، ولنا الجنّة، فمَنْ وفّى وفى الله له، ومَنْ نكث فإنما ينكث على نفسه».

وفي «الصحيحين» من حديث جابر[4]: «أنهم كانوا في بيعة الرضوان خمس عشرة مائة». وفيهما عنه: أنهم كانوا أربع عشرة مائة.

وفي البخاري[5] من حديث قتادة عن سعيد بن المسيب أنه سأله كم كانوا في بيعة الرضوان؟ قال: خمس عشرة مائة، فقال له: إن جابراً قال: كانوا أربع عشرة مائة، قال رحمه الله: وهِم هو حدثني أنّهم كانوا خمس عشرة مائة.

= أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٣) بسند ضعيف.

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٦٠)، و«الضياء» (١٠/ ٩٢ رقم ٨٨).

(٢) أخرجه ابن عدي (١/ ١١٠)، و«الخطيب في تاريخه» (٦/ ٩٥) (١١/ ١١٣، ١١٤)، وابن عساكر (٦/ ٤١٢).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» رقم (٢٢٦٧٩، ٢٢٧٠٠، ٢٢٧١٦، ٢٢٧٢٥) وهو حديث صحيح.

(٤) أخرجه البخاري رقم (٤١٥٤)، ومسلم رقم (٧١/ ١٨٥٦)، والبيهقي (٤/ ٩٧).

(٥) أخرجه البخاري رقم (٤١٥٣).

[أصحاب الأعذار الحقيقية الذين يحق لهم التخلف عن الجهاد، بلا حرج ولا عقاب]:

﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾﴾.

[بيعة الرضوان]:

﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾﴾.

قوله: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ هم المذكورون سابقاً ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ قال عطاء بن أبي رباح(١)، ومجاهد(٢)، وابن أبي ليلى(٣)، وعطاء(٤) الخراساني: هم فارس. وقال كعب(٤)، والحسن(٥): هم الروم.

وروي عن الحسن(٥) أيضاً أنه قال: هم فارس، والروم.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/٢٦٦) من طريق ابن أبي نجيح عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/٢٦٦ ـ ٢٦٧) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/٢٦٦) من طريق ثابت البُناني، به.

(٤) «النكت والعيون» (٥/٣١٥ ـ ٣١٦)، و«زاد المسير» (٧/٤٣١).

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/٢٦٦)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/٢٢٦) بسند صحيح.

وقال سعيد بن جبير[(١)]: هم هوازن وثَقيف.

وقال عكرمة[(١)]: هوازن. وقال قتادة[(٢)]: هوازن وغطفان يوم حنين.

وقال الزهري[(٣)] ومقاتل[(٤)]: هم بنو حَنيفة أهل اليمامة أصحاب مسيلمة، وحكى هذا القول الواحدي[(٥)] عن أكثر المفسِّرين ﴿تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾؛ أي: يكون أحد الأمرين:

إما المقاتلة أو الإسلام لا ثالث لهما، وهذا حكم الكفّار الذين لا تؤخذ منهم الجزية.

قال الزجاج[(٦)]: التقدير: أو هم يسلمون، وفي قراءة[(٧)] أُبيّ «أو يسلموا»؛ أي: حتى يسلموا.

﴿فَإِن تُطِيعُواْ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا﴾ وهو الغنيمة في الدنيا، والجنّة في الآخرة ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ﴾؛ أي: تُعْرضوا ﴿كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ﴾ وذلك عام الحديبية ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ بالقتل والأسر والقهر في الدنيا، وبعذاب النار في الآخرة؛ لتضاعف جرمكم.

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾؛ أي: ليس على هؤلاء المعذورين بهذه الأعذار حرج في التخلف عن الغزو لعدم استطاعتهم.

قال مقاتل[(٨)]: عذر الله أهل الزّمانة الذين تخلفوا عن المسير إلى الحديبية بهذه الآية، والحرج: الإثم.

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ فيما أمراه به ونهياه عنه ﴿يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ قرأ الجمهور[(٩)]: «يُدْخله» بالتحتية، واختار هذه القراءة أبو حاتم[(١٠)]، وأبو

---

(١) أخرجه عنهما ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٢٦٧) من طريق شعبة، به.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٢٦٧) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٢٦٨) من طريق سلمة، به.

(٤) «النكت والعيون» (٥/ ٣١٦)، و«زاد المسير» (٧/ ٤٣١).

(٥) في «الوسيط» (٤/ ١٣٩).

(٦) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢١).

(٧) «القراءات الشاذة» (ص١٤٢)، و«روح المعاني» (٢٥/ ٢٦٥). وهي قراءة شاذة مخالفة للرسم.

(٨) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٣٩).

(٩) «التيسير» (ص٢٠١)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٣٨١)، و«حجة القراءات» (ص٦٧٤).

(١٠) ذكره عنهم القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٣١٣).

عبيد، وقرأ نافع، وابن عامر بالنون[١].

﴿وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾؛ أي: ومن يُعْرِض عن الطاعة يعذبه الله عذاباً شديد الألم.

ثم ذكر سبحانه الذين أخلصوا نياتهم، وشهدوا [٤/٧٩] بيعة الرضوان، فقال: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾؛ أي: رضي الله عنهم وقت تلك البيعة، وهي بيعة الرضوان وكانت بالحديبية، والعامل في ﴿تَحْتَ﴾ إما يبايعونك أو محذوف[٢] على أنه حال من المفعول، وهذه الشجرة المذكورة هي شجرة كانت بالحديبية وقيل: سِدْرة، وكانت البيعة على أن يقاتلوا قريشاً ولا يفرّوا.

وروي أنه بايعهم على الموت، وقد تقدّم ذكر عدد أهل هذه البيعة قريباً، والقصة مبسوطة في كتب الحديث[٣] والسير ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ معطوف على يبايعونك، قال الفراء[٤]: أي: علم ما في قلوبهم من الصدق والوفاء.

وقال قتادة[٥] وابن جريج[٦]: من الرضى بأمر البيعة على أن لا يفرّوا. وقال مقاتل[٧]: من كراهة البيعة على الموت.

﴿فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ معطوف على رضي، و﴿ٱلسَّكِينَةَ﴾: الطمأنينة وسكون النفس كما تقدّم، وقيل: الصبر ﴿وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ هو فتح خيبر عند انصرافهم من الحديبية قاله قتادة[٨] وابن أبي ليلى[٩] وغيرهما.

وقيل: فتح مكة، والأوّل أولى.

﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾؛ أي: وأثابكم مغانم كثيرة أو وآتاكم، وهي غنائم

---

(١) «التيسير» (ص٢٠١)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٣٨١). وبها قرأ أبو جعفر.
(٢) «روح المعاني» (٢٥/ ٢٧٣).
(٣) «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٣٠٩)، و«فتح الباري» (٥/ ٣٣٤).
(٤) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٦٧).
(٥) «المحرر الوجيز» (١٥/ ١٠٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٣١٩).
(٦) انظر: التعليقة المتقدمة.
(٧) «النكت والعيون» (٥/ ٣١٦).
(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٢٧٨) بسند صحيح.
(٩) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٢٧٨) بسند صحيح.

خيبر، والالتفات لتشريفهم بالخطاب ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾؛ أي: غالباً مصدراً أفعاله وأقواله على أسلوب الحكمة.

﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ في هذا وعد منه سبحانه لعباده المؤمنين بما سيفتحه عليهم من الغنائم إلى يوم القيامة، يأخذونها في أوقاتها التي قُدّر وقوعها فيها.

﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾؛ أي: غنائم خيبر قاله مجاهد[١] وغيره، وقيل: صلح الحديبية ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾؛ أي: وكفّ أيدي قريش عنكم يوم الحديبية بالصلح، وقيل: كفّ أيدي أهل خيبر وأنصارهم عن قتالكم، وقذف في قلوبهم الرعب.

وقال قتادة[٢]: كفّ أيدي اليهود عن المدينة بعد خروج النبيّ ﷺ إلى الحديبية وخيبر، ورجح هذا ابن جرير[٣]، قال: لأن كف أيدي الناس بالحديبية مذكور في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ وقيل: ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾ يعني: عيينة بن حِصْن الفَزَاري[٤]، وعوف بن مالك النضري ومن كان معهما؛ إذ جاءوا لينصروا أهل خيبر عند حصار النبيّ ﷺ لهم ﴿وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ اللام يجوز[٥] أن تتعلّق بفعل محذوف يقدّر بعده؛ أي: فَعَل ما فعل مِنْ التعجيل والكفّ؛ لتكون آيةً، أو على علة محذوفة تقديرها: وعد فعجل وكفّ لتنتفعوا بذلك ولتكون آية.

وقيل: إن الواو مزيدة[٦]، واللام لتعليل ما قبله؛ أي: وكفّ لتكون؛ والمعنى: ذلك الكفّ آية يعلم بها صدق رسول الله ﷺ في جميع ما يعدكم به.

﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾؛ أي: يزيدكم بتلك الآية هدى أو يثبتكم على الهداية إلى طريق الحقّ.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٢٨٠) بسند صحيح.
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٢٨٢) بسند صحيح.
(٣) في «جامع البيان» (٢١/ ٢٨٢).
(٤) «إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ٢٠١)، و«زاد المسير» (٧/ ٤٣٦).
(٥) «الفريد» (٤/ ٣٢٦)، و«روح المعاني» (٢٥/ ٢٧٧ ـ ٢٧٨).
(٦) «روح المعاني» (٢٥/ ٢٧٨)، و«الفريد» (٤/ ٣٢٦)، و«الإنصاف في مسائل الخلاف» لأبي البركات الأنباري (٢/ ٤٥٦).

﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُواْ عَلَيْهَا﴾ معطوف على (هذه)؛ أي: فعجّلَ لكم هذه المغانم، ومغانم أخرى لم تقدروا عليها، وهي الفتوح التي فتحها الله على المسلمين من بعد كفارس والروم ونحوهما، كذا قال الحسن، ومقاتل، وابن أبي ليلى، وقال الضحاك، وابن زيد، وابن أبي إسحاق: هي خيبر وعدها الله نبيه قبل أن يفتحها ولم يكونوا يرجونها[(١)].

وقال قتادة[(١)]: فتح مكة، وقال عكرمة: حنين، والأوّل أولى.

﴿قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ صفة ثانية لـ(أُخْرَى). قال الفراء[(٢)]: أحاط الله بها لكم حتى تفتحوها وتأخذوها، والمعنى: أنه أعدّها لهم، وجعلها كالشيء الذي قد أحيط به من جميع جوانبه فهو محصور لا يفوت منه شيء، فهم وإن لم يقدروا عليها في الحال فهي محبوسة لهم لا تفوتهم.

وقيل: معنى أحاط: علم أنها ستكون لهم.

[سنة كونية ثابتة لا تتبدل ولا تتغير]:

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ لا يعجزه شيء ولا تختصّ قدرته ببعض المقدورات دون بعض ﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَلَّوُاْ ٱلْأَدْبَٰرَ﴾ قال قتادة[(٣)]: يعني: كفار قريش بالحديبية، وقيل: أسد وغطفان الذين أرادوا نصر أهل خيبر، والأوّل أولى ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾ يواليهم على قتالكم ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ ينصرهم عليكم.

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ﴾؛ أي: طريقتُه وعادته التي قد مضت في الأمم مِنْ نصر أوليائه على أعدائه، وانتصاب[(٤)] ﴿سُنَّةَ﴾ على المصدرية بفعل محذوف؛ أي: بيّن الله سنة الله، أو هو مصدر مؤكد لمضمون الجملة المتقدّمة ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾؛ أي: لن تجد لها تغييراً بل هي مستمرّة ثابتة.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾؛ أي: كفّ أيدي المشركين عَنْ المسلمين وأيدي المسلمين عن المشركين لما جاءوا يصدّون رسول الله ﷺ، ومَنْ معه عن البيت عام الحديبية، وهي المراد ببطن مكة.

---

(١) تقدم تخريج هذه الأقوال.
(٢) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٦٧).
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٢٨٧) بسند صحيح.
(٤) «روح المعاني» (٢٥/ ٢٨٠)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٣١١)، و«التبيان» (٢/ ٨٣٠).

وقيل: إنّ ثمانين[١] رجلاً من أهل مكة هبطوا على النبي ﷺ مِنْ قِبل جبل التنعيم متسلّحين يريدون غرّة النبي ﷺ، فأخذهم المسلمون، ثم تركوهم. وفي الرواية اختلاف سيأتي بيانه آخر البحث إن شاء الله.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ لا يخفى عليه من ذلك شيء.

وقد أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «الدلائل» عن ابن عباس[٢] في قوله: ﴿أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ يقول: فارس.

وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي هريرة[٣] أنهم الأكراد.

وأخرج ابن مردويه[٤] عن ابن عباس قال: فارس والروم.

وأخرج الفريابي، وابن مردويه[٥] عنه قال: هوازن وبني حنيفة.

وأخرج الطبراني، قال السيوطي[٦]: بسند حسنٍ عن زيد بن ثابت[٧] قال: كنتُ أكتب لرسول الله ﷺ، وإني لواضع القلم على أذني إذْ أمر بالقتال، إذ جاء أعمى، فقال: «كيفَ لي وأنا ذاهب البصر؟ فنزلت ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ الآية». قال: هذا في الجهاد، وليس عليهم من جهاد إذا لم يطيقوا.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن سلمة بن الأكوع[٨] قال: «بينا نحن قائلون إذْ نادى منادي رسول الله ﷺ: أيها الناس البيعة البيعة نزل روح القدس، فثرنا إلى رسول الله ﷺ، وهو تحت شجرة سمرة، فبايعناه، فذلك قول الله

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» رقم (١٨٠٨)، وأحمد رقم (١٢٢٥٤)، والترمذي رقم (٣٢٦٤) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٢٦٦)، والبيهقي (٤/ ١٦٥) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٣/ ١٠٤) ـ بسند جيد.

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٥٢٠).

(٥) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٥٢٠).
أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٢٦٨) من طريق شعبة عن هشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير وعكرمة.

(٦) في «الدر المنثور» (٧/ ٥٢١).

(٧) أخرجه الطبراني رقم (٤٩٢٦) وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٠٧) وفيه محمد بن جابر السحيمي وهو ضعيف يكتب حديثه، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٢٧٣، ٢٧٤)، وابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٣/ ١٠٥ ـ ١٠٦) ـ. سنده ضعيف لضعف موصى بن عبيدة.

تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ فبايع لعثمان إحدى يديه على الأخرى، فقال الناس: هنيئًا لابن عفّان يطوف بالبيت ونحن ها هنا، فقال رسول الله ﷺ: لو مكث كذا وكذا سنة ما طاف حتّى أطوف».

[قطع عمر الشجرة سدّاً للذرائع]:

وأخرج ابنُ أبي شيبة في «المُصنّف» عَنْ نافع[١] قال: بلغ عمر بن الخطاب أن ناساً يأتون الشجرة التي بُويع تحتها، فأمر بها فقطعت.

وأخرج البخاري[٢] عن سلمة بن الأكوع قال: بايعت رسول الله ﷺ تحت الشجرة، قيل: على أي شيء كنتم تبايعونه يومئذ؟ قال: على الموت.

وأخرج مسلم[٣]، وغيره عن جابر قال: بايعناه على أن لا نفرّ، ولم نبايعه على الموت.

وأخرج أحمد، وأبو داود، والترمذي عن جابر[٤]، عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة».

وأخرج مسلم[٥] من حديثه مثله.

وأخرج ابن أبي حاتم[٦] عن ابن عباس ﴿فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ قال: إنما أنزلت السكينة على مَنْ علم منه الوفاء.

وأخرج ابن جرير، وابن مردويه عنه[٧] ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾ يعني: الفتح.

وأخرج ابن مردويه[٨] عنه أيضاً ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾ يعني: خيبر ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾ يعني: أهل مكة أَنْ يستحلّوا حرم الله، ويستحلّ بكم وأنتم حرم ﴿وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال: سُنَّة لمن بعدكم.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢/ ٣٧٥).
(٢) أخرجه البخاري رقم (٤١٦٩).
(٣) أخرجه مسلم رقم (١٨٥١)، وابن جرير (٢١/ ٢٧٥، ٢٧٦).
(٤) أخرجه أحمد رقم (١٤٧٧٨)، وأبو داود رقم (٤٦٥٣)، والترمذي رقم (٣٨٦٠) وهو حديث صحيح.
(٥) أخرجه مسلم في «صحيحه» رقم (٢٤٩٦).
(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٥٢٣).
(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٢٨١) بسند ضعيف.
(٨) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٥٢٥).

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل» عنه[١] أيضاً في قوله: ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا﴾ قال: هذه الفتوح التي تفتح إلى اليوم.

وأخرج ابن جرير، وابن مردويه عنه[٢] أيضاً ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا﴾ قال: هي خيبر.

وأخرج ابن أبي شيبة، وأحمد، وعبد بن حميد، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل» عن أنس[٣] قال: لما كان يوم الحديبية، هبط على رسول الله ﷺ وأصحابه ثمانون رجلاً من أهل مكة في السلاح من قبل جبال التنعيم يريدون غرّة رسول الله ﷺ، فدعا عليهم فأُخذوا فعفا عنهم، فنزلت هذه الآية: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾. وفي «صحيح مسلم»[٤]، وغيره: أنها نزلت في نفر أسرَهم سلمةُ بن الأكوع يوم الحديبية.

وأخرج أحمد، والنسائي، والحاكم وصححه، وابن مردويه، وأبو نعيم في «الدلائل»[٥] في سبب نزول الآية: «أن ثلاثين شابّاً من المشركين خرجوا يوم الحديبية على المسلمين في السلاح، فثاروا في وجوههم، فدعا عليهم رسول الله ﷺ، فأخذ الله بأسماعهم ـ ولفظ الحاكم ـ بأبصارهم، فقام إليهم المسلمون فأخذوهم،

---

(١) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٥٢٥ ـ ٥٦).
أخرجه البيهقي في «الدلائل» (١/ ١٦٣).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٢٨٥) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (١٤/ ٤٩٢)، وأحمد رقم (٢٢٢٧، ٤٠٩٠)، وعبد بن حميد رقم (١٢٠٦ ـ المنتخب)، ومسلم رقم (١٨٠٨)، وأبو داود رقم (٢٦٨٨)، والترمذي رقم (٣٢٦٤)، والنسائي في «الكبرى» رقم (١١٥١٠)، وابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٢٩٠)، والبيهقي (٤/ ١٤١).

(٤) أخرجه مسلم رقم (١٨٠٧)، وأحمد رقم (١٦٥١٨)، والطبراني رقم (٦٢٤٦)، والبيهقي (٤/ ١١١).

(٥) أخرجه ابن جرير (٢١/ ٢٨٨)، وأحمد رقم (١٦٨٠٠)، والنسائي في «السنن الكبرى» رقم (١١٥١١)، والحاكم (٢/ ٤٦٠، ٤٦١) عن عبد الله بن مغفل.

فقال لهم رسول الله ﷺ: هل جئتم في عهد أحد، أو هل جعل لكم أحد أماناً؟ فقالوا: لا، فخلى سبيلهم، فنزلت هذه الآية».

[الصد عن المسجد الحرام كبيرة في الجاهلية وفي الإسلام]:

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾﴾.

[بشرى تصديق رؤيا رسول الله ﷺ ودخول المسجد الحرام]:

﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾. [٤/٨٠]

قوله: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ يعني: كفار مكة، ومعنى: صدّهم عن المسجد الحرام: أنّهم منعوهم أن يطوفوا به ويحلّوا عن عمرتهم.

﴿وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا﴾ قرأ الجمهور(١) بنصب «الهديَ» عطفاً على الضمير المنصوب في صدّوكم، وقرأ أبو عَمْرو(٢) في رواية عنه بالجرّ عطفاً على المسجد، ولا بدّ من تقدير مضاف؛ أي: عن نحر الهدي.

(١) «البحر المحيط» (٩/ ٤٩٥)، و«المحرر الوجيز» (١٥/ ١١٢).
(٢) «القراءات الشاذة» (ص١٤٢)، و«البحر المحيط» (٩/ ٤٩٥)، و«حاشية الجمل» (٤/ ١٦٧).

وقُرئ بالرفع[(١)] على تقدير، وصُدّ الهديُّ، وقرأ الجمهور[(٢)] بفتح الهاء من الهدي وسكون الدال، وروي عن أبي عمرو[(٣)]، وعاصم بكسر الدال وتشديد الياء، وانتصاب[(٤)] ﴿مَعْكُوفًا﴾ على الحال من الهدي؛ أي: محبوساً.

قال الجوهري[(٥)]: عَكَفه؛ أي: حبَسه ووقفه، ومنه ﴿وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا﴾ ومنه الاعتكاف في المسجد، وهو الاحتباس. وقال أبو عمرو بن العلاء[(٦)]: ﴿مَعْكُوفًا﴾ مجموعاً.

[كان الهدي سبعين بدنة]:

وقوله: ﴿أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ﴾؛ أي: عَنْ أن يبلغ مَحِلّه، أو هو مفعول لأجله[(٧)]، والمعنى: صدّوا الهدي كراهةَ أَنْ يبلغ محله، أو هو بدل من الهدي بدل اشتمال، ومحله: مَنْحرُه، وهو حيث يحل نحره مِنْ الحرم، وكان الهدي سبعين بدنة.

ورخّص الله سبحانه لهم بجعل ذلك الموضع الذي وصلوا إليه، وهو الحديبية محلاً للنحر. وللعلماء في هذا كلام معروف في كتب الفروع.

﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ يعني: المستضعفين من المؤمنين بمكة، ومعنى ﴿لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾: لم تعرفوهم وقيل: لم تعلموا أنّهم مؤمنون ﴿أَن تَطَـُٔوهُمْ﴾ يجوز أن يكون بدلاً من رجال ونساء، ولكنه غُلِّب[(٨)] الذكور، وأن يكون بدلاً من مفعول تعلموهم.

والمعنى: أن تطئوهم بالقتل والإيقاع بهم، يقال: وطئت القوم؛ أي: أوقعت

---

(١) «القراءات الشاذة» (ص١٤٢)، و«البحر المحيط» (٩/ ٤٩٥). قراءة العشرة في المتواتر عنهم بنصب (الهديَ) أما القراءة بالجر فشاذة، وهي رواية عن أبي عمرو شاذة، وكذا.

(٢) «البحر المحيط» (٩/ ٤٩٥)، و«المحرر الوجيز» (١٥/ ١١٢).

(٣) قال ابن خالويه في «القراءات الشاذة» (ص١٤٢): وفيه لغات الهَدْي، والهَدِيِّ، والهَدَا»، و«البحر المحيط» (٩/ ٤٩٥). الرواية عن عاصم وأبي عمر وشاذة عنهما.ا.هـ القراءة بالرفع رواية شاذة عن نافع.ا.هـ.

(٤) «التبيان» (٢/ ١١٦٧)، و«الفريد» (٤/ ٣٢٧).

(٥) في «الصحاح» (٤/ ١٤٠٢).

(٦) انظر: «تهذيب اللغة» (١/ ٣٢١).

(٧) «التبيان» (٢/ ١١٦٧)، و«الفريد» (٤/ ٣٢٧)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٣١٢).

(٨) «روح المعاني» (٢٥/ ٢٨٦)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ١٦٩).

بهم، وذلك أنهم لو كسبوا مكةَ، وأخذوها عنوة بالسيف لم يتميز المؤمنون الذين هم فيها من الكفار، وعند ذلك لا يأمنوا أن يقتلوا المؤمنين، فتلزمهم الكفارة، وتلحقهم سَبَّة، وهو معنى قوله: ﴿فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم﴾؛ أي: من جهتهم ﴿مَّعَرَّةٌۢ﴾؛ أي: مشقة بما يلزمهم في قتلهم من كفارة وعيب.

وأصل المعرّة: العيبُ مأخوذة مِنْ العُرّ، وهو الجَرَبُ، وذلك أن المشركين سيقولون: إنّ المسلمين قد قتلوا أهل دينهم.

قال الزجاج[١]: لولا أن تقتلوا رجالاً مؤمنين ونساء مؤمنات، فتصيبكم منهم معرّة؛ أي: إثم، وكذا قال الجوهري[٢]، وبه قال ابن زيد[٣]. وقال الكلبي[٤]، ومقاتل[٥]، وغيرهما: المعرّة كفارة قتل الخطأ، كما في قوله: ﴿فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢] وقال ابن إسحاق[٦]: المعرّة: غُرْم الدية.

وقال قطرب[٧]: المعرّة الشدّة، وقيل: الغمّ.

و﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ متعلق بأنْ تطئوهم؛ أي: غير عالمين، وجواب «لولا» محذوف، والتقدير: لأذَن الله لكم، أو لما كفّ أيديكم عنهم، واللام في ﴿لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ متعلقة[٨] بما يدلّ عليه الجواب المقدّر؛ أي: ولكن لم يأذن لكم أو كفّ أيديكم؛ ليدخل الله في رحمته[٩] بذلك مَنْ يشاء من عباده وهم المؤمنون والمؤمنات الذين كانوا في مكة، فيتمم لهم أجورَهم بإخراجهم من بين ظهراني الكفار، ويفكّ أسرَهم، ويرفع ما كان ينزل بهم من العذاب.

وقيل: اللّام متعلقة بمحذوف[١٠] غير ما ذُكر، وتقديره: لو قتلتموهم لأدخلهم الله في رحمته، والأوّل أولى.

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/). (٢) في «الصحاح» (٢/ ٧٤٢).
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٣٠٥) بسند صحيح.
(٤) «النكت والعيون» (٥/ ٣٢٠). (٥) «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٣٣١).
(٦) «النكت والعيون» (٥/ ٣٢٠). (٧) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٣٣١).
(٨) «الوسيط» للواحدي (٤/ ١٤٣)، و«روح المعاني» (٢٥/ ٢٨٩).
(٩) «معاني القرآن» للنحاس (٦/ ٥١٠).
(١٠) «روح المعاني» (٢٥/ ٢٨٩)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٣١٢).

وقيل: إن ﴿مَن يَشَآءُ﴾ عباده ممّن رغب في الإسلام من المشركين.

﴿لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ التّزيّل[1]: التميز؛ أي: لو تميز الذين آمنوا من الذين كفروا منهم؛ لعذبنا الذين كفروا، وقيل التّزيّل: التفرق؛ أي: لو تفرّق هؤلاء من هؤلاء[2].

وقيل: لو زال المؤمنون من بين أظهرهم، والمعاني متقاربة، والعذاب الأليم: هو القتلُ والأسرُ والقهر، والظرف في قوله: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ منصوب بفعل مقدّر؛ أي: اذكر وقت جعل الذين كفروا ﴿فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ وقيل: متعلق بـ(عذبنا)، و﴿ٱلْحَمِيَّةَ﴾: الأنَفَة، يقال: فلان ذو حميّة؛ أي: ذو أنفة وغضب؛ أي: جعلوها ثابتة راسخة في قلوبهم، والجَعْل بمعنى: الإلقاء، وحميّة الجاهلية بدل من الحميّة.

قال مقاتل بن سليمان[3]، ومقاتل بن حيان: قال أهلُ مكة: قد قتلوا أبناءنا، وإخواننا، ويدخلون علينا في منازلنا، فتتحدّث العرب أنّهم قد دخلوا علينا على رغم أنفنا، واللّات والعزّى لا يدخلونها علينا، فهذه الحميّة هي حميّة الجاهلية التي دخلت قلوبهم.

وقال الزهري[4]: حميّتهم: أنفتهم مِنْ الإقرار للنبي ﷺ بالرسالة.

قرأ الجمهور[5]: «لو تزيلوا» وقرأ ابن أبي عبلة، وأبو حيوة، وابن عون: «لو تزايلوا»[6] والتزايل التباين.

﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: أنزل الطمأنينة والوقار على رسوله وعلى المؤمنين؛ حيثُ لم يدخلهم ما دخل أهل الكفر من الحميّة.

وقيل: ثبتهم على الرضى والتسليم ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ وهي: «لا إله إلّا الله» كذا قال الجمهور، وزاد بعضُهم: «محمد رسول الله» وزاد بعضهم: «وحده

---

(١) «الصحاح» (٤/ ١٧٢٠)، و«تهذيب اللغة» (١٣/ ٢٥١).
(٢) «أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ١٦٩٦).
(٣) ذكره عنهما الواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٤٣).
(٤) «النكت والعيون» (٥/ ٣٢٠).
(٥) «البحر المحيط» (٩/ ٤٩٦)، و«الدر المصون» (٦/ ١٦٤)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٩/).
(٦) «إعراب القراءات الشواذ» (٢/ ٤٩٧)، و«روح المعاني» (٢٥/ ٢٩١). وهي قراءة شاذة.

لا شريك له». وقال الزهري[(١)] هي: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ وذلك أن الكفار لم يقرّوا بها، وامتنعوا من كتابتها في كتاب الصلح الذي كان بينهم، وبين رسول الله ﷺ، كما ثبت ذلك في كتب الحديث والسير، فخص الله بهذه الكلمة المؤمنين وألزمهم بها.

والأوّل أولى؛ لأنّ كلمة التوحيد هي التي يتقى بها الشرك بالله، وقيل: كلمة التقوى هي الوفاء بالعهد والثبات عليه ﴿وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَاۚ﴾؛ أي: وكان المؤمنون أحقّ بهذه الكلمة من الكفار والمستأهلين لها دونهم؛ لأن الله سبحانه أهَّلهم لدينه، وصحبة رسوله ﷺ.

﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّۖ﴾ قال الواحدي[(٢)]: قال المفسِّرون: إن الله سبحانه أرى نبيه ﷺ في المدينة قبل أَنْ يخرج إلى الحديبية، كأنه هو وأصحابه حَلَقوا وقصّروا، فأخبر بذلك أصحابه، ففرحوا وحسبوا أنّهم سيدخلون مكة عامهم ذلك، فلما رجعوا مِنْ الحديبية، ولم يدخلوا مكة قال المنافقون: والله ما حلقنا ولا قصرنا، ولا دخلنا المسجد الحرام، فأنزل الله هذه الآية، وقيل: إن الرؤيا كانت بالحديبية.

وقوله: ﴿بِٱلْحَقِّۖ﴾ صفة لمصدر محذوف[(٣)]؛ أي: صدقاً ملتبساً بالحقّ، وجواب القسم المحذوف المدلول عليه باللام الموطئة هو قوله: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾؛ أي: في العام القابل.

وقوله: ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ تعليق للعِدة بالمشيئة[(٤)] لتعليم العباد لما يجب أن يقولوه، كما في قوله: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [الكهف: ٢٣، ٢٤] قال ثعلب[(٥)]: إنّ الله استثنى فيما يعلم ليستثني الخلق فيما لا يعلمون. وقيل: كانَ الله سبحانه علم أنّه يموت بعض هؤلاء الذين كانوا معه في

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٣٠٨/٢١) بسند صحيح.

(٢) في «الوسيط» (١٤٣/٤).

(٣) «الفريد» (٣٣٠/٤)، و«روح المعاني» (٣٠١/٢٥ ـ ٣٠٢).

(٤) «روح المعاني» (٣٠٢/٢٥)، تفسير أبي السعود (١٧١/٦).

(٥) «زاد المسير» (٤٤٣/٧)، و«الوسيط» (١٤٥/٤)، و«روح المعاني» (٣٠٢/٢٥).

الحديبية، فوقع الاستثناء لهذا المعنى، قاله الحسين[1] بن الفضل. وقيل: معنى إن شاء الله: كما شاء الله.

وقال أبو عبيدة[2]: ﴿إِن﴾ بمعنى (إذ)[3] يعني: إذ شاء الله حيث أرى رسوله ذلك، وانتصاب ﴿ءَامِنِينَ﴾ على الحال من فاعل لتدخلنّ، وكذا ﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾؛ أي: آمنين من العدوّ، ومحلقاً بعضكم ومقصراً بعضكم، والحلق والتقصير خاصّ بالرجال، والحَلْقُ أفضل مِنْ التقصير، كما يدلّ على ذلك الحديث الصحيح[4] في استغفاره ﷺ للمحلقين في المرة الأولى والثانية، والقائل يقول له: وللمقصرين، فقال في الثالثة: وللمقصرين.

[الفتح القريب صلح الحديبية]:

وقوله: ﴿لَا تَخَافُونَ﴾ في محل نصب[5] على الحال أو مستأنف، وفيه زيادة تأكيد لما قد فهم من قوله: ﴿ءَامِنِينَ﴾.

﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾؛ أي: ما لم تعلموا من المصلحة في الصلح لما في دخولكم في عام الحديبية من الضرر على المستضعفين من المؤمنين، وهو معطوف على صَدَق؛ أي: صدق رسولُه الرؤيا، فعلم ما لم تعلموا به ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ

---

(١) «معالم التنزيل» (٧/ ٣٢٣)، و«روح المعاني» (٢٥/ ٣٠٢)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٣٣٧).

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٤٥)، و«البغوي في تفسيره» (٧/ ٣٣٧).

(٣) قال القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٣٣٨): وفيه بُعدٌ؛ لأنَّ «إذ» في الماضي من الفعل، وإذا في المستقبل، وهذا الدخول في المستقبل، فوَعدهم دخول المسجد الحرام وعلَّقه بشرط المشيئة، وذلك عامَ الحديبية، فأخبر أصحابه بذلك، فاستبشروا؛ ثم تأخَّر ذلك عن العام الذي طمعوا فيه، فساءهم ذلك واشتدَّ عليهم، وصالحهم ورجع، ثم أذن الله في العام المقبل، فأنزل الله: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الفَتْح: ٢٧] وإنما قيل له في المنام ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الفَتْح: ٢٧] فحكى في التنزيل ما قيل له في المنام، فليس هنا شكٌّ كما زعم بعضهم أنَّ الاستثناء يدلُّ على الشك، والله تعالى لا يشكُّ، و«لتدخُلنَّ» تحقيق، فكيف يكون شك. فـ«إنْ» بمعنى «إذا».
وقال النحاس في «إعراب القرآن» (٤/ ٢٠٤): «ولا يعرف أحد من النحويين «إنْ» بمعنى «إذ» وإنّما تلك «أن» فغلِط بينهما». فصل في اللغة والأحكام عند الفقهاء والنحويين.

(٤) أخرجه أحمد (٢/ ١٥١)، والبخاري رقم (١٧٢٨)، ومسلم رقم (٣٢٠/ ١٣٠٢) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٥) «التبيان» (٢/ ١١٦٨)، و«الفريد» (٤/ ٣٣١)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٣١٢).

﴿فَتْحًا قَرِيبًا﴾؛ أي: فجعل مِنْ دون دخولكم مكة كما أرى رسوله، فتحاً قريباً.

قال أكثر المفسرين[١]: هو صلح الحديبية.

وقال ابن زيد[٢]، والضحاك[٣]: فتح خيبر.

وقال الزهري[٤]: لا فتح في الإسلام كانَ أعظم مِنْ صلح الحديبية، ولقد دخل في تلك السنتين في الإسلام مثل من كان قد دخل فيه قبل ذلك بل أكثر، فإن المسلمين كانوا في سنة ستّ، وهي سنة الحديبية: ألفاً وأربعمائة، وكانوا في سنة ثمان: عشرة آلاف.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ﴾؛ أي: إرسالاً مُلْتبساً بالهدى ﴿وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ وهو الإسلام ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾؛ أي: يُعْليه على كل الأديان، كما يفيده تأكيد الجنس، وقيل: ليظهر رسولَه والأوّل أولى، وقد كان ذلك بحمد الله، فإن دين الإسلام قد ظهر على جميع الأديان وانقهر له كلّ أهل الملل.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ الباء زائدة كما تقدّم في غير موضع؛ أي: كفى الله شهيداً على هذا الإظهار الذي وعد المسلمين به وعلى صحة نبوّة نبيه ﷺ.

[صفة هذه الجماعة المختارة، صحابة رسول الله ﷺ]:

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾، ﴿مُّحَمَّدٌ﴾ مبتدأ، و﴿رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ خبره[٥]، أو هو خبر مبتدأ محذوف، ورسول الله بدل منه، وقيل: مُحمد مبتدأ، ورسول الله[٦] نعت له ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ معطوف على المبتدأ وما بعده الخبر، والأوّل أولى، والجملة مبينة لما هو من جملة المشهود به. ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ قيل: هم أصحاب الحديبية، والأولى الحمل على العموم ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾؛ أي: غلاظ عليهم، كما يغلظ الأسد على فريسته، وهو جمع شديد ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾؛ أي: متوادّون متعاطفون، وهو جمع رحيم.

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٣٣٩).
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٣١٩) بسند صحيح.
(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٣٣٩).
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٣١٨) من طريق سلمة عن ابن إسحاق عن الزهري.
(٥) «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٣١٣)، و«الفريد» (٤/ ٣٣١)، و«التبيان» (٢/ ١١٦٨).
(٦) انظر: المصادر المتقدمة.

والمعنى: أنهم يظهرون لمن خالف دينهم الشدّة والصلابة، ولمن وافقه الرحمة والرأفة. قرأ الجمهور[(١)] برفع «أشِدَّاءُ»، و«رحماءُ» على أنّه خبر للموصول أو خبر لمحمد وما عطف عليه كما تقدّم. وقرأ الحسن[(٢)] بنصبهما على الحال أو المدح، ويكون الخبر على هذه القراءة ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ [٤/٨١]؛ أي: تشاهدهم حال كونهم راكعين ساجدين، وعلى قراءة الجمهور هو خبر آخر، أو استئناف أعني قوله: ﴿تَرَىٰهُمْ﴾ و﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾؛ أي: يطلبون ثوابَ الله لهم ورضاه عنهم، وهذه الجملة خبر ثالث على قراءة الجمهور، أو في محل نصب[(٣)] على الحال من ضمير ﴿تَرَىٰهُمْ﴾.

وهكذا ﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ السيما العلامة، وفيها لغتان المدّ والقصر؛ أي: تظهر علامتُهم في جباههم مِنْ أثر السجود في الصلاة، وكثرة التعبد بالليل والنهار.

وقال الضحاك[(٤)]: إذا سهر الرجلُ أصبح مصفراً، فجعل هذا هو السيما. وقال الزهري[(٥)]: مواضع السجود أشدّ وجوههم بياضاً يوم القيامة. وقال مجاهد[(٦)]: هو الخشوع والتواضع، وبالأوّل أعني: كونه ما يظهر في الجباه من كثرة السجود قاله سعيد بن جبير[(٧)]، ومالك[(٨)].

وقال ابن جريج[(٩)]: هو الوقار. وقال الحسن[(١٠)]: إذا رأيتهم مرضى وما هم بمرضى، وقيل: هو البهاء في الوجه وظهور الأنوار عليه، وبه قال سفيان الثوري[(١١)].

---

(١) «البحر المحيط» (٩/ ٥٠٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٣٤١)، و«التبيان» (٢/ ١١٦٩).
(٢) «القراءات الشاذة» (ص١٤٢)، و«المحتسب» (٢/ ٢٧٦). وهي قراءة شاذة.
(٣) «التبيان» (٢/ ١١٦٩)، و«الفريد» (٤/ ٣٣١).
(٤) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٢٤)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٤٦)، و«زاد المسير» (٧/ ٤٤٦).
(٥) انظر: المصادر المتقدمة.
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٣٢٤) بسند صحيح.
(٧) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٣٤١).
(٨) رواه ابن وهب عن مالك. «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٣٤١).
(٩) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٣٤٣).
(١٠) «معالم التنزيل» (٧/ ٣٢٤)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٣٤٣).
(١١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٣٤٣).

والإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى ما تقدّم من هذه الصفات الجليلة، وهو مبتدأ وخبره قوله: ﴿مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾؛ أي: وصَفْهم الذي وصفوا به في التوراة، ووصفهم الذي وصفوا به ﴿فِي ٱلْإِنجِيلِ﴾ وتكرير[١] ذكر المَثَل لزيادة تقريره، وللتنبيه على غرابته، وأنّه جار مجرى الأمثال في الغرابة.

﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾ إلخ كلام مستأنف؛ أي: هم كزرع إلخ.

وقيل: هو تفسير لذلك على أنه إشارة مبهمة لم يرد به ما تقدّم من الأوصاف، وقيل: هو خبر لقوله: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ﴾؛ أي: ومثلهم في الإنجيل كزرع.

قال الفراء[٢]: فيه وجهان: إنْ شئت قلتَ ذلك مثلهم في التوراة، ومثلهم في الإنجيل يعني: كمثلهم في القرآن، فيكون الوقف على الإنجيل، وإن شئت قلت ذلك مثلهم في التوراة، ثم تبتدئ ومثلهم في الإنجيل كزرع.

قرأ الجمهور[٣]: «شطْأه» بسكون الطاء، وقرأ ابن كثير، وابن ذكوان بفتحها[٤]، وقرأ أنس، ونصر بن عاصم، ويحيى بن وثّاب «شطاه»[٥] كعصاه. وقرأه الجحدري[٦]، وابن أبي إسحاق «شطه» بغير همزة، وكلها لغات.

قال الأخفش[٧] والكسائي[٨]: شطأه؛ أي: طرفه. قال الفراء[٩]: شطأ الزرع فهو مشطئ: إذا خرج.

قال الزجاج[١٠]: ﴿أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾؛ أي: نباته. وقال قطرب[١١]: الشطأ سوى

---

(١) «روح المعاني» (٢٥/ ٣١٤)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ١٧٣).
(٢) في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٦٩).
(٣) «النشر» (٢/ ٣٧٥)، و«البحر المحيط» (٩/ ٥٠٢)، و«زاد المسير» (٧/ ٤٤٨). قراءة الجمهور وقراءة ابن كثير وابن ذكوان متواترة، وبقية القراءات شاذة إلا في وقف حمزة فإنّه يقف بالنقل وحذف الهمزة فتكون (شطه) ا.هـ.
(٤) «التيسير» (ص٢٠٢)، و«النشر» (٢/ ٣٧٥)، و«روح المعاني» (٢٥/ ٣١٥).
(٥) «المحتسب» (٢/ ٢٧٧)، و«التبيان» (٢/ ١١٦٩)، و«البحر المحيط» (٩/ ٥٠٢).
(٦) «القراءات الشاذة» (ص١٤٢)، و«البحر المحيط» (٩/ ٥٠٢)، و«روح المعاني» (٢٥/ ٣١٥).
(٧) ذكره الجوهري في «الصحاح» (١/ ٥٧).
(٨) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٩/ ٣٤٤).
(٩) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٦٩).
(١٠) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢٩).
(١١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٢٣).

السنبل، وروي عن الفراء[(١)] أيضاً أنه قال: هو السنبل، وقال الجوهري[(٢)]: شطأ الزرع والنبات، والجمع أشطاء، وقد أشطأ الزرع خرج شطؤه ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾؛ أي: قوّاه وأعانه وشدّه.

قيل: المعنى: إن الشطأ: قوّى الزرع، وقيل: إن الزرع قويّ الشطأ، ومما يدلّ على أن الشطأ خروج النبات. قول الشاعر:

أخرجَ الشطأَ على وجْهِ الثَّرى ومِنَ الأشجارِ أفنانُ الثَّمَّرِ[(٣)]

قرأ الجمهور[(٤)]: «فآزره» بالمد. وقرأ ابن ذكوان، وأبو حيوة، وحميد بن قيس بالقصر[(٥)]، وعلى قراءة الجمهور قول امرئ القيس[(٦)]:

بمحنيةٍ قد آزرَ الضالُ نَبْتَها مَجرَّ جيوشٍ غانمينَ وخُيَّبِ[(٧)]

قال الفراء[(٨)]: آزرتُ فلاناً آزره أزراً إذا قوّيته ﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾؛ أي: صار ذلك الزرع غليظاً بعد أن كان دقيقاً ﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾؛ أي: فاستقام على أعواده، والسوق جمع ساق.

وقرأ قنبل[(٩)]: «سؤقه» بالهمزة الساكنة.

﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾؛ أي: يُعجب هذا الزرع زارَعه لقوّته وحسن منظره، وهذا مثل ضربه الله سبحانه لأصحاب النبيّ ﷺ، وأنّهم يكونون في الابتداء قليلاً، ثم يزدادون ويكثرون ويقوون كالزرع، فإنّه يكون في الابتداء ضعيفاً ثم يقوى حالاً بعد حال حتى يغلظ ساقه. قال قتادة: مثل أصحاب محمد ﷺ في الإنجيل أنه

(١) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٦٩). (٢) في «الصحاح» (١/ ٥٧).

(٣) قائله الزبير بن العوام رضي الله عنه «جمهرة أشعار العرب» (١/ ١٣٩).

(٤) «البحر المحيط» (٩/ ٥٠٢)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٨٢)، و«التيسير» (ص٢٠٢)، و«زاد المسير» (٧/ ٤٤٨).

(٥) انظر: المصادر المتقدمة. وهي قراءة متواترة.

(٦) «ديوان امرئ القيس» (ص٤٥).

(٧) قال شارح الديوان: «المحنية، حيث ينحني الوادي، وهو أخصب موضع فيه.
وقوله: مجرَّ جيوش؛ أي: هذه المحنية في موضع تمر الجيوش به من غانم أو خائب، فلا ينزلها أحدٌ ليرعاها خوفاً من الجيوش، فذلك أوفر لخصبها، وأتم لكلئها».

(٨) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٦٩). والقراءة بسؤقة متواترة ةفي وجه لقنبل (سؤوقه).

(٩) أخرجه أحمد رقم (٢٨٨٠)، والبيهقي (٤/ ١٥١، ١٥٢) بسند ضعيف.

سيخرج من قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

ثم ذكر سبحانه علة تكثيره لأصحاب نبيه ﷺ، وتقويته لهم فقال: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾؛ أي: كثرهم وقوّاهم، ليكونوا غيظاً للكافرين، واللام متعلقة بمحذوف؛ أي: فعل ذلك ليغيظ.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾؛ أي: وعد سبحانه هؤلاء الذين مع محمد ﷺ أنْ يغفر ذنوبهم، ويجزل أجرهم بإدخالهم الجنة التي هي أكبر نعمة وأعظم منّة.

وقد أخرج أحمد، والبيهقي في «الدلائل» عن ابن عباس[٢] قال: نحروا يوم الحديبية سبعين بدنة، فلما صُدّت عن البيت حنّت، كما تحنّ إلى أولادها.

وأخرج الحسن بن سفيان، وأبو يعلى، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن قانع، والباوردي، والطبراني، وابن مردويه. قال السيوطي[١]: بسند جيد عن أبي جمعة حُنيذ بن سبع[٢] قال: «قاتلت رسول الله ﷺ أوّل النهار كافراً، وقاتلت معه آخر النهار مسلماً وفينا نزلت: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ﴾ وكنا تسعة نفر سبعة رجال وامرأتان»، وفي رواية عند ابن أبي حاتم[٣]: «كنا ثلاثة رجال وتسع نسوة».

وأخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس[٤] ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ قال: حين ردّوا النبي ﷺ ﴿أَن تَطَـُٔوهُمْ﴾ بقتلكم إياهم ﴿لو تزيّلوا﴾ يقول: لو تزيّل الكفار من المؤمنين لعذبهم الله عذاباً أليماً بقتلكم إياهم.

وأخرج البخاري، ومسلم، وغيرهما عن سَهْل بن حُنَيف[٥] أنّه قال يوم صفين:

---

(١) في «الدر المنثور» (٧/ ٥٣٤).

(٢) أخرجه أبو يعلى رقم (١٥٦٠)، وابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٣/ ١١١) ـ، وابن قانع (١/ ١٨٨)، والطبراني رقم (٢٢٠٤) بسند حسن.
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٠٧) «رواه الطبراني بإسنادين، رجال أحدهما ثقات».

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٥٣٤).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٣/ ١١٢) ـ بسند حسن.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة (١٤/ ٤٣٨، ٤٣٩)، وأحمد رقم (١٥٩٧٥)، والبخاري رقم (٤٨٤٤)، ومسلم رقم (١٧٨٥)، والنسائي في «الكبرى» رقم (١٥٠٤)، وابن جرير (٢١/ ٢٤٢)، والطبراني رقم (٥٦٠٤)، والبيهقي (٤/ ١٤٧ ـ ١٤٨).

«اتهموا أنفسَكم، فلقد رأيتُنا يوم الحديبية يعني: الصلح الذي كان بين النبي ﷺ، وبين المشركين، ولو نرى قتالاً لقاتلنا، فجاء عمر إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ألسنا على الحق، وهم على الباطل؟ أليس قتلانا في الجنة، وقتلاهم في النار؟ قال: بلى. قال: ففيم نُعطي الدنيّة في ديننا، ونرجع ولمّا يحكم الله بيننا وبينهم؟ قال: يا ابن الخطاب إنّي رسولُ الله، ولنْ يضيعني الله أبداً، فرجع متغيظاً، فلم يصبر حتى جاء أبا بكر فقال: يا أبا بكر ألسنا على الحق، وهم على الباطل؟ قال: بلى قال: أليس قتلانا في الجنة، وقتلاهم في النار؟ قال: بلى، قال: ففيم نعطي الدنية في ديننا؟ قال: يا ابن الخطاب إنه رسول الله ﷺ، ولم يضيعه الله أبداً، فنزلت سورة الفتح، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عمر، فأقرأه إياها، قال: يا رسول الله أفتح هو؟ قال: نعم».

وأخرج الترمذي، وعبد الله بن أحمد في «زوائد المسند»، وابن جرير، والدارقطني في «الأفراد»، وابن مردويه، والبيهقي في «الأسماء والصفات» عن أُبيّ بن كعب[١]، عن النبي ﷺ ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ قال: «لا إلٰه إلّا الله» وفي إسناده الحسن بن قزعة، قال الترمذي بعد إخراجه: حديث غريب لا نعرفه إلّا من حديثه، وكذا قال أبو زرعة.

وأخرج ابن مردويه[٢] عن سلمة بن الأكوع مرفوعاً مثله.

وأخرج عبد الرزاق، والفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصحّحه، والبيهقي في «الأسماء والصفات» عن عليّ بن أبي طالب[٣] مثله من قوله.

وأخرج أحمد، وابن حبّان، والحاكم من قول عمر بن الخطاب[٤] نحوه.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «الأسماء

---

(١) أخرجه الترمذي رقم (٣٢٦٥)، وعبد الله بن أحمد (٣٥/ ١٧٦ رقم ٢١٢٥٥)، وابن جرير (٢١/ ٣١٠)، والبيهقي رقم (٣٠٠) وهو حديث صحيح.

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٥٣٦).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٢٩)، وابن جرير (٢١/ ٣١١)، والحاكم (٢/ ٤٦١)، والبيهقي رقم (١٩٧) بسند ضعيف.

(٤) أخرجه أحمد رقم (٤٤٧)، وابن حبان رقم (٢٠٤)، والحاكم (٤/ ٢٧٦) بسند حسن.

والصفات» عن ابن عباس[١] نحوه.

وأخرج ابن أبي حاتم، والدارقطني في «الأفراد» عن المِسْور بن مخرمة[٢]، ومروان نحوه.

وروي عن جماعة من التابعين نحو ذلك.

وأخرج ابنُ مردويه[٣] عن ابن عباس: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾ قال: هو دخول محمد البيت والمؤمنين مُحلقين ومقصّرين، وقد ورد في الدعاء للمحلقين والمقصرين في «الصحيحين»، وغيرهما أحاديث منها ما قدّمنا الإشارة إليه، وهو في «الصحيحين» من حديث ابن عمر[٤]، وفيهما من حديث أبي هريرة[٥] أيضاً.

وأخرج ابن جرير، عن ابن عباس[٦] في قوله: ﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم﴾ قال: أما إنّه ليس الذي يرونه، ولكنه سيما الإسلام، وسمته وخشوعه.

وأخرج محمد بن نصر في «كتاب الصلاة»، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «سننه» عن ابن عباس[٧] في الآية قال: هو السَّمْتُ الحسن.

وأخرج الطبراني في «الأوسط» و«الصغير»، وابن مردويه، قال السيوطي: بسند حسن[٨] عن أُبيّ بن كعب[٩] قال: قال رسول الله ﷺ في قوله: «﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ قال: النور يوم القيامة».

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢١/ ٣١١)، والبيهقي رقم (١٩٩)، والطبراني في «الدعاء» رقم (١٦١١) بسند صحيح.

(٢) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٥٣٧).

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٥٣٧).

(٤) أخرجه مالك (١/ ٣٩٥)، والطيالسي رقم (١٩٤٤)، وابن أبي شيبة القسم الأول من الجزء الرابع (ص٢١٦)، والبخاري رقم (١٧٢٧)، ومسلم رقم (١٣٠١)، وأبو داود رقم (١٩٧٩)، والترمذي رقم (٩١٣)، وابن ماجه رقم (٣٠٤٤).

(٥) أخرجه البخاري رقم (١٧٢٨)، ومسلم رقم (١٣٠٢)، وابن ماجه رقم (٣٠٣٤)، وأحمد رقم (٧١٥٨، ٩٣٣٢)، وابن أبي شيبة (القسم الأول من الجزء الرابع ص٢١٥).

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٣٢٣) من طريق مجاهد، به.

(٧) أخرجه محمد بن نصر في مختصر قيام الليل (ص١٦)، وابن جرير (٢١/ ٣٢٣)، والبيهقي (٢/ ٢٨٦) بسند صحيح.

(٨) في «الدر المنثور» (٧/ ٥٤٢).

(٩) أخرجه الطبراني في «الأوسط» رقم (٤٤٦٤)، والصغير (١/ ٢٢٢). =

وأخرج البخاري في «تاريخه»، وابنُ نصر عن ابن عباس[1] في الآية قال: بياض يغشى وجوههم يوم القيامة.

وأخرجَ ابن جرير، وابن المنذر، وابن مردويه عن ابن عباس[2] ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ يعني: نعتُهم مكتوب في التوراة والإنجيل قبل أن يخلق الله السمٰوات والأرض.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن أنس[3] ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾ قال: نباته: فروخه.

۞ ۞ ۞

= وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٠٧) فيه رواد بن الجراح وثقه ابن حبان وغيره، وضعفه الدارقطني وغيره.

(١) أخرجه البخاري في «تاريخه» (٣/ ٢١)، ومحمد بن نصر في «مختصر قيام الليل» (ص١٧)، وابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٣٢٣).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٣٢٧) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير (٢١/ ٣٢٩)، وعبد بن حميد ـ كما في «التغليق» (٤/ ٣١٤) ـ من طريق حميد الطويل، به.

سُورَةُ الحُجُرَاتِ

هي ثمان عشرة آية، وهي مدنية.

قال القرطبي(١): بالإجماع.

وأخرج ابن الضريس، والنحاس، وابن مردويه، والبيهقي عن ابن عباس(٢) وابن الزبير أنها نزلت بالمدينة.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[أدب نفسي مع الله ورسوله وهو منهج في التلقي والتنفيذ وهو منبثق من تقوى الله]:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ
أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ۝٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ
ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ۝٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ
ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ۝٤ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡۚ وَٱللَّهُ
غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ [٨٢/
٤] فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ۝٦ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ
لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ
أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٨﴾.

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ﴾ قرأ الجمهور(٣): «تُقدّموا» بضم المثناة الفوقية، وتشديد الدال مكسورة، وفيه وجهان(٤):

---

(١) في «تفسيره» (١٩/ ٣٥٢).

(٢) أخرجه الضريس رقم (١٧)، والنحاس (ص٦٧٥)، والبيهقي في «الدلائل» (٧/ ١٤٣).

(٣) «النشر» (٢/ ٣٧٥)، و«فتح الباري» (٨/ ٤٥٢)، و«جامع البيان» (٢١/ ٣٣٧).

(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٣٥٢).

أحدهما: أنه مُتعدّ، وحُذف مفعوله لقصد التعميم، أو ترك المفعول للقصد إلى نفس الفعل كقولهم: هو يُعطي ويَمْنع.

والثاني: أنّه لازم نحو وجه وتوجه، ويعضدُّه قراءة ابن عباس، والضحاك، ويعقوب «تَقَدموا» بفتح التاء[١] والقاف والدال.

قال الواحدي[٢]: قدم ها هنا بمعنى تقدّم، وهو لازم.

[الأمر بمكارم الأخلاق ورعاية الآداب]:

قال أبو عُبيدة[٣]: العرب تقول: لا تقدّم بين يدي الإمام وبين يدي الأب؛ أي: لا تَعْجل بالأمر دونه والنهي؛ لأنّ المعنى: لا تقدّموا قبل أمرهما ونهيهما، وبين يدي الإمام عبارة عن الإمام لا ما بين يدي الإنسان، ومعنى الآية: لا تقطعوا أمراً دون الله ورسوله، ولا تعجلوا به.

[رفع الصوت من قلة الاحتشام]:

وقيل: المراد معنى بين يدي فلان: بحضرته؛ لأنّ ما يحضره الإنسان، فهو بين يديه.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في كلّ أموركم، ويدخل تحتها الترك للتقدّم بين يدي الله ورسوله دخولاً أوّلياً.

ثم علَّل ما أمر به من التقوى بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لكلّ مسموع ﴿عَلِيمٌ﴾ بكل معلوم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ يحتمل أن المراد حقيقة رفع الصوت؛ لأنّ ذلك يدلّ على قلة الاحتشام وترك الاحترام؛ لأن خفض الصوت وعدم رفعه مِنْ لوازم التعظيم والتوقير.

ويحتمل أن يكون المراد: المنع من كثرة الكلام ومزيد اللغط، والأوّل أولى.

والمعنى: لا ترفعوا أصواتكم إلى حدّ يكون فوق ما يبلغه صوت النبيّ ﷺ.

---

(١) «النشر» (٢/ ٣٧٥)، و«جامع البيان» (٢١/ ٣٣٧)، و«زاد المسير» (٧/ ٤٥٥)، و«فتح الباري» (٨/ ٤٥٢). وهما قراءتان متواترتان.

(٢) في «الوسيط» (٤/ ١٤٩).

(٣) في «مجاز القرآن» (٢/ ٢١٩).

قال المفسِّرون[١]: المراد من الآية: تعظيم النبي ﷺ وتوقيره، وأن لا ينادوه كما ينادي بعضهم بعضاً.

﴿وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾؛ أي: لا تجهروا بالقول إذا كلمتموه، كما تعتادونه من الجهر بالقول إذا كلّم بعضكم بعضاً. قال الزجاج[٢]: أمرهم الله بتجليل نبيه، وأن يغضوا أصواتهم، ويخاطبوه بالسكينة والوقار.

وقيل: المراد بقوله: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾: لا تقولوا يا محمد ويا أحمد؛ ولكن يا نبيّ الله ويا رسول الله توقيراً له، والكاف في محل نصب[٣] على أنّها نعت مصدر محذوف؛ أي: جهراً مثل جهر بعضِكم لبعضٍ، وليس المراد برفع الصوت وبالجهر في القول هو ما يقع على طريقة الاستخفاف، فإنّ ذلك كفر[٤]، وإنما المراد أن يكون الصوت في نفسه غير مناسب لما يقع في مواقف مَنْ يجب تعظيمه وتوقيره.

والحاصل أن النهي هنا وقع عن أمور[٥].

الأوّل: عن التقدّم بين يديه بما لا يأذن به من الكلام.

والثاني: عن رفع الصوت البالغ إلى حدّ يكون فوق صوته سواء كان في خطابه، أو في خطاب غيره.

والثالث: ترك الجفاء في مخاطبته، ولزوم الأدب في مجاورته؛ لأن المقاولة المجهورة إنما تكون بين الأكفاء الذين ليس لبعضهم على بعض مزية توجب احترامه وتوقيره.

ثم علّل سبحانه ما ذكره بقوله: ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ قال الزجّاج[٦]: ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ التقدير: لأنْ تحبط أعمالكم؛ أي: فتحبط، فاللام المقدرة لام الصيرورة[٧] كذا قال، وهذه العلة يصح أَنْ تكون للنَّهي؛ أي: نهاكم الله عن الجهر

---

(١) «روح المعاني» (٢٥/ ٣٢٧ ـ ٣٢٨)، و«الوسيط» (٤/ ٥٠).
(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٣١).
(٣) «الفريد» (٤/ ٣٣٧)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٣١٥).
(٤) «روح المعاني» (٢٥/ ٣٣٥ ـ ٣٣٧)، و«البحر المحيط» (٩/ ٥٠٨).
(٥) «النكت والعيون» (٥/ ٣٢٥، ٣٢٦).
(٦) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٣٢).
(٧) قال الألوسي في «روح المعاني» (٢٥/ ٣٣٥): ولام التعليل المقدَّرة مستعارة للعاقبة التي يؤدي إليها الفعل؛ لأن الرفعَ والجهرَ ليس لأجل الحبوط لكنهما يؤدِّيان إليه على ما تعلمه إن =

خشية أَنْ تحبط، أو كراهة أن تحبط، أو علة للمنهي؛ أي: لا تفعلوا الجهر فإنه يؤدّي إلى الحبوط، فكلام الزجاج ينظر إلى الوجه الثاني لا إلى الوجه الأوّل.

وجملة: ﴿وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ في محل نصب[(١)] على الحال، وفيه تحذير شديد ووعيد عظيم.

قال الزجاج[(٢)]: وليس المراد ﴿وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ يوجب أَنْ يكفر الإنسان وهو لا يعلم، فكما لا يكون الكافر مؤمناً إلّا باختياره الإيمان على الكفر، كذلك لا يكون الكافر كافراً من حيث لا يعلم.

ثم رغّب سبحانه في امتثال ما أمر به، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ أصل الغض[(٣)]: النقصُ من كلِّ شيء ومنه نقص الصوت ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾ قال الفراء[(٤)]: أخلص قلوبهم للتقوى، كما يمتحن الذهب بالنار، فيخرج جَيّده من رديئه، ويسقط خبيثه. وبه قال مقاتل[(٥)]، ومجاهد[(٦)] وقتادة[(٧)].

وقال الأخفش[(٨)]: اختصها للتقوى، وقيل: طهرها من كلّ قبيح، وقيل: وسّعها وسرّحها، من محنتُ الأديمَ: إذا وسّعته. وقال أبو عمرو[(٩)]: كلّ شيء

= شاء الله، وفرق بينهما بما حاصله أنَّ الفعل المنهيَّ مُعلَّل في الأول والفعل المُعلّل منهيٌّ في الثاني، وأيهما كان فمرجع المعنى إلى أنَّ الرفعَ والجهرَ كلاهما منصوص الأداء إلى حُبوط العمل.

وقراءة ابن مسعود وزيد بن عليٍّ: «فتحبط» بالفاء أظهر في التنصيص على أدائه إلى الإحباط؛ لأنَّ ما بعد الفاء لا يكون إلا مسبباً عمَّا قبلَها.

«الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٣٦٣)، و«جامع البيان» (٢١/ ٣٤٣).

(١) «الفريد» (٤/ ٣٣٤)، و«روح المعاني» (٢٥/ ٣٣٥).

(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٣٢).

(٣) «الصحاح» (٣/ ١٠٩٥)، و«تهذيب اللغة» (٨/ ٨).

(٤) في «معاني القرآن» للفراء (٥/ ٣٢٧).

(٥) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٥١).

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٣٤٤) بسند صحيح.

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٣٤٤)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٣١) بسند صحيح.

(٨) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٣٦٤).

(٩) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٥/ ٥٦٢).

جهدته فقد محنته، واللّام في ﴿لِلتَّقْوَىٰ﴾ متعلقة بمحذوف؛ أي: صالحة للتقوى كقولك: أنت صالح لكذا، أو للتعليل الجاري مجرى بيان السبب كقولك جئتك لأداء الواجب؛ أي: ليكون مجيئي سبباً لأداء الواجب.

﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾؛ أي: أولئك لهم، فهو خبر آخر لاسم الإشارة، ويجوز أَنْ يكون مستأنفاً لبيان ما أعدّ الله لهم في الآخرة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ هم جُفاة بني تميم كما سيأتي بيانه، و﴿وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾: خارجها وخلفها، والحُجُرات: جمع حُجْرة، كالغُرفات جمع غُرْفة، والظُّلُمات جمع ظُلْمة.

وقيل: الحجرات جمع حُجَر، والحُجَر جمع حُجْرة، فهو جمع الجمع، والحجرة: الرقعة من الأرض المحجورة بحائط يحوّط عليها، وهي فعيلة بمعنى مفعولة(١).

قرأ الجمهور(٢): «الحُجُرات» بضم الجيم. وقرأ أبو جعفر بن القعقاع(٣)، وشيبة بفتحها تخفيفاً، وقرأ ابن أبي عبلة(٤) بإسكانها، وهي لغات، و «من» في ﴿مِن وَرَاءِ﴾ لابتداء الغاية، ولا وجه للمنع مِنْ جعلها لهذا المعنى ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ لغلبة الجهل عليهم وكثرة الجفاء في طباعهم.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾؛ أي: لو انتظروا خروجك ولم يَعْجَلوا بالمناداة، لكان أصلح لهم في دينهم ودنياهم؛ لما في ذلك من رعاية حسن الأدب مع رسول الله ﷺ، ورعاية جانبه الشريف، والعمل بما يستحقه من التعظيم والتجليل.

وقيل: إنَّهم جاءوا شفعاء في أسارى، فأعتق رسول الله ﷺ نصفهم، وفادى نصفهم، ولو صبروا لأعتق الجميع، ذكر معناه مقاتل(٥).

---

(١) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٥/ ٥٦٣).
(٢) «النشر» (٢/ ٣٧٦)، و«جامع البيان» (٢١/ ٣٤٨)، و«زاد المسير» (٧/ ٤٥٩).
(٣) انظر: المصادر المتقدمة.
(٤) «القراءات الشاذة» (ص١٤٣)، و«المحتسب» (١/ ٥٦). القراءة بإسكان الجيم قراءة شاذة.
(٥) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٣٧)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٥٢).

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ كثير المغفرة، والرحمة بليغهما لا يؤاخذ مثل هؤلاء فيما فرط منهم مِنْ إساءة الأدب.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ قرأ الجمهور[١]: «فتبينوا» من التبيّنُ، وقرأ حمزة، والكسائي[٢]: «فتثبتوا» من التثبّت، والمراد من التبين التعرّف والتفحص، ومن التثبت الأناة وعدم العجلة والتبصّر في الأمر الواقع والخبر الوارد حتى يتضح ويظهر.

قال المفسرون[٣]: إنّ هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط، كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

وقوله: ﴿أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ﴾ مفعول له؛ أي: كراهة أن تصيبوا، أو لئلا تصيبوا؛ لأنّ الخطأ ممّن لم يتبين الأمر ولم يتثبت فيه هو الغالب، وهو جهالة؛ لأنه لم يصدر عَنْ علم، والمعنى: ملتبسين بجهالة بحالهم.

﴿فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ﴾ بهم من إصابتهم بالخطأ ﴿نَٰدِمِينَ﴾ على ذلك مغتمين له مهتمين به.

ثم وعظهم الله سبحانه، فقال: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ﴾ فلا تقولوا قولاً باطلاً، ولا تتسرّعوا عند وصول الخبر إليكم من غير تبين، و«أن» وما في حيزها سادة[٤] مسدّ مفعولي اعلموا، وجملة ﴿لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ﴾ في محل نصب[٥] على الحال من ضمير فيكم، أو مستأنفة.

والمعنى: لو يطيعكم في كثير مما تخبرونه به من الأخبار الباطلة، وتشيرون به عليه من الآراء التي ليست بصواب؛ لوقعتم في العنَت وهو التعب والجهد والإثم والهلاك، ولكنه لا يطيعكم في غالب ما تريدون قبل وضوح وجهه له، ولا يسارع إلى العمل بما يبلغه قبل النظر فيه.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾؛ أي: جعله أحبّ الأشياء إليكم، أو محبوباً لديكم، فلا يقع منكم إلّا ما يوافقه، ويقتضيه من الأمور الصالحة، وترك التسرع في

---

(١) «التيسير» (ص٩٧)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٣٩٤)، و«البحر المحيط» (٩/ ٥١١).
(٢) انظر: المصادر المتقدمة. ومع حمزة خلَف أيضاً.
(٣) «الوسيط» (٤/ ١٥٢)، و«أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ١٧٠٣).
(٤) «التبيان» (٢/ ١١٧١). (٥) «الفريد» (٤/ ٣٣٩).

الأخبار وعدم التثبت فيها، قيل: والمراد بهؤلاء: من عدا الأوّلين؛ لبيان براءتهم عن أوصاف الأوّلين.

والظاهر أنّه تذكير للكل بما يقتضيه الإيمان، وتوجبه محبته التي جعلها الله في قلوبهم.

﴿وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾؛ أي: حسّنه بتوفيقه حتى جروا على ما يقتضيه في الأقوال والأفعال.

﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾؛ أي: جعل كل ما هو من جنس الفسوق، ومن جنس العصيان مكروهاً عندكم، وأصل الفسق: الخروجُ عن الطاعة، والعصيان: جنس ما يعصى الله به، وقيل: أراد بذلك الكذب خاصة، والأوّل أولى.

[الرشد: الاستقامة على الحق مع تصلب]:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾؛ أي: الموصوفون بما ذكرهم الراشدون. والرشد: الاستقامة على طريق الحق مع تصلب، من الرشادة: وهي الصخرة.

﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً﴾؛ أي: لأجل فضله وإنعامه، والمعنى: أنه حبّب إليكم ما حبَّب، وكَرّه ما كرّه؛ لأجل فضله وإنعامه، أو جعلكم راشدين لأجل ذلك، وقيل: النصب بتقدير فعل؛ أي: تبتغون فضلاً ونعمة.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بكل معلوم ﴿حَكِيمٌ﴾ في كل ما يقضي به بين عباده ويقدّره لهم.

وقد أخرج البخاري وغيرُه، عن عبد الله بن الزبير(١) قال: قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ، فقال أبو بكر: أمِّر القعقاعَ بن معبد، وقال عمر: بل أمِّر الأقرع بن حابس، فقال أبو بكر: ما أردتَ إلّا خلافي، فقال عمر: ما أردتُ خلافك، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما، فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ حتى انقضت الآية.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس(٢) في قوله: ﴿لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ قال: نُهوا أن يتكلموا بين يدي كلامه.

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٤٣٦٧، ٤٨٤٧).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/٣٣٦) بسند ضعيف.

وأخرج ابن مردويه(١) عن عائشة في الآية قالت: لا تصوموا قبل أن يصوم نبيكم.

وأخرج البخاري(٢) في «تاريخه» [٤/٨٣] عنها قالت: كان أناس يتقدّمون بين يدي رمضان بصيام: يعني يوماً أو يومين، فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾.

وأخرج الطبراني، وابن مردويه عنها(٣) أيضاً: أن ناساً كانوا يتقدّمون الشهر، فيصومون قبل النبيّ ﷺ، فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الآية.

وأخرج البزار، وابن عدي، والحاكم، وابن مردويه عن أبي بكر الصديق(٤) قال: أنزلت هذه الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ قلت: يا رسول الله والله لا أكلمك إلّا كأخي السِّرار، وفي إسناده حصين بن عمر، وهو ضعيف؛ ولكنه يؤيده ما أخرجه عبد بن حميد، والحاكم وصحّحه مِنْ طريق أبي سلمة، عَنْ أبي هريرة قال: لما نزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ قال أبو بكر: والذي أنزَل عليك الكتاب يا رسول الله لا أكلمك إلّا كأخي السِّرار حتى ألقى الله.

وأخرج البخاري، ومسلم وغيرهما عن أنس(٥) قال: «لما نزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ وكان ثابت بن قيس بن شمّاس رفيع الصوت فقال: أنا الذي كنتُ أرفع صوتي على رسول الله ﷺ، حبط عملي، أنا من أهل النار، وجلس في بيته حزيناً، ففقده رسول الله ﷺ،

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/٥٤٧).

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/).

(٣) أخرجه الطبراني في «الأوسط» رقم (٢٧١٣).

(٤) أخرجه البزار في «مسنده» رقم (٥٦)، وابن عدي (٢/٨٠٣)، و«الحاكم» (٣/ ٧٤) وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/١٠٨): فيه حصين بن عمر الأحمسي وهو متروك، وقد وثقه العجلي، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٥) أخرجه البخاري رقم (٣٦١٣، ٤٨٤٦)، ومسلم رقم (١١٩)، وأحمد رقم (١٢٣٩٩، ١٢٤٨٠، ١٤٠٦٠)، وعبد بن حميد رقم (١٢٠٧ ـ منتخب)، وأبو يعلى رقم (٣٣٣١، ٣٣٨١، ٣٤٢٧)، وابن المنذر ـ كما في «فتح الباري» (٦/ ٦٢٠، ٦٢١) ـ، والطبراني رقم (١٣٠٩)، والبيهقي (٦/ ٣٥٤، ٣٥٥).

فانطلق بعضُ القوم إليه، فقالوا: فقدك رسول الله ﷺ، ما لك؟ قال: أنا الذي أرفع صوتي فوق صوت النبيّ وأجهر له بالقول، حبط عملي، أنا من أهل النار، فأتوا النبيّ ﷺ، فأخبروه بذلك، فقال: لا، بل هو من أهل الجنة؛ فلما كان يوم اليمامة قُتل».

وفي الباب أحاديث بمعناه.

وأخرج ابن مردويه[(١)] عن ابن مسعود في قوله: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ الآية قال: نزلت في ثابت بن قيس بن شمّاس.

وأخرج ابن مردويه[(١)] عن أبي هريرة في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾ قال: قال رسول الله ﷺ: «منهم ثابت بن قيس بن شماس».

وأخرج أحمد، وابن جرير، وأبو القاسم البغوي، والطبراني، وابن مردويه، قال السيوطي[(٢)]: بسند صحيح من طريق أبي سلمة بن عبد الرحمٰن، عن الأقرع بن حابس[(٣)]، «أنه أتى النبيّ ﷺ فقال: يا محمد اخرجْ إلينا، فلم يُجبْه، فقال: يا محمد إنَّ حمدي زين، وإنّ ذمي شين، فقال: ذاك الله، فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ﴾»، قال ابن منيع: لا أعلم روى الأقرع مسنداً غير هذا.

وأخرج الترمذي وحسّنه، وابنُ جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن البراء بن عازب[(٤)] في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ﴾ قال: «جاء رجل فقال: يا محمد إن حمدي زين، وإن ذمي شين، فقال النبيّ ﷺ: ذاك الله».

وأخرج ابن راهويه، ومسدد، وأبو يعلى، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه قال السيوطي[(٥)]: بإسناد حسن عن زيد بن أرقم[(٦)]

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٥٥١).
(٢) في «الدر المنثور» (٧/ ٥٥٢).
(٣) أخرجه أحمد رقم (١٥٩٩١، ٢٧٢٠٣، ٢٧٢٠٤)، وابن جرير (٢١/ ٣٤٦)، والبغوي كما في «الإصابة» (١/ ١٠١)، والطبراني رقم (٨٧٨) بسند ضعيف.
(٤) أخرجه الترمذي رقم (٣٢٦٧)، وابن جرير (٢١/ ٣٤٥) وهو حديث صحيح.
(٥) في «الدر المنثور» (٧/ ٥٥٢).
(٦) أخرجه ابن راهويه ومسدد كما في «المطالب العالية» رقم (٤١٠٩)، وأبو يعلى كما في «المطالب» رقم (٤١١٠)، والطبراني رقم (٥١٢٣)، وابن جرير (٢١/ ٣٤٥ ـ ٣٤٦)، وابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٣/ ١٤٥) ـ. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٠٨) =

قال: «اجتمع ناس من العرب فقالوا: انطلقوا إلى هذا الرجل فإن يك نبياً فنحن أسعد الناس به، وإن يك ملكاً نعش بجناحه، فأتيت النبيّ ﷺ فأخبرته بما قالوا، فجاءوا إلى حجرته، فجعلوا ينادونه: يا محمد يا محمد فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ فأخذ رسول الله ﷺ بأذني، وجعل يقول: لقد صدّق الله قولك يا زيد، لقد صدق الله قولك يا زيد». وفي الباب أحاديث.

وأخرج أحمد، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن منده، وابن مردويه، قال السيوطي[1]: بسند جيد عن الحارث[2] بن ضرار الخزاعي قال: «قدمت على رسول الله ﷺ، فدعاني إلى الإسلام، فدخلت فيه وأقررت به، ودعاني إلى الزكاة فأقررتُ بها، وقلت: يا رسول الله أرجع إلى قومي، فأدعوهم إلى الإسلام، وأداء الزكاة، فمن استجاب لي جمعت زكاته، وتُرسل إليّ يا رسول الله رسولاً لإبّان كذا وكذا؛ ليأتيك ما جمعتُ من الزكاة، فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له، وبلغ الإبّان الذي أراد رسول الله ﷺ أن يبعث إليه احتبس الرسول، فلم يأت، فظنّ الحارث أن قد حدث فيه سخطة من الله ورسوله، فدعا سروات قومه، فقال لهم: إن رسول الله ﷺ كان وقَّت لي وقتاً يرسل إليّ رسوله؛ ليقبض ما كان عندي من الزكاة وليس من رسول الله الخُلْف، ولا أرى حبس رسوله إلّا من سَخْطة، فانطلقوا فنأتي رسول الله.

وبعث رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة إلى الحارث؛ ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة، فلما أن سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق فَرِق فرجع، فأتى رسول الله ﷺ، فقال: إنّ الحارث منعني الزكاة، وأراد قتلي، فضرب رسول الله ﷺ البعث إلى الحارث، فأقبل الحارث بأصحابه حتى إذا استقلّ البعث، وفصل عن المدينة لقيهم الحارث فقالوا: هذا الحارث؟ فلما غشيهم قال لهم: إلى مَنْ بُعثتم؟ قالوا: إليك، قال: ولم؟ قالوا: إنّ رسول الله ﷺ بعث إليك الوليد بن عقبة، فزعم

= فيه داود بن راشد الطفاوي، وثقه ابن حبان وضعفه ابن معين وبقية رجاله ثقات.

(١) في «الدر المنثور» (٧/ ٥٥٥).

(٢) أخرجه أحمد رقم (١٨٤٥٩)، وابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٣/ ١٤٥) ـ، والطبراني رقم (٣٣٩٥)، وابن منده كما في «أسد الغابة» (١/ ٣٩٩ ـ ٤٠٠)، وابن مردويه ـ كما في «الإصابة» (١/ ٥٨٠) ـ بسند حسن بشواهده دون قصة إسلام الحارث بن ضرار.

أنك منعته الزكاة، وأردت قتله، قال: لا، والذي بعث محمداً بالحقّ ما رأيته بتة، ولا أتاني، فلما دخل الحارث على رسول الله ﷺ قال: منعت الزكاة، وأردت قتل رسولي؟ قال: لا والذي بعثك بالحقّ ما رأيته، ولا رآني، وما أقبلت إلّا حين احتبس عليّ رسولُ رسولِ الله ﷺ خشيت أن تكون كانت سَخْطة من الله ورسوله، فنزل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ﴾.

قال ابن كثير[1]: هذا من أحسن ما رُوي في سبب نزول الآية. وقد رويت روايات كثيرة متفقة على أنه سبب نزول الآية، وأنه المراد بها وإن اختلفت القصص.

[القاعدة الشرعية لصيانة المؤمن من الخصام والتفكك]:

﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾.

[القيم الحقيقة في ميزان الله]:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾.

قوله: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾ قرأ الجمهور[2]: «اقتتلوا» باعتبار كل فرد من أفراد الطائفتين كقوله: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا﴾ [الحج: ١٩] والضمير في

(١) في «تفسيره» (١٣/ ١٤٥).

(٢) «البحر المحيط» (٩/ ٥١٦)، و«الكشاف» (٥/ ٥٧١). وقراءة الجمهور هي المتواترة وما عداها فشاذ.

قوله: ﴿بَيْنَهُمَا﴾ عائد إلى الطائفتين باعتبار اللفظ. وقرأ ابن أبي[١] عَبْلَة «اقتتلتا» اعتباراً بلفظ طائفتان، وقرأ زيد بن عليّ[٢]، وعُبيد بن عمير: «اقتتلا» وتذكير الفعل في هذه القراءة باعتبار الفريقين، أو الرهطين. والبغيُّ: التعدّي بغير حقٍ، والامتناع مِنْ الصلح الموافق للصواب، والفيء: الرجوع.

والمعنى: أنه إذا تقاتل فريقان من المسلمين، فعلى المسلمين أن يسعوا بالصلح بينهم، ويدعوهم إلى حكم الله، فإن حصل بعد ذلك التعدّي من إحدى الطائفتين على الأخرى، ولم تقبل الصلح، ولا دخلت فيه كان على المسلمين أن يقاتلوا هذه الطائفة الباغية حتى ترجع إلى أمر الله وحكمه، فإن رجعت تلك الطائفة الباغية عن بغيها، وأجابت الدعوة إلى كتاب الله وحكمه، فعلى المسلمين أن يعدلوا بين الطائفتين في الحكم، ويتحرّوا الصواب المطابق لحكم الله، ويأخذوا على يد الطائفة الظالمة حتى تخرج من الظلم، وتؤدّي ما يجب عليها للأخرى.

ثم أمر الله سبحانه المسلمين أن يعدلوا في كلِّ أمورهم بعد أمرهم بهذا العدل الخاص بالطائفتين المقتتلتين فقال: ﴿وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾؛ أي: واعدلوا إن الله يحب العادلين، ومحبته لهم تستلزم مجازاتهم بأحسن الجزاء.

قال الحسن[٣]، وقتادة، والسديّ: ﴿فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ﴾ بالدعاء إلى حكم كتاب الله، والرضى بما فيه لهما وعليهما ﴿فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا﴾ وطلبت ما ليس لها، ولم ترجع إلى الصلح ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى﴾ حتى ترجع إلى طاعة الله، والصلح الذي أمر الله به.

وجملة: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ مستأنفة مقرّرة لما قبلها من الأمر بالإصلاح، والمعنى: أنهم راجعون إلى أصل واحد، وهو الإيمان.

قال الزجّاج[٤]: الدين يجمعهم، فهم إخوة إذا كانوا متفقين في دينهم، فرجعوا بالاتفاق في الدين إلى أصل النسب؛ لأنّهم لآدم وحواء.

---

(١) «البحر المحيط» (٩/ ٥١٦)، و«زاد المسير» (٧/ ٦٣)، و«حاشية الجمل» (٤/ ١٧٩)، و«روح المعاني» (٢٥/ ٣٦٣).
(٢) «روح المعاني» (٢٥/ ٣٦٤)، و«الكشاف» (٥/ ٥٧١)، و«زاد المسير» (٧/ ٤٦٣).
(٣) ذكره عنهم الواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٥٣ ـ ١٥٤).
(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٣٦).

﴿فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ﴾ يعني: كل مسلمين تخاصما وتقاتلا، وتخصيص الاثنين بالذكْر لإثبات وجوب الإصلاح فيما فوقهما بطريق الأولى. قرأ الجمهور[١]: «بين أَخَوَيكم» على التثنية، وقرأ زيد بن ثابت، وعبد الله بن مسعود، والحسن، وحماد بن سلمة، وابن سيرين «إخوانكم» بالجمع[٢].

وروي عَنْ أبي عمرو، ونصر بن عاصم، وأبي العالية، والجحدري، ويعقوب أنهم قرءوا «بين إِخْوتِكم»[٣] بالفوقية على الجمع أيضاً. قال أبو عليّ[٤] الفارسي في توجيه قراءة الجمهور: أراد بالأخوين الطائفتين؛ لأن لفظ التثنية قد يَرِدُ، ويراد به الكثرة.

وقال أبو عُبيدة[٥]: أي: أصلحوا بين كل أخوين ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في كل أموركم ﴿لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ بسبب التقوى، والترجي باعتبار المخاطبين؛ أي: راجين أن ترحموا.

وفي هذه الآية دليل على قتال الفئة الباغية إذا تقرّر بغيها [٤/ ٨٤] على الإمام، أو على أحد من المسلمين، وعلى فساد قول مَنْ قال بعدم الجواز مستدلاً بقوله ﷺ: «قتال المسلم كفر»[٦]، فإن المراد بهذا الحديث، وما ورد في معناه قتال المسلم الذي لم يبغ.

قال ابنُ جرير[٧]: لو كان الواجب في كلّ اختلاف يكون بين فريقين من المسلمين الهرب منه، ولزوم المنازل لما أقيم حقّ ولا أبطل باطل، ولوجد أهل النفاق والفجور سبباً إلى استحلال كل ما حرّم الله عليهم من أموال المسلمين،

---

(١) «النشر» (٢/ ٣٧٦)، و«جامع البيان» (٢١/ ٣٦٣)، و«زاد المسير» (٧/ ٤٦٤).
(٢) وهي قراءة شاذة.
«المحتسب» (٢/ ٢٧٨)، و«القراءات الشاذة» (ص١٤٣).
(٣) «القراءات الشاذة» (ص١٤٣)، و«البحر المحيط» (٩/ ٥١٦)، و«روح المعاني» (٢٥/ ٣٦٨).
قراءة يعقوب قراءة متواترة.
(٤) في «الحجة» (٦/ ٢١٠).
(٥) انظر: «النكت والعيون» (٥/ ٣٣٠)، و«أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ١٧٠٥).
(٦) أخرجه أحمد رقم (٣٦٤٧)، والبخاري رقم (٤٨)، ومسلم رقم (٦٤/ ١١٦) عن ابن مسعود رضي الله عنه.
(٧) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٩/ ٣٧٦).

وسبي نسائهم، وسفك دمائهم بأن يتحزّبوا عليهم، ولكفّ المسلمون أيديهم عنهم، وذلك مخالف لقوله ﷺ: «خذوا على أيدي سفهائكم»(١).

قال ابن العربي(٢): هذه الآية أصل في قتال المسلمين، وعمدة في حرب المتأوّلين، وعليها عوّل الصحابة، وإليها لجأ الأعيان من أهل الملة، وإياها عنى النبيّ ﷺ بقوله: «تقتل عماراً الفئة الباغية»، وقوله ﷺ في شأن الخوارج: «يخرجون على حين فرقة من النّاس تقتلهم أولى الطائفتين بالحقّ».

[مجتمع إيماني له أدب رفيع]:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾ السُّخْرية: الاستهزاء.

وحكى أبو زيد(٣): سَخِرتُ به، وضحكت به، وهزأت به. وقال الأخفش(٤): سَخِرتُ منه وسَخِرتُ به، وضحِكت منه وضَحكت به، وهزأت منه وهزأت به، كل ذلك يقال، والاسم السُّخْرية والسُّخْرى، وقرئ بهما(٥) في: قوله: ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗا﴾ [الزخرف: ٣٢].

[ميزان الله يرفع ويخفض]:

ومعنى الآية: النهي للمؤمنين عن أن يستهزئ بعضُهم ببعض، وعلل هذا النهي بقوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾؛ أي: أن يكون المسخور بهم عند الله خيراً من الساخرين بهم، ولما كان لفظ قوم مختصّاً بالرجال؛ لأنّهم القوّم على النساء أفرد النساء بالذكر فقال: ﴿وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ﴾؛ أي: ولا يَسْخر نساء من نساء ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ﴾ المسخور بهن ﴿خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ﴾ يعني: خيراً من الساخرات منهنّ.

وقيل: أفرد النساء(٦) بالذكر؛ لأنّ السخرية منهنّ أكثر.

---

(١) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» رقم (١٣٤٩)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٧٥٧٧) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٢) في «أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ١٧٠٥ ـ ١٧٠٦).

(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٣٨٦).

(٤) «النكت والعيون» (٥/ ٣٣٢)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٣٨٥).

(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٣٨٦).

(٦) «روح المعاني» (٢٥/ ٣٧٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٣٨٨).

﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ اللَّمزُ: العيبُ، وقد مضى تحقيقه في سورة براءة عند قوله: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [التوبة: ٥٨] قال ابنُ جرير[١]: اللمز باليد والعين واللسان والإشارة، والهمز لا يكون إلّا باللسان، ومعنى: ﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾: لا يلمز بعضكم بعضاً، كما في قوله: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ﴾ [النساء: ٢٩] وقوله: ﴿فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ [النور: ٦١].

قال مجاهد[٢]، وقتادة[٣]، وسعيد بن جبير[٤]: لا يطعن بعضكم على بعض.

وقال الضحاك[٥]: لا يلعن بعضكم بعضاً.

[المراد بالألقاب لقب السوء]

﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ﴾ التنابز[٦]: التفاعل من النبْز بالتسكين وهو المصدر، والنَّبَزُ بالتحريك اللّقب، والجمع أنباز، والألقاب جمع لقب، وهو اسم غير الذي سُمّي به الإنسان، والمراد هنا لقب السوء، والتنابز بالألقاب أن يلقب بعضُهم بعضاً.

قال الواحدي[٧]: قال المفسِّرون: هو أن يقول لأخيه المسلم: يا فاسق يا منافق، أو يقول لمن أسلم: يا يهودي يا نصراني، قال عطاء[٨]: هو كلّ شيء أخرجت به أخاك من الإسلام، كقولك: يا كلب يا حمار يا خنزير.

قال الحسن[٩]، ومجاهد[١٠]: كان الرجل يُعيَّر بكفره، فيقال له: يا يهودي يا نصراني فنزلت، وبه قال قتادة[١١]، وأبو العالية[١٢]، وعكرمة[١٣].

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٣٩٠).
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٣٦٧) بسند صحيح.
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٣٦٧) بسند صحيح.
(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٣٩٠). (٥) «النكت والعيون» (٥/ ٣٣٢).
(٦) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٧٨٨)، و«الصحاح» (٣/ ٨٩٧).
(٧) في «الوسيط» (٤/ ١٥٥). (٨) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٥٥).
(٩) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٣٧٠)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٣٢) بسند صحيح.
(١٠) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٣٦٩ ـ ٣٧٠) بسند صحيح.
(١١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٣٧٠)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٣٢) بسند صحيح.
(١٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٣٩٢).
(١٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٣٦٩) بأسانيد يشدُّ بعضها بعضاً.

﴿بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ﴾؛ أي: بئس الاسم الذي يذكروا بالفسق بعد دخولهم في الإيمان، والاسم هنا بمعنى الذكر. قال ابن زيد(١): أي: بئس أن يُسمَّى الرجل كافراً أو زانياً بعد إسلامه وتوبته. وقيل: المعنى: أن من فعل ما نهي عنه من السخرية واللمز والنبذ فهو فاسق.

قال القرطبي(٢): إنَّه يستثنى من هذا مَنْ غُلب عليه الاستعمال كالأعرج والأحدب، ولم يكن له سبب يجد في نفسه منه عليه، فجوّزته الأئمة واتفق على قوله أهل اللغة اهـ.

﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ﴾ عما نهى الله عنه ﴿فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ لارتكابهم ما نهى الله عنه، وامتناعهم من التوبة، فظلموا من لقّبوه، وظلموا أنفسهم بما لزمها من الإثم.

[أكثر الأحكام الشرعية مبنية على الظن]:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ الظنّ هنا: هو مجرد التهمة التي لا سبب لها كمن يتهم غيره بشيء مِنْ الفواحش، ولم يظهر عليه ما يقتضي ذلك، وأمر سبحانه باجتناب الكثير؛ ليفحص المؤمن عن كل ظنّ يظنه حتى يعلم وجهه؛ لأن من الظنّ ما يجب اتباعه، فإن أكثر الأحكام(٣) الشرعية مبنية على الظنّ، كالقياس وخبر الواحد ودلالة العموم؛ ولكن هذا الظنّ الذي يجب العمل به قد قوي بوجه من الوجوه الموجبة للعمل به، فارتفع عَنْ الشكّ والتهمة.

قال الزجاج(٤): هو أن يظنّ بأهل الخير سوءًا، فأما أهل السوء والفسوق، فلنا أن نظنّ بهم مثل الذي ظهر منهم.

قال مقاتل بن سليمان(٥)، ومقاتل بن حيان: هو أن يظنّ بأخيه المسلم سوءًا، ولا بأس به ما لم يتكلّم به، فإن تكلم بذلك الظنّ وأبداه أثم.

وحكى القرطبي(٦) عن أكثر العلماء: أن الظنّ القبيح بمن ظاهره الخير لا يجوز، وأنّه لا حرج في الظنّ القبيح بمن ظاهره القبيح.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٧/ ٤٦٨)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٣٣).
(٢) في «تفسيره» (٩/ ٣٩٢). (٣) «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٣٩٧).
(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٣٦ ـ ٣٧).
(٥) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٥٥). (٦) في «تفسيره» (١٩/ ٣٩٨) عن المهدويّ.

وجملة: ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌۖ﴾: تعليل لما قبلها من الأمر باجتناب كثير من الظنّ، وهذا البعض هو ظنّ السوء بأهل الخير، والإثم هو: ما يستحقّه الظانّ من العقوبة. ومما يدل على تقييد هذا الظنّ المأمور باجتنابه بظنّ السوء قوله تعالى: ﴿وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا﴾ [الفتح: ١٢] فلا يدخل في الظنّ المأمور باجتنابه شيء من الظنّ المأمور باتباعه في مسائل الدين، فإن الله قد تعبّد عباده باتباعه، وأوجب العمل به جمهور أهل العلم، ولم ينكر ذلك إلّا بعض طوائف المبتدعة[١] كياداً للدّين وشذوذاً عن جمهور المسلمين، وقد جاء التعبد بالظنّ في كثير من الشريعة المطهرة بل في أكثرها.

ثم لما أمرهم الله سبحانه باجتناب كثير من الظنّ نهاهم عن التجسّس فقال: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾ التجسس[٢]: البحثُ عما ينكتم عنك من عيوب المسلمين وعوراتهم، نهاهم الله سبحانه عن البحث عن معايب الناس ومثالبهم.

قرأ الجمهور[٣]: «تجسّسوا» بالجيم، ومعناه ما ذكرنا. وقرأ الحسن، وأبو رجاء، وابن سيرين بالحاء[٤].

قال الأخفش[٥]: ليس يبعد أحدهما من الآخر؛ لأن التجسس بالجيم: البحث عما يكتم عنك، والتحسّس[٦] بالحاء: طلب الأخبار، والبحث عنها. وقيل: إن التجسس[٧] بالجيم هو البحث، ومنه قيل: رجل جاسوس: إذا كان يبحث عن الأمور، وبالحاء ما أدركه الإنسان ببعض حواسه. وقيل: إنه بالحاء فيما يطلبه الإنسان لنفسه، وبالجيم أن يكون رسولاً لغيره قاله ثعلب[٨].

﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ﴾؛ أي: لا يتناول بعضكم بعضاً بظهر الغيب بما يسوءه، والغيبة: أن تذكر الرجل بما يكرهه، كما جاء في حديث أبي هريرة[٩]

---

(١) «أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ١٧١٢). (٢) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص١٩٦).

(٣) «النشر» (٢/ ٢٣٢)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٣١٤ ـ ٣١٥)، و«التيسير» (ص٨٣).

(٤) «القراءات الشاذة» (ص١٤٣)، و«زاد المسير» (٧/ ٤٧١)، و«البحر المحيط» (٩/ ٥١٩). والقراءة بالحاء شاذة.

(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٣٩٨).

(٦) «الصحاح» (٣/ ٩١٧). (٧) «الصحاح» (٣/ ٩١٣).

(٨) انظر: «تهذيب اللغة» (٣/ ٤٠٥) (١٠/ ٤٤٨).

(٩) أخرجه أحمد (٢/ ٣٨٤، ٣٨٦)، وأبو داود رقم (٤٨٧٤)، والترمذي رقم (١٩٣٤) وقال: =

الثابت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذكرك أخاك بما يكره، فقيل: أفرأيتَ إنْ كان في أخي ما أقول؟ فقال: إن كان فيه ما تقول، فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه، فقد بهته».

﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ مثّل سبحانه الغيبة بأكل الميتة؛ لأن الميت لا يعلم بأكل لحمه، كما أن الحيّ لا يعلم بغيبة مَنْ اغتابه، ذكر معناه الزجاج[١].

وفيه إشارة إلى أن عرض الإنسان كلحمه، وأنّه كما يحرم أكل لحمه يحرم الاستطالة في عرضه، وفي هذا من التنفير عن الغيبة والتوبيخ لها[٢] والتوبيخ لفاعلها والتشنيع عليه ما لا يخفى، فإنّ لحم الإنسان مما تنفر عن أكله الطباع الإنسانية، وتستكرهه الجبلة البشرية، فضلاً عَنْ كونه محرّماً شرعاً.

﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ قال الفراء[٣]: تقديره: فقد كرهتموه فلا تفعلوا، والمعنى: فكما كرهتم هذا، فاجتنبوا ذكره بالسوء غائباً.

قال الرّازي[٤]: الفاء في تقدير جواب كلام؛ كأنه قال: لا يحبّ أحدكم أن يأكل لحم أخيه، فكرهتموه إذَنْ.

وقال أبو البقاء[٥]: هو معطوف على محذوف تقديره: عُرض عليكم ذلك، فكرهتموه.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بترك ما أمركم باجتنابه ﴿إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ لمن اتقاه، وتاب عما فرط منه من الذنب ومخالفة الأمر.

وقد أخرج البخاري، ومسلم، وغيرهما عن أنس[٦] قال: قيل للنبيّ ﷺ: «لو أتيت عبد الله بن أُبيّ، فانطلق إليه وركب حماراً، وانطلق المسلمون يمشون، وهي

= «هذا حديث حسن صحيح»، والدارمي (٢/ ٢٩٩) وهو حديث صحيح.
(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٣٧).
(٢) «روح المعاني» (٢٥/ ٣٨٣)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ١٨٣ ـ ١٨٤).
(٣) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٧٣). (٤) في «تفسيره» (٢٨/ ١٣٥).
(٥) في «التبيان» (٢/ ١١٧١).
(٦) أخرجه أحمد رقم (١٢٦٠٧، ١٣٢٩٢)، والبخاري رقم (٢٦٩١)، ومسلم رقم (١٧٩٩)، وابن جرير (٢١/ ٣٥٨)، وابن مردويه ـ كما في تخريج أحاديث الكشاف (٣/ ٣٣٥) ـ، والبيهقي (٨/ ١٧٢).

أرض سَبْخة، فلما انطلق إليه قال: إليك عنّي، فوالله لقد آذاني ريح حمارك، فقال رجل من الأنصار: والله لحمار رسول الله ﷺ أطيب ريحاً منك، فغضب لعبد الله رجال من قومه، فغضب لكل منهما أصحابه، فكان بينهم ضرب بالجريد والأيدي والنعال، فنزلت فيهم: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾ الآية». وقد روي نحو هذا من وجوه أخر.

وأخرج الحاكم وصحّحه، والبيهقي عن ابن عمر[١] قال: ما وجدت في نفسي من شيء ما وجدت في نفسي من هذه الآية، إنِّي لم أقاتل هذه الفئة الباغية، كما أمرني الله.

وأخرج ابنُ جرير، وابن المنذر، وابن مردويه عن ابن عباس[٢] في الآية قال: إنِّ الله أمر النبيّ ﷺ، والمؤمنين إذا اقتتلت طائفة من المؤمنين أن يدعوهم إلى حكم الله، وينصف بعضهم من بعض، فإذا أجابوا حكم فيهم بحكم كتاب الله حتى يُنْصِف المظلوم، فمن أبى منهم أن يجيب فهو باغٍ، وحقّ على إمام المؤمنين والمؤمنين أن يقاتلوهم حتى يفيئوا إلى أمر الله، ويقرّوا بحكم الله.

وأخرج ابنُ جرير، وابن مردويه عن ابن عباس[٣]: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾ الآية قال: كان قتالٌ بالنعال والعصيّ، فأمرهم [٤/٨٥] أن يصلحوا بينهما.

وأخرج ابن مردويه، والبيهقي عن عائشة قالت[٤]: ما رأيت مثل ما رغبت عنه هذه الأمة في هذه الآية: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾.

وأخرج ابن أبي حاتم[٥] عن مقاتل في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾ قال: نزلت في قوم من بني تميم استهزءوا من بلال، وسلمان، وعمار، وخبّاب، وصهيب، وابن فهيرة، وسالم مولى أَبي حذيفة.

وأخرج عبد بن حُميد، والبخاريّ في «الأدب»، وابن أبي الدنيا في «ذم

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٦٣) وصححه، والبيهقي (٨/ ١٧٢).

(٢) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٥٦١).
أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٣٥٧ ـ ٣٥٨) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٣٦٠) من طريق سعيد بن جبير، به.

(٤) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ١٧٢).

(٥) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٠٤).

الغيبة»، وابن جرير، وابن المنذر، والحاكم وصححه، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن ابن عباس(١) في قوله: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ قال: لا يطعن بعضكم على بعض.

وأخرج أحمد، وعبد بن حميد، والبخاريّ في «الأدب» و«أهل السنن الأربع»، وأبو يعلى، وابن جرير، وابن المنذر، وابن حبان، والشيرازي في «الألقاب»، والطبراني، وابن السني في «عمل يوم وليلة»، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «الشعب» عن أبي جبيرة(٢) بن الضحاك قال: فينا نزلت في بني سلِمة: ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾ قدم رسول الله ﷺ المدينة، وليس فينا رجل إلّا وله اسمان، أو ثلاثة، فكان إذا دعا واحداً منهم باسم من تلك الأسماء قالوا: يا رسول الله إنّه يكرهه، فنزلت: ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾. وأخرج ابن مردويه(٣) عن ابن عباس نحوه.

وأخرج ابن جرير(٤) عن ابن عباس قال: التنابز بالألقاب: أن يكون الرجل عمل السيئات، ثم تاب منها وراجع الحقّ، فنهى الله أن يُعيّر بما سلف من عمله.

وأخرج عبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن ابن مسعود(٥) في الآية قال: إذا كان الرجل يهودياً، فأسلم، فيقول: يا يهوديّ يا نصرانيّ يا مجوسيّ، ويقول للرجل المسلم: يا فاسق.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «شُعب

---

(١) أخرجه البخاري في «الأدب» رقم (٣٢٩)، وابن أبي الدنيا في «ذم الغيبة» رقم (٤٦)، وابن جرير (٢١/ ٣٦٧)، والحاكم (٢/ ٤٦٣)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٦٧٥١) بسند ضعيف.

(٢) أخرجه أحمد رقم (١١٦٤٢، ١٨٢٨٨، ٢٣٢٢٧)، والبخاري رقم (٣٣٠)، وأبو داود رقم (٤٩٦٢)، والترمذي رقم (٣٢٦٨)، والنسائي في «السنن الكبرى» رقم (١١٥١٦)، وابن ماجه رقم (٣٧٤١)، وابو يعلى رقم (٦٨٣٥)، وابن جرير (٢١/ ٣٦٨)، والبغوي ـ كما في «الإصابة» (٣/ ٤٧٤) ـ، وابن حبان رقم (٥٧٠٩)، والطبراني (ج٢٢ رقم ٩٦٨، ٩٦٩)، وابن السني رقم (٣٩٧)، والحاكم (٢/ ٤٦٣) و(٤/ ٢٨١، ٢٨٢)، والبيهقي رقم (٦٧٤٥ ـ ٦٧٤٧) وهو حديث صحيح.

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٥٦٤).

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٣٧١) بسند ضعيف.

(٥) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٥٦٤).
ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٢٣٠٤).

الإيمان» عن ابن عباس(١) في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ قال: نهى الله المؤمن أَنْ يظنّ بالمؤمن سوءًا.

وأخرج البخاري، ومسلم، وغيرهما عن أبي هريرة(٢) قال رسول الله ﷺ: «إياكم والظنّ، فإن الظنّ أكذب الحديث، ولا تجسسوا ولا تحسسوا، ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا، وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يخطب الرجل على خِطْبة أخيه حتى ينكح، أو يترك».

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «الشعب» عن ابن عباس(٣) في قوله: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾ قال: نهى الله المؤمن أن يتتبع عورات المؤمن.

وأخرج عبد الرزاق، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وأبو داود، وابن المنذر، وابن مردويه، والبيهقي في «الشعب» عن زيد بن وهب(٤) قال: أتى ابن مسعود، فقيل: هذا فلان تقطر لحيته خمراً، فقال ابن مسعود: إنا قد نهينا عن التجسس، ولكن إن يظهر لنا شيء نأخذه.

وقد وردت أحاديث في النهي عن تتبع عورات المسلمين، والتجسس عن عيوبهم.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «الشعب» عن ابن عباس(٥) في قوله: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ الآية قال: حرم الله أن يغتاب المؤمن بشيء، كما حرّم الميتة.

والأحاديث في تحريم الغيبة كثيرة جدّاً معروفة في كتب الحديث.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٣٧٤)، والبيهقي رقم (٦٧٥٤) بسند صحيح.

(٢) أخرجه البخاري رقم (٥١٤٣، ٦٠٦٢، ٦٧٢٤)، ومسلم رقم (٢٥٦٣)، وأحمد رقم (٧٣٣٧، ٧٨٥٨، ٨١١٨، ٨٥٠٤، ١٠٠٠١، ١٠٠٧٨، ١٠٢٥١، ١٠٣٧٤، ١٠٧٠١، ١٠٩٤٩)، ومالك (٢/ ٩٠٧، ٩٠٨)، وأبو داود رقم (٤٩١٧)، والترمذي رقم (١٩٨٨).

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٣٧٤، ٣٧٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ـ كما في «الإتقان» (٢/ ٤٣) ـ، والبيهقي رقم (٦٧٥٤) بسند صحيح.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» رقم (١٨٩٤٥)، وابن أبي شيبة (٩/ ٨٦)، وأبو داود رقم (٤٨٩٠)، والبيهقي رقم (٧٦٠٤، ٩٦٦١) بسند صحيح.

(٥) أخرجه ابن جرير (٢١/ ٣٨١)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٦٧٥٤) بسند صحيح.

[هنالك ميزان واحد؛ تتحدد به القيم ويعرف بها فضل الناس]:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ۞ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ۖ قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ ۖ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾.

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ﴾ هما آدم وحوّاء، والمقصود أنهم متساوون؛ لاتصالهم بنسب واحد، وكونه يجمعهم أب واحد وأمّ واحدة، وأنه لا موضع للتفاخر بينهم بالأنساب، وقيل: المعنى: أنّ كل واحد منكم من أب وأمّ، فالكل سواء.

﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ﴾ الشعوب جمع شَعب بفتح الشين، وهو الحيّ العظيم مثل: مُضر، وربيعة، والقبائل دونها كبني بكر من ربيعة، وبني تميم من مضر.

قال الواحدي(١): هذا قول جماعة من المفسرين، سُموا شَعباً لتشعُّبهم، واجتماعهم كشُعب أغصان الشجرة، والشَّعْب من أسماء الأضداد(٢)، يقال شعبته: إذا جمعته، وشَعَبْته: إذا فرّقته، ومنه سُميت المنية شَعُوباً لأنها مفرِّقة، فأما الشِّعب بالكسر: فهو الطريق في الجبل.

قال الجوهري(٣): الشعب ما تشعَّب من قبائل العرب والعجم، والجمع الشعوب.

وقال مجاهد(٤): الشعوب: البعيد من النسب، والقبائل دون ذلك.

---

(١) في «الوسيط» (٤/ ١٥٨).
(٢) ذكره البغوي في «تفسيره» (٣٤٧).
(٣) في «الصحاح» (١/ ١٥٥).
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٣٨٤) بسند صحيح.

وقال قتادة[١]: الشعوب: النسب الأقرب.

وقيل: إن الشعوب: عرب اليمن مِنْ قحطان، والقبائل من ربيعة، ومضر، وسائر عدنان.

وقيل: الشعوب بطون العجم، والقبائل بطون العرب[٢].

وحكى أبو عبيد[٣] أنّ الشَّعب أكثر من القبيلة، ثم القبيلة، ثم العِمارة، ثم البطن، ثم الفخذ، ثم الفصيلة، ثم العَشيرة. ومما يؤيد ما قاله الجمهور من أن الشعب أكثر مِنْ القبيلة قول الشاعر:

قبائلُ مِنْ شعوبٍ ليس فيهم ... كريمٌ قد يُعَدُّ ولا نجيبُ[٤]

قرأ الجمهور[٥]: «لتعارفوا» بتخفيف التاء، وأصله: لتتعارفوا، فحذفت إحدى التاءين. وقرأ البزّي[٦] بتشديدها على الإدغام. وقرأ الأعمش[٧] بتاءين واللام متعلقة بخلقناكم؛ أي: خلقناكم كذلك ليعرف بعضكم بعضاً. وقرأ ابن عباس[٨]: «لتعرفوا» مضارع عرف. والفائدة[٩] في التعارف: أن ينتسب كل واحد منهم إلى نسبه، ولا يتعدى إلى غيره. والمقصود من هذا أن الله سبحانه خلقهم كذلك؛ لهذه الفائدة لا للتفاخر بأنسابهم، ودعوى أن هذا الشعب أفضل من هذا الشعب، وهذه القبيلة أكرم من هذه القبيلة، وهذا البطن أشرف من هذا البطن.

[التفاضل بينكم إنما يكون بالتقوى]:

ثم علل سبحانه ما يدل عليه الكلام من النهي عن التفاخر، فقال: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾؛ أي: إن التفاضل بينكم إنما هو بالتقوى، فمن تلبس بها فهو المستحق؛ لأن يكون أكرم ممن لم يتلبس بها، وأشرف وأفضل، فدعوا ما أنتم فيه من

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٣٨٥)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٣٢) بسند صحيح.

(٢) «النكت والعيون» (٥/ ٣٣٦).

(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٤١٥).

(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٣٦).

(٥) «البحر المحيط» (٩/ ٥٢٢).

(٦) «التيسير» (ص٨٣)، و«النشر» (٢/ ٢٢٢). وهي قراءة متواترة مع قراءة الجمهور أما ما ذكره من القراءات الأخرى عن الأعمش وابن عباس فهي شاذة.

(٧) «المحتسب» (٢/ ٢٨٠)، و«القراءات الشاذة» (ص١٤٤)، و«روح المعاني» (٢٥/ ٣٩٢).

(٨) انظر: المصادر المتقدمة.

(٩) «روح المعاني» (٢٥/ ٣٩٢).

التفاخر بالأنساب، فإن ذلك لا يوجب كرماً، ولا يثبت شرفاً، ولا يقتضي فضلاً.

قرأ الجمهور[(١)]: «إن أكرمكم» بكسر إن. وقرأ ابن عباس[(٢)] بفتحها؛ أي: لأنّ أكرمكم.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بكل معلوم، ومن ذلك أعمالكم ﴿خَبِيرٌ﴾ بما تسرّون، وما تعلنون لا تخفى عليه من ذلك خافية.

ولما ذكر سبحانه أن أكرم الناس عند الله أتقاهم له، وكان أصل التقوى الإيمان ذكر ما كانت تقوله العرب من دعوى الإيمان؛ ليثبت لهم الشرف والفضل؛ فقال: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا﴾ وهو بنو أسد أظهروا الإسلام في سنة مجدبة يريدون الصدقة.

فأمر الله سبحانه رسوله ﷺ أن يردّ عليهم، فقال: ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا﴾؛ أي: لم تصدقوا تصديقاً صحيحاً عن اعتقاد قلب، وخلوص نية، وطمأنينة ﴿وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾؛ أي: استسلمنا خوف القتل والسبي، أو للطمع في الصدقة، وهذه صفة المنافقين؛ لأنهم أسلموا في ظاهر الأمر، ولم تؤمن قلوبهم، ولهذا قال سبحانه: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾؛ أي: لم يكن ما أظهرتموه بألسنتكم عن مواطأة قلوبكم، بل مجرد قول باللسان من دون اعتقاد صحيح، ولا نية خالصة، والجملة إما مستأنفة لتقرير ما قبلها، أو في محل نصب[(٣)] على الحال، وفي «لمّا» معنى التوقع[(٤)].

قال الزجاج[(٥)]: الإسلام: إظهار الخضوع، وقبول ما أتى به النبيّ ﷺ، وبذلك يحقن الدم، فإن كان مع ذلك الإظهار اعتقاد وتصديق بالقلب، فذلك الإيمان وصاحبه المؤمن.

---

(١) «البحر المحيط» (٩/ ٥٢٣)، و«التبيان» (٢/ ١١٧٠)، و«زاد المسير» (٧/ ٤٧٤). القراءة بفتح الهمزة شاذة.

(٢) «روح المعاني» (٢٥/ ٣٩٣)، و«البحر المحيط» (٩/ ٥٢٣)، و«معاني القرآن وإعرابه» للزجاج (٥/ ٣٧).

(٣) «البحر المحيط» (٩/ ٥٢٤)، و«روح المعاني» (٢٥/ ٤٠٤).

(٤) «تفسير أبي السعود» (٦/ ١٨٤)، و«روح المعاني» (٢٥/ ٤٠٤).

(٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٣٨).

وقد أخرج هؤلاء من الإيمان بقوله: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾؛ أي: لم تصدّقوا، وإنما أسلمتم تعوّذاً من القتل.

﴿وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ طاعةً صحيحةً صادرةً عن نيات خالصة، وقلوب مصدقة غير منافقة ﴿لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا﴾ يقال: لات يلت: إذا نقص، ولاته يليته ويلوتُه: إذا نقصه، والمعنى: لا ينقصكم من أعمالكم شيئًا.

قرأ الجمهور[١]: «يلتكم» مِنْ لاته يليته كباع يبيعه. وقرأ أبو عمرو[٢]: «لا يألِتكم» بالهمز من أَلَته يَألِتهُ بالفتح في الماضي، والكسر في المضارع، واختار قراءة أبي عمرو[٣]، أبو حاتم لقوله: ﴿وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ [الطور: ٢١] وعليها قول الشاعر:

أبلغْ بنِي أسدٍ عنِي مغلغلةً ... جَهْرَ الرسالةِ لا أَلْتَاً ولا كَذِبا[٤]

واختار أبو عبيد[٥] قراءة الجمهور، وعليها قول رؤبة بن العجاج[٦]:

وليلةٍ ذاتِ نَدىً سَرَيْتُ ... ولم يلتْني عن سُراها ليتُ

وهما لغتان فصيحتان.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾؛ أي: بليغ المغفرة؛ لمن فرط منه ذنب ﴿رَّحِيمٌ﴾ بليغ الرحمة لهم.

ثم لما ذكر سبحانه أن أولئك الذين قالوا آمنا لم يؤمنوا، ولا دخل الإيمان في قلوبهم، بيّن المؤمنين المستحقين لإطلاق اسم الإيمان عليهم، فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ يعني: إيماناً صحيحاً خالصاً عن مواطأة القلب واللسان ﴿ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ﴾؛ أي: لم يدخل قلوبهم شيء من الريب، ولا خالطهم شكّ من الشكوك ﴿وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: في طاعته وابتغاء مرضاته، ويدخل في الجهاد الأعمال الصالحة التي أمر الله بها، فإنّها من جملة ما يجاهد

---

(١) «النشر» (٢/ ٣٧٦)، و«فتح الباري» (٨/ ٤٥٢)، و«التيسير» (ص٢٠٢)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٤٨).
(٢) انظر: المصادر المتقدمة. وهما قراءتان متواترتان.
(٣) ذكره عنهما القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٤٢١ ـ ٤٢٢).
(٤) «ديوان الحطيئة» (ص١٣٥).
(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٤٢٢).
(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٣/ ٦) و(١٩/ ٤٢٢).

المرء به نفسه حتى يقوم به ويؤدّيه، كما أمر الله سبحانه. والإشارة بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إلى الجامعين بين الأمور المذكورة، وهو مبتدأ، وخبره قوله: ﴿هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾؛ أي: الصادقون في الاتصاف بصفة الإيمان، والدخول في عداد أهله، لا مَنْ عداهم ممن أظهر الإسلام بلسانه، وادّعى أنه مؤمن، ولم يطمئن بالإيمان قلبه، ولا وصل إليه معناه، ولا عمل بأعمال أهله، وهم الأعراب الذين تقدّم ذكرهم، [٤/٨٦] وسائر أهل النفاق.

[التعليم هنا بمعنى الإعلام]:

ثم أمر الله سبحانه رسوله أن يقول لأولئك الأعراب وأمثالهم قولاً آخر لما ادّعوا أنهم مؤمنون، فقال: ﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾ التعليم ها هنا بمعنى الإعلام، ولهذا دخلت الباء في ﴿بِدِينِكُمْ﴾؛ أي: أتخبرونه بذلك حيث قلتم آمنا ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فكيف يخفى عليه بطلان ما تدّعونه من الإيمان، والجملة في محل النصب[(١)] على الحال من مفعول تعلمون ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ لا تخفى عليه من ذلك خافية، وقد علم ما تبطنونه من الكفر، وتُظْهِرونه من الإسلام؛ لخوف الضرّاء ورجاء النفع.

ثم أخبر الله سبحانه رسوله بما يقوله لهم عند المنّ عليه منهم بما يدّعونه من الإسلام فقال: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟﴾؛ أي: يعدّون إسلامهم منّةً عليك حيث قالوا: جئناك بالأثقال والعيال، ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان.

﴿قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم﴾؛ أي: لا تعدّوه منّة عليّ، فإن الإسلام هو المنّة التي لا يطلب موليها ثواباً لمن أنعم بها عليه، ولهذا قال: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾؛ أي: أرشدكم إليه، وأراكم طريقه سواءً وصلتم إلى المطلوب أم لم تصلوا إليه، وانتصاب إسلامكم إما على أنه مفعول به على تضمين يمنّون معنى يعدّون، أو بنزع الخافض؛ أي: لأن أسلموا، وهكذا قوله: ﴿أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ فإنه يحتمل الوجهين.

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ فيما تدّعونه، والجواب محذوف يدلّ عليه ما قبله؛ أي: إن كنتم صادقين، فللّه المنّة عليكم.

---

(١) «البحر المحيط» (٩/٥٢٥)، و«روح المعاني» (٢٥/٤٠٦).

قرأ الجمهور[١]: «أَنْ هداكم» بفتح «أن»، وقرأ عاصم بكسرها[٢].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: ما غاب فيهما ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ لا يخفى عليه من ذلك شيء، فهو مجازيكم بالخير خيراً، وبالشرّ شرًّا. قرأ الجمهور[٣]: «تعلمون» على الخطاب، وقرأ ابن كثير[٤] على الغيبة.

وقد أخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «الدلائل» عن ابن أبي مليكة[٥] قال: لما كان يوم الفتح رَقِيَ بلال فأذن على الكعبة، فقال بعض الناس: أهذا العبد الأسود يُؤذن على ظهر الكعبة. وقال بعضهم: إنْ يسخط الله هذا يغيره، فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾.

وأخرج ابن المنذر[٦] عن ابن جريج نحوه.

وأخرج أبو داود في «مراسيله»، وابن مردويه، والبيهقي في «سننه» عن الزهري[٧] قال: أمر رسول الله ﷺ بني بياضة أن يزوّجوا أبا هند امرأة منهم، فقالوا: يا رسول الله، أنزوّج بناتنا موالينا؟ فنزلت هذه الآية.

وأخرج ابن مردويه[٨] عن عمر بن الخطاب أن هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ هي مكية، وهي للعرب خاصة الموالي أيَّ قبيلة لهم، وأي شعاب، وقوله: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ فقال: أتقاكم للشرك.

وأخرج البخاري، وابن جرير عن ابن عباس[٩] قال: الشعوب: القبائل العظام، والقبائل البطون.

---

(١) «البحر المحيط» (٩/ ٥٢٥).

(٢) وهي قراءة شاذة. وقراءة عاصم كقراءة الجمهور. «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٤٢٣). بل رواية شاذة عن عاصم والمتواتر عنه كباقي العشرة بفتح الهمز.

(٣) «البحر المحيط» (٩/ ٥٢٥)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٥٤٨)، و«النشر» (٢/ ٣٧٦)، و«التيسير» (ص٢٠٢).

(٤) انظر: المصادر المتقدمة.

(٥) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٥٧٨).
أخرجه البيهقي في «الدلائل» (٥/ ٧٩).

(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٥٧٨).

(٧) أخرجه أبو داود في «المراسيل» (ص١٤٨)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ١٣٦).

(٨) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٥٧٨).

(٩) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٣٤٨٩)، وابن جرير (٢١/ ٣٨٤).

وأخرج الفريابي، وابن جرير، وابن أبي حاتم عنه[١] قال: الشعوب الجُمَّاع، والقبائل الأفخاذ التي يتعارفون بها.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير عنه[٢] أيضاً قال: القبائل الأفخاذ، والشعوب الجمهور مثل مُضَر.

وأخرج البخاري، وغيره عن أبي هريرة[٣] قال: «سئل رسول الله ﷺ أيّ الناس أكرم؟ قال: أكرمهم عند الله أتقاهم. قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: فأكرم الناس يوسف نبيّ الله ابن نبيّ الله ابن نبيّ الله ابن خليل الله. قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: فعن معادن العرب تسألوني؟ قالوا: نعم، قال: خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا».

وقد وردت أحاديث في الصحيح، وغيره أَنَّ التقوى هي التي يتفاضل بها العباد.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر عن مجاهد[٤] في قوله: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا﴾ قال: أعراب بني أسد، وخزيمة، وفي قوله: ﴿وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا﴾ مخافة القتل والسبي.

وأخرج ابن جرير[٥] عن قتادة أنها نزلت في بني أسد.

وأخرج ابن المنذر، والطبراني، وابن مردويه قال السيوطي[٦]: بسند حسن عن عبد الله بن أبي أوفى[٧]: أن ناساً من العرب قالوا: يا رسول الله أسلمنا ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان، فأنزل الله ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟﴾.

---

(١) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٥٧٨).
أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٣٨٤) بسند صحيح.
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٣٨٤) عن سعيد بن جبير.
(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٣٣٧٤) والنسائي في «الكبرى» رقم (١١٢٤٩).
(٤) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٥٨٢).
أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٢٨٨، ٣٩١، ٣٩٢) بسند صحيح.
(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٥٨٢).
(٦) في «الدر المنثور» (٧/ ٥٨٥).
(٧) أخرجه الطبراني في «الأوسط» رقم (٨٠١٦).
وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١١٢): «فيه الحجاج بن أرطأة وهو ثقة ولكنه مدلس، وبقية رجاله رجال الصحيح».

وأخرج النسائي، والبزار، وابن مردويه عن ابن عباس[١] نحوه، وذكر أنهم بنو أسد.

۞ ۞ ۞

(١) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» رقم (١١٥١٩)، والبزار ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٧٦/١٣) ـ.

سُورَةُ قٓ

هي خمس وأَرْبعون آية. وهي مكية[١] كلُّها في قول الحسن، وعكرمة، وعطاء، وجابر. وروي عن ابن عباس، وقتادة أنها مكية إلّا آية، وهي قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [قٓ: ٣٨]. وهي أوّل المفصل على الصحيح، وقيل: من الحجرات.

وأخرج ابن الضريس، والنحاس، وابن مردويه، والبيهقي عن ابن عباس[٢] قال: نزلت سورة قٓ بمكة.

وأخرج ابن مردويه[٣] عن ابن الزبير مثله.

وقد أخرج مسلم، وغيره عن قُطْبة بن مالك[٤] قال: «كان النبي ﷺ يقرأ في الفجر في الركعة الأولى ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾؛ أي: سورة قٓ.

وأخرج أحمد، ومسلم، وأهل السنن عن أبي واقد الليثي[٥] قال: «كان رسول الله يقرأ في العيد بقاف، و ﴿ٱقْتَرَبَتِ﴾؛ أي: سورة القمر.

وأخرج ابن أبي شيبة، وأبو داود، وابن ماجه، والبيهقي عن أمّ هشام ابنة حارثة[٦] قالت: ما أخذتُ ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ إلّا من فيّ رسول الله ، كان يقرأ

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٤٢٤)، و«روح المعاني» (٢٥/ ٤١٠)، و«النكت والعيون» (٥/ ٣٣٩).

(٢) أخرجه ابن الضريس رقم (١٧)، و«النحاس» (ص١٨٠)، والبيهقي في «الدلائل» (٧/ ١٤٢ ـ ١٤٤).

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٥٨٧).

(٤) أخرجه مسلم رقم (٤٥٧١)، وابن ماجه رقم (٨١٦).

(٥) أخرجه أحمد رقم (٢١٨٩٦، ٢١٩١١)، ومسلم رقم (٨٩١)، وأبو داود رقم (١١٥٤)، والترمذي رقم (٥٣٤، ٥٣٥)، والنسائي في «المجتبى» رقم (١٥٦٦)، وفي «السنن الكبرى» رقم (١١٥٥٠، ١١٥٥١)، وابن ماجه رقم (١٢٨٢).

(٦) أخرجه أحمد رقم (٢٧٤٥٦، ٢٧٦٢٨)، ومسلم رقم (٨٧٣)، وابن أبي شيبة (٢/ ١١٥)، وأبو داود رقم (١١٠٠، ١١٠٢، ١١٠٣)، والنسائي في «المجتبى» رقم (١٤١٠)، وفي «السنن الكبرى» رقم (١٧٢٠)، وابن ماجه كما في «تحفة الأشراف» (١٢/ ١٠٨ ـ ١٠٩)، وعزاه ابن حجر في «أطراف المسند» رقم (٢٧٤٨) إلى ابن ماجه. والبيهقي (٣/ ٢١١).

بها في كلّ جمعة على المنبر إذا خطب النَّاسَ، وهو في «صحيح مسلم»[١].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ
﴿٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ
﴿٤﴾ بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ
بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ
بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ
وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ
كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ
﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى
لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾﴾.

قوله: ﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ الكلام في إعراب هذا كالكلام الذي قدّمنا في قوله: ﴿صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ [ص: ١] وفي قوله: ﴿حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ [الزخرف، والدخان: ١، ٢] واختلف في معنى قٓ، فقال الواحدي[٢]: قال المفسِّرون: هو اسم جبل يحيط بالدنيا من زبرجد، والسماء مُقبّبة عليه، وهو وراء الحجاب الذي تغيب الشمس من ورائه بمسيرة سنة.

قال الفراء[٣]: كان يجب على هذا أن يظهر الإعراب في قٓ لأنه اسم، وليس بهجاء. قال: ولعلّ القاف وحدها ذُكرتْ من اسمه كقول القائل: قلتُ لها قفي، فقالت: قاف؛ أي: أنا واقفة.

وحكى الفراء[٤]، والزجّاج[٥]: أن قوماً قالوا: معنى قٓ: قُضي الأمر، وقضي

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» رقم (٨٧٣) وقد تقدم.
(٢) في «الوسيط» (٤/ ١٦٣).
(٣) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٧٥).
(٤) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٧٥).
(٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٥١).

ما هو كائن، كما قيل في حمٓ: حُمّ الأمر. وقيل: هو اسمٌ من أسماء الله أقسم به. وقال قتادة[(١)]: هو اسم من أسماء القرآن.

وقال الشعبي[(٢)]: فاتحة السورة.

وقال أبو بكر الورّاق[(٣)]: معناه: قف عند أمرنا ونهينا ولا تَعْدُهما، وقيل غير ذلك مما هو أضعف منه، والحق أنّه من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه، كما حققنا ذلك في فاتحة سورة البقرة.

ومعنى المجيد: أَنّه ذو مجد وشرف على سائر الكُتُب المنزلة.

وقال الحسن[(٤)]: الكريم، وقيل: الرفيع القَدْر، وقيل: الكبير القدر.

وجواب القسم قال الكوفيون[(٥)]: هو قوله: ﴿بَلْ عَجِبُوٓاْ﴾ وقال الأخفش[(٦)]: جوابه محذوف كأنه قال: قٓ والقرآن المجيد لتُبعثن، يدل عليه ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ وقال ابن كيسان[(٧)]: جوابه: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ﴾ [قٓ: ١٨] وقيل: هو ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ بتقدير اللام[(٨)]؛ أي: لقد علمنا، وقيل: هو محذوف وتقديره: أنزلناه إليك لتنذر، كأنه قيل: قٓ والقرآن المجيد أنزلناه إليك؛ لتنذر به الناس.

قرأ الجمهور[(٩)] قاف بالسكون.

وقرأ الحسن، وابن أبي إسحاق، ونصر بن عاصم بكسر الفاء[(١٠)]. وقرأ عيسى الثقفي بفتح الفاء[(١١)]. وقرأ هارون، ومحمد بن السميفع[(١٢)] بالضم.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٤٢١)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٣٦) بسند صحيح.

(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٤٢٦).

(٣) «زاد المسير» (٨/ ٥).

(٤) «النكت والعيون» (٥/ ٣٤٠).

(٥) «روح المعاني» (٢٥/ ٤١٣)، و«التبيان» (٢/ ١١٧٣).

(٦) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٦٩٦).

(٧) وذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٤٢٨).

(٨) «التبيان» (٢/ ١١٧٣)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٣١٨).

(٩) «النشر» (١/ ٢٤١)، و«زاد المسير» (٨/ ٤)، و«البحر المحيط» (٩/ ٥٢٨).

(١٠) «المحتسب» (٢/ ٢٨١). القراءة بسكون الفاء هي المتواترة، أما الكسر والفتح والضم فهي قراءات شاذة.

(١١) «القراءات الشاذة» (ص١٤٤)، و«المحتسب» (٢/ ٢٨١).

(١٢) «البحر المحيط» (٩/ ٥٢٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٤٢٥).

﴿بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ﴾ «بل» للإضراب[١] عن الجواب على اختلاف الأقوال، و«أن» في موضع نصب[٢] على تقدير: لأنْ جاءهم. والمعنى: بل عجب الكفارُ؛ لأنْ جاءهم منذر منهم، وهو محمد ﷺ، ولم يكتفوا بمجرّد الشك والردّ، بل جعلوا ذلك من الأمور العجيبة، وقيل: هو إضراب عن وصف القرآن بكونه مجيداً، وقد تقدّم تفسير هذا في سورة صٓ.

ثم فسّر ما حكاه عنهم من كونهم عجبوا بقوله: ﴿فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ﴾ وفيه زيادة تصريح وإيضاح.

قال قتادة[٣]: عجبهم أن دُعوا إلى إلٰه واحد، وقيل: تعجبهم من البعث، فيكون لفظ «هذا» إشارة إلى مبهم يفسره ما بعده من قوله: ﴿أَءِذَا مِتۡنَا﴾ إلخ، والأوّل أولى.

قال الرازي[٤]: الظاهر أن قولهم هذا إشارة إلى مجيء المنذر، ثم قالوا: ﴿أَءِذَا مِتۡنَا﴾ وأيضاً قد وجد ها هنا بعد الاستبعاد بالاستفهام أمر يؤدي معنى التعجب، وهو قولهم: ﴿ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ﴾ فإنه استبعاد وهو كالتعجب، فلو كان التعجب بقولهم: ﴿هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ﴾ عائداً إلى قولهم: ﴿أَءِذَا﴾ لكان كالتكرار، فإن قيل: التكرار الصريح يلزم من قولك: هذا شيء عجيب أنه يعود إلى مجيء المنذر، فإن تعجبهم منه عُلِم من قولهم: ﴿بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم﴾، فقوله: ﴿هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ﴾ يكون تكراراً، فنقول ذلك ليس بتكرار بل هو تقرير؛ لأنه لما قال: ﴿بَلۡ عَجِبُوٓاْ﴾ بصيغة الفعل وجاز أن يتعجب الإنسان مما لا يكون عجباً كقوله: ﴿أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ﴾ [هود: ٧٣] ويقال في العُرْف: لا وجه لتعجبك مما ليس بعجب، فكأنهم لما عجبوا قيل لهم: لا معنى لتعجبكم، فقالوا: ﴿هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ﴾ فكيف لا نعجب منه، ويدلّ على ذلك قوله ها هنا: ﴿فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ بالفاء، فإنها تدلّ على أنه مترتب على ما تقدّم.

قرأ الجمهور[٥]: ﴿أَءِذَا مِتۡنَا﴾ بالاستفهام.

---

(١) «مشكل إعراب القرآن» (٢/٣١٨)، و«الفريد» (٤/٣٤٦)، و«البحر المحيط» (٩/٥٢٩).
(٢) انظر: المصادر المتقدمة. (٣) «النكت والعيون» (٥/ ٣٤٠).
(٤) في «تفسيره» (٢٨/ ١٥١).
(٥) «البحر» (٩/ ٥٢٩)، و«الإتحاف» (ص٣٩٨).

وقرأ ابن عامر [٤/٨٧] في رواية عنه، وأبو جعفر، والأعمش، والأعرج بهمزة[١] واحدة، فيحتمل الاستفهام كقراءة الجمهور، وهمزة الاستفهام مقدّرة، ويحتمل أن معناه الإخبار، والعامل في الظرف مقدّر؛ أي: أيبعثنا، أو أنرجع إذا متنا لدلالة ما بعده عليه، هذا على قراءة الجمهور، وأما على القراءة الثانية، فجواب «إذا» محذوف؛ أي: رجعنا، وقيل: ذلك رجع، والمعنى: استنكارهم للبعث بعد موتهم ومصيرهم تراباً.

ثم جزموا باستبعادهم للبعث، فقالوا: ﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: البعث ﴿رَجْعُۢ بَعِيدٌ﴾ أي: بعيد عن العقول، أو الأفهام، أو العادة، أو الإمكان، يقال: رَجَعْتُه أرْجِعه رَجْعاً، ورجع هو يَرجِع رُجوعاً. ثم ردّ سبحانه ما قالوه، فقال: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾؛ أي: ما تأكل من أجسادهم، فلا يضلّ عنا شيء من ذلك، ومن أحاط علمه بكل شيء حتى انتهى إلى علم ما يذهب من أجساد الموتى في القبور لا يصعب عليه البعث، ولا يُستبعد منه.

وقال السديّ[٢]: النقص هنا: الموت، يقول: قد علمنا مَنْ يموت منهم، ومن يبقى؛ لأن من مات دُفن، فكأنّ الأرض تنقص[٣] من الأموات، وقيل المعنى: من يدخل في الإسلام من المشركين، والأوّل أولى.

﴿وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ﴾؛ أي: حافظ لعدتّهم وأسمائهم ولكلّ شيء من الأشياء، وهو اللوح المحفوظ[٤].

وقيل: المراد بالكتاب هُنا: العلم والإحصاء، والأوّل أولى. وقيل: حفيظ بمعنى محفوظ؛ أي: محفوظ مِنْ الشياطين، أو محفوظ فيه كل شيء.

ثم أضرب سبحانه عن كلامهم الأول وانتقل إلى ما هو أشنع منه فقال: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ﴾ فإنه تصريح منهم بالتكذيب بعد ما تقدّم عنهم من الاستبعاد، والمراد

---

(١) «المحتسب» (٢/ ٢٨١)، و«روح المعاني» (٢٥/ ٤١٥)، و«إعراب القراءات الشواذ» (٢/ ٥٠٥). القراءة المتواترة قراءة العشرة بهمزتين وما عزاه لابن عامر وأبي جعفر فروايات شاذة عنهما ولكن هناك تفصيل في قراءة الهمزتين بين تسهيل وتحقيق انظر: «النشر» (١/ ٣٧٠).

(٢) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٥٦).

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٤٢٩).

(٤) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٦٣).

بالحق هنا: القرآن. قال الماوردي[١] في قول الجميع. وقيل: هو الإسلام[٢]، وقيل: محمد، وقيل: النبوّة الثابتة بالمعجزات.

﴿لَمَّا جَآءَهُمۡ﴾؛ أي: وقت مجيئه إليهم من غير تدبّر ولا تفكر ولا إمعان نظر.

قرأ الجمهور[٣] بفتح اللام وتشديد الميم.

وقرأ الجحدري بكسر اللام[٤] وتخفيف الميم.

﴿فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ﴾؛ أي: مختلط مضطرب، يقولون مرة: ساحر، ومرة: شاعر. ومرة كاهن، قاله الزجاج[٥] وغيره. وقال قتادة[٦]: مختلف.

وقال الحسن[٧]: ملتبس، والمعنى متقارب، وقيل[٨]: فاسد، والمعاني متقاربة، ومنه قولهم: مرجتْ أماناتُ الناس؛ أي: فسدت، ومرج الدين، والأمر: اختلط.

﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ﴾ الاستفهام للتقريع[٩] والتوبيخ؛ أي: كيف غفلوا عن النظر إلى السماء فوقهم ﴿كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا﴾، وجعلناها على هذه الصفة مرفوعة بغير عمادٍ تعتمد عليه ﴿وَزَيَّنَّٰهَا﴾ بما جعلنا فيها من المصابيح ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ﴾؛ أي: فتوق وشقوق وصدوع، وهو جمع فَرْج، ومنه قول امرئ القيس[١٠]:

تَسُدُّ بِهِ فَرجاً مِنْ دُبُرْ[١١]

---

(١) في «النكت والعيون» (٥/ ٣٤١).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٤٣٠).

(٣) «البحر المحيط» (٩/ ٥٣٢)، و«حاشية الشهاب» (٨/ ٨٥)، و«المحرر الوجيز» (١٥/ ١٦٣).

(٤) «القراءات الشاذة» (ص١٤٤)، و«المحتسب» (٢/ ٢٨٢).

• واللام توقيتية بمعنى «عند»، وما مصدرية؛ أي: بل كذَّبوا بالحقِّ عند مجيئه إيَّاهم. «روح المعاني» (٢٥/ ٤١٩)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ١٨٩).

(٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٤٢).

(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٤٣٠).

وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٤٠٦) بسند صحيح عن ابن عباس.

(٧) «النكت والعيون» (٥/ ٣٤١).

(٨) قاله أبو هريرة: «النكت والعيون» (٥/ ٣٤١).

(٩) «روح المعاني» (٢٥/ ٤٢٠)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ١٩٠).

(١٠) «ديوان امرئ القيس» (ص١٦٤)، وفي المخطوط [فرجاً] وصوابه [فرجها].

(١١) وصدر البيت:

لَها ذَنَبٌ مِثْل ذَيل العَروس

قال الكسائي[١]: ليس فيها تفاوت، ولا اختلاف، ولا فتوق.

﴿وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا﴾؛ أي: بسطناها ﴿وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾؛ أي: جبالاً ثوابت، وقد تقدّم تفسير هذا في سورة الرعد.

﴿وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ﴾؛ أي: من كل صنف حسن، وقد تقدّم تفسير هذا في سورة الحج.

﴿تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ﴾ هما علتان لما تقدّم منتصبان[٢] بالفعل الأخير منها أو بمقدّر؛ أي: فعلنا ما فعلنا للتبصير والتذكير، قاله الزجاج[٣]. وقال أبو حاتم[٤]: انتصبا على المصدرية؛ أي: جعلنا ذلك تبصرةً وذكرى. والمُنيب: الراجع إلى الله بالتوبة المتدِّبر في بديع صُنْعه، وعجائب مخلوقاته.

وفي سياق هذه الآيات تذكير لمنكري البعث وإيقاظ لهم عن سَنَة الغفلة، وبيان لإمكان ذلك وعدم امتناعه، فإنّ القادر على مثل هذه الأمور يقدر عليه وهكذا قوله: ﴿وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا﴾؛ أي: نزّلنا من السحاب ماءً كثير البركة؛ لانتفاع الناس به في غالب أمورهم ﴿فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ﴾؛ أي: أنبتنا بذلك الماء بساتين كثيرة ﴿وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ﴾؛ أي: ما يُقْتات ويُحْصَد من الحبوب، والمعنى: وحبّ الزرع الحصيد، وخصّ الحبّ لأنه المقصود، كذا قال البصريون[٥]. وقال الكوفيون[٦]: هو من باب إضافة الشيء إلى نفسه كمسجد الجامع، حكاه الفرّاء[٧].

قال الضحاك[٨]: حبّ الحصيد: البُرّ والشعير، وقيل: كل حبّ يحصد ويدخر ويقتات.

﴿وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ﴾ هو معطوف على جنات؛ أي: وأنبتنا به النخل، وتخصيصها بالذكر مع دخولها في الجنّات للدلالة على فضلها[٩] على سائر

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٤٣١).
(٢) «التبيان» (٢/ ١١٧٣)، و«الفريد» (٤/ ٣٤٨).
(٣) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٤٣).
(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٤٣٢).
(٥) «إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ٢٢١)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٣١٩)، و«التبيان» (٢/ ١١٧٤).
(٦) انظر: المصادر المتقدمة.
(٧) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٧٦).
(٨) ذكره القرطبي في«تفسيره» (١٩/ ٤٣٢).
(٩) «روح المعاني» (٢٥/ ٤٢٢).

الأشجار، وانتصاب[١] باسقاتٍ على الحال، وهي حال مقدّرة؛ لأنها وقت الإنبات لم تكن باسقة.

قال مجاهد[٢]، وعكرمة[٣]، وقتادة[٤]: الباسقات: الطوال، وقال سعيد بن جبير[٥]: مستويات.

وقال الحسن[٦]، وعكرمة، والفراء[٧]: مواقير حوامل، يقال للشاة إذا بَسَقَتْ: ولدتْ، والأشهر في لغة العرب الأوّل، يقال: بسقت النخلة بُسوقاً: إذا طالت، ومنه قول الشاعر[٨]:

لـنـا خـمـرٌ ولـيـسـتْ خـمـرَ كَـرْمِ ... ولـكـنْ مِـنْ نِـتـاجِ الـبـاسـقـاتِ
كـرامٌ فِـي الـسـمـاءِ ذَهَـبْـنَ طُـوْلاً ... وفـاتَ ثـمـارُهـا أيـدِي الـجُـنـاةِ[٩]

وجملة ﴿لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾: في محل نصب[١٠] على الحال من النخل، الطلع[١١] هو أوّل ما يخرج من ثمر النخل، يقال: طلع الطَّلْعُ طُلوعاً، والنضيد[١٢]: المتراكب الذي نُضِّد بعضه على بعض، وذلك قبل أن ينفتح فهو نضيد في أكمامه فإذا خرج من أكمامه، فليس بنضيد.

﴿رِّزْقًا لِّلْعِبَادِۖ﴾ انتصابه[١٣] على المصدرية؛ أي: رزقناهم رزقاً، أو على العلة؛ أي: أنبتنا هذه الأشياء للرزق ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًاۚ﴾؛ أي: أحيينا بذلك الماء بلدة مُجْدبة لا ثمار فيها ولا زرع.

---

(١) «التبيان» (٢/ ١١٧٤)، و«الفريد» (٤/ ٣٤٨).
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٤١٣) بسند صحيح.
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٤١٢ ـ ٤١٣) بسند حسن.
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٤١٣)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٣٦، ٢٣٧) بسند صحيح.
(٥) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٥٧).
(٦) ذكره عنهما القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٤٣٢).
(٧) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٣٢٤).
(٨) أبو نواس.
(٩) البيتان في «ديوان أبي نواس» (ص١١٨).
(١٠) «الفريد» (٤/ ٣٤٩)، و«روح المعاني» (٢٥/ ٤٢٤).
(١١) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٥٢٣)، و«تهذيب اللغة» (١٢/ ١٦٨).
(١٢) «تهذيب اللغة» (١٢/ ٣)، و«مفردات ألفاظ اللغة» (ص٨١٠).
(١٣) «التبيان» (٢/ ١١٧٤)، و«الفريد» (٤/ ٣٤٩).

وجملة: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ﴾ مستأنفة لبيان أنَّ الخروج من القبور عند البعث كمثل هذا الإحياء الذي أحيا الله به الأرض الميتة، قرأ الجمهور[١]: «مَيْتاً» على التخفيف، وقرأ أبو جعفر[٢]، وخالد بالتثقيل.

ثم ذكر سبحانه الأمم المكذّبة، فقال: ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَأَصۡحَٰبُ ٱلرَّسِّ﴾ هم قومُ شعيب كما تقدّم بيانه، وقيل: هم الذين جاءهم من أقصى المدينة رجل يسعى، وهم من قوم عيسى. وقيل: هم أصحاب الأخدود. والرسّ: إما موضع نسبوا إليه، أو فعل، وهو حفر البئر، يقال: رسّ: إذا حفر بئراً ﴿وَثَمُودُ ١٢ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ﴾؛ أي: فرعون وقومه ﴿وَإِخۡوَٰنُ لُوطٖ﴾ جعلهم إخوانه؛ لأنّهم كانوا أصهاره.

وقيل: هم من قوم إبراهيم، وكانوا من معارف لوط.

﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ﴾ تقدّم الكلام على الأيكة، واختلاف القُرّاء فيها في سورة الشعراء مستوفى، ونبيهم الذي بعثه الله إليهم شُعيب.

﴿وَقَوۡمُ تُبَّعٖۚ﴾ هو تُبّع الحِمْيَري الذي تقدّم ذكره في قوله: ﴿أَهُمۡ خَيۡرٌ أَمۡ قَوۡمُ تُبَّعٖ﴾ [الدخان: ٣٧] واسمه سَعْد أبو كرْب، وقيل: أَسْعد.

قال قتادة: ذمّ الله قوم تُبّع، ولم يذمه ﴿كُلّٞ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾ التنوين عوض عن المضاف إليه؛ أي: كل واحد[٣] مِنْ هؤلاء كذّبَ رسوله الذي أرسله الله إليه، وكذب ما جاء به من الشرع، واللام في الرسل تكون للعهد.

ويجوز أن تكون للجنس؛ أي: كل طائفة من هذه الطوائف كذبت جميع الرسل، وإفراد الضمير في كذّب باعتبار لفظ كل، وفي هذا تسلية لرسول الله ﷺ؛ كأنه قيل له: لا تَحزن، ولا تكثر غمك لتكذيب هؤلاء لك، فهذا شأن من تقدّمك مِنْ الأنبياء، فإن قومهم كذبوهم، ولم يصدّقهم إلّا القليل منهم.

﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾؛ أي: وجب عليهم وعيدي، وحقّت عليهم كلمة العذاب، وحل بهم ما قدّره الله عليهم من الخَسْف، والمَسْخ، والإهلاك بالأنواع التي أنزلها الله بهم من عذابه.

---

(١) «روح المعاني» (٢٥/ ٤٢٣)، و«البحر المحيط» (٩/ ٥٣٣)، و«النشر» (٢/ ٢٢٤).
(٢) انظر: المصادر المتقدمة.
(٣) «روح المعاني» (٢٥/ ٤٢٤)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ١٩١).

﴿أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ﴾ الاستفهام[١] للتقريع والتوبيخ، والجملة مستأنفة لتقرير أمر البعث الذي أنكرته الأمم؛ أي: أفعجزنا بالخلق حين خلقناهم أوّلاً ولم يكونوا شيئًا، فكيف نعجز عن بعثهم، يقال: عَيِيتُ بالأمر: إذا عجزتُ عنه، ولم أعرف وجهه.

قرأ الجمهور[٢] بكسر الياء الأولى بعدها ياء ساكنة. وقرأ ابن أبي عبلة بتشديد الياء[٣] من غير إشباع.

ثم ذكر أنهم في شكّ من البعث، فقال: ﴿بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ﴾؛ أي: في شك وحيرة واختلاط من خلق مُسْتأنَف، وهو بعث الأموات، ومعنى الإضراب: أنهم غير منكرين لقدرة الله على الخلق الأوّل ﴿بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ﴾.

وقد أخرج ابنُ جرير، وابن المنذر عن ابن عباس[٤] في قوله: ﴿قٓۚ﴾ قال: هو اسم من أسماء الله.

وأخرج ابن أبي حاتم[٥] عنه قال: خلق الله من وراء هذه الأرض بحراً محيطاً، ثم خلق وراء ذلك جبلاً يقال له: قٓ. السماء الدنيا مرفْرفة عليه، ثم خلق من وراء ذلك الجبل أرضاً مثل تلك الأرض سبع مرات، ثم خلق من وراء ذلك بحراً محيطاً بها، ثم خلق وراء ذلك جبلاً يقال له: قاف. السماء الثانية مُرَفْرّفة عليه، حتى عدّ سبع أرَضين، وسبعة أبحر، وسبعة أجبل، وسبع سمٰوات، قال: وذلك قوله: ﴿وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ﴾ [لقمان: ٢٧] قال ابن كثير[٦]: لا يصح سنده عن ابن عباس. وقال أيضاً: وفيه انقطاع.

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٤٣٥)، و«روح المعاني» (٢٥/ ٤٢٤).
(٢) «البحر المحيط» (٩/ ٥٣٣)، و«الدر المصون» (٦/ ١٧٦).
(٣) «القراءات الشاذة» (ص١٤٤)، و«روح المعاني» (٢٥/ ٤٢٥). وهي قراءة شاذة.
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٤٠٠) بسند صحيح.
(٥) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٠٧).
(٦) في «تفسيره» (١٣/ ١٨٠).
قال ابن كثير: حتى إن الإمام أبا محمد عبد الرحمٰن بن أبي حاتم الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ أورد هاهنا أثراً غريباً لا يصح سنده عن ابن عباس فقال: حدثنا أبي، قال حُدثت عن محمد بن إسماعيل المخزومي، حدثنا ليث بن أبي سليم عن مجاهد، عن ابن عباس قال: «الحديث».

وأخرج ابن أبي الدنيا(١) وأبو الشيخ عنه أيضاً قال: هو جبل وعروقه إلى الصخرة التي عليها الأرض، فإذا أراد الله أن يُزلْزل قريةً أمر ذلك الجبل، فحرّك ذلك العِرْق الذي يلي تلك القرية فيزلزلها ويحركها، فمن ثم يحرك القرية دون القرية.

وأخرج عبد بن حميد، وابن أبي حاتم عنه(٢) أيضاً ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ قال: الكريم.

وأخرج ابن أبي حاتم(٣) عنه أيضاً قال: القرآن المجيد ليس شيء أحسن منه ولا أفضل.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه(٤) أيضاً. و﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ قال: أجسادهم وما يذهب منها.

وأخرج ابن جرير(٥) عنه أيضاً في الآية قال: ما تأكل من لحومهم وعظامهم وأشعارهم.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر عنه(٦) أيضاً قال: المريج: الشيء المتغير.

وأخرج الحاكم وصححه، وابن مردويه عن قُطبة(٧) قال: «سمعتُ النبيّ ﷺ يقرأ في الصبح قٓ، فلما أتى على هذه الآية: ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَـٰتٍ﴾ فجعلت أقول: ما بُسوقها؟ قال: طولُها».

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم من طرق عن ابن عباس(٨) في قوله: ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَـٰتٍ﴾ قال: الطول.

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «العقوبات» رقم (٢٢)، وأبو الشيخ في «العظمة» رقم (٩٩١) بسند ضعيف.

(٢) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٥٨٩).
وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٠٧).

(٣) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٠٧).

(٤) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٥٨٩).

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٤٠٤) بسند ضعيف.

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٤٠٦) من طريق وهب بن حبيب الأسدي، به.

(٧) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٦٤ ـ ٤٦٥).

(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٤١٢)، وابن أبي حاتم ـ كما في الإتقان (٢/ ٤٤) ـ بسند صحيح.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عنه[(١)] في قوله: ﴿لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ قال: مُتراكم بعضُه على بعض.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عنه[(٢)] أيضاً في قوله: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ﴾ يقول: [٤/ ٨٨] لم يعيينا الخلق الأوّل، وفي قوله: ﴿بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ﴾ في شكٍّ من البعث.

[رحلة تبدأ من الميلاد وتمر بالموت وتنتهي بالبعث والحساب]:

﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ١٦ إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ ١٧ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ١٨ وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ ١٩ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ ٢٠ وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ٢١ لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ ٢٢ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ٢٣ أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٖ ٢٤ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٖ مُّرِيبٍ ٢٥ ٱلَّذِي جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلۡقِيَاهُ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ٢٦ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطۡغَيۡتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ٢٧ قَالَ لَا تَخۡتَصِمُواْ لَدَيَّ وَقَدۡ قَدَّمۡتُ إِلَيۡكُم بِٱلۡوَعِيدِ ٢٨ مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ٢٩ يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ ٣٠ وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ غَيۡرَ بَعِيدٍ ٣١ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٖ ٣٢ مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ ٣٣ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٖۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ ٣٤ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ٣٥﴾.

قوله: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ﴾ هذا كلام مبتدأ يتضمن ذكر بعض القدرة الربانية، والمراد بالإنسان: الجنس، وقيل: آدم.

والوسوسة[(٣)] هي في الأصل الصوت الخفيّ، والمراد بها هنا: ما يختلج في سرّه وقلبه وضميره؛ أي: نعلم ما يُخْفي، ويكنّ في نفسه، ومن استعمال الوسوسة في الصوت الخفيّ قول الأعشى[(٤)]:

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٤١٣ ـ ٤١٤) بسند ضعيف.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٤٢٠ ـ ٤٢١) بسند صحيح.

(٣) «تهذيب اللغة» (١٣/ ١٣٦)، و«مفردات ألفاظ القرآن» (ص٨٦٩).

(٤) «ديوان الأعشى» (ص١٠٥).

تسمعُ لِلْحَلِي وَسواساً إذا انصرفتْ[(١)]

فاستُعمل لما خَفي من حديث النفس.

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ هو حبل العاتق، وهو ممتد من ناحية حلقه إلى عاتقه، وهما وريدان من عن يمين وشمال.

وقال الحسن[(٢)]: الوريد: الوتين، وهو عِرْقٌ معلّق بالقلب، وهو تمثيل للقرب بقرب ذلك العِرْق من الإنسان؛ أي: نحن أقرب إليه من حبل وريده، والإضافة بيانية[(٣)]؛ أي: حبل مِنْ الوريد. وقيل: الحبل هو نفس الوريد، فهو من باب مسجد الجامع.

ثم ذكر سبحانه أنه مع علمه به وكّل به ملَكين يكتبان، ويحفظان عليه عمله إلزاماً للحجة فقال: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾ الظرف[(٤)] منتصب بما في ﴿أَقْرَبُ﴾ من معنى الفعل، ويجوز أن يكون منصوباً بمقدّر هو اذكر، والمعنى: أنه أقرب إليه من حبل وريده حين يتلقى المتلقيان، وهما الملَكان المُوكّلان به ما يلفظ به وما يعمل به؛ أي: يأخذان ذلك ويثبتانه، والتلقي الأخذ؛ أي: نحن أعلم بأحواله غير محتاجين إلى الحفظة الموكلين به، وإنما جعلنا ذلك إلزاماً للحجة، وتوكيداً للأمر.

قال الحسن[(٥)]، وقتادة، ومجاهد: المتلقيان ملَكان يتلقيان عملك أحدهما عن يمينك يكتب حسناتك، والآخر عن شمالك يكتب سيئاتك.

وقال مجاهد[(٦)] أيضاً: وكّل اللهُ بالإنسان ملَكين بالليل، وملكين بالنهار يحفظان عمله، ويكتبان أثره ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ إنما قال ﴿قَعِيدٌ﴾، ولم يقل قعيدان[(٧)] وهما اثنان؛ لأن المراد: عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد، فحذف الأوّل لدلالة الثاني عليه، كذا قال سيبويه كقول الشاعر[(٨)]:

---

(١) وعجز البيت:

كما استعان بريح عِشْرِقٌ زَجِلُ

(٢) «النكت والعيون» (٥/ ٣٤٦).

(٣) «روح المعاني» (٢٥/ ٤٢٧)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ١٩١).

(٤) «التبيان» (٢/ ١١٧٤)، و«الفريد» (٤/ ٣٥٠).

(٥) «النكت والعيون» (٥/ ٣٤٧).

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٤٢٥) بسند صحيح.

(٧) «جامع البيان» (٢١/ ٤٢٣)، و«روح المعاني» (٢٥/ ٤٢٨).

(٨) نسبه سيبويه في «الكتاب» (١/ ٧٥ ـ ٧٦)، لقيس بن الخطيم.

نحنُ بما عندَنا وأنتَ بما عندَك راضٍ والرأيُ مختلِفُ

وقول الفرزدق[(١)]:

وأبَي فكانَ وكنتُ غيرَ عَذورِ[(٢)]

أي: وكان غير عذور، وكنت غير عذور، وقال الأخفش[(٣)]، والفراء[(٤)]: إن لفظ ﴿قَعِيدٌ﴾ يصلح للواحد والاثنين والجمع ولا يحتاج إلى تقدير في الأوّل.

قال الجوهري[(٥)]، وغيره من أئمة اللغة[(٦)] والنحو: فَعْيل وفعول مما يستوي فيه الواحد والاثنان والجمع، والقعيد: المُقَاعد كالجليس بمعنى المُجَالس.

﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾؛ أي: ما يتكلم من كلام، فيلفظه ويرميه مِنْ فيه إلّا لديه؛ أي: لدى ذلك اللّافظ رقيب؛ أي: ملَك يرقب قوله ويكتبه، والرقيب: الحافظ المتتبع لأمور الإنسان الذي يكتب ما يقوله من خير وشر، فكاتب الخير هو ملَك اليمين، وكاتب الشرّ ملك الشمال. والعتيد: الحاضر المهيأ.

قال الجوهري[(٧)]: العتيد الحاضر المُهيّأ، يقال: عَتَّده تعتيداً وأعْتَدَه اعتداداً؛ أي: أعدّه، ومنه ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا﴾ [يوسف: ٣١] والمراد هنا: أنه معدّ للكتابة مهيؤ لها.

﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾ لما بيّن سبحانه أن جميع أعمالهم محفوظة مكتوبة، ذكر بعده ما ينزل بهم من الموت، والمراد بسكرة الموت: شدّته وغمرته التي تغشى الإنسان، وتغلب على عقله، ومعنى بالحق: أنه عند الموت يتضح له الحق، ويظهر له صدق ما جاءت به الرسل مِنْ الإخبار بالبعث والوعد والوعيد.

وقيل: الحق هو الموت، وقيل: في الكلام تقديم وتأخير؛ أي: وجاءت سكرة

---

(١) لم نقف عليه في ديوان الفرزدق.
وهو في «جامع البيان» (٢١/ ٤٢٤)، الكتاب (١/ ٧٦).

(٢) وصدر البيت:
إنِّي ضَمِنتُ لمن أتاني ما جنى

(٣) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٦٩٦).

(٤) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٧٧).

(٥) في «الصحاح» (٢/ ٥٢٦).

(٦) «تهذيب اللغة» (١/ ١٩٩)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٣٢٠)، و«التبيان» (٢/ ١١٧٥).

(٧) في «الصحاح» (٢/ ٥٠٥).

الحق بالموت، وكذا قرأ أبو بكر الصديق[١]، وابن مسعود. والسكرة: هي الحق، فأضيفت إلى نفسها لاختلاف[٢] اللفظين، وقيل: الباء للملابسة كالتي في قوله: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ﴾ [المؤمنون: ٢٠]؛ أي: ملتبسة بالحق؛ أي: بحقيقة الحال، والإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى الموت، والحيد[٣]: الميل؛ أي: ذلك الموت الذي كنت تميل عنه، وتفرّ منه، يقال: حاد عَنْ الشيء يحيد حيوداً، وحيدة وحيدودة: مال عنه وعدل، ومنه قول طَرفة[٤]:

أبو منذرٍ رمتَ الوفاءَ فَهِبتَه ... وحِدْتَ كما حادَ البعيرُ عن الدّحْضِ

وقال الحسن[٥]: تحيد تهرب.

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ﴾ عبّر عنه بالماضي؛ لتحقق وقوعه، وهذه هي النفخة الآخرة للبعث ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ﴾؛ أي: ذلك الوقت الذي يكون فيه النفخ في الصور يوم الوعيد الذي أوعد الله به الكفار.

قال مقاتل[٦]: يعني بالوعيد: العذاب في الآخرة، وخصّص الوعيد مع كون اليوم هو يوم الوعد والوعيد جميعاً لتهويله.

﴿وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ﴾؛ أي: جاءت كل نفس من النفوس معها من يسوقها، ومن يشهد لها، أو عليها.

[اختلفوا في تفسير السائق الشهيد]:

واختُلف في السائق والشهيد، فقال الضحاك[٧]: السائق من الملائكة، والشهيد من أنفسهم يعني: الأيدي والأرجل.

---

(١) «القراءات الشاذة» (ص١٤٤)، و«المحتسب» (٢/ ٢٨٣). وهي قراءة شاذة مخالفة للرسم.
(٢) «روح المعاني» (٢٥/ ٤٣٤ ـ ٤٣٥)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ١٩٣).
(٣) «تهذيب اللغة» (٥/ ١٨٩)، و«الصحاح» (٢/ ٤٦٧)
«مفردات ألفاظ القرآن» (ص٢٦٢).
(٤) «ديوان طرفة» (ص١٧٢).
(٥) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٦٠).
(٦) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٦٠)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٦٧).
(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٤٣١) بسند حسن.

وقال الحسن[١]، وقتادة[٢]: سائق يسوقُها، وشاهد يشهد عليها بعملها.

وقال ابن مسلم[٣]: السائق: قرينُها من الشياطين، سُمّي سائقاً لأنه يتبعها وإن لم يحثها.

وقال مجاهد[٤]: السائق والشهيد ملَكان. وقيل: السائق: الملَك، والشهيد: العمل[٥].

وقيل: السائق: كاتب السيئات، والشهيد: كاتب الحسنات، ومحل الجملة النصب[٦] على الحال.

﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾؛ أي: يقال له: لقد كنتَ في غفلة من هذا، والجملة في محل نصب[٧] على الحال مِنْ نفس، أو مستأنفة كأنه قيل: ما يقال له.

قال الضحاك[٨]: المراد بهذا: المشركون؛ لأنّهم كانوا في غفلة من عواقب أمورهم.

وقال ابن زيد[٩]: الخطاب للنبيّ ﷺ؛ أي: لقد كنت يا محمد في غفلة من الرسالة.

وقال أكثرُ المفسِّرين[١٠]: المراد به جميع الخلق برّهم، وفاجرهم، واختار هذا ابن جرير[١١].

قرأ الجمهور[١٢] بفتح التاء من: «كنتَ»، وفتح الكاف في «غطاءَكَ»، و«بصرَكَ»

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٤٣٠ ـ ٤٣١)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٣٧) بسند صحيح.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٤٣٠) بسند صحيح.

(٣) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٨/ ١٣) بدون نسبة.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٤٣٠) بسند صحيح.

(٥) «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٤٤٤).

(٦) «البيان» (٢/ ١١٧٥)، و«الفريد» (٤/ ٣٥١)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٣٢٠).

(٧) انظر: المصادر المتقدمة.

(٨) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٤٤٥).

(٩) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ١٣٤) بسند صحيح.

(١٠) «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٤٤٥).

(١١) في «جامع البيان» (٢١/ ٤٣٣).

(١٢) «البحر المحيط» (٩/ ٥٢٥)، و«المحرر الوجيز» (١٥/ ١٧٦)

حملاً على ما في لفظ كل من التذكير. وقرأ الجحدري، وطلحة بن مُصرِّف بالكسر(١) في الجميع على أن المراد النفس.

﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ﴾ الذي كان في الدنيا يعني: رفعنا الحجاب الذي كان بينك، وبين أمور الآخرة، ورفعنا ما كنت فيه من الغفلة عن ذلك ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾؛ أي: نافذ تبصر به ما كان يخفى عليك في الدنيا.

قال السديّ(٢): المراد بالغطاء أنه كان في بطن أمه فولد، وقيل: إنه كان في القبر فَنُشر، والأوّل أولى. والبصر قيل: هو بصر القلب، وقيل: بصر العين، وقال مجاهد(٣): بصرك إلى لسان ميزانك حين تُوزن حسناتك وسيئاتك وبه قال الضحاك.

﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ﴾؛ أي: قال الملَك الموكّل به: هذا ما عندي من كتاب عملك، عتيد حاضر قد هيأته، كذا قال الحسن(٤) وقتادة والضحاك(٥).

وقال مجاهد(٦): إنّ الملك يقول للربّ سبحانه: هذا الذي وكلتني به من بني آدم قد أحضرته وأحضرت ديوان عمله. وروي(٧) عنه أنه قال: إن قرينه من الشياطين يقول ذلك؛ أي: هذا ما قد هيأته لك بإغوائي وإضلالي. وقال ابن زيد(٨): إن المراد هنا قرينه من الإنس.

و﴿عَتِيدٌ﴾ مرفوع على أنه صفة لـ﴿مَّا﴾ إن كانت موصوفة، وإن كانت موصولة فهو خبر بعد خبر، أو خبر مبتدأ محذوف.

﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ هذا خطاب من الله ﷻ للسائق والشهيد.

قال الزجّاج(٩): هذا أمرٌ للملكين الموكلين به وهما السائق والشاهد. ﴿كُلَّ كَفَّارٍ﴾ للنعم ﴿عَنِيدٍ﴾ مجانب للإيمان ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ لا يبذل خيراً ﴿مُعْتَدٍ﴾ ظالم لا يقرّ بتوحيد الله ﴿مُّرِيبٍ﴾ شاكّ في الحق، من قولهم أراب الرجل: إذا صار ذا

---

(١) «إعراب القراءات الشواذ» (٢/ ٥٠٧)، و«الدر المصون» (٦/ ١٧٨). وهي قراءة شاذة.
(٢) «النكت والعيون» (٥/ ٣٥٠).
(٣) «معالم التنزيل» (٧/ ٣٦٠)، و«زاد المسير» (٨/ ١٤).
(٤) «النكت والعيون» (٥/ ٣٥٠) بدون ذكر الضحاك.
(٥) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ٢٦٠). (٦) «تفسير مجاهد» (٢/ ٦١١).
(٧) «الجامع لأحكام القراءات» (١٩/ ٤٤٧).
(٨) «النكت والعيون» (٥/ ٣٥٠).
(٩) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٤٥ ـ ٤٦).

رَيب. وقيل: هو خطاب للملكين من خزنة النار، وقيل: هو خطاب لواحد على تنزيل تثنية الفاعل منزلة تثنية الفعل وتكريره.

قال الخليل[١]، والأخفش[٢]: هذا كلام العرب الصحيح أن يخاطب الواحد بلفظ الاثنين يقولون: ارحلاها وازجراها وخذاه وأطلقاه للواحد.

[العرب تخاطب الواحد بلفظ الاثنين]:

قال الفراء[٣]: العربُ تقول للواحد: قوما عنا. وأصل ذلك أن أدنى أعوان الرجل في إبله وغنمه ورفقته في سفره اثنان، فجرى كلام الرجل للواحد على ذلك، ومنه قولهم للواحد في الشعر: خليليّ كما قال امرؤ القيس[٤]:

خـلـيـلِـيّ مُـرَّا بِـي عـلـى أمِّ جُـنْـدُبٍ ... نُـقَـضِّ لُـبـانَـاتِ الـفـؤادِ الـمـعـذَّبِ

وقوله[٥]:

قـفـا نـبـكِ مِـنْ ذِكْـرَى حـبـيـبٍ ومـنـزلِ ... بِـسِـقْـطِ الـلِّـوى بـيـنَ الـدَّخُـول فـحـومَـلِ

وقول الآخر[٦]:

فـإنْ تـزجُـرانِـي يـا ابـنَ عـفـانَ أنـزجـرْ ... وإنْ تـدعـوانِـي أحْـمِ عِـرْضَـاً مـمـنَّـعـا

قال المازني[٧]: قوله: ﴿أَلْقِيَا﴾ يدل على ألق ألق. قال المبرد[٨]: هي تثنية على التوكيد، فناب ألقيا مناب ألق ألق.

قال مجاهد[٩] وعكرمة: العنيد: المعاند للحق، وقيل: المعرض عن الحق، يقال: عنَد يعنِد[١٠] بالكسر عُنوداً: إذا خالف الحق.

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ يجوز أن يكون بدلاً[١١] من ﴿كُلَّ﴾، أو منصوباً

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٤٤٧). (٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٤٤٧).

(٣) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٧٨).

(٤) «ديوان امرئ القيس» (ص٤١).

● اللبانات: جمع لُبانة: وهي الحاجة. «الصحاح» (٦/ ٢١٩٢).

(٥) «ديوان امرئ القيس» (ص٨).

(٦) ذكره الفراء في «معانيه» (٣/ ٧٨). وهو لسويد بن كراع انظر: «خزانة الأدب» (١١/ ١٧).

(٧) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ٢٢٨).

(٨) «البحر المحيط» (٩/ ٥٣٧).

(٩) «معالم التنزيل» (٧/ ٢٦١). (١٠) «الصحاح» (٢/ ٥١٢ ـ ٥١٣).

(١١) «الفريد» (٤/ ٣٥٤)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٣٢١)، و«روح المعاني» (٢٥/ ٤٤٣).

على الذم، أو بدلاً من ﴿كَفَّارٍ﴾، أو مرفوعاً[(١)] بالابتداء، أو الخبر ﴿فَأَلْقِيَاهُ فِي ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ﴾ تأكيد للأمر الأول، أو بدل منه.

﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾ هذه الجملة مستأنفة لبيان ما يقوله القرين.

والمراد بالقرين[(٢)] هنا: الشيطان الذي قيض لهذا الكافر؛ أنكر أن يكون أطغاه، ثم قال: ﴿وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾؛ أي: عن الحق فدعوته، فاستجاب لي، ولو كان من عبادك المخلصين لم أقدر عليه.

وقيل: إن قرينه الملك الذي كان يكتب سيئاته، وإنّ الكافر يقول: ربّ إنه أعجلني فيجيبه بهذا، كذا قال مقاتل[(٣)]، وسعيد بن جبير، والأوّل أولى، وبه قال الجمهور[(٤)].

﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ﴾ هذه الجملة [٤/٨٩] مستأنفة جواب سؤال مقدّر؛ كأنه قيل: فماذا قال الله؟ فقيل: ﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ﴾ يعني: الكافرين وقرناءهم، نهاهم سبحانه عن الاختصام في موقف الحساب.

وجملة: ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ﴾ في محل نصب[(٥)] على الحال؛ أي: والحال أن قد قدّمت إليكم بالوعيد بإرسال الرسل وإنزال الكتب.

والباء في ﴿بِٱلْوَعِيدِ﴾ مزيدة[(٦)] للتأكيد، أو على تضمين قدّم معنى تقدّم.

﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾؛ أي: لا خُلْف لوعدي، بل هو كائن لا محالة، وقد قضيت عليكم بالعذاب، فلا تبديل له.

وقيل: هذا القول هو قوله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] وقيل: هو قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٩] وقال الفراء[(٧)]، وابن قتيبة[(٨)]: معنى الآية: أنه ما يُكْذَب عندي

---

(١) انظر: المصادر المتقدمة.
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٤٤٠) عن ابن عباس بسند ضعيف.
وأخرجه ابن جرير (٢١/ ٤٤٠) عن مجاهد بسند صحيح.
(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٤٤٩).
(٤) «جامع البيان» (٢١/ ٤٤٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٤٥٠).
(٥) «الفريد» (٤/ ٣٥٣)، و«روح المعاني» (٢٥/ ٤٤٤)، و«البحر المحيط» (٩/ ٥٣٨).
(٦) انظر: المصادر المتقدمة.
(٧) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٧٩).
(٨) انظر: «روح المعاني» (٢٥/ ٤٤٦).

بزيادة في القول، ولا بنقص منه لعلمي بالغيب، وهو قول الكلبي[١].

واختاره الواحدي[٢]؛ لأنه قال: ﴿لَدَيَّ﴾ ولم يقل وما يبدل قولي، والأوّل أولى. وقيل: إنّ مفعول ﴿قَدَّمْتُ إِلَيْكُم﴾ هو ﴿مَا يُبَدَّلُ﴾؛ أي: وقد قدّمت إليكم هذا القول ملتبساً بالوعيد، وهذا بعيد جدّاً.

﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾؛ أي: لا أعذبهم ظلماً بغير جُرْمٍ اجترموه، ولا ذنب أذنبوه. ولما كان نفي الظلّام لا يستلزم نفي مجرّد الظلم قيل: إنه هنا بمعنى الظالم كالتّمار بمعنى التامر. وقيل: إنّ صيغة المبالغة لتأكيد هذا المعنى بإبراز ما ذكر من التعذيب بغير ذنب في معرض المبالغة في الظلم.

وقيل: صيغة المبالغة لرعاية جمعية العبيد من قولهم: فلان ظالم لعبده، وظلّام لعبيده، وقيل غير ذلك، وقد تقدّم الكلام على هذا في سورة آل عمران، وفي سورة الحج.

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ قرأ الجمهور[٣]: «نقول» بالنون، وقرأ نافع[٤] وأبو بكر بالياء، وقرأ الحسن[٥]: «أقول».

وقرأ الأعمش[٦]: «يُقال»، والعامل في الظرف ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ﴾، أو محذوف؛ أي: اذكر، أو أنذرهم، وهذا الكلام على طريقة التمثيل والتخييل، ولا سؤال ولا جواب، كذا قيل، والأولى أنّه على طريقة التحقيق، ولا يمنع من ذلك عقل ولا شرع.

قال الواحدي[٧]: قال المفسرون: أراها الله تصديق قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ [هود: ١١٩] فلما امتلأت قال لها: ﴿هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾؛ أي: قد امتلأت ولم يبق فيّ موضع لم يمتلئ، وبهذا[٨] قال عطاء، ومجاهد، ومقاتل بن سليمان.

---

(١) «معالم التنزيل» (٧/ ١٦٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٤٥١).
(٢) في «الوسيط» (٤/ ١٦٨).
(٣) «التيسير» (ص٢٠٢)، و«النشر» (٢/ ٣٧٦)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٨٥)، و«زاد المسير» (٨/ ١٩).
(٤) انظر: المصادر المتقدمة. قراءة الجمهور ونافع وأبي بكر متواترة وما عداهما فشاذ.
(٥) «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٤٥٠ ـ ٤٥١).
(٦) «المحتسب» (٢/ ٢٨٤)، و«القراءات الشاذة» (ص١٤٤).
(٧) في «الوسيط» (٤/ ١٦٨).
(٨) ذكره عنهم الواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٦٨).

وقيل: إن هذا الاستفهام بمعنى[١] الاستزادة؛ أي: إنها تطلب الزيادة على من قد صار فيها.

وقيل: إن المعنى أنها طلبت أن يزاد في سعتها؛ لتضايقها بأهلها، والمزيد إما مصدر[٢] كالمحيد، أو اسم مفعول كالمنيع، **فالأول**: بمعنى هل من زيادة؟ **والثاني**: بمعنى هل مِنْ شيء تزيدونيه؟

ثم لما فرغ من بيان حال الكافرين شرع في بيان حال المؤمنين، فقال: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾؛ أي: قُرّبت للمتقين تقريباً غير بعيد، أو مكان غير بعيد منهم بحيث يشاهدونها في الموقف، وينظرون ما فيها مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ويجوز أن يكون انتصاب ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ على الحال.

وقيل المعنى: أنها زُينت قلوبهم في الدنيا بالترغيب والترهيب، فصارت قريبة من قلوبهم، والأوّل أولى.

والإشارة بقوله: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ﴾ إلى الجنة التي أزلفت لهم على معنى: هذا الذي ترونه من فنون نعيمها ما توعدون، والجملة بتقدير القول: أي: ويقال لهم: هذا ما توعدون.

قرأ الجمهور[٣]: «تُوعدون» بالفوقية، وقرأ ابن كثير بالتحتية[٤].

﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾ هو بدل من للمتقين بإعادة الخافض، أو متعلق بقول محذوف هو حال؛ أي: مقولاً لهم لكل أوّاب، والأوّاب[٥] الرجّاع إلى الله تعالى بالتوبة عن المعصية، وقيل: هو المسبّح[٦]، وقيل[٧]: هو الذاكر لله في الخلوة.

---

(١) «جامع البيان» (٢١/ ٤٤٦)، و«روح المعاني» (٢٥/ ٤٤٧).
(٢) «تفسير أبي السعود» (٦/ ١٩٥).
(٣) «الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٨٥)، و«النشر» (٢/ ٣٧٦)، و«البحر المحيط» (٩/ ٥٣٩).
(٤) انظر: المصادر المتقدمة.
(٥) «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٤٥٤).
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٤٥٠) عن ابن عباس.
(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٤٥٠) عن الحكم بن عتيبة.

قال الشعبي[(١)]، ومجاهد[(٢)]: هو الذي يذكر ذنوبه في الخلوة، فيستغفر الله منها.

وقال عبيد بن عمير[(٣)]: هو الذي لا يجلس مجلساً حتى يستغفر الله فيه، والحفيظ: هو الحافظ لذنوبه حتى يتوب منها. وقال قتادة[(٤)]: هو الحافظ لما استودعه الله من حقه ونعمته، قاله مجاهد[(٥)]. وقيل: هو الحافظ لأمر الله. وقال الضحاك[(٦)]: هو الحافظ لوصية الله له بالقبول.

﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ الموصول في محل جر بدلاً، أو بياناً لكل أوّاب، وقيل: يجوز أن يكون بدلاً بعد بدل من المتقين، وفيه نظر؛ لأنه لا يتكرر البدل والمبدل منه واحد، ويجوز أن يكون في محل رفع على الاستئناف، والخبر ﴿ٱدْخُلُوهَا﴾ بتقدير يقال لهم: ﴿ٱدْخُلُوهَا﴾، والخشية بالغيب أَنْ يخاف الله ولم يكن رآه.

وقال الضحاك[(٧)]، والسديّ: يعني: في الخلوة حيث لا يراه أحد. قال الحسن[(٨)]: إذا أرخى الستر وأغلق الباب، وبالغيب متعلق بمحذوف هو حال، أو صفة لمصدر خشي.

﴿وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾؛ أي: راجع إلى الله مخلص لطاعته، وقيل: المنيب: المقبل[(٩)] على الطاعة، وقيل: السليم.

﴿ٱدْخُلُوهَا﴾ هو بتقدير القول؛ أي: يُقال لهم: ادخلوها، والجمع باعتبار معنى مَنْ؛ أي: ادخلوا الجنة ﴿بِسَلَٰمٍ﴾؛ أي: بسلامة من العذاب.

وقيل: بسلام من الله وملائكته، وقيل: بسلامةٍ من زوال النعم، وهو متعلق بمحذوف هو حال؛ أي: ملتبسين بسلام.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٤٥١) من طريق ابن حميد، به.
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٤٥١) من طريق سفيان، به.
(٣) «النكت والعيون» (٥/ ٣٥٣).
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٤٥٢) بسند صحيح.
(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٤٥٥). (٦) «النكت والعيون» (٥/ ٣٥٣).
(٧) ذكره البغوي عنهما في «تفسيره» (٧/ ٣٦٣).
(٨) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٤٥٥)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٦٣).
(٩) قاله سفيان الثوري. «النكت والعيون» (٥/ ٣٥٤).

والإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى زمن ذلك اليوم، كما قال أبو البقاء[(١)]، وخبره ﴿يَوْمُ ٱلْخُلُودِ﴾ وسماه يوم الخلود لأنّه لا انتهاء له، بل هو دائم أبداً.

﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا﴾؛ أي: في الجنة ما تشتهي أنفسُهم، وتلذ أعينهم من فنون النعم وأنواع الخير ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ من النعم التي لم تخطر لهم على بال، ولا مرّت لهم في خيال.

وقد أخرج ابن مردويه عن أبي سعيد[(٢)]، عن النبيّ ﷺ قال: «نزل الله من ابن آدم أرفع منازل: هو أقرب إليه من حبل الوريد، وهو يحول بين المرء وقلبه، وهو آخذ بناصية كل دابة، وهو معهم أينما كانوا».

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[(٣)] في قوله: ﴿مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ قال: عروق العنق.

وأخرج ابن المنذر[(٤)] عنه قال: هو نياط القلب.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عنه[(٥)] أيضاً، في قوله: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ قال: يكتب كل ما تكلم به من خير، أو شرّ حتى إنه ليكتب قوله: أكلتُ وشربت ذهبت جئت رأيت، حتى إذا كان يوم الخميس عرض قوله، وعمله فأقرّ منه ما كان من خير أو شرّ وألقى سائره، فذلك قوله: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد: ٣٩].

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه من طريق عكرمة عن ابن عباس[(٦)] في الآية قال: إنما يكتب الخير والشرّ، لا يكتب يا غلام اسْرج الفرسَ، يا غلام اسقني الماء. وقد ثبت في «الصحيحين» وغيرهما، عن النبيّ ﷺ أنه قال: «إن الله غفر لهذه الأمة ما حدّثت به أنفسها ما لم تعمل، أو تكلم».

---

(١) «التبيان» (٢/ ١١٧٧).
(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٥٩٢).
(٣) أخرجه ابن جرير (٢١/ ٤٢٢)، وابن أبي حاتم ـ كما في «الاتقان» (٢/ ٤٤) ـ بسند صحيح.
(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٥٩٢).
(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٥٩٣).
(٦) أخرجه ابن أبي شيبة (١٣/ ٥٧٥)، والحاكم (٢/ ٤٦٥).

وأخرج ابن أبي شيبة، وأحمد في الزهد، والحكيم الترمذي، وأبو نعيم، والبيهقي في «الشُّعب» عن عُمر بن ذَرٍّ عَنْ أبيه[1] قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عند لسان كل قائل، فليتق الله عبد، ولينظر ما يقول».

وأخرج الحكيم[2] الترمذي عن ابن عباس مرفوعاً مثله.

وأخرج عبد الرزاق، والفريابي، وسعيد بن منصور، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم في الكنى، وابن مردويه، والبيهقي في «البعث»، وابن عساكر عن عثمان بن عفان[3] أنه قرأ ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ قال: سائق يسوقها إلى أمر الله، وشهيد يشهد عليها بما عملت.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم في الكنى، وابن مردويه، والبيهقي في «البعث» عن أبي هريرة[4] في الآية قال: السائق المَلَكُ، والشهيد العمل.

وأخرج ابن جرير[5] عن ابن عباس في الآية قال: السائق من الملائكة، والشهيد شاهد عليه من نفسه.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه[6] ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ قال: هو الكافر.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم[7] عنه أيضاً ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ﴾ قال: الحياة بعد الموت.

وأخرج ابن جرير[8] عنه أيضاً، و﴿قَالَ قَرِينُهُۥ﴾ قال شيطانه.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (١٣/ ٢٢٣، ٢٣٤)، وأبو نعيم (٩/ ٤٤)، والبيهقي رقم (٥٠٣٣) وهو حديث ضعيف.
«السلسلة الضعيفة» رقم (١٩٥٣).

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٥٩٧).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٣٧)، وابن أبي شيبة (١٣/ ٥٥٨)، وابن جرير (٢١/ ٤٢٩)، وابن عساكر في «تاريخه» (٣٩/ ٢٤٧).

(٤) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٥٩٩).

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٤٢٩ ـ ٤٣٠) بسند ضعيف.

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٤٣٤) بسند صحيح.

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٤٣٥) بسند ضعيف.

(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٤٤٠) بسند ضعيف.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم في قوله[1]: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ﴾ قال: إنهم اعتذروا بغير عذر، فأبطل الله حجتهم، وردّ عليهم قولهم.

وأخرج ابن أبي حاتم[2] عنه أيضاً. في قوله: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ قال: ما أنا بمعذّب مَنْ لم يجترم.

وأخرج ابن أبي حاتم[3] عنه أيضاً. في قوله: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ قال: وهل فيّ مِنْ مكانٍ يزاد فيّ؟.

وأخرج البخاري، ومسلم، وغيرهما عن أنس[4] قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال جهنم يلقى فيها، وتقول: هل من مزيد حتى يضع ربّ العزّة فيها قدمه، فينزوي بعضها إلى بعض، وتقول: قط قط وعزّتك وكرمك، ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقاً آخر، فيسكنهم في فضول الجنة». وأخرجا أيضاً من حديث أبي هريرة[5] نحوه، وفي الباب أحاديث.

وأخرج ابن جرير، والبيهقي في «الشعب» عن ابن عباس[6] في قوله: ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾ قال: حفظ ذنوبه حتى رجع عنها.

وأخرج البزار، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «البعث» والنشور عن أنس[7]، في قوله: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ قال: يتجلى لهم الربّ تبارك وتعالى في كل جمعة.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٤٤٢) بسند صحيح.

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٠٩).

(٣) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٠٩).

(٤) أخرجه أحمد رقم (١٢٣٨٠، ١٢٤٤٠، ١٣٤٥٧)، والبخاري رقم (٧٣٨٤)، ومسلم رقم (٢٨٤٨)، والترمذي رقم (٣٢٧٢)، والنسائي في «السنن الكبرى» رقم (٧٧١٩، ٧٧٢٥)، وابن جرير (٢١/ ٤٤٧، ٤٤٨)، وابن مردويه ـ كما في «فتح الباري» (٨/ ٥٩٥ ـ ٥٩٦) ـ، والبيهقي رقم (٧٥٣).

(٥) أخرجه البخاري رقم (٤٨٥٠، ٧٤٤٩)، ومسلم رقم (٢٨٤٦)، وابن جرير (٢١/ ٤٤٧)، والبيهقي رقم (٧٥٥، ٧٥٦).

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٤٥٢)، والبيهقي رقم (٧١٩٣).

(٧) أخرجه البزار في «مسنده» رقم (٢٢٥٨٦ ـ كشف)، وابن أبي حاتم، ـ كما في ابن كثير (١٣/ ١٩٩) ـ واللالكائي رقم (٨١٣).
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٢) فيه عثمان بن عمير وهو ضعيف.

وأخرج البيهقي في الرؤية، والديلمي عن عليّ[(١)] في الآية قال: يتجلى لهم الربّ عز وجل، وفي الباب أحاديث.

[في مصارع الغابرين ذكرى لمن كان له قلب]:

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾.

خوّف سبحانه أهلَ مكة بما اتفق للقرون الماضية ﴿قَبْلَهُم﴾؛ أي: قبل قريش ومن وافقهم ﴿مِّن قَرْنٍ﴾؛ أي: من أمة ﴿هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا﴾؛ أي: قوةً كعاد، وثمود، وغيرهما ﴿فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ﴾؛ أي: ساروا وتقلبوا فيها وطافوا بقاعَها وأصله من النقب، وهو الطريق. قال مجاهد[(٢)]: ضربوا وطافوا[(٣)].

وقال النضر بن شميل[(٤)]: دوّروا، وقال المؤرِّج[(٥)]: تباعدوا. والأوّل أولى، ومنه قول امرئ القيس[(٦)]:

وقد نَقَّبْتُ فِي الآفاقِ حتى ... رضِيتُ مِن الغنيمة بالإيابِ

ومنه قول الحارث بن حِلِّزة[(٧)]:

نقَّبوا فِي البلادِ مِنْ حَذَرِ المو ... تِ وجالُوا فِي الأرض كلَّ مجالِ

---

(١) أخرجه الديلمي في «مسنده» رقم (٧١٨٠).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٤٦٠) بسند صحيح.

(٣) قاله قتادة: «النكت والعيون» (٥/ ٣٥٥). (٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٤٥٧).

(٥) «تهذيب اللغة» (٩/ ١٩٧).

(٦) «ديوان امرئ القيس» (ص٩٩).

(٧) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٥/ ١٨٨).

وقرأ ابن عباس، والحسن، وأبو العالية، [٤/ ٩٠] وأبو عمرو في رواية: «نَقَبوا» بفتح[١] القاف مخففة، والنقب: هو الخَرْقُ والطريق في الجبل، وكذا المَنْقَب والمنقبة، كذا قال ابن السكّيت[٢]، وجمع النقب: نقوب.

وقرأ السلمي، ويحيى بن يَعْمُر بكسر القاف[٣] مشدّدة على الأمر للتهديد؛ أي: طوّفوا فيها وسيروا في جوانبها.

وقرأ الباقون[٤] بفتح القاف مشدّدة على الماضي ﴿هَلۡ مِن مَّحِيصٍ﴾؛ أي: هل لهم من مهرب يهربون إليه، أو مخلص يتخلصون به من العذاب؟ قال الزجاج[٥]: لم يروا محيصاً من الموت، والمحيص مصدر حاص عَنْه يَحيْصُ حَيْصاً وحُيوصاً ومَحِيصاً ومَحاصاً وحَيَصاناً؛ أي: عَدَل وحادَ.

والجملة مستأنفة لبيان أنه لا مهرب لهم، وفي هذا إنذار لأهل مكة أنهم مثل من قبلهم من القرون لا يجدون من الموت والعذاب مفرًّا.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ﴾؛ أي: فيما ذُكر من قصتهم تذكرة وموعظة ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ﴾ أي: عقل.

قال الفراء[٦]: وهذا جائز في العربية، تقول: ما لك قلب وما قلبك معك؛ أي: ما لك عقل وما عقلك معك، وقيل: المراد القلب نفسه؛ لأنه إذا كان سليماً أدرك الحقائق وتفكر كما ينبغي. وقيل: لمن كان له حياة ونفس مميِّزة فعبر عن ذلك بالقلب؛ لأنه وطنها[٧] ومعدن حياتها، ومنه قول امرئ القيس[٨]:

أغرَّكِ منِّيِّ أنَّ حُبَّكِ قاتلي ... وأنَّكِ مهما تأمرِي النَّفْسَ تَفْعَلِ

﴿أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ﴾؛ أي: استمع ما يقال له، يقال: ألق سمعك إليّ؛ أي:

---

(١) «البحر المحيط» (٩/ ٥٤١)، و«المحرر الوجيز» (١٥/ ١٨٧)، و«المحتسب» (٢/ ٢/ ٢٨٥).
(٢) ذكره الجوهري في «الصحاح» (١/ ٢٢٧).
(٣) «البحر المحيط» (٩/ ٥٤١).
(٤) «البحر المحيط» (٩/ ٥٤١)، و«المحرر الوجيز» (١٥/ ١٨٧)، و«معاني القرآن» للفراء (٣/ ٧٩ ـ ٨٠). وهي القراءة المتواترة، أما ما روي عن أبي عمرو بفتح القاف مخفّفة فرواية شاذة عنه، وكذا قراءة السلمي شاذة.
(٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٤٩).
(٦) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٧٩ ـ ٨٠).
(٧) «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٤٥٩). (٨) «ديوان امرئ القيس» (ص١٣).

استمع مني، والمعنى: أنه ألقى السمع إلى ما يُتلى عليه من الوحي الحاكي لما جرى على تلك الأمم. قرأ الجمهور[(١)]: «أَلْقَىٰ» مبنيّاً للفاعل. وقرأ السلمي، وطلحة، والسديّ على البناء للمفعول[(٢)]، ورفع السمع ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾؛ أي: حاضر الفهم، أو حاضر القلب؛ لأنّ مَنْ لا يفهم في حكم الغائب وإن حضر بجسمه، فهو لم يحضر بفهمه.

قال الزجاج[(٣)]: أي: وقلبه حاضر فيما يسمع. قال سفيان: أي: لا يكون حاضراً وقلبه غائب.

قال مجاهد[(٤)]، وقتادة[(٥)]: هذه الآية في أهل الكتاب، وكذا قال الحسن[(٦)]. وقال محمد بن كعب، وأبو صالح: إنها في أهل القرآن خاصة.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ قد تقدّم تفسير هذه الآية في سورة الأعراف، وغيرها.

﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ اللغوب[(٧)]: التعب والإعياء، تقول: لغَب يَلْغُب بالضم لُغُوباً.

قال الواحدي[(٨)]: قال جماعة المفسِّرين[(٩)]: إن اليهود قالوا: خلق الله السمٰوات والأرض وما بينهما في ستة أيام، أوّلها الأحد وآخرها الجمعة، واستراح يوم السبت، فأكذبهم الله تعالى بقوله: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾.

﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ هذه تسلية للنبيّ ﷺ، وأمر لهم بالصبر على ما يقوله المشركون؛ أي: هوّن عليك، ولا تحزن لقولهم، وتلقّ ما يرد عليك منه بالصبر ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾؛ أي: نزّه الله عمّا لا يليق بجنابه

---

(١) «البحر المحيط» (٩/ ٥٤١)، و«المحرر الوجيز» (١٥/ ١٩٠)، و«معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٤٨).
(٢) «المحتسب» (٢/ ٢٨٥)، و«القراءات الشاذة» (ص١٤٥). وهي قراءة شاذة.
(٣) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٤٨).
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٤٦٤) بسند صحيح.
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٤٦٤)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٣٩) بسند صحيح.
(٦) «النكت والعيون» (٥/ ٣٥٦).
(٧) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٧٤٢).
(٨) في «الوسيط» (٤/ ١٧٠).
(٩) «جامع البيان» (٢١/ ٤٦٥ ـ ٤٦٦).

العالي ملتبساً بحمده وقت الفجر ووقت العصر[١].

وقيل: المراد: صلاة الفجر وصلاة العصر، وقيل: الصلوات الخمس[٢]، وقيل: صلّ ركعتين قبل طلوع الشمس، وركعتين قبل غروبها، والأوّل أولى.

﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ﴾ من للتبعيض؛ أي: سبّحه بعض الليل، وقيل: هي صلاة الليل، وقيل: ركعتا الفجر، وقيل: صلاة العشاء، والأوّل أولى ﴿وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾؛ أي: وسبّحه أعقاب الصلوات.

قرأ الجمهور[٣]: «أَدبار» بفتح الهمزة جمع دبر.

وقرأ نافع، وابن كثير، وحمزة بكسرها[٤] على المصدر، من أدبر الشيء إدباراً: إذا ولى، وقال جماعة من الصحابة[٥] والتابعين: إدبار السجود الركعتان بعد المغرب، وإدبار النجوم الركعتان قبل الفجر، وقد اتفق القراء السبعة[٦] في إِدبار النجوم أنه بكسر الهمزة[٧]، كما سيأتي.

﴿وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ﴾؛ أي: استمع ما يوحى إليك من أحوال القيامة: يوم ينادي المناد، وهو إسرافيل، أو جبريل.

وقيل: استمع النداء، أو الصوت، أو الصيحة، وهي صيحة القيامة أعني: النفخة الثانية في الصور من إسرافيل، وقيل: إسرافيل ينفخ، وجبريل ينادي أهل المحشر[٨]، ويقول: هلموا للحساب، فالنداء على هذا في المحشر، قال مقاتل[٩]: هو إسرافيل ينادي بالحشر فيقول: يا أيها الناس هلمّوا للحساب ﴿مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ﴾ بحيث يصل النداء إلى كل فرد من أفراد أهل المحشر.

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٥٥٤)، ومسلم رقم (٦٣٣) من حديث جرير بن عبد الله. وقد تقدم نصه.

(٢) «النكت والعيون» (٥/ ٣٥٧).

(٣) «جامع البيان» (٢١/ ٤٧٤)، و«التيسير» (ص٢٠٢)، و«النشر» (٢١/ ٣٧٦)، و«فتح الباري» (٨/ ٤٥٦).

(٤) انظر: المصادر المتقدمة.

(٥) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٤٦١ ـ ٤٦٢)، و«جامع البيان» (٢١/ ٤٦٩ ـ ٤٧٤).

(٦) «السبعة» (ص٦٠٧)، و«فتح الباري» (٨/ ٤٥٦)، و«التذكرة في القراءات الثمان» (٢/ ٥٦٣).

(٧) انظر: المصادر المتقدمة.

(٨) «الكشاف» (٥/ ٦٠٦).

(٩) «الوسيط» (٤/ ١٧٢).

قال قتادة[(١)]: كنا نحدّث أنه ينادي من صخرة بيت المقدس. قال الكلبي[(٢)]: وهي أقرب الأرض إلى السماء باثني عشر ميلاً، وقال كعب: بثمانية عشر ميلاً.

﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ﴾ هو بدل من ﴿يَوْمَ يُنَادِ﴾، يعني: صيحة البعث، وبالحق متعلق بالصيحة ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾؛ أي: يوم الخروج من القبور. قال الكلبي[(٣)]: معنى ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ بالبعث.

وقال مُقاتل[(٤)]: يعني: أنَّها كائنة حقاً.

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ﴾؛ أي: نُحيي في الآخرة، ونميت في الدنيا لا يشاركنا في ذلك مشارك، والجملة مستأنفة لتقرير أمر البعث ﴿وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ﴾، فنجازي كل عامل بعمله ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ﴾ قرأ الجمهور[(٥)] بإدغام التاء في الشين، وقرأ الكوفيون[(٦)] بتخفيف الشين على حذف إحدى التاءين تخفيفاً.

وقرأ زيد بن علي[(٧)]: «تتشقق» بإثبات التاءين على الأصل، وقُرئ على البناء[(٨)] للمفعول، وانتصاب ﴿سِرَاعًا﴾ على أنه حال من الضمير في ﴿عَنْهُمْ﴾، والعامل في الحال تشقق، وقيل: العامل في الحال هو العامل في يوم؛ أي: مُسْرعين إلى المنادي الذي ناداهم.

﴿ذَٰلِكَ حَشْرٌ﴾؛ أي: بعث وجمع ﴿عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ هين.

ثم عزّى الله سبحانه نبيه ﷺ فقال: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ يعني: من تكذيبك فيما جئت به، ومن إنكار البعث والتوحيد ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾؛ أي: بمسلط يجبرهم ويقهرهم على الإيمان.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٤٧٥)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٤٠) بسند صحيح.

(٢) «الوسيط» (٤/ ١٧٢).

(٣) «الوسيط» (٤/ ١٧٢).

(٤) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٧٢).

(٥) «الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ١٤٥)، و«التيسير» (ص١٦٣ ـ ١٦٤)، و«زاد المسير» (٨/ ٢٥).

(٦) انظر: المصادر المتقدمة. ومع الكوفيين أبو عمرو.

(٧) «البحر المحيط» (٩/ ٥٤٣)، و«روح المعاني» (٢٥/ ٤٦١)، و«التيسير» (ص١٦٤). قراءة زيد بن علي بن بلال شاذة وكذا القراءة بالبناء للمفعول.

(٨) انظر: المصادر المتقدمة.

والآية منسوخة[1] بآية السيف.

﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾؛ أي: مَنْ يخاف وعيدي لعصاتي بالعذاب، وأما مَنْ عداهم فلا تشتغل بهم، ثم أمره الله سبحانه بعد ذلك بالقتال.

وقد أخرج ابن جرير[2] عن ابن عباس ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ قال: من نصب.

وأخرج الطبراني في «الأوسط»، وابن عساكر عن جرير بن عبد الله[3]، عن النبيّ ﷺ في قوله: «﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾: صلاة الصبح ﴿وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾: صلاة العصر».

وأخرج الترمذي، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه عن ابن عباس[4] قال: «بت عند رسول الله ﷺ، فصلى ركعتين خفيفتين قبل صلاة الفجر، ثم خرج إلى الصلاة، فقال: يا ابن عباس ركعتان قبل صلاة الفجر إدبار النجوم، وركعتان بعد المغرب إدبار السجود».

وأخرج مسدّد في «مسنده»، وابن المنذر، وابن مردويه، عن عليّ بن أبي طالب[5] قال: «سألتُ رسول الله ﷺ عن إدبار النجوم، وإدبار السجود، فقال: إدبار السجود: ركعتان بعد المغرب، وإدبار النجوم: الركعتان قبل الغداة».

وأخرج محمد بن نصر في «الصلاة»، وابن المنذر عن عمر بن الخطاب[6]: إدبار السجود ركعتان بعد المغرب، وإدبار النجوم: ركعتان قبل الفجر.

وأخرج سعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وابن نصر، وابن جرير، وابن

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٤٦٦)، و«زاد المسير» (٨/ ٢٦)، و«الوسيط» للواحدي (٤/ ١٧٢).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٤٦٦) بسند ضعيف.

(٣) أخرجه الطبراني في «الأوسط» رقم (٧٠١٤)، وابن عساكر (٤١/ ٢٤٨). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١١٢): فيه داود بن الزبرقان وهو متروك.
وأصل الحديث عند البخاري رقم (٥٥٤)، ومسلم رقم (٦٣٣).

(٤) أخرجه الترمذي رقم (٣٢٧٥)، وابن جرير (٢١/ ٤٧١)، وابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٣/ ٢٠٤) ـ والحاكم (١/ ٣٢٠) وهو حديث ضعيف. السلسلة الضعيفة رقم (٢١٧٨).

(٥) أخرجه مسدد ـ كما في «المطالب العالية» رقم (٤١١٤) ـ.

(٦) أخرجه محمد بن نصر في «مختصر قيام الليل» (ص٢٩)، وابن المنذر ـ كما في «فتح الباري» (٨/ ٥٩٨) ـ.

المنذر، والبيهقي في «الأسماء والصفات» عن عليّ بن أبي طالب[١] مثله.

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن نصر، وابن جرير، وابن المنذر، وابن مردويه عن أبي هريرة[٢] مثله.

وأخرج البخاري، وغيره عن مجاهد قال: قال ابن عباس[٣]: أمره أن يسبح في أدبار الصلوات كلِّها.

وأخرج ابن جرير[٤] عنه ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ﴾ قال: هي الصيحة.

وأخرج الواسطي[٥] عنه أيضاً ﴿مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ قال: من صخرة بيت المقدس.

وأخرج ابن أبي حاتم[٦]، وابن المنذر عنه أيضاً ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾ قال: يوم يخرجون إلى «البعث» من القبور.

وأخرج ابن جرير[٧] عنه أيضاً قال: قالوا: يا رسول الله لو خوّفتنا، فنزلت: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٢/ ٥٢٣)، وابن نصر في «مختصر قيام الليل» (ص٢٩)، وابن جرير (٢١/ ٤٦٩، ٦٠٩).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٢/ ٥٢٣)، وابن نصر في «مختصر قيام الليل» (ص١٩)، وابن جرير (٢١/ ٤٧٠) من طريق حمَّاد، به.

(٣) أخرجه البخاري رقم (٤٨٥٢)، وابن جرير (٢١/ ٤٧٣)، وابن نصر في «مختصر قيام الليل» (ص٢٩).

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٤٧٥) بسند ضعيف.

(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦١١).

(٦) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣١٠).

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٤٧٨) من طريق حكام الرازي، به.

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

هي ستون آية، وهي مكية. قال القرطبي(١): في قول الجميع.

وأخرج ابن الضريس، والنحاس، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل» عن ابن عباس(٢) قال: نزلت سورة الذاريات بمكة.

وأخرج ابن مردويه(٣) عن ابن الزبير مثله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾﴾.

[آيات الله في الأرض وفي السماء وفي أنفسكم]:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

قوله: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾ يقال: ذَرَتِ الريحُ التراب تَذْروه(٤) ذَرْواً، وأذرته تَذْريه

---

(١) في «تفسيره» (١٩/ ٤٦٨).

(٢) أخرجه ابن الضريس رقم (١٧)، والنحاس (٦٨٠)، والبيهقي (٧/ ١٤٤).

(٣) عزاه إليه السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٦١٣).

(٤) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٣٢٧).

ذَرْياً، أقسم سبحانه بالرّياح التي تذري التراب، وانتصاب[١] ذرواً على المصدرية، والعامل فيها اسم الفاعل، والمفعول محذوف.

قرأ أبو عمْرو، وحمزة بإدغام[٢] تاء ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ﴾ في ذال ﴿ذَرْوًا﴾. وقرأ الباقون بدون إدغام[٣]. وقيل: المُقْسَم به مقدّر وهو ربّ الذاريات وما بعدها، والأوّل أولى.

﴿فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا﴾ هي السحابُ تحمل الماء، كما تحمل ذوات الأربع الوِقْر، وانتصاب ﴿وِقْرًا﴾ على أنه مفعول به، كما يقال: حمل فلان عَدْلاً ثقيلاً.

قرأ الجمهور[٤]: «وِقْراً» بكسر الواو اسمُ ما يوقر؛ أي: يُحْمَل، [٤/ ٩١] وقُرئ بفتحها[٥] على أنه مصدر، والعامل فيه اسم الفاعل، أو على تسمية المحمول بالمصدر مبالغة.

﴿فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا﴾ هي السفنُ الجارية في البحر بالرّياح جَرْياً سهلاً، وانتصاب ﴿يُسْرًا﴾ على المصدرية، أو صفة لمصدر محذوف، أو على الحال؛ أي: جرياً ذا يُسْرٍ، وقيل: هي الرّياح، وقيل: السحاب، والأوّل أولى. واليسر: السهل في كل شيء.

﴿فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا﴾ هي الملائكة التي تُقسّم الأمور.

قال الفرّاء[٦]: تأتي بأمر مختلف: جبريل بالغلظة، وميكائيل صاحب الرحمة، وملَك الموت يأتي بالموت.

وقيل: تأتي بأمر مختلف من الجَدْب، والخَصْب، والمطر، والموت، والحوادث. وقيل: هي السحب التي يقسم الله بها أمر العباد، وقيل: إن المراد

---

(١) «التبيان» (٢/ ١١٧٨)، و«الفريد» (٤/ ٣٥٩).

(٢) «التيسير» (ص١٨٥٢٢٥)، و«النشر» (١/ ٢٨٨)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ١٥١). وممّن قرأ بالإدغام يعقوب في وجه عنه وقرأ الباقون بالإظهار ولأبي عمرو وجه موافق للجمهور.

(٣) انظر: المصادر المتقدمة.

(٤) «البحر المحيط» (٩/ ٥٤٨)، و«حاشية الشهاب» (٨/ ٩٤)، و«روح المعاني» (٢٦/ ٩).

(٥) انظر: المصادر المتقدمة. وهي قراءة شاذة.

(٦) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٨٢).

بالذاريات والحاملات والجاريات والمقسمات: الرياحُ، فإنّها توصف بجميع ذلك؛ لأنها تذرو التراب، وتحمل السحاب، وتجري في الهواء، وتقسم الأمطار، وهو ضُعيفٌ جدًّا.

وانتصاب[١] ﴿أَمۡرًا﴾ على المفعول به، وقيل: على الحال؛ أي: مأمورة، والأوّل أولى.

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾ هذا جواب القسَم؛ أي: إنما توعدون من الثواب والعقاب، لكائن لا محالة. و﴿مَآ﴾ يجوز أن تكون موصولة والعائد محذوف، وأن تكون مصدرية.

ووجه تخصيص هذه الأمور بالإقسام بها كونها أموراً بديعة[٢] مخالفة لمقتضى العادة، فمن قدر عليها، فهو قادر على البعث الموعود به.

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ﴾ قرأ الجمهور[٣]: «الحُبُك» بضم الحاء والباء، وقرئ بضم[٤] الحاء وسكون الباء، وبكسر[٥] الحاء وفتح الباء، وبكسر[٦] الحاء وضم الباء.

قال ابن عطية[٧]: هي لغات، والمراد بالسماء هنا: هي المعروفة، وقيل: المراد بها السحاب، والأوّل أولى.

واختلف المفسرون[٨] في تفسير الحبك؛ فقال مجاهد[٩]، وقتادة[١٠]،

(١) «الفريد» (٤/ ٣٦٠)، و«التبيان» (٢/ ١١٧٨).
(٢) «روح المعاني» (٢٦/ ١٠)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٢٠٠).
(٣) «البحر المحيط» (٩/ ٥٤٩)، و«المحرر الوجيز» (١٥/ ٢٠١). قراءة الجمهور هي المتواترة وما عداها فشاذة.
(٤) «القراءات الشاذة» (ص١٤٥)، و«المحتسب» (٢/ ٢٨٦)، و«البحر المحيط» (٩/ ٥٤٩).
(٥) «روح المعاني» (٢٦/ ١٢)، و«البحر المحيط» (٩/ ٥٤٩).
(٦) «البحر المحيط» (٩/ ٥٤٩)، و«روح المعاني» (٢٦/ ١٢).
(٧) «المحرر الوجيز» (١٥/ ٢٠١).
(٨) «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٤٧١)، و«النكت والعيون» (٥/ ٣٦١).
(٩) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٤٨٩) بسند صحيح.
(١٠) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٤٨٨ ـ ٤٨٩)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٤١) بسند صحيح.

والربيع[١]، وغيرهم: المعنى ذات الخَلْق المستوي الحسن.

قال ابن الأعرابي[٢]: كل شيء أحكمته وأحسنت عمله، فقد حبكته واحتبكته. وقال الحسن[٣]، وسعيد بن جبير[٤]: ذات الزينة.

وروي عن الحسن[٥] أيضاً أنه قال: ذات النجوم. وقال الضحاك[٦]: ذات الطرائق، وبه قال الفرّاء[٧]، يقال لما تراه من الماء والرّمل إذا أصابته الريح: حُبُك.

قال الفراء[٨]: الحبك تُكسّرُ: كلَّ شيء كالرمل إذا مرّت به الريح الساكنة، والماء إذا مرّت به الرّيح، ويقال لدرع الحديد: حُبُك، ومنه قول الشاعر[٩]:

كـأنـمـا جَـلَّـلَـهَـا الـحُـوَّاكُ طَـنْـفَـسَـةٌ فِـي وَشْـيِـهَـا حِـبَـاكُ

أي: طرق، وقيل: الحبك الشدّة، والمعنى: والسماء ذات الشدّة، والمحبوك: الشديد الخلق من فرس أو غيره، ومنه قول الشاعر[١٠]:

قَـد غَـدَا يَـحْـمِـلُـنِـي فِـي أَنْـفِـهِ لاحِـقُ الأَطْـلِـيْـنِ مَـحـبُـوكٌ مُـمَـرْ

وقول الآخر:

مَـرَج الـديـنُ فـأعَـدَدْتُ لـه مشرفَ الحارِكِ محبوكَ الكتدْ[١١]

قال الواحدي[١٢] بعد حكاية القول الأوّل: هذا قولُ الأكثرين.

﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ هذا جواب القسم بالسماء ذات الحبك؛ أي: إنكم يا أهل مكة لفي قول مختلف متناقض في محمد ﷺ. بعضكم يقول: إنه شاعر، وبعضكم يقول: إنّه ساحر، وبعضكم يقول: إنه مجنون. ووجه تخصيص القسم بالسماء المتصفة بتلك الصفة تشبيه أقوالهم في اختلافها[١٣] باختلاف طرائق السماء،

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٤٧١).

(٢) «تهذيب اللغة» (٤/ ١٠٨).

(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٤٧١).

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٤٨٧) بسند حسن.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٤٨٧) بسند حسن.

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٤٨٩) بسند حسن.

(٧) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٨٢).

(٨) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٨٢).

(٩) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٤٧٣)، وابن جرير في «تفسيره» (٢١/ ٤٨٦).

(١٠) «ديوان امرء القيس» (ص١٤٦).

(١١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٤٣٠، ٤٧٢).

(١٢) في «الوسيط» (٤/ ١٧٤).

(١٣) «روح المعاني» (٢٦/ ١٣).

واستعمال الحبك في الطرائق هو الذي عليه أهل اللغة[١]، وإن كان الأكثر من المفسرين على خلافه. على أنه يمكن أن ترجع تلك الأقوال في تفسير الحُبك إلى هذا، وذلك بأنْ يُقال: إن ما في السماء من الطرائق يصح أن يكون سبباً لمزيد حسنها، واستواء خلقها، وحصول الزينة فيها، ومزيد القوّة لها.

وقيل: إن المراد بكونهم في قول مختلف: أنّ بعضهم ينفي الحشر[٢]، وبعضهم يشكّ فيه، وقيل: كونهم يقرّون أن الله خالقهم، ويعبدون الأصنام. ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾؛ أي: يُصْرَف عن الإيمان برسول الله ﷺ وبما جاء به، أو عن الحقّ، وهو البعث والتوحيد من صُرف، وقيل: يُصْرَف عن ذلك الاختلاف من صرفه الله عنه بالعصمة والتوفيق، يقال: أَفَكه[٣] يأفِكُه أَفْكاً؛ أي: قَلَبه عَنْ الشيء وصرفه عنه، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا﴾ [الأحقاف: ٢٢] وقال مجاهد: يؤفن عَنْه من أُفِن، والأَفْن: فساد العقل، وقيل: يُحْرَمه مَنْ حُرم. وقال قُطْرب[٤]: يُخدع عنه من خُدع.

وقال اليزيدي[٥]: يُدْفع عنه مَنْ دفع.

﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾ هذا دعاء عليهم.

وحكى الواحدي[٦] عن المفسِّرين جميعاً أن المعنى: لُعن الكذّابون.

قال ابن الأنباري[٧]: والقتل إذا أخبر به عن الله كان بمعنى اللعن؛ لأن من لعنه الله فهو بمنزلة المقتول الهالك.

قال الفرّاء[٨]: معنى قتل: لعن. والخرّاصون: الكذابون الذين يتخرّصون فيما لا يعلمون، فيقولون: إنّ محمداً مجنون كذاب شاعر ساحر.

قال الزجاج[٩]: الخرّاصون: هم الكذابون، والخَرْصُ: حزر ما على النخل من الرّطب تمراً، والخرّاص: الذي يخرصها، وليس هو المراد هنا.

---

(١) «تهذيب اللغة» (٤/ ١٠٨)، و«الصحاح» (٤/ ١٥٧٨).
(٢) «النكت والعيون» (٥/ ٣٦٣). (٣) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٧٩).
(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٤٧٥)، و«النكت والعيون» (٥/ ٣٦٣).
(٥) «النكت والعيون» (٥/ ٣٦٣). (٦) في «الوسيط» (٤/ ١٧٤).
(٧) «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٤٧٥)، و«الوسيط» (٤/ ١٧٤).
(٨) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٨٢). (٩) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٨٢).

ثم قال: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي غَمۡرَةٖ سَاهُونَ﴾؛ أي: في غفلة، وعمى وجهالة عن أمور الآخرة، ومعنى ﴿سَاهُونَ﴾: لاهون غافلون، والسهو: الغفلة عن الشيء وذهابه عن القلب، وأصل الغَمْرة: ما ستر الشيء وغطاه، ومنها غَمَرات الموت.

﴿يَسۡـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾؛ أي: يقولون متى يوم الجزاء تكذيباً منهم واستهزاءً.

ثم أخبر سبحانه عن ذلك اليوم، فقال: ﴿يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ﴾؛ أي: يُحْرَقون ويُعذَّبون، يقال: فتنت الذهبَ: إذا أحرقته لتختبره، وأصل الفتنة: الاختبارُ.

قال عكرمة[١]: ألم تر أن الذهب إذا أُدخل النار قيل: فتن. وانتصاب[٢] ﴿يَوۡمَ﴾ بمضمر؛ أي: الجزاء يوم هم على النار، ويجوز أن يكون بدلاً من ﴿يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾، والفتح للبناء لكونه مضافاً إلى الجملة، وقيل: هو منصوب[٣] بتقدير: أعني.

وقرأ ابن أبي عبلة[٤] برفع «يومُ» على البدل من «يوم الدين»، وجملة: ﴿ذُوقُواْ فِتۡنَتَكُمۡ﴾ هي بتقدير القول؛ أي: يقال لهم: ذوقوا عذابكم، قاله ابن زيد[٥].

وقال مجاهد[٦]: حريقكم، ورجح الأوّل الفرّاء[٧].

وجملة: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ﴾ من جملة ما هو محكيّ بالقول؛ أي: هذا ما كنتم تطلبون تعجيله استهزاءً منكم، وقيل: هي بدل من فتنتكم.

﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ﴾ لما ذكر سبحانه حال أهل النار ذكر حال أهل الجنة؛ أي: هم في بستانين فيها عيون جارية، لا يبلغ وصفها الواصفون ﴿ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ﴾؛ أي: قابلين ما أعطاهم ربهم من الخير والكرامة.

وجملة: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ﴾ تعليل لما قبلها؛ أي: لأنهم كانوا في الدنيا محسنين في أعمالهم الصالحة من فعل ما أُمروا به، وترك ما نُهوا عنه.

---

(١) «النكت والعيون» (٥/ ٣٦٤).

(٢) «إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ٢٣٧ ـ ٢٣٨)، والفريد (٤/ ٣٦١)، و«التبيان» (٢/ ١١٧٨).

(٣) انظر: المصادر المتقدمة.

(٤) «جامع البيان» (٢١/ ٤٩٨)، و«البحر المحيط» (٩/ ٥٥١)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ٢٣٨). القراءة برفع «يوم» شاذة.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٥٠٠) بسند صحيح.

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٤٩٩) بسند صحيح.

(٧) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٨٢).

ثم بين إحسانهم الذي وصفهم به، فقال: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ الهجوع: النوم بالليل دون النهار، والمعنى: كانوا قليلاً ما ينامون من الليل، و«ما» زائدة[١]، ويجوز أن تكون مصدرية، أو موصولة؛ أي: كانوا قليلاً من الليل هجوعهم، أو ما يهجعون فيه، ومن ذلك قول أبي قيس[٢] بن الأَسْلت:

قَدْ حصَّتِ البيضةُ رأسِي فما ... أَطْعَمُ نوماً غيرَ تَهْجَاعِ

والتهجاع: القليل من النوم، ومن ذلك قول عَمرو بن معدي[٣] كرب.

أَمِنْ ريحانةَ الداعِي السميعِ ... يهيّجني وأصحابِي هُجوعُ

وقيل: ما نافية[٤]؛ أي: ما كانوا ينامون قليلاً من الليل، فكيف بالكثير منه؟ وهذا ضعيف جدًّا. وهذا قول مَنْ قال: إن المعنى كان عددهم قليلاً. ثم ابتدأ فقال: ﴿مَا يَهْجَعُونَ﴾ وبه قال ابن الأنباري[٥]، وهو أضعف مما قبله.

وقال قتادة[٦] في تفسير هذه الآية: كانوا يصلون بين العشاءين، وبه قال أبو العالية[٧]، وابن وهب[٨].

﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾؛ أي: يطلبون في أوقات السحر من الله سبحانه أن يغفر ذنوبهم.

قال الحسن[٩]: مدّوا الصلاة إلى الأسحار. ثم أخذوا بالأسحار الاستغفار.

---

(١) «التبيان» (٢/ ١١٧٩)، و«الفريد» (٤/ ٣٦٢)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٣٢٣).
(٢) «خزانة الأدب» (٣/ ٤١١).
(٣) «خزانة الأدب» (٨/ ١٨١ ـ ١٨٢)، و«الأصمعيات» (ص١٧٢).
(٤) قال الزمخشري في «الكشاف» (٥/ ٦١٣): فإن قلت: هل يجوز أن تكون (ما) نافية كما قال بعضهم، وأن يكون المعنى: أنهم لا يهجعون من الليل إلا قليلاً، ويحيونه كله؟ قلت: لا؛ لأن ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها. تقول: زيداً لم أضرب، ولا تقول: زيداً ما ضربت.
(٥) في «البيان» (٢/ ٣٩٠) حيث قال: وهذا فاسد؛ لأنَّ الآية إنّما تدلُّ على قلة النوم لا على قلة عددهم؛ وبعد لو ابتدأنا ﴿مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ على معنى: من الليل يهجعون، لم يكن في هذا مدحٌ لهم؛ لأنّ الناس كلهم يهجعون من الليل، إلا أن تكون «ما» جحداً.
وانظر: «الإيضاح» لابن الأنباري (٢/ ٩٠٥).
(٦) «البيان» (٢/ ٣٨٩).
(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٥٠٣)، وابن أبي شيبة (٢/ ٢٣٨) من طريق حفص، به.
(٨) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٤٨٠).
(٩) «الوسيط» للواحدي (٤/ ١٧٥)، و«معالم التنزيل» (٧/ ٣٧٣).

وقال الكلبي(١)، ومقاتل، ومجاهد: هم بالأسحار يصلون، وذلك أن صلاتهم طلب منهم للمغفرة. وقال الضحاك(٢): هي صلاة الفجر.

ثم ذكر سبحانه صدقاتهم فقال: ﴿وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾؛ أي: يجعلون في أموالهم على أنفسهم حقّاً للسائل والمحروم تقرّباً إلى الله ﷻ.

وقال(٣) محمد بن سيرين، وقتادة: (الحق) هنا: الزكاة المفروضة، والأوّل أولى، فيحمل على صدقة النفل، وصلة الرحم، وقَرْي الضيف؛ لأن السورة مكية، والزكاة لم تفرض إلّا بالمدينة، وسيأتي في سورة سأل سائل: ﴿فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ [المعارج: ٢٤، ٢٥] بزيادة معلوم، والسائل هو الذي يسأل الناس لفاقته.

[اختلفوا في تفسير المحروم]:

واختُلف في تفسير المحروم، فقيل: هو الذي يتعفّف عن السؤال حتى يحسبه الناس غنيّاً، فلا يتصدّقون عليه، وبه قال قتادة(٤)، والزهري(٥). وقال الحسن، ومحمد ابن الحنفية(٦): هو الذي لا سهم له في الغنيمة ولا يجري عليه من الفيء شيء.

وقال زيد بن أسلم(٧): هو الذي أُصيب ثمره، أو زرعُه، أو ماشيته. قال القرطبي(٨): هو الذي أصابته الجائحة. وقيل: الذي لا يكتسب. وقيل: هو الذي لا يجد غنى يغنيه، وقيل: هو الذي يطلب الدنيا وتُدْبر عنه. وقيل: هو المملوك. وقيل: الكلب. وقيل(٩) غير ذلك.

قال الشعبي(١٠): لي اليوم سبعون سنة منذ احتلمتُ أسأل عن المحروم، فما أنا اليوم بأعلم منّي فيه يومئذ.

وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٥٠٥) من طريق سفيان، به.

(١) ذكره عنهم البغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٧٣).

(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٤٨٠). (٣) «النكت والعيون» (٥/ ٣٦٦).

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٥١٤ ـ ٥١٥) بسند صحيح.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٥١٥)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٤٣) بسند صحيح.

(٦) «النكت والعيون» (٥/ ٣٦٦). (٧) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٤٨٣).

(٨) في «تفسيره» (١٩/ ٤٨٣). (٩) «النكت والعيون» (٥/ ٣٦٦ ـ ٣٦٧).

(١٠) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٥١٨) بسند صحيح ولفظه: أعياني أن أعلمَ ما المحروم؟

والذي ينبغي التعويل عليه ما يدلّ عليه المعنى اللُّغوي، والمحروم في اللغة[(١)] الممنوع، من الحرمان وهو المنعُ، فيدخل تحته مَنْ حُرم الرزق من الأصل، ومن أصيب ماله بجائحة أذهبته، ومَنْ حُرم العطاء، ومن حرم الصدقة لتعففه.

[من دلائل التوحيد في الكون وفي النفس]:

ثم ذكر سبحانه ما نصبه من «الدلائل» الدالة على توحيده، وصدق وعده ووعيده، فقال: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾؛ أي: دلائل واضحة، وعلامات ظاهرة من الجبال والبرّ والبحر والأشجار والأنهار والثمار، وفيها آثار الهلاك للأمم الكافرة المكذّبة لما جاءت به رسل الله ودعتهم إليه، وخص الموقنين بالله؛ لأنهم الذين يعترفون بذلك ويتدبرون فيه، فينتفعون به.

﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾؛ أي: وفي أنفسكم آيات تدلّ على توحيد الله، وصدق ما جاءت به الرّسل، فإنّه خلقهم نطفة ثم علقة ثم مُضْغة ثم عظماً إلى أن ينفخ فيه الروح.

ثم تختلف بعد ذلك صورهم وألوانهم وطبائعهم وألسنتهم، ثم نَفْسُ خلقِهم على هذه الصفة العجيبة الشأن من لحم ودمٍ، وعظم وأعضاء، وحواسّ ومجاري ومنافس.

ومعنى ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾: أفلا تنظرون بعين البصيرة، فتستدلون بذلك على الخالق الرّازق المتفرّد بالألوهية، وأنّه لا شريك له ولا ضدّ ولا ندّ، وأن وعده الحقّ، وقوله الحقّ، وأن ما جاءت إليكم به رسله هو الحقّ [٤/ ٩٢] الذي لا شك فيه، ولا شبهة تعتريه. وقيل: المراد بالأنفس: الأرواح؛ أي: وفي نفوسكم التي بها حياتكم آيات.

﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ﴾؛ أي: سبب رزقكم، وهو المطر، فإنّه سبب الأرزاق.

قال سعيد بن جبير[(٢)]، والضحاك[(٣)]: (الرزق) هنا: ما ينزل من السماء من مطر وثلج. وقيل: المراد بالسماء السحاب؛ أي: وفي السحاب رزقكم، وقيل:

(١) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٢٢٩)، و«تهذيب اللغة» (٥/ ٤٢).
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٥٢٠) بسند حسن.
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٥٢٠) بسند ضعيف.

المراد بالسماء المطر، وسماه سماء؛ لأنه ينزل من جهتها، ومنه قول الشاعر:

إذا نزلَ السماءُ بأرضِ قومٍ   رعيناهُ وإنْ كانوا غِضاباً[(١)]

وقال ابن كيسان[(٢)]: يعني: وعلى رب السماء رزقكم، قال: ونظيره: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦] وهو بعيد.

وقال سفيان[(٣)] الثوري: أي: عند الله في السماء رزقكم. وقيل المعنى: وفي السماء تقدير رزقكم. قرأ الجمهور[(٤)]: «رِزْقُكم» بالإفراد، وقرأ يعقوب، وابن محيصن، ومجاهد: «أرزاقكم» بالجمع[(٥)].

﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ من الجنة والنار، قاله مجاهد[(٦)].

قال عطاء[(٧)]: من الثواب والعقاب، وقال الكلبي[(٨)]: من الخير والشرّ، قال ابن سيرين[(٩)]: ما توعدون من أمر الساعة، وبه قال الربيع[(١٠)]. والأولى الحمل على ما هو أعمّ من هذه الأقوال، فإنّ جزاء الأعمال مكتوب في السماء، والقضاء والقدر ينزل منها، والجنة والنار فيها.

ثم أقسم سبحانه بنفسه، فقال: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾؛ أي: ما أخبركم به في هذه الآيات. قال الزجاج[(١١)]: هو ما ذكر من أمر الرزق والآيات. قال الكلبي[(١٢)]: يعني: ما قصّ في الكتاب. وقال مقاتل[(١٣)]: يعني: من أمر الساعة.

---

(١) قائله معاوية بن مالك معوِّد الحكماء. (٢) «النكت والعيون» (١٩/٤٨٦).

(٣) «النكت والعيون» (١٩/٤٨٦).

(٤) «البحر المحيط» (٩/٥٥٣)، و«زاد المسير» (٨/٣٣).

(٥) «القراءات الشاذة» (ص١٤٥)، و«البحر المحيط» (٩/٥٥٣)، و«روح المعاني» (٢٦/٢٤). القراءة المتواترة بالإفراد أما ما عداها فشاذ، الرواية بالجمع شاذة بل القراءة المتواترة عنه كقراءة الجمهور.

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/٥٢٢) بسند صحيح.

(٧) «إعراب القرآن» للنحاس (٤/٢٤٠ ـ ٢٤١).

(٨) «الوسيط» (٤/١٧٦). (٩) «المحرر الوجيز» (١٥/٢٠٩).

(١٠) «النكت والعيون» (٥/٣٦٨).

(١١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/٥٤).

(١٢) «البحر المحيط» (٩/٥٥٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٩/٤٨٧ ـ ٤٨٨).

(١٣) «الوسيط» (٤/١٧٦).

وقيل: إن ﴿ما﴾ في قوله: ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ مبتدأ، وخبره ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾، فيكون الضمير لما.

ثم قال سبحانه: ﴿مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ قرأ الجمهور[١] بنصب: «مِثْلَ» على تقدير: كمثل نطقكم وما زائدة، كذا قال بعض الكوفيون[٢] إنه منصوب بنزع الخافض.

وقال الزجاج[٣]، والفراء[٤]: يجوز أن ينتصب على التوكيد؛ أي: لحق حقاً مثل نطقكم. وقال المازني[٥]: إن «مثل» مع «ما» بمنزلة شيء واحد فبني على الفتح.

وقال سيبويه[٦]: هو مبنيّ لإضافته إلى غير متمكن، واختار هذه القراءة أبو عبيد[٧]، وأبو حاتم.

وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر، والأعمش «مِثْلُ» بالرفع[٨] على أنه صفة لحقّ؛ لأن مثل نكرة وإن أضيفت، فهي لا تتعرّف بالإضافة كغير. ورجح قول المازني أبو عليّ[٩] الفارسي قال: ومثله قول حُميد[١٠]:

ويحاً لِمنْ لم يدرِ ما هُنَّ وَيْحَمَا[١١]

فبني ويح مع ما ولم يلحقه التنوين، ومعنى الآية تشبيه تحقيق ما أخبر الله عنه بتحقيق نطق الآدمي ووجوده، وهذا كما تقول: إنه لحق كما أنك ها هنا، وإنه لحق كما أنك تتكلم، والمعنى: أنه في صدقه ووجوده كالذي تعرفه ضرورةً.

---

(١) «النشر» (٢/ ٣٧٧)، و«التيسير» (ص٢٠٣)، و«جامع البيان» (٢١/ ٥٢٤)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٨٧)، و«التبيان» (٢/ ١١٨٠).

(٢) «إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ٢٤١)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٣٢٤).

(٣) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٥٤). (٤) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٨٥).

(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٤٩٠). (٦) في «الكتاب» (١/ ٤٧٠).

(٧) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٤٩٠).

(٨) «النشر» (٢/ ٣٧٧)، و«جامع البيان» (٢١/ ٥٢٤ ـ ٥٢٥)، و«التيسير» (ص٢٠٣).

(٩) في «الحجة» (٦/ ٢١٨)، و«البحر المحيط» (٩/ ٥٥٣).

(١٠) حُميد بن ثور.

(١١) وصدر البيت:

ألا هيما مما لقيت وهيما

وقد أخرج عبد الرزاق، والفريابي، وسعيد بن منصور، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن الأنباري، والدارقطني في «الأفراد»، والحاكم وصححه، والبيهقي في «الشعب» من طرق عن علي بن أبي طالب[١] في قوله: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾ قال: الرياح ﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴾ قال: السحاب ﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا﴾ قال: السفن ﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا﴾ قال: الملائكة.

وأخرج البزار، والدارقطني في «الأفراد»، وابن مردويه، وابن عساكر عن عمر بن الخطاب[٢] مثله، ورفعه إلى رسول الله ﷺ، وفي إسناده أبو بكر بن سَبْرة، وهو لين الحديث، وسعيد بن سلام، ليس من أصحاب الحديث، كذا قال البزار.

قال ابن كثير[٣]: فهذا الحديث ضعيف رفعه، وأقرب ما فيه أنه موقوف على عمر.

وأخرج الفريابي، وابن مردويه عن ابن عباس[٤] مثل قول عليّ.

وأخرج الفريابي، وسعيد بن منصور، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ في «العظمة» عن ابن عباس[٥] ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ قال: حسنها واستواؤها.

وأخرج ابنُ أبي حاتم، وأبو الشيخ في «العظَمة» عنه[٦] في الآية قال: ذات البهاء والجمال، وإن بنيانها كالبُرد المسلسل.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٤١)، والفريابي ـ كما في «تغليق التعليق» (٤/ ٣١٨) ـ، والحارث بن أبي أُسامة رقم (٣٨٥ ـ بغية الباحث)، وابن جرير (٢١/ ٤٧٩ ـ ٤٨٣)، وابن أبي حاتم ـ كما في «تغليق التعليق» (١/ ٣١٨) ـ، والحاكم (٢/ ٤٦٦) وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي رقم (٣٩٩١).

(٢) أخرجه البزار في «مسنده» رقم (٢٢٥٩ ـ كشف)، والدارقطني ـ كما في الإصابة (٣/ ٤٥٩) ـ وابن عساكر (٢٣/ ٤١٠).
وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١١٣): وفيه أبو بكر بن أبي سبرة وهو متروك.

(٣) في «تفسيره» (١٣/ ٢٠٨).

(٤) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦١٤).

(٥) أخرجه الفريابي ـ كما في «تغليق التعليق» (٤/ ٣١٩) ـ وابن جرير (٢١/ ٤٨٧)، وابن أبي حاتم ـ كما في «تغليق التعليق» (٤/ ٣١٩) ـ، وأبو الشيخ في «العظمة» رقم (٥٥٦) بسند حسن.

(٦) أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» رقم (٥٤٧) بسند ضعيف جدّاً .

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه[١] قال: ذات الخَلْق الحسن.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن ابن عمرو[٢] مثله.

وأخرج ابن منيع[٣] عن عليّ قال: هي السماء السابعة.

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس[٤] في قوله: ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ قال: يُضلّ عنه من ضلّ.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه[٥] أيضاً ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾ قال: لُعن المرتابون.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم[٦] عنه أيضاً قال: هم الكهنة ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾ قال: في غفلة لاهون.

وأخرج ابن أبي حاتم[٧] عنه أيضاً قال: الغَمْرةُ: الكفر والشك.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم[٨] عنه قال: في ضلالتهم يتمادون، وفي قوله: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ قال: يُعذّبون.

وأخرج[٩] هؤلاء عنه أيضاً في قوله: ﴿آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ قال: الفرائض ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ قال: قبل أن تنزل الفرائض يعملون.

وأخرج هؤلاء أيضاً، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «الأسماء

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٤٨٦) بسند حسن.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٤٨٩)، وأبو الشيخ في العظمة رقم (٥٦٥) بسند حسن.

(٣) أخرجه أحمد بن منيع، كما في «المطالب العالية» رقم (٤١٢٠).

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (١٣/ ٦٦٨).

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٤٩٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ـ كما في «الإتقان» (٢/ ٤٤) ـ بسند صحيح.

(٦) أخرج ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٤٩٢ ـ ٤٩٣) بسند ضعيف.

(٧) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (١٣/ ٦٧٠).

(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٤٩٤، ٤٩٥)، وابن أبي حاتم ـ كما في «تغليق التعليق» (٤/ ٣٢٠) ـ وفي «الإتقان» (٢/ ٤٤) بسند صحيح.

(٩) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٥٠١) بسند صحيح.

والصفات» عنه[١] أيضاً ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ قال: ما تأتي عليهم ليلة ينامون حتى يصبحوا إلّا يصلون فيها.

وأخرج ابن نصر، وابن جرير، وابن المنذر عنه[٢] أيضاً في الآية يقول: قليلاً ما كانوا ينامون.

وأخرج أبو داود، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «سننه» عن أنس[٣] في الآية قال: كانوا يصلون بين المغرب والعشاء.

وأخرج عبد الرزاق، وابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عمر[٤] ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ قال: يصلون.

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس ﴿وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ﴾ قال: سوى الزكاة يصل بها رحماً، أو يَقري بها ضيفاً، أو يُعين بها محروماً.

وأخرج سعيد بن منصور، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه[٥] قال: السائل الذي يسأل الناس، والمحروم الذي ليس له سهم من فيء المسلمين.

وأخرج ابن أبي حاتم[٦] عنه أيضاً قال: المحروم هو المُحَارَفُ الذي يطلب الدنيا وتُدْبر عنه، ولا يسأل الناس، فأمر الله المؤمنين برفده.

وأخرج ابن أبي حاتم[٧] عن عائشة في الآية قالت: هو المُحَارَفُ الذي لا يكاد يتيسر له مكسبه.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٥٠٢ ـ ٥٠٣)، وابن أبي شيبة (٢/ ٢٣٩)، وابن نصر في «مختصر قيام الليل» (ص٩)، والحاكم (٢/ ٤٦٧)، والبيهقي رقم (٣١٠٩)، وابن أبي الدنيا في «التهجد» رقم (٣٠٣) بسند صحيح.

(٢) أخرجه ابن نصر في «مختصر قيام الليل» (ص٩)، وابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٥٠٨) بسند صحيح.

(٣) أخرجه أبو داود رقم (١٣٢٢)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٨/ ٦٠٩)، والحاكم (٢/ ٤٦٧)، والبيهقي (٣/ ١٩) وهو حديث صحيح.

(٤) أخرجه عبد الرزاق (٢/ ٢٤٥)، وابن أبي شيبة (١٣/ ٣٢٧)، وابن جرير (٢١/ ٥١٠) من طريق سفيان، به.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٥١٥، ٥١٦) من طريق سفيان، به.

(٦) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣١٢).

(٧) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣١٢)

وأخرج الترمذي، والبيهقي في «سننه» عن فاطمة بنت قيس(١)، «أنها سألت النبيّ ﷺ عن هذه الآية قال: إن في المال حقّاً سوى الزكاة، وتلا هذه الآية ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾» [البقرة: ١٧٧].

وأخرج الفريابي، وسعيد بن منصور، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «الشعب» عن عبد الله بن الزبير(٢) في قوله: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ قال: سبيل الغائط والبول.

[آيات في تاريخ الرسالات]:

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ سَلَـٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾﴾.

قوله: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ ذكر سبحانه قصة إبراهيم؛ ليبين أنه أَهلك بسبب التكذيب مَنْ أهلك. وفي الاستفهام تنبيه على أن هذا الحديث ليس مما قد عَلِم به(٣) رسول الله ﷺ، وأنه إنما علمه بطريق الوحي. وقيل: إن «هل» بمعنى(٤) «قد»، كما في قوله: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ [الإنسان: ١] والضيف مصدر(٥) يُطلق على الواحد والاثنين والجماعة وقد تقدم الكلام على قصة

---

(١) أخرجه البيهقي (٤/ ٨٤)، والترمذي رقم (٦٥٩، ٦٦٠) وهو حديث ضعيف.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٥١٩)، والبيهقي رقم (٨٢٠٨) وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٤٤) من طريق ابن جريج، به.

(٣) «البحر المحيط» (٩/ ٥٥٤) ، و«روح المعافي» (٢٦/ ٢٦).

(٤) «الوسيط» (٤/ ٧٧).

(٥) «البحر المحيط» (٩/ ٥٥٤)، و«روح المعاني» (٢٦/ ٢٦).

ضيف إبراهيم في سورة هود، وسورة الحِجْر، والمراد بكونهم مُكْرَمين: أنهم مكرمون عند الله سبحانه؛ لأنهم ملائكة جاءوا إليه في صورة بني آدم، كما قال تعالى في وصفهم في آية أخرى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦] وقيل[١]: هم جبريل، وميكائيل، وإسرافيل.

وقال مقاتل[٢]، ومجاهد[٣]: أكرمهم إبراهيم وأحسن إليهم، وقام على رؤوسهم، وكان لا يقوم على رؤوس الضيف، وأمر امرأته أن تخدمهم. وقال الكلبي: أكرمهم بالعِجْل.

﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ﴾ العامل في الظرف ﴿حَدِيثُ﴾؛ أي: هل أتاك حديثهم الواقع في وقت دخولهم عليه، أو العامل فيه ضيف لأنه مصدر، أو العامل فيه ﴿الْمُكْرَمِينَ﴾، أو العامل فيه فعل مضمر؛ أي: اذكر.

﴿فَقَالُواْ سَلَٰمًا﴾؛ أي: نسلم عليك سلاماً ﴿قَالَ سَلَٰمٌ﴾؛ أي: قال إبراهيم سلام.

قرأ الجمهور[٤] بنصب: «سلاماً» **الأول**، ورفع الثاني فنصب الأوّل على المصدرية بتقدير الفعل كما ذكرنا، والمراد به التحية، ويحتمل أن يكون المعنى: فقالوا كلاماً حسناً؛ لأنّه كلام سلم به المتكلم من أن يلغو، فيكون على هذا مفعولاً به.

وأما **الثاني**: فرفعه على أنه مبتدأ محذوف الخبر؛ أي: عليكم سلامٌ، وعدل به إلى الرفع لقصد إفادة الجملة الاسمية للدوام والثبات، بخلاف الفعلية فإنها لمجرد التجدّد والحدوث، ولهذا قال أهل المعاني[٥]: إن سلام إبراهيم أبلغ من سلام الملائكة.

---

(١) «مجمع البيان» (٢٧/ ١٥)، و«روح المعاني» (٢٦/ ٢٦ ـ ٢٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٤٩١ ـ ٤٩٢).

(٢) «البحر المحيط» (٩/ ٥٥٥).

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٥٤٥) بسند صحيح.

(٤) «النشر» (٢/ ٢٩٠)، و«التيسير» (ص١٢٥)، و«البحر المحيط» (٩/ ٥٥٥)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٥٣٤).

(٥) «روح المعاني» (٢٦/ ٥٥٥).

وقُرئ بالرفع(١) في الموضعين، وقرئ بالنصب(٢) فيهما. وقرأ أهل الكوفة إلّا عاصماً بكسر السين(٣)، وقرئ(٤): «سِلْم» فيهما.

﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ ارتفاع (قوم) على أنه خبر مبتدأ محذوف؛ أي: أنتم قوم منكرون. قيل: إنه قال هذا في نفسه ولم يخاطبهم به؛ لأن ذلك يخالف الإكرام. قيل: إنه أنكرهم لكونهم ابتدءوا بالسلام، ولم يكن ذلك معهوداً عند قومه.

وقيل: لأنه رأى فيهم ما يخالف بعض الصور البشرية، وقيل: لأنه رآهم على غير صورة الملائكة الذين يعرفهم، وقيل غير ذلك.

[إكرام إبراهيم الضيوف]:

﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ قال الزجّاج(٥)؛ أي: عدل [٤/٩٣] إلى أهله، وقيل: ذهب إليهم في خُفْية من ضيوفه، والمعنى متقارب وقد تقدم تفسيره في سورة الصافات. يقال: راغ(٦) وارتاغ بمعنى طلب، وماذا يريغ؟ أي: يريد ويطلب، وأراغ إلى كذا: مال إليه سرًّا وحاد.

﴿فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾؛ أي: فجاء ضيفَه بعجلٍ قد شواه لهم، كما في سورة هود ﴿بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ [هود: ٦٩] وفي الكلام حذف تدل عليه الفاء الفصيحة؛ أي: فذبح عجلاً فحنذه فجاء به ﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ﴾؛ أي: قرّب العجل إليهم، ووضعه بين أيديهم فـ﴿قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ الاستفهام(٧) للإنكار، وذلك أنه لما قربه إليهم لم يأكلوا منه. قال في «الصحاح»(٨): العِجْلُ: ولد البقر والعجول مثله، والجمع العجاجيل، والأنثى عِجْلة، وقيل: العجل في بعض اللغات الشاة.

---

(١) «النشر» (٢/ ٢٩٠)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٥٣٤)، و«التيسير» (ص١٢٥).

(٢) «البحر المحيط» (٩/ ٥٥٥)، و«النشر» (٢/ ٢٩٠)، و«روح المعاني» (٢٦/ ٢٨). قرأ الجمهور بنصب (سلاماً) الأولى، ورفع الثانية (سلامٌ) بفتح السين فلام مفتوحة وقرأ حمزة والكسائي الأولى منصوبة (سلاماً). والثانية مرفوعة (سِلْم) بكسر السين وسكون اللّام وباقي القراءات شاذة.ا.هـ. انظر: «النشر» (٢/ ٢٩٠)، و«تخريج القراءات في فتح القدير» (ص٣٨٣).

(٣) انظر: المصادر المتقدمة.

(٤) «البحر المحيط» (٩/ ٥٥٥)، و«روح المعاني» (٢٦/ ٢٨).

(٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٥٤).

(٦) «تهذيب اللغة» (٨/ ١٨٧)، و«الصحاح» (٤/ ١٣٢٠).

(٧) «روح المعاني» (٢٦/ ٣٠)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤).

(٨) في «الصحاح» (٥/ ١٧٥٦).

﴿فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةًۖ﴾؛ أي: أحسّ في نفسه خوفاً منهم؛ لما لم يأكلوا مما قرّبه إليهم. وقيل: معنى أوجس[١]: أضمر، وإنما وقع له ذلك لما لم يتَحرّموا بطعامه. ومن أخلاق الناس أن من أكل من طعام إنسان صار آمناً منه، فظن إبراهيم أنهم جاءوا للشرّ، ولم يأتوا للخير.

وقيل: إنه وقع في قلبه أنهم ملائكة.

فلما رأوا ما ظهر عليه من أمارات الخوف ﴿قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ﴾ وأعلموه أنهم ملائكة مرسلون إليه من جهة الله سبحانه ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾؛ أي: بشروه بغلام يولد له كثير العلم عند أنْ يبلغ مبالغ الرجال، والمُبشّر به عند الجمهور[٢] هو إسحاق.

وقال مجاهد[٣] وحده: إنّه إسماعيل، وهو مردود[٤] بقوله: ﴿وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ﴾ [الصافات: ١١٢] وقد قدّمنا تحقيق هذا المقام بما لا يحتاج الناظر فيه إلى غيره.

﴿فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ﴾ لم يكن هذا الإقبال من مكان إلى مكان، وإنما هو كقولك: أقبل يشتمني؛ أي: أخذ في شتمي، كذا قال الفراء[٥]، وغيره. والصرّة: الصيحة والضجة، وقيل: الجماعة من الناس.

قال الجوهري[٦]: الصرّة: الضجة والصيحة، والصرّة: الجماعة، والصرّة: الشدّة من كرب أو غيره، والمعنى: أنها أقبلت في صيحة، أو في ضجة، أو في جماعة من الناس يستمعون كلام الملائكة، ومن هذا قول امرئ القيس[٧]:

فألْحقَهُ بالهادياتِ ودونَه جراجرُها فِي صَرَّةٍ لم تُزَيَّلِ

وقوله: ﴿فِي صَرَّةٖ﴾ في محل نصب[٨] على الحال ﴿فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا﴾؛ أي: ضربت بيدها على وجهها، كما جرت بذلك عادة النساء عند التعجب. قال

---

(١) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٨٥٥).
(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٤٩٤).
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٥٢٧) بسند صحيح.
(٤) قال ابن جرير: وإنّما قلت: عُني به إسحاق؛ لأن البشارة كانت بالولد من سارة، وإسماعيل لهاجر لا لسارة.
(٥) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٨٧).
(٦) في «الصحاح» (٢/ ٧١٠ ـ ٧١١).
(٧) «ديوان امرئ القيس» (ص٢٢).
(٨) «التبيان» (٢/ ١١٨١)، و«الفريد» (٤/ ٣٦٥).

مقاتل[١]، والكلبي: جمعت أصابعها، فضربت جبينها تعجباً. ومعنى الصكّ[٢]: ضرب الشيء بالشيء العريض، يقال: صكه؛ أي: ضربه.

﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾؛ أي: كيف ألد وأنا عجوز عقيم؟! استبعدت ذلك لكبر سنها؛ ولكونها عقيماً لا تلد ﴿قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ﴾؛ أي: كما قلنا لك وأخبرناك قال ربُّك، فلا تَشكّي في ذلك ولا تعجبي منه، فإن ما أراده الله كائن لا محالة، ولم نقل ذلك من جهة أنفسنا، وقد كانت إذ ذاك بنت تسع وتسعين سنة، وإبراهيم ابن مائة سنة، وقد سبق بيان هذا مستوفى.

[حقيقة ضيف إبراهيم وشأنهم الذي أرسلوا فيه]:

وجملة: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ تعليل لما قبلها؛ أي: حكيم في أفعاله وأقواله، عليم بكل شيء.

وجملة: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ مستأنفة جواباً عن سؤال مقدّر، كأنه قيل: فماذا قال إبراهيم بعد هذا القول من الملائكة؟ والخَطْبُ: الشأن والقصة، والمعنى: فما شأنكم وما قصتكم أيها المرسلون من جهة الله، وما ذاك الأمر الذي لأجله أرسلكم سوى هذه البشارة؟.

﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُجْرِمِينَ﴾ يُريدون قوم لوط ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ﴾؛ أي: لنرجمهم بحجارة من طين متحجّر، وانتصاب ﴿مُسَوَّمَةً﴾ على الصفة لحجارة[٣]، أو على الحال[٤] في الضمير المستكنّ في الجار والمجرور، أو من الحجارة؛ لكونها قد وصفت بالجار والمجرور، ومعنى ﴿مُسَوَّمَةً﴾: مُعلّمة بعلامات تعرف بها.

قيل: كانت مخططة بسواد وبياض، وقيل: بسواد وحمرة، وقيل: معروفة بأنها حجارة العذاب، وقيل: مكتوب على كل حجر مَنْ يهلك بها، وقوله: ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ ظرف لمسوّمة؛ أي: مُعلّمة عنده ﴿لِلْمُسْرِفِينَ﴾ المتمادين في الضلالة المجاوزين الحدّ في الفجور. وقال مقاتل[٥]: للمشركين، والشرك أسرف الذنوب وأعظمها.

(١) ذكره عنهما الواحدي في «الوسيط» (٤/١٧٨).
(٢) «الصحاح» (٤/١٥٩٦).
(٣) «الفريد» (٤/٣٦٥)، و«التبيان» (٢/١١٨١)، و«روح المعاني» (٢٦/٣٣).
(٤) انظر: المصادر المتقدمة.
(٥) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/١٧٨).

﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ هذا كلام من جهة الله سبحانه؛ أي: لما أردنا إهلاك قوم لوط أخرجنا مَنْ كان في قرى قوم لوط من قومه المؤمنين به ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾؛ أي: غير أهل بيت. يقال: بيت شريف ويراد به أهله، قيل: وهم أهل بيت لوط، والإسلام: الانقياد والاستسلام لأمر الله سبحانه، فكل مؤمن مسلم، ومن ذلك قوله: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤].

وقد أوضح الفرق رسول الله ﷺ بين الإسلام، والإيمان في الحديث في «الصحيحين»(١) وغيرهما الثابت من طرق أنه سئل عن الإسلام، فقال: «أن تشهد أن لا إلٰه إلَّا الله وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتحج البيت، وتصوم رمضان»، وسئل عن الإيمان، فقال: «أن تؤمن بالله، وملائكته وكتبه ورسله، والقدر خيره وشرّه».

فالمرجع في الفرق بينهما هو هذا الذي قاله الصادق المصدوق، ولا التفات إلى غيره مما قاله أهل العلم في رسم كلٍّ واحد منهما برسوم مضطربة مختلفة متناقضة، وأما ما في الكتاب العزيز من اختلاف مواضع استعمال الإسلام(٢) والإيمان، فذلك باعتبار المعاني اللُّغوية والاستعمالات العربية، والواجب تقديم الحقيقة الشرعية على اللغوية، والحقيقة الشرعية هي هذه التي أخبرنا بها رسول الله ﷺ، وأجاب سؤال السائل له عن ذلك بها.

﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾؛ أي: وتركنا في تلك القرى علامة، ودلالة تدل على ما أصابهم من العذاب، كلّ من يخاف عذاب الله، ويخشاه من أهل ذلك الزمان ومَنْ بعدهم، وهذه الآية هي آثار العذاب في تلك القرى، فإنها ظاهرة بينة.

وقيل: هي الحجارة التي رُجموا بها، وإنما خصّ الذين يخافون العذاب الأليم؛ لأنهم الذين يتعظون بالمواعظ، ويتفكرون في الآيات دون غيرهم ممن لا يخاف ذلك وهم المشركون المكذبون بالبعث، والوعد والوعيد.

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٥٠)، ومسلم رقم (١/٨)، وأبو داود رقم (٤٦٩٥)، والترمذي رقم (٢٦١٠)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح قد روي من غير وجه نحو هذا عن عمر»، والنسائي (في/٩٦، ١٠١).

(٢) «روح المعاني» (٢٦/ ٣٤ ـ ٣٥).

وقد أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[١] في قوله: ﴿فِي صَرَّةٍ﴾ قال: في صيحة ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ قال: لطمت.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد[٢] في قوله: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ قال: لوط وابنتيه.

وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير[٣] قال: كانوا ثلاثة عشر.

﴿وَفِي مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ (٣٨) فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (٣٩)
فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِي ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ (٤٠) وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ (٤١) مَا تَذَرُ
مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ (٤٢) وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ (٤٣) فَعَتَوْا۟ عَنْ
أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ (٤٤) فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ (٤٥)
وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ (٤٦)﴾.

[من آيات الله الكونية]:

﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (٤٧) وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ (٤٨) وَمِن كُلِّ شَيْءٍ
خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٤٩) فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٥٠) وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا
ءَاخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٥١) كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ
(٥٢) أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (٥٣) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ (٥٤) وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ
ٱلْمُؤْمِنِينَ (٥٥) وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ
(٥٧) إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ (٥٨) فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا
يَسْتَعْجِلُونِ (٥٩) فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ (٦٠)﴾.

قوله: ﴿وَفِي مُوسَىٰٓ﴾ معطوف على قوله: ﴿فِيهَا﴾ بإعادة الخافض، والتقدير: وتركنا في قصة موسى آيةً، أو معطوف على ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الذاريات: ٢٠] والتقدير:

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٥٢٩) بسند صحيح.
(٢) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٢٠).
(٣) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣١٢).

وفي الأرض، وفي موسى آيات، قاله الفراء[(١)]، وابن عطية[(٢)]، والزمخشري[(٣)]. قال أبو حيان[(٤)]: وهو بعيد جداً يُنزّه القرآن عن مثله، ويجوز أَنْ يكون مُتعلقاً بجعلنا مقدّراً لدلالة «وتركنا عليه» قيل: ويجوز أن يعطف على ﴿وَتَرَكْنَا﴾ [الذاريات: ٣٧] على طريقة قول القائل:

علّفتُها تِبْنَاً وماءً باردا[(٥)]

والتقدير: وتركنا فيها آيةً، وجعلنا في موسى آية. قال أبو حيان[(٦)]: ولا حاجة إلى إضمار (وجعلنا) لأنه قد أمكن أن يكون العامل في المجرور[(٧)]، ﴿وَتَرَكْنَا﴾. والوجه الأوّل هو الأولى، وما عداه متكلف متعسف لم تلجئ إليه حاجة، ولا دعت إليه ضرورة.

﴿إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ الظرف متعلق بمحذوف هو نعت لـ ﴿ءَايَةً﴾؛ أي: كائنة وقت أرسلناه، أو بـ ﴿ءَايَةً﴾ نفسها، والأوّل أولى. والسلطان المبين: الحجة الظاهرة الواضحة، وهي العصا، وما معها من الآيات.

﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ﴾ التولي: الإعراض، والركن: الجانب، قاله الأخفش[(٨)].

والمعنى: أعرض بجانبه، كما في قوله: ﴿أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٣] قال الجوهري[(٩)]: ركن الشيء: جانبه الأقوى، وهو يأوي إلى ركن شديد؛ أي: عزّ ومنعة. وقال ابن زيد[(١٠)]، ومجاهد[(١١)]، وغيرهما: الركن جمعه وجنوده الذين كان يتقوّى بهم، ومنه قوله تعالى: ﴿أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠]؛ أي: عشيرة ومنَعة، وقيل: الركن: نفس القوّة، وبه قال قتادة[(١٢)] وغيره، ومنه قول عنترة[(١٣)]:

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٤٩٨).
(٢) في «المحرر الوجيز» (١٥/ ٢١٧ ـ ٢١٨).
(٣) في «الكشاف» (٥/ ٦١٧).
(٤) في «البحر المحيط» (٩/ ٥٥٨).
(٥) «البحر المحيط» (٩/ ٥٥٨) وقد تقدم توضيحه.
(٦) في «البحر المحيط» (٩/ ٥٥٨).
(٧) «التبيان» (٢/ ١١٨١)، و«الفريد» (٤/ ٣٦٦).
(٨) «النكت والعيون» (٥/ ٣٧٢).
(٩) في «الصحاح» (٥/ ٢١٢٦).
(١٠) ذكره الجوهري في «الصحاح» (٥/ ٢١٢٦).
(١١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٥٣٤) بسند صحيح.
(١٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٥٣٥)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٤٤) عن قتادة قال: «بقومه» بسند صحيح.
(١٣) لم نقف عليه في المطبوع من ديوان عنترة. وهو في «النكت والعيون» (٥/ ٣٧٢).

فما أَوْهَى مراسَ الحربِ رُكْنِي ... ولكنْ ما تقادَم مِنْ زمانِي

﴿وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾؛ أي: قال فرعون في حقّ موسى: هو ساحر، أو مجنون، تردّدَ فيما رآه من أحوال موسى بين كونه ساحراً، أو مجنوناً، وهذا من اللعين مغالطة وإيهام لقومه، فإنّه يعلم أن ما رآه من الخوارق لا يتيسر على يد ساحر، ولا يفعله من به جنون.

وقيل: إن «أو» بمعنى[1] الواو؛ لأنه قد قال ذلك جميعاً ولم يتردّد، قاله المؤرج[2]، والفرّاء[3]، كقوله: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢٤].

﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾؛ أي: طرحناهم في البحر، وجملة: ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ في محل نصب[4] على الحال؛ أي: آتٍ بما يُلام عليه حين ادّعى الربوبية، وكفر بالله وطغى في عصيانه.

﴿وَفِى عَادٍ﴾ أي: وتركنا في قصة عاد آية ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾ وهي التي لا خير فيها ولا بركة، لا تلقح شجراً ولا تحمل مطراً، إنما هي ريح الإهلاك [٤/ ٩٤] والعذاب.

ثم وصف سبحانه هذه الريح فقال: ﴿مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ﴾؛ أي: ما تذر من شيء مرّت عليه من أنفسهم، وأنعامهم، وأموالهم إلّا جعلته كالشيء الهالك البالي. قال الشاعر[5]:

تَرَكَتْنِي حينَ كفَّ الدهرُ مِنْ بصرِي ... وإذ بقيتُ كعظمِ الرِّمةِ البالِي

وقال قتادة[6]: إنه الذي دِيس من يابس النبات، وقال السديّ[7]، وأبو العالية[8]: إنه التراب المدقوق، وقال قطرب[9]: إنه الرماد، وأصل الكلمة من رَمّ العظم: إذا بَلي فهو رميم، والرّمة: العظام البالية.

---

(١) «إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ٢٤٢).
(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١١٨).
(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١١٨).
(٤) «الفريد» (٤/ ٣٦٦).
(٥) وهو جرير. «ديوانه» (٢/ ٥٨٤).
(٦) «النكت والعيون» (٥/ ٣٧٣).
(٧) «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٥٠٠).
(٨) «معالم التنزيل» (٧/ ٣٧٨).
(٩) «النكت والعيون» (٥/ ٣٧٣).

[أهلك ثمود بالصاعقة]:

﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ﴾؛ أي: وتركنا في قصة ثمود آية وقت قلنا لهم: عيشوا متمتعين بالدنيا إلى حين وقت الهلاك، وهو ثلاثة أيام، كما في قوله: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ [هود: ٦٥].

﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾؛ أي: تكبّروا عن امتثال أمر الله ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ وهي كل عذاب مهلك.

قرأ الجمهور[١]: «الصاعقة» وقرأ عمر بن الخطاب، وحُميد، وابن محيصن، ومجاهد، والكسائي: «الصَّعْقة»[٢]، وقد مرّ الكلام على الصاعقة في البقرة، وفي مواضع.

﴿وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ أي: يرونها عياناً، والجملة في محل نصب[٣] على الحال، وقيل: إن المعنى: ينتظرون ما وعدوه من العذاب، والأوّل أولى.

﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ﴾؛ أي: لم يقدروا على القيام.

قال قتادة[٤]: من نهوض يعني: لم ينهضوا من تلك الصرعة، والمعنى: أنهم عجزوا عن القيام فضلاً عن الهرب. ومثله قوله: ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ [الأعراف: ٧٨] ﴿وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ﴾؛ أي: ممتنعين من عذاب الله بغيرهم ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ﴾؛ أي: من قبل هؤلاء المهلكين، فإن زمانهم متقدّم على زمن فرعون، وعاد وثمود ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾؛ أي: خارجين عن طاعة الله.

قرأ حمزة[٥]، والكسائي، وأبو عمرو بخفض: «قومٍ»؛ أي: وفي قوم نوح آية. وقرأ الباقون بالنصب[٦]. أي: وأهلكنا قومَ نوح، أو هو معطوف على مفعول

---

(١) «الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٨٨)، و«النشر» (٢/ ٣٧٧)، و«التيسير» (ص٢٠٣)، و«زاد المسير» (٨/ ٤٠)، و«جامع البيان» (٢١/ ٥٤٢).

(٢) انظر: المصادر المتقدمة.

(٣) «البحر المحيط» (٩/ ٥٥٩).

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٥٤٣)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٤٥) بسند صحيح.

(٥) «البحر المحيط» (٩/ ٥٥٩)، و«زاد المسير» (٨/ ٤٠)، و«جامع البيان» (٢١/ ٥٤٤)، و«روح المعاني» (٢٦/ ٤١).

(٦) انظر: المصادر المتقدمة.

أخذتهم الصاعقة، أو على مفعول (نبذناهم)؛ أي: نبذناهم ونبذنا قوم نوح، أو يكون العامل فيه اذْكر.

﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٍ﴾؛ أي: بقوّة وقُدرة، قرأ الجمهور[1] بنصب: «السماء» على الاشتغال، والتقدير: وبنينا السماءَ بنيناها. وقرأ أبو السَّمَّال[2]، وابن مقسم برفعها على الابتداء ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ الموسع ذو الوسع والسعة.

والمعنى: إنا لذو سَعةٍ بخلقها، وخلق غيرها لا نعجز عن ذلك، وقيل: لقادرون، من الوسع بمعنى الطاقة والقدرة، وقيل: إنا لموسعون الرزق بالمطر. قال الجوهري[3]: وأوسع الرجل: صار ذا سعة وغنى.

﴿وَٱلۡأَرۡضَ فَرَشۡنَٰهَا﴾ قرأ الجمهور[4] بنصب «الأرضَ» على الاشتغال.

وقرأ أبو السَّمَّال[5]، وابن مقسم برفعها، كما تقدّم في قوله: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا﴾ ومعنى فرشناها: بسطناها كالفراش ﴿فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ﴾؛ أي: نحن، يقال: مهدت الفراش: بسطته ووطأته، وتمهيد الأمور: تسويتها وإصلاحها.

[آية الخلائق]:

﴿وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ﴾؛ أي: صنفين[6]، ونوعين من ذكر وأنثى، وبَرّ وبحر، وشمس وقمر، وحلو ومرّ، وسماء وأرض، وليل ونهار، ونور وظلمة، وجنّ وإنس، وخير وشرّ ﴿لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾؛ أي: خلقنا ذلك هكذا لتتذكروا، فتعرفوا أنه خالق كل شيء، وتستدلوا بذلك على توحيده، وصدق وعده ووعيده.

[الفرار إلى الله موحدين متجردين]:

﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾؛ أي: قل لهم يا محمد: ففرّوا إلى الله بالتوبة من ذنوبكم عن الكفر والمعاصي.

---

(١) «البحر المحيط» (٩/ ٥٥٩)، و«جامع البيان» (٢١/ ٥٤٥)، و«التبيان» (٢/ ١١٨٢)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٤٠). وهي المتواترة أما القراءة برفع السماء فشاذة.

(٢) انظر: المصادر المتقدمة. (٣) في «الصحاح» (٣/ ١٢٩٨).

(٤) «البحر المحيط» (٩/ ٥٦٠)، و«التبيان» (٢/ ١١٨٢)، و«روح المعاني» (٢٦/ ٤٢)، و«جامع البيان» (٢١/ ٥٤٨).

(٥) انظر: المصادر المتقدمة. وهي كذلك قراءة شاذة.

(٦) «جامع البيان» (٢١/ ٥٤٢ ـ ٥٤٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٥٠٣).

وجملة: ﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ تعليل للأمر بالفرار، وقيل: معنى ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ اخرجوا من مكة. وقال الحسين[١] بن الفضل: احترزوا من كل شيء غير الله، فمن فرّ إلى غيره لم يمتنع منه. وقيل[٢]: فرّوا من طاعة الشيطان إلى طاعة الرحمٰن، وقيل: فرّوا[٣] مِنْ الجهل إلى العلم.

ومعنى: ﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ﴾؛ أي: من جهته منذر بيّن الإنذار.

﴿وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ نهاهم عن الشرك بالله بعد أمرهم بالفرار إلى الله.

وجملة ﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: تعليل للنهي.

﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ في هذا تسلية لرسول الله ﷺ ببيان أن هذا شأن الأمم المتقدمة، وأن ما وقع من العرب من التكذيب لرسول الله، ووصفه بالسحر، والجنون قد كان ممن قبلهم لرسلهم، و﴿كَذَٰلِكَ﴾ في محل[٤] رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف؛ أي: الأمر كذلك.

ثم فسر ما أجمله بقوله: ﴿مَآ أَتَى﴾ إلخ، أو في محل نصب[٥] نعتاً لمصدر محذوف؛ أي: أنذركم إنذاراً كإنذار مَنْ تقدّمني من الرسل الذين أنذروا قومهم، والأوّل أولى.

﴿أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦ﴾ الاستفهام للتقريع[٦] والتوبيخ والتعجّيب من حالهم؛ أي: هل أوصى أوّلهم آخرَهم بالتكذيب، وتواطئوا عليه؟.

﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ إضراب عَنْ التواصي إلى ما جمعهم من الطغيان؛ أي: لم يتواصوا بذلك، بل جمعهم الطغيان وهو مجاوزة الحدّ في الكفر.

[الآية منسوخة بآية السيف]:

ثم أمر الله سبحانه رسوله ﷺ بالإعراض عنهم، فقال: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾؛ أي: أعرض عنهم، وكفّ عَنْ جدالهم، ودعائهم إلى الحق، فقد فعلت ما أمرك الله به وبلغت رسالته ﴿فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ عند الله بعد هذا؛ لأنّك قد أدّيت ما عليك، وهذا

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٥٠٤). (٢) قاله أبو بكر الورّاق.

(٣) قاله ذو النون المصري.

(٤) «التبيان» (٢/ ١١٨٢)، و«الفريد» (٤/ ٣٦٧)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٣٢٥).

(٥) انظر: المصادر المتقدمة.

(٦) «روح المعاني» (٢٦/ ٤٧)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٢٠٨).

منسوخ بآية السيف[١].

ثم لما أمره بالإعراض عنهم أمره بأن لا يترك التذكير، والموعظة بالتي هي أحسن فقال: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال الكلبي[٢]: المعنى: عظ بالقرآن مَنْ آمن من قومك فإن الذكرى تنفعهم.

وقال مقاتل[٣]: عظ كفار مكة فإن الذكرى تنفع من كان في علم الله أنه يؤمن.

وقيل: ذكرهم بالعقوبة وأيام الله، وخصّ المؤمنين[٤] بالتذكير؛ لأنهم المنتفعون به.

وجملة: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾: مستأنفة مقرّرة لما قبلها؛ لأن كون خلقهم؛ لمجرّد العبادة مما ينشط رسول الله ﷺ للتذكير، وينشطهم للإجابة. قيل: هذا خاصّ في مَنْ سبق في علم الله سبحانه أنه يعبده، فهو عموم[٥] مراد به الخصوص.

قال الواحدي[٦]: قال المفسِّرون: هذا خاصّ لأهل طاعته، يعني: من أُهِّل من الفريقين. قال: وهذا قول الكلبي، والضحاك، واختيار الفراء[٧]، وابن قتيبة[٨]. قال القشيري[٩]: والآية دخلها التخصيص بالقطع؛ لأن المجانين لم يؤمروا بالعبادة، ولا أرادها منهم، وقد قال: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩] ومن خُلق لجهنم لا يكون ممن خلق للعبادة. فالآية محمولة على المؤمنين منهم، ويدل عليه قراءة ابن مسعود[١٠]، وأبيّ بن كعب: «وما خلقت الجنّ والإنس من المؤمنين إلّا ليعبدون».

وقال مجاهد[١١]: إن المعنى: إلّا ليعرفوني. قال الثعلبي[١٢]: وهذا قول

---

(١) «الناسخ والمنسوخ» للنحاس (٣/ ٢٨)، و«الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه» (ص٤١٩).
(٢) «الوسيط» للواحدي (٤/ ١٨١)، و«معالم التنزيل» (٧/ ٣٨٠).
(٣) «الوسيط» (٤/ ١٨١)، و«معالم التنزيل» (٧/ ٣٨٠).
(٤) «جامع البيان» (٢١/ ٥٥٢ ـ ٥٥٣).
(٥) «روح المعاني» (٢٦/ ٤٨).
(٦) في «الوسيط» (٤/ ١٨١).
(٧) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٨٩).
(٨) في «تأويل مشكل القرآن» له (ص١١٧ ـ ١١٨).
(٩) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٥٠٦).
(١٠) «القراءات الشاذة» (ص١٤٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٥٠٦). وهي قراءة شاذة مخالفة للرسم.
(١١) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٨٠).
(١٢) في «تفسيره» (٩/ ١٢٠).

حسن؛ لأنّه لو لم يخلقهم لما عُرِفَ وجوده وتوحيده. وروي عن مجاهد[١] أنه قال: المعنى إلّا لآمرهم وأنهاهم، ويدل عليه قوله: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١] واختار هذا الزجاج[٢]. وقال زيد بن أسلم[٣]: هو ما جبلوا عليه من السعادة والشقاوة، فخلق السعداء من الجن والإنس للعبادة، وخلق الأشقياء للمعصية.

وقال الكلبي[٤]: المعنى إلّا ليوحدون، فأما المؤمن، فيوحده في الشدّة والرخاء، وأما الكافر، فيوحده في الشدّة دون النعمة، كما في قوله: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوۡجٞ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [لقمان: ٣٢] وقال جماعة[٥]: إلّا ليخضعوا لي ويتذللوا، ومعنى العبادة في اللغة[٦]: الذل والخضوع والانقياد، وكل مخلوق من الإنس والجنّ، خاضع لقضاء الله متذلل لمشيئته منقاد لما قدّره عليه؛ خلقهم على ما أراد، ورزقهم كما قضى، لا يملك أحد منهم لنفسه نفعاً ولا ضرًّا.

ووجه تقديم[٧] الجن على الإنس ها هنا تقدم وجودهم.

﴿مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ﴾ هذه الجملة فيها بيان استغنائه سبحانه عَنْ عباده، وأنه لا يريد منهم منفعة، كما تريده السادة من عبيدهم، بل هو الغنيّ المطلق، الرازق المعطي. وقيل[٨] المعنى: ما أريد منهم أن يرزقوا أحداً من خلقي، ولا أن يرزقوا أنفسهم، ولا يطعموا أحداً من خلقي، ولا يطعموا أنفسهم، وإنما أسند الإطعام إلى نفسه؛ لأن الخلق عيال الله، فمن أطعم عيال الله، فهو كمن أطعمه.

وهذا كما ورد في قوله: «يقول الله: عبدي استطعمتُك فلم تطعمني»[٩]؛

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٣٧٤).
(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٥٨).
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٥٥٣ ـ ٥٥٤)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٤٥) من طريق سفيان، به.
(٤) «معالم التنزيل» (٧/ ٣٨٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٥٠٧).
(٥) «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٥٠٧ ـ ٥٠٨).
(٦) «تهذيب اللغة» (٢/ ٢٢٩)، و«الصحاح» (٢/ ٥٠٢ ـ ٥٠٣).
(٧) «روح المعاني» (٢٦/ ٤٨).
(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٥٥٥) من طريق أبي الجوزاء، عن ابن عباس.
(٩) أخرجه مسلم في «صحيحه» رقم (٤٣/ ٢٥٦٩).

أي: لم تطعم عبادي، و«من» في قوله: ﴿مِّن رِّزْقٍ﴾ زائدة لتأكيد العموم.

ثم بيّن سبحانه أنه هو الرزاق لا غيره، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ﴾ لا رزاق سواه، ولا معطي غيره؛ فهو الذي يرزق مخلوقاته، ويقوم بما يصلحهم فلا يشتغلوا بغير ما خلقوا له من العبادة ﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ ارتفاع[1] المتين على أنه وصف لـ ﴿ٱلرَّزَّاقُ﴾، أو لـ ﴿ذُو﴾، أو خبر مبتدأ[2] محذوف، أو خبر بعد خبر.

قرأ الجمهور[3]: «الرزّاق» وقرأ ابن محيصن[4] «الرازق».

وقرأ الجمهور: «المتين» بالرفع[5]، وقرأ يحيى بن وثاب، والأعمش بالجرّ[6] صفة للقوّة، والتذكير لكون تأنيثها[7] غير حقيقي.

قال الفراء[8]: كان حقه المتينة فذكرها؛ لأنه ذهب بها إلى الشيء المبرم المحكم الفتل، يقال: حبل متين؛ أي: مُحْكَم الفتل، ومعنى المتين: الشديد القوّة هنا.

﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَـٰبِهِمْ﴾؛ أي: ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي، فإن لهم ذَنوباً؛ أي: نصيباً مِنْ العذاب مثل نصيب الكفار من الأمم السابقة.

قال ابن الأعرابي[9]: يقال: يوم ذَنوب؛ أي: طويل الشرّ لا ينقضي، وأصل الذنوب في اللغة[10]: الدلو العظيمة، ومن استعمال الذنوب في النصيب من الشيء قول الشاعر[11]:

لعَمرِكَ والمنايا طارقاتٌ ... لكلِّ بنِي أبٍ منها ذَنُوبُ[12]

---

(١) «الفريد» (٤/ ٣٦٧ ـ ٣٦٨)، و«التبيان» (٢/ ١١٨٢)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٣٢٦).
(٢) انظر: المصادر المتقدمة.
(٣) «البحر المحيط» (٩/ ٥٦٢)، و«زاد المسير» (٨/ ٤٣)، و«الدر المصون» (٦/ ١٩٤).
(٤) «القراءات الشاذة» (ص١٤٥).
(٥) «جامع البيان» (٢١/ ٥٥٦)، و«البحر المحيط» (٩/ ٥٦٢)، و«زاد المسير» (٨/ ٤٤).
(٦) «المحتسب» (٢/ ٢٨٩)، و«القراءات الشاذة» (ص١٤٥)، و«حاشية الجمل» (٤/ ٢١١). قراءة العشرة بالرفع أمّا القراءة بالجر فشاذة.
(٧) «روح المعاني» (٢٦/ ٥٦ ـ ٥٧).
(٨) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٩٠).
(٩) «تهذيب اللغة» (١٤/ ٤٣٩، ٤٤٠).
(١٠) «الصحاح» (١/ ١٨)، و«تهذيب اللغة» (٤/ ٤٣٩).
(١١) هو: أبو ذؤيب الهذلي.
(١٢) انظر: «ديوان الهذليين» (١/ ٩٢).

وما في الآية مأخوذ من مقاسمة السقاة الماء بالدلو الكبير، فهو تمثيل جعل الذنوب مكان الحظ والنصيب، قاله ابن قتيبة[(١)].

﴿فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾؛ أي: لا يطلبوا مني أن أعجل لهم العذاب، كما في قولهم: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [٤/ ٩٥] [الأعراف: ٧٠].

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾ قيل[(٢)]: هو يوم القيامة وقيل: يوم بدر، والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها.

وقد أخرج ابن جرير، وابن المنذر في قوله: ﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ﴾ عن ابن عباس[(٣)] قال: بقومه.

وأخرج الفريابي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه عنه[(٤)] في قوله: ﴿ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾ قال: الشديدة التي لا تُلْقِحُ شيئًا.

وأخرج ابن جرير[(٥)] عنه أيضاً قال: لا تلقح الشجر ولا تثير السحاب، وفي قوله: ﴿إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ﴾ قال: كالشيء الهالك.

وأخرج الفريابي، وابن المنذر عن عليّ بن أبي طالب[(٦)] قال: الريح العقيم: النّكْباء.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «الأسماء والصفات» عن ابن عباس[(٧)] في قوله: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ﴾ قال: بقوّة.

وأخرج أبو داود في «ناسخه»، وابن المنذر عنه[(٨)] في قوله: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ قال: أمره الله أن يتولى عنهم ليعذبهم، وعذر محمداً ﷺ، ثم قال: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، فنسختها.

---

(١) «تأويل مشكل القرآن» (ص١١٣)، و«تفسير غريب القرآن» (ص٤٢٣).
(٢) «النكت والعيون» (٥/ ٣٧٥).
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٥٣٤) بسند صحيح.
(٤) أخرجه ابن جرير (٢١/ ٥٣٧)، والحاكم (٢/ ٤٦٧) من طريق سفيان، به.
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٥٣٧، ٥٤٠) بسند ضعيف.
(٦) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٢٢).
(٧) أخرجه ابن جرير (٢١/ ٥٤٥)، وابن أبي حاتم ـ كما في «الإتقان» (٢/ ٤٤) ـ والبيهقي رقم (٢٥٢) بسند صحيح.
(٨) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٢٤).

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عنه[1] في قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ قال: ليقرّوا بالعبودية طوعاً أو كرهاً.

وأخرج ابن المنذر[2] عنه في الآية قال: على ما خلقتهم عليه من طاعتي ومعصيتي، وشقوتي وسعادتي.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «الأسماء والصفات» عنه[3] أيضاً في قوله: ﴿ٱلْمَتِينُ﴾ يقول: الشديد.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عنه[4] أيضاً في قوله: ﴿ذَنُوبًا﴾ قال: دلواً.

❁ ❁ ❁

---

(١) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٢٤).
أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٥٥٤) بسند صحيح.

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٢٤).

(٣) أخرجه ابن جرير (٢١/ ٥٥٧)، والبيهقي (٦/ ١١٤، ٢٥١) بسند صحيح.

(٤) أخرجه ابن جرير (٢١/ ٥٥٨)، وابن أبي حاتم ـ كما في «الإتقان» (٢/ ٤٤) ـ بسند صحيح.

سُورَةُ الطُّورِ

هي تسع وأربعون آية، وقيل: ثمان وأربعون. وهي مكية. قال القرطبي[١]: في قول الجميع.

وأخرج ابن الضريس، والنحاس، وابن مردويه، والبيهقي عن ابن عباس[٢] قال: نزلت الطور بمكة.

وأخرج ابن مردويه[٣] عن ابن الزبير مثله.

وأخرج البخاري، ومسلم، وغيرهما عن جُبَير بن مُطْعِم[٤] قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقرأ في المغرب بالطور.

وأخرج البخاري[٥]، وغيره عن أمّ سلمة: «أنَّها سمعت رسول الله ﷺ يصلي إلى جنب البيت بـ﴿وَالطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ﴾».

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ۝٤ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ
۝٥ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ۝٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ۝٨ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا
۝٩ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ۝١٠ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ۝١٢ يَوْمَ
يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ۝١٣ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝١٤ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ
لَا تُبْصِرُونَ ۝١٥ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١٦﴾.

---

(١) في «تفسيره» (١٩/ ٥١١).

(٢) أخرجه ابن الضريس رقم (١٧، ١٨)، والبيهقي (٧/ ١٤٢ ـ ١٤٣).

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٢٦).

(٤) أخرجه البخاري رقم (٧٦٥، ٤٨٥٤)، ومسلم رقم (٤٦٣)، ومالك (١/ ٧٨)، وأحمد رقم (١٦٧٨٣).

(٥) أخرجه البخاري رقم (٤٦٤، ١٦١٩، ١٦٢٦، ١٦٣٣، ٤٨٥٣)، وأبو داود رقم (١٨٨٤).

[المتقون وجزاؤهم يوم القيامة]:

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾﴾.

قوله: ﴿وَٱلطُّورِ﴾ قال الجوهري(١): هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى.

قال مجاهد(٢)، والسديّ(٣): الطور ـ بالسريانية ـ الجبل، والمراد به: طور سيناء.

قال مقاتل بن حيان(٤): هما طوران، يقال لأحدهما: طور سيناء، وللآخر: طور زيتا؛ لأنهما ينبتان(٥) التين والزيتون. وقيل: هو جبل مَدْين، وقيل: إن الطور كل جبل ينبت، وما لا ينبت فليس بطور، أقسم الله سبحانه بهذا الجبل تشريفاً له وتكريماً.

﴿وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ﴾ المسطور: المكتوب، والمراد بالكتاب: القرآن.

وقيل: هو اللوح المحفوظ، وقيل: جميع الكتب المنزلة، وقيل: ألواح موسى، وقيل: ما تكتبه الحفظة، قاله الفراء(٦) وغيره، ومثله: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء: ١٣] وقوله: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير: ١٠].

﴿فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾ متعلق بمسطور؛ أي: مكتوب في رقّ. قرأ الجمهور(٧): «في رق» بفتح الراء، وقرأ أبو السَّمّال(٨) بكسرها.

قال الجوهري(٩): الرَّقُّ بالفتح ما يُكْتَب فيه، وهو جلد رقيق، ومنه قوله تعالى: ﴿فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾ قال المبرِّد(١٠): الرَّقُّ ما رقّ من الجلد ليكتب فيه،

---

(١) لم نقف عليه في «الصحاح» (٢/ ٧٢٦ ـ ٧٢٧).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٥٦٠) بسند صحيح.

(٣) «النكت والعيون» (٥/ ٣٧٦).

(٤) «النكت والعيون» (٥/ ٣٧٦).

(٥) «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٥١٢).

(٦) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٩١).

(٧) «البحر المحيط» (٩/ ٥٦٦)، و«الدر المصون» (٦/ ١٩٥).

(٨) «روح المعاني» (٢٦/ ١٨)، و«إعراب القراءات الشواذ» (٢/ ٥١٥). والقراءة بكسر الراء شاذة.

(٩) في «الصحاح» (٤/ ١٤٨٣).

(١٠) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٥١٣).

والمنشور: المبسوط. قال [أبو عبيدة][(١)]: وجمعه رقوق، ومن هذا قول المُتلمِّس[(٢)]:

فكأنَّما هِي مِنْ تقادُم عهدِها رَقَّ أتيحَ كتابُها مسطورُ

وأما الرِّقّ بالكسر، فهو المملوك[(٣)]، يقال: عبد رقّ، وعبد مرقوق.

﴿وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ﴾ في السماء السابعة. وقيل: في سماء الدنيا، وقيل: هو الكعبة، فعلى القولين الأوّلين يكون وصفه بالعمارة باعتبار مَنْ يدخل إليه من الملائكة، ويعبد الله فيه.

وعلى القول الثالث، يكون وصفه بالعمارة حقيقة، أو مجازاً باعتبار كثرة من يتعبّد فيه من بني آدم.

﴿وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ﴾ يعني: السماء، سمّاها سقفاً لكونها كالسقف للأرض، ومنه قوله: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ [الأنبياء: ٣٢] وقيل: هو العرش.

﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾؛ أي: المُوقَد، من السجر: وهو إيقاد النار في التنور، ومنه قوله: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦] وقد روي أن البحار تُسجّر[(٤)] يوم القيامة فتكون ناراً، وقيل: المسجور: المملوء، قيل: إنه من أسماء الأضداد، يقال: بحر مسجور؛ أي: مملوء، وبحر مسجور؛ أي: فارغ، وقيل: المسجور الممسوك، ومنه ساجور الكلب لأنه يمسكه.

وقال أبو العالية[(٥)]: المسجور: الذي ذهب ماؤه، وقيل: المسجور: المفجور، ومنه: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ [الإنفطار: ٣] وقال الربيع[(٦)] بن أنس: هو الذي يختلط فيه العَذْبُ بالمالح. والأوّل أولى، وبه قال مجاهد[(٧)]، والضحاك، ومحمد بن كعب، والأخفش[(٨)]، وغيرهم.

---

(١) في المخطوط (ب): (أبو عبيد).
(٢) «تفسير القرطبي» (١٩/ ٥١٣).
(٣) «النكت والعيون» (٥/ ٣٧٧).
(٤) «الوسيط» (٤/ ١٨٥)، و«زاد المسير» (٨/ ٤٨).
(٥) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٨٦).
(٦) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٨٦).
(٧) «جامع البيان» (٢١/ ٥٦٨)، و«معالم التنزيل» (٧/ ٣٨٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٥١٦).
(٨) «مجمع البيان» (٢٧/ ٢٧).

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ هذا جواب القسم؛ أي: كائن لا محالة لمن يستحقه ﴿مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ﴾ يدفعه ويرده عن أهل النار، وهذه الجملة خبر ثان لـ﴿إِنَّ﴾، أو صفة لـ «واقع»، و«من» مزيدة للتأكيد.

ووجه تخصيص هذه الأمور بالإقسام بها أَنَّها عظيمة[١] دالة على كمال القدرة الربانية.

﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا﴾ العامل في الظرف ﴿لَوَاقِعٌ﴾؛ أي: إنه لواقع في هذا اليوم، ويجوز أن يكون العامل فيه ﴿دَافِعٍ﴾. والمور: الاضطرابُ والحركة.

قال أهل اللغة[٢]: مار الشيء يمور مَوْراً: إذا تحرّك وجاءَ وذهبَ، قاله الأخفش[٣]، وأبو عبيدة[٤]: وأنشدا بيت الأعشى[٥]:

كأنَّ مَشْيتَهَا مِنْ بيتِ جارتِها ... [مَشْيُ][٦] السحابةِ لا رَيْثٌ ولا عَجلُ

وليس في البيت ما يدلّ على ما قالاه إلّا إذا كانت هذه المشية المذكورة في البيت يطلق المور عليها لغة. وقال الضحاك[٧]: يَموجُ بعضُها في بعض، وقال مجاهد[٨]: تدور دوراً، وقيل: تجري جَرْياً، ومنه قول الشاعر[٩]:

وما زالتِ القتلَى تمورُ دماؤُها ... بِدِجْلَةَ حتى ماءُ دجلةَ أَشْكَلُ

ويطلق المور على الموج، ومنه: ناقةٌ مَوَّارة اليد؛ أي: سريعة تموج في مشيها موجاً، ومعنى الآية: أنّ العذاب يقع بالعصاة، ولا يدفعه عنهم دافع في هذا اليوم الذي تكون فيه السماء هكذا، وهو يوم القيامة. وقيل: إنّ السماء ها هنا الفَلَك، وموره: اضطراب نظمه واختلاف سيره.

﴿وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا﴾؛ أي: تزول عن أماكنها، وتسير عن مواضعها كسير السحاب، وتكون هباءً منبثاً.

---

(١) «روح المعاني» (٢٦/ ٦٨).
(٢) «تهذيب اللغة» (١٥/ ٢٩٧)، و«الصحاح» (٢/ ٨٢٠).
(٣) ذكره الجوهري في «الصحاح» (٢/ ٨٢٠).
(٤) في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٣١).
(٥) «ديوان الأعشى» (ص١٠٥).
(٦) كذا في المخطوط والذي في الديوان: مرَّ والذي في «الصحاح»: مَوْرُ.
(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٥٧٣) بسند حسن.
(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٥٧٢) بسند صحيح.
(٩) قائله جرير. «ديوان جرير» (ص٣٦٧).

قيل: ووجه تأكيد الفعلين بالمصدر الدلالة على غرابتهما، وخروجهما عن المعهود، وقد تقدّم تفسير مثل هذا في سورة الكهف.

﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ ويل كلمة تُقال للهالك، واسمُ وادٍ في جهنم، وإنما دخلت الفاء؛ لأن في الكلام معنى المجازاة؛ أي: إذا وقع ما ذكر من مور السماء، وسير الجبال فويل لهم.

ثم وصف المكذبين بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ﴾؛ أي: في تردّد في الباطل، واندفاع فيه يلهون لا يذكرون حساباً، ولا يخافون عقاباً.

والمعنى: أنهم يخوضون[١] في أمر محمد ﷺ بالتكذيب والاستهزاء، وقيل: يخوضون في أسباب الدنيا، ويعرضون عن الآخرة.

﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ الدعّ[٢]: الدفعُ بعنف وجفوة يقال: دَعَعْتُه أدُعُّه دعًّا؛ أي: دفعتُه، والمعنى: أنهم يُدفعون إلى النار دَفْعاً عنيفاً شديداً.

قال مقاتل[٣]: تُغلّ أيديهم إلى أعناقهم، وتجمع نواصيهم إلى أقدامهم، ثم يُدفعون إلى جهنم دفعاً على وجوههم.

قرأ الجمهور[٤] بفتح الدال وتشديد العين.

وقرأ عليّ والسلمي، وأبو رجاء، وزيد بن عليّ، وابن السميفع بسكون الدال[٥] وتخفيف العين مفتوحة؛ أي: يُدْعون إلى النّار من الدعاء. و﴿يَوْمَ﴾[٦] إما بدل من يوم تمور، أو متعلّق بالقول المقدر في الجملة التي بعد هذه، وهي ﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾؛ أي: يُقال لهم ذلك يوم يُدَعّون إلى نار جهنم دعًّا؛ أي: هذه النار التي تشاهدونها، هي النار التي كنتم تكذبون بها في الدنيا، والقائل لهم بهذه المقالة هم خزنة النار.

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٥٢٠).
(٢) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٣١٤)، و«الصحاح» (٣/ ١٢٠٧).
(٣) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٨٥) عن مقاتل، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٨٧) بدون نسبة.
(٤) «النشر» (٢/ ٩٢)، و«البدور الزاهرة» (ص٣٠٣). بل قراءة العشرة بفتح الدال وتشديد العين وهو المتواتر، أمّا سكون الدال وتخفيف العين مفتوحة فقراءة شاذة.
(٥) «روح المعاني» (٢٦/ ٧١)، و«حاشية الجمل» (٤/ ٢١٣).
(٦) «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٣٢٧)، و«التبيان» (٢/ ١١٨٣).

ثم وبّخهم سبحانه، أو أمر ملائكته بتوبيخهم، فقال: ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ﴾ الذي ترون وتشاهدون، كما كنتم تقولون لرسل الله المرسلة، ولكتبه المنزلة، وقدّم الخبر هنا على المبتدأ لأنّه الذي وقع الاستفهام عنه، وتوجه التوبيخ إليه.

﴿أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾؛ أي: أم أنتم عُمْي[١] عن هذا، كما كنتم عمياً عن الحقّ في الدنيا.

﴿ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ﴾؛ أي: إذا لم يمكنكم إنكارها، وتحققتم أن ذلك ليس بسحر، ولم يكن في أبصاركم خلل، فالآن ادخلوها وقاسوا شدّتها، فاصبروا على العذاب أو لا تصبروا، وافعلوا ما شئتم، فالأمران ﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ﴾ في عدم النفع.

وقيل: أيضاً تقول لهم الملائكة هذا القول، ﴿وَسَوَآءٌ﴾ [يس: ١٠] خبر مبتدأ[٢] محذوف؛ أي: الأمران سواء، ويجوز أن يكون مبتدأ والخبر محذوف؛ أي: سواء عليكم الصبر وعدمه.

وجملة: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ تعليل للاستواء، فإنّ الجزاء بالعمل إذا كان واقعاً حتماً كان الصبر، وعدمه سواء.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ﴾ لما فرغ سبحانه من ذكر حال المجرمين ذكر حال المتقين، وهذه الجملة يجوز أن تكون مستأنفة، [٤/٩٦] ويجوز أن تكون من جملة ما يقال للكفّار زيادةً في غمِّهم وحسرتهم، والتنوين ﴿فِي جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ﴾ للتفخيم.

﴿فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ يقال: رجل فاكِهٌ؛ أي: ذو فاكهة، كما قيل: لابنٍ وتامرٍ.

والمعنى: أنهم ذوو فاكهة من فواكه الجنة، وقيل: ذوو نعمة وتلذّذ بما صاروا فيه مما أعطاهم الله ﷻ مما لا عينَ رأت، ولا أُذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وقد تقدّم بيان معنى هذا.

---

(١) «روح المعاني» (٢٦/ ٧١).

(٢) «الفريد» (٤/ ٣٧٠).

[مجرد الوقاية من عذاب الجحيم فضل ونعمة فكيف ومعه جنات ونعيم]:

قرأ الجمهور[١]: «فاكهين» بالألف والنصب على الحال. وقرأ خالد[٢]: «فاكهون» بالرفع على أنَّ خبر بعد خبر. وقرأ ابنُ عباس: «فَكِهين» بغير ألف، والفَكِه: طيبُ النفس، كما تقدم في الدخان، ويقال: للأشِر والبِطر، ولا يناسب التفسير به هنا.

﴿وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ معطوف على آتاهم، أو على خبر إنّ، أو الجملة في محل نصب[٣] على الحال بإضمار قد.

﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا﴾؛ أي: يقال لهم ذلك، والهنيء: ما لا تنغيص فيه ولا نَكَد ولا كدَر.

قال الزجاج[٤]: أي: ليهنئكم ما صرتم إليه هناءً، والمعنى: كلوا طعاماً هنيئًا، واشربوا شراباً هنيئًا، وقد تقدم تفسير هنيئًا في سورة النساء، وقيل: معنى هنيئاً: أنكم لا تموتون.

﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾ انتصابه[٥] على الحال من فاعل كلوا، أو من مفعول آتاهم، أو من مفعول وقاهم، أو من الضمير المستكنّ في الظرف، أو من الضمير في فاكهين.

قرأ الجمهور[٦]: «على سُرُر» بضم الراء الأولى.

وقرأ أبو السَّمَّال بفتحها[٧]، والسُّرُر جمع سرير. والمصفوفة المتصل بعضها ببعض حتى تصير صفّاً.

﴿وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾؛ أي: قرناهم بها. قال يونس[٨] بن حبيب: تقول

---

(١) «النشر» (٢/ ٣٥٤)، و«البحر المحيط» (٩/ ٥٧٠)، و«المبسوط» (ص٣٧١).

(٢) «حاشية الشهاب» (٨/ ١٠٣)، و«روح المعاني» (٢٦/ ٧٢). وقرأ مع ابن عباس أَبو جعفر بغَير ألف وهي مع قراءة الجمهور متواترة، أمَّا قراءة الرفع فشاذة. «النشر» (٢/ ٣٥٤).

(٣) «الفريد» (٤/ ٣٧٠)، و«التبيان» (٢/ ١١٨٤).

(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٦٣).

(٥) «التبيان» (٢/ ١١٨٤)، و«الفريد» (٤/ ٣٧٠).

(٦) «النشر» (١/ ٤٣٧، ٤٤٢، ٤٨٥).

(٧) «البحر المحيط» (٩/ ٥٧٠)، و«روح المعاني» (٢٦/ ٧٥). وفتح «سُرَر» قراءة شاذة.

(٨) «التبيان» (٢/ ١١٨٣)، و«الفريد» (٤/ ٣٧٠).

العرب: زوّجته امرأة، وتزوّجت بامرأة، وليس مِنْ كلام العرب زوّجته بامرأة. قال: وقول الله تعالى: ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾؛ أي: قرناهم بهنّ.

وقال الفرّاء[١]: زوّجته بامرأة لغة أَزْد شنوءة، وقد تقدم تفسير الحور العين في سورة الدخان.

قرأ الجمهور[٢]: «بحورٍ عين» من غير إضافة. وقرأ عكرمة بإضافة الحور[٣] إلى العين.

وقد أخرج ابنُ أبي حاتم، والحاكم وصححه عن ابن عباس[٤] ﴿وَالطُّورِ﴾ قال: جبل. وأخرج ابن مردويه عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف، عن أبيه، عن جدّه قال: قال رسول الله ﷺ: «الطور جبل من جبال الجنة» وكثير ضعيف جدًّا.

وأخرج ابن أبي حاتم[٥] عن ابن عباس ﴿فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾ قال: في الكتاب.

[البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه ثانية]:

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «الشعب» عن أنس[٦] قال: قال رسول الله ﷺ: «البيتُ المعمور في السماء السابعة يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملَكٍ لا يعودون إليه حتى تقوم الساعة».

وفي «الصحيحين»[٧] وغيرهما: أن رسول الله ﷺ قال: «في حديث الإسراء بعد مجاوزته إلى السماء السابعة، ثم رُفع إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه».

وأخرج عبد الرزّاق، وابن جرير، وابن المنذر، وابن الأنباري في «المصاحف» عن أبي الطفيل[٨] أن ابن الكوّاء سأل عليّاً عن البيت المعمور فقال: ذلك الضُّراح

---

(١) «تهذيب اللغة» (١١/ ١٥٢)، و«مفردات ألفاظ القرآن» (ص٣٨٤ ـ ٣٨٥).
(٢) «البحر المحيط» (٩/ ٥٧٠)، و«الدر المصون» (٦/ ١٩٨).
(٣) «القراءات الشاذة» (ص١٤٦)، و«روح المعاني» (٢١/ ٧٥). القراءة بالإضافة شاذة.
(٤) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٦٧، ٤٦٨).
(٥) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣١٤).
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٥٦٥)، والحاكم (٢/ ٤٦٨)، وأحمد رقم (١٢٥٥٨)، والبيهقي رقم (٣٩٩٣) بسند صحيح.
(٧) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣/ ١٥٣)، والبخاري رقم (٣٢٠٧)، ومسلم رقم (١٦٤/ ٢٦٤).
(٨) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» رقم (٨٨٧٥)، وابن جرير (٢١/ ٥٦٣، ٥٦٤)، والضياء =

بيت فوق سبع سمٰوات، تحت العرش يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، ثم لا يعودون إليه أبداً إلى يوم القيامة.

وأخرج ابن جرير[(١)] نحوه عن ابن عباس.

وأخرج ابن مردويه[(٢)] عن عبد الله بن عمر ورفعه، قال: «إن البيت المعمور لبحيال الكعبة لو سقط منه شيء لسقط عليها، يصلي فيه كل يوم سبعون ألفاً، ثم لا يعودون إليه».

وأخرج الطبراني، وابن مردويه عن ابن عباس[(٣)] نحوه، وضعف إسناده[(٤)] السيوطي.

وأخرج ابن راهويه، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ في «العظمة»، والحاكم وصححه، والبيهقي في «الشعب» عن عليّ[(٥)] بن أبي طالب في قوله: ﴿وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ﴾ قال: السماء.

وأخرج عبد الرّزّاق، وسعيد بن منصور، وابن جرير، وابن أبي حاتم عن عليّ بن أبي طالب[(٦)] في قوله: ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾ قال: بحر في السماء تحت العرش.

وأخرج ابن جرير[(٧)] عن ابن عمرو مثله.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[(٨)] قال: المسجور: المحبوس.

= المقدسي رقم (٥٥٧) بسند صحيح.

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٥٦٤) بسند ضعيف.

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٢٦).

(٣) أخرجه الطبراني رقم (١٢١٨٥)، وابن مردويه ـ كما في «الفتح» (٦/ ٣٠٨) ـ، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١١٤): فيه إسحاق بن بشر أبو حذيفة، وهو متروك.

(٤) في «الدر المنثور» (٧/ ٦٢٧).

(٥) أخرجه ابن راهويه ـ كما في «المطالب العالية» رقم (٤١٢٢) ـ، وابن جرير (٢١/ ٥٦٦)، وأبو الشيخ رقم (٥٥٠)، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي (٢/ ٤٦٨)، والبيهقي رقم (٣٩٩١) بسند حسن.

(٦) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٢٩).
أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٥٧٠) من طريق إسماعيل بن أبي خالد، به.

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٥٧٠) بسند ضعيف.

(٨) أخرجه ابن جرير (٢١/ ٥٦٩)، وابن أبي حاتم ـ كما في «الإتقان» (٢/ ٤٥) ـ بسند صحيح.

وأخرج ابن المنذر(١) عنه قال: المسجور: المرسل.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه(٢) أيضاً ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا﴾ قال: تُحرَّك، وفي قوله: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ﴾ قال: يُدفعون.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عنه(٣) أيضاً: يوم يدعون ﴿إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ قال: يدفع في أعناقهم حتى يردوا النار.

وأخرج ابن أبي حاتم(٤) عنه أيضاً في قوله: ﴿كُلُوا وَٱشْرَبُوا هَنِيٓـًٔا﴾؛ أي: لا تموتون فيها، فعندها قالوا: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [الصافات: ٥٨، ٥٩].

[ومن التكريم ذريتهم تجتمع إليهم في هذا النعيم]:

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

لما فرغ سبحانه من ذكر أهل الجنة على العموم ذكر حال طائفة منهم على

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٢٩).
(٢) أخرجه ابن جرير (٢١/ ٥٧٢، ٥٧٥)، وابن أبي حاتم ـ كما في «الإتقان» (٢/ ٤٥) ـ بسند صحيح.
(٣) أخرجه ابن جرير (٢١/ ٥٧٥)، وابن أبي حاتم ـ كما في «الإتقان» (٢/ ٤٥)، وفي «تغليق التعليق» (٣/ ٥٠٩) ـ بسند صحيح.
(٤) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣١٥).

الخصوص، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾ والموصول[١] مبتدأ، وخبره ﴿أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ﴾ ويجوز أن يكون منصوباً بفعل مقدّر؛ أي: وأكرمنا الذين آمنوا، ويكون ألحقنا مفسراً لهذا الفعل المقدّر.

قرأ الجمهور[٢]: «واتّبعتُهم» بإسناد الفعل إلى الذرّية. وقرأ أبو عمرو[٣]: «أَتْبعنَاهم» بإسناد الفعل إلى المتكلم، كقوله ﴿أَلۡحَقۡنَا﴾. وقرأ الجمهور[٤]: «ذُرّيتهم» بالإفراد. وقرأ ابن عامر، وأبو عمرو، ويعقوب بالجمع[٥]، إلّا أن أبا عمرو قرأ بالنصب[٦] على المفعولية لكونه قرأ: «وأتبعناهم»، ورويت قراءة الجمع هذه عن نافع، والمشهور عنه كقراءة الجمهور.

وقرأ الجمهور[٧]: «ألحقنا بهم ذرّيتهم» بالإفراد. وقرأ نافع، وابن عامر، وأبو عمرو، ويعقوب على الجمع[٨].

وجملة: ﴿وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم﴾ معطوف على آمنوا أو معترضة، وبإيمان متعلق بالاتباع، ومعنى هذه الآية: أن الله سبحانه يرفع ذرّية المؤمن إليه، وإنْ كانوا دونه في العمل؛ لتقرّ عينُه، وتطيب نفسُه بشرط أن يكونوا مؤمنين، فيختصّ ذلك بمن يتصف بالإيمان من الذرّية وهم البالغون دون الصغار، فإنّهم وإن كانوا لاحقين بآبائهم، فبدليل آخر غير هذه الآية.

وقيل: إن الذرّية تطلق على الكبار[٩] والصغار، كما هو المعنى اللغوي[١٠]، فيلحق بالآباء المؤمنين صغار ذرّيتهم وكبارهم، ويكون قوله: ﴿بِإِيمَٰنٍ﴾ في محل

---

(١) «الفريد» (٤/ ٣٧١)، و«التبيان» (٢/ ١١٨٤).
(٢) «النشر» (٢/ ٣٧٧)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٩٠)، و«زاد المسير» (٨/ ٥٠)، و«جامع البيان» (٢١/ ٥٨٣ ـ ٥٨٤).
(٣) «التيسير» (ص٢٠٣)، و«النشر» (٢/ ٣٧٧)، و«جامع البيان» (٢١/ ٥٨٤).
(٤) «التيسير» (ص٢٠٣)، و«البحر المحيط» (٩/ ٥٧٠)، و«زاد المسير» (٨/ ٥٠)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٩١).
(٥) انظر: المصادر المتقدمة.
(٦) «روح المعاني» (٢٦/ ٧٨)، و«النشر» (٢/ ٣٧٧)، و«التيسير» (ص٢٠٣). القراءة عن نافع بالجمع شاذة، والمتواترة عنه كقراءة الجمهور بالإفراد.
(٧) «التيسير» (ص٢٠٣)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٩١).
(٨) انظر: المصادر المتقدمة.
(٩) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٣٢٧).
(١٠) «تهذيب اللغة» (١٤/ ٤٠٤).

نصب[١] على الحال؛ أي: بإيمان من الآباء. وقيل: إن الضمير في ﴿بِهِمْ﴾ راجع إلى الذرّية المذكورة أوّلاً؛ أي: ألحقنا بالذرّية المتبعة لآبائهم بإيمان ذرّيتهم.

وقيل: المراد بـ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ المهاجرون والأنصار فقط، وظاهر الآية العموم، ولا يوجب تخصيصها بالمهاجرين والأنصار كونهم السبب في نزولها إن صحّ ذلك، فالاعتبار[٢] بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

﴿وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ قرأ الجمهور بفتح اللام من: «أَلَتْنا» وقرأ ابن كثير بكسرها؛ أي: وما نقصنا الآباء بإلحاق ذرّيتهم بهم مِنْ ثواب أعمالهم شيئًا، فضمير المفعول عائد إلى ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.

وقيل المعنى: وما نقصنا الذرية من أعمالهم شيئًا لقصر أعمارهم، والأول أولى، وقد قدمنا تحقيق معنى لاته، وألاته في سورة الحجرات. وقرأ ابن هرمز[٣] «آلتناهم» بالمدّ، وهو لغة.

قال في «الصحاح»[٤]: يقال: ما آلَته مِنْ عمله شيئًا؛ أي: ما نقصه.

﴿كُلُّ امْرِيٍٕ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ رهين بمعنى: مَرْهون، والظاهر أنّه عامّ، وأن كل إنسان مرتهن بعمله، فإنْ قام به على الوجه الذي أمره الله به فكه، وإلّا أهلكه. وقيل: هو بمعنى: راهن، والمعنى: كلّ امرئ بما كسب دائم ثابت. وقيل: هذا خاصّ بالكفار لقوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝٣٨ إِلَّآ أَصْحَٰبَ الْيَمِينِ﴾ [المدثر: ٣٨، ٣٩].

[من ألوان النعيم]:

ثم ذكر سبحانه ما أمدّهم به مِنْ الخير، فقال: ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾؛ أي: زدناهم على ما كان لهم من النعيم بفاكهة متنوّعة، ولحم من أنواع اللحمان مما تشتهيه أنفسهم، ويستطيبونه.

﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا﴾؛ أي: يتعاطَون ويتناولون كأساً، والكأس: إناءُ الخمر، ويُطلق على كلِّ إناء مملوء من خمر، أو غيره، فإذا فرغ لم يسم كأساً.

﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ قال الزجاج[٥]: لا يجري بينهم ما يلغي، ولا ما فيه

---

(١) «الفريد» (٤/ ٣٧٢)، و«روح المعاني» (٢٦/ ٧٧).
(٢) «روح المعاني» (٢٦/ ٧٧ ـ ٧٨)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٢١٥).
(٣) «المحتسب» (٢/ ٢٩٠)، و«القراءات الشاذة» (ص١٤٦)، و«روح المعاني» (٢٦/ ٧٨).
(٤) في «الصحاح» (١/ ٢٤١).
(٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٦٣).

إثم، كما يجري بين من يشرب الخمر في الدنيا، والتأثيم تفعيل من الإثم، والضمير في ﴿فِيهَا﴾ راجع إلى الكأس، وقيل: لا لغو فيها؛ أي: في الجنة، ولا يجري فيها ما فيه إثم، والأوّل أولى.

قال ابن قتيبة[١]: لا تذهب بعقولهم فيلغوا، كما يكون من خمر الدنيا، ولا يكون منهم ما يؤثمهم.

وقال الضحاك[٢]: لا تأثيم؛ أي: لا كذب. قرأ الجمهور[٣]: «لا لغوٌ فيها ولا تأثيم» بالرفع، والتنوين فيهما. وقرأ ابن كثير، وابن محيصن بفتحهما من غير تنوين[٤].

قال قتادة[٥]: اللغو: الباطل. وقال مقاتل بن حيّان[٦]: لا فضول فيها. وقال سعيد بن المسيب: لا رفثَ فيها. وقال ابن زيد[٧]: لا سِبابَ ولا تخاصم فيها.

والجملة في محل نصب[٨] على الحال صفة لكأساً.

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ﴾؛ أي: يطوف عليهم بالكأس والفواكه والطعام وغير ذلك مماليك لهم، وقيل: أولادهم ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ في الحسن والبهاء ﴿لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾؛ أي: مستور مَصْون في الصَّدف لم تمسه الأيدي.

قال الكسائي[٩]: كننت الشيء: سترتُه وصنته من الشمس، وأكننته[١٠]: جعلته في الكِنّ، ومنه كننت الجارية، وأكننتها فهي مكنونة [٤/ ٩٧].

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾؛ أي: يسأل بعضهم بعضاً في الجنة عن حاله، وما كان فيه من تعب الدنيا وخوف العاقبة، فيحمدون الله الذي أذهب عنهم الحزن والخوف والهمّ، وما كانوا فيه من الكد، والنكد بطلب المعاش، وتحصيل ما لا بدّ منه من الرّزق.

وقيل: يقول بعضهم لبعض: بم صرتم في هذه المنزلة الرفيعة؟ وقيل: إن

---

(١) في «تفسير غريب القرآن» (ص٤٢٥). (٢) «النكت والعيون» (٥/ ٣٨٢).

(٣) «جامع البيان» (٢١/ ٥٨٨ ـ ٥٨٩)، و«روح المعاني» (٢٦/ ٨١)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٣٠٥).

(٤) انظر: المصادر المتقدمة. وهي قراءة متواترة وكذلك قرأ مِنْ غير تنوين أبو عمرو ويعقوب.

(٥) أخرجه ابن جرير (٢١/ ٥٨٨)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٤٨) بسند صحيح.

(٦) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٩٠). (٧) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٩٠).

(٨) «الفريد» (٤/ ٣٧٢). (٩) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٥٢٩).

(١٠) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٧٢٦ ـ ٧٢٧)، و«تهذيب اللغة» (٩/ ٤٥٢).

التساؤل بينهم عند البعث من القبور. والأوّل أولى، لدلالة السياق على أنهم قد صاروا في الجنة.

وجملة ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ﴾ مستأنفة جواب سؤال مقدّر، كأنه قيل: ماذا قال بعضهم لبعض عند التساؤل؟ فقيل: قالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ﴾؛ أي: قبل الآخرة، وذلك في الدنيا في أهلنا خائفين وجلين من عذاب الله، أو كنا خائفين من عصيان الله ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا﴾ بالمغفرة والرحمة، أو بالتوفيق لطاعته ﴿وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ يعني: عذاب جهنّم، والسَّموم من أسماء جهنم، كذا قال الحسن[1]، ومقاتل.

وقال الكلبي[2]، وأبو عبيدة[3]: هو عذاب النار. وقال الزجاج: سموم جهنم: ما يوجد من حرّها. قال أبو عبيدة[3]: السموم بالنهار، وقد يكون بالليل، والحرور بالليل، وقد يكون بالنهار، وقد يستعمل السموم في لفح البرد، وفي لفح الشمس، والحرّ أكثر، ومنه قول الشاعر:

اليومُ يومٌ باردٌ سَمُومَهْ مَنْ جَزِعَ اليومَ فلَا ألومُهْ[4]

وقيل: سميت الريح سموماً؛ لأنها تدخل المسام.

﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ﴾؛ أي: نوحد الله ونعبده، أو نسأله أن يمنّ علينا بالمغفرة والرّحمة ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ قرأ الجمهور[5] بكسر الهمزة على الاستئناف، وقرأ نافع، والكسائي بفتحها[6]؛ أي: لأنّه، والبرّ: كثيرُ الإحسان.

وقيل: اللطيف، والرحيم كثير الرحمة لعباده.

﴿فَذَكِّرۡ فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ﴾؛ أي: اثبت على ما أنت عليه من الوعظ والتذكير، والباء متعلقة بمحذوف هو حال؛ أي: ما أنت ـ متلبساً بنعمة ربك التي أنعم بها عليك من رجاحة العقل والنبوّة ـ بكاهن، ولا مجنون، وقيل:

---

(١) «الوسيط» (٤/ ١٨٨)، و«زاد المسير» (٨/ ٥٣)، و«معالم التنزيل» (٧/ ٣٩١).

(٢) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٩١).

(٣) ذكره الجوهري في «الصحاح» (٥/ ١٩٥٤).

(٤) «النكت والعيون» (٥/ ٣٨٣).

(٥) «التيسير» (ص٢٠٣)، و«النشر» (٢/ ٣٧٨)، و«جامع البيان» (٢١/ ٥٩١)، و«التبيان» (٢/ ١١٨٤).

(٦) انظر: المصادر المتقدمة. وهي قراءة متواترة وكذلك قرأ بفتح الهمزة أبو جعفر.

متعلقة بمحذوف يدل عليه الكلام؛ أي: ما أنت في حال إذكارك بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون، وقيل: الباء سببية متعلقة بمضمون الجملة المنفية.

والمعنى: انتفى عنك الكهانة والجنون بسبب نعمة الله عليك، كما تقول: ما أنا بمعسر بحمد الله. وقيل: الباء للقسَم متوسطة بين اسم «ما» وخبرها.

والتقدير: ما أنت ونعمةِ الله بكاهنٍ ولا مجنون، والكاهن هو الذي يوهم أنّه يعلم الغيب مِنْ دون وحي؛ أي: ليس ما تقوله كهانة، فإنك إنما تنطق بالوحي الذي أمرك الله بإبلاغه.

والمقصود من الآية ردّ ما كان يقوله المشركون: إنه كاهن، أو مجنون.

﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ أم هي المنقطعة[1]، وقد تقدّم الخلاف هل هيّ مقدّرة ببل والهمزة، أو ببل وحدها؟ قال الخليل[2]: هي هنا للاستفهام. قال سيبويه[3]: خوطب العباد بما جرى في كلامهم.

قال النحاس[4]: يريد سيبويه أن «أم» في كلام العرب للخروج من حديث إلى حديث، ونتربص في محل رفع صفة لشاعر، وريبُ المنون: صروفُ الدهر، والمعنى: ننتظر به حوادثَ الأيام فيموت كما مات غيره، أو يهلك كما هلك من قبله، والمنون يكون بمعنى الدهر، ويكون بمعنى المنيّة.

قال الأخفش[5]: المعنى: نتربص إلى ريب المنون، فحذف حرف الجرّ، كما تقول: قصدت زيداً، وقصدت إلى زيد، ومن هذا قول الشاعر:

تربَّصْ بها رَيْبَ المنونِ لعلَّها   تُطَلَّقُ يوماً أو يموتُ خليلُها[6]

وقول أبي ذؤيب الهذلي:

أَمِنَ المنونِ وَرَيْبِها تتوجَّعُ   والدهرُ ليس بِمُعْتبٍ مَنْ يَجْزَعُ[7]

قال الأصمعي[8]: المنون واحد لا جمع له.

---

(١) «روح المعاني» (٢٦/ ٨٤)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٢١٦).
(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٣٢). (٣) في «الكتاب» (٣/ ١٧٢ ـ ١٧٣).
(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٥٣٤). (٥) «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٦٩٧).
(٦) قائله فراص بن عتبة الأزدي. «معجم الشعراء» (ص١٩٢).
(٧) «ديوان الهذليين» (١/ ١).
(٨) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٥/ ٢٤٥).

قال الفرّاء(١): يكون واحداً وجمعاً. وقال الأخفش(٢): هو جمع لا واحد له.

ثم أمره الله سبحانه أن يجيب عنهم، فقال: ﴿قُلْ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ﴾؛ أي: انتظروا موتي، أو هلاكي، فإني معكم من المتربصين لموتكم، أو هلاككم.

قرأ الجمهور(٣): «نتربص» بإسناد الفعل إلى جماعة المتكلمين.

وقرأ زيد بن عليّ(٤) على البناء للمفعول.

﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ﴾؛ أي: بل أتأمرهم عقولُهم بهذا الكلام المتناقض؟

فإن الكاهن هو المفرط في الفطنة والذكاء، والمجنون: هو ذاهب العقل فضلاً عن أن يكون له فطنة وذكاء.

قال الواحدي(٥): قال المفسِّرون: كانت عظماء قريش توصف بالأحلام والعقول، فأزرأ الله بحلومهم حين لم تثمر لهم معرفة الحقّ من الباطل ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾؛ أي: بل أطغوا وجاوزوا الحدّ في العناد، فقالوا ما قالوا؟

وهذه الإضرابات(٦) من شيء إلى شيء مع الاستفهام، كما هو مدلول «أم» المنقطعة تدل على أن ما تعقبها أشنع مما تقدّمها، وأكثر جرأة وعناداً.

﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ﴾؛ أي: اختلق القرآن مِنْ جهة نفسه وافتعله، والتقوّل لا يُستعمل إلّا في الكذب في الغالب، وإن كان أصله تكلف القول، ومنه اقتال عليه، ويقال: اقتال عليه بمعنى: تحكم عليه، ومنه قول الشاعر(٧):

ومنزلةٍ فِي دارِ صِدْقٍ وغِبْطَةٍ ... وما اقتالَ فِي حُكْمٍ عليَّ طبيبُ

ثم أضرب سبحانه عن قولهم: ﴿تَقَوَّلَهُۥ﴾ وانتقل إلى ما هو أشدّ شناعة عليهم فقال: ﴿بَل لَّا يُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: سبب صدور هذه الأقوال المناقضة عنهم كونهم كفاراً لا يؤمنون بالله، ولا يصدقون ما جاء به رسوله ﷺ.

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٥٣٣).

(٢) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٥/ ٢٤٥).

(٣) «البحر المحيط» (٩/ ٥٧٤)، و«الدر المصون» (٦/ ٢٠١).

(٤) «روح المعاني» (٢٦/ ٨٥)، و«البحر المحيط» (٩/ ٥٧٤). قراءة زيد بن علي بن بلال شاذة.

(٥) في «الوسيط» (٤/ ١٨٩).

(٦) «روح المعاني» (٢٦/ ٨٥ ـ ٨٦).

(٧) كعب بن سعد الغَنَوي. «طبقات فحول الشعراء» (١/ ٢٢٢).

ثم تحدّاهم سبحانه، وألزمهم الحجة فقال: ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ﴾؛ أي: مثل القرآن في نظمه، وحسن بيانه، وبديع أسلوبه ﴿إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾ فيما زعموا من قولهم: إن محمداً ﷺ تقوّله، وجاء به من جهة نفسه مع أنه كلام عربيّ، وهم رؤوس العرب وفصحاؤهم، والممارسون لجميع الأوضاع العربية من نظم ونثر.

وقد أخرج سعيد بن منصور، وهنّاد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم، والبيهقي عن ابن عباس(١) قال: «إن الله ليرفع ذرّية المؤمن معه في درجته في الجنة، وإن كانوا دونه في العمل؛ لتقرّ به عينه ثم قرأ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم﴾» الآية.

وأخرجه البزار، وابن مردويه عنه(٢) مرفوعاً.

[المؤمنون وأولادهم في الجنة]:

وأخرج الطبراني، وابن مردويه عنه(٣) أيضاً أن النبيّ ﷺ قال: «إذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبويه، وزوجته، وولده، فيقال: إنهم لم يبلغوا درجتك وعملك، فيقول: يا ربّ قد عملت لي ولهم، فيؤمر بإلحاقهم به، وقرأ ابن عباس ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم﴾» الآية.

وأخرج عبد الله بن أحمد في «زوائد المسند» عن علي بن أبي طالب(٤) قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المؤمنين وأولادهم في الجنة، وإن المشركين وأولادهم في النار، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾» الآية وإسناده هكذا.

قال عبد الله بن أحمد: حدّثنا عثمان بن أبي شيبة، حدّثنا محمد بن فضيل،

---

(١) أخرجه هناد رقم (١٧٩)، وابن جرير (٥٧٩/٢١)، وابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (٢٢٣/٣) ـ والحاكم (٤٦٨/٢)، والبيهقي (٢٦٨/١٠) بسند ضعيف.

(٢) أخرجه البزار في «مسنده» رقم (٢٢٦٠ ـ كشف)، وابن مردويه ـ كما في «تخريج الكشاف» (٣/ ٣٧٢) ـ.
وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١١٤): فيه قيس بن الربيع، وثقه شعبة والثوري. وفيه ضعف.

(٣) أخرجه الطبراني رقم (١٢٢٤٨).
وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١١٤): «فيه محمد بن عبد الرحمٰن بن غزوان، وهو ضعيف».

(٤) أخرجه عبد الله بن أحمد رقم (١١٣١) بسند ضعيف.

عن محمد بن عثمان، عن زاذان، عن عليّ بن أبي طالب قال: «سألتْ خديجة النبيّ ﷺ عن ولدين ماتا لها في الجاهلية، فقال رسول الله ﷺ: هما في النار، فلما رأى الكراهة في وجهها قال: لو رأيتِ مكانهما لأبغضتهما، قالت: يا رسول الله فولديّ منك. قال: في الجنّة، قال: ثم قال رسول الله ﷺ: إن المؤمنين وأولادهم في الجنة، وإن المشركين وأولادهم في النار، ثم قرأ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾» الآية.

وقال الإمام أحمد في المسند[1]: حدّثنا يزيد، حدّثنا حماد بن سلمة، عن عاصم بن أبي النجود، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة، فيقول: يا ربّ من أين لي هذا؟ فيقول: باستغفار ولدك لك» وإسناده صحيح.

وأخرج ابن جرير وابن المنذر، والحاكم عن ابن عباس[2] ﴿وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم﴾ قال: ما نقصناهم.

وأخرج ابن أبي حاتم[3] عنه ﴿لَّا لَغۡوٌ فِيهَا﴾ يقول: باطل ﴿وَلَا تَأۡثِيمٌ﴾ يقول: كذب.

وأخرج البزار[4] عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل أهل الجنة الجنة اشتاقوا إلى الإخوان، فيجيء سرير هذا حتى يحاذي سرير هذا، فيتحدّثان، فيتكئ ذا، ويتكئ ذا، فيتحدّثان بما كانوا في الدنيا، فيقول أحدهما: يا فلان تدري أيّ يوم غفر الله لنا؟ يوم كنا في موضع كذا وكذا، فدعونا الله فغفر لنا».

---

(١) أخرجه أحمد (٢/٥٠٩)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/٢١٣): «رواه أحمد والطبراني في «الأوسط»، ورجالهما رجال الصحيح، غير عاصم بن بهدلة وقد وثق».

(٢) أخرجه ابن جرير (٢١/ ٥٨٤، ٥٨٥)، والحاكم (٢/٤٦٨)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٤٧) من طريق سفيان، به.

(٣) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/٣٣١٦).
وأخرجه ابن جرير (٢١/٥٨٨)، وابن أبي حاتم ـ كما في «الإتقان» (٢/ ٤٥) ـ بسند صحيح.

(٤) أخرجه البزار في «مسنده» رقم (٣٥٥٣).
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٤٢٠): «رجاله رجال الصحيح غير سعيد بن دينار والربيع بن صبيح، وهما ضعيفان وقد وثقا».
وقال ابن كثير في «تفسيره» (١٣/٢٣٦): وسعيد بن دينار الدمشقي، قال أبو حاتم: هو مجهول، وشيخه الربيع بن صبيح قد تكلم فيه غير واحد من جهة حفظه، وهو رجل صالح ثقة في نفسه.

وأخرج ابن المنذر[١] عن عائشة قالت: لو فتح الله على أهل الأرض من عذاب السموم قدر الأنمُلة لأحرقت الأرضَ ومَنْ عليها.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[٢] في قوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ﴾ قال: اللطيف.

وأخرج ابن إسحاق، وابن جرير عنه[٣] أن قريشاً لما اجتمعوا إلى دار الندوة في أمر النبيّ ﷺ قال قائل منهم: احبسوه في وثاق، وتربصوا به المنون حتى يهلك، كما هلك من قبله من الشعراء: زُهير والنابغة، إنما هو كأحدهم، فأنزل الله في ذلك: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه[٤] أيضاً في قوله: ﴿رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ قال: الموت.

﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾. [٤/ ٩٨]

---

(١) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٣٤) إلى ابن مردويه. وفي نسخة إلى ابن المنذر.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٥٩١)، وابن أبي حاتم ـ كما في «تغليق التعليق» (٤/ ٣٢١) ـ بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٥٩٣)، وابن إسحاق في السيرة النبوية (١/ ٤٨٠، ٤٨١) فيه عنعنة ابن إسحاق ولكنه صرح بالسماع في رواية البيهقي في «الدلائل» (٢/ ٤٦٨) فسنده حسن.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٥٩٢، ٥٩٣)، وابن أبي حاتم ـ كما في «الإتقان» (٢/ ٤٥) ـ بسند صحيح.

قوله: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ «أم» هذه هي المنقطعة[١]، كما تقدّم فيما قبلها، وكما سيأتي فيما بعدها؛ أي: بل أُخلقوا على هذه الكيفية البديعة، والصنعة العجيبة من غير خالق لهم؟ قال الزجاج[٢]: أي: أخلقوا باطلاً لغير شيء لا يُحاسبون، ولا يؤمرون، ولا ينهون؟ وجعل ﴿مِنْ﴾ بمعنى اللام.

قال ابن كيسان[٣]: أم خلقوا عبثاً، وتُركوا سدًى لا يؤمرون، ولا ينهون؟ وقيل: المعنى: أم خلقوا من غير أب[٤] ولا أمّ، فهم كالجماد لا يفهمون، ولا تقوم عليهم حجة؟ ﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾؛ أي: بل أيقولون هم الخالقون لأنفسهم، فلا يؤمرون ولا ينهون مع أنهم يقرّون أن الله خالقهم؟ وإذا أقرّوا لزمتهم الحجة.

﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ وهم لا يدّعون ذلك، فلزمتهم الحجة، ولهذا أضرب عن هذا، وقال ﴿بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾؛ أي: ليسوا على يقين من الأمر، بل يخبطون في ظلمات الشك في وعد الله ووعيده.

﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ﴾؛ أي: خزائن أرزاق العباد، وقيل: مفاتيح الرحمة.

[الله القابض الباسط المدبر المتصرف]:

قال مقاتل[٥]: يقول: أبأيديهم مفاتيح ربك بالرسالة، فيضعونها حيث شاءوا؟ وكذا قال عكرمة[٦] وقال الكلبي[٧]: خزائن المطر والرزق.

﴿أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ﴾؛ أي: المسلّطون الجبّارون، قال في «الصحاح»[٨]: المسيطر: المسلَّط على الشيء، ليشرف عليه، ويتعهد أحواله، ويكتب عمله، وأصله من السَّطر؛ لأن الكتاب يُسطّر.

---

(١) «تفسير أبي السعود» (٦/ ٢١٧)، و«روح المعاني» (٢٦/ ٨٨).
(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٦٥).
(٣) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٩٢)، والوحدي في «الوسيط» (٤/ ١٨٩).
(٤) قال ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٥٩٦): يقول تعالى ذكره: أَخُلِق هؤلاء المشركون من غير آباءٍ ولا أُمهات، فهم كالجماد لا يعقلون ولا يفقهون منه حجةً، ولا يعتبرون له بعبرةٍ، ولا يتعظون بموعظةٍ؟
(٥) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٨٩).
(٦) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٩٢).
(٧) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٨٩)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٩٢).
(٨) في «الصحاح» (٢/ ٦٨٤).

وقال أبو عبيدة[١]: سطرت عليّ: اتخذتني خولاً لك. قرأ الجمهور[٢]: «المُصَيطرون» بالصاد الخالصة، وقرأ ابن محيصن، وحُميد، ومجاهد، وقُنبل، وهشام بالسين[٣] الخالصة، ورويت هذه القراءة عن حفص، وقرأ خلاد بصاد[٤] مشمة زاياً.

﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾؛ أي: بل أيقولون إن لهم سلماً منصوباً إلى السماء يصعدون به، ويستمعون فيه كلام الملائكة، وما يوحى إليهم، ويصلون به إلى علم الغيب، كما يصل إليه محمد ﷺ بطريق الوحي.

وقوله: ﴿فِيهِ﴾ صفة لسُلّم، وهي للظرفية على بابها، وقيل: هي بمعنى على؛ أي: يستمعون عليه كقوله: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١] قاله الأخفش[٥]. وقال أبو عبيدة[٦]: يستمعون به. وقال الزجاج[٧]: المعنى: أنهم كجبريل الذي يأتي النبيّ ﷺ بالوحي، وقيل: هي في محلّ نصب[٨] على الحال؛ أي: صاعدين فيه.

﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم﴾ إن ادّعى ذلك ﴿بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾؛ أي: بحجة واضحة ظاهرة.

﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ﴾؛ أي: بل أتقولون لله البنات ولكم البنون؟[٩] سفّه سبحانه أحلامهم، وضلل عقولهم ووبخهم؛ أي: أيضيفون إلى الله البنات وهي أضعف الصنفين، ويجعلون لأنفسهم البنين، وهم أعلاهما، وفيه إشعار بأن من كان هذا رأيه، فهو بمحلّ سافل في الفهم والعقل، فلا يستبعد منه إنكار البعث وجحد التوحيد.

ثم رجع سبحانه إلى خطاب رسوله ﷺ، فقال: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾؛ أي: بل

---

(١) في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٣٣).

(٢) «التيسير» (ص٢٠٤)، و«النشر» (٢/ ٣٧٨)، و«زاد المسير» (٨/ ٥٦)، و«البحر المحيط» (٩/ ٥٧٥). قرأ خلّاد عن حمزة في وجه عنه باشمام الصاد زاياً، والوجه الثاني كبقية العشرة بالصاد الخالصة، وعن قنبل وابن ذكوان وحفص وجهان الصاد والسين، والباقي كما ذكره الإمام الشوكاني.

(٣) انظر: المصادر المتقدمة.

(٤) «الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٩٢)، و«التيسير» (ص٣٠٤)، و«النشر» (٢/ ٣٧٨).

(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٥٣٨). (٦) «مجاز القرآن» (٢/ ٢٣٣).

(٧) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٦٧).

(٨) «التبيان» (٢/ ١١٨٤)، و«الفريد» (٤/ ٣٧٤).

(٩) «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٥٣٨).

أتسألهم أجراً يدفعونه إليك على تبليغ الرسالة ﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾؛ أي: من التزام غرامة تطلبها منهم، مُثْقَلون؛ أي: مجهودون بحملهم ذلك المَغْرَم الثقيل.

قال قتادة[(١)]: يقول: هل سألت هؤلاء القوم أجراً فجهدهم، فلا يستطيعون الإسلام؟

﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾؛ أي: بل أيدّعون أن عندهم علم الغيب، وهو ما في اللوح المحفوظ فهم يكتبون للناس ما أرادوا من علم الغيب؟ قال قتادة[(٢)]: هذا جواب لقولهم: ﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ [الطور: ٣٠] يقول الله: أم عندهم الغيب حتى علموا أن محمداً يموت قبلهم، فهم يكتبون؟

قال ابن قتيبة[(٣)]: معنى يكتبون: يحكمون بما يقولون.

﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾؛ أي: مكراً برسول الله ﷺ، فيُهلِكونه بذلك المكر ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ﴾؛ أي: الممكور بهم المجزيون بكيدهم، فضررُ كيدهم يعود عليهم ﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣] وقد قتلهم الله في يوم بدر، وأذلهم في غير موطن، ومكر سبحانه بهم ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٤].

﴿أَمْ لَهُمْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾؛ أي: بل أيدّعون أن لهم إلٰهاً غير الله يحفظهم ويرزقهم وينصرهم؟!

[تنزيه الله عن تصورهم الباطل السقيم]:

ثم نزّه سبحانه نفسه عن هذه المقالة الشنعاء فقال: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾؛ أي: عن شركهم به، أو عن الذين يجعلونهم شركاء له.

ثم ذكر سبحانه بعض جهالاتهم، فقال: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ الكِسْفُ[(٤)] جمع كِسْفة: وهي القطعة من الشيء، وانتصاب ساقطاً على

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/٥٩٩) بسند صحيح.
(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/١٩٠).
(٣) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/١٩٠).
(٤) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٧١١)، و«تهذيب اللغة» (١٠/٧٥)، و«الصحاح» (٤/١٤٢١).

الحال، أو على أنَّه المفعول الثاني، والمركوم: المجعول بعضه على بعض. والمعنى: أنَّهم إنْ يروا كسفاً مِنْ السماء ساقطاً عليهم لعذابهم، لم ينتهوا عن كفرهم بل يقولون: هو سحاب متراكم بعضه على بعض.

وقد تقدّم اختلاف القرّاء في كسفاً، قال الأخفش[1]: مَنْ قرأ كِسْفاً، يعني: بكسر الكاف وسكون السين جعله واحداً، ومن قرأ كِسَفاً، يعني: بكسر الكاف وفتح السين جعله جمعاً.

ثم أمر الله سبحانه رسوله ﷺ أن يتركهم، فقال: ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾؛ أي: اتركهم وخلّ عنهم حتى يلاقوا يوم موتهم، أو يوم قتلهم ببدر، أو يوم القيامة. قرأ الجمهور: «يُلَاقوا» وقرأ أبو حيوة: «يَلْقوا».

وقرأ الجمهور[2]: «يَصْعقون» على البناء للفاعل، وقرأ ابن عامر، وعاصم على البناء للمفعول[3]، والصعقة: الهلاك على ما تقدّم بيانه.

﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ هو بدل من يومهم؛ أي: لا ينفعهم في ذلك اليوم كيدهم الذي كادوا به رسول الله ﷺ في الدنيا ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾؛ أي: ولا يمنع عنهم العذاب النازل بهم مانع، بل هو واقع بهم لا محالة.

﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: لهؤلاء الذين ظلموا أنفسهم بالكفر، والمعاصي عذاباً في الدنيا دون عذاب يوم القيامة؛ أي: قبله، وهو قتلهم يوم بدر.

وقال ابن زيد[4]: هو مصائب الدنيا من الأوجاع، والأسقام، والبلايا، وذهاب الأموال والأولاد.

---

(١) ذكره الجوهري في «الصحاح» (٤/ ١٤٢١).

(٢) «جامع البيان» (٢١/ ٦٠٢)، و«النشر» (٢/ ٣٧٩)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٩٢)، و«زاد المسير» (٨/ ٥٩). قراءة (يَصْعَقون) على البناء للفاعل والمفعول قراءتان متواترتان وكذلك قراءة (يلاقوا) و(يلقوا) قراءتان متواترتان فقد قرأ أبو جعفر (يَلْقوا). «النشر» (٢/ ٣٧٠).

(٣) انظر: المصادر المتقدمة.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٦٠٤) بسند صحيح.

وقال مجاهد[(١)]: هو الجوع، والجهد سبع سنين، وقيل: عذاب القبر[(٢)]، وقيل[(٣)]: المراد بالعذاب: هو القحط، وبالعذاب الذي يأتي بعده: هو قتلهم يوم بدر.

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما يصيرون إليه من عذاب الله، وما أعدّه لهم في الدنيا والآخرة.

﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ إلى أن يقع لهم العذاب الذي وعدناهم به.

﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾؛ أي: بمرأى ومنظر منّا، وفي حفظنا وحمايتنا، فلا تبال بهم.

قال الزجاج[(٤)]: إنك بحيث نراك ونحفظك، ونرعاك فلا يصلون إليك.

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾؛ أي: نزّه ربك عما لا يليق به متلبساً بحمد ربك على إنعامه عليك حين تقوم مِنْ مجلسك.

قال عطاء[(٥)]، وسعيد بن جبير[(٦)]، وسفيان الثوري[(٧)]، وأبو الأحوص[(٨)]: يُسبّح الله حين يقوم مِنْ مجلسه فيقول: سبحان الله وبحمده، أو سبحانك اللّهمّ وبحمدك عند قيامه من كل مجلس يجلسه.

وقال محمد بن كعب[(٩)]، والضحاك[(١٠)]، والربيع بن أنس: حين تقوم إلى الصلاة.

قال الضحاك[(١١)]: يقول: الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرةً وأصيلاً، وفيه نظر؛ لأنَّ التكبير يكون بعد القيام لا حال القيام، ويكون التسبيح بعد

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٦٠٠ ـ ٦٠٤) بسند صحيح.
(٢) أخرجه ابن جرير (٢١/ ٦٠٣) عن ابن عباس بسند صحيح.
(٣) «إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ٢٦٣). (٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٦٨).
(٥) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٩٤).
(٦) «معالم التنزيل» (٧/ ٣٩٤)، و«زاد المسير» (٨/ ٦٠).
(٧) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٥٤٢).
(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٦٠٥)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٤٩)، وابن أبي شيبة (١٠/ ٢٥٧) من طريق سفيان، به.
(٩) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٩٣) عن حمد بن كعب والربيع بن أنس.
(١٠) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٦٠٦) بسند حسن.
(١١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٦٠٦) بسند ضعيف.

التكبير، وهذا غير معنى الآية، فالأوّل أولى. وقيل المعنى: صلِّ لله حين تقوم من منامك، وبه قال أبو الجوزاء، وحسان بن عطية.

وقال الكلبي[١]: واذكر الله باللسان حين تقوم من فراشك إلى أن تدخل الصلاة، وهي صلاة الفجر.

﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ﴾ أمره الله سبحانه أن يسبّحه في بعض الليل.

قال مقاتل[٢]: أي: صلِّ المغرب والعشاء، وقيل: ركعتي الفجر.

﴿وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾؛ أي: وقت إدبارها من آخر الليل، وقيل: صلاة الفجر، واختاره ابن جرير[٣]، وقيل: هو التسبيح في إدبار الصلوات.

قرأ الجمهور[٤]: «إِدْبار» بكسر الهمزة على أنه مصدر، وقرأ سالم بن أبي الجعد، ومحمد بن السميفع، ويعقوب، والمنهال بن عمر بفتحها[٥] على الجمع؛ أي: أعقاب النجوم وأدبارها: إذا غربت، ودُبُر الأمر: آخره، وقد تقدّم الكلام على هذا في سورة «قٓ».

وقد أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[٦] في قوله: ﴿أَمۡ هُمُ ٱلۡمُصَيۡطِرُونَ﴾ قال: المسلطون.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر عنه[٧] قال: أم هم المُنزِلون.

وأخرجا[٨] عنه أيضاً ﴿عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ قال: عذاب القبر قبل يوم القيامة.

وأخرج ابن أبي شيبة، وأبو داود، والنسائي، والحاكم، وابن مردويه عن أبي

---

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٩٣).

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٩١).

(٣) في «جامع البيان» (٢١/ ٦٠٩ ـ ٦١٠).

(٤) «فتح الباري» (٨/ ١٥٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٥٤٥)، و«البحر المحيط» (٩/ ٥٧٧).

(٥) «المحتسب» (٢/ ٢٩٢)، و«القراءات الشاذة» (ص١٤٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ٥١٥). المتواتر هو كسر الهمزة، أما الفتح فهي قراءة شاذة، وهي رواية شاذة عن يعقوب. ا. هـ.

(٦) أخرجه ابن جرير (٢١/ ٥٩٧)، وابن أبي حاتم ـ كما في «الإتقان» (٢/ ٤٥) ـ بسند صحيح.

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٥٩٧) بسند ضعيف.

(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٦٠٣) بسند صحيح.

برزة[1] الأسلمي قال: «كان رسول الله ﷺ بآخرةٍ إذا قام من المجلس يقول: سبحانك اللَّهم وبحمدك، أشهد أن لا إلٰه إلّا أنت، أستغفرك وأتوب إليك. فقال رجل: يا رسول الله إنك لتقول قولاً ما كنتَ تقوله فيما مضى، قال: كفارة لما يكون في المجلس».

وأخرجه النسائي، والحاكم من حديث الربيع بن أنس عن أبي العالية، عن رافع بن خديج[2]، عن النبيّ ﷺ.

وأخرج الترمذي، وابن جرير عن أبي هريرة[3] عن النبيّ ﷺ أنه قال: «من جلس في مجلس، فكثر فيه لغُطه، فقال قبل أن يقوم من مجلسه: سبحانك اللَّهمّ وبحمدك، أشهد أن لا إلٰه إلّا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، إلّا غفر له ما كان في مجلسه ذلك». قال الترمذي: حسن صحيح.

وفي الباب أحاديث مسندة ومرسلة.

وأخرج ابن مردويه[4] عن ابن عباس في قوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ قال: حين تقوم من فراشك إلى أن تدخل في الصلاة.

وأخرج ابن مردويه[5] عن أبي هريرة، عن النبيّ ﷺ في قوله: «﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ قال: الركعتان قبل صلاة الصبح».

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[6] ﴿وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ قال: ركعتي الفجر.

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (١٠/ ٢٥٦)، وأبو داود رقم (٤٨٥٩)، والنسائي في «السنن الكبرى» رقم (١٠٢٥٩)، والحاكم (١/ ٥٣٧) بسند حسن.

(٢) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» رقم (١٠٢٦٣)، والحاكم (١/ ٥٣٧)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه الترمذي رقم (٣٤٣٣)، والنسائي في «السنن الكبرى» رقم (١٠٢٣٠). وهو حديث صحيح.

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٣٨).

(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٣٨).

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢١/ ٦٠٨) بسند ضعيف.

سورة النجم

هي إحدى وستون آية، وقيل: ثنتان وستون آية. [٤/٩٩]

وهي مكية جميعها في قول الجمهور[١]. وروي عن ابن عباس، وعكرمة أنها مكية إلّا آيةً منها، وهي قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ﴾ [النجم: ٣٢] الآية.

وأخرج ابنُ مردويه[١] عن ابن عباس قال: نزلت سورة النجم بمكة، وأخرج أيضاً عن ابن الزبير[٢] مثله.

[هي أول ما نزل فيها سجدة وأول ما استعلن بها الرسول]:

وأخرج البخاري، ومسلم، وغيرهما عن ابن مسعود[٣] قال: أوّل سورة أنزلت فيها سجدة، ﴿وَٱلنَّجۡمِ﴾ فسجد رسول الله ﷺ، وسجد الناس كلهم، إلّا رجلاً رأيته أخذ كفّاً من تراب، فسجد عليه، فرأيته بعد ذلك قتل كافراً، وهو أُمية بن خلف.

وأخرج ابن مردويه[٤] عن ابن مسعود قال: أوّل سورة استعلن بها النبيّ ﷺ يقرؤها، ﴿وَٱلنَّجۡمِ﴾.

وأخرج ابن مردويه، والبيهقي في «سننه» عن ابن عمر[٥] قال: «صلى بنا رسول الله ﷺ، فقرأ النجم، فسجد بنا، فأطال السجود».

وأخرج ابن مردويه[٦] عن عائشة: «أن النبيّ ﷺ قرأ النجم، فلما بلغ السجدة سجد فيها».

وأخرج الطيالسي، وابن أبي شيبة، وأحمد، والبخاري، ومسلم، وأبو داود،

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/٥)، و«روح المعاني» (٢٦/١٠٢).

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/٦٢٦).

(٣) أخرجه البخاري رقم (١٠٦٧، ١٠٧٠، ٣٨٥٣، ٣٩٧٢، ٤٨٦٣)، ومسلم رقم (٥٧٦)، وأبو داود رقم (١٤٠٦)، والنسائي رقم (٩٥٨).

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/٦٢٦).

(٥) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٣/١٨٢).

(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/٦٢٧).

والترمذي، والنسائي، والطبراني، وابن مردويه عن زيد بن ثابت[(١)] رضي الله عنه قال: قرأت النجم عند النبيّ ﷺ، فلم يسجد فيها.

وأخرج ابن مردويه[(٢)] عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يسجد في النجم بمكة، فلما هاجر إلى المدينة تركها.

وأخرج[(٢)] أيضاً عنه أن رسول الله ﷺ لم يسجد في شيء من المفصل منذ تحوّل إلى المدينة.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[هو وحيٌّ وتعليم ومشاهدة وتيقن]:

﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ۝٩ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ۝١٥ إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ۝١٨﴾.

[تلك هي آلهتهم التي لا تغني عنهم شيئاً]:

[التعجب والتشهير بهذه المعبوادات]:

﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ۝٢٠ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ ۝٢١ تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ ۝٢٢ إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ ۝٢٣ أَمۡ لِلۡإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ۝٢٤ فَلِلَّهِ ٱلۡأٓخِرَةُ وَٱلۡأُولَىٰ ۝٢٥ ۞وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ۝٢٦﴾.

---

(١) أخرجه الطيالسي رقم (٦١٤)، وابن أبي شيبة (٦/٢)، وأحمد رقم (٢١٥٩١، ٢١٦٢٣)، والبخاري رقم (١٠٧٣)، ومسلم رقم (٥٧٧)، وأبو داود رقم (١٤٠٤، ١٤٠٥)، والترمذي رقم (٥٧٦)، والنسائي رقم (٩٥٩)، والطبراني رقم (٤٨٢٩).

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٢٧).

قوله: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ التعريف للجنس، والمراد به: جنس النجوم، وبه قال جماعة[١] مِنْ المفسرين، ومنه قول عمر بن أبي ربيعة[٢]:

أَحْسَنُ النَّجْمِ في السماءِ الثُّرَيَّا والثُّرَيَّا فِي الأرضِ زَيْنُ النساءِ

وقيل: المراد به الثريا، وهو اسم غلب فيها، تقول العرب: النجم[٣] وتريد به الثريا، وبه قال مجاهد[٤]، وغيره، وقال السديّ[٥]، النجم هنا: هو الزهرة؛ لأن قوماً من العرب كانوا يعبدونها، وقيل[٦]: النجم هنا: النبت الذي لا ساق له، كما في قوله: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمٰن: ٦] قاله الأخفش[٧]. وقيل: النجم: محمد ﷺ، وقيل: النجم: القرآن، وسمي نجماً لكونه نزل منجماً مفرّقاً، والعرب تسمي التفريق تنجيماً، والمفرّق: المنجم، وبه قال مجاهد[٨]، والفراء[٩]، وغيرهما، والأوّل أولى.

قال الحسن[١٠]: المراد بالنجم: النجوم إذا سقطت يوم القيامة. وقيل المراد بها: النجوم التي ترجم بها الشياطين، ومعنى هويّه: سقوطه من علو، يقال: هوى النجم يهوي هوياً: إذا سقط من علو إلى سفل، وقيل: غروبه، وقيل: طلوعه، والأوّل أولى، وبه قال الأصمعي[١١] وغيره، ومنه قول زهير[١٢]:

فَشَجَّ بها الأباعرُ وهِي تهوى هَوِيّ الدَّلْوِ أسلمَها الرِّشَاءُ

ويقال: هوى في السير: إذا مضى؛ ومنه قول الشاعر[١٣]:

بينَما نحنُ بالبلاكثِ فالقا عُ سراعاً والعِيْسَ تهوي هُوِيَا

---

(١) «روح المعاني» (٢٦/ ١٠٤)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٦).
(٢) «النكت والعيون» (٥/ ٣٨٩).
(٣) ذكره ابن قتيبة في «غريب القرآن» (ص٤٢٧).
(٤) «معالم التنزيل» (٧/ ٣٩٩).
(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٧).
(٦) «روح المعاني» (٢٦/ ١٠٤ ـ ١٠٥)، و«الصحاح» (٥/ ٢٠٣٩).
(٧) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٣٥)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٩٩).
(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٧) بسند ضعيف.
(٩) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٦٤).
(١٠) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٧).
(١١) ذكره الجوهري في «الصحاح» (٦/ ٢٥٣٨).
(١٢) «ديوان زهير» (ص٦٧).
(١٣) قائله قيس بن الملوّح (مجنون ليلى). والبنيان في «ديوانه» (ص٢٩١).

خطرتْ خطرةٌ على القلبِ مِنْ ذكْـ ـرَاكِ وهنا فما استطعت مُضِيَا

ومعنى الهويّ على قول مَنْ فسّر النجم بالقرآن: أنه نزل من أعلى إلى أسفل، وأمّا على قول من قال: إنه الشجر الذي لا ساق له، أو أنه محمد ﷺ، فلا يظهر للهويّ معنى صحيح، والعامل في الظرف فعل القسم المقدّر، وجواب القسم قوله: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾؛ أي: ما ضلّ محمد ﷺ عن الحق والهدى، ولا عدل عنه.

والغيّ: ضدّ الرشد؛ أي: ما صار غاوياً ولا تكلّم بالباطل، وقيل: ما خاب فيما طلب، والغيّ: الخيبة، ومنه قول الشاعر[(١)]:

فمنْ يلقَ خيراً يَحْمَدِ الناسُ أَمْرَهُ ومَنْ يَغْوِ لاَ يعْدَمْ على الغيِّ لائِماً

وفي قوله: ﴿صَاحِبُكُمْ﴾ إشارة بأنهم المطلعون على حقيقة حاله، والخطاب لقريش.

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾؛ أي: ما يصدر نطقه عن الهوى لا بالقرآن، ولا بغيره، فعن على بابها. وقال أبو عبيدة[(٢)]: إنّ عن بمعنى الباء؛ أي: بالهوى.

قال قتادة[(٣)]: أي: ما ينطق بالقراءة عن هواه ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾؛ أي: ما هو الذي ينطق به إلّا وحي من الله يوحيه إليه.

وقوله: ﴿يُوحَىٰ﴾ صفة لوحي تفيد[(٤)] الاستمرار التجددي، وتفيد نفي المجاز؛ أي: هو وحي حقيقة لا لمجرد التسمية ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ القوى جمع قوّة، والمعنى: أَنّه علّمه جبريل الذي هو شديدٌ قواه، هكذا قال أكثر المفسرين[(٥)] إن المراد: جبريل.

وقال الحسن: هو الله ﷻ، والأوّل أولى، وهو من باب إضافة الصفة إلى الموصوف.

---

(١) قائله: المرقَّشْ الأصغر واسمه ربيعة بن سفيان. «النكت والعيون» (٥/ ٣٩٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٩).

(٢) في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٦٥).

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٨) بسند صحيح.

(٤) «روح المعاني» (٢٦/ ١٠٨)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٢٢٢).

(٥) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ١١)، و«جامع البيان» (٢٢/ ٩)، و«الوسيط» (٤/ ١٩٣).

﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ﴾ المِرّة: القوّة والشدّة في الخَلْق، وقيل: ذو صحة جسم وسلامة من الآفات، ومنه قول النبيّ ﷺ: «لا تحل الصدقة لغنيّ ولا لذي مِرّة سوي»[(١)].

وقيل: ذو حصانة[(٢)] عقل، ومتانة رأي. قال قُطْرب[(٣)]: العرب تقول لكلّ من هو جزل الرأي: حَصيف العقل: ذو مِرّة، ومنه قول الشاعر[(٤)]:

قد كنتُ قبلَ لقائِكم ذا مِرَّةٍ عندي لكلِّ مخاصِمٍ ميزانُه

والتفسير للمرّة بهذا أولى؛ لأن القوّة والشدّة قد أفادها قوله: ﴿شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾. قال الجوهري[(٥)]: المرّة: إحدى الطبائع الأربع، والمرّة: القوّة وشدّة العقل، والفاء في قوله: ﴿فَاسْتَوَىٰ﴾ للعطف على علّمه، يعني جبريل؛ أي: ارتفع وعاد إلى مكانه في السماء بعد أن علم محمداً ﷺ، قاله سعيد بن المسيب[(٦)]، وسعيد بن جبير، وقيل: معنى استوى: قام في صورته التي خلقه الله عليها؛ لأنّه كان يأتي النبي ﷺ في صورة الآدميين، وقيل المعنى: فاستوى القرآن في صدره ﷺ.

وقال الحسن[(٧)]: فاستوى يعني: الله ﷻ على العرش.

﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ﴾ هذه الجملة في محل نصب[(٨)] على الحال؛ أي: فاستوى جبريل حال كونه بالأفق الأعلى، والمراد بالأفق الأعلى: جانب المشرق، وهو فوق جانب المغرب، وقيل المعنى: فاستوى عالياً، والأفق: ناحية السماء، وجمعه آفاق.

قال قتادة[(٩)]، ومجاهد[(١٠)]: هو الموضع الذي تطلع منه الشمس، وقيل: هو يعني جبريل، والنبيّ ﷺ بالأفق الأعلى ليلة المعراج، ويجوز أن تكون هذه الجملة مستأنفة.

---

(١) أخرجه أبو داود رقم (١٦٣٤)، والترمذي رقم (٦٥٢)، وقال: «حديث حسن».

(٢) «الصحاح» (٢/ ٨١٤ ـ ٨١٥).

(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ١٢).

(٤) «النكت والعيون» (٣/ ١٥٤)، و«جامع البيان» (٢٤/ ٥٩٤).

(٥) في «الصحاح» (٢/ ٨١٤).

(٦) «النكت والعيون» (٥/ ٣٩٢)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ١٣).

(٧) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٥/ ٢٥٩).

(٨) «التبيان» (٢/ ١١٨٦)، و«الفريد» (٤/ ٣٧٨).

(٩) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ١٣) بسند صحيح.

(١٠) «النكت والعيون» (٥/ ٣٩٢).

﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾؛ أي: دنا جبريل بعد استوائه بالأفق الأعلى؛ أي: قرب من الأرض فتدلّى، فنزل على النبي ﷺ بالوحي، وقيل: في الكلام تقديم وتأخير، والتقدير: ثم تدلى فدنى، قاله ابن الأنباري(١)، وغيره.

قال الزجاج(٢): معنى ﴿دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ واحد؛ أي: قرب وزاد في القرب؛ كما تقول: فدنا مني فلان وقرب، ولو قلت: قرب مني ودنا جاز. قال الفراء(٣): الفاء في فتدلى بمعنى الواو، والتقدير: ثم تدلّى جبريل ودنا، ولكنه جائز إذا كان معنى الفعلين واحداً أن تقدّم أيهما شئت.

قال الجمهور(٤): والذي دنا فتدلى هو جبريل، وقيل: هو النبيّ ﷺ والمعنى: دنا منه أمره وحكمه، والأوّل أولى. قيل: ومن قال: إن الذي استوى هو جبريل، ومحمد فالمعنى عنده: ثم دنا محمد من ربه دنوّ كرامة، فتدلى؛ أي: هوى للسجود، وبه قال الضحاك.

﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾؛ أي: فكان مقدار ما بين جبريل ومحمد ﷺ، أو ما بين محمد وربِّه قاب قوسين؛ أي: قدر قوسين عربيين. والقاب والقيب، والقاد والقيد: المقدار، ذكر معناه في «الصحاح»(٥).

قال الزجاج(٦): أي: فيما تقدّرون أنتم، والله سبحانه عالم بمقادير الأشياء، ولكنه يخاطبنا على ما جرت به عادة المخاطبة فيما بيننا. وقيل: أو بمعنى الواو؛ أي: وأدنى، وقيل: بمعنى بل؛ أي: بل أدنى.

وقال سعيد بن جبير(٧)، وعطاء، وأبو إسحاق الهمداني، وأبو وائل شقيق بن سلمة ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ﴾: قدر ذراعين، والقوس: الذّراع يُقاس بها كل شيء، وهي لغة بعض الحجازيين(٨)، وقيل: هي لغة أَزْد شنوءة.

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ١٧).
(٢) في «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٧٠). (٣) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٩٥).
(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ١٦)، و«الوسيط» للواحدي (٤/ ١٩٣).
(٥) في «الصحاح» (١/ ٢٠٦).
(٦) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٧١).
(٧) ذكره عنهم السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ٢٨٩).
(٨) قاله الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٣٩).

وقال الكسائي[(١)]: فكان قاب قوسين أراد قوساً واحدة.

[الإجمال والتفخيم والتهويل]:

﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾؛ أي: فأوحى جبريل إلى محمد ﷺ ما أوحى، وفيه تفخيم للوحي الذي أُوحي إليه، والوحي: إلقاء الشيء بسرعة، ومنه الوحا وهو السرعة، والضمير في عبده يرجع إلى الله، كما في قوله: ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [فاطر: ٤٥] وقيل المعنى: فأوحى الله إلى عبده جبريل ما أوحى، وبالأوّل قال الربيع[(٢)]، والحسن[(٣)]، وابن زيد[(٤)]، وقتادة[(٥)]. وقيل: فأوحى الله إلى عبده محمد.

قيل: وقد أبهم الله سبحانه ما أوحاه جبريل إلى محمد، أو ما أوحاه الله إلى عبده جبريل، أو إلى محمد ولم يبينه لنا، فليس لنا أن نتعرّض لتفسيره.

وقال سعيد بن جبير[(٦)]: الذي أوحى إليه هو ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١] إلخ، و﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ [الأعلى: ٦] إلخ. وقيل: أوحى الله إليه أن الجنة حرام على الأنبياء حتى تدخلها، وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك. وقيل: إن «ما» للعموم[(٧)] لا للإبهام، والمراد: كل ما أوحى به إليه، والحمل على الإبهام أولى لما فيه من التعظيم.

﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾؛ أي: ما كذب فؤاد محمد ﷺ ما رآه ببصره ليلة المعراج، يقال: كذبه إذا قال له الكذب، ولم يصدقه.

قال المبرِّد[(٨)]: معنى الآية: أنَّه رأى شيئًا فصدق فيه، قرأ الجمهور[(٩)]: «ما

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/٢٠)، والثعلبي في «تفسيره» (٩/١٣٩).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/٢١)، وأبو الشيخ في «العظمة» رقم (٣٦٨) بسند ضعيف.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/٢١) بسند حسن.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/٢١) بسند صحيح.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/٢١) بسند صحيح.

(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/٢١).

(٧) «روح المعاني» (٢٦/١١٥ ـ ١١٦).

(٨) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/١٩٥).

(٩) «التيسير» (ص٢٠٤)، و«النشر» (٢/٣٧٩)، و«جامع البيان» (٢٢/٢٦ ـ ٢٧)، و«البحر المحيط» (١٠/١٤)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/٢٩٤).

كذَبَ» مخففاً، وقرأ هشام، وأبو جعفر بالتشديد[١] و﴿مَا﴾ في ﴿مَا رَأَىٰ﴾ موصولة أو مصدرية[٢] في محل نصب بكذب مخففاً ومشدّداً.

﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾. قرأ الجمهور[٣]: «أفتمارونه» بالألف من المماراة، وهي المجادلة والملاحاة.

وقرأ حمزة، والكسائي: «أَفتَمْرونه» بفتح التاء[٤] وسكون الميم؛ أي: أفتجدونه، واختار أبو عبيد[٥] القراءة الثانية. قال: لأنهم لم يماروه، وإنما جحدوه، يقال: مراه حقَّه؛ أي: جحده، ومريتُه أنا: جحدتُه، قال: ومنه قول الشاعر:

لقدْ مَرَيْت أخاً ما كانَ يَمْريكا ... لأَنْ هجوتَ أخا صِدقٍ [٤/١٠٠] ومَكْرُمَةٍ[٦]

أي: جحدته. قال المبرد[٧]: يقال: مراه عن حقه، وعلى حقه: إذا منعه منه ودفعه. وقيل: «على» بمعنى «عن»، وقرأ ابن مسعود، والشعبي، ومجاهد، والأعرج: «أفتُمرونه» بضم[٨] التاء من أمريت؛ أي: أتريبونه وتشكون فيه، قال جماعة من المفسِّرين: المعنى على قراءة الجمهور أفتجادلونه، وذلك أنهم جادلوه حين أُسري به، فقالوا: صف لنا مسجد بيت المقدس،؛ أي: أفتجادلونه جدالاً ترومون به دفعه عما شاهده وعلمه.

واللّام في قوله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ هي الموطئة للقسم؛ أي: والله لقد رآه نزلةً أخرى، والنَّزْلَةُ: المرةُ من النزول، فانتصابها[٩] على الظرفية، أو منتصبة على المصدر الواقع موقع الحال؛ أي: رأى جبريل نازلاً نزلةً أخرى، أو على أنه صفة مصدر مؤكد محذوف[١٠]؛ أي: رآه رؤية أخرى.

---

(١) انظر: المصادر المتقدمة.

(٢) «الفريد» (٤/ ٣٧٩)، و«التبيان» (٢/ ١١٨٧).

(٣) «فتح الباري» (٨/ ٤٦٥)، و«التيسير» (ص٢٠٤)، و«النشر» (٢/ ٣٧٩)، و«جامع البيان» (٢٢/ ٢٧). هما قراءتان متواترتان والقراءة المنسوبة إلى ابن مسعود ومَنْ معه بضم التاء قراءة شاذة.

(٤) انظر: المصادر المتقدمة.

(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٢٣).

(٦) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٥/ ٦٣٩) دون نسبة.

(٧) «إعراب القرآن» للنحاس (٢٠/ ٢٤).

(٨) «القراءات الشاذة» (ص١٤٦)، و«روح المعاني» (٢٦/ ١١٧).

(٩) «التبيان» (٢/ ١١٧٨)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٣٣١)، و«الفريد» (٤/ ٣٨٠).

(١٠) انظر: المصادر المتقدمة.

قال جمهور[١] المفسرين: المعنى: أنه رأى محمد جبريل مرّة أخرى، وقيل: رأى محمد ربَّه مرّة أخرى بفؤاده.

﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ الظرف[٢] منتصب بـ ﴿رَءَاهُ﴾، والسِّدْر: هو شجر النَّبق، وهذه السدرة هي في السماء السادسة، كما في الصحيح[٣]، وروي[٤] أنها في السماء السابعة، والمنتهى: مكان الانتهاء، أو هو مصدر ميمي، والمراد به: الانتهاء نفسه، قيل: إليها ينتهي علم الخلائق، ولا يعلم أحد منهم ما وراءها، وقيل: ينتهي إليها ما يعرج به في الأرض، وقيل: تنتهي إليها أرواح الشهداء، وقيل[٥] غير ذلك.

وإضافة الشجرة إلى المنتهى من إضافة الشيء إلى مكانه ﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾؛ أي: عند تلك السدرة جنة تعرف بجنة المأوى، وسميت جنة المأوى لأنه أوى إليها آدم، وقيل: إن أرواح المؤمنين تأوي إليها.

قرأ الجمهور[٦]: «جَنّةُ» برفع جنة على أنها مبتدأ، وخبرها الظرف المتقدّم. وقرأ عليّ، وأبو الدرداء، وأبو هريرة، وابن الزبير، وأنس، وزر بن حبيش، ومحمد بن كعب، ومجاهد، وأبو سبرة الجهني: «جَنَّه» فعلاً ماضياً[٧] من جنّ يجن؛ أي: ضمّه المبيت، أو سترة إيواء الله له.

قال الأخفش[٨]: أدركه، كما تقول: جنّه الليل؛ أي: ستره وأدركه، والجملة في محل نصب[٩] على الحال.

﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ العامل في الظرف رآه أيضاً، وهو ظرف زمان، وَالْذي قبله ظرف مكان، والغشيان بمعنى: التغطية والستر، وبمعنى الإتيان يقال:

---

(١) «الوسيط» (٤/١٩٦)، و«روح المعاني» (٢٦/١١٧ ـ ١١٨).
(٢) «التبيان» (٢/١١٧٨)، و«الفريد» (٤/ ٣٨٠).
(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه» رقم (١٧٣) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.
(٤) أخرجه البخاري رقم (٣٨٨٧)، ومسلم رقم (١٦٢)، وأحمد رقم (١٢٥٠٥).
(٥) «النكت والعيون» (٥/٣٩٦)، و«روح المعاني» (٢٦/١١٩ ـ ١٢٠).
(٦) «البحر المحيط» (١٠/١٣)، و«زاد المسير» (٨/٦٩)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٤/٢٧١).
(٧) «القراءات الشاذة» (ص١٤٦)، و«المحتسب» (٢/٢٩٣)، و«روح المعاني» (٢٦/١٢٠). وهي قراءة شاذة.
(٨) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/١٤٤).
(٩) «الفريد» (٤/ ٣٨٠)، و«التبيان» (٢/١١٨٧).

فلان يغشاني كل حين؛ أي: يأتيني، وفي الإبهام في قوله: ﴿مَا يَغْشَىٰ﴾ من التفخيم[١] ما لا يخفى، وقيل: يغشاها جراد من ذهب[٢]، وقيل: طوائف من الملائكة[٣].

وقال مجاهد[٤]: رفرف أخضر، وقيل: رفرف من طيور خضر، وقيل: غشيها أمر الله، والمجيء بالمضارع لحكاية الحال الماضية استحضاراً للصورة البديعة، أو للدلالة على الاستمرار التجددي[٥].

﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ﴾؛ أي: ما مال بصر النبي ﷺ عمّا رآه ﴿وَمَا طَغَىٰ﴾؛ أي: ما جاوز ما رأى، وفي هذا وصف أدب النبي ﷺ في ذلك المقام، حيث لم يلتفت، ولم يمل بصره، ولم يمده إلى غير ما رأى، وقيل: ما جاوز ما أمر به ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾؛ أي: واللهِ لقد رأى تلك الليلة من آيات ربِّه العظام ما لا يحيط به الوصف، قيل: رأى رفرفاً سدّ الأُفق، وقيل: رأى جبريل في حُلّة خضراء قد ملأ ما بين السماء والأرض له ستمائة جناح، كذا في «صحيح مسلم»، وغيره.

وقال الضحاك[٦]: رأى سدرة المنتهى، وقيل: هو كل ما رآه تلك الليلة في مسراه وعوده، و«من» للتبعيض، ومفعول رأى: الكُبرى، ويجوز أن يكون المفعول محذوفاً؛ أي: رأى شيئًا عظيماً من آيات ربه.

ويجوز أن تكون «من» زائدة.

[السؤال للتوبيخ والتقريع]:

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ لما قصّ الله سبحانه هذه الأقاصيص قال للمشركين: موبخاً لهم ومقرّعاً ﴿أَفَرَءَيْتُمُ﴾؛ أي: أخبروني عن الآلهة التي تعبدونها من دون الله هل لها قدرة توصف بها، وهل أوحت إليكم شيئًا، كما أوحى الله إلى محمد، أم هي جمادات لا تعقل ولا تنفع.

ثم ذكر هذه الأصنام الثلاثة التي اشتهرت في العرب، وعظم اعتقادهم فيها.

---

(١) «الوسيط» (٤/١٩٨).
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/٤٢) عن ابن زيد بسند صحيح.
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/٤٣) عن الربيع بسند ضعيف.
(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/٢٩).
(٥) «روح المعاني» (٢٦/١٢٨ ـ ١٢٩).
(٦) «النكت والعيون» (٥/٣٩٧).

قال الواحدي[(١)] وغيره: وكانوا يشتقون لها أسماء من أسماء الله تعالى، فقالوا: من الله اللّات، ومن العزيز العُزّى، وهي تأنيث الأعزّ بمعنى العزيزة، ومناة من منى الله الشيء إذا قدّره.

قرأ الجمهور[(٢)]: «اللّاتَ» بتخفيف التاء، فقيل: هو مأخوذ من اسم الله سبحانه كما تقدّم، وقيل: أصله: لاتَ يليتُ فالتاء أصلية، وقيل: هي زائدة، وأصله: لوى يلوي؛ لأنهم كانوا يلوون أعناقهم إليها، أو يلتوون عليها، ويطوفون بها.

واختلف القراء هل يوقف عليها بالتاء، أو بالهاء؟ فوقف عليها الجمهور بالتاء، ووقف عليها الكسائي بالهاء، واختار الزجاج[(٣)]، والفراء[(٤)] الوقف بالتاء؛ لاتباع رسم المصحف، فإنها تكتب بالتاء.

وقرأ ابن عباس، وابن الزبير، ومجاهد، ومنصور بن المعتمر، وأبو الجوزاء، وأبو صالح، وحميد: «اللّاتّ» بتشديد[(٥)] التاء، ورويت هذه القراءة عن ابن كثير، فقيل: هو اسم رجل[(٦)] كان يلتّ السويق، ويُطعِمه الحاجَّ، فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه، فهو اسم فاعل في الأصل غلب على هذا الرجل.

قال مجاهد[(٧)]: كان رجلاً في رأس جبل يتخذ من لبنها وسمنها حيساً، ويُطعم الحاج، وكان ببطن نخلة فلما مات عبدوه.

وقال الكلبي[(٨)]: كان رجلاً من ثقيف له صرمة غنم، وقيل: إنه عامر بن الظَّرِب العدواني، وكان هذا الصنم لثقيف، وفيه يقول الشاعر[(٩)]:

---

(١) في «الوسيط» (٤/ ١٩٩).

(٢) «النشر» (٢/ ٣٧٩)، و«زاد المسير» (٨/ ٧١، ٧٢)، و«فتح الباري» (٨/ ٤٧٠)، و«البحر المحيط» (١٠/ ١٥). وهما قراءتان متواترتان.

(٣) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٧٣). (٤) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٩٧).

(٥) «النشر» (٢/ ٣٧٩)، و«فتح الباري» (٨/ ٤٧٠ ـ ٤٧١)، و«التبيان» (٢/ ١١٨٨). والقراءة بتشديد التاء مفتوحة هي قراءة متواترة قرأ بها رويس عن يعقوب، وأما الرواية عن ابن كثير فشاذة. «النشر» (٢/ ٣٧٩).

(٦) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٤٨٥٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٧) ذكره الفاكهي في «أخبار مكة» (٥/ ١٦٤).

(٨) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٠٧). (٩) ذكره هشام الكلبي في «الأصنام» (ص١٧).

لا تنصروا اللاتَ إنَّ اللهَ مُهْلِكُها وكيفَ ينصرُكم مَنْ ليس ينتصرُ

قال في «الصحاح»[(١)]: واللات اسم صنم لثقيف، وكان بالطائف، وبعض العرب يقف عليها بالتاء، وبعضهم بالهاء.

﴿وَٱلْعُزَّىٰ﴾ صنم قريش، وبني كنانة. قال مجاهد[(٢)]: هي شجرة كانت بغطفان، وكانوا يعبدونها، فبعث إليها النبي ﷺ خالد بن الوليد، فقطعها، وقيل: كانت شيطانة تأتي ثلاث سمرات ببطن نخلة.

وقال سعيد بن جبير[(٣)]: العُزّى حجر أبيض كانوا يعبدونه. وقال قتادة[(٤)]: هي بيت كان ببطن نَخْلة.

﴿وَمَنَوٰةَ﴾ صنم بني هلال. وقال ابن هشام[(٥)]: صنم هُذيل وخزاعة.

وقال قتادة[(٦)]: كانت للأنصار. قرأ الجمهور[(٧)]: «مناة» بألف من دون همزة، وقرأ ابن كثير، وابن محيصن، وحُميد، ومجاهد، والسلمي بالمدّ[(٨)] والهمز.

فأما قراءة الجمهور، فاشتقاقها من منَى يَمْني، ؛ أي: صبّ؛ لأن دماء النسائك كانت تُصب عندها يتقرّبون بذلك إليها. وأما على القراءة الثانية، فاشتقاقها من النوء، وهو المطر؛ لأنهم كانوا يستمطرون عندها الأنواء، وقيل: هما لغتان للعرب، ومما جاء على القراءة الأولى قول جرير[(٩)]:

أزيدَ مناةَ تُوْعِدُ يا ابنَ تيمٍ تَأَمَّلْ أينَ تاهَ بك الوعيدُ

ومما جاء على القراءة الأخرى قول الحارثي[(١٠)]:

ألا هل أَتَى التيمَ بنَ عبدِ مناءةٍ على السِّرِّ فيما بينَنَا ابنُ تميمِ

---

(١) في «الصحاح» (٦/ ٢٢٤٩).
(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٣٦ ـ ٣٧).
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٤٩) من طريق ابن حميد، به.
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٥٠) بسند صحيح.
(٥) بل هو هشام بن محمد بن السائب واشتهر بابن الكلبي. وكلامه في «الأصنام» (ص١٣).
(٦) «فتح الباري» (٨/ ٤٧٠)، و«الوسيط» (٤/ ١٩٩).
(٧) «التيسير» (ص٢٠٤)، و«النشر» (٢/ ٣٧٩)، و«البحر المحيط» (١٠/ ١٦)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٩٦).
(٨) انظر: المصادر المتقدمة.
(٩) «النكت والعيون» (٥/ ٣٩٨)، و«ديوان جرير» (١/ ٣٣٢).
(١٠) هَوْبَرٌ الحارثي. «الصحاح» (٦/ ٢٤٩٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٣٧).

وقف جمهور[١] القراء عليها بالتاء اتباعاً لرسم المصحف، ووقف ابن كثير، وابن محيصن عليها بالهاء[٢].

قال في «الصحاح»[٣]: ومناة اسمُ صنمٍ كان بين مكة والمدينة، والهاء للتأنيث، ويسكت عليها بالتاء، وهي لغة.

قوله: ﴿ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ هذا وصف لمناة، وصفها بأنها ثالثة، وبأنها أخرى، والثالثة لا تكون إلّا أخرى. قال أبو البقاء[٤]: فالوصف بالأخرى للتأكيد، وقد استشكل وصف الثالثة بالأخرى، والعرب إنما تصف به الثانية، فقال الخليل[٥]: إنما قال ذلك لوفاق رءوس الآي كقوله: ﴿فِيهَا مَـَٔارِبُ﴾ [طه: ١٨] وقال الحسين بن الفضل[٦]: فيه تقديم وتأخير، والتقدير: أفرأيتم اللات والعزّى الأخرى ومناة الثالثة.

وقيل: إن وصفها بالأُخْرى لقصد التعظيم[٧]؛ لأنها كانت عند المشركين عظيمة، وقيل: إن ذلك للتحقير[٨] والذم، وأَنّ المراد المتأخرة الوضيعة، كما في قوله: ﴿قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ﴾ [الأعراف: ٣٨]؛ أي: وضعاؤهم لرؤسائهم.

ثم كرّر سبحانه توبيخهم[٩] وتقريعهم بمقالة شنعاء قالوها، فقال: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾؛ أي: كيف تجعلون لله ما تكرهون مِنْ الإناث، وتجعلون لأنفسكم ما تحبون من الذكور؟ قيل: وذلك قولهم إن الملائكة بنات الله، وقيل المراد: كيف تجعلون اللّات والعُزّى ومناة، وهي إناث في زعمكم شركاء لله، ومن شأنهم أن يحتقروا الإناث؟

ثم ذكر سبحانه أن هذه التسمية، والقسمة المفهومة من الاستفهام قسمة جائرة،

---

(١) «النشر» (٢/ ١٣٣، ٣٧٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٣٦)، و«التذكرة في القراءات الثمان» (٢/ ٥٦٩ ـ ٥٧٠). الصواب أنَّ العشرة قرأوا بالهاء وقفاً بلا خلاف كما في «النشر» (٢/ ٣٧٩).

(٢) انظر: المصادر المتقدمة.

(٣) «الصحاح» (٦/ ٢٤٩٨ ـ ٢٤٩٩).

(٤) في «التبيان» (٢/ ١١٨٨).

(٥) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٣٧)، و«زاد المسير» (٨/ ٧٣ ـ ٧٤).

(٦) «زاد المسير» (٨/ ٧٣ ـ ٧٤).

(٧) «روح المعاني» (٢٦/ ١٣٢).

(٨) «تفسير الرازي» (٢٨/ ٢٩٦)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٢٢٦).

(٩) «روح المعاني» (٢٦/ ١٣٣)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٢٢٦).

فقال: ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ﴾ قرأ الجمهور[(١)]: «ضِيْزى» بياء ساكنة بغير همزة، وقرأ ابن كثير[(٢)] بهمزة ساكنة، والمعنى: أنها قسمة خارجة عن الصواب جائرة عن العدل مائلة عن الحق.

قال الأخفش[(٣)]: يقال: ضاز في الحكم؛ أي: جار، وضازه حقَّه يضيزه ضيزاً؛ أي: نقصه وبخسه، قال: وقد يهمز، وأنشد:

فإنْ تنْأَ عنْا ننتقصْك وإنْ تغبْ   فحقُّك مضئوزٌ وأنفُك راغِمُ[(٤)]

وقال الكسائي[(٥)]: ضاز يضيز ضيزاً، وضاز يضوز ضوزاً: إذا تعدى وظلم وبَخَس وانتقص، ومنه قول الشاعر:

ضازتْ بنو أسدٍ بِحُكْمِهِمُ   إذْ يجعلون الرأسَ كالذَّنبِ[(٦)]

قال الفراء[(٧)]: وبعض العرب يقول: ضئزى بالهمز، وحكى أبو حاتم[(٨)] عن أبي زيد أنه سمع العرب تهمز ضيزى.

قال البغوي[(٩)]: ليس في كلام العرب فِعْلى بكسر الفاء في النعوت إنما تكون في الأسماء مثل ذِكْرى.

قال المؤرِّج[(١٠)]: كرهوا ضم الضاد في ضيزى، وخافوا انقلاب الياء واواً وهي من بنات الواو، فكسروا الضاد لهذه العلة، كما قالوا في جمع أبيض بيض، وكذا قال الزجاج[(١١)].

وقيل: هي مصدر كذكرى، فيكون المعنى: قسمة ذات جور وظلم.

---

(١) «التيسير» (ص٢٠٤)، و«النشر» (١/ ٣٩٥) (٢/ ٣٧٩)، و«جامع البيان» (٢٢/ ٢٢ ـ ٥١)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٩٥).

(٢) انظر: المصادر المتقدمة.

(٣) ذكره الجوهري في «الصحاح» (٣/ ٨٨٣).

(٤) «تهذيب اللغة» (١٢/ ٥٢)، و«الصحاح» (٣/ ٨٨٣).

(٥) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٣٨).

(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٣٨) بدون نسبة.

(٧) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٩٨).

(٨) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٣٨).

(٩) في «تفسيره» (٧/ ٤٠٨).

(١٠) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٣٨).

(١١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٧٣).

[الأصنام مجرد أسماء وليس فيها من معنى الألوهية شيء]:

ثم ردّ سبحانه عليهم بقوله: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾؛ أي: ما الأوثان أو الأصنام[1] باعتبار ما تدعونه من كونها آلهة [٤/١٠١] إلّا أسماء محضة ليس فيها شيء من معنى الألوهية التي تدعونها؛ لأنها لا تبصر ولا تسمع، ولا تعقل ولا تفهم، ولا تضر ولا تنفع، فليست إلّا مجرّد أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم، قلّد الآخرُ فيها الأولَ، وتبع في ذلك الأبناء الآباء، وفي هذا من التحقير لشأنها ما لا يخفى، كما تقول في تحقير رجل: ما هو إلّا اسم إذا لم يكن مشتملاً على صفة مُعْتبرة، ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ﴾ [يوسف: ٤٠] يقال: سميته زيداً وسميته بزيد، فقوله: ﴿سَمَّيْتُمُوهَآ﴾ صفة لأصنام، والضمير يرجع إلى الأسماء لا إلى الأصنام؛ أي: جعلتموها أسماء لا جعلتم لها أسماء.

وقيل: إن قوله: ﴿هِيَ﴾ راجع إلى الأسماء الثلاثة المذكورة، والأوّل أولى ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾؛ أي: ما أنزل بها من حجة ولا برهان.

قال مقاتل[2]: لم ينزل لنا كتاباً لكم فيه حجة، كما تقولون إنها آلهة.

ثم أخبر عنهم بقوله: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾؛ أي: ما يتبعون فيما ذكر من التسمية، والعمل بموجبها إلّا الظنّ الذي لا يغني من الحق شيئًا، والتفت من الخطاب إلى الغيبة إعراضاً عنهم وتحقيراً[3] لشأنهم، فقال: ﴿وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾؛ أي: تميل إليه، وتشتهيه من غير التفات إلى ما هو الحق الذي يجب الاتباع له.

قرأ الجمهور[4]: «يتبعون» بالتحتية على الغيبة، وقرأ عيسى بن عمر، وأيوب، وابن السميفع بالفوقية[5] على الخطاب، ورويت هذه القراءة عن ابن مسعود، وابن عباس، وطلحة، وابن وثاب.

---

(١) «روح المعاني» (٢٦/١٣٦ ـ ١٣٧)، و«جامع البيان» (٢٢/٥٤).

(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/٣٨) بدون نسبة.

(٣) والالتفات في (يتبعون) إلى الغيبة للإيذان بأنَّ تعداد قبائحهم اقتضى الإعراض عنهم، وحكاية جناياتهم لغيرهم. «روح المعاني» (٢٦/١٣٧)، و«تفسير أبي السعود» (٦/٢٢٨).

(٤) «البحر المحيط» (٩/١٨)، و«تفسير الرازي» (٢٨/٢٠٠)، و«الدر المصون» (٦/٢١٠).

(٥) «البحر المحيط» (٩/١٨)، و«حاشية الجمل» (٤/٢٣١)، و«حاشية الشهاب» (٨/١١٣). القراءة بالتاء الفوقية شاذة.

﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾؛ أي: البيان الواضح الظاهر بأنها ليست بآلهة، والجملة في محل نصب[1] على الحال من فاعل يتبعون، ويجوز أن يكون اعتراضاً، والأوّل أولى. والمعنى: كيف يتبعون ذلك، والحال أن قد جاءهم ما فيه هدًى لهم من عند الله على لسان رسوله الذي بعثه الله بين ظهرانيهم، وجعله من أنفسهم؟!

﴿أَمْ لِلْإِنسَـٰنِ مَا تَمَنَّىٰ﴾ أم هي المنقطعة[2] المقدرة ببل، والهمزة التي للإنكار، فأضرب عن اتباعهم الظنّ الذي هو مجرّد التوهم، وعن اتباعهم هوى الأنفس، وما تميل إليه، وانتقل إلى إنكار أن يكون لهم ما يتمنّون من كون الأصنام تنفعهم، وتشفع لهم.

[الشفاعة لا تقبل إلا بإذن من الله ورضى]:

ثم علَّل انتفاء أن يكون للإنسان ما تمنى بقوله: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْـَٔاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ﴾؛ أي: أن أمور الآخرة والدنيا بأسرها لله ﷻ، فليس لهم معه أمر من الأمور، ومن جملة ذلك أمنياتهم الباطلة، وأطماعهم الفارغة.

ثم أكد ذلك، وزاد في إبطال ما يتمنونه، فقال: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا﴾ وكم هنا هي الخبرية المفيدة للتكثير، ومحلها الرفع[3] على الابتداء، والجملة بعدها خبرها، ولما في كم من معنى التكثير جمع الضمير في شفاعتهم مع إفراد الملَك.

والمعنى: التوبيخ[4] لهم بما يتمنّون، ويطمعون فيه من شفاعة الأصنام مع كون الملائكة مع كثرة عبادتها، وكرامتها على الله لا تشفع إلّا لمن أذن أن يشفع له، فكيف بهذه الجمادات الفاقدة للعقل والفهم؟ وهو معنى قوله: ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ﴾ لهم بالشفاعة ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ أن يشفعوا له ﴿وَيَرْضَىٰٓ﴾ بالشفاعة له لكونه من أهل التوحيد وليس للمشركين في ذلك حظّ، ولا يأذن الله بالشفاعة لهم ولا يرضاها؛ لكونهم ليسوا من المستحقين لها.

---

(١) «روح المعاني» (٢٦/ ١٣٧).

(٢) «الفريد» (٤/ ٣٨٤)، و«روح المعاني» (٢٦/ ١٣٨).

(٣) «الفريد» (٤/ ٣٨٤)، و«التبيان» (٢/ ١١٨٩).

(٤) «روح المعاني» (٢٦/ ١٣٨)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٢٢٨).

وقد أخرج ابن جرير[١] عن ابن عباس ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ قال: إذا انصبّ.

وأخرج ابن المنذر[٢] عنه قال: هو الثريا إذا تدلّت.

وأخرج عنه[٢] أيضاً قال: أقسم الله أن ما ضلّ محمد، ولا غوى.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه[٣] أيضاً في قوله: ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ قال: ذو خَلْقٍ حسن.

[رأى النبي ﷺ جبريل في صورته مرتين]:

وأخرج أحمد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والطبراني، وأبو الشيخ في «العظمة» عن ابن مسعود[٤]: «أن رسول الله ﷺ لم ير جبريل في صورته إلّا مرّتين، أما واحدة: فإنه سأله أن يراه في صورته فأراه صورته، فسدّ الأفق، وأما الثانية: فإنه كان معه حيث صعد، فذلك قوله: ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾»، ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ قال: خَلق جبريل.

وأخرج ابن جرير، وأبو الشيخ عنه[٥] أن النبيّ ﷺ قال: «رأيت جبريل عند سدرة المنتهى له ستمائة جناح»، وأخرجه أحمد عنه أيضاً.

وأخرج ابن المنذر[٦] عن ابن عباس ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ قال: مطلع الشمس.

وأخرج البخاري، ومسلم، وغيرهما عن ابن مسعود[٧] في قوله: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ قال: «رأى النبيّ ﷺ جبريل له ستُّمائة جناح».

وأخرج الفريابي، وعبد بن حميد، والترمذي وصححه، وابن جرير، وابن المنذر، والطبراني، وأبو الشيخ في «العظمة»، والحاكم وصححه، وابن مردويه،

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٥) بسند صحيح.
(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٤٠).
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ١٠)، وابن أبي حاتم ـ كما في «الإتقان» (٢/ ٤٥) ـ بسند صحيح.
(٤) أخرجه أحمد رقم (٣٨٦٤)، وابن جرير (٢٢/ ٣٠)، وابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٣/ ٢٥٠) ـ، والطبراني رقم (١٠٥٤٧)، وأبو الشيخ رقم (٣٦٦) بسند ضعيف.
(٥) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٢٥)، وأبو الشيخ رقم (٥٠٣). وهو حديث صحيح.
(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٤٤).
(٧) أخرجه البخاري رقم (٤٨٥٦، ٤٨٥٧)، ومسلم رقم (١٧٤)، والترمذي رقم (٣٢٧٧)، وابن جرير (٢٢/ ١٧)، والبيهقي (٢/ ٣٦٦).

وأبو نعيم، والبيهقي عنه[١] في قوله: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ قال: «رأى رسول الله ﷺ جبريل عليه حُلّتا رفرفٍ أخضرَ، قد ملأ ما بين السماء والأرض».

وأخرج ابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه عن ابن عباس[٢] في قوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ قال: هو محمد ﷺ دنا فتدلى إلى ربه.

وأخرج ابن جرير، وابن مردويه، عنه[٣] قال: دنا ربه فتدلى.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر عن ابن مسعود[٤] في قوله: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ قال: دنا جبريل منه حتى كان قدر ذراع أو ذراعين.

وأخرج الطبراني، وابن مردويه، والضياء في «المختارة» عن ابن عباس[٥] قال: القابَ: القِيد، والقوسين: الذراعين.

وأخرج ابن المنذر، وابن مردويه عن أبي سعيد الخدري[٦] قال: لما أسري بالنبيّ ﷺ اقترب من ربه، فكان قاب قوسين أو أدنى، ألم ترى إلى القوس ما أقربها من الوَتَر.

وأخرج النسائي، وابن المنذر، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس[٧] ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ قال: عبده محمد ﷺ.

وأخرج مسلم، والطبراني، وابن مردويه، والبيهقي في «الأسماء والصفات» عنه[٨] في قوله: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ قال: رأى محمد ربَّه بقلبه مرّتين.

---

(١) أخرجه الترمذي رقم (٣٢٨٣)، وابن جرير (٢٢/ ٢٥)، والطبراني رقم (٩٠٥٠)، وأبو الشيخ رقم (٣٤٣)، والحاكم (٢/ ٤٦٨، ٤٦٩)، والبيهقي (٢/ ٣٦٧). وهو حديث صحيح.

(٢) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٤٥)، وأخرجه الطبراني رقم (١١٣٢٨).

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ١٤) بسند صحيح.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ١٦).

(٥) أخرجه الطبراني رقم (١٢٦٠٣)، و«الضياء» (١٠/ ٤٤ رقم ٣٩)، وصحح إسناده الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٨/ ٦١٠).

(٦) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٤٥ ـ ٦٤٦).

(٧) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» رقم (١١٥٣٨)، وابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٢٠) بسند صحيح.

(٨) أخرجه أحمد رقم (١٩٥٦)، ومسلم رقم (١٧٦/ ٢٨٥)، والطبراني رقم (١١٤٥٥، ١٢٦٤١)، والبيهقي رقم (٩٢٦).

=

وأخرج نحوه عنه[(١)] عبد بن حميد، والترمذي وحسنه، وابن جرير، وابن المنذر، والطبراني، وابن مردويه.

وأخرج ابن مردويه[(٢)] عن أنس قال: رأى محمد ربه.

وأخرج ابن مردويه[(٢)] عن ابن عباس أن النبيّ ﷺ رأى ربه بعينه.

وأخرج الطبراني، وابن مردويه عنه[(٣)] قال: رأى محمد ربه مرّتين مرّة ببصره، ومرّة بفؤاده.

وأخرج الترمذي وحسنه، والطبراني، وابن مردويه، والبيهقي[(٤)] عنه أيضاً قال: لقد رأى النبي ﷺ ربه ﷻ.

وأخرج النسائي، والحاكم وصححه، وابن مردويه عنه[(٥)] أيضاً قال: أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم، والكلام لموسى، والرؤية لمحمد؟ وقد روي نحو هذا عنه من طرق.

وأخرج مسلم، والترمذي، وابن مردويه عن أبي ذرّ[(٦)] قال: «سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ قال: نور أنَّى أراه؟».

وأخرج مسلم، وابن مردويه عنه[(٧)]: «أنه سأل رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ قال: رأيتُ نوراً».

= قال ابن كثير في «تفسيره» (١٣/ ٢٥٦): وكذا قال أبو صالح والسُّدي وغيرهما، إنه رآه بفؤاده مرتين، وقد خالفه ابن مسعود وغيره، وفي رواية عنه أنّه أطلق الرؤية، وهي محمولة على المقيدة بالفؤاد. ومن روى عنه بالبصر فقد أغرب، فإنه لا يصح في ذلك شيء عن الصحابة ﷺ، وقول البغوي في «تفسيره»: وذهب جماعة إلى أنَّه رآه بعينه ـ وهو قول أنس والحسن وعكرمة ـ فيه نظر، والله أعلم. «معالم التنزيل» (٧/ ٤٠٣).

(١) أخرجه الترمذي رقم (٣٢٨١)، وابن جرير (٢٢/ ٢٤)، والطبراني رقم (١٢٩٤١)، ومسلم رقم (١٧٦/ ٢٨٤).

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٤٧).

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» رقم (١٢٥٦٤)، وفي «الأوسط» رقم (٥٧٦١).
وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٧٩): رجاله رجال الصحيح خلا جمهور بن منصور الكوفي، وجمهور بن منصور ذكره ابن حبان في «الثقات».

(٤) أخرجه الترمذي رقم (٣٢٨٠)، والطبراني رقم (١٠٧٢٧)، والبيهقي رقم (١٢٣). وهو حديث صحيح.

(٥) أخرجه النسائي في «الكبرى» رقم (١١٥٣٩)، والحاكم (٢/ ٤٦٩).

(٦) أخرجه مسلم في «صحيحه» رقم (١٧٨/ ٢٩١)، والترمذي رقم (٣٢٨٢).

(٧) أخرجه مسلم في «صحيحه» رقم (١٧٨/ ٢٩٢).

وأخرج عبد بن حميد، والنسائي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه[١] أيضاً قال: رأى رسول الله ﷺ ربه بقلبه، ولم يره ببصره.

وأخرج مسلم عن أبي هريرة[٢] في قوله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ قال: جبريل.

وأخرج أحمد، وعبد بن حميد، ومسلم، والترمذي، وابن المنذر، وابن مردويه، والبيهقي عن ابن مسعود[٣] قال: «لما أسري برسول الله ﷺ انتهى إلى سدرة المنتهى، وهي في السماء السادسة ينتهي ما يُعرج من الأرواح، فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها، فيقبض منها» ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ قال: فراش من ذهب.

وأخرج أبو الشيخ في «العظمة» عن ابن مسعود[٤] قال: «الجنة في السماء السابعة العليا، والنار في الأرض السابعة السفلى».

وأخرج البخاري، وغيره عن ابن عباس[٥] قال: كان اللّاتُ رجلاً يلتّ السويق للحاجّ.

وأخرج الطبراني، وابن مردويه عنه[٦] أن العُزى كانت ببطن نخلة، وأن اللات كانت بالطائف، وأن مناة كانت بقُديد.

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس[٧] ﴿ضِيزَىٰٓ﴾ قال: جائرة لا حقّ فيها.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٣/ ٢٦٣) ـ في إسناده هشيم وهو ثقة إلا أنّه كثير التدليس وقد عنعن.
ومتنه هو مخالف لما ثبت في «الصحيح» عن أبي ذر رضي الله عنه.
وأخرجه النسائي في «السنن الكبرى» رقم (١١٥٣٦) وحكمه كسابقه.

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» رقم (١٧٥)، والبيهقي (٢/ ٣٧١).

(٣) أخرجه أحمد رقم (٣٦٦٥)، ومسلم رقم (١٧٣)، والترمذي رقم (٣٢٧٦)، وابن جرير رقم (٢٢/ ٣٤، ٤١)، والبيهقي (٢/ ٣٧٢ ـ ٣٧٣).

(٤) أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» رقم (٦٠٢) بسند ضعيف.

(٥) أخرجه البخاري رقم (٤٨٥٩)، وابن جرير (٢٢/ ٤٨).

(٦) أخرجه الطبراني رقم (١٢١٠٦)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١١٥) فيه أبو شيبة، وهو ضعيف.

(٧) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٥٣) بسند ضعيف.

[يتركون الحق ويستغنون عنه بالأوهام والظنون]:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ
إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا
﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا
فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾﴾.

[من هم المحسنون]:

﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم
مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ أَفَرَءَيْتَ
ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى
صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا
سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ
﴿٤٢﴾﴾.

قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ﴾؛ أي: أن هؤلاء الذين لا يؤمنون بالبعث، وما بعده من الدار الآخرة، وهم الكفار يضمّون إلى كفرهم مقالة شنعاء، وجهالةً جهلاء، وهي أنهم يُسمّون الملائكة المنزهين عن كل نقص تسمية الأنثى، وذلك أنهم زعموا أنها بنات الله، فجعلوهم إناثاً، وسموهم بنات.

﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ﴾ هذه الجملة في محل نصب على الحال(١)؛ أي: يسمونهم هذه التسمية، والحال أنّهم غير عالمين بما يقولون، فإنهم لم يعرفوهم، ولا شاهدوهم، ولا بُلِّغ إليهم ذلك من طريق من الطرق التي يخبر المخبرون عنها، بل قالوا ذلك جهلاً وضلالةً وجرأة.

وقُرئ: «ما لهم بها»؛ أي: بالملائكة، أو التسمية.

---

(١) «روح المعاني» (٢٦/ ١٤٠).

[الظن المجرد لا يقوم مقام العلم]:

﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾؛ أي: ما يتبعون في هذه المقالة إلّا مجرّد الظنّ، والتوهم.

ثم أخبر سبحانه عن الظنّ وحكمه، فقال: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾؛ أي: إن جنس الظنّ لا يغني من الحق شيئًا من الإغناء، والحقّ هنا: العلم. وفيه دليل [٤/١٠٢] على أن مجرّد الظن لا يقوم مقام العلم، وأن الظانّ غير عالم.

وهذا في الأمور التي يحتاج فيها إلى العلم، وهي المسائل العلمية؛ لا فيما يكتفي فيه بالظنّ، وهي المسائل العملية، وقد قدّمنا تحقيق هذا. ولا بدّ من هذا التخصيص، فإن دلالة العموم والقياس وخبر الواحد، ونحو ذلك ظنية، فالعمل بها عمل بالظن، وقد وجب علينا العمل به في مثل هذه الأمور، فكانت أدلة وجوب العمل به فيها مخصصة لهذا العموم، وما ورد في معناه من الذمّ؛ لمن عمل بالظن؛ والنهي عن اتباعه.

﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا﴾؛ أي: أعرض عمَّن أعرض عن ذكرنا، والمراد بالذكر هنا القرآن، أو ذكر الآخرة، أو ذكر الله على العموم.

وقيل: المراد بالذكر هنا الإيمان، والمعنى: اترك مجادلتهم، فقد بلغت إليهم ما أمرت به، وليس عليك إلّا البلاغ، وهذا منسوخ(١) بآية السيف.

﴿وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾؛ أي: لم يرد سواها، ولا طلب غيرها بل قصر نظره عليها، فإنه غير متأهل للخير، ولا مستحقّ للاعتناء بشأنه.

ثم صغّر سبحانه شأنهم وحقّر أمرهم، فقال: ﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾؛ أي: إن ذلك التولي وقصر الإرادة على الحياة الدنيا هو مبلغهم من العلم ليس لهم غيره، ولا يلتفتون إلى سواه من أمر الدين.

قال الفرّاء(٢): أي: ذلك قدر عقولهم، ونهاية علمهم أَنْ آثروا الدنيا على الآخرة، وقيل: الإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى جعلهم للملائكة بنات الله، وتسميتهم لهم تسمية الأنثى، والأوّل أولى.

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٤١)، و«الوسيط» للواحدي (٤/ ٢٠١).

(٢) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٠٠).

والمراد بالعلم هنا: مُطلق الإدراك الذي يندرج تحته الظنّ الفاسد، والجملة مستأنفة لتقرير جهلهم واتباعهم مجرّد الظن، وقيل: معترضة بين المعلَّل والعلة وهي قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾؛ فإن هذا تعليل للأمر بالإعراض، والمعنى: أنه سبحانه أعلم بمن حاد[١] عن الحق وأعرض عنه ولم يهتد إليه، وأعلم بمن اهتدى فقبل الحق، وأقبل إليه وعمل به، فهو مجاز كل عامل بعمله، إن خيراً، فخير وإن شرّاً فشرّ.

وفيه تسليةٌ لرسول الله ﷺ وإرشاد له بأن لا يُتعب نفسَه في دعوة مَنْ أصرّ على الضلالة، وسبقت له الشقاوة، فإن الله قد علم حال هذا الفريق الضال، كما علم حال الفريق الراشد.

ثم أخبر سبحانه عن سعة قدرته، وعظيم ملكه، فقال: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: هو المالك لذلك، والمتصرّف فيه لا يشاركه فيه أحد، واللام في: ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟﴾ متعلقة بما[٢] دلّ عليه الكلام، كأنه قال: هو مالك ذلك يضلّ من يشاء، ويهدي من يشاء ليجزي المسيء بإساءته، والمحسن بإحسانه.

وقيل: إن قوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ معترضة، والمعنى: إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله، وهو أعلم بمن اهتدى ليجزي، وقيل: هي لام[٣] العاقبة؛ أي: وعاقبة أمر الخلق الذين فيهم المحسن، والمسيء أن يجزي الله كلاً منهما بعمله.

وقال مكي[٤]: إن اللام متعلقة بقوله: ﴿لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ﴾ [النجم: ٢٦] وهو بعيد من حيث اللفظ، ومن حيث المعنى.

قرأ الجمهور[٥]: «ليجزي» بالتحتية. وقرأ زيد بن عليّ[٦] بالنون، ومعنى ﴿بِٱلْحُسْنَى﴾؛ أي: بالمثوبة الحُسنى، وهي الجنّة، أو بسبب أعمالهم الحسنى.

---

(١) «روح المعاني» (٢٦/ ١٤٠)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٢٢٩).
(٢) «التبيان» (٢/ ١١٨٩)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٢٠).
(٣) «الفريد» (٤/ ٣٨٤ ـ ٣٨٥)، و«زاد المسير» (٨/ ٧٥).
(٤) في «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٣٣٢).
(٥) «البحر المحيط» (١٠/ ٢٠)، و«الدر المصون» (٦/ ٢١١).
(٦) «روح المعاني» (٢٦/ ١٤٣)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٢٢٩). القراءة بالنون في كلمة (نجزي) شاذة.

[الكبائر كل ذنب توعد الله عليه بالنار]:

ثم وصف هؤلاء المحسنين، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ﴾ فهذا الموصول[١] في محل نصب على أنه نعت للموصول الأوّل في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ﴾ وقيل: بدل منه، وقيل: بيان له، وقيل: منصوب[٢] على المدح بإضمار أعني، أو في محل رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هم الذين يجتنبون كبائر الإثم.

قرأ الجمهور[٣]: «كبائر» على الجمع. وقرأ حمزة، والكسائي، والأعمش، ويحيى بن وثّاب: «كبير» على الإفراد[٤]، والكبائر: كلُّ ذنب توعد الله عليه بالنار، أو ذمّ فاعله ذمّاً شديداً، ولأهل العلم في تحقيق الكبائر كلام طويل. وكما اختلفوا في تحقيق معناها، وماهيتها اختلفوا في عددها، والفواحش جمع فاحشة: وهي ما فَحُش من كبائر الذنوب كالزنا، ونحوه.

وقال مقاتل[٥]: كبائر الإثم كل ذنب ختم بالنار، والفواحش: كل ذنب فيه الحد، وقيل: الكبائر: الشرك، والفواحش: الزنا، وقد قدّمنا في سورة النساء ما هو أبسط من هذا، وأكثر فائدة، والاستثناء[٦] بقوله: ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَۚ﴾ منقطع، وأصل اللمم في اللغة[٧] ما قلّ وصغر، ومنه ألمّ بالمكان: قلّ لبثه فيه، وألمّ بالطعام: قلّ أكله منه.

قال المبرد[٨]: أصل اللمم: أن تلمّ بالشيء من غير أن تركبه يقال: ألم بكذا إذا قاربه ولم يخالطه.

قال الأزهري[٩]: العرب تستعمل الإلمام في معنى الدنوّ والقرب، ومنه قول جرير[١٠]:

---

(١) «الفريد» (٤/ ٣٨٥)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٣٣٢)، و«التبيان» (٢/ ١١٨٩).
(٢) انظر: المصادر المتقدمة.
(٣) «التيسير» (ص١٩٥)، و«النشر» (٢/ ٣٦٧ ـ ٣٦٨)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٥٣)، و«زاد المسير» (٨/ ٧٥).
(٤) انظر: المصادر المتقدمة.
(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٤٢).
(٦) «روح المعاني» (٢٦/ ١٤٤ ـ ١٤٥)، و«حاشية الشهاب» (٨/ ١١٥).
(٧) «الصحاح» (٥/ ٢٠٣٢ ـ ٢٠٣٣)، و«تهذيب اللغة» (١٥/ ٣٤٣).
(٨) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٤٦ ـ ٤٧)، و«الوسيط» (٤/ ٢٠٢).
(٩) في «تهذيب اللغة» (١٥/ ٣٤٣ ـ ٣٤٤).
(١٠) تقدم ذكره.

بِـنـفـسِـي مَـنْ تَـجـنَّـبَـهُ عـزيـزٌ ... عـلـيَّ ومَـنْ زيـارتُـه لِـمَـامُ

وقول الآخر:

مـتـى تـأتِـنـا تُـلْـمِـمْ بـنـا فِـي ديـارِنـا ... تـجـدْ حَـطَـبـاً جَـزْلاً ونـاراً تَـأَجَّـجَـاً

قال الزجاج[1]: أصل اللمم والإلمام: ما يعمله الإنسان المرّة بعد المرّة، ولا يتعمق فيه، ولا يقيم عليه، يقال: ألممتُ به: إذا زرته، وانصرفت عنه، ويقال: ما فعلته إلّا لماماً وإلماماً؛ أي: الحين بعد الحين، ومنه إلمام الخيال. قال الأعشى[2]:

ألـمَّ خـيـالٌ مِـنْ قُـتـيـلـةِ بـعـدَ مـا ... وَهَـى حَـبْـلـها مِـنْ حَـبْـلـنـا فـتـصـرَّمـا

قال في «الصحاح»[3]: ألمّ الرجل من الممم وهو صغائر الذنوب، ويقال: هو مقاربة المعصية من غير مواقعة، وأنشد غيره:

بزينبَ أَلْمِمْ قبلَ أنْ يرحلَ الرَّكْبُ ... وقُلْ إِنْ تَملَّينا فما مَلَّكِ القلبُ[4]

وقد اختلفت أقوال أهل العلم في تفسير هذا اللمم المذكور في الآية، فالجمهور[5] على أنه صغائر الذنوب، وقيل: هو ما كان دون الزنا من القُبلة، والغمزة، والنظرة، وقيل: هو الرجل يلم بذنب، ثم يتوب، وبه قال مجاهد[6]، والحسن[7]، والزهري[8]، وغيرهم، ومنه:

إنْ تـغـفـرِ الـلَّـهُـمَّ تَـغْـفـرْ جـمّـا ... وأيُّ عـبـدٍ لـك لا ألـمَّـا[9]

اختار هذا القول الزجاج[10]، والنحاس[11]، وقيل: هو ذنوب الجاهلية، فإن الله لا يؤاخذ بها في الإسلام، وقال نفطويه[12]: هو أن يأتي بذنب لم يكن له

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٧٤ ـ ٧٥).

(٢) «ديوان الأعشى» (ص٥٥).

(٣) في «الصحاح» (٥/ ٢٠٣٢).

(٤) قائله: نُصَيْب بن رباح. وهو في «ديوانه» (ص٦٠).

(٥) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٤٤)، و«الوسيط» (٤/ ٢٠٢).

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٦٤) بسند صحيح.

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٦٤ ـ ٦٥) بسند صحيح.

(٨) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٤٥).

(٩) قائله أمية بن أبي الصلت. «ديوانه» (ص٥٨).

(١٠) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٧٤ ـ ٧٥).

(١١) في «إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ٢٧٤).

(١٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٤٦).

بعادة. قال: والعرب تقول: ما تأتينا إلّا إلماماً؛ أي: في الحين بعد الحين، قال[١]: ولا يكون أن يلمّ ولا يفعل؛ لأنَّ العرب لا تقول ألمّ بنا إلّا إذا فعل، لا إذا همّ ولم يفعل، والراجح الأول.

وجملة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِۚ﴾ تعليل لما تضمنه الاستثناء؛ أي: إن ذلك وإن خرج عن حكم المؤاخذة، فليس يخلو عن كونه ذنباً يفتقر إلى مغفرة الله، ويحتاج إلى رحمته، وقيل: إنّه سبحانه يغفر لمن تاب عَنْ ذنبه.

ثم ذكر سبحانه إحاطة علمه بأحوال عباده، فقال: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: خلقكم منها في ضمن خلق أبيكم آدم. وقيل: المراد آدم، فإنه خلقه من طين.

﴿وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ﴾؛ أي: هو أعلم بأحوالكم وقت كونكم أجِنّة، والأجنة: جَمْعُ جَنين وهو الولد ما دام في البطن، سُمّي بذلك لاجتنانه؛ أي: استتاره، ولهذا قال: ﴿فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْۖ﴾ فلا يسمى من خرج عن البطن جنيناً، والجملة مستأنفة؛ لتقرير ما قبلها.

﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْۖ﴾؛ أي: لا تمدحوها ولا تبرئوها عن الآثام ولا تثنوا عليها خيراً، فإن ترك تزكية النفس أبعد من الرياء، وأقرب إلى الخشوع.

وجملة: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾: مستأنفة مقررة للنهي؛ أي: هو أعلم بمن اتقى عقوبة الله، وأخلص العمل له.

قال الحسن[٢]: وقد علم سبحانه من كل نفس ما هي عاملة، وما هي صانعة، وإلى ما هي صائرة.

ثم لما بيّن سبحانه جهالة المشركين على العموم خصّ بالذمّ بعضهم[٣] فقال: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ﴾؛ أي: تولّى عن الخير، وأعرض عَنْ اتباع الحق ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ﴾؛ أي: أعطى عطاءً قليلاً، أو أعطى شيئًا قليلاً، وقطع ذلك وأمسك عنه، وأصل أكدى: من الكُدية[٤] وهي الصلابة، يقال لمن حفر بئراً ثم بلغ فيها إلى حجر لا يتهيأ له فيه حفر: قد أكدى، ثم استعملته العرب لمن أعطى فلم يتمّ، ولمن طلب

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٤٦). (٢) «النكت والعيون» (٥/ ٤٠٢).

(٣) «أسباب النزول» للواحدي (ص٤٢٢ ـ ٤٢٣)، و«المحرر الوجيز» (١٥/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧).

(٤) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٧٠٤)، و«الصحاح» (٦/ ٢٤٧١).

شيئًا فلم يبلغ آخره، ومنه قول الحطيئة[١]:

فأعطى قليلاً ثم أَكْدَى عطاؤه   وَمَنْ يبذلِ المعروفَ في الناسِ يُحْمَدِ

قال الكسائي[٢]، وأبو زيد[٣]، ويقال: كدِيت أصابعه: إذا محلت من الحفر، وكدت يده: إذا كلَّت، فلم تعمل شيئًا، وكَدَتِ الأرض: إذا قلّ نباتها، وأكديتُ الرجل عن الشيء رددته، وأكدى الرجل: إذا قلّ خيره.

قال الفراء[٤]: معنى الآية: أمسك من العطية وقطع. وقال المبرد[٥]: منع منعاً شديداً.

[واختلفوا فيمن نزلت]:

قال مجاهد[٦]، وابن زيد[٧]، ومقاتل[٨]: نزلت في الوليد بن المغيرة، وكان قد اتبع رسول الله ﷺ على دينه، فعيّره بعضُ المشركين، فترك ورجع إلى شركه. قال مقاتل[٩]: كان الوليد مدح القرآن، ثم أمسك عنه، فأعطى قليلاً من لسانه من الخير ثم قطعه.

وقال الضحاك[١٠]: نزلت في النضر بن الحارث. وقال محمد بن كعب[١١] القرظي: نزلت في أبي جهل.

﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾ الاستفهام للتقريع والتوبيخ[١٢]، والمعنى: أعند هذا المكدِي علم ما غاب عنه من أمر العذاب فهو يعلم ذلك؟ ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾؛ أي: ألم يُخبر، ولم يحدّث بما في صحف موسى؟ يعني: أسفاره، وهي التوراة، وبما في صحف إبراهيم الذي وفى؛ أي: تمم وأكمل ما أمر به.

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٥١)، ولم نقف عليه في «ديوان الحطيئة».
(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٥١).   (٣) «الصحاح» (٦/ ٢٤٧١).
(٤) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٠٠).
(٥) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢٠٣).
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٧١ ـ ٧٢) بسند صحيح.
(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٧٢) بسند صحيح.
(٨) «معالم التنزيل» (٧/ ٤١٤)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص٤٢٣).
(٩) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ٤١٤).
(١٠) «زاد المسير» (٨/ ٧٨)، و«معالم التنزيل» (٧/ ٤١٤)، و«الوسيط» (٤/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤).
(١١) انظر: المصادر المتقدمة.   (١٢) «الوسيط» (٤/ ٢٠٣).

قال المفسرون[1]: أي: بلّغ قومه ما أُمر به وأدّاه إليهم، وقيل: بالغ في الوفاء بما عاهد الله عليه.

ثم بيّن سبحانه ما في صحفهما، فقال: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾؛ أي: لا تحمل نفس حاملة حمل نفس أخرى، ومعناه: لا تُؤخذ نفس بذنب غيرها، وأَنْ هي المخففة[2] من الثقيلة، واسمها ضمير شأن مقدّر، وخبرها الجملة بعدها، ومحل الجملة[3] الجرّ على أنها بدل من صحف موسى وصحف إبراهيم، أو الرفع على أنها خبر مبتدأ محذوف، وقد مضى تفسير هذه الآية في سورة الأنعام ﴿وَأَن لَّيْسَ [٤/ ١٠٣] لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ عطف على قوله: ﴿أَلَّا تَزِرُ﴾ وهذا أيضاً مما في صحف موسى.

[الخاص لا ينسخ العام بل يخصصه]:

والمعنى: ليس له إلّا أجر سعيه، وجزاء عمله، ولا ينفع أحداً عملُ أحد، وهذا العموم مخصوص بمثل قوله سبحانه: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١]، وبمثل ما ورد في شفاعة الأنبياء، والملائكة للعباد، ومشروعية دعاء الأحياء للأموات، ونحو ذلك، ولم يصب مَنْ قال: إن هذه الآية منسوخة[4] بمثل هذه الأمور؛ فإن الخاصّ لا ينسخ العام بل يُخصّصه، فكل ما قام الدليل على أن الإنسان ينتفع به، وهو من غير سعيه كان مُخصصاً لما في هذه الآية مِنْ العموم.

﴿وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ﴾؛ أي: يُعرض عليه ويكشف له يوم القيامة ﴿ثُمَّ يُجْزَىٰهُ﴾؛ أي: يُجزى الإنسان سعيه، يقال: جزاه الله بعمله، وجزاء على عمله، فالضمير[5] المرفوع عائد إلى الإنسان، والمنصوب إلى ﴿سَعْيَهُۥ﴾.

وقيل: إن الضمير[6] المنصوب راجع إلى الجزاء المتأخر وهو قوله: ﴿ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾ فيكون الضمير راجعاً إلى متأخر عنه هو مفسر له.

ويجوز أَنْ يكون الضمير[6] المنصوب راجعاً إلى الجزاء الذي هو مصدر

---

(١) «روح المعاني» (٢٦/ ١٥٣)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٢٣١).
(٢) «التبيان» (٢/ ١١٨٩ ـ ١١٩٠)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٣٣٣)، و«الفريد» (٤/ ٣٨٦).
(٣) انظر: المصادر المتقدمة.
(٤) «جامع البيان» (٢٢/ ٨٠)، و«الناسخ والمنسوخ» (٣/ ٣٦).
(٥) «الفريد» (٤/ ٣٨٦)، و«التبيان» (٢/ ١١٩٠)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٣٣٣).
(٦) انظر: المصادر المتقدمة.

يجزاه، ويجعل الجزاء الأوفى تفسيراً للجزاء المدلول عليه بالفعل، كما في قوله: ﴿اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [المائدة: ٨] قال الأخفش(١): يقال: جزيته الجزاء، وجزيته بالجزاء سواءً لا فرق بينهما.

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾؛ أي: المرجع والمصير إليه سبحانه لا إلى غيره، فيجازيهم بأعمالهم.

وقد أخرج ابن مردويه(٢) عن ابن عباس في قوله: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰئِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَٰحِشَ﴾ قال: الكبائر ما سمّى الله فيه النار، والفواحش: ما كان فيه حدّ الدنيا.

وأخرج البخاري، ومسلم، وغيرهما عن ابن عباس(٣) قال: ما رأيت شيئًا أشبه باللّمم مما قال أبو هريرة عن النبيّ ﷺ قال: «إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة، فزنا العين: النظر، وزنا اللسان: النطق، والنفس تتمنى وتشتهي، والفرج يصدّق ذلك، أو يكذبه».

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، والحاكم وصححه، والبيهقي في «الشعب» عن ابن مسعود(٤) في قوله: ﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾ قال: زنا العينين: النظر، وزنا الشفتين: التقبيل، وزنا اليدين: البطش، وزنا الرجلين: المشي، ويصدّق ذلك الفرج، أو يكذبه، فإن تقدم بفرجه كان زانياً، وإلّا فهو اللّمم.

وأخرج مُسّدّد، وابن جرير، وابن أبي حاتم عن أبي هريرة(٥) أنه سئل عن قوله: ﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾ قال: هي: النظرة، والغمزة، والقبلة، والمباشرة، فإذا مسّ الختان الختان، فقد وجب الغسل، وهو الزنا.

وأخرج سعيد بن منصور، والترمذي وصححه، والبزار، وابن جرير، وابن

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٥٦).

(٢) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٥٥).

(٣) أخرجه البخاري رقم (٦٣٤٣، ٦٦١٢)، ومسلم رقم (٢٠/ ٢٦٥٧)، وأحمد رقم (٧٧١٩)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٥٣)، وابن جرير (٢٢/ ٦٢)، والبيهقي (٧/ ٨٩).

(٤) أخرجه عبد الرزاق (٢/ ٢٥٥)، وابن جرير (٢٢/ ٦٢)، والحاكم (٢/ ٤٧٠)، والبيهقي رقم (٧٠٦٠) بسند صحيح.

(٥) أخرجه مسدد ـ كما في «المطالب العالية» رقم (٤١٢٣) ـ، وابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٦٣) من طريق عبد الله بن عثمان بن خثيم بن عمرو القاري، به.

المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «الشعب» عن ابن عباس(١) قال في قوله: ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ هو: الرجل يلم بالفاحشة، ثم يتوب منها. قال: وقال رسول الله ﷺ:

إنْ تغفرِ اللَّهُمَّ تغفرْ جمّاً وأيُّ عبدٍ لك لا ألمّا

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه(٢) في قوله: ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ يقول: إلّا ما قد سلف.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «الشعب» عن أبي هريرة(٣) في قوله: ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ قال: اللمة من الزنا ثم يتوب ولا يعود، واللمة من شرب الخمر ثم يتوب ولا يعود، فذلك الإلمام.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير عن ابن عباس(٤) قال: اللّمم كل شيء بين الحدّين حدّ الدنيا وحدّ الآخرة يكفره الصلاة، وهو دون كلّ موجب، فأما حدّ الدنيا، فكلّ حدّ فرض الله عقوبته في الدنيا؛ وأما حدّ الآخرة، فكلّ شيء ختمه الله بالنار، وأخّر عقوبته إلى الآخرة.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه، وأبو نعيم في المعرفة عن ثابت بن الحارث الأنصاري(٥) قال: كانت اليهود إذا هلك لهم صبيّ صغير قالوا: هو صدّيق، فبلغ ذلك النبيّ ﷺ فقال: «كذبت يهود ما من نسمة يخلقها في بطن أمها إلّا أنه شقيّ، أو سعيد، فأنزل الله عند ذلك ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ الآية كلها».

---

(١) أخرجه الترمذي رقم (٣٢٨٤)، والبزار في «مسنده» رقم (٢٢٦٢ ـ كشف)، وابن جرير (٢٢/ ٦٣ ـ ٦٤)، وابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٣/ ٢٧٣ ـ ٢٧٤) ـ والحاكم (٢/ ٤٦٩)، والبيهقي رقم (٧٠٥٥، ٧٠٥٦). وهو حديث صحيح.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٦٠) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٦٤)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٧٠٥٨، ٧٠٥٩) بسند منقطع، الحسن لم يسمع من أبي هريرة.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٦٥) بسند ضعيف.

(٥) أخرجه الطبراني رقم (١٣٦٨)، وأبو نعيم (١/ ٤٠٤ رقم ١٣٦٣)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص٢٩٧، ٢٩٨).

وأخرج أحمد، ومسلم، وأبو داود عن زينب بنت أبي سلمة(١) أنها سُمِّيت: بَرّة، فقال رسول الله ﷺ: «لا تزكّوا أنفسَكم الله أعلم بأهل البرّ منكم سموها زينب».

وأخرج ابن مردويه(٢) عن ابن عباس في قوله: ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ﴾ قال: قطع، نزلت في العاص بن وائل.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عنه(٣) قال: أطاع قليلاً ثم انقطع.

وأخرج سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والشيرازي في «الألقاب»، والديلمي قال السيوطي(٤): بسند ضعيف عن أبي أمامة(٥) عن النبي ﷺ قال: «أتدرون ما قوله: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: وفَّى عمل يومه بأربع ركعات كان يُصليهنّ، وزعم أنها صلاة الضحى»، وفي إسناده جعفر بن الزبير، وهو ضعيف.

وأخرج الحاكم وصحّحه، وابن مردويه عن ابن عباس(٦) قال: سهام الإسلام ثلاثون سهماً لم يتممها أحد قبل إبراهيم ﵇ قال الله: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾.

وأخرج ابن جرير(٧) عنه في الآية قال: يقول: إبراهيم الذي استكمل الطاعة فيما فعل بابنه حين رأى الرؤيا، والذي في صحف موسى، ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ إلى آخر الآية.

وأخرج ابن أبي حاتم(٨) عن سهل بن معاذ بن أنس، عن أبيه، عن

---

(١) أخرجه مسلم رقم (٢١٤٢)، وأبو داود رقم (٤٩٥٣)، وابن سعد (٨/ ٤٦١) ولم يعزه السيوطي في «جمع الجوامع» رقم (٤٥٢٥١، ٤٥٢٦٠) لأحمد.

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٥٩).

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٧٢) بسند ضعيف.

(٤) في «الدر المنثور» (٧/ ٦٥٩).

(٥) أخرجه عبد بن حميد ـ كما في «فتح الباري» (٨/ ٦٠٥) ـ، وابن جرير (٢/ ٥٠٧، ٥٠٨) و(٢٢/ ٧٨)، وابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٣/ ٢٧٨) ـ، وابن مردويه ـ كما في «تخريج أحاديث الكشاف» (٣/ ٣٨٤) ـ، والديلمي في «مسنده» (٤/ ٤٠٣) بسند ضعيف.

(٦) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٧٠)، وابن جرير (٢٢/ ٧٧) من طريق داوود بن أبي هند، به.

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٧٦) بسند ضعيف.

(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٧٨)، والطبراني (ج٢٠ رقم ٤٢٨)، وابن عدي في «الكامل» (٣/ ١٠١١)، وابن عساكر في «تاريخه» (٦/ ٢١٢).

رسول الله ﷺ أنه قال: «ألا أخبركم لم سمى الله إبراهيم خليله الذي وفى؟ إنه كان يقول كلما أصبح، وأمسى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ [الروم: ١٧] إلى آخر الآية»، وفي إسناده ابن لَهِيعة.

وأخرج عبد بن حميد، والحاكم وصححه، وابن مردويه عن ابن عباس[(١)]. قال: لما نزلت ﴿وَٱلنَّجْمِ﴾ فبلغ ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ قال: وفي ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾.

وأخرج أبو داود، والنحاس كلاهما في الناسخ، وابن جرير، وابن المنذر، وابن مردويه[(٢)] عنه قال: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ فأنزل الله بعد ذلك: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١]، فأدخل الله الأبناء الجنة بصلاح الآباء.

وأخرج ابن مردويه[(٣)] عنه أيضاً قال: كان رسول الله ﷺ إذا قرأ: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾ استرجع واستكان.

وأخرج الدارقطني في «الأفراد»، والبغوي في «تفسيره» عن أبيّ بن كعب[(٤)] عن النبيّ ﷺ في قوله: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ قال: لا فكرةَ في الربِّ.

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ﴿٦٢﴾﴾.

قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾؛ أي: هو الخالق لذلك والقاضي بسببه. قال

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٧٠).
(٢) أخرجه النحاس (ص٦٨٩)، وابن جرير (٢٢/ ٨٠) بسند صحيح.
(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٦٢).
(٤) أخرجه البغوي في «تفسيره» (٧/ ٤١٧).

الحسن[1]، والكلبي[2]: أضحك أهل الجنة في الجنة، وأبكى أهل النار في النار.

وقال الضحاك[3]: أضحك الأرض بالنبات، وأبكى السماء بالمطر، وقيل: أضحك مَنْ شاء في الدنيا بأن سرّه، وأبكى من شاء بأن غمّه.

وقال سهل بن عبد الله[4]: أضحك المطيعين بالرحمة، وأبكى العاصين بالسخط.

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾؛ أي: قضى أسباب[5] الموت والحياة، ولا يقدر على ذلك غيره، وقيل: خلق نفس الموت والحياة، كما في قوله: ﴿خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ [الملك: ٢] وقيل: أمات الآباء، وأحيا الأبناء، وقيل: أمات في الدنيا وأحيا للبعث، وقيل: المراد بهما: النوم واليقظة.

وقال عطاء[6]: أمات بعدله وأحيا بفضله، وقيل: أمات الكافر وأحيا المؤمن، كما في قوله: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾ المراد: بالزوجين: الذكر، والأنثى من كل حيوان، ولا يدخل في ذلك آدم، وحوّاء، فإنّهما لم يخلقا من النطفة والنطفة الماء القليل.

ومعنى ﴿إِذَا تُمْنَىٰ﴾ إذ تُصبّ في الرحم وتدفق فيه، كذا قال الكلبي[7]، والضحاك، وعطاء بن أبي رباح، وغيرهم[7]، يقال: مَنَي الرجل وأَمْنى؛ أي: صب المنيّ.

وقال أبو عبيدة[8] ﴿إِذَا تُمْنَىٰ﴾ إذا تُقدّر، يقال: مَنيت[9] الشيء: إذا قدّرته ومُني له؛ أي: قُدّر له، ومنه قول الشاعر[10]:

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/٥٨)، وعزاه البغوي في «تفسيره» (٧/٤١٨) إلى مجاهد والكلبي.
(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/٢٠٤).
(٣) «الوسيط» (٤/٢٠٤)، و«معالم التنزيل» (٧/٤١٨).
(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/٥٨ ـ ٥٩).
(٥) قاله ابن بحر. كما في «النكت والعيون» (٥/٤٠٤).
(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/٥٩).
(٧) «النكت والعيون» (٥/٤٠٤).
(٨) في «مجاز القرآن» (٢/٢٣٨).
(٩) «الصحاح» (٦/٢٤٩٧).
(١٠) قائله سويد بن عامر المصطلقي.

حتى تلاقيَ ما يَمْنِي لك الماني[(١)]

والمعنى: أنه يقدّر منها الولد.

﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ﴾؛ أي: إعادة الأرواح إلى الأجسام عند البعث وفاء بوعده. قرأ الجمهور[(٢)]: «النَّشْأة» بالقصر بوزن الضربة، وقرأ ابن كثير[(٣)]، وأبو عمرو بالمدّ بوزن الكفالة، وهما على القراءتين مصدران.

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾؛ أي: أغنى مَنْ شاء وأفقر مَنْ شاء، ومثله قوله: ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الرعد: ٢٦].

وقوله: ﴿يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ﴾ [البقرة: ٢٤٥] قاله ابن زيد[(٤)]، واختاره ابن جرير[(٥)]. وقال مجاهد[(٦)]، وقتادة[(٧)]، والحسن[(٨)]: أغنى: موّل، وأقنى: أخدم، وقيل: معنى أقنى: أعطى القنية، وهي ما يتأثّل من الأموال. وقيل: معنى أقنى: أرضى بما أعطى؛ أي: أغناه ثم رضّاه بما أعطاه[(٩)].

قال الجوهري[(١٠)]: قِنَى الرجل قِنًى، مثل غِنَى غِنًى؛ أي: أعطاه ما يقتني، وأقناه أرضاه، والقِنى: الرضىٰ. قال أبو زيد[(١١)]: تقول العرب من أُعطى مائةً من البقر فقد أُعطى القنى، ومن أُعطى مائة من الضأن فقد أُعطى الغنى، ومن أعطى مائة من الإبل فقد أعطى المُنى.

---

(١) وصدر البيت:
لا تأمَنَنْ وإن أمسيت في حَرمٍ
«الصحاح» (٦/ ٢٤٩٧)، و«تهذيب اللغة» (١٥/ ٥٣٠).
(٢) «التيسير» (ص١٧٣)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ١٧٨)، و«النشر» (٢/ ٣٤٣)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٢٥).
(٣) انظر: المصادر المتقدمة.
(٤) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٤/ ٢٧٩).
(٥) في «جامع البيان» (٢٢/ ٨٣).
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٨٣) بسند ضعيف.
(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٨٣) بسند صحيح.
(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٨٣) بسند حسن.
(٩) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٨٤) بسند صحيح عن ابن عباس.
(١٠) في «الصحاح» (٦/ ٢٤٦٨). (١١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٦١).

قال الأخفش[١]، وابن كيسان[٢]: [٤/١٠٤] أقنى: أفقر، وهو يؤيد القول الأوّل.

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ﴾ هي كوكب خلف الجوزاء، كانت خزاعة تعبدها، والمراد بها: الشعرى التي يقال لها: العبور، وهي أشدّ ضياء من الشعرى التي يقال لها: الغميصاء.

وإنما ذكر سبحانه أنه ربّ الشعرى مع كونه ربّاً لكلّ الأشياء؛ للردّ على من كان يعبدها، وأوّل مَنْ عبدها أبو كبشة، وكان من أشراف العرب، وكانت قريش تقول لرسول الله ﷺ: ابنُ أبي كبشة تشبيهاً له به لمخالفته دينهم، كما خالفهم أبو كبشة، ومن ذلك قول أَبي سفيان يوم الفتح: لقد أَمِر أَمْر ابن أبي كبشة.

﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ﴾ وصف عاداً بالأولى لكونهم كانوا من قبل ثمود.

قال ابن زيد[٣]: قيل لها: عاداً الأولى: لأنهم أوّل أمة أُهلكت بعد نوح. وقال ابن إسحاق[٤]: هما عادان، فالأولى أهلكت بالصَّرْصَر، والأخرى أُهلكت بالصيحة. وقيل: عاد الأولى: قوم هود، وعاد الأخرى: إرم.

قرأ الجمهور[٥]: «عاداً الأولى» بالتنوين والهمز، وقرأ نافع، وابن كثير، وابن محيصن بنقل حركة الهمزة على اللام، وإدغام التنوين[٦] فيها.

﴿وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبۡقَىٰ﴾؛ أي: أهلك ثموداً كما أهلك عاداً، فما أبقى أحداً من الفريقين، وثمود هم قوم صالح أُهلكوا بالصيحة.

---

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ٤١٩).
(٢) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ٤١٩).
(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٦٧).
(٤) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٤/ ٢٨٠).
(٥) «التيسير» (ص٢٠٤)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٢٧)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (ص٢٩٦)، و«جامع البيان» (٢٢/ ٨٧).
(٦) انظر: المصادر المتقدمة. قرأ نافع وأبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب بنقل حركة الهمزة إلى اللّام فتقرأ (لولىٰ) ثم أدغموا التنوين في اللّام، واختص قالون عَنْ نافع بهمز الواو مع هذا النقل في وجه عنه فيقرأها (لؤلىٰ) إلّا إذا ابتدأ نقل بدون فلا يهمز وقرأ باقي العشرة بدون نقل فاللّام ساكنة، ولذا يكسرون التنوين لالتقاء الساكنين وهي قراءة ابن كثير المتواترة، وما عزاه له الإمام الشوكاني من النقل فهو نقل شاذ.ا.هـ. انظر: «تخريج القراءات في فتح القدير» (ص٣٨٩).

وقد تقدّم الكلام على عاد، وثمود في غير موضع.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ﴾؛ أي: وأهلك قوم نوح من قبل إهلاك عاد، وثمود ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾؛ أي: أظلم من عاد وثمود وأطغى منهم، أو أظلم وأطغى من جميع الفرق الكفرية أو أظلم وأطغى مِنْ مشركي العرب، وإنما كانوا كذلك؛ لأنهم عتوا على الله بالمعاصي مع طول مدة دعوة نوح لهم، كما في قوله: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت: ١٤].

﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ﴾ الائتفاك: الانقلاب، والمؤتفكة مدائن قوم لوط، وسُميت المؤتفكة لأنها انقلبت بهم وصار عاليها سافلها، تقول: أفكْتَه إذا قلبته، ومعنى أهوى: أَسْقط؛ أي: أهواها جبريل بعد أن رفعها.

قال المبرِّد[(١)]: جعلها تهوي.

﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾؛ أي: ألبسها ما ألبسها مِنْ الحجارة التي وقعت عليها، كما في قوله: ﴿فَجَعَلْنَا عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الحجر: ٧٤] وفي هذه العبارة تهويل[(٢)] للأمر الذي غشاها به، وتعظيم له، وقيل: إن الضمير راجع إلى جميع الأمم المذكورة؛ أي: فغشاها من العذاب ما غشّى على اختلاف أنواعه.

﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾ هذا خطاب للإنسان المكذِّب؛ أي: فبأي نعم ربك أيها الإنسان المكذب تشكك وتَمْتري.

وقيل: الخطاب لرسول الله ﷺ تعريضاً[(٣)] لغيره، وقيل: لكلّ من يصلح له، وإسناد فعل التماري إلى الواحد باعتبار تعدّده بحسب تعدد متعلقه، وسمى هذه الأمور المذكورة آلاء؛ أي: نعماً مع كون بعضها نقماً لَا نعماً؛ لأنها مشتملة على العِبر والمواعظ، ولكون فيها انتقام من العصاة، وفي ذلك نصرة للأنبياء والصالحين.

قرأ الجمهور[(٤)]: «تتمارى» من غير إدغام، وقرأ يعقوب، وابن محيصن

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٦٤).
وانظر: «الصحاح» (٦/ ٢٥٣٧ ـ ٢٥٣٨).

(٢) «روح المعاني» (٢٦/ ١٦٨)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٢٣٣).

(٣) «روح المعاني» (٢٦/ ١٦٨ ـ ١٦٩).

(٤) «النشر» (١/ ٣٠٠)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٢٨)، و«الدر المصون» (٦/ ٧٠).

بإدغام[١] إحدى التاءين في الأخرى.

﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾؛ أي: هذا محمد رسول إليكم من الرسل المتقدّمين قبله، فإنه أنذركم، كما أنذروا قومهم، كذا قال ابن جُريج، ومحمد بن كعب، وغيرهما.

وقال قتادة[٢]: يريد القرآن، وأنَّه أنذر بما أنذرت به الكتب الأولى، وقيل: هذا الذي أخبرنا به عن أخبار الأمم تخويف لهذه الأمة من أن ينزل بهم ما نزل بأولئك، كذا قال أبو مالك[٣].

وقال أبو صالح[٤]: إن الإشارة بقوله: ﴿هَٰذَا﴾ إلى ما في صحف موسى، وإبراهيم، والأوّل أولى.

﴿أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ﴾ أي: قربت الساعة ودنت، سماها آزفة لقرب قيامها، وقيل: لدنوّها من الناس، كما في قوله: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ [القمر: ١] أخبرهم بذلك ليستعدّوا لها.

قال في «الصحاح»[٥]: أزفت الْآزفة: يعني: القيامة، وأزِفَ الرجل: عجل، ومنه قول الشاعر:

أَزِفَ التَّرَحُّلُ غَيرَ أن رِكَابَنَا ... لَمَّا تَزَلْ بِرِحَالِنا وكَأَنْ قَدِ[٦]

﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾؛ أي: ليس لها نفس قادرة على كشفها عند وقوعها إلّا الله سبحانه، وقيل: كاشفة بمعنى انكشاف، والهاء فيها كالهاء في العاقبة والداهية، وقيل: كاشفة بمعنى كاشف، والهاء للمبالغة كراوية، والأوّل أولى.

وكاشفة صفة لموصوف محذوف، كما ذكرنا، والمعنى: أنه لا يقدر على كشفها إذا غشت الخلقَ بشدائدها، وأهوالها أحد غير الله، كذا قال عطاء، والضحاك، وقتادة[٧]، وغيرهم.

---

(١) «القراءات الشاذة» (ص١٤٧)، و«النشر» (١/ ٣٠٠)، و«روح المعاني» (٢٦/ ١٦٨).
(٢) «النكت والعيون» (٥/ ٤٠٦).
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٩٤) من طريق سفيان، به.
(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٦٥). (٥) في «الصحاح» (٤/ ١٣٣١).
(٦) قائله: النابغة الذبياني. وهو في «ديوانه» (ص٣٨).
(٧) ذكره عنهم البغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٢٠).

ثم وبّخهم سبحانه، فقال: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ﴾ المراد بالحديث: القرآن؛ أي: كيف تعجبون منه تكذيباً ﴿وَتَضْحَكُونَ﴾ منه استهزاءً مع كونه غير محلّ للتكذيب، ولا موضع للاستهزاء ﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾ خوفاً وانزجاراً لما فيه مِنْ الوعيد الشديد.

وجملة: ﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾ في محل نصب[(١)] على الحال، ويجوز أن تكون مستأنفة لتقرير ما فيها، والسمود: الغفلة والسهو عن الشيء، وقال في «الصحاح»[(٢)]: سَمد سُمُوداً رفع رأسه تكبّراً، فهو سامد قال الشاعر:

سوامدُ الليلِ خِفَافُ الأزوادِ[(٣)]

وقال ابن الأعرابي[(٤)]: السُّمود: اللهو، والسامد: اللّاهي، يقال للقَينة: أسمدينا؛ أي: ألهينا بالغناء، وقال المبرِّد[(٥)]: سامدون: خامدون. قال الشاعر:

رَمَى الحدثَانُ نسوَةَ آل عمروٍ ... بمقدارٍ سَمَدْنَ له سمودا
فردَّ شعورهنَّ السودَ بيضاً ... وردَّ وجوهَهُنّ البيضَ سودا[(٦)]

[سجود تلاوة القرآن]:

﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟﴾ لما وبّخ سبحانه المشركين على الاستهزاء بالقرآن، والضحك منه، والسخرية به، وعدم الانتفاع بمواعظه، وزواجره أمر عباده المؤمنين بالسجود لله، والعبادة له، والفاء جواب شرط محذوف؛ أي: إذا كان الأمر من الكفار كذلك، فاسجدوا لله واعبدوا، فإنه المستحق لذلك منكم.

وقد تقدم في فاتحة السورة أن النبي ﷺ سجد عند تلاوة هذه الآية، وسجد معه الكفار، فيكون المراد بها سجود التلاوة، وقيل: سجود الفرض.

وقد أخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[(٧)] في قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾ قال: أعطى وأرضى.

---

(١) «روح المعاني» (٢٦/ ١٧٠). (٢) في «الصحاح» (٢/ ٤٨٩).
(٣) قائله: رؤبة بن العجاج. وهو في «ديوانه» (ص٣٩).
(٤) ذكره الجوهري في «الصحاح» (٢/ ٤٨٩).
(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٦٩).
(٦) انظر: «عيون الأخبار» لابن قتيبة (٣/ ٦٧)، و«معجم الشعراء» (ص١٧٧).
(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٨٤)، وابن أبي حاتم ـ كما في «تغليق التعليق» (٤/ ٣٢٤) ـ، و«الإتقان» (٢/ ٤٥) بسند صحيح.

وأخرج ابن جرير[(١)] عنه ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ﴾ قال: هو الكوكب الذي يدعى الشِّعرى.

وأخرج الفاكهي[(٢)] عنه أيضاً قال: نزلت هذه الآية في خزاعة، وكانوا يعبدون الشِّعرى، وهو الكوكب الذي يتبع الجوزاء.

وأخرج ابن مردويه[(٣)] عنه أيضاً في قوله: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾ قال: محمد ﷺ.

وأخرج ابن جرير[(٤)] عنه أيضاً قال: الآزفة من أسماء القيامة.

وأخرج ابن أبي شيبة، وأحمد في الزهد، وهناد، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن صالح أبي الخليل[(٥)] قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝٥٩ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ﴾ فما ضحك النبي ﷺ بعد ذلك إلّا أن يتبسم. ولفظ عبد بن حميد: فما رؤي النبيّ ﷺ ضاحكاً، ولا متبسماً حتى ذهب من الدنيا.

وأخرج عبد الرزاق، والفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه عن ابن عباس[(٦)] في قوله: ﴿سَٰمِدُونَ﴾ قال: لاهون معرضون عنه.

وأخرج الفريابي، وأبو عبيد في فضائله، وعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا في ذم الملاهي، والبزار، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «سننه»[(٧)]

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢) بسند ضعيف.
(٢) أخرجه الفاكهيُّ (٥/ ١٦٥).
(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٦٦).
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٩٥) بسند صحيح.
(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٣/ ٢٣٤)، وأحمد في «الزهد» ـ كما في «تخريج أحاديث الكشاف» (٣/ ٣٨٦) ـ وهنّاد رقم (١٧٣).
(٦) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٥٥)، وابن جرير (٢٢/ ٩٧) وابن أبي حاتم ـ كما في «الإتقان» (٢/ ٤٥) ـ والطبراني رقم (١١٧٢٢).
وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١١٦) رجاله ثقات.
(٧) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٥٥)، وأبو عبيد (ص٢٠٥)، وعبد بن حميد ـ كما في «تغليق التعليق» (٤/ ٣٢٣) ـ، وابن أبي الدنيا رقم (٣٣)، والبزار في «مسنده» (٢٢٦٤ ـ كشف)، وابن جرير (٢٢/ ٩٧)، والبيهقي (١٠/ ٢٢٣)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١١٦) رجاله رجال الصحيح.

عنه ﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾ قال: الغناء باليمانية، كانوا إذا سمعوا القرآن تغنّوا ولعبوا.

وأخرج الفريابي، وأبو يعلى، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عنه[١] أيضاً في قوله: ﴿سَٰمِدُونَ﴾ قال: كانوا يمرّون على النبيّ ﷺ شامخين، ألم تر إلى البعير كيف يَخطِرُ شامخاً.

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير عن أبي خالد الوالبي[٢] قال: خرج عليّ بن أبي طالب علينا، وقد أقيمت الصلاة، ونحن قيام ننتظره ليتقدّم، فقال: ما لكم سامدون لا أنتم في صلاة ولا أنتم في جلوس تنتظرون؟

---

(١) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» رقم (٢٦٨٥)، وابن جرير (٢٢/ ٩٨) بسند ضعيف.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» رقم (١٩٣٣)، وابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ١٠٠) من طريق سفيان، به.

سورة القمر

ويقال: سورة اقتربت. وهي خمس وخمسون آية.

وهي مكية كلها في قول الجمهور[١]. وقال مقاتل[٢]: هي مكية إلّا ثلاث آيات من قوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾ إلى قوله: ﴿وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ [القمر: ٤٤ ـ ٤٦] قال القرطبي[٣]: ولا يصح.

وأخرج: ابن الضريس، وابن مردويه، والنحاس، والبيهقي في «الدلائل» عن ابن عباس[٤] أنها نزلت بمكة.

وأخرج ابن مردويه[٥] عن ابن الزبير مثله.

وأخرج البيهقي في «الشعب» عن ابن عباس[٦] قال: اقتربت تُدعى في التوراة المُبيِّضة تُبيّض وجه صاحبها يوم تبيض الوجوه. قال البيهقي: مُنكر.

وأخرج ابن الضريس عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة[٧] رفعه: «من قرأ ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ [القمر: ١] في كل ليلتين بعثه الله يوم القيامة، ووجهه كالقمر ليلة البدر».

وأخرج ابن الضريس[٨] نحوه عن ليث بن معن عن شيخ من همدان رفعه. وقد تقدم أن النبي ﷺ كان يقرأ بقاف، واقتربت الساعة في الأضحى، والفطر.

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٧١).
(٢) «النكت والعيون» (٥/ ٤٠٨).
(٣) في «تفسيره» (٢٠/ ٧١).
(٤) أخرجه ابن الضريس رقم (١٧، ١٨)، والبيهقي (٧/ ١٤٢ ـ ١٤٣).
(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٦٩).
(٦) أخرجه البيهقي في «الشعب» رقم (٢٤٩٥).
(٧) أخرجه ابن الضريس رقم (٢٢٤).
(٨) أخرجه ابن الضريس رقم (٢٢٤).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[من مشاهد يوم القيامة]:

﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ١ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ٢
وَكَذَّبُواْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَكُلُّ أَمۡرٖ مُّسۡتَقِرّٞ ٣ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّنَ ٱلۡأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ
مُزۡدَجَرٌ ٤ حِكۡمَةُۢ بَٰلِغَةٞۖ فَمَا تُغۡنِ ٱلنُّذُرُ ٥ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡۘ يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيۡءٖ
نُّكُرٍ ٦ خُشَّعًا أَبۡصَٰرُهُمۡ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ كَأَنَّهُمۡ جَرَادٞ مُّنتَشِرٞ ٧ مُّهۡطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِۖ يَقُولُ
ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَسِرٞ ٨﴾.

[عاقبة المكذبين من قوم نوح وعاد وثمود وآل فرعون وقوم لوط]:

﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ فَكَذَّبُواْ عَبۡدَنَا وَقَالُواْ مَجۡنُونٞ وَٱزۡدُجِرَ ٩ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ١٠
فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ١١ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ ١٢ وَحَمَلۡنَٰهُ
عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ١٣ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ ١٤ وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ ءَايَةٗ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ١٥
فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ١٦ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ١٧﴾ [١٠٥/٤].

قولُه: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾؛ أي: قربت، ولا شك أنها قد صارت باعتبار نسبة ما بقي بعد قيام النبوّة المحمدية إلى ما مضى من الدنيا قريبة. ويمكن أنْ يقال: إنها لما كانت متحققة الوقوع لا محالة كانت قريبة، فكلّ آتٍ قريبٌ.

﴿وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾؛ أي: وقد انشقّ القمر، وكذا قرأ حذيفة بزيادة قد، والمراد الانشقاق الواقع في أيام النبوّة معجزةً لرسول الله ﷺ، وإلى هذا ذهب الجمهور من السلف والخلف.

قال الواحدي(١): وجماعة المفسرين على هذا إلّا ما روى عثمان بن عطاء عن أبيه أنه قال: المعنى: سينشقّ القمر، والعلماء كلُّهم على خلافه. قال: وإنما ذكر اقتراب الساعة مع انشقاق القمر؛ لأن انشقاقه من علامات نبوّة محمد ﷺ، ونبوّته وزمانه من أشراط اقتراب الساعة.

(١) في «الوسيط» (٢٠٦/٤).

قال ابن كيسان[(١)]: في الكلام تقديم، وتأخير؛ أي: انشقّ القمر، واقتربت الساعة.

وحكى القرطبي[(٢)] عن الحسن مثل قول عطاء أنه الانشقاق الكائن يوم القيامة. وقيل: معنى ﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾: وضح الأمرُ وظهر، والعرب تضرب بالقمر المثل فيما وضح، وقيل[(٣)]: انشقاق القمر هو انشقاق الظلمة عنه، وطلوعه في أثنائها، كما يسمى الصبح فلقاً لانفلاق الظلمة عنه.

قال ابن كثير[(٤)]: قد كان الانشقاق في زمان رسول الله ﷺ، كما ثبت ذلك في الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة. قال: وهذا أمر متفق عليه بين العلماء أن انشقاق القمر قد وقع في زمان النبي ﷺ، وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات.

قال الزجاج[(٥)]: زعم قوم عَنَدوا عَنْ القصد، وما عليه أهل العلم أن تأويله أن القمر ينشقّ يوم القيامة، والأمر بيّن في اللفظ، وإجماع أهل العلم، لأن قوله: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ يدلّ على أن هذا كان في الدنيا لا في القيامة انتهى، ولم يأت مَنْ خالف الجمهور، وقال إن الانشقاق سيكون يوم القيامة إلّا بمجرد استبعاد، فقال: لأنه لو انشق في زمن النبوّة لم يبق أحد إلّا رآه؛ لأنه آية والناس في الآيات سواء.

ويجاب عنه بأنه لا يلزم أن يراه كل أحد لا عقلاً، ولا شرعاً، ولا عادة، ومع هذا، فقد نُقل إلينا بطريق التواتر، وهذا بمجرده يدفع الاستبعاد، ويضرب به في وجه قائله.

والحاصل: أنا إذا نظرنا إلى كتاب الله، فقد أخبرنا بأنه انشقّ، ولم يخبرنا بأنه سينشق، وإن نظرنا إلى سُنَّة رسول الله ﷺ، فقد ثبت في الصحيح، وغيره من طرق متواترة أنه قد كان ذلك في أيام النبوّة، وإن نظرنا إلى أقوال أهل العلم، فقد اتفقوا على هذا، ولا يلتفت إلى شذوذ مَنْ شذّ، واستبعاد من استبعد، وسيأتي ذكر بعض ما ورد في ذلك إن شاء الله.

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٧٣).
(٢) في «تفسيره» (٢٠/ ٧٢).
(٣) «النكت والعيون» (٥/ ٤٠٩).
(٤) في «تفسيره» (١٣/ ٢٨٩).
(٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٨١).

﴿وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةً يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٌ مُّسۡتَمِرٌّ﴾ قال الواحدي[١]: قال المفسِّرون: لما انشقّ القمر قال المشركون: سَحرَنا محمد، فقال الله: ﴿وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةً﴾ يعني: انشقاق القمر يُعرضوا عن التصديق والإيمان بها، ويقولوا: سحر قويّ شديد يعلو كلَّ سحر، من قولهم: استمرّ الشيء: إذا قوي واستحكم، وقد قال بأن معنى مستمرّ: قويٌّ شديد، جماعة مِنْ أهل العلم.

قال الأخفش[٢]: هو مأخوذ من إمرار الحبل، وهو شدّة فَتْله، وبه قال أبو العالية[٣]، والضحاك[٤]، واختاره النحاس[٥]، ومنه قول لقيط:

حتى استمرَّ على شرٍّ مَرِيرتُه ... صِدْقُ العزيمةِ لا رتّاً ولا ضَرَعا[٦]

وقال الفراء[٧]، والكسائي[٨]، وأبو عبيدة[٩]: ﴿سِحۡرٌ مُّسۡتَمِرٌّ﴾؛ أي: ذاهب، من قولهم مرّ الشيء، واستمرّ إذا ذهب، وبه قال قتادة[١٠]، ومجاهد[١١]، وغيرهما، واختاره النحاس[١٢].

وقيل: معنى مستمرّ: دائم مُطّرد، ومنه قول الشاعر:

ألا إنَّما الدنيا ليالٍ وأَعْصُرُ ... وليسَ على شيءٍ قديمٍ بِمُسْتَمِرْ[١٣]

أي: بدائم باق، وقيل: مستمرّ: باطل، روي هذا عن أبي عبيدة[١٤] أيضاً. وقيل[١٥]: يشبه بعضه بعضاً، وقيل: قد مرّ من الأرض إلى السماء، وقيل: هو من المرارة يقال: مرّ الشيء صار مُرًّا؛ أي: مستبشع عندهم. وفي هذه الآية أعظم دليل على أن الانشقاق قد كان، كما قررناه سابقاً.

---

(١) في «الوسيط» (٤/ ٢٠٦ ـ ٢٠٧).
(٢) «النكت والعيون» (٥/ ٤١٠).
(٣) «معالم التنزيل» (٧/ ٤٢٦)، و«زاد المسير» (٨/ ٨٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٧٤).
(٤) انظر: المصادر المتقدمة.
(٥) في «إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ٢٨٥).
(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ١٣، ٧٤).
(٧) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٠٤).
(٨) «النكت والعيون» (٥/ ٤١٠).
(٩) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٧٤).
(١٠) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ١٣) بسند صحيح.
(١١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ١٣) بسند صحيح.
(١٢) في «إعراب القرآن» (٤/ ٢٨٥).
(١٣) قائله: امرئ القيس. وهو في «ديوانه» (ص١٠٩).
(١٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٧٥).
(١٥) انظر: هذه الأقوال في «النكت والعيون» (٥/ ٤١٠).

ثم ذكر سبحانه تكذيبهم، فقال: ﴿وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ﴾؛ أي: وكذّبوا رسولَ الله، وما عاينوا من قدرة الله، واتبعوا أهواءهم، وما زيّنه لهم الشيطان الرجيم، وجملة: ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾ مستأنفة لتقرير بطلان ما قالوه من التكذيب، واتباع الأهواء؛ أي: وكل أمرٍ من الأمور منته إلى غاية، فالخير يستقرّ بأهل الخير، والشرّ يستقر بأهل الشرّ.

قال الفرّاء[١]: يقول: يستقرّ قرار تكذيبهم، وقرار قول المصدّقين حتى يعرفوا حقيقته بالثواب والعقاب.

قال الكلبي[٢]: المعنى لكل أمر حقيقة ما كان منه في الدنيا فسيظهر، وما كان منه في الآخرة فسيعرف.

قرأ الجمهور[٣]: «مُستقِرّ» بكسر القاف، وهو مرتفع على أنه خبر المبتدأ وهو كلٌّ. وقرأ أبو جعفر، وزيد بن علي[٤] بجر «مستقرٍّ» على أنه صفة الأمر، وقرأ شيبة[٥] بفتح القاف، ورويت هذه القراءة عن نافع. قال أبو حاتم[٦]: ولا وجه لها، وقيل: لها وجه بتقدير مضاف محذوف؛ أي: وكل أمر ذو استقرار، أو زمان استقرار، أو مكان استقرار، على أنه مصدر، أو ظرف زمان، أو ظرف مكان.

﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾؛ أي: ولقد جاء كفار مكة، أو الكفار على العموم من الأنباء، وهي أخبار الأمم المكذبة المقصوصة علينا في القرآن ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾؛ أي: ازدجار على أنه مصدر ميميّ، يقال زجرته: إذا نهيته عن السوء ووعظته.

ويجوز أن يكون اسم مكان[٧]، والمعنى: جاءهم ما فيه موضع ازدجار؛ أي:

---

(١) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٠٤).

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢٠٧).

(٣) «النشر» (١/ ٤٣٣)، و«التبيان» (٢/ ١١٩٣).

(٤) «المحتسب» (٢/ ٢٩٧)، و«القراءات الشاذة» (ص١٤٧)، و«روح المعاني» (٢٦/ ١٨٥). قراءة أبي جعفر بجر «مستقر» متواترة، وقرأ باقي العشرة بالرفع، وقرأ العشرة بكسر القاف، وفتحها قراءة شاذة، والرواية عن نافع بفتحها رواية شاذة عنه «النشر» (٢/ ٣٨٠).

(٥) «النشر» (١/ ٤٣٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٧٥)، و«روح المعاني» (٢٦/ ١٨٥).

(٦) ذكره الألوسي في «روح المعاني» (٢٦/ ١٨٥).

(٧) «التبيان» (٢/ ١١٩٣)، و«روح المعاني» (٢٦/ ١٨٦).

أنه في نفسه موضع لذلك، وأصله: مزتجر، وتاء الافتعال تُقلب دالاً مع الزاي والدال والذال، كما تقرّر في موضعه، وقرأ زيد بن عليّ[١]: «مزجّر» بقلب تاء الافتعال زاياً وإدغام الزاي في الزاي، ومن في قوله: ﴿مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ﴾ للتبعيض وهي وما دخلت عليه في محل نصب[٢] على الحال.

وارتفاع ﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ﴾ على أنها خبر مبتدأ[٣] محذوف، أو بدل من «ما» بدل كل من كل، أو بدل اشتمال.

والمعنى: أن القرآن حكمة قد بلغت الغاية ليس فيها نقص ولا خلل، وقُرئ بالنصب[٤] على أنها حال من «ما»؛ أي: حال كون ما فيه مزدجر حكمة بالغة.

﴿فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾ «ما» يجوز أن تكون استفهامية، وأن تكون نافية؛ أي: أيّ شيء تغني النذر، أو لم تغن النذر شيئًا، والفاء لترتيب[٥] عدم الإغناء على مجيء الحكمة البالغة، والنذر جمع نذير بمعنى المنذر، أو بمعنى الإنذار على أنه مصدر.

ثم أمره الله سبحانه بالإعراض عنهم، فقال: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾؛ أي: أعرض عنهم حيثُ لم يؤثِّر فيهم الإنذار، وهي منسوخة[٦] بآية السيف.

﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ﴾ انتصاب الظرف إما بفعل مقدّر؛ أي: اذْكر، وإما بيخرجون المذكور بعده، وإما بقوله: ﴿فَمَا تُغْنِ﴾، ويكون قوله: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ اعتراض، أو بقوله: ﴿يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ أو يقوله: ﴿خُشَّعًا﴾ وسقطت[٧] الواو من ﴿يَدْعُ﴾ اتباعاً للفظ، وقد وقعت في الرسم هكذا، وحذفت الياء[٨] من الداع للتخفيف، واكتفاء بالكسرة، والداع هو إسرافيل، والشيء النُّكُر: الأمر الفظيع الذي ينكرونه استعظاماً له لعدم تقدّم العهد لهم بمثله.

---

(١) «البحر المحيط» (١٠/ ٣٥)، و«روح المعاني» (٢٦/ ١٨٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٧٦). وقراءة زيد بن علي بن بلال شاذة. ومخالفة للرسم.
(٢) «الفريد» (٤/ ٣٩٢)، و«التبيان» (٢/ ١١٩٣)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٣٣٥).
(٣) انظر: المصادر المتقدمة.
(٤) «البحر المحيط» (١٠/ ٣٥)، و«النشر» (٢/ ١٣٨). وهي قراءة شاذة.
(٥) «روح المعاني» (٢٦/ ١٨٧)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٢٣٨).
(٦) «روح المعاني» (٢٦/ ١٨٧)، و«زاد المسير» (٨/ ٩٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٧٧).
(٧) «روح المعاني» (٢٦/ ١٨٨)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٣٥)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٢٣٨).
(٨) انظر: المصادر المتقدمة.

قرأ الجمهور[(١)] بضم الكاف.

وقرأ ابن كثير[(٢)] بسكونها تخفيفاً. وقرأ مجاهد، وقتادة بكسر الكاف[(٣)]، وفتح الراء على صيغة الفعل المجهول.

﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ﴾ قرأ الجمهور[(٤)]: «خُشّعاً» جمع خاشع. وقرأ حمزة، والكسائي وأبو عمرو: «خاشعاً» على الإفراد[(٥)]، ومنه قول الشاعر[(٦)]:

وشبابٍ حَسَنٍ أوجهُهُم ... مِنْ إيادِ بنِ نزارِ بنِ معدّ

وقرأ ابن مسعود[(٧)]: «خاشعة».

قال الفراء[(٨)]: الصفة إذا تقدّمت على الجماعة جاز فيها التذكير، والتأنيث، والجمع يعني: جمع التكسير لا جمع السلامة؛ لأنه يكون من الجمع بين فاعلين، ومثل قراءة الجمهور قولُ امرئ القيس[(٩)]:

وُقُوفاً بها صحبي عليَّ مطيُّهم ... يقولونَ لا تهلكْ أسىً وتجمّلِ

وانتصاب[(١٠)] خشعاً على الحال من فاعل يخرجون، أو من الضمير في عنهم، والخشوع في البصر: الخضوع والذلة، وأضاف الخشوع إلى الأبصار؛ لأن العزّ والذلّ يتبين فيها.

﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾؛ أي: يَخْرجون من القبور، وواحد الأجداث جَدَث، وهو القبر، كأنّهم لكثرتهم واختلاط بعضهم ببعض جراد منتشر؛ أي: منبثّ في الأقطار، مختلط بعضه ببعض.

---

(١) «التيسير» (ص٢٠٥)، و«النشر» (٢/ ٢١٦)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٩٧).

(٢) «البحر المحيط» (١٠/ ٣٥)، و«التيسير» (ص٢٠٥)، و«النشر» (٢/ ٢١٦).

(٣) «القراءات الشاذة» (ص١٤٧)، و«المحتسب» (٢/ ٢٩٨)، و«حاشية الشهاب» (٨/ ١٢٢). قراءة مجاهد وقتادة شاذة.

(٤) «البحر المحيط» (١٠/ ٣٦)، و«التيسير» (ص٢٠٥)، و«النشر» (٢/ ٣٨٠)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٩٧).

(٥) انظر: المصادر المتقدمة. وقرأ كذلك على أفراد كلمة «خاشعاً» يعقوب وخلف.

(٦) القائل أبو دؤاد الإيادي. وهو في «ديوانه» (ص٣٠٥).

(٧) «القراءات الشاذة» (ص١٤٧)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٣٦)، و«روح المعاني» (٢٦/ ١٩٠). قراءة ابن مسعود شاذة.

(٨) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٠٥).

(٩) «ديوان امرئ القيس» (ص٩).

(١٠) «التبيان» (٢/ ١١٩٣)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٣٣٦).

﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ﴾ الإهطاع[١]: الإسراعُ؛ أي: حال كونهم مسرعين إلى الداعي، وهو إسرافيل، ومنه قول الشاعر:

بدجلةَ دارُهُم ولقدْ أراهم بدجلةَ مهطعينَ إلى السَّماعِ[٢]

أي: مسرعين إليه، وقال الضحاك[٣]: مقبلين، وقال قتادة[٤]: عامدين. وقال عكرمة[٥]: فاتحين آذانهم إلى الصوت، والأوّل أولى، وبه قال أبو عبيدة، وغيره.

وجملة: ﴿يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ في محل نصب على الحال من ضمير مهطعين، والرابط مقدر، أو مستأنفة جواب سؤال مقدّر؛ كأنه قيل: فماذا يكون حينئذٍ، والعسر: الصعبُ الشديد، وفي إسناد[٦] هذا القول إلى الكفار دليل على أن اليوم ليس بشديد على المؤمنين.

ثم ذكر سبحانه تفصيل بعض ما تقدّم من الأنباء المجملة فقال: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾؛ أي: كذّبوا نبيهم، وفي هذا تسلية لرسول الله ﷺ.

وقوله: ﴿فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا﴾ تفسير لما قبله من التكذيب المبهمِ، وفيه مزيد تقرير، وتأكيد؛ أي: فكذّبوا عبدنا نوحاً، وقيل المعنى: كذبت قوم نوح الرسل، فكذبوا عبدنا نوحاً بتكذيبهم للرسل فإنه منهم.

ثم بيّن سبحانه أنهم لم يقتصروا على مجرّد التكذيب، فقال: ﴿وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ﴾؛ أي: نسبوا نوحاً إلى الجنون، وقوله: ﴿وَٱزْدُجِرَ﴾ معطوف على قالوا؛ أي: وزُجر عَنْ دعوى النبوّة، وعن تبليغ ما أرسل به بأنواع الزجر، والدال بدل من تاء الافتعال، كما تقدّم قريباً، وقيل: إنه معطوف على مجنون؛ أي: وقالوا إنه ازدجر؛ أي: ازدجرته الجنّ، وذهبت بلبه، والأوّل أولى.

قال مجاهد[٧]: هو مِنْ كلام الله سبحانه أخبر عنه بأنه انتهر وزجر بالسبّ وأنواع الأذى.

---

(١) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٨٤٣)، و«تهذيب اللغة» (١/ ١٣٤).
(٢) البيت ليزيد بن مفرِّغ. «النكت والعيون» (٥/ ٤١١).
(٣) «النكت والعيون» (٥/ ٤١٢).
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ١١٩) بسند صحيح.
(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٧٩).
(٦) «روح المعاني» (٢٦/ ١٩٢)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٢٣٨).
(٧) «معالم التنزيل» (٧/ ٤٢٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٨٠).

قال الرازي[(١)]: وهذا أصح؛ لأنّ المقصود: تقوية قلب النبيّ ﷺ بذكر من تقدّمه.

﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ﴾؛ أي: دعا نوح ربَّه على قومه بأني مغلوب من جهة قومي، لتمرّدهم عن الطاعة، وزجرهم لي عن تبليغ الرسالة، [٤/١٠٦] فانتصر لي؛ أي: انتقم لي منهم. طلب من ربه سبحانه النصرة عليهم لما أيس من إجابتهم، وعَلِم تمرّدهم وعتوّهم، وإصرارهم على ضلالتهم.

قرأ الجمهور[(٢)]: «أَنِّي» بفتح الهمزة؛ أي: بأني.

وقرأ ابن أبي إسحاق، والأعمش بكسر الهمزة[(٣)]، ورويت هذه القراءة عن عاصم على تقدير إضمار القول؛ أي: فقال.

ثم ذكر سبحانه ما عاقبهم به فقال: ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾؛ أي: مُنْصبّ انصباباً شديداً، والهمرُ[(٤)]: الصبّ بكثرة، يقال: همر الماء والدمع يَهْمِرُ هَمْراً، وهموراً: إذا كثُر، ومنه قول الشاعر[(٥)]:

أعينيَّ جُوْدَا بالدموعِ الهوامِرِ ... على خيرِ بادٍ مِنْ معدٍّ وحاضرِ

ومنه قول امرئ القيس[(٦)] يصف عيناً:

راح تَمْريه الصَّبا ثمَّ انتحى ... فيه بِشُؤْبُوبِ جَنوبٍ مُنْهَمِرْ

قرأ الجمهور[(٧)]: «فَتَحْنا» مخففاً. وقرأ ابن عامر، ويعقوب بالتشديد[(٨)].

﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾؛ أي: جعلنا الأرض كلَّها عيوناً متفجرة، والأصل: فجرنا عيونَ الأرض.

---

(١) في «تفسيره» (٢٩/ ٣٥ ـ ٣٦).
(٢) «البحر المحيط» (١٠/ ٣٨)، و«زاد المسير» (٨/ ٩٢).
(٣) «القراءات الشاذة» (ص١٤٧)، و«حاشية الجمل» (٤/ ٢٤٣)، و«روح المعاني» (٢٦/ ٢٢١). وهي قراءة شاذة. والرواية عن عاصم شاذة عنه والمتواتر عنه فتح الهمزة.
(٤) «تهذيب اللغة» (٦/ ٢٩٧)، و«الصحاح» (٢/ ٨٥٥ ـ ٨٥٦).
(٥) «النكت والعيون» (٥/ ٤١٢)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٨١).
(٦) «ديوان امرئ القيس» (ص١٤٥).
(٧) «النشر» (٢/ ٢٥٨)، و«المبسوط» (ص٤٢١)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٩٧)، و«زاد المسير» (٨/ ٩٢).
(٨) انظر: المصادر المتقدمة. وهو وجه عَنْ يعقوب وكذا قرأ بها أبو جعفر بتشديد التاء، وقرأ باقي العشرة، ووجه عن يعقوب بالتخفيف.

قرأ الجمهور[١]: «فجّرنا» بالتشديد. وقرأ ابن مسعود، وأبو حيوة، وعاصم في رواية عنه بالتخفيف[٢].

قال عبيد بن عمير[٣]: أوحى الله إلى الأرض أن تخرج ماءها، فتفجرت بالعيون.

﴿فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ عَلَىٰٓ أَمۡرٍ قَدۡ قُدِرَ﴾؛ أي: التقى ماء السماء وماء الأرض على أمر قد قُضي عليهم؛ أي: كائناً على حال قدّرها الله وقضى بها.

وحكى ابن قتيبة[٤] أن المعنى على مقدار لم يزد أحدهما على الآخر، بل كان ماء السماء وماء الأرض على سواء.

قال قتادة[٥]: قُدّر لهم إذا كفروا أن يغرقوا. وقرأ الجَحْدري: «فالتقى[٦] الماآن» وقرأ الحسن[٨]: «فالتقى الماوان» ورويت هذه القراءة عن عليّ بن أبي طالب، ومحمد بن كعب.

﴿وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٍ وَدُسُرٍ﴾؛ أي: وحملنا نوحاً على سفينة ذات ألواح، وهي الأخشاب العريضة ﴿وَدُسُرٍ﴾ قال الزجاج[٧]: هي المسامير التي تشدّ بها الألواح واحدها: دِسار، وكل شيء أدخل في شيء يشدّه فهو الدُّسُر، وكذا قال قتادة، ومحمد بن كعب، وابن زيد، وسعيد بن جبير، وغيرهم[٨].

وقال الحسن[٩]، وشهر بن حوشب، وعكرمة: الدُّسُر: ظهر السفينة التي يضربها الموج، سميت بذلك؛ لأنها تَدْسر الماء؛ أي: تدفعه، والدَّسْر: الدفع.

---

(١) «البحر المحيط» (١٠/ ٣٨)، و«التقريب والبيان» (ص٥٩).
(٢) «القراءات الشاذة» (ص١٤٧)، و«إعراب القراءات الشواذ» (٢/ ٥٢٨). المتواتر قراءة (فجّرنا) بالتشديد، أما التخفيف فهي قراءة شاذة ورواية شاذة عن عاصم.
(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٨١ ـ ٨٢).
(٤) في «تفسير غريب القرآن» (ص٤٣٢).
(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٨٢).
(٦) «القراءات الشاذة» (ص١٤٧)، و«زاد المسير» (٨/ ٩٢)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٨٢).
(٧) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٨٧).
(٨) «النكت والعيون» (٥/ ٤١٢)، و«جامع البيان» (٢٢/ ١٢٣ ـ ١٢٤).
(٩) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٨٢ ـ ٨٣)، و«النكت والعيون» (٥/ ٤١٢)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ٢٨٩)، و«جامع البيان» (٢٢/ ١٢٤).

وقال الليث[١]: الدِّسار خيط تشدّ به ألواح السفينة.

قال في «الصحاح»[٢]: الدِّسار: واحد الدُّسُر وهي خيوط تشدّ بها ألواح السفينة، ويقال: هي المسامير.

﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾؛ أي: بمنظرٍ ومرأى منا وحفظ لها، كما في قوله: ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾ [هود: ٣٧] وقيل: بأمرنا، وقيل: بوحينا، وقيل: بالأعين النابعة من الأرض[٣].

وقيل: بأعين أوليائنا من الملائكة الموكّلين بحفظها.

﴿جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ قال الفراء[٤]: فعلنا به وبهم ما فعلنا من إنجائه، وإغراقهم ثواباً لمن كفر به وجحد أمره، وهو نوح عليه السلام، فإنه كان لهم نعمة كفروها، فانتصاب[٥] (جزاءً) على العلة، وقيل: على المصدرية بفعل مقدّر؛ أي: جازيناهم جزاءً.

قرأ الجمهور[٦]: «كُفِرَ» مبنيّاً للمفعول، والمراد به: نوح. وقيل: هو الله سبحانه، فإنهم كفروا به، وجحدوا نعمته. وقرأ يزيد بن رومان، وقتادة، ومجاهد، وحميد، وعيسى (كَفَر) بفتح الكاف[٧]، والفاء مبنيّاً للفاعل؛ أي: جزاء وعقاباً لمن كفر بالله.

﴿وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ ءَايَةٗ﴾؛ أي: السفينة تركها الله عبرةً للمعتبرين. وقيل المعنى: ولقد تركنا هذه الفعلة التي فعلناها بهم عبرة، وموعظة.

﴿فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾ أصله: مذتكر[٨]، فأبدلت التاء دالاً مهملة، ثم أبدلت المعجمة مهملة لتقاربهما، وأدغمت الدال في الذال، والمعنى: هل من متعظ ومعتبر يتعظ بهذه الآية، ويعتبر بها؟.

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢/ ٨٣).
(٢) في «الصحاح» (٢/ ٦٥٧ ـ ٦٥٨).
(٣) «المحرر الوجيز» (١٤/ ٢٠٨).
(٤) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١١٧).
(٥) «التبيان» (٢/ ١١٩٤)، و«الدر المصون» (٦/ ٢٢٧).
(٦) «البحر المحيط» (١٠/ ٤٠)، و«زاد المسير» (٨/ ٩٤)، و«تفسير الرازي» (٢٩/ ٤١).
(٧) «القراءات الشاذة» (ص١٤٧)، و«المحتسب» (٢/ ٢٩٨)، و«روح المعاني» (٢٦/ ١٩٨). والقراءة بالبناء للفاعل شاذة.
(٨) «البحر المحيط» (١٠/ ٤٠)، و«روح المعاني» (٢٦/ ١٩٨).

﴿فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾؛ أي: إنذاري. قال الفراء[١]: الإنذار والنذر مصدران، والاستفهام للتهويل[٢] والتعجيب؛ أي: كانا على كيفية هائلة عجيبة لا يحيط بها الوصف، وقيل: نُذُر جمع نَذير، ونذير بمعنى الإنذار كنكير: بمعنى الإنكار ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ﴾؛ أي: سهلنّاه للحفظ[٣] وأعنّا عليه مَنْ أراد حفظه، وقيل: هيأناه للتذكر والاتعاظ ﴿فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾؛ أي: متعظ بمواعظه ومعتبر بعبره.

وفي الآية الحثُّ على درس القرآن، والاستكثار من تلاوته، والمسارعة في تعلّمه. ومدّكر أصله: مذتكر، كما تقدّم قريباً.

وقد أخرج البخاري، ومسلم، وغيرهما عن أنس[٤]: «أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حِراء بينهما». وروي عنه من طريق أخرى عند مسلم، والترمذي، وغيرهم[٥] وقال: فنزلت: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾.

وأخرج البخاري، ومسلم، وغيرهما عن ابن مسعود[٦] قال: «انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين: فرقة فوق الجبل، وفرقة دونه، فقال رسول الله ﷺ: اشهدوا».

وأخرج عبدُ بن حميد، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في

---

(١) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٠٧).

(٢) «روح المعاني» (٢٦/ ١٩٩)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٤٠ ـ ٤١).

(٣) أي: سهَّلنا القرآن للحفظ لِمَا اشتمل عليه من حُسنِ النظم، وسلاسة اللفظ، وشرف المعاني وصحتها، وعروِّه عن الوحشي ونحوه، فله تعلُّقٌ بالقلوب وحلاوةٌ في السمع، فهل من طالب لحفظه ليُعان عليه؟

«روح المعاني» (٢٦/ ١٩٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٨٥).

(٤) أخرجه أحمد رقم (١٢٦٨٨، ١٣١٥٤، ١٣٣٠٣)، والبخاري رقم (٣٨٦٨)، وعبد بن حميد رقم (١١٨٢ ـ المنتخب)، ومسلم رقم (٤٧/ ٢٨٠٢)، والترمذي رقم (٣٢٨٦)، وابن جرير (٢٢/ ١٠٣ ـ ١٠٥)، والبيهقي (٢/ ٢٦٢ ـ ٢٦٤)، والنسائي في «تفسيره» رقم (٥٧٤).

(٥) انظر: التعليقة المتقدمة.

(٦) أخرجه البخاري رقم (٣٦٣٦، ٣٨٦٩، ٣٨٧١ ومسلم رقم ٤٣ ـ ٤٥/ ٢٨٠٠)، والترمذي في «التفسير» رقم (٣٢٨٥، ٣٢٨٧)، والنسائي في «التفسير» رقم (٥٧٢، ٥٧٣).

«الدلائل» عنه[١] قال: رأيتُ القمر منشقاً شقتين مرّتين: مرّة بمكة قبل أن يخرج النبيّ ﷺ: شقة على أبي قبيس، وشقة على السويداء.

وذكر أنَّ هذا سبب نزول الآية.

وأخرج أحمد، وعبد بن حميد، وابن جرير، والحاكم وصححه، وابن مردويه، وأبو نعيم[٢] عنه أيضاً قال: رأيت القمر وقد انشقّ، وأبصرت الجبل بين فرجتي القمر. وله طرق عنه.

وأخرج البخاري، ومسلم، وغيرهما عن ابن عباس[٣] قال: انشقّ القمر في زمن النبيّ ﷺ. وله طرق عنه.

وأخرج مسلم، والترمذي، وغيرهما عن ابن عمر[٤] في قوله: «﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ قال: كان ذلك على عهد رسول الله ﷺ انشقّ فرقتين: فرقة من دون الجبل، وفرقة خلفه، فقال النبيّ ﷺ، اللَّهم اشهد».

وأخرج أحمد، وعبد بن حميد، والترمذي، وابن جرير، والحاكم وصححه، وابن مردويه، وأبو نعيم، والبيهقي عن جبير بن مطعم[٥] عن أبيه في قوله: ﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ قال: انشقّ القمر، ونحن بمكة على عهد رسول الله ﷺ حتى صار فرقة على هذا الجبل، وفرقة على هذا الجبل، فقال النّاس: سَحَرنا محمد، فقال رجل: إن كان سحركم، فإنّه لا يستطيع أَنْ يسحر الناس كلهم.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حُميد، وعبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد»، وابن جرير، وابنِ مردويه، وأبو نعيم عن عبد الرحمٰن السلمي[٦] قال: «خطبنا

---

(١) أخرجه أحمد رقم (٣٩٢٤)، وابن جرير (٢٢/١٠٦)، والحاكم (٢/٤٧١)، وصححه ووافقه الذهبي. وهو حديث صحيح.

(٢) انظر: التعليقة المتقدمة.

(٣) أخرجه البخاري رقم (٣٦٣٨، ٣٨٧٠، ٤٨٦٦)، ومسلم رقم (٢٨٠٣)، والبيهقي (٢/٢٦٧).

(٤) أخرجه مسلم رقم (٢٨٠١)، والترمذي رقم (٢١٨٢، ٣٢٨٨)، وابن جرير (٢٢/١٠٥، ١٠٦)، والحاكم (٢/٤٧٢)، وأبو نعيم رقم (٢٠٨)، والبيهقي (٢/٢٦٧).

(٥) أخرجه أحمد رقم (١٦٧٥٠)، والترمذي رقم (٣٢٨٩)، وابن جرير (٢٢/١٠٩)، والحاكم (٢/٤٧٢)، والبيهقي (٢/١٦٨) بسند صحيح.

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة (٢/١١٥)، (١٣/٣٧٨)، وابن جرير (٢٢/١٠٧ ـ ١٠٨)، وابن مردويه ـ كما في «تخريج الكشاف» (٣/٣٩١) ـ، وأبو نعيم في «الحلية» (١/٢٨٠، ٢٨١) بسند حسن.

حذيفة بن اليمان بالمدائن، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾، ألا وإن الساعة قد اقتربت، ألا وإن القمر قد انشقّ على عهد رسول الله ﷺ، ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراق، اليوم المضمار وغداً السباق».

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[١] في قوله: ﴿مُّهۡطِعِينَ﴾ قال: ناظرين.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه[٢] ﴿فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ﴾ قال كثير[٣]: لم تمطر السماء قبل ذلك اليوم، ولا بعده إلّا من السحاب، وفتحت أبواب السماء بالماء من غير سحاب ذلك اليوم، فالتقى الماآن.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر عنه[٤] أيضاً ﴿عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ﴾ قال: الألواح ألواح السفينة، والدُّسُر: معاريضها التي تشد بها السفينة.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر عنه[٥] أيضاً في قوله: ﴿وَدُسُرٖ﴾ قال: المسامير.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عنه[٦] قال: الدسر كَلْكَل السفينة.

وأخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي[٧] عنه أيضاً في قوله: ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ﴾ قال: لولا أن الله يسره على لسان الآدميين ما استطاع أحد من الخلق أن يتكلموا بكلام الله.

وأخرج الديلمي[٨] عن أنس مرفوعاً مثله.

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ١١٩)، وابن المنذر ـ كما في «فتح الباري» (٨/ ٦١٦) ـ وابن أبي حاتم ـ كما في «الإتقان» (٢/ ٢٢) ـ بسند صحيح.

(٢) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٧٥) من طريق ابن جريج بسند ضعيف.

(٣) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٧٦).

(٤) أخرجه ابن المنذر ـ كما في «فتح الباري» (٨/ ٦١٦) ـ.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ١٢٤)، وابن المنذر ـ كما في «فتح الباري» (٨/ ٦١٦) ـ بسند صحيح.

(٦) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ١٢٥) بسند ضعيف.

(٧) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٧٦).
وأخرجه البيهقي رقم (٥٧٢).

(٨) أخرجه الديلمي في «مسنده» رقم (٨١٢٢). وفي سنده (عباد بن عبد الصمد) منكر الحديث.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر عن ابن عباس[١] ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ قال: هل من متذكر.

[عاقبة المكذبين من قوم نوح وعاد وثمود وآل فرعون وقوم لوط]:

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ
﴿١٩﴾ تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ
لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ
وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ
﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ
﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً
فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ
﴿٣٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن
شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ
فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ
يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾﴾.

قوله: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾ هم: قوم عاد ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾؛ أي: فاسمعوا كيف كان عذابي لهم وإنذاري إياهم؟ (ونُذُر) مصدر بمعنى إنْذار، كما تقدّم تحقيقه، والاستفهام للتهويل[٢]، والتعظيم.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ هذه الجملة مبينة لما أجمله سابقاً من العذاب، والصَّرْصَر: شدّة البرد[٣]؛ أي: ريح شديدة البرد، وقيل: الصرصر: شدّة الصوت، وقد تقدّم بيانه في سورة حمٓ السجدة.

---

(١) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٧٦).
(٢) «روح المعاني» (٢٦/ ٣٠٠)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٢٤٠).
(٣) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ١٣٣)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٥٨)، عن قتادة بسند صحيح. وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ١٣٣) بسند حسن.

﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾؛ أي: دائم الشؤم استمرّ عليهم بنحوسه، وقد كانوا يتشاءمون بذلك اليوم.

قال الزجاج(١): قيل: في يوم الأربعاء في آخر الشهر. قرأ الجمهور(٢): «في يوم نَحْس» بإضافة يوم إلى نحس مع سكون الحاء، وهو من إضافة الموصوف إلى الصفة، أو على تقدير مضاف؛ أي: في يوم عذاب نحس.

وقرأ الحسن(٣) بتنوين «يومٍ» على أن نحس صفة له. وقرأ هارون بكسر(٤) الحاء.

قال الضحاك(٥): كان ذلك اليوم مُرّاً عليهم. وكذا حكى الكسائي(٦) عن قوم أنهم قالوا: هو من المَرارة(٧)، وقيل: هو من المِرّة بمعنى القوّة؛ أي: في يوم قويّ الشؤم، مستحكمه كالشيء المُحكم الفَتْل الذي لا يطاق نقضه، والظاهر أنه من الاستمرار، لا مِنْ المَرارة، ولا من المِرّة؛ أي: دام عليهم العذاب فيه حتى أهلكهم، وشمل بهلاكه كبيرهم وصغيرهم.

وجملة: ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ﴾: في محل نصب(٨) على أنها صفة لريحاً، أو حال منها، ويجوز أن يكون استئنافاً؛ أي: تقلعهم من الأرض من تحت أقدامهم اقتلاع النخلة من أصلها.

قال مجاهد(٩): كانت تقلعهم من الأرض، فترمي بهم على رؤوسهم فتدقّ أعناقهم، وتبين رؤوسهم من أجسادهم، وقيل: تنزع الناس من البيوت، وقيل: من قبورهم؛ لأنّهم حفروا حفائرَ ودخلوها.

﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ الأعجاز(١٠): جَمْع عَجُز، وهو مؤخر الشيء، [١٠٧/

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٨٩).
(٢) «البحر المحيط» (١٠/ ٤١)، و«حاشية الشهاب» (٨/ ١٢٤).
(٣) «البحر المحيط» (١٠/ ٤١)، و«روح المعاني» (٢٦/ ٢٠١). القراءة بتنوين (يومٍ) شاذة، وكذا القراءة بكسر الحاء شاذة.
(٤) «البحر المحيط» (١٠/ ٤١)، و«القراءات الشاذة» (ص١٤٨)، و«زاد المسير» (٨/ ٩٥).
(٥) «المحرر الوجيز» (١٥/ ٣٠٣).
(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٨٧).
(٧) «الصحاح» (٢/ ٨١٤ ـ ٨١٥).
(٨) «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٣٣٨)، و«الفريد» (٤/ ٣٩٦).
(٩) «المحرر الوجيز» (١٥/ ٣٠٤).
(١٠) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٥٤٧).

٤] والمنقعر[1]: المنقطع المنقلع مِنْ أصله، يقال: قعرتُ النخلة: إذا قلعتها من أصلها حتى تسقط. شبّهم في طول قاماتهم حين صرعتهم الريح، وطرحتهم على وجوههم بالنخل الساقط على الأرض التي ليست لها رؤوس، وذلك أن الرّيح قلعت رؤوسهم أولاً، ثم كبّتهم على وجوههم، وتذكير مُنْقعر مع كونه صفة لأعجاز نخل وهي: مؤنثة اعتباراً باللفظ، ويجوز تأنيثه[2] اعتباراً بالمعنى، كما قال: ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧].

قال المبرِّد[3]: كل ما ورد عليك من هذا الباب إنْ شئتَ رددته إلى اللفظ تذكيراً، أو إلى المعنى تأنيثاً. وقيل: إن النخل والنخيل يُذكّر ويؤنّث.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ قد تقدّم تفسيره قريباً، وكذلك قوله: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾.

ثم لما ذكر سبحانه تكذيب عاد أتبعه بتكذيب ثمود، فقال: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾ يجوز أن يكون جمع نذير؛ أي: كذبت بالرّسل المرسلين إليهم، ويجوز أن يكون مصدراً بمعنى الإنذار؛ أي: كذبت بالإنذار الذي أُنذروا به، وإنما كان تكذيبهم لرسولهم وهو صالح تكذيباً للرسل؛ لأنَّ مَنْ كذب واحداً من الأنبياء فقد كذب سائرهم؛ لاتفاقهم في الدعوة إلى كلِّيات الشرائع.

﴿فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ﴾ الاستفهام للإنكار[4]؛ أي: كيف نتبع بشراً كائناً من جنسنا منفرداً وحده لا متابع له على ما يدعو إليه.

قرأ الجمهور[5] بنصب: «بشراً» على الاشتغال؛ أي: أنتبع بشراً واحداً. وقرأ أبو السَّمَّال، والداني، وأبو الأشهب، وابن السميفع بالرفع[6] على الابتداء، وواحداً صفته، ونتبعه خبره.

وروي عن أبي السَّمَّال[7] أنه قرأ برفع: «بشراً» ونصب: «واحداً» على الحال.

---

(١) «تهذيب اللغة» (١/٢٢٨)، و«الصحاح» (٢/٧٩٧).
(٢) «روح المعاني» (٢٦/٢٠٨). (٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/١٦٦).
(٤) «روح المعاني» (٢٦/٢٠٩)، و«تفسير أبي السعود» (٦/٢٤١).
(٥) «البحر المحيط» (١٠/٤٢)، و«المحرر الوجيز» (١٥/٣٠٥)، و«التبيان» (٢/١١٩٤).
(٦) انظر: المصادر المتقدمة. المتواتر قراءة الجمهور وما عداها فقراءات شاذة.
(٧) «القراءات الشاذة» (ص١٤٨)، و«المحرر الوجيز» (١٥/٣٠٥).

﴿إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ﴾؛ أي: إنا إذا اتبعناه لفي خطأ، وذهاب عن الحق ﴿وَسُعُرٍ﴾؛ أي: عذاب وعناء وشدّة كذا قال الفراء[(١)]، وغيره. وقال أبو عبيدة[(٢)]: هو جمع سَعير، وهو لهب النار، والسُّعُر: الجنون يذهب كذا وكذا لما يلتهب به من الحدّة. وقال مجاهد[(٣)]: وسُعُر: وبُعدٌ عن الحقّ.

وقال السديّ[(٤)]: في احتراق، وقيل المراد به هنا: الجنون، من قولهم: ناقة مسعورة؛ أي: كأنها من شدّة نشاطها مجنونة، ومنه قول الشاعر يصف ناقة:

تخالُ بها سُعْراً إذِ العِيسُ هزَّها ... ذميلٌ وإيقاعٌ مِنَ السيرِ مُتْعِبُ[(٥)]

[الشبهة المكرورة التي تحيك في صدور المكذبين جيلاً بعد جيل]:

ثم كرّروا الإنكار والاستبعاد[(٦)] فقالوا: ﴿أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا﴾؛ أي: كيف خُصّ من بيننا بالوحي والنبوّة، وفينا من هو أحقّ بذلك منه؟.

ثم أضربوا عن الاستنكار، وانتقلوا إلى الجزم بكونه كذاباً أشراً فقالوا: ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ والأشر: المَرِح والنشاط، أو البَطِر والتكبّر، وتفسيره بالبطر والتكبر أنسب بالمقام، ومنه قول الشاعر:

أشِرْتُم بِلُبْسِ الخَزِّ لما لبستُمُ ... ومِنْ قبلُ لا تدرونَ مَنْ فتحَ القُرى[(٧)]

قرأ الجمهور[(٨)]: «أَشِرٌ» كفرح. وقرأ أبو قِلابة، وأبو جعفر بفتح الشين[(٩)]، وتشديد الرّاء على أنه أفعل تفضيل، ونقل الكسائي[(١٠)] عن مجاهد أنه قرأ بضم الشين مع فتح الهمزة.

---

(١) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٠٨).
(٢) في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٤١).
(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٩٢).
(٤) «النكت والعيون» (٥/ ٤١٥).
(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٩١).
(٦) «روح المعاني» (٢٦/ ٢١٠).
(٧) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤١٥)، والقرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٩١) بدون نسبة.
(٨) «البحر المحيط» (١٠/ ٤٣)، و«التبيان» (٢/ ١١٩٥)، و«جامع البيان» (٢٢/ ١٤١).
(٩) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٩٣)، و«القراءات الشاذة» (ص١٤٧)، و«المحتسب» (٢/ ٢٩٩).
(١٠) «المحتسب» (٢/ ٢٩٩)، و«روح المعاني» (٢٦/ ٢١٢). القراءة المتواترة هي قراءة الجمهور، وما عداها فشاذة، والقراءة على أفعل التفضيل رواية شاذة عن أبي جعفر.

ثم أجاب سبحانه عليهم بقوله: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ﴾ والمراد بقوله غداً: وقت نزول العذاب بهم في الدنيا، أو في يوم القيامة جرياً على عادة الناس في التعبير بالغد عَنْ المستقبل من الأمر وإنْ بُعد، كما في قولهم: إن مع اليوم غداً، وكما في قول الحطيئة[(١)]:

لـلـموتِ فـيـهـا سـهـامٌ غـيـرُ مـخـطـئةٍ   مَنْ لم يكنْ ميِّتاً في اليومِ ماتَ غدا[(٢)]

ومنه قول أبي [الطماح][(٣)]:

ألا عـلِّـلَانِـي قـبـلَ نَـوْحِ الـنَّـوائِـحِ   وقبلَ اضطرابِ النفسِ بينَ الجوانِحِ
وقبل غدٍ يا لـهفَ نفسي على غدٍ   إذا راحَ أصـحـابـي ولـسـتُ بـرائـحِ

قرأ الجمهور[(٤)]: «سيعلمون» بالتحتية إخبار من الله سبحانه لصالح عن وقوع العذاب عليهم بعد مدة. وقرأ أبو عمرو، وابن عامر، وحمزة بالفوقية[(٥)] على أنه خطاب من صالح لقومه.

وجملة: ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ﴾ مستأنفة لبيان ما تقدّم إجماله من الوعيد؛ أي: إنا مخرجوها من الصخرة على حسب ما اقترحوه.

﴿فِتْنَةً لَّهُمْ﴾؛ أي: ابتلاء وامتحاناً، وانتصاب (فتنة) على العلة.

﴿فَٱرْتَقِبْهُمْ﴾؛ أي: انتظر ما يصنعون ﴿وَٱصْطَبِرْ﴾ على ما يصيبك من الأذى منهم.

﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ﴾؛ أي: بين ثمود وبين الناقة؛ لها يوم ولهم يوم، كما في قوله: ﴿لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الشعراء: ١٥٥] وقال: ﴿وَنَبِّئْهُمْ﴾ بضمير العقلاء[(٦)] تغليباً.

﴿كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾ الشِّربُ بكسر الشين الحظ من الماء.

---

(١) بل قائله أبو العتاهية.
(٢) والذي في «الديوان»: من فاته اليوم سهم لم يفته غداً.
(٣) والذي في «مصادر التخريج»: أبو الطَّمَحان القيني.
«الحماسة البصرية» (١/ ١٣٢)، و«شرح ديوان الحماسة» للمرزوقي (٣/ ١٢٦٦).
(٤) «التيسير» (ص٢٠٦)، و«جامع البيان» (٢٢/ ١٤١)، و«النشر» (٢/ ٣٨٠)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢٩٨).
(٥) انظر: المصادر المتقدمة. المتواتر عن أبي عمرو وكقراءة الجمهور، وهما قراءتان متواترتان.
(٦) «روح المعاني» (٢٦/ ٢١٢)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٢٤١).

ومعنى محتضر: أنه يحضره مَنْ هو له، فالناقة تحضره يوماً، وهم يحضرونه يوماً.

قال مجاهد[1]: إن ثمود يحضرون الماء يوم نوبتهم فيشربون، ويحضرون يوم نوبتها فيحتلبون.

قرأ الجمهور[2]: «قِسْمةٌ» بكسر القاف بمعنى: مقسوم، وقرأ أبو عمرو في رواية عنه بفتحها[3].

﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ﴾؛ أي: نادى ثمود صاحبهم وهو قُدَار بن سالف عاقر الناقة يحضونه على عقرها.

﴿فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾؛ أي: تناول الناقة بالعقر فعقرها، أو اجترأ على تعاطي أسباب العقر فعقر.

قال محمد بن إسحاق[4]: كَمِنَ لها في أصل شجرة على طريقها، فرماها بسهم، فانتظم به عضَلة ساقها، ثم شدّ عليها بالسيف، فكسر عرقوبها، ثم نحرها، والتعاطي: تناول الشيء بتكلّف ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ قد تقدّم تفسيره في هذه السورة.

ثم بيّن ما أجمله من العذاب فقال: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ قال عطاء: يريد صيحة جبريل، وقد مضى بيان هذا في سورة هود، وفي الأعراف.

﴿فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾ قرأ الجمهور[5] بكسر الظاء، والهشيم: حطام الشجر ويابسه، والمحتظِر: صاحب الحظيرة، وهو الذي يتخذ لغنمه حظيرةً تمنعها عن برد الرّيح، يقال: احتظر على غنمه: إذا جمع الشجر ووضع بعضه فوق بعض.

قال في «الصحاح»[6]: والمحتظر: الذي يعمل الحظيرة. وقرأ الحسن،

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ١٤٣) بسند صحيح.

(٢) «البحر المحيط» (١٠/ ٤٤)، و«الدر المصون» (١/ ٢٣٠).

(٣) «روح المعاني» (٢٦/ ٢١٢)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٤٤). وهي خلاف المشهور عن أبي عمرو. بل هي رواية شاذة عن أبي عمرو، والمتواترة عنه كالجمهور.

(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٩٦ ـ ٩٧)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤١٦).

(٥) «البحر المحيط» (١٠/ ٤٥)، و«جامع البيان» (٢٢/ ١٤٥ ـ ١٤٦)، و«زاد المسير» (٨/ ٩٨)، و«معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٠٨).

(٦) في «الصحاح» (٢/ ٦٣٤).

وقتادة، وأبو العالية بفتح الظاء[١]؛ أي: كهشيم الحطيرة، فمن قرأ بالكسر أراد الفاعل للاحتظار، ومَنْ قرأ بالفتح أراد الحظيرة، وهي فعيلة بمعنى مفعولة ومعنى الآية: أَنّهم صاروا كالشجر إذا يبس في الحظيرة، وداسته الغنمُ بعد سقوطه، ومنه قول الشاعر:

أَثَـرْنَ عَـجَـاجَـهُ كـدُخَـانِ نَـارٍ   تَـشِـبُّ بِـغَـرْقَـدٍ بـالٍ هـشـيـمِ[٢]

وقال قتادة[٣]: هو العظامُ النخرة المحترقة.

وقال سعيد بن جبير[٤]: هو الترابُ المتناثر مِنْ الحيطان في يوم ريح. وقال سفيان الثوري[٥]: هو ما يتناثر مِنْ الحظيرة إذا ضربتها بالعصيِّ.

قال ابن زيد[٦]: العرب تُسمّي كلَّ شيءٍ كان رَطْباً فيبس هشيماً، ومنه قول الشاعر[٧]:

تـرى جِـيَـفَ الـمـطـيِّ بـجـانِـبَـيْـهِ   [كـأنَّ عِـظَـامَـهـا خَـشَـبُ الـهـشيـمِ][٨]

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ قد تقدم تفسير هذا في هذه السورة.

ثم أخبر سبحانه عن قوم لوط بأنهم كذبوا رسل الله، كما كذبهم غيرهم، فقال: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ﴾ وقد تقدّم تفسير النذر قريباً.

ثم بيّن سبحانه ما عذبهم به، فقال: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾؛ أي: ريحاً ترميهم بالحصباء، وهي الحصى.

قال أبو عبيدة[٩]، والنضر بن شميل: الحاصب: الحجارة في الريح.

قال في «الصحاح»[١٠]: الحاصب الريح الشديدة التي تثير الحصباء، ومنه قول

---

(١) «القراءات الشاذة» (ص١٤٨)، و«المحتسب» (٢/ ٢٩٩). القراءة بفتح الظاء شاذة.

(٢) «النكت والعيون» (٥/ ٤١٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٩٨).

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ١٤٥) بسند صحيح.

(٤) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ١٤٦) بسند ضعيف.
قال ابن كثير في «تفسيره» (١٣/ ٣٠١): وهذا قول غريب.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ١٤٨) بسند ضعيف.

(٦) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٣٢).

(٧) القائل عمرو بن معدي كرب.

(٨) كذا في المخطوط. والذي في «الأصمعيات» (ص١٧٦):
كـأنَّ عـظـامـهـا الـرَّخـم الـوقـوع

(٩) في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٤١).

(١٠) «الصحاح» (١/ ١١٢).

الفرزدق[١]:

مستقبلينَ شَمَالَ الشامِ يضربُها بحاصبٍ كنديفِ القُطْنِ منثورِ

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ﴾ يعني: لوطاً ومن تبعه، والسحر آخر الليل، وقيل: هو في كلام العرب اختلاط سواد الليل ببياض أوّل النهار، وانصرف سحر؛ لأنه نكرة لم يقصد به سحر ليلة معينة، ولو قصد معيناً لامتنع. كذا قال: الزجاج[٢]، والأخفش[٣]، وغيرهما.

وانتصاب ﴿نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ على العلة، أو على المصدرية؛ أي: إنعاماً منا على لوط، ومن تبعه ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ﴾؛ أي: مثل ذلك الجزاء نجزي من شكر نعمتنا، ولم يكفرها.

﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا﴾؛ أي: أنذر لوط قومه بطشة الله بهم، وهي عذابه الشديد، وعقوبته البالغة ﴿فَتَمَارَوْا بِٱلنُّذُرِ﴾؛ أي: شكّوا في الإنذار ولم يصدّقوه، وهو تفاعلوا من المِرْية، وهي الشك.

﴿وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ﴾؛ أي: أرادوا منه تمكينهم ممن أتاه من الملائكة ليفجروا بهم، كما هو دأبهم، يقال راودته عن كذا مُراودةً ورِواداً؛ أي: أردته، وراد الكلام يَروده رَوداً؛ أي: طلبه، وقد تقدّم تفسير المراودة مستوفى في سورة هود.

﴿فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ﴾؛ أي: صيّرنا أعينهم ممسوحة لا يرى لها شقّ، كما تطمس الريحُ الأعلامَ بما تسفي عليها من التراب. وقيل: أذهب الله نور أبصارهم مع بقاء الأعين على صورتها.

قال الضحاك[٤]: طمس الله على أبصارهم، فلم يروا الرسل، فرجعوا.

[ما وجه تكرير تيسير القرآن للذكر؟]:

﴿فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ قد تقدّم تفسيره في هذه السورة.

﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ﴾؛ أي: أتاهم صباحاً عذابٌ مستقرّ بهم نازل

---

(١) «ديوان الفرزدق» (١/ ٢١٣).
(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٩٠).
(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٩/ ١٦٩).
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ١٥١ ـ ١٥٢) بسند حسن.

عليهم لا يفارقهم ولا ينفك عنهم. قال مقاتل[١]: استقرّ بهم العذاب بكرة، وانصرافُ بكرة لكونه لم يرد بها وقتاً بعينه، كما سبق في بسحر.

﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ قد تقدّم تفسير هذا في هذه السورة، ولعلّ وجه تكرير تيسير القرآن للذكر في هذه السورة الإشعار بأنه مِنة عظيمة لا ينبغي لأحدٍ أن يغفل عن شكرها.

وقد أخرج ابن جرير عن ابن عباس[٢] في قوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ قال: باردة ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ﴾ قال: أيام شداد.

وأخرج ابن المنذر، وابن مردويه عن جابر بن عبد الله[٣] قال: قال رسول الله ﷺ: «يوم الأربعاء يوم نحس مستمر».

وأخرجه عنه ابن مردويه[٤] من وجه آخر مرفوعاً.

وأخرجه ابن مردويه[٥] عن عليّ مرفوعاً.

وأخرجه ابن مردويه[٦] أيضاً عن أنس مرفوعاً، وفيه «قيل: وكيف ذاك يا رسول الله؟ قال: أغرق الله فيه فرعون وقومَه، وأهلك فيه عاداً، وثموداً».

وأخرج ابن مردويه، والخطيب بسند. قال السيوطي[٧]: ضعيف عن ابن عباس[٨] قال: قال رسول الله ﷺ: «آخر أربعاء في الشهر [٤/١٠٨] يوم نحس مستمر».

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢١٢).
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ١٣٤) بسند ضعيف.
(٣) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٧٧).
وذكره ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/ ٧٤) وقال: «لم يروه غير إبراهيم. قال الدارقطني: هو متروك».
(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٧٧).
(٥) أخرجه ابن مردويه ـ كما في «كشف الخفاء» (٢/ ٣٩٧).
وذكره السيوطي في «اللآلئ المصنوعة» (١/ ٤٨٥ ـ ٤٨٦).
(٦) أخرجه ابن مردويه ـ كما في «كشف الخفاء» (٢/ ٣٩٧).
(٧) في «الدر المنثور» (٧/ ٦٧٨).
(٨) أخرجه الخطيب في «تاريخه» (١٤/ ٤٠٥).
وانظر: «كشف الخفاء» (١/ ١٢)، و«الموضوعات» (٢/ ٧٢)، و«اللآلئ المصنوعة» (١/ ٤٨٥).

وأخرج ابن المنذر[1] عنه ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ﴾ قال: أصول النخل ﴿مُّنقَعِرٍ﴾ قال: منقلع.

وأخرج ابن أبي حاتم[1] عنه أيضاً في الآية قال: أعجاز سواد النخل. وأخرج ابن المنذر[2] عنه أيضاً ﴿وَسُعُرٍ﴾ قال شقاء.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر عنه[3] أيضاً قال: ﴿كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ﴾ قال: كحظائر من الشجر محترقة.

وأخرج ابن جرير[4] عنه أيضاً في الآية قال: كالعظام المحترقة.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر عنه قال[5]: كالحشيش تأكله الغنم.

﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾﴾.

[تهديد المشركين مع بيان عاقبة المتقين]:

﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾
سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى
ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ
بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن
مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ
فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾.

﴿ٱلنُّذُرُ﴾ يجوز أن يكون جمع نَذير، ويجوز أن يكون مصدر بمعنى الإنذار كما تقدّم، وهي الآيات التي أنذرهم بها موسى، وهذا أولى لقوله: ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا﴾ فإنه بيان لذلك، والمراد بها: الآيات التسع التي تقدّم ذكرها.

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٧٨).
(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٧٩).
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ١٤٥) بسند ضعيف.
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ١٤٥) بسند صحيح.
(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٧٩).

﴿فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾؛ أي: أخذناهم بالعذاب أخذ غالب في انتقامه، قادر على إهلاكهم لا يعجزه شيء.

ثم خوّف سبحانه كفار مكة فقال: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ﴾ والاستفهام[١] للإنكار.

والمعنى النفي؛ أي: ليس كفاركم يا أهل مكة، أو يا معشر العرب خير من كفار مَنْ تقدّمكم من الأمم الذين أُهلكوا بسبب كفرهم، فكيف تطمعون في السلامة مِنْ العذاب، وأنتم شرّ منهم. ثم أضرب سبحانه عن ذلك، وانتقل إلى تبكيتهم بوجه آخر هو أشد من التبكيت بالوجه الأوّل، فقال: ﴿أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِي ٱلزُّبُرِ﴾ والزُّبر هي الكتب المنزلة على الأنبياء، والمعنى: إنكار أن تكون لهم براءة من عذاب الله في شيء من كتب الأنبياء.

ثم أضرب عن هذا التبكيت، وانتقل إلى التبكيت لهم بوجه آخر، فقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾؛ أي: جماعة لا تُطاق لكثرة عددنا وقوّتنا، أو أمرنا مجتمع لا نُغلب، وأفرد منتصراً اعتباراً بلفظ جميع.

قال الكلبي[٢]: المعنى نحن جميع أمرنا ننتصر من أعدائنا، فردّ الله سبحانه عليهم بقوله: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ﴾؛ أي: جمع كفار مكة، أو كفار العرب على العموم.

قرأ الجمهور[٣]: «سَيُهزَم» بالتحتية مبنيّاً للمفعول. وقرأ رويس[٤] عن يعقوب: «سنهزم» بالنون وكسر الزاي ونصب الجمع.

وقرأ أبو حيوة[٥]، وابن أبي عَبْلة بالتحتية مبنيّاً للفاعل، وقرئ بالفوقية[٦] مبنيّاً للفاعل.

---

(١) «روح المعاني» (٢٦/ ٢١٧)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٢٤٢).

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢١٣).

(٣) «النشر» (٢/ ٣٨٠)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٤٧)، و«المبسوط» (ص٤٢١ ـ ٤٢٢). قراءة الجمهور بالياء التحتية مبنيّاً للمفعول هي المتواترة وما عداها فشاذ، ورواية رويس عن يعقوب شاذة عنه.

(٤) «القراءات الشاذة» (ص١٤٨)، و«روح المعاني» (٢٦/ ٢٢٠).

(٥) «البحر المحيط» (١٠/ ٤٧)، و«روح المعاني» (٢٦/ ٢٢٠).

(٦) «البحر المحيط» (١٠/ ٤٧)، و«روح المعاني» (٢٦/ ٢٢٠).

﴿وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ قرأ الجمهور[١]: «يُولّون» بالتحتية، وقرأ عيسى، وابن أبي إسحاق، ورويس عن يعقوب بالفوقية[٢] على الخطاب، والمراد بالدبرُ: الجنس، وهو في معنى الإدبار، وقد هزمهم الله يوم بدر، وولوا الأدبار، وقُتل رؤساء الشرك، وأساطين الكفر، فلله الحمد.

﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾؛ أي: موعد عذابهم الأخرويّ، وليس هذا العذاب الكائن في الدنيا بالقتل والأسر والقهر، وهو تمام ما وعدوا به من العذاب، وإنما هو مقدّمة مِنْ مقدّماته وطليعة من طلائعه، ولهذا قال: ﴿وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾؛ أي: وعذاب الساعة أعظم في الضرّ وأفظع، مأخوذ من الدهاء، وهو النكر والفظاعة.

ومعنى أمرّ: أشد مرارة من عذاب الدنيا، يقال: دهاه أمر كذا؛ أي: أصابه دهواً ودهياً.

﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾؛ أي: في ذهاب عن الحقّ وبعد عنه، وقد تقدّم في هذه السورة تفسير ﴿وَسُعُرٍ﴾، فلا نعيده.

﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ والظرف منتصب[٣] بما قبله؛ أي: كائنون في ضلال، وسعر يوم يسحبون، أو بقول مقدّر بعده؛ أي: يوم يسحبون يقال لهم: ﴿ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ﴾؛ أي: قاسوا حرّها وشدّة عذابها، وسقر عَلَمٌ لجهنم.

وقرأ أبو عمرو[٤] في رواية عنه بإدغام سين مسّ في سين سقر.

﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ قرأ الجمهور[٥] بنصب (كلَّ) على الاشتغال.

وقرأ أبو السَّمَّال بالرفع[٦]، والمعنى: أن كل شيء من الأشياء خلقه الله سبحانه ملتبساً بقدر قدّره، وقضاء قضاه سبق في علمه مكتوب في اللوح المحفوظ قبل وقوعه، والقدر: التقدير، وقد قدّمنا الكلام على تفسير هذه الآية مستوفى.

﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾؛ أي: إلا مرة واحدة، أو كلمة واحدة

---

(١) «البحر المحيط» (١٠/ ٤٧)، و«زاد المسير» (٨/ ١٠٠).

(٢) «القراءات الشاذة» (ص١٤٨)، و«زاد المسير» (٨/ ١٠٠)، و«روح المعاني» (٢٦/ ٢٢٠). المتواتر القراءة بالتحتية (يولّون) وما عداها فشاذ، ورواية رويس عن يعقوب شاذة عنه.

(٣) «الفريد» (٤/ ٤٠٠)، و«روح المعاني» (٢٦/ ٢٢١).

(٤) «البحر المحيط» (١٠/ ٤٨)، و«روح المعاني» (٢٦/ ٢٢٢). وهي رواية شاذة عَن أبي عمرو.

(٥) «البحر المحيط» (١٠/ ٤٨ ـ ٤٩)، و«التبيان» (٢/ ١١٩٦)، و«البيان» (٢/ ٤٠٦).

(٦) «القراءات الشاذة» (ص١٤٨)، و«المحتسب» (٢/ ٣٠٠). قراءة (كلُّ) بالرفع شاذة.

كلمح بالبصر في سرعته، واللمح: النظر على العجلة والسرعة. وفي «الصحاح»[(١)] لمحه وألمحه: إذا أبصره بنظر خفيف، والاسم اللمحة.

قال الكلبي[(٢)]: وما أمرنا بمجيء الساعة في السرعة إلّا كطرف البصر.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ﴾؛ أي: أشباهكم ونظراءكم في الكفر من الأمم، وقيل: أتباعكم وأعوانكم ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ يتذكر ويتّعظ بالمواعظ، ويعلم أن ذلك حق، فيخاف العقوبة، وأن يحل به ما حلّ بالأمم السالفة.

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ﴾؛ أي: جميع ما فعلته الأمم من خير أو شرّ مكتوب في اللوح المحفوظ، وقيل: في كتب الحفظة ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾؛ أي: كل شيء من أعمال الخلق وأقوالهم وأفعالهم مسطور في اللوح المحفوظ صغيره وكبيره، وجليله وحقيره، يقال: سَطَر يَسْطُر سَطْراً كتب، واستطرَ مثله.

ثم لما فرغ سبحانه من ذكر حال الأشقياء ذكر حال السعداء فقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ﴾؛ أي: في بساتين مختلفة، وجنان متنوعة، وأنهار متدفقة. قرأ الجمهور[(٣)]: «ونَهَر» بفتح الهاء على الإفراد، وهو جنس يشمل أنهار الجنة، وقرأ مجاهد، والأعرج، وأبو السَّمَّال بسكون الهاء[(٤)] وهما لغتان، وقرأ أبو مجلز وأبو نهشل والأعرج وطلحة بن مصرف، وقتادة: «نُهر» بضم النون[(٥)]، والهاء على الجمع.

﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾؛ أي: في مجلس حقّ لا لغو فيه ولا تأثيم، وهو الجنة ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾؛ أي: قادر على ما يشاء لا يعجزه شيء، و﴿عِندَ﴾ ها هنا كناية عَنْ الكرامة، وشرف المنزلة، وقرأ عثمان البتي: «في مقاعد صدق».

وقد أخرج ابن جرير[(٦)] عن ابن عباس ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ﴾ يقول: ليس كفاركم خير من قوم نوح، وقوم لوط.

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن منيع، وابن جرير، وابن المنذر، وابن مردويه

---

(١) في «الصحاح» (١/ ٤٠٢).
(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢١٦).
(٣) «البحر المحيط» (١٠/ ٤٩)، و«التبيان» (٢/ ١١٩٦).
(٤) «القراءات الشاذة» (ص١٤٨)، و«روح المعاني» (٢٦/ ٢٢٦). القراءة بإسكان الهاء، أو ضم النون والهاء شاذتان.
(٥) «القراءات الشاذة» (ص١٤٨)، و«المحتسب» (٢/ ٣٠٠)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٤٩).
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ١٥٥ ـ ١٥٦) بسند ضعيف.

عنه[١] في قوله: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ قال: كان ذلك يوم بدر قالوا: ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾ فنزلت هذه الآية.

وفي البخاري[٢]، وغيره عنه أيضاً أن النبيّ ﷺ قال، وهو في قُبّة له يوم بدر: «أنشدُك عهدَك ووعدك، اللَّهم إنْ شئتَ لم تُعبد بعد اليوم أبداً، فأخذ أبو بكر بيده، وقال: حسبك يا رسول الله ألححتَ على ربك، فخرج، وهو يثب في الدِّرع، ويقول: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ۝٤٥ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾».

وأخرج أحمد، وعبد بن حميد، ومسلم، والترمذي، وابن ماجه، وغيرهم عن أبي هريرة[٣] قال: جاء مشركو قريش إلى النبي ﷺ يخاصمونه في القدر، فنزلت: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾.

وأخرج مسلم[٤] عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «كلُّ شيء بقدر حتى العَجْز، والكَيْسُ».

وأخرج ابن المنذر[٥] عنه في قوله: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ قال: مسطور في الكتاب.اهـ.

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (١٤/٣٥٧)، وابن منيع ـ كما في «المطالب العالية» رقم (٤١٢٩) ـ، وابن جرير (١٧/ ٩٤) و(٢٢/١٥٨) بسند صحيح.

(٢) أخرجه البخاري رقم (٢٩١٥، ٣٩٥٣، ٤٨٧٥، ٤٨٧٧)، والنسائي رقم (١١٥٥٧).

(٣) أخرجه أحمد رقم (٩٧٣٦، ١٠١٦٤)، ومسلم رقم (٦٥٦)، والترمذي رقم (٢١٥٧، ٣٢٩٠)، وابن ماجه رقم (٨٣)، وابن جرير (٢٢/ ١٦١)، والبيهقي رقم (١٨٣).

(٤) أخرجه مسلم رقم (٢٦٥٥).

(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٨٤).

سُورَةُ الرَّحْمَٰنِ

هي ستٌّ وسبعون آية. وهي مكية.

قال القرطبي[(١)]: كلها في قول الحسن، وعروة بن الزبير، وعكرمة، وعطاء، وجابر قال: قال ابن عباس: إلّا آية منها، وهي قوله: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الرحمٰن: ٢٩] الآية. وقال ابن مسعود، ومقاتل: هي مدنية كلها، والأوّل أصح، ويدلّ عليه ما أخرجه النحاس[(٢)] عن ابن عباس قال: نزلت سورة الرحمٰن بمكة.

وأخرج ابن مردويه[(٣)] عن عبد الله بن الزبير قال: أنزل بمكة سورة الرحمٰن.

وأخرج ابن مردويه[(٣)] عن عائشة قالت: نزلت سورة ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ بمكة.

[ويمكن الجمع بين كونها مكية ومدنية]:

وأخرج أحمد، وابن مردويه، قال السيوطي[(٤)]: بسند حسن عن أسماء[(٥)] بنت أبي بكر قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ، وهو يصلي نحو الركن قبل أن يصدع بما يؤمر، والمشركون يسمعون: ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمٰن: ٣١].

ويؤيد القول الثاني ما أخرجه ابن الضريس، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل» عن ابن عباس[(٦)] قال: نزلت سورة الرحمٰن بالمدينة.

ويمكن الجمع بين القولين بأنه نزل بعضها بمكة، وبعضها بالمدينة.

[لا شيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد]:

وأخرج الترمذي، وابن المنذر، وأبو الشيخ في «العظمة»، والحاكم وصححه،

---

(١) في «تفسيره» (٢٠/ ١١١).
(٢) أخرجه النحاس في «ناسخه» (ص٦٧٩).
(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٨٩).
(٤) في «الدر المنثور» (٧/ ٦٨٩).
(٥) أخرجه أحمد في «مسنده» رقم (٢٦٩٥٥) بسند ضعيف.
(٦) أخرجه ابن الضريس رقم (١٧، ١٨)، والبيهقي (٧/ ١٤٢ ـ ١٤٤).

وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل» عن جابر بن عبد الله[(١)] قال: «خرج رسول الله ﷺ على أصحابه. فقرأ عليهم سورة الرحمٰن من أوّلها إلى آخرها، فسكتوا، فقال: ما لي أراكم سُكوتاً لقد قرأتها على الجنّ ليلة الجنّ، فكانوا أحسن مردوداً منكم كلما أتيت على قوله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمٰن: ١٣] قالوا: لا شيءَ من نعمك ربَّنا نكذب فلك الحمدُ».

قال الترمذي بعد إخراجه: [٤/١٠٩] هذا حديث غريب لا نعرفه إلّا من حديث الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد.

وحكي عن الإمام أحمد أنه كان يستنكر روايته عن زهير، وقال البزار: لا نعرفه يروى إلّا من هذا الوجه. وأخرجه البزار، وابن جرير، وابن المنذر، والدارقطني في «الأفراد»، وابن مردويه، والخطيب في «تاريخه» من حديث ابن عمر[(٢)]، وصحّح السيوطي إسناده.

وقال البزّار: لا نعلمه يُروى عَنْ النبي ﷺ إلّا من هذا الوجه بهذا الإسناد.

وأخرج البيهقي[(٣)] في «الشعب» عن عليّ، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «لكل شيء عروس، وعروس القرآن الرحمٰن».

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[أمهات النعم]:

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٦ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ۝٩ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۝١٠

---

(١) أخرجه الترمذي رقم (٣٢٩١)، وأبو الشيخ رقم (١١١٨)، والحاكم (٢/ ٤٧٣)، والبيهقي (٢/ ٢٣٢). وهو حديث حسن.

(٢) أخرجه البزار في «مسنده» رقم (٢٢٦٩ ـ كشف)، وابن جرير (٢٢/ ١٩٠)، والخطيب (٤/ ٣٠١). وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١١٧): رواه البزار عن شيخه عمرو بن مالك الراسبي، وثقه ابن حبان وضعفه غيره، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٣) أخرجه البيهقي في «الشعب» رقم (٢٤٩٤). وهو حديث ضعيف. انظر: «السلسلة الضعيفة» رقم (١٣٥٠).

فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ
﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾
مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا
ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٢٤﴾
فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾﴾.

[أول ما امتن به الله سبحانه نعمة تعليم القرآن]:

قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ ارتفاع الرحمٰن[١] على أنه مبتدأ، وما بعده من الأفعال أخبار له، ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف؛ أي: الله الرحمٰن.

قال الزجاج[٢]: معنى: ﴿عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ يسّره.

قال الكلبي[٣]: علم القرآن محمداً، وعلّمه محمد أمته، وقيل: جعله علامة لما يعبد الناس به، قيل[٤]: نزلت هذه الآية جواباً لأهل مكة حين قالوا: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣]، وقيل: جواباً لقولهم: وما الرحمٰن؟.

ولما كانت هذه السورة لتعداد نعمه التي أنعم بها على عباده قدم النعمة التي هي أجلها قدراً، وأكثرها نفعاً، وأتمها فائدة، وأعظمها عائدة، وهي نعمة تعليم القرآن، فإنها مدار سعادة الدارين، وقطب رحى الخيرين، وعماد الأمرين.

ثم امتنّ بعد هذه النعمة بنعمة الخلق التي هي مناط كل الأمور، ومرجع جميع الأشياء، فقال: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾.

ثم امتنّ ثالثاً بتعليمه البيان الذي يكون به التفاهم، ويدور عليه التخاطب، وتتوقف عليه مصالح المعاش والمعاد؛ لأنه لا يمكن إبراز ما في الضمائر، ولا إظهار ما يدور في الخلَد إلّا به. قال قتادة[٥]، والحسن[٦]: المراد بالإنسان آدم، والمراد بالبيان: أسماء كلّ شيء.

---

(١) «الفريد» (٤/ ٤٠٣)، و«التبيان» (٢/ ١١٩٧).
(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٩٥).
(٣) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٤١).
(٤) «النكت والعيون» (٥/ ٤٢٣).
(٥) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٢٣).
(٦) «النكت والعيون» (٥/ ٤٢٣).

وقيل: المراد به: اللغات. وقال ابن كيسان[١]: المراد بالإنسان ها هنا: محمد ﷺ، وبالبيان: بيان الحلال من الحرام، والهدى من الضلال، وهو بعيد. وقال الضحاك[٢]: البيان: الخير والشرّ.

وقال الربيع بن أنس[٣]: هو ما ينفعه مما يضرّه، وقيل: البيان: الكتابة بالقلم. والأولى حمل الإنسان على الجنس، وحمل البيان على تعليم كلّ قوم لسانهم الذي يتكلمون به.

﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾؛ أي: يجريان بحساب، ومنازل لا يعدوانها، ويدلان بذلك على عدد الشهور والسنين.

قال قتادة[٤]، وأبو مالك[٥]: يجريان بحُسْبان في منازل لا يعدوانها، ولا يحيدان عنها.

وقال ابن زيد[٦]، وابن كيسان[٧]: يعني: أنّ بهما تحسب الأوقات، والآجال والأعمار، ولولا الليل والنهار، والشمس والقمر لم يدر أحد كيف يحسب؛ لأن الدهر يكون كله ليلاً أو نهاراً.

وقال الضحاك[٨]: معنى بحسبان: بقدر.

وقال مجاهد[٩]: بحسبان كحسبان الرحى يعني: قطبهما الذي يدوران عليه.

قال الأخفش[١٠]: الحسبان جماعة الحساب، مثل شهب وشهبان. وأما الحسبان بالضمّ فهو العذاب، كما مضى في سورة الكهف.

---

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٤١).
(٢) «معالم التنزيل» (٤/ ٢٦٧)، و«معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٩٥).
(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ١١٣)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٤١).
(٤) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ١٧١) بسند صحيح.
(٥) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ١٧١) من طريق سفيان، به.
(٦) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ١٧١) بسند صحيح.
(٧) «معالم التنزيل» (٧/ ٤٤٢)، و«النكت والعيون» (٥/ ٤٢٣).
(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ١٧٢) من طريق أبي الصهباء، به.
(٩) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ١٧٢) بسند صحيح.
(١٠) ذكره الجوهري في «الصحاح» (١/ ١١١).

﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ النجم ما لا ساق له من النبات، والشجر ما له ساق. قال الشاعر:

لقد أنجمَ القاعُ الكثيرُ عِضَاهَهُ ... وتمَّ به حَيَّا تميمٍ ووائلِ[(١)]

وقال زهير[(٢)]:

مكلَّلُ بأصولِ النجمِ تنسجُه ... ريحَ الجنُوبِ لضاحي ما به حُبُكُ

والمراد: بسجودهما انقيادهما لله تعالى انقياد الساجدين من المكلفين. وقال الفراء[(٣)]: سجودهما: أنهما يستقبلان الشمس إذا طلعت، ثم يميلان معها حين ينكسر الفيء.

وقال الزجاج[(٤)]: سجودهما دوران الظل معهما، كما في قوله: ﴿يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ﴾ [النحل: ٤٨] وقال الحسن[(٥)]، ومجاهد[(٦)]: المراد بالنجم نجم السماء، وسجوده: طلوعه، ورجّح هذا ابن جرير[(٧)]. وقيل: سجوده أفوله، وسجود الشجر: تمكينها من الاجتناء لثمارها.

قال النحاس[(٨)]: أصل السجود الاستسلام والانقياد لله، وهذه الجملة والتي قبلها خبران آخران للرحمٰن، وترك الرابط فيهما لظهوره كأنه قيل: الشمس والقمر بحسبانه، والنجم والشجر يسجدان له.

﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا﴾ قرأ الجمهور[(٩)] بنصب السماء على الاشتغال. وقرأ أبو السَّمَّال[(١٠)] بالرفع على الابتداء.

والمعنى: أنه جعل السماء مرفوعة فوق الأرض.

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢/ ١١٥) بدون نسبة.

(٢) «شرح ديوان زهير» (ص١٧٦).

(٣) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١١٢).

(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٩٦).

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ١٧٥) بسند صحيح.

(٦) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ١٧٤) بسند صحيح.

(٧) في «جامع البيان» (٢٢/ ١٧٥).

(٨) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ١١٦).

(٩) «البحر المحيط» (١٠/ ٥٦)، و«التبيان» (٢/ ١١٩٧)، و«المحرر الوجيز» (١٥/ ٣٢٢).

(١٠) «المحتسب» (٢/ ٣٠٢)، و«القراءات الشاذة» (ص١٤٨)، و«روح المعاني» (٢٦/ ٢٣٨ ـ ٢٣٩). والقراءة برفع السماء شاذة.

﴿وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ﴾ المراد بالميزان: العدل؛ أي: وضع في الأرض العدل الذي أمر به، كذا قال مجاهد[1]، وقتادة[2]، والسديّ[3]، وغيرهم.

قال الزجاج[4]: المعنى: أنه أمرنا بالعدل، ويدل عليه قوله: ﴿أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ﴾؛ أي: لا تجاوزوا العدل.

وقال الحسن[5]، والضحاك: المراد به: آلة الوزن ليتوصل بها إلى الإنصاف والانتصاف. وقيل: الميزان القرآن؛ لأن فيه بيان ما يحتاج إليه، وبه قال الحسين بن الفضل[6]، والأوّل أولى.

ثم أمر سبحانه بإقامة العدل بعد إخباره للعباد بأنه وضعه لهم، فقال: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ﴾؛ أي: قوّموا وزنكم بالعدل وقيل: المعنى: أقيموا لسان الميزان بالعدل، وقيل المعنى: أنه وضع الميزان في الآخرة لوزن الأعمال، و «أن» في قوله: ﴿أَلَّا تَطۡغَوۡاْ﴾ مصدرية[7]؛ أي: لئلا تطغوا، و«لا» نافية؛ أي: وضع الميزان لئلا تطغوا، وقيل: هي مفسرة[8]؛ لأنْ في الوضع معنى القول، والطغيان مجاوزة الحد، فمن قال: الميزان العدل، قال: طغيانه الجور ومن قال: الميزان الآلة التي يوزن بها، قال: طغيانه: البَخْس.

﴿وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ﴾؛ أي: لا تنقصوه.

أمر سبحانه أوّلاً بالتسوية، ثم نهى عن الطغيان الذي هو المجاوزة للحد بالزيادة، ثم نهى عَنْ الخسران الذي هو النقص والبخس.

قرأ الجمهور[9]: «تُخْسِروا» بضم التاء، وكسر السين من أخسر، وقرأ بلال بن أبي بَرْزة، وأبان بن عثمان، وزيد بن علي بفتح[10] التاء، والسين من خسر، وهما لغتان، يقال: أخسرت الميزان وخسرته.

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ١٧٨) بسند صحيح.
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ١٧٨) بسند صحيح.
(٣) «النكت والعيون» (٥/ ٤٢٤).
(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٩٦).
(٥) «زاد المسير» (٨/ ١٠٧).
(٦) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ١١٦).
(٧) «روح المعاني» (٢٦/ ٢٤٤)، و«الفريد» (٤/ ٤٠٤)، و«التبيان» (٢/ ١١٩٧).
(٨) انظر: المصادر المتقدمة.
(٩) «البحر المحيط» (١٠/ ٥٧)، و«المحرر الوجيز» (١٥/ ٣٢٣).
(١٠) «القراءات الشاذة» (ص١٤٨)، و«المحتسب» (٢/ ٣٠٣)، و«حاشية الشهاب» (٨/ ١٣١). وهي قراءة شاذة.

[لا وجه لتخصيص الأنام بالإنس والجن]:

ثم لما ذكر سبحانه أنه رفع السماء ذكر أنه وضع الأرض، فقال: ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾؛ أي: بسطها على الماء لجميع الخلق مما له روح وحياة، ولا وجه لتخصيص الأنام بالإنس والجنّ. قرأ الجمهور[١] بنصب الأرض على الاشتغال، وقرأ أبو السَّمَّال بالرفع[٢] على الابتداء.

وجملة: ﴿فِيهَا فَٰكِهَةٌ﴾: في محل نصب[٣] على أنها حال من الأرض مقدّرة، وقيل: مستأنفة لتقرير مضمون الجملة التي قبلها، والمراد بها: كل ما يتفكه به من أنواع الثمار.

ثم أفرد سبحانه النخل بالذكر لشرفه[٤]، ومزيد فائدته على سائر الفواكه فقال: ﴿وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ﴾ الأكمام جمع كِم بالكسر، وهو وعاء التَّمْر. قال الجوهري[٥]: والكِمُّ بالكسر، والكِمَامة: وعاءُ الطَّلْع، وغِطاء النَّوْر، والجمع كِمام وأكِمّة وأكْمَام.

قال الحسن[٦]: ذاتُ الأكمام؛ أي: ذات الليف، فإن النخلة تُكّم بالليف، وكِمامها: ليفُها.

وقال ابن زيد[٧]: ذات الطّلْع قبل أن يتفتَّق.

وقال عكرمة[٨]: ذات الأحمال.

﴿وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ﴾ الحبّ هو جميع ما يقتات من الحبوب. والعصف: قال السديّ[٩]، والفراء[١٠]: هو بَقْل الزرع، وهو أوّل ما ينبت به.

---

(١) «البحر المحيط» (١٠/ ٥٧)، و«الدر المصون» (٦/ ٢٣٧).
(٢) «القراءات الشاذة» (ص١٤٨)، و«روح المعاني» (٢٦/ ٢٤٣).
(٣) «الفريد» (٤/ ٤٠٤ ـ ٤٠٥)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٣٤٣).
(٤) تقدم ذكره.
(٥) «الصحاح» (٥/ ٢٠٢٤). وفي المخطوط [غطاء التنور] والصواب «النَّوْر» كما في الصحاح.
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ١٨١) بسند صحيح.
(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ١٨٢) بسند صحيح.
(٨) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ١١٩).
(٩) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ١٢٠) عن سعيد بن جبير.
(١٠) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١١٣).

قال ابن كيسان[١]: يبدو أولاً ورقاً، وهو العصف، ثم يبدو له ساق، ثم يُحدث الله فيه أكماماً، ثم يحدث في الأكمام الحبّ.

قال الفراء[٢]: والعرب تقول: خرجنا نعصف الزرعَ إذا قطعوا منه قبل أن يُدْرِك، وكذا قال في «الصحاح»[٣]. وقال الحسن[٤]: العصف التبن، وقال مجاهد[١٠]: هو ورق الشجر والزرع. وقيل: هو ورق الزرع الأخضر إذا قطع رأسه ويبس، ومنه قوله: ﴿كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ [الفيل: ٥]، وقيل: هو الزرع الكثير، يقال: قد أعصف الزرع، ومكان مُعْصِف؛ أي: كثير الزرع، ومنه قول أبي قيس بن الأسْلَت[٥]:

إذا جُمادى مَنَعَتْ قَطْرَها إنَّ جَنانِي عَطِنٌ مُعْصِفُ

والريحان: الورق في قول الأكثر. وقال الحسن[٦]، وقتادة[٧]، والضحاك[٨]، وابن زيد[٩]: إنَّه الريحان الذي يُشم.

وقال سعيد بن جبير[١٠]: هو ما قام على ساق.

وقال الكلبي[١١]: إن العصف هو الورق الذي لا يؤكل، والريحان هو الحب المأكول.

وقال الفراء[١٢] أيضاً: العصف المأكول من الزرع، والريحان ما لا يؤكل، وقيل: الريحان كل بَقْلة طيبة الريح.

قال ابن الأعرابي[١٣]: يقال: شيء ريحاني وروحاني؛ أي: له روح. وقال في

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢١٨).
(٢) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١١٣).
(٣) في «الصحاح» (٤/ ١٤٠٤).
(٤) «زاد المسير» (٨/ ١٠٨)، و«النكت والعيون» (٥/ ٤٢٦).
(٥) «الصحاح» (٤/ ١٤٠٤)، و«الأزمنة والأمكنة» للمرزوقي (١/ ٢٧٥).
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ١٨٧) بسند صحيح.
(٧) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ١٨٧) بسند صحيح.
(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ١٨٧) بسند حسن.
(٩) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ١٨٧) بسند صحيح.
(١٠) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ١٨٨) بسند ضعيف.
(١١) «النكت والعيون» (٥/ ٤٢٦).
(١٢) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١١٤).
(١٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ١٢١).

«الصحاح»[(١)]: [٤/١١٠] الريحان: نبت معروف، والريحان الرزق، تقول: خرجت أبتغي ريحانَ الله. قال النمر[(٢)] بن تَوْلَب:

سلامُ الإلٰهِ وريحانُه ورحمتُه وسماءٌ دِرَرْ

وقيل: العصف: رزق البهائم، والريحان: رزق الناس. قرأ الجمهور[(٣)]: «والحبُّ ذو العصف والريحانُ» برفع الثلاثة عطفاً على فاكهة. وقرأ ابن عامر، وأبو حيوة، والمغيرة بنصبها[(٤)] عطفاً على الأرض، أو على إضمار فعل؛ أي: وخلق الحبّ ذا العصف والريحان.

وقرأ حمزة والكسائي ﴿وَالرَّيْحَانِ﴾ بالجرّ عطفاً[(٥)] على ﴿الْعَصْفِ﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ الخطاب للجنّ والإنس؛ لأن لفظ الأنام يعمهما وغيرهما، ثم خصّص بهذا الخطاب مَنْ يعقل.

وبهذا قال: الجمهور[(٦)] من المفسرين، ويدلّ عليه قوله فيما سيأتي: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ [الرحمٰن: ٣١] ويدلّ على هذا ما قدّمنا في فاتحة هذه السورة أن النبي ﷺ قرأها على الجنّ والإنس، وقيل: الخطاب للإنس، وثنّاه على قاعدة العرب في خطاب الواحد بلفظ التثنية، كما قدّمنا في قوله: ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ﴾ [قٓ: ٢٤] والآلاء: النِّعم.

قال القرطبي[(٧)]: وهو قول جميع المفسرين، واحدها: (إلىً) مثل مِعىً وعصىً.

وقال ابن زيد[(٨)]: إنها القدرة؛ أي: فبأي قُدرة ربكما تكذبان، وبه قال الكلبي[(٩)].

وكرّر سبحانه هذه الآية في هذه السورة تقريراً للنِّعمة، وتأكيداً[(١٠)] للتذكير بها على عادة العرب في الاتساع.

---

(١) «الصحاح» (١/ ٣٧١).
(٢) «ديوان النمر بن تولب» (ص٥٥).
(٣) «النشر» (٢/ ٣٨٠)، و«التيسير» (ص٢٠٦)، و«فتح الباري» (٨/ ٤٧٧)، و«جامع البيان» (٢٢/ ١٨٩). وهي قراءات ثلاث متواترة، وقرأ بجر «الريحان» أيضاً خلَف.
(٤) انظر: المصادر المتقدمة.
(٥) «التيسير» (ص٢٠٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ١٢٢)، و«فتح الباري» (٨/ ٤٧٧).
(٦) «الوسيط» للواحدي (٤/ ٢١٨).
(٧) في «تفسيره» (٢٠/ ١٢٢ ـ ١٢٣).
(٨) «النكت والعيون» (٥/ ٤٢٦).
(٩) «النكت والعيون» (٥/ ٤٢٦).
(١٠) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ١٢٢)، و«روح المعاني» (٢٦/ ٢٤٧ ـ ٢٤٨).

قال القتيبي[١]: إنّ الله عدّد في هذه السورة نعماءَه، وذكَّر خلقه آلاءه، ثم أتبع كل خَلّة وضعها بهذه الآية، وجعلها فاصلة بين كل نعمتين، لينبّههم على النعم ويقرّرهم بها، كما تقول لمن تتابع له إحسانك، وهو يكفره: ألم تكن فقيراً فأغنيتك؟ أفتنكر هذا؟ ألم تكن خاملاً فعززتك؟ أفتنكر هذا؟ ألم تكن راجلاً فحملتك؟ أفتنكر هذا؟ والتكرير[٢] حسن في مثل هذا، ومنه قول الشاعر:

لا تقتلي رجلاً إنْ كنتِ مُسلمةً   إياكِ مِنْ دمِه إيّاكِ إيّاكِ[٣]

قال الحسين بن الفضل[٤]: التكرير طرد للغفلة، وتأكيد للحجة.

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ لما ذكر سبحانه خلق العالَم الكبير، وهو السماء والأرض وما فيهما، ذكر خلق العالَم الصغير، والمراد بالإنسان هنا: آدم.

قال القرطبي[٥]: باتفاق من أهل التأويل، ولا يبعد أن يراد الجنس؛ لأن بني آدم مخلوقون في ضمن خلق أَبيهم آدم.

والصَّلْصال: الطين[٦] اليابس الذي يُسْمَع له صلصلة، وقيل: هو طين[٧] خُلط برمل، وقيل: هو الطين المُنتن يقال: صَلّ اللحم وأصلَّ: إذا أنتن[٨]، وقد تقدّم بيانه في سورة الحِجْر، والفخار: الخَزَفُ الذي طُبخ بالنار، والمعنى: أنّه خلق الإنسان من طين يشبه في يبسه الخزف.

﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ يعني: خلق أبا الجنّ، أو جنس الجنّ من مارج من نار، والمارج: اللهبُ الصافي من النار، وقيل: الخالص منها، وقيل: لسانها الذي يكون في طرفها إذا التهبت، وقال الليث[٩]: المارج: الشُّعلةُ الصادعة ذات اللهب الشديد.

---

(١) في «تأويل مشكل القرآن» (ص١٨٣).
(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ١٢٣)، و«زاد المسير» (٨/ ١١١ ـ ١١٢)، و«الإتقان» (٢/ ٨٥٠ ـ ٨٥١).
(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ١٢٣).
(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ١٢٣). (٥) في «تفسيره» (٢٠/ ١٢٥).
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ١٩٣) بسند صحيح، عن ابن عباس.
(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ١٩٣) بسند حسن، عن عكرمة.
(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ١٩٣ ـ ١٩٤) بسند صحيح، عن ابن زيد.
(٩) «تهذيب اللغة» (١١/ ٧٢).

قال المبرِّد[١]: المارج: النار المرسلة التي لا تمنع، وقال أبو عبيدة[٢]: المارج: خلط النار، مِنْ مرج: إذا اختلط واضطرب.

قال الجوهري[٣]: مارج من نار: نار لا دخان لها خُلق منها الجانّ.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فإنه أنعم عليكما في تضاعيف خلقكما من ذلك بنعم لا تحصى.

﴿رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ﴾ قرأ الجمهور[٤]: «ربُّ» بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف؛ أيّ: هو ربّ المشرقين والمغربين، وقيل: مبتدأ، وخبره ﴿مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾ وما بينهما اعتراض، والأوّل أولى، والمراد بالمشرقين مشرقا الشتاء والصيف، وبالمغربين مغرباهما.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فإن في ذلك من النِّعم ما لا يحصى، ولا يتيسر لمن أنصف من نفسه تكذيب فرد من أفراده.

[يتجاور البحران بلا فاصل بينهما في مرأى العين]:

﴿مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ﴾ المرَج[٥]: التخلية والإرسال، يقال: مَرَجت الدابةُ: إذا أرسلتها، وأصله الإهمال، كما تُمْرَج الدابة في المرعى.

والمعنى: أنه أرسل كل واحد منهما، يلتقيان؛ أي: يتجاوران لا فصل بينهما في مرأى العين، ومع ذلك فلم يختلطا، ولهذا قال: ﴿بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ﴾؛ أي: حاجز يحجز بينهما ﴿لَّا يَبۡغِيَانِ﴾؛ أي: لا يبغي أحدهما على الآخر بأن يدخل فيه ويختلط به.

قال الحسن[٦]، وقتادة[٧]: هما بحر فارس والروم.

---

(١) «النكت والعيون» (٥/ ٤٢٨).

(٢) في «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٢٤٣).

(٣) في «الصحاح» (١/ ٣٤١).

(٤) «البحر المحيط» (١٠/ ٥٩)، و«معاني القرآن» للفراء (٣/ ١١٥)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٣٤٣). بل هي قراءة العشرة.

(٥) «تهذيب اللغة» (١١/ ٧١)، و«مفردات ألفاظ القرآن» (ص٧٦٤).

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٢٠٠) من طريق سفيان، به.
وأخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٦٣) من طريق معمر، عن الحسن بسند صحيح.

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٢٠٠)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٦٣) بسند صحيح.

وقال ابن جريج[(١)]: هما البحر المالح، والأنهار العذبة، وقيل: بحر المشرق والمغرب، وقيل: بحر اللؤلؤ والمرجان.

وقيل: بحر السماء[(٢)] وبحر الأرض. قال سعيد بن جبير[(٣)]: يلتقيان في كل عام، وقيل: يلتقي طرفاهما.

وقوله: ﴿يَلْتَقِيَانِ﴾ في محلّ نصب[(٤)] على الحال من البحرين، وجملة: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ يجوز أن تكون مستأنفة، وأن تكون حالاً.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فإنّ هذه الآية وأمثالها لا يتيسر تكذيبها بحال.

﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾. قرأ الجمهور[(٥)]: «يَخْرُج» بفتح الياء، وضم الراء مبنيّاً للفاعل، وقرأ نافع، وأبو عمرو بضم الياء[(٦)]، وفتح الراء مبنيّاً للمفعول، واللؤلؤ: الدرُّ، والمرجان: الخرز الأحمر المعروف.

وقال الفرّاء[(٧)]: اللؤلؤ العظام، والمرجان ما صغر.

قال الواحدي[(٨)]: وهو قول جميع أهل اللغة. وقال مقاتل[(٩)]، والسديّ، ومجاهد[(١٠)]: اللؤلؤ صغاره، والمرجان: كباره، وقال: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا﴾ وإنما يخرج ذلك من المالح لا مِنْ العَذْب؛ لأنه إذا خرج من أحدهما، فقد خرج منهما، كذا قال الزجاج[(١١)]، وغيره.

وقال أبو علي الفارسي[(١٢)]: هو من باب حذف المضاف؛ أي: من أحدهما كقوله: ﴿عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١] وقال الأخفش[(١٣)]: زعم قوم أنه

---

(١) «النكت والعيون» (٥/ ٤٢٩ ـ ٤٣٠).
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٢٠٠) من طريق أشعث، عن سعيد بن جبير.
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٢٠٠) عن ابن عباس بسند ضعيف.
(٤) «التبيان» (٢/ ١١٩٨)، و«الفريد» (٤/ ٤٠٦).
(٥) «التيسير» (ص٢٠٦)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٠١)، و«جامع البيان» (٢٢/ ٢٠٨)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٦٠).
(٦) انظر: المصادر المتقدمة. ومع نافع أبو جعفر ويعقوب.
(٧) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١١٤).
(٨) في «الوسيط» (٤/ ٢٢٠).
(٩) «النكت والعيون» (٥/ ٤٣١).
(١٠) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٢٠٧) بسند صحيح.
(١١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٩٩).
(١٢) في «الحجة» (٦/ ٢٤٧).
(١٣) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٥/ ٣٣١).

يخرج اللؤلؤ من العَذْب، وقيل: هما بحران يخرج من أحدهما اللؤلؤ، ومن الآخر المرجان، وقيل[(١)]: هما بحر السماء وبحر الأرض، فإذا وقع ماء السماء في صدف البحر انعقد لؤلؤاً، فصار خارجاً منهما.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فإنّ في ذلك من الآيات ما لا يستطيع أحد تكذيبه، ولا يقدر على إنكاره.

﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ﴾ المراد بالجوار: السفنُ الجارية في البحر، والمنشآت: المرفوعاتُ التي رفع بعض خشبها على بعض وركب حتى ارتفعت، وطالت حتى صارت في البحر كالأعلام وهي الجبال، والعلَمُ: الجبلُ الطويل.

وقال قتادة[(٢)]: المنشآت: المخلوقات للجري. وقال الأخفش[(٣)]: المنشآت: المجريات، وقد مضى بيان الكلام في هذا في سورة الشورى.

قرأ الجمهور[(٤)]: «الجوارِ» بكسر الراء وحذف الياء لالتقاء الساكنين، وقرأ ابن مسعود[(٥)]، والحسن، وأبو عمرو في رواية عنه برفع الراء تناسياً للحذف.

وقرأ يعقوب[(٦)] بإثبات الياء. وقرأ الجمهور[(٧)]: «المنشَآتُ» بفتح الشين، وقرأ حمزة، وأبو بكر في رواية عنه بكسر الشين[(٨)].

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فإن ذلك من الوضوح والظهور بحيث لا يمكن تكذيبه، ولا إنكاره.

وقد أخرج الفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي

---

(١) «النكت والعيون» (٥/ ٤٣١).
(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ١٣٠).
(٣) «النكت والعيون» (٥/ ٤٣١).
(٤) «النشر» (٢/ ١٣٨)، و«المحرر الوجيز» (١٥/ ٣٣٣)، و«معاني القرآن وإعرابه» للزجاج (٥/ ١٠٠).
(٥) «القراءات الشاذة» (ص١٤٩)، و«روح المعاني» (٢٦/ ٢٥٤). وهو خلاف المشهور، عن أبي عمرو.
(٦) «حاشية الجمل» (٢/ ١٣٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ١٣١). قرأ يعقوب الجواري بالياء وقفاً لا وصلاً وقرأ الجمهور بحذفها وقفاً ووصلاً أما ضم الراء فقراءة شاذة، ورواية شاذة عن أبي عمرو. «النشر» (٢/ ١٣٨).
(٧) «التيسير» (ص٢٠٦)، و«النشر» (٢/ ٣٨١)، و«التبيان» (٢/ ١١٩٩)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٠١).
(٨) انظر: المصادر المتقدمة.

حاتم، والحاكم وصححه عن ابن عباس[(١)] في قوله: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ قال: بحسابٍ ومنازل يُرْسَلان.

وأخرج الفريابي، وابن أبي حاتم عنه[(٢)] ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ قال: للناس.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه[(٣)] أيضاً قال: للخلق.

وأخرج ابن جرير[(٤)] عنه أيضاً قال: كل شيء فيه روح.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه[(٥)] أيضاً ﴿وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ﴾ قال: أوعية الطلْع.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عنه[(٦)] أيضاً في قوله: ﴿وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ﴾ قال: التبن ﴿وَٱلرَّيْحَانُ﴾ قال خضرة الزرع.

وأخرج ابنُ جرير[(٧)] عنه أيضاً قال: ﴿ٱلْعَصْفِ﴾ ورق الزرع إذا يبس ﴿وَٱلرَّيْحَانُ﴾ ما أنبتت الأرض مِنْ الريحان الذي يشمّ.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه[(٨)] أيضاً قال: ﴿ٱلْعَصْفِ﴾ الزرع أوّل ما يخرج بَقْلاً ﴿وَٱلرَّيْحَانُ﴾ حين يستوي على سوقه، ولم يُسَنْبل.

وأخرج ابن جرير[(٩)] عنه أيضاً قال: كلّ ريحان في القرآن فهو رزق.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه[(١٠)] أيضاً ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ قال: يعني: بأيّ نعمة الله.

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ١٧٠)، والحاكم (٢/ ٤٧٤) بسند صحيح.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ـ كما في «فتح الباري» (٦/ ٢٩٦).
(٣) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ١٨٠)، وابن أبي حاتم ـ كما في «فتح الباري» (٦/ ٢٩٦)، و«الإتقان» (٢/ ٤٦) بسند صحيح.
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ١٨٠) بسند ضعيف.
(٥) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٩٣).
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ١٨٧)، وابن أبي حاتم ـ كما في «الإتقان» (٢/ ٤٦) بسند صحيح.
(٧) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ١٨٣) بسند ضعيف.
(٨) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ١٨٥)، وابن أبي حاتم ـ كما في «فتح الباري» (٨/ ٦٢١).
(٩) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ١٨٦) بسند صحيح.
(١٠) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ١٩٠) بسند صحيح.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عنه[١] أيضاً في الآية قال: يعني الجنّ والإنس.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر عنه[٢] أيضاً ﴿مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ قال: من لهب النار.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه[٣] أيضاً في الآية قال: خالص النار.

وأخرج سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه[٤] أيضاً في قوله: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ قال: للشمس مطلع في الشتاء ومغرب في الشتاء، ومطلع في الصيف ومغرب في الصيف غير مطلعها في الشتاء وغير مغربها في الشتاء.

وأخرج ابن أبي حاتم[٥] عنه في الآية قال: مشرق الفجر ومشرق الشفق، ومغرب الشمس ومغرب الشفق.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه[٦] أيضاً في قوله: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ قال: أرسل البحرين ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ قال: حاجز ﴿لَّا يَبْغِيَانِ﴾ لا يختلطان.

وأخرج ابن جرير[٧] عنه أيضاً قال: بحر السماء وبحر الأرض.

وأخرج ابن أبي حاتم عنه[٨] أيضاً ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ قال: بينهما من البعد ما لا يبغي كل واحد منهما على صاحبه.

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ١٩٠) بسند صحيح، عن قتادة.
(٢) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ١٩٥) بسند ضعيف.
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ١٩٥) بسند صحيح.
(٤) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٩٥).
أخرجه سعيد بن منصور، وابن المنذر ـ كما في «فتح الباري» (٨/ ٦٢٢).
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم ـ كما في «فتح الباري» (٨/ ٦٢٢).
(٦) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ١٩٩، ٢٠١، ٢٠٢)، وابن أبي حاتم ـ كما في «التغليق» (٤/ ٣٣٣)، و«الإتقان» (٢/ ٤٦) بسند صحيح.
(٧) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٢٠٠) من طريق أشعث، به.
(٨) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٩٦).

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه[١] أيضاً [٤/١١١] في قوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ قال: إذا مطرت السماء فتحت الأصداف في البحر أفواهها، فما وقع فيها من قَطْر السماء فهو اللؤلؤ.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير عن عليّ بن أبي طالب[٢] قال: المرجان عظام اللؤلؤ.

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس[٣] قال: اللؤلؤ: ما عظم منه، والمرجان: اللؤلؤ الصغار.

وأخرج عبد الرزاق، والفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، والطبراني عن ابن مسعود[٤] قال: المرجان الخَرَزُ الأحمر.

[حقيقة الفناء لكل من على الأرض وبقاء وجه الجليل الكريم وحده]:

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾
يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ
ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا
شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً
كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾﴾.

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب «المطر»، وابن جرير (٢٢/٢٠٨)، وابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٣/٣١٩) بسند صحيح.

(٢) أخرجه ابن جرير (٢٢/٢٠٥، ٢٠٦) من طريق جابر، به.

(٣) أخرجه ابن جرير (٢٢/٢٠٥، ٢٠٦) بسند ضعيف.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/٢٦٣)، وابن جرير (٢٢/٢٠٧)، والطبراني رقم (٩٠٥٨) بسند ضعيف.

قوله: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾؛ أي: كلّ مَنْ على الأرض من الحيوانات هالك، وغلّب العقلاء على غيرهم، فعبّر عن الجميع بلفظ مَنْ، وقيل: أراد مَنْ عليها من الجنّ والإنس.

﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ الوجه عبارةٌ عن ذاته[١] سبحانه ووجوده، وقد تقدّم في سورة البقرة بيان معنى هذا، وقيل: معنى ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ تبقى حُجته التي يتقرّب بها إليه، والجلال: العظمةُ والكبرياء، واستحقاق صفات المدح[٢]، يقال: جلّ الشيء؛ أي: عَظُم، وأجللته؛ أي: أعظمتُه، وهو اسم مِنْ جَلّ. ومعنى ذو الإكرام: أنّه يُكْرَم عن كل شيء لا يليق به، وقيل: إنه ذو الإكرام لأوليائه، والخطاب في قوله: ربك للنبيّ ﷺ، أو لكل مَنْ يصلح له.

قرأ الجمهور[٣]: «ذو الجلال» على أنه صفة لوجه، وقرأ أبيّ، وابن مسعود[٤] «ذي الجلال» على أنه صفة لربّ.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ وجه النِّعمة في فناء الخلق: أَنّ الموت سبب النقلة إلى دار الجزاء والثواب[٥].

وقال مقاتل[٦]: وجه النِّعمة في فناء الخلق التسوية بينهم في الموت، ومع الموت تستوي الأقدام.

---

(١) الوجه: صفة ذاتية لله ﷻ ثابتة بالكتاب والسُّنَّة. «جامع البيان» (٢٢/ ١١١ ـ ١١٢)، وكتاب «التوحيد» لابن منده (٣/ ٣٦)، و«الحجة» للأصفهاني (١/ ١٩٩).

(٢) «روح المعاني» (٢٦/ ٢٥٨ ـ ٢٥٩).

(٣) «البحر المحيط» (١٠/ ٦٢)، و«فتح الباري» (٨/ ٤٧٩)، و«جامع البيان» (٢٢/ ١١٢)، و«التبيان» (٢/ ١١٩٩).

(٤) انظر: المصادر المتقدمة. وهي قراءة شاذة مخالفة للرسم.

(٥) قال الطَّيِّبيِّ في «فتوح الغيب في الكشف عن قناع الرِّيب» وهو حاشية الطِّيبيّ على الكشاف (١٥/ ١٦٢): يعني: أنَّه تعالى رتَّبَ بالفاء قوله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرَّحمٰن: ١٣] على تلك الآية تأنيباً وتوبيخاً على كفرانهم هذه النِّعمة السَّنية كقوله: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢]؛ أي: يُنكر رزقكم، فأي نعمةٍ في بقاء الحقِّ بعد إفناء الخلق، وأجاب بأنَّ المراد من الآية ملزومٌ معناها؛ لأنّها كناية عن مجيء وقت الجزاء، وهو من أجلِّ النِّعم، كما سبق في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾ [المؤمنون: ١٥] ولذلك خصَّ الوصفين بالذكر؛ يعني: الجلال والإكرام؛ لأنَّهما يدلان على الإثابة والعقاب.

(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ١٣٢).

﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: يسألونه جميعاً؛ لأنهم محتاجون إليه لا يستغني عنه أحد منهم. قال أبو صالح[(١)]: يسأله أهل السمٰوات المغفرة، ولا يسألونه الرزق، وأهل الأرض يسألونه الأمرين جميعاً.

وقال مقاتل[(٥)]: يسأله أهل الأرض الرزقَ والمغفرة، وتسأل لهم الملائكة أيضاً الرزق والمغفرة، وكذا قال ابن جُريج[(٢)]. وقيل: يسألونه الرحمة. قال قتادة[(٣)]: لا يستغني عنه أهلُ السماء، ولا أهل الأرض.

والحاصل أنّه يسأله كلُّ مخلوق من مخلوقاته بلسان المقال، أو لسان الحال ما يطلبونه من خيري الدارين، أو من خيري إحداهما.

﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ انتصاب كلَّ بالاستقرار الذي تضمنه الخبر.

والتقدير: استقر سبحانه في شأن كل وقت من الأوقات، واليوم عبارة عن الوقت، والشأن هو الأمر، ومن جملة شؤونه سبحانه إعطاء أهل السمٰوات والأرض ما يطلبونه منه على اختلاف حاجاتهم، وتباين أغراضهم. قال المفسرون[(٤)]: من شأنه أنه يحيي ويميت. ويرزق ويفقر. ويُعزّ ويُذلّ، ويُمْرِض ويَشْفي، ويُعطي ويَمْنع. ويغفر ويُعاقب إلى غير ذلك مما لا يحصى[(٥)].

وقيل: المراد باليوم المذكور: هو يوم الدنيا ويوم الآخرة، قال ابن بحر[(٦)]: الدّهر كله يومان: أحدهما: مدّة أيام الدنيا، والآخر يوم القيامة. وقيل: المراد: كل يوم من أيام الدنيا ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فإن اختلاف شؤونه سبحانه في تدبير عباده نعمة لا يمكن جحدها، ولا يتيسر لمكذّب تكذيبها.

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ هذا وعيدٌ شديد من الله سبحانه للجنّ والإنس.

قال الزجاج[(٧)]، والكسائي[(٨)]، وابن الأعرابي[(٩)]، وأبو علي الفارسي[(١٠)]: إن

---

(١) «الوسيط» (٤/ ٢٢١)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ١٣٤)، و«معالم التنزيل» (٧/ ٤٤٥).
(٢) «النكت والعيون» (٥/ ٤٣٢).
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٢١٢) بسند صحيح.
(٤) «الوسيط» (٤/ ٢٢١)، و«معالم التنزيل» (٧/ ٤٤٦).
(٥) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ١٣٥ ـ ١٣٦).
(٦) «النكت والعيون» (٥/ ٤٣٤).
(٧) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٩٩).
(٨) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ١٣٧).
(٩) «تهذيب اللغة» (٨/ ١١١).
(١٠) في «الحجة» (٦/ ٢٤٩).

الفراغ ها هنا ليس هو الفراغ مِنْ شغل، ولكن تأويله القصد؛ أي: سنقصد لحسابكم.

قال الواحدي[١] حاكياً عن المفسرين: إنّ هذا تهديد منه سبحانه لعباده، ومن هذا قول القائل لمن يريد تهديده: إذن أتفرّغ لك؛ أي: أقصد قصدك، وفرغ يجيء بمعنى قَصدَ، وأنشد ابن الأنباري[٢] قول الشاعر:

الآنَ وقد فرغْتُ إلى نُميرٍ … فهذا حينَ كنتُ له عذابا

يريد: وقد قصدتُ، وأنشد النحاس[٣] قول الشاعر:

فَرَغْتُ إلى العبدِ المقيَّدِ في الحُجَلْ[٤]

أي: قصدتُ، وقيل: إن الله سبحانه وعد على التقوى، وأوعد على المعصية، ثم قال: سنفرغ لكم مما وعدناكم، ونوصل كلاً إلى ما وعدناه، وبه قال الحسن[٥]، ومقاتل[٦]، وابن زيد[٧]، ويكون الكلام على طريق التمثيل.

قرأ الجمهور[٨]: «سنفرُغ» بالنون وضمّ الراء، وقرأ حمزة، والكسائي بالتحتية مفتوحة[٩] مع ضم الرّاء؛ أي: سيُفرغ الله، وقرأ الأعرج بالنون[١٠] مع فتح الراء.

قال الكسائي[١١]: هي لغة تميم، وقرأ عيسى الثقفي بكسر النون[١٢] وفتح الراء، وقرأ الأعمش[١٣]، وإبراهيم بضمّ الياء وفتح الراء على البناء للمفعول.

---

(١) في «الوسيط» (٤/ ٢٢٢).
(٢) «النكت والعيون» (٥/ ٤٣٤)، و«الحجة» (٤/ ٢٥٦)، و(٦/ ٢٤٩).
(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ١٣٦).
(٤) «شرح ديوان جرير» (٢/ ٩٥٢)، وفيه القَين بدل العبد.
(٥) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٤٧).
(٦) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٤٧).
(٧) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ١٣٧).
(٨) «النشر» (٢/ ٣٨١)، و«التيسير» (ص٦٩٠)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٠١)، و«زاد المسير» (٨/ ١١٥).
(٩) انظر: المصادر المتقدمة. قراءة الجمهور، وحمزة والكسائي ومعهما خلف متواترتان، وما عداها مما ذكره الإمام الشوكاني فشاذ.
(١٠) «القراءات الشاذة» (ص١٤٩)، و«المحتسب» (٢/ ٣٠٤).
(١١) «الحجة» لأبي علي القاري (٦/ ٢٤٩).
(١٢) «البحر المحيط» (١٠/ ٦٤)، و«روح المعاني» (٢٦/ ٢٦٤).
(١٣) «المحتسب» (٢/ ٣٠٤)، و«روح المعاني» (٢٦/ ٢٦٣)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٦٤).

وسمي الجنّ والإنس ثقلين لعِظَم شأنهما[١] بالنسبة إلى غيرهما من حيوانات الأرض، وقيل: سمّوا بذلك؛ لأنهم ثِقلٌ على الأرض أحياءً، وأمواتاً كما في قوله: ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة: ٢] وقال جعفر الصادق: سميا ثقلين؛ لأنهما مثقلان بالذنوب، وجمع في قوله: ﴿لَكُمْ﴾ ثم قال: ﴿أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾؛ لأنهما فريقان، وكل فريق جمع.

قرأ الجمهور[٢]: «أيُّهَ الثقلان» بفتح الهاء، وقرأ أهل الشام بضمها[٣].

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فإن من جملتها ما في هذا التهديد من النِّعم، فمن ذلك أنه ينزجر به المسيء عَنْ إساءته، ويزداد به المحسن إحساناً، فيكون ذلك سبباً للفوز بنعيم الدار الآخرة الذي هو النعيم في الحقيقة.

﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ قدّم الجنّ هنا لكون خلق أبيهم متقدّماً على خلق آدم، ولوجود جنسهم قبل جنس الإنس ﴿إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: إن قدرتم أن تخرجوا من جوانب السمٰوات والأرض، ونواحيهما هَرَباً من قضاء الله وقدره ﴿فَٱنفُذُوا۟﴾ منها، وخلّصوا أنفسكم، يقال: نفذ الشيء من الشيء: إذا خلص منه، كما يخلص السهم.

﴿لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾؛ أي: لا تقدرون على النفوذ إلّا بقوّة وقهر، ولا قوّة لكم على ذلك، ولا قدرة. والسلطان: القوّةُ التي يتسلط بها صاحبها على الأمر، والأمر بالنفوذ: أمر تعجيز.

قال الضحاك[٤]: بينما الناس في أسواقهم إذ انفتحت السماء، ونزلت الملائكة فهرب الجنّ، والإنس، فتحدق بهم الملائكة، فذلك قوله: ﴿لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾. قال ابن المبارك[٥]: إنّ ذلك يكون في الآخرة.

وقال الضحاك[٦] أيضاً: معنى الآية: إن استطعتم أن تهربوا من الموت،

---

(١) «روح المعاني» (٢٦/ ٢٦٤)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ١٣٨).
(٢) «النشر» (٢/ ١٤٢)، و«التيسير» (ص١١٦)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ١٣٧).
(٣) انظر: المصادر المتقدمة. قرأ ابن عامر الشأمي بضم الهاء وصلاً، وقرأ باقي العشرَة، وهما قراءتان متواترتان. انظر: «النشر» (٢/ ١٤١).
(٤) ذكره النحاس في «إعراب القرآن» (٤/ ٣١٠).
(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ١٣٩)، والنحاس في «إعراب القرآن» (٤/ ٣١٠).
(٦) «إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ٣١٠).

فاهربوا. وقيل: إن استطعتم أن تعلموا ما في السمٰوات والأرض، فاعلموه ولن تعلموه إلّا بسلطان؛ أي: ببينة من الله.

وقال قتادة(١): معناها لا تنفذوا إلّا بملَك، وليس لكم ملك. وقيل: «الباء» بمعنى «إلى»؛ أي: لا تنفذون إلّا إلى سلطان.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ومن جملتها هذه النعمة الحاصلة بالتحذير والتهديد، فإنها تزيد المحسن إحساناً، وتكفّ المسيء عن إساءته، مع أنّ مَنْ حذّركم وأنذركم قادر على الإيقاع بكم من دون مهلة.

﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ﴾ قرأ الجمهور(٢): «يُرْسَل» بالتحتية مبنيّاً للمفعول، وقرأ زيد بن عليّ بالنون ونصب(٣): «شواظ» والشواظ: اللّهب الذي لا دخان معه.

وقال مجاهد(٤): الشواظ اللّهب الأخضر المتقطّع من النار. وقال الضحاك(٥): هو الدخان الذي يخرج من اللهب ليس بدخان الحطب.

وقال الأخفش(٦)، وأبو عمرو(٧): هو النار، والدخان جميعاً.

قرأ الجمهور(٨): «شُواظ» بضم الشين، وقرأ ابن كثير بكسرها(٩) وهما لغتان.

وقرأ الجمهور(١٠): «ونحاسٌ» بالرفع عطفاً على شواظ، وقرأ ابن كثير، وابن محيصن، ومجاهد، وأبو عمرو بخفضه(١١) عطفاً على نار.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٢٢٠)، وعبد الرزّاق في «تفسيره» (٢/ ٢٦٤) بسند صحيح.

(٢) «البحر المحيط» (١٠/ ٦٥)، و«الدر المصون» (٦/ ٢٤٣)، و«روح المعاني» (٢٦/ ٢٦٦).

(٣) انظر: المصادر المتقدمة. المتواتر قراءة الجمهور، وقراءة زيد بن علي بن بلال شاذة.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٢٢٣) بسند ضعيف.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٢٢٣) بسند حسن.

(٦) «الوسيط» (٤/ ٢٢٣).

(٧) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ١٤١).

(٨) «التيسير» (ص٢٠٦)، و«النشر» (٢/ ٣٨١)، و«جامع البيان» (٢٢/ ٢٢٤)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٠٢).

(٩) انظر: المصادر المتقدمة.

(١٠) «النشر» (٢/ ٣٨١)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٣٤٤)، و«التيسير» (ص٢٠٦)، و«زاد المسير» (٨/ ١٦).

(١١) «التبيان» (٢/ ١٢٠٠)، و«النشر» (٢/ ٣٨١)، و«حاشية الجمل» (٤/ ٢٦٠)، و«التيسير» (ص٢٠٦).

وقرأ الجمهور[١]: «نُحاس» بضمّ النون، وقرأ مجاهد، وعكرمة، وحميد، وأبو العالية بكسرها[٢].

وقرأ مسلم[٣] بن جندب، والحسن: «ونُحُس»، والنُّحاس: الصفر المذاب يصبّ على رؤوسهم، قاله مجاهد[٤]، وقتادة[٥]، وغيرهما. وقال سعيد بن جبير[٦]: هو الدخان الذي لا لهب له، وبه قال الخليل[٧].

وقال الضحاك[٨]: هو دُرْديُّ الزيت المغليّ. وقال الكسائي[٩] هو النار التي لها ريح شديدة، وقيل: هو المُهْل.

﴿فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾؛ أي: لا تقدران على الامتناع من عذاب الله.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فإن من جملتها هذا الوعيد الذي يكون به الانزجار عن الشرّ، والرغوب في الخير.

﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَآءُ﴾؛ أي: انصدعت بنزول الملائكة يوم القيامة ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾؛ أي: كوردةٍ حمراء.

قال: سعيد بن جبير[١٠]، وقتادة[١١]: المعنى: فكانت حمراء، وقيل: فكانت كلون الفرس الوَرْد، وهو الأبيض الذي يضرب إلى الحمرة أو الصفرة.

قال الفراء[١٢]، وأبو عبيدة[١٣]: تصير السماء كالأديم لشدّة حرّ النار.

---

(١) انظر: المصادر المتقدمة. المتواتر بضم نون كلمة (نُحَاس) فحاء مفتوحة ثم ألف وما عداها فشاذ.
(٢) «القراءات الشاذة» (ص١٤٩)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٦٥)، و«روح المعاني» (٢٦/ ٢٦٧).
(٣) «إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ٣١١)، و«روح المعاني» (٢٦/ ٢٦٧)، و«الدر المصون» (١٠/ ١٧٢).
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٢٢٥) بسند صحيح.
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٢٢٥) بسند صحيح.
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٢٢٤).
(٧) في كتاب «العين» (ص٩٤٥).
(٨) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ١٤٣).
(٩) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ١٤٣).
وأخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٦٤) عن قتادة بسند صحيح.
(١٠) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ١٤٤).
(١١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٢٢٨) بسند صحيح.
(١٢) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١١٧).
(١٣) في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٤٥).

وقال الفراء[١] أيضاً: شبه تلوّن السماء بتلوّن الورد من الخيل، وشبّه الورد في ألوانها بالدهن واختلاف ألوانه، والدهان جمع دهن.

وقيل: المعنى: تصير السماء في حمرة الورد، وجريان الدُّهن؛ أي: تذوب مع الانشقاق حتى تصير حمراء من حرارة نار جهنم، وتصير مثل الدهن لذوبانها، وقيل: الدّهان الجلد الأحمر.

وقال الحسن[٢]: كالدِّهان؛ أي: كصبيب الدُّهن، فإنك إذا صببته ترى فيه ألواناً.

وقال زيد بن أسلم[٣]: إنها تصير كعصير الزيت. قال الزجاج[٤]: إنها اليوم خضراء، وسيكون لها لون أحمر [٤/١١٢].

قال الماوردي[٥]: وزعم المتقدّمون أن أصل لون السماء الحمرة، وأنها لكثرة الحوائل وبعد المسافة تُرى بهذا اللون الأزرق[٦].

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾، فإن من جملتها ما في هذا التهديد، والتخويف من حسن العاقبة بالإقبال على الخير والإعراض عن الشرّ.

[وللجمع بين عدم السؤال هنا والسؤال في قوله ﴿لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ﴾ توجيهان]:

﴿فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُسۡـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٞ وَلَا جَآنّٞ﴾؛ أي: يوم تنشقّ السماء لا يُسأل أحد من الإنس ولا من الجنّ عن ذنبه؛ لأنّهم يُعرفون بسيماهم عند خروجهم من قبورهم، والجمع بين هذه الآية، وبين مثل قوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [الحجر: ٩٢] أن ما هنا يكون في موقف، والسؤال في موقف آخر من مواقف القيامة، وقيل: إنهم لا يسألون هنا سؤال استفهام عَنْ ذنوبهم؛ لأن الله سبحانه قد أحصى الأعمال، وحفظها على العباد، ولكن يسألون سؤال توبيخ وتقريع[٧]، ومثل هذه الآية قوله: ﴿وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ [القصص: ٧٨] قال أبو العالية[٨]: المعنى: لا يسأل غير المجرم عَنْ ذنب المجرم.

---

(١) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١١٧).
(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ١٤٤).
(٣) «الوسيط» (٤/ ٢٢٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ١٤٤).
(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ١٠١).
(٥) في «النكت والعيون» (٥/ ٤٣٦).
(٦) وتمام عبارة الماوردي: وشبّهوا ذلك بعروق البدن، وهي حمراء كحمرة الدم، وتُرى بالحائل زرقاء، فإن كان هذا صحيحاً فإنَّ السماء لقربها من النواظر يوم القيامة وارتفاع الحواجز تُرى حمراء؛ لأنَّه أصل لونها. والله أعلم.
(٧) «تفسير أبي السعود» (٦/ ٢٥٣)، و«روح المعاني» (٢٦/ ٢٧٠)، و«الوسيط» (٤/ ٢٢٤).
(٨) «معالم التنزيل» (٧/ ٤٥٠).

وقيل: إن عدم السؤال هو عند البعث، والسؤال هو في موقف الحساب.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فإن من جملتها هذا الوعيد الشديد؛ لكثرة ما يترتب عليه من الفوائد.

﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ﴾ هذه الجملة جارية مجرى التعليل لعدم السؤال. السيما[(١)]: العلامة. قال الحسن[(٢)]: سيماهم سواد الوجوه، وزُرْقة الأعين، كما في قوله: ﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه: ١٠٢] وقال: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦] وقيل: سيماهم ما يعلوهم من الحُزْن والكآبة.

﴿فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾ الجار والمجرور[(٣)] في محل رفع على أنه النائب، والنواصي: شعور مُقدَّم الرؤوس، والمعنى: أنها تجعل الأقدام مضمومة إلى النواصي، وتلقيهم الملائكة في النار.

قال الضحاك[(٤)]: يجمع بين ناصيته، وقدمه في سلسلة من وراء ظهره، وقيل: تسحبهم الملائكة إلى النار، تارةً تأخذ بنواصيهم وتجرّهم على وجوههم، وتارة تأخذ بأقدامهم، وتجرّهم على رؤوسهم.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فإن من جملتها هذا الترهيب الشديد، والوعيد البالغ الذي ترجف له القلوب، وتضطرب لهوله الأحشاء.

﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾؛ أي: يُقال لهم عند ذلك: هذه جهنم التي تشاهدونها، وتنظرون إليها مع أنكم كنتم تكذبون بها وتقولون إنها لا تكون.

والجملة مستأنفة جواب سؤال مقدّر، كأنه قيل: فماذا يقال لهم عند الأخذ بالنواصي والأقدام؟

فقيل: يقال لهم: هذه جهنم تقريعاً لهم[(٥)] وتوبيخاً. ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا﴾؛ أي: بين جهنم فتحرقهم ﴿وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ فتصبّ على وجوههم، والحميم: الماءُ الحارّ، والآن: الذي قد انتهى حرّه وبلغ غايته، كذا قال الفراء[(٦)]، قال الزجاج[(٧)]: أَنَى

(١) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٤٣٨).

(٢) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٢٣٤)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٦٥) بسند صحيح.

(٣) «الفريد» (٤/ ٤١١)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٣٤٥).

(٤) أخرجه هناد في «الزهد» رقم (٢٦٨). (٥) «روح المعاني» (٢٦/ ٢٧٢).

(٦) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١١٨). (٧) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ١٠٢).

يأنَى أنًّا، فهو آنٍ: إذا انتهى في النُّضْج والحرارة، ومنه قول النابغة الذبياني[١]:

وتخضُبُ لحيةً غدرتْ وخانتْ بأحمرَ مِنْ نجيعِ الجوفِ آنِ

وقيل: هو واد من أودية جهنم يُجمع فيه صديد أهل النار، فيغمسون فيه. قال قتادة[٢]: يطوفون مرّة في الحميم، ومرّة بين الجحيم.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فإن من جملتها النعمة الحاصلة بهذا التخويف، وما يحصل به من الترغيب في الخير والترهيب عن الشرّ.

وقد أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ في «العظمة»، وابن مردويه، والبيهقي في «الأسماء والصفات» عن ابن عباس[٣] في قوله: ﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ قال: ذو الكبرياء والعظمة.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عنه[٤] ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ قال: مسألة عباده إياه الرزق والموت والحياة كل يوم هو في ذلك.

وأخرج الحسن بن سفيان في «مسنده»، والبزار، وابن جرير، والطبراني، وأبو الشيخ في «العظمة»، وابن منده، وابن مردويه، وأبو نعيم، وابن عساكر عن عبد الله بن منيب[٥] قال: «تلا علينا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ فقلنا: يا رسول الله، وما ذلك الشأن؟ قال: أَنْ يغفر ذنباً، ويُفرّج كرباً، ويرفع قوماً، ويضع آخرين».

وأخرج البخاري في «تاريخه»، وابن ماجه، وابن أبي عاصم، والبزار، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن حبان، والطبراني، وأبو الشيخ في العظمة، وابن مردويه، وابن عساكر، والبيهقي في «الشعب» عن أبي

---

(١) «ديوان النابغة الذبياني» (ص١٢٠). (٢) «النكت والعيون» (٥/ ٤٣٧).

(٣) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٢٧٨)، وابن أبي حاتم ـ كما في «الإتقان» (٢/ ٤٦) ـ وأبو الشيخ في «العظمة» رقم (٧٧)، والبيهقي رقم (١٥٩) بسند صحيح.

(٤) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٢١٢) بسند ضعيف.

(٥) أخرجه الحسن بن سفيان وابن منده ـ كما في «الإصابة» (٤/ ٢٤٧) ـ والبزار رقم (٢٢٢٦ ـ كشف)، وابن جرير (٢٢/ ٢١٤)، والطبراني في «الأوسط» رقم (٦٦١٩)، وأبو الشيخ في «العظمة» رقم (١٥١)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٣/ ٢٤٤ رقم ٤٥٤٦)، وابن عساكر (١١/ ٤٥١، ٤٥٢) (٣٧/ ٣٧٥ ـ ٣٧٦) بسند ضعيف جدّاً، عمرو بن بكر السكسكي متروك «التقريب» (ص٤١٩).

الدرداء[١] عن النبيّ ﷺ في الآية قال: «مِنْ شأنه أن يغفر ذنباً، ويفرج كرباً، ويرفع قوماً، ويضع آخرين»، زاد البزار: «ويجيب داعياً» وقد رواه البخاري تعليقاً، وجعله مِنْ كلام أبي الدرداء.

وأخرج البزار[٢] عن ابن عمر عن النبي ﷺ في الآية: يغفر ذنباً ويفرج كرباً.

وأخرج ابنُ جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «الأسماء والصفات» عن ابن عباس[٣] في قوله: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ قال: هذا وعيد من الله لعباده، وليس بالله شُغْل، وفي قوله: ﴿لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ يقول: لا تخرجون من سلطاني.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه[٤] في قوله: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ﴾ قال: لهب النار ﴿وَنُحَاسٌ﴾ قال: دخان النار.

وأخرج ابن جرير[٥] عنه أيضاً، ونُحاس: قال الصُّفْر يعذبون به.

وأخرج ابن أبي حاتم[٦] عنه ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً﴾ يقول: حمراء ﴿كَالدِّهَانِ﴾ قال: هو الأديم الأحمر.

وأخرج الفريابي، وسعيد بن منصور، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه[٧] أيضاً ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ قال: مثل لون الفرس الوَرْد.

---

(١) أخرجه البخاري ـ كما في «التغليق التعليق» (٤/ ٣٣٢) ـ وابن ماجه رقم (٢٠٢)، وابن أبي حاتم في «السُّنَّة» رقم (٣٠١)، والبزار في «مسنده» رقم (٢٢٦٧ ـ كشف)، وابن حبان رقم (٦٨٩)، والطبراني في «الأوسط» (٣١٤٠)، وأبو الشيخ في «العظمة» رقم (١٥٠)، وابن مردويه ـ كما في «التغليق» (٤/ ٣٣٢) ـ والبيهقي رقم (١١٠١)، وابن عساكر (٥/ ٨) (٥٢/ ٣٣٤) (٦٣/ ٣٢) (٦٤/ ٦١). وهو حديث حسن.

(٢) أخرجه البزار في «مسنده» رقم (٢٢٦٨ ـ كشف).
قال الحافظ في «الكاف الشاف» (ص١٦٢): إسناده ضعيف. وقال الألباني في «تخريج السُّنَّة» (١/ ١٣١): واهٍ.

(٣) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٢١٦، ٣١٩)، وابن المنذر ـ كما في «فتح الباري» (٨/ ٦٢٣) ـ وابن أبي حاتم ـ كما في «الإتقان» (٢/ ٤٦) ـ والبيهقي رقم (١٠٢٧) بسند صحيح.

(٤) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٢٢٢، ٢٢٤)، وابن أبي حاتم ـ كما في «الإتقان» (٢/ ٤٦) بسند صحيح.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٢٢٥) بسند ضعيف.

(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٧٠٢).

(٧) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٧٠٢).

=

وأخرج ابن أبي حاتم عنه[(١)] أيضاً في قوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ قال: لا يسألهم: هل عملتم كذا وكذا؟؛ لأنَّه أعلم بذلك منهم، ولكن يقول لهم: لم عملتم كذا وكذا؟.

وأخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «البعث» والنشور عنه[(٢)] أيضاً في قوله: ﴿فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾ قال: تأخذ الزبانية بناصيته وقدميه، ويجمع فيكسر كما يكسر الحطب في التنور.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه[(٣)] أيضاً في قوله: ﴿وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ قال: هو الذي انتهى حرّه.

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾.

= ● الفرس الورد: الذي لونه أحمر يضرب إلى صفرة.
أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٢٢٧) بسند ضعيف.

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٧٠٣).

(٢) أخرجه البيهقي في «البعث والنشور» رقم (٥٩١).

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٢٣٣) بسند صحيح.

لما فرغ سبحانه من تعداد النعم الدنيوية على الثقلين ذكر نعمه الأخروية التي أنعم بها عليهم، فقال: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ مقامه سبحانه: هو الموقف الذي يقف فيه العباد للحساب، كما في قوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ٦] فالمقام مصدر بمعنى القيام، وقيل: المعنى خاف قيام ربه عليه، وهو إشرافه على أحواله، واطلاعه على أفعاله وأقواله، كما في قوله: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣] قال مجاهد[١]، والنخعي[٢]: هو الرجل يهمّ بالمعصية فيذكر الله، فيدعها من خوفه.

واختُلف في الجنتين، فقال مقاتل[٣]: يعني: جنة عدن وجنة النعيم، وقيل: إحداهما التي خُلقت له والأخرى ورثها. وقيل[٤]: إحداهما منزله والأخرى منزل أزواجه. وقيل: إحداهما أسافل القصور والأخرى أعاليها. وقيل: جنة للخائف الإنسي وجنة للخائف الجنيّ، وقيل: جنة لفعل الطاعة وأخرى لترك المعصية، وقيل: جنة للعقيدة التي يعتقدها وأخرى للعمل الذي يعمله، وقيل: جنة بالعمل وجنة بالتفضل، وقيل: جنة روحانية وجنة جسمانية، وقيل: جنة لخوفه مِنْ ربه وجنة لتركه شهوته.

وقال الفرّاء[٥]: إنما هي جنة واحدة، والتثنية لأجل موافقة رؤوس الآي. قال النحاس[٦]: وهذا القول مِنْ أعظم الغلط على كتاب الله، فإن الله يقول: ﴿جَنَّتَانِ﴾ ويصفهما بقوله فيهما إلخ.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فإن من جملتها من هذه النعم العظيمة، وهي إعطاء الخائف مِنْ مقام ربه جنتين متصفتين بالصفات الجليلة العظيمة.

﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾ هذه صفة للجنتين[٧]، وما بينهما اعتراض، والأفنان: الأغصانُ[٨]، واحدها: فَنَنٌ، وهو الغصن المستقيمُ طولاً، وبهذا قال مجاهد، وعكرمة، وعطية، وغيرهم.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٢٣٦) بسند صحيح.
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٢٣٧) بسند صحيح.
(٣) «الوسيط» (٤/ ٢٢٥).
(٤) «النكت والعيون» (٥/ ٤٣٨).
(٥) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١١٨).
(٦) في «إعراب القرآن» (٤/ ٣١٤).
(٧) في المخطوط: (للجنتين) بالجر على اللفظ وفي المطبوع على الحكاية كما في الآية.
(٨) «زاد المسير» (٨/ ١٢٠).

وقال الزجاج[١]: الأفنان: الألوان واحدها: فَنٌّ، وهو الضَّرْب من كل شيء، وبه قال عطاء[٢]، وسعيد بن جبير، وجمع عطاء بين القولين، فقال: في كلّ غصن فنون مِنْ الفاكهة، ومن إطلاق الفنن على الغصن قول النابغة[٣]:

دعاءُ حمامةٍ تَدعو هديلاً مفجَّعةٍ على فَنَنٍ تُغنِّي

وقول الآخر:

ما هاجَ شوقَك مِنْ هديلِ حمامةٍ تدعو على فَنَنِ الغصونِ حَمَامَا[٤]

وقيل: معنى ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾: ذواتا فضلٍ وسعة على ما سواهما، قاله قتادة[٥]، وقيل: الأفنان: ظِلُّ الأغصان على الحيطان، روي هذا عن مجاهد[٦]، وعكرمة[٧].

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فإنّ كل واحد منها ليس بمحل للتكذيب، ولا بموضع للإنكار.

﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ هذا أيضاً صفة أخرى لجنتان؛ أي: في كلٍّ واحدة منهما عين جارية.

قال الحسن[٨]: إحداهما السلسبيل والأخرى التسنيم. وقال عطية[٩]: إحداهما [٤/١١٣] مِنْ ماء غير آسن والأخرى من خمر لذة للشاربين، قيل: كلّ واحدة منهما مثل الدنيا أضعافاً مضاعفة﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فإن من جملتها هذه النعمة الكائنة في الجنة لأهل السعادة.

﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ هذا صفة ثالثة لجنتان، والزوجان: الصنفان والنوعان.

والمعنى: أن في الجنتين مِنْ كلّ نوعٍ يُتفكّه به ضربين يستلذ بكلّ نوع من

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ١٠٢). (٢) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٥٢).
(٣) «ديوان النابغة الذبياني» (ص١٢٢).
(٤) لثابت بن كعب الملقب بقطنة. «الأغاني» للأصفهاني (١٤/ ٢٦٢).
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٢٤١)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٦٥) بسند صحيح.
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٢٤٠) من طريق سفيان، به.
(٧) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٢٤٠) بسند حسن.
(٨) «الوسيط» (٤/ ٢٢٦). (٩) «زاد المسير» (٨/ ١٢٠).

أنواعه، قيل: أحد الصنفين رَطْب، والآخر يابس لا يقصر أحدهما عن الآخر في الفضل والطيب.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فإنّ في مجرّد تعداد هذه النعم، ووصفها في هذا الكتاب العزيز من الترغيب إلى فعل الخير، والترهيب عن فعل الشرّ ما لا يخفى على مَنْ يفهم، وذلك نعمة عظمى، ومنّة كبرى، فكيف بالتنعم به عند الوصول إليه.

﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍۚ﴾ انتصاب[١] متكئين على الحال من فاعل قوله: ﴿وَلِمَنْ خَافَ﴾ وإنما جُمع حملاً على معنى مَنْ.

وقيل: عاملها محذوف، والتقدير: يتنعمون متكئين[٢]، وقيل: منصوب على المدح، والفُرش جمع فَرْش، والبطائن: هي التي تحت الظهائر، وهي جمع بطانة.

[البطائن من استبرق، فكيف تكون الظهائر]:

قال الزجاج[٣]: هي ما يلي الأرض، والإستبرق: ما غَلُظ من الديباج، وإذا كانت البطائن مِنْ استبرق، فكيف تكون الظهائر؟ قيل لسعيد بن جبير[٤]: البطائن من استبرق فما الظواهر؟ قال: هذا بما قال الله فيه: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧] قيل: إنما اقتصر على ذكر البطائن؛ لأنّه لم يكن أحد في الأرض يعرف ما في الظهائر.

وقال الحسن[٥]: بطائنها من استبرق، وظهائرها من نور جامد.

وقال الحسن[٦]: البطائن هي الظهائر، وبه قال الفراء[٧] وقال: قد تكون البطانة الظهارة، والظهارة البطانة؛ لأن كلّ واحد منهما يكون وجهاً، والعرب تقول: هذا ظهر السماء، وهذا بطن السماء لظاهرها الذي نراه، وأنكر ابن قتيبة[٨] هذا، وقال: لا يكون هذا إلّا في الوجهين المتساويين.

---

(١) «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٣٤٦)، و«التبيان» (٢/ ١٢٠٠)، و«الفريد» (٢/ ٤١١).

(٢) انظر: المصادر المتقدمة.

(٣) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ١٠٤).

(٤) «الوسيط» (٤/ ٢٢٦).

(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ١٥٣).
وذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٥٣) عن سعيد بن جبير.

(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ١٥٣).

(٧) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١١٨).

(٨) في «غريب القرآن» (ص٤٤٢).

﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ مبتدأ وخبر، والجنى[١]: ما يُجتنى مِنْ الثمار، قيل: إن الشجرة تدنو حتى يجنيها مَنْ يريد جناها، ومنه قول الشاعر:

هــذا جــنــاي وخــيــارُه فــيــه ... إذْ كــلُّ جــانٍ يــدُه إلــى فــيــهِ[٢]

قرأ الجمهور[٣]: «فُرُش» بضمتين، وقرأ أبو حيوة بضمة وسكون[٤]، وقرأ الجمهور[٥]: «جَنى» بفتح الجيم، وقرأ عيسى[٦] بن عمر بكسرها، وقرأ عيسى[٧] أيضاً بكسر النون على الإمالة.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فإنها كلها بموضع لا يتيسر لمكذِّب أن يكذب بشيء منها لما تشتمل عليه من الفوائد العاجلة والآجلة.

﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾؛ أي: في الجنتين المذكورتين.

قال الزجاج[٨]: وإنما قال: فيهنّ؛ لأنّه عنى الجنتين، وما أعدّ لصاحبهما فيهما من النعيم، وقيل: فيهنّ؛ أي: في الفُرش التي بطائنها من استبرق، ومعنى ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾: أنهنّ يقصرن أبصارهنّ على أزواجهنّ لا ينظرن إلى غيرهم، وقد تقدّم تفسير هذا في سورة الصافات.

﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾. قال الفراء[٩]: الطمثُ: الافتضاض وهو النِّكاح بالتدمية، يقال: طمث الجارية: إذا افترعها.

قال الواحدي[١٠]: قال المفسِّرون: لم يطأهن ولم يغشهنّ ولم يجامعهنّ قبلهم أحد. قال مقاتل[١١]: لأنهن خلقن في الجنة، والضمير في قبلهم يعود إلى الأزواج

---

(١) «الصحاح» (٦/٢٣٠٦).
(٢) قائله: عمرو بن عدي اللخمي.
(٣) «البحر المحيط» (١٠/٦٨)، و«المحرر الوجيز» (١٥/٣٤٤)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/١٥٣).
(٤) انظر: المصادر المتقدمة. وهي قراءة شاذة.
(٥) «البحر المحيط» (١٠/٦٩)، و«المحرر الوجيز» (١٥/٣٤٥)، و«روح المعاني» (٢٦/٢٧٩).
(٦) «البحر المحيط» (١٠/٦٩)، و«القراءات الشاذة» (ص١٥٠)، و«روح المعاني» (٢٦/٢٧٩).
(٧) «البحر المحيط» (١٠/٦٩)، و«الدر المصون» (٦/٢٤٧). المتواترة قراءة الجمهور بفتح جيم (جَنى) وما عداها فشاذ.
(٨) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/١٠٣).
(٩) في «معاني القرآن» للفراء (٣/١١٨ ـ ١١٩).
(١٠) في «الوسيط» (٤/٢٢٧).
(١١) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/٢٢٧).

المدلول عليه بقاصرات الطرف، وقيل: يعود إلى متكئين، والجملة في محل رفع صفة لقاصرات؛ لأن إضافتها لفظية، وقيل: الطمث: المسّ؛ أي: لم يمسسهنّ، قاله أبو عمرو[١].

وقال المبرد[٢]: أي: لم يذللهنّ، والطمثُ: التذليلُ، ومن استعمال الطمث فيما ذكره الفراء[٣] قول الفرزدق[٤]:

دفعنَ إليَّ لم يَطْمِثْنَ قَبْلي وهنَّ أصحُّ من بيضِ النَّعَامِ

وقرأ الجمهور[٥]: «يطمِثهنّ» بكسر الميم، وقرأ الكسائي[٦] بضمها، وقرأ الجَحْدري، وطلحة بن مصرّف بفتحها[٧].

[في الآية دليل على دخول مؤمني الجن الجنة]:

وفي هذه الآية بل في كثير من آيات هذه السورة دليل أن الجنّ يدخلون الجنة إذا آمنوا بالله سبحانه، وعملوا بفرائضه، وانتهوا عن مناهيه.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فإن في مجرّد هذا الترغيب في هذه النعم نعمة جليلة، ومنة عظيمة؛ لأن به يحصل الحرص على الأعمال الصالحة، والفرار من الأعمال الطالحة، فكيف بالوصول إلى هذه النِّعم، والتنعم بها في جنات النعيم بلا انقطاع، ولا زوال.

﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ هذا صفة لقاصرات، أو حال منهنّ، شبههنّ سبحانه في صفاء اللون مع حُمرته بالياقوت والمرجان، والياقوت: هو الحَجَرُ المعروف، والمَرْجان قد قدّمنا الكلام فيه في هذه السورة على الخلاف في كونه صغار الدُّرّ، أو الأحمر المعروف.

قال الحسن[٨]: هنّ في صفاء الياقوت، وبياض المرجان، وإنما خصّ

---

(١) «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٢٤٦).
(٢) «النكت والعيون» (٥/ ٤٣٩).
(٣) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١١٩).
(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ١٥٥).
(٥) «النشر» (٢/ ٣٨٢)، و«التيسير» (ص٢٠٧)، و«زاد المسير» (٨/ ١٢٢)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٠٣).
(٦) انظر: المصادر المتقدمة. القراءة بكسر الميم وضمها متواترة، وأما فتح الميم فشاذة.
(٧) «الدر المصون» (٦/ ٢٤٨)، و«روح المعاني» (٢٦/ ٢٨٤)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٧١).
(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٢٥٠) بسند صحيح.

المَرْجان على القول بأنه صغار الدُّرّ؛ لأن صفاءها أشدّ من صفاء كبار الدرّ.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فإنَّ نِعمَه كلها لا يتيسر تكذيب شيء منها كائنة ما كانت، فكيف بهذه النعم الجليلة والمنن الجزيلة؟.

﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ هذه الجملة مقرّرة لمضمون ما قبلها، والمعنى: ما جزاء مَنْ أحسن العمل في الدنيا إلّا الإحسان إليه في الآخرة، كذا قال ابن زيد(١)، وغيره.

قال عكرمة(٢): هل جزاء مَنْ قال: لا إلٰه إلّا الله إلّا الجنة؟ وقال الصادق(٣): هل جزاء من أحسنت إليه في الأزل إلّا حفظ الإحسان عليه في الأبد؟ قال الرازي(٤): في هذه الآية وجوه كثيرة حتى قيل: إن في القرآن ثلاث آيات في كل واحدة منها مائة قول:

إحداها قوله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢] وثانيها: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ [الإسراء: ٨] وثالثها: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾. قال محمد بن الحنفية(٥): هي للبَرّ والفاجر: البرّ في الآخرة، والفاجر في الدنيا.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فإن من جملتها الإحسان إليكم في الدنيا، والآخرة بالخلق والرزق والإرشاد إلى العمل الصالح، والزجر عن العمل الذي لا يرضاه.

﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾؛ أي: ومن دون تينك الجنتين الموصوفتين بالصفات المتقدّمة جنتان أُخْريان، لمن دون أصحاب الجنتين السابقتين من أهل الجنة، ومعنى من دونهما؛ أي: من أمامهما، ومن قِبلهما؛ أي: هما أقرب منهما، وأدنى إلى العرش، وقيل: الجنتان الأوليان جنة عدن وجنة النعيم، والأخريان جنة الفردوس وجنة المأوى(٦).

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٢٥٢ ـ ٢٥٣) بسند صحيح.

(٢) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٧١٤) إلى عبد بن حميد، عن عكرمة.

(٣) «النكت والعيون» (٥/ ٤٤٠).

(٤) في «تفسيره» (٢٩/ ١٣١).

(٥) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٢٥٣)، والبخاري في «الأدب المفرد» رقم (١٣٠)، والبيهقي رقم (٩١٥٣) من طريق سفيان، به.

(٦) «النكت والعيون» (٥/ ٤٤١)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ١٥٨).

قال ابن جريج[(١)]: هي أربع جنات: جنتان منهما للسابقين المقرّبين ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٖ زَوۡجَانِ﴾ ﴿عَيۡنَانِ تَجۡرِيَانِ﴾، وجنتان لأصحاب اليمين ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٞ وَنَخۡلٞ وَرُمَّانٞ﴾ و﴿فِيهِمَا عَيۡنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ قال ابن زيد[(٢)]: إن الأوليين من ذهب للمقرّبين، والأخريين من وَرِق لأصحاب اليمين.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فإنها كلها حقّ، ونعم لا يمكن جحدها.

ثم وصف سبحانه هاتين الجنتين الأخريين، فقال: ﴿مُدۡهَآمَّتَانِ﴾ وما بينهما اعتراض. قال أبو عبيدة[(٣)] والزجاج[(٤)]: من خضرتهما قد اسودّتا من الرِّي، وكل ما علاه السواد ريّاً فهو مُدْهَم. قال مجاهد[(٥)]: مسودّتان، والدُّهْمة في اللغة[(٦)]: السواد، يقال: فرس أدهَم، وبعير أدهَم: إذا اشتدّت ورقته حتى ذهب البياض الذي فيه.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فإن جميعها نعم ظاهرة واضحة لا تجحد ولا تنكر.

﴿فِيهِمَا عَيۡنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ النضخُ: فوران الماء من العين.

والمعنى: أن في الجنتين المذكورتين عينين فوّارتين. قال أهل اللغة[(٧)]: والنضخُ ـ بالخاء المعجمة أكثر مِنْ النضح بالحاء المهملة ـ. قال الحسن[(٨)]، ومجاهد[(٩)]: تنضخ على أولياء الله بالمسك، والعنبر، والكافور في دور أهل الجنة، كما ينضخ رشّ المطر.

وقال سعيد بن جبير[(١٠)]: إنها تنضخ بأنواع الفواكه، والماء.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فإنها ليست بموضع للتكذيب، ولا بمكان للجحد.

---

(١) «معالم التنزيل» (٧/ ٤٥٦). (٢) «النكت والعيون» (٥/ ٤٤١).
(٣) في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٤٦). (٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ١٠٣).
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٢٥٧) بسند صحيح.
(٦) «تهذيب اللغة» (٦/ ٢٢٤)، و«الصحاح» (٥/ ١٩٢٤).
(٧) «تهذيب اللغة» (٧/ ١١١)، و«الصحاح» (١/ ٤٣٣).
(٨) ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٨/ ١٢٤).
(٩) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ١٦١).
(١٠) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٢٥٩)، وابن أبي شيبة (١٣/ ١٣٣)، وابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» رقم (٧) من طريق يحيى بن اليمان.

[لماذا خص النخل والرمان بالذكر؟]:

﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ هذا مِنْ صفات الجنتين المذكورتين قريباً، والنخل والرمان وإنْ كانا من الفاكهة لكنهما خُصصا بالذكر لمزيد حسنهما، وكثرة نفعهما بالنسبة إلى سائر الفواكه، كما حكاه الزجاج[١]، والأزهري[٢]، وغيرهما. وقيل: إنما خصهما لكثرتهما في أرض العرب، وقيل: خصهما؛ لأن النخل فاكهة وطعام، والرمان فاكهة ودواء.

وقد ذهب إلى أنهما من جملة الفاكهة جمهور[٣] أهل العلم، ولم يخالف في ذلك إلّا أبو حنيفة، وقد خالفه صاحباه أبو يوسف[٤] ومحمد.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فإن من جملتها هذه النعم التي في جنات النعيم، ومجرّد الحكاية لها تأثر في نفوس السامعين، وتجذبهم إلى طاعة ربّ العالمين.

﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾ قرأ الجمهور[٥]: «خَيْرات» بالتخفيف، وقرأ قتادة، وابن السميفع، وأبو رجاء العطاردي، وبكر بن حبيب السهمي، وابن مقسم، والنهدي بالتشديد[٦]، فعلى القراءة الأولى هي جمع خَيْرة بزنة فَعْلة بسكون العين، يقال: امرأة خَيْرة وأخرى شَرّة، أو جمع خيْرة مخفف خَيّرة، وعلى القراءة الثانية جمع خيّرة بالتشديد.

قال الواحدي[٧]: قال المفسرون: الخيرات: النساء خيراتُ الأخلاق، حسان الوجوه. قيل: وهذه الصفة عائدة إلى الجنان الأربع، ولا وجه لهذا، فإنه قد وصف نساء الجنتين الأوليين بأنهنّ قاصرات الطرف، ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ وبين الصفتين بون بعيد.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فإن شيئًا منها كائناً ما كان لا يقبل التكذيب.

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ١٠٤). (٢) «النكت والعيون» (٥/ ٤٤٢).

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ١٦٢).

(٤) ذكره عنهم القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ١٦٢).

(٥) «البحر المحيط» (١٠/ ٧٠ ـ ٧١)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ١٦٤)، و«التبيان» (٢/ ١٢٠١).

(٦) «القراءات الشاذة» (ص١٥٠)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٧١)، و«روح المعاني» (٢٦/ ٢٩١). وهي قراءة شاذة.

(٧) في «الوسيط» (٤/ ٢٢٨ ـ ٢٢٩).

﴿حُورٌ مَّقۡصُورَٰتٌ فِي ٱلۡخِيَامِ﴾؛ أي: مَحْبوسات، ومنه القَصْر؛ لأنه يَحْبس من فيه، والحُور: جمع حَوراء وهي شديدة بياض العين شديدة سوادها، وقد تقدّم بيان معنى الحوراء، والخلاف فيه.

وقيل: معنى مقصورات: أنهنّ قَصرنَ على أزواجهنّ، فلا يردن غيرهم، وحكاه الواحدي(١) عن المفسرين. والأوّل أولى، وبه قال [٤/١١٤] أبو عبيدة، ومقاتل، وغيرهما.

قال في «الصحاح»(٢): قصرتُ الشيء أقصِره قَصْراً حبسته، والمعنى: أنهنّ خدّرن في الخيام، والخيام: جمع خيمة، وقيل: جمع خِيم، والخيم: جمع خيمة، وهي أعواد تُنصب وتظلّل بالثياب، فتكون أبرد من الأخبية، قيل: الخيمة من خيام الجنة درّة مجوّفة، فرسخ في فرسخ. وارتفاع ﴿حُورٌ﴾ على البدلية من خيرات.

﴿لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٌ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنٌّ﴾ قد تقدّم تفسيره في صفة الجنتين الأوليين.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فإنها كلها نعم لا تُكْفَر، ومِننٌ لا تجحد.

﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفۡرَفٍ خُضۡرٍ﴾ انتصاب ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ على الحال، أو المدح كما سبق، قال أبو عبيدة(٣): الرّفارف: البُسُط، وبه قال الحسن(٤)، ومقاتل(٥)، والضحاك(٦)، وغيرهم.

وقال ابن عيينة(٧): هي الزرابيّ. وقال ابن كيسان(٨): هي المرافق. وروي عن أبي عبيد(٩) أنه قال: هي حاشية الثوب. وقال الليث(١٠): ضرب من الثياب الخُضْر، وقيل: الفرش المرتفعة، وقيل: كلُّ ثوب عريض. قال في «الصحاح»(١١): والرّفرف: ثياب خضر يتخذ منها المحابس، الواحدة رفرفة.

---

(١) في «الوسيط» (٤/ ٢٢٩).
(٢) في «الصحاح» (٢/ ٧٩٤).
(٣) في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٤٦).
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٢٧٤)، وابن أبي شيبة (١٣/ ١٣٧)، وابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» رقم (١٦٣) من طريق ابن عليه، به.
(٥) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٥٨).
(٦) ذكره البغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٥٩).
(٧) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ١٦٩)، و«معالم التنزيل» (٧/ ٤٥٩).
(٨) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ١٦٩)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٥٩).
(٩) في «غريب الحديث» (١/ ٨٨ ـ ٨٩).
(١٠) «تهذيب اللغة» (١٤/ ٤٧٨).
(١١) في «الصحاح» (٤/ ١٣٦٦).

وقال الزجاج[(١)]: قالوا الرّفرف هنا: رياض الجنة، وقالوا الرّفرف: الوسائد، وقالوا الرّفرف: المحابس. اهـ.

ومن القائلين بأنها رياض الجنة: سعيد بن جبير[(٢)]، واشتقاق الرّفرف من رَفّ يَرفّ: إذا ارتفع، ومنه رَفْرفة الطائر، وهي تحريك جناحيه في الهواء.

قرأ الجمهور[(٣)]: «رَفْرف» على الإفراد. وقرأ عثمان بن عفان، والحسن، والجحدري: «رفارف» على الجمع[(٤)].

﴿وَعَبۡقَرِيٍّ حِسَانٖ﴾ العبقريّ: الزرابي، والطنافس: الموشية.

قال أبو عبيدة[(٥)]: كلُّ وشي من البُسط عبقريّ، وهو منسوب إلى أرض يعمل فيها الوشي.

قال الفراء[(٦)]: العبقريّ: الطنافس الثِمان، وقيل: الزرابي، وقيل: البُسُط، وقيل: الديباج.

قال ابن الأنباري[(٧)]: الأصل فيه أن عَبْقَر قرية تسكنها الجنُّ ينسب إليها كل فائق.

قال الخليل[(٨)]: العبقريّ عند العرب كل جليلٍ فاضل فاخر من الرجال والنساء، ومنه قول زهير[(٩)]:

بِخَيْلٍ عليها جِنةً عَبْقَرِيَّةً جَديرونَ يوماً أَن يَنالُوا فَيَسْتعْلُوا

قال الجوهريّ[(١٠)]: العَبْقريّ موضع تزعم العرب أنه من أرض الجنّ.

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ١٠٥).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٢٧٣)، وهنّاد في «الزهد» رقم (٨١)، وابن أبي شيبة (١٣/ ١٣٦)، وابن المبارك في «الزهد» (٢٧٠ ـ زوائد نعيم)، وابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» رقم (١٦٢)، والبيهقي في «البعث والنشور» رقم (٣٤٠).

(٣) «البحر المحيط» (١٠/ ٧٠ ـ ٧١)، و«جامع البيان» (٢٢/ ٢٧٧).

(٤) «المحتسب» (٢/ ٣٠٥)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٧١ ـ ٧٢)، و«القراءات الشاذة» (ص١٥٠). وهي قراءة شاذة.

(٥) في «غريب الحديث» (١/ ٨٨ ـ ٨٩) و(٣/ ٤٠٠ ـ ٤٠١).

(٦) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٢٠).

(٧) «الزاهر» لابن الأنباري (٢/ ٣٩٥).

(٨) في كتاب «العين» (ص٥٩٥).

(٩) «شرح ديوان زهير بن أبي سلمى» (ص١٠٣).

(١٠) في «الصحاح» (٢/ ٧٣٤).

قال لبيد[١]:

كـهـولٌ وشُـبَّـانٌ كـجِـنَّـةِ عـبـقـريّ[٢]

ثم نسبوا إليه كلَّ شيء تعجبوا مِنْ حذقه وجودة صنعته وقوّته، فقالوا: عبقريّ، وهو واحد وجَمْع.

قرأ الجمهور[٣]: «عَبْقريّ» وقرأ عثمان بن عفان، والحسن، والجحدري[٤] «عباقريّ» وقُرئ: «عباقر» وهما نسبة إلى عباقر اسم بلد.

وقال قُطْرب[٥]: ليس بمنسوب، وهو مثل كُرسيّ وكَراسي، وبُخْتي وبَخاتي.

قرأ الجمهور[٦]: «خُضْر» بضم الخاء وسكون الضاد، وقرئ بضمهما[٧]، وهي لغة قليلة.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فإن كل واحد منها أجلّ من أن يتطرّق إليه التكذيب، وأعظم من أن يجحده جاحد، أو ينكره منكر، وقد قدّمنا في أوّل هذه السورة وجه تكرير هذه الآية فلا نعيده.

﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ تبارك: تفاعل من البركة.

قال الرّازي[٨]: وأصل التبارك من التبرّك، وهو الدوام والثبات، ومنه برك البعير، وبركه والماء، فإن الماءَ يكون دائماً، والمعنى: دام اسمُه وثبت، أو دام

---

(١) «شرح ديوان لبيد» (ص٥٤).

(٢) وصدر البيت:

ومَـن فَـادَ مـن إخـوانـهـم وبـنـيـهـم

(٣) «البحر المحيط» (١٠/ ٧٢)، و«جامع البيان» (٢٢/ ٢٧٧ ـ ٢٧٨). المتواتر قراءة الجمهور (عَبقري) أما ما عداها فشاذ.

(٤) قال ابن جرير: وأما «العباقريُّ»: فإنه لا وجه له في الصواب عند أهل العربية؛ لأن ألف الجماع لا يكون بعدها أربعة أحرف ولا ثلاثة صحاح. «المحتسب» (٢/ ٣٠٥)، و«معاني القرآن» للزجاج (٥/ ١٠٥).

(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ١٧٣).

(٦) «البحر المحيط» (١٠/ ٧٢)، و«مجمع البيان» (٢٧/ ١٠٤).

(٧) «القراءات الشاذة» (ص١٥٠)، و«المحتسب» (٢/ ٣٠٥)، و«روح المعاني» (٢٦/ ٢٩٩). القراءة بضم الضاد شاذة.

(٨) في «تفسيره» (٢٩/ ١٣٧).

الخيرُ عنده؛ لأن البركة وإن كانت من الثبات لكنها تستعمل في الخير، أو يكون معناه علا وارتفع شأنُه. وقيل معناه[١]: تنزيه الله سبحانه وتقديسه، وإذا كان هذا التبارك منسوباً إلى اسمه ﷻ، فما ظنك بذاته سبحانه؟ وقيل: الاسم بمعنى الصفة، وقيل: هو مقحم[١] كما في قول الشاعر[٢]:

إلى الحولِ ثمَّ اسمُ السلامِ عليكما ومَنْ يبكِ حولاً كاملاً فقدِ اعتذَرْ[٣]

وقد تقدّم تفسير ذي الجلال، والإكرام في هذه السورة.

قرأ الجمهور[٤]: «ذي الجلال» على أنه صفة للربّ سبحانه. وقرأ ابن عامر[٥]: «ذو الجلال» على أنه صفة لاسم.

وقد أخرج ابن جرير عن ابن عباس[٦] في قوله: ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ قال: وعد الله المؤمنين الذين خافوا مقامه، فأدّوا فرائضه الجنة.

وأخرج ابن جرير[٧] عنه في الآية يقول: خاف ثم اتقى، والخائف: من ركب طاعة الله وترك معصيته.

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ في العظمة عن عطاء[٨] أنها نزلت في أبي بكر.

وأخرج ابن أبي حاتم[٩] عن ابن شوذب مثله.

وأخرج عبد بن حميد[١٠] عن ابن مسعود في الآية قال: لمن خافه في الدنيا.

---

(١) ذكره الرازي في «تفسيره» (٢٩/ ١٣٧ ـ ١٣٨).
(٢) هو: لبيد بن أبي ربيعة.
(٣) والبيت في «شرح ديوان لبيد» (ص٢١٤).
(٤) «النشر» (٢/ ٣٨٢)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٠٣)، و«التيسير» (ص٢٠٧)، و«فتح الباري» (٨/ ٤٧٩).
(٥) انظر: المصادر المتقدمة.
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٢٣٥) بسند صحيح.
(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٢٣٥) بسند ضعيف.
(٨) أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» رقم (٥٢) بسند ضعيف جدّاً.
قال ابن كثير في «تفسيره» (١٣/ ٣٢٩) والصحيح أن هذه الآية عامة كما قاله ابن عباس وغيره.
(٩) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٧٠٦).
(١٠) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٧٠٦).

وأخرج ابن أبي شيبة، وأحمد، وابن منيع، والحكيم في «نوادر الأصول»، والنسائي، والبزار، وأبو يعلى، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه عن أبي الدّرداء[(١)] «أن النبيّ ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ فقلتُ: وإنْ زنى، وإن سرق يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ الثانية ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ فقلت: وإنْ زنى، وإن سرق؟ فقال الثالثة: «﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ فقلت: وإن زنى، وإن سرق؟ قال: نعم، وإن رغِمَ أنفُ أبي الدّرداء».

وأخرج ابن مردويه[(٢)] عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ فقال أبو الدّرداء: وإن زنى، وإن سرق يا رسول الله؟ قال: وإن زنى وإن سرق، وإن رغم أنف أبي الدّرداء».

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر عن يسار مولى لآل معاوية عن أبي الدّرداء[(٣)] في قوله: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ قال: قيل: لأبي الدّرداء: وإن زنى وإن سرق؟ قال: من خاف مقام ربه لم يزن، ولم يسرق.

وأخرج ابن مردويه[(٤)] عن ابن شهاب قال: كنت عند هشام بن عبد الملك، فقال: قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: «﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ قال أبو هريرة: وإنْ زنى، وإن سرق؟ فقلت: إنما كان ذلك قبل أن تنزل الفرائض، فلما نزلت الفرائض ذهب هذا».

وأخرج البخاري، ومسلم، وغيرهما عن أبي موسى الأشعري[(٥)] أن

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ـ كما في «المطالب العالية» رقم (٤١٣٠) ـ وأحمد رقم (٨٦٨٣)، وابن منيع ـ كما في «المطالب العالية» رقم (٤١٣٠) ـ والنسائي في «الكبرى» رقم (١١٥٦٠، ١١٥٦١)، وأبو يعلى ـ كما في «المطالب العالية» رقم (٤١٣١) ـ وابن جرير (٢٢/ ٢٣٧)، والطبراني رقم (٢٩٣٢)، وابن مردويه ـ كما في «التغليق» (٥/ ١٦٧) ـ. وهو حديث صحيح.

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٧٠٦).

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٢٣٨)، وابن المنذر ـ كما في «تخريج أحاديث الإحياء» (٦/ ٢٨١٥) من طريق معتمر، به.

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٧٠٧).

(٥) أخرجه البخاري رقم (٤٨٧٨، ٤٨٨٠، ٧٤٤٤)، ومسلم رقم (١٨٠)، والترمذي رقم (٢٥٢٨)، وأحمد رقم (١٩٦٨٢، ١٩٧٣١)، والطيالسي في «مسنده» رقم (٥٣١)، وابن أبي شيبة =

رسول الله ﷺ قال: «جنان الفردوس أربعُ جنات: جنتان من ذهب حِلْيتهما وأبنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة حِلْيتُهما وأبنيتهما وما فيهما، وما بين القوم، وبين أن ينظروا إلى ربهم إلّا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن».

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن أبي موسى(١) عن النبيّ ﷺ في قوله: «﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ وفي قوله: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ قال: جنتان من ذهب للمقرّبين، وجنتان من وَرِق لأصحاب اليمين».

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «البعث» عن أبي موسى(٢) في قوله: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ قال: جنتان من ذهب للسابقين، وجنتان من فضة للتابعين.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس(٣) في قوله: ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾ قال: ذواتا ألوان.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر عنه(٤) قال: فن غصونها يمسّ بعضها بعضاً.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر عنه(٥) أيضاً قال: الفنّ الغصن.

وأخرج الفريابي، وعبد بن حميد، وعبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد»، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «البعث» عن ابن مسعود(٦) في قوله: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍۚ﴾ قال: أخبرتم بالبطائن، فكيف بالظهائر.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر عن ابن عباس(٧) أنه قيل: له

= (١٣/ ١٤٨)، والنسائي في «السنن الكبرى» رقم (٧٧٦٥، ١١٤٤١)، وابن ماجه رقم (١٨٦)، والبيهقي رقم (٢٣٨، ٢٣٩).

(١) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٢٣٨) من طريق مؤمّل، به.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (١٣/ ٣٨٣)، والحاكم (١/ ٨٤)، (٢/ ٤٧٤)، والبيهقي رقم (٢٤٠، ٢٤١).

(٣) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٢٤٠)، وابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٣/ ٣٣١) بسند حسن.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٢٤١) بسند ضعيف.

(٥) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٧٠٩).

(٦) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٢٤٣)، والحاكم (٢/ ٤٧٥)، والبيهقي رقم (٣٣٩) من طريق سفيان، به.

(٧) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٢٤٤) عن سعيد بن جبير.

بطائنها من استبرق، فما الظواهر؟ قال: ذلك مما قال الله ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧].

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقيّ في «البعث» عنه[١] في قوله: ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ قال: جناها ثمرُها، والداني: القريب منك يناله القائم والقاعد.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقيّ في «البعث» عنه[٢] أيضاً في قوله: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ يقول: عن غير أزواجهنّ ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾ يقول: لم يدن منهنّ، أو لم يدمهنّ.

وأخرج أحمد، وابن حبان، والحاكم وصححه، والبيهقي في «البعث» عن أبي سعيد الخدريّ[٣] عن النبيّ ﷺ «في قوله: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ قال: تنظر إلى وجهها في خدرها أصفى من المرآة، وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب، وإنه يكون عليها سبعون ثوباً، وينفذها بصره حتى يرى مُخّ ساقها من وراء ذلك».

وأخرج ابن أبي شيبة، وهناد بن السريّ، والترمذيّ، وابن أبي الدنيا في «صفة الجنة»، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن حبان، وأبو الشيخ في العظمة، وابن مردويه عن ابن مسعود[٤] عن النبيّ ﷺ قال: «إن المرأة من نساء أهل الجنة ليُرى بياض ساقها من وراء سبعين حُلّة حتى يُرى مُخّها، وذلك أن الله يقول: كأنهنّ الياقوت والمرجان، فأما الياقوت، فإنه حَجَرٌ لو أدخلت فيه سلكاً ثم استصفيته لرأيته من ورائه».

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٢٤٥)، وابن أبي حاتم ـ كما في «الإتقان» (٢/ ٤٧) ـ والبيهقي رقم (٣٠٨) بسند صحيح.

(٢) أخرجه ابن جرير (١٩/ ٥٣٧)، والبيهقي رقم (٣٧٧).

(٣) أخرجه أحمد رقم (١١٧١٥)، وابن حبان رقم (٧٣٩٧)، والحاكم (٢/ ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٧٥)، والبيهقي رقم (٣٣٠، ٣٧٥) بسند ضعيف.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (١٣/ ١٣٠)، وهناد رقم (١١)، والترمذي رقم (٢٥٣٣)، وابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» رقم (٣٦٥)، وابن جرير (٢٢/ ٢٤٩)، وابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٣/ ٣٣٤) ـ وابن حبان رقم (٧٣٩٦)، وأبو الشيخ في «العظمة» رقم (٥٨٦). وهو حديث ضعيف.

وقد رواه الترمذي[(١)] موقوفاً وقال: هو أصحّ.

وأخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقيّ في «الشعب» وضعفه عن ابن عمر[(٢)] قال: قال رسول الله ﷺ: «في قوله: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ قال: ما جزاء مَنْ أنعمتَ عليه بالتوحيد إلّا الجنة».

وأخرج الحكيم الترمذيّ في «نوادر الأصول»، والبغويّ في تفسيره، والديلمي في مسند الفردوس، وابن النجار في «تاريخه» عن أنس[(٣)] مرفوعاً مثله.

وأخرج ابن مردويه[(٤)] عن جابر مرفوعاً في الآية قال: «هل جزاء من أنعمنا عليه بالإسلام إلّا أن أدخله الجنة».

وأخرج ابن النجار في «تاريخه» عن عليّ بن أبي طالب[(٥)] مرفوعاً مثل حديث ابن عمر.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه[(٦)] عن ابن عباس في قوله: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ قال: هل جزاء مَنْ قال لا إلٰه إلّا الله في الدنيا [٤/١١٥] إلّا الجنّة في الآخرة.

وأخرج ابن عديّ، وأبو الشيخ، وابن مردويه، والديلمي، والبيهقيّ في «الشعب»، وضعّفه عن ابن عباس[(٧)] قال: قال رسول الله ﷺ: «أنزل الله عليّ هذه الآية في سورة الرحمٰن للكافر والمسلم: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾».

وأخرجه ابن مردويه[(٨)] موقوفاً على ابن عباس.

---

(١) أخرجه الترمذي رقم (٢٥٣٤). وهو حديث ضعيف.

(٢) أخرجه البيهقي في «الشعب» رقم (٤٢٧)، وقال: تفرد به إبراهيم بن محمد الكوني وهو منكر.

(٣) أخرجه الحكيم الترمذي رقم (٢/٢٦٦)، والبغوي في «تفسيره» (٧/٤٥٦)، والديلمي في «مسنده» رقم (٦٩٧٥).

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/٧١٣).

(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/٧١٤).

(٦) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٧/٧١٤).

(٧) أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٧/٢٥٦٣)، والبيهقي رقم (٩١٥٤). وقال: الهيثم بن عدي الكوني متروك الحديث.

(٨) عزاه إليه السيوطي (٧/٧١٥).

وأخرج هنّاد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس(١) في قوله: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾ قال: هما خَضْروان.

وأخرج ابن أبي حاتم(٢) عنه في الآية قال: قد اسودّتا من الخضرة من الرّيّ من الماء.

وأخرج الفريابي، وابن أبي شيبة، وهناد، وعبد بن حميد، وابن جرير عن ابن عبد الله بن الزبير(٣) نحوه.

وأخرج الطبراني، وابن مردويه عن أبي أيوب الأنصاري(٤) قال: سألت النبيّ ﷺ عن قوله: «﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾ قال: «خضراوان».

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس(٥) ﴿نَضَّاخَتَانِ﴾ قال: فائضتان.

وأخرج عبد بن حميد(٦) عنه قال: ينضخان بالماء.

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن أبي الدنيا في صفة الجنة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن مسعود(٧) في قوله: ﴿خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾ قال: لكل مسلم خَيْرة، ولكل خَيْرة خيمة، ولكل خيمة أربعة أبواب يدخل عليها من الله كل يوم تحفة وكرامة وهدية لم تكن قبل ذلك، لا مِراحات ولا طَمّاحات، ولا بَخِرات ولا دَفِرات، حورٌ عين كأنهن بَيْض مكنون.

وأخرجه ابن مردويه(٨) من وجه آخر عنه مرفوعاً.

---

(١) أخرجه هنّاد رقم (٤٢)، وابن جرير (٢٢/ ٢٥٥)، وابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٣/ ٣٣٨) بسند صحيح.
(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٧١٦).
(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (١٣/ ١٣١)، وهنَّاد رقم (٤١)، وابن جرير (٢٢/ ٢٥٥) من طريق إسماعيل بن أبي خالد، به.
(٤) أخرجه الطبراني رقم (٤٠٧٤) وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١١٨): فيه واصل بن السائب، وهو متروك.
(٥) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٢٥٩)، وابن أبي حاتم ـ كما في «الإتقان» (٢/ ٤٧)، و«فتح الباري» (٦/ ٣٢٢) بسند صحيح.
(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٧١٦)، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم.
(٧) أخرجه ابن أبي شيبة (١٣/ ١٣٣) وابن أبي الدنيا رقم (٣٣٠). وهو حديث ضعيف موقوف.
(٨) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٧٢٠).

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[(١)] في قوله: ﴿حُورٌ﴾ قال: بيض ﴿مَّقْصُورَٰتٌ﴾ قال: محبوسات ﴿فِى ٱلْخِيَامِ﴾ قال: في بيوت اللؤلؤ.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم قال[(٢)]: الحور: سُودُ الحَدَق.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عن ابن مسعود[(٣)] عن النبيّ ﷺ قال: «الخيام درّ مجوّف».

وأخرج البخاريّ، ومسلم، وغيرهما عن أبي موسى[(٤)] الأشعري عن النبيّ ﷺ: قال «الخيمة درّة مجوّفة طولها في السماء ستون ميلاً، في كل زاوية منها للمؤمن أهل لا يراهم الآخرون، يطوف عليهم المؤمن».

وأخرج الفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر عن ابن عباس[(٥)] في قوله: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ﴾ قال: فضول المحابس والفُرش والبُسُط.

وأخرج عبد بن حميد عن عليّ بن أبي طالب[(٦)] قال: هي فضول المحابس.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن المنذر، والبيهقي في «البعث» من طرق عن ابن عباس[(٧)] ﴿رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾ قال: المحابس ﴿وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ﴾ قال: الزرابيّ.

وأخرج عبد بن حميد[(٨)] عنه في الآية قال: الرّفرف: الرّياض، والعبقريّ: الزرابي.

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٢٦٤، ٢٦٦، ٢٦٨) من طريق مجاهد، به.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٣٠٣)، وابن المنذر ـ كما في «فتح الباري» (٨/ ٦٢٤) ـ وابن أبي حاتم ـ كما في «تغليق التعليق» (٤/ ٣٣، ٣٣٤) بسند ضعيف.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٢٦٨، ٢٦٩) بسند صحيح.

(٤) أخرجه البخاري رقم (٣٢٤٣، ٤٨٧٩)، ومسلم رقم (٢٨٣٨)، والترمذي رقم (٢٥٢٨)، والبيهقي رقم (٣٣٢)، ومسدد ـ كما في «المطالب العالية» رقم (٤١٣٢) ـ وابن أبي شيبة (١٣/ ١٣٤)، وابن جرير (٢٢/ ٢٦٨).

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة (١٣/ ١٣٧)، وابن جرير (٢٢/ ٢٧٤، ٢٧٥) من طريق سفيان، به.

(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٧٢٢).

(٧) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٢٧٤، ٢٧٦)، وابن أبي حاتم ـ كما في «الإتقان» (٢/ ٤٧) ـ، والبيهقي رقم (٣٣٨، ٣٤٧) بسند صحيح.

(٨) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٧٢٣).

سُورَةُ الوَاقِعَةِ

هي سبع وتسعون أو ست وتسعون آية.

وهي مكية[١] في قول الحسن، وعكرمة، وجابر، وعطاء. وقال ابن عباس، وقتادة: إلّا آيةً منها نزلت بالمدينة وهي قوله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢].

وقال الكلبي: إنها مكية إلّا أربع آيات منها، وهي: ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨١، ٨٢] وقوله: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: ١٣، ١٤].

وأخرج ابن الضُريس، والنحاس، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل» عن ابن عباس[٢] قال: نزلت سورة الواقعة بمكة.

وأخرج ابن مردويه[٣]، عن ابن الزبير مثله.

وأخرج أبو عبيد في «فضائله»، وابن الضريس، والحارث بن أبي أسامة، وأبو يعلى، وابن مردويه، والبيهقي في «الشُعبَ» عن ابن مسعود[٤]: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تُصبه فاقة أبداً».

وأخرج ابن عساكر[٥] عن ابن عباس، عن رسول الله قال: «سورة الواقعة سورة الغنى، فاقرءوها، وعلّموها أولادكم».

وأخرج الديلمي[٦] عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «علموا نساءكم سورة الواقعة، فإنها سورة الغنى»، وقد تقدّم قوله : «شيبتني هود، والواقعة».اهـ.

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ١٧٥)، و«الإتقان» (١/ ٥١)، و«روح المعاني» (٢٦/ ٣٠٤).

(٢) أخرجه ابن الضريس رقم (١٧، ١٨)، والنحاس (ص٧٤٩)، والبيهقي (٧/ ١٤٢ ـ ١٤٤).

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥).

(٤) أخرجه أبو عبيد (ص١٣٨)، وابن الضريس رقم (٢٢٦)، والحارث بن أبي أُسامة رقم (٧٢٠ ـ بغية)، وأبو يعلى ـ كما في «المطالب العالية» رقم (٤١٣٣) ـ و«تخريج الكشاف» (٣/ ٤١١)، والبيهقي رقم (٣٦/ ٤٤٤). وهو حديث ضعيف. «السلسلة الضعيفة» رقم (٢٨٩).

(٥) أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» (٣٦/ ٤٤٤).

(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[أحداث يوم القيامة: وأقسام الناس في ذلك اليوم]:

﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝١٢ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ۝١٤ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ۝١٥ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ۝١٦ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ۝١٧ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝١٨ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ۝١٩ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝٢٠ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝٢١ وَحُورٌ عِينٌ ۝٢٢ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ۝٢٣ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٢٤ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۝٢٥ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ۝٢٦﴾.

قوله: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ الواقعة: اسمٌ للقيامة كالآزفة وغيرها، وسُمّيت واقعة؛ لأنها كائنة لا محالة، أو لقُرب وقوعها، أو لكثرة ما يقع فيها من الشدائد، وانتصاب[١] إذا بمضمر؛ أي: اذكر وقت وقوع الواقعة، أو بالنفي المفهوم من قوله: ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾؛ أي: لا يكون عند وقوعها تكذيب، والكاذبة مصدر كالعاقبة؛ أي: ليس لمجيئها وظهورها كذب أصلاً، وقيل: «إذا» شرطية، وجوابها[٢] مقدّر؛ أي: إذا وقعت كانَ كيتَ وكيتَ، والجواب هذا هو العامل فيها، وقيل: إنها شرطية[٣]، والعامل فيها الفعل الذي بعدها، واختار هذا أبو حيّان[٤]، وقد سبقه إلى هذا مكيّ[٥] فقال: والعامل وقعتْ.

قال المفسِّرون[٦]: والواقعة هنا: هي النفخة الآخرة، ومعنى الآية: أنها إذا

---

(١) «روح المعاني» (٢٦/٣٠٧)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/٣٤٨)، و«التبيان» (٢/١٢٠٢)، و«الفريد» (٤/٤١٥).

(٢) انظر: المصادر المتقدمة.

(٣) «التبيان» (٢/١٢٠٢)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/٣٤٨).

(٤) «البحر المحيط» (١٠/٧٥).

(٥) «مشكل إعراب القرآن» (٢/٣٤٨).

(٦) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/١٧٧)، و«الوسيط» (٤/٢٣٢).

وقعت النفخة الآخرة عند البعث لم يكن هناك تكذيب بها أصلاً، أو لا يكون هناك نفسٌ تكذب على الله، وتُكذِّب بما أخبر عنه من أمور الآخرة. قال الزجاج[١]: ليس لوقعتها كاذبة؛ أي: لا يردّها شيء، وبه قال الحسن[٢]، وقتادة[٣].

وقال الثوري[٤]: ليس لوقعتها أحد يكذب بها. وقال الكسائي: ليس لها تكذيب؛ أي: لا ينبغي أن يكذب بها أحد.

﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ قرأ الجمهور[٥] برفعهما على إضمار مبتدأ؛ أي: هي خافضةٌ رافعةٌ. وقرأ الحسن وعيسى الثقفي بنصبهما[٦] على الحال.

قال عكرمة[٧]، والسديّ[٨]، ومقاتل: خَفضتِ الصوتَ فأسمعتْ مَنْ دنا، ورفعت الصوتَ فأسمعتْ مَنْ نأى؛ أي: أسمعت القريبَ والبعيدَ.

وقال قتادة[٩]: خفضت أقواماً في عذاب الله، ورفعت أقواماً إلى طاعة الله. وقال: محمد بن كعب[١٠]: خفضت أقواماً كانوا في الدنيا مرفوعين، ورفعت أقواماً كانوا في الدنيا مخفوضين.

والعرب تستعمل الخفض والرفع في المكان والمكانة، والعزّ والإهانة، ونسبة الخفض والرفع إليها على طريق المجاز، والخافض والرّافع في الحقيقة، هو الله سبحانه.

﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا﴾؛ أي: إذا حُرِّكت حركةً شديدة، يقال: رجَّه يَرُجّه رجًّا إذا حرَّكه، والرّجة: الاضطرابُ، وارتجّ البحر اضطرب.

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ١٠٧).
(٢) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٥/ ٣٥٥).
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٢٨٠).
(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ١٧٧).
(٥) «البحر المحيط» (١٠/ ٧٥)، و«التبيان» (٢/ ١٢٠٢)، و«التبصرة» (ص٦٩٢).
(٦) «القراءات الشاذة» (ص١٥٠)، و«المحتسب» (٢/ ٣٠٧). القراءة بالنصب قراءة شاذة.
(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ١٧٧).
(٨) «النكت والعيون» (٥/ ٤٤٦).
(٩) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٢٨١)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٦٩) بسند صحيح.
(١٠) «النكت والعيون» (٥/ ٤٤٦).

قال المفسرون[(١)]: ترتجّ، كما يرتجّ الصبيّ في المهد حتى ينهدم كلُّ ما عليها، وينكسر كلُّ شيء من الجبال وغيرها. قال قتادة[(٢)]، ومقاتل[(٣)]، ومجاهد[(٤)]: معنى رُجّت: زُلْزلت، والظرف متعلق بقوله: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾؛ أي: تخفض وترفع وقت رجّ الأرض وبسّ الجبال؛ لأنه عند ذلك يرتفع ما هو منخفض، وينخفض ما هو مرتفع. وقيل: إنه بدل من الظرف الأوّل ذكره الزجاج، فيكون معنى وقوع الواقعة: هو رجّ الأرض وبس الجبال.

﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا﴾ البسُّ[(٥)]: الفَتُّ، يقال: بس الشيء إذا فتَّه حتى يصير فتاتاً، ويقال بس السويق: إذا لتَّه بالسمن، أو بالزيت. قال مجاهد[(٦)]، ومقاتل[(٧)]: المعنى: أنّ الجبال فتت فتّاً.

وقال السديّ[(٨)]: كُسرت كسراً. وقال الحسن[(٩)]: قُلعت من أصلها. وقال مجاهد[(١٠)] أيضاً: بست كما يبس الدقيق بالسمن، أو بالزيت، والمعنى: أنها خلطت فصارت كالدقيق الملْتوت.

وقال أبو زيد[(١١)]: البسّ: السَّوق، والمعنى على هذا: سِيقت الجبالُ سَوقاً، قال أبو عبيد[(١٢)]: بسّ الإبل، وأبسّها لغتان: إذا زجَرها. وقال عكرمة[(١٣)]: المعنى: هُدّت هدًّا.

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ١٧٨).
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٢٨٢)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٦٩) بسند صحيح.
(٣) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢٣٢).
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٢٨٢) بسند صحيح.
(٥) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص١٢٢)، و«تهذيب اللغة» (١٢/ ٣١٥).
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٢٨٣).
(٧) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢٣٢).
(٨) «الوسيط» (٤/ ٢٣٢)، و«معالم التنزيل» (٨/ ٧).
(٩) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ١٧٩).
(١٠) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٣٨٣) بسند صحيح.
(١١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ١٧٩).
(١٢) في «غريب الحديث» (٣/ ٨٩ ـ ٩٠).
(١٣) «النكت والعيون» (٥/ ٢٤٦).

﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾؛ أي: غُباراً متفرّقاً منتشراً. قال مجاهد[(١)]: الهباءُ: الشعاعُ الذي يكون في الكوّة كهيئة الغبار. وقيل: هو الرّهج الذي يسطع من حوافر الدّواب. ثم يذهب، وقيل[(٢)]: ما تطاير من النار إذا اضطرمت على صورة الشرر، فإذا وقع لم يكن شيئًا، وقد تقدّم بيانه في الفرقان عند تفسير قوله: ﴿فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

قرأ الجمهور[(٣)]: «مُنبثًّا» بالمثلثة.

وقرأ مَسْروق، والنخعي، وأبو حيوة بالتاء[(٤)] المثناة من فوق؛ أي: منقطعاً، من قولهم بتّه الله؛ أي: قطعه.

ثم ذكر سبحانه أحوال الناس واختلافهم فقال: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً﴾ والخطاب لجميع الناس، أو للأمة الحاضرة، والأزواج: الأصنافُ، والمعنى: وكنتم في ذلك اليوم أصنافاً ثلاثة.

ثم فسّر سبحانه هذه الأصناف فقال: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾؛ أي: أصحاب اليمين، وهم الذين يأخذون كتبهم بأيمانهم، أو الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنّة، وأصحاب الميمنة مبتدأ، وخبره: ما أصحاب الميمنة؛ أي: أي شيء هم في حالهم، وصفتهم والاستفهام للتعظيم والتفخيم.

وتكرير المبتدأ هنا بلفظه مُغنٍ عن الضمير الرّابط، كما في قوله: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ [٤/١١٦] [الحاقة: ١، ٢] و﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: ١، ٢] ولا يجوز مثل هذا إلّا في مواضع التفخيم، والتعظيم.

﴿و﴾ الكلام في ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ كالكلام في أصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة، والمراد: الذينَ يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار، أو يأخذون صحائف أعمالهم بشمالهم.

والمراد: تعجيب السامع مِنْ حال الفريقين في الفخامة والفظاعة؛ كأنه قيل:

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٢٨٥) بسند صحيح.

(٢) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٢٨٥) بسند ضعيف عن ابن عباس.

(٣) «البحر المحيط» (١٠/ ٧٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ١٨٠)، و«الدر المصون» (١٧/ ١٩٧).

(٤) انظر: المصادر المتقدمة. القراءة بالتاء الفوقية شاذة.

فأصحاب الميمنة في نهاية السعادة وحُسْن الحال، وأصحاب المشأمة في نهاية الشقاوة وسوء الحال. وقال السديّ[١]: أصحاب الميمنة: هم الذين كانوا عن يمين آدم حين أُخرجت الذرية من صلبه، وأصحاب المشأمة: هم الذين كانوا عن شماله.

وقال زيد بن أسلم[٢]: أصحابُ الميمنة: هم الذين أخذوا من شق آدم الأيمن، وأصحاب المشأمة: هم الذين أُخذوا من شقه الأيسر. وقال ابن جريج[٣]: أصحاب الميمنة: هم أهل الحسنات، وأصحاب المشأمة: هم أهل السيئات.

وقال الحسن[٤]، والربيع: أصحاب الميمنة: هم الميامين على أنفسهم بالأعمال الصالحة، وأصحاب المشأمة: هم المشائيم على أنفسهم بالأعمال القبيحة.

وقال المبِّرد[٥]: أصحاب الميمنة: أصحاب التقدّم، وأصحاب المشأمة: أصحاب التأخر، والعرب تقول: اجعلني في يمينك، ولا تجعلني في شمالك؛ أي: اجعلني من المتقدّمين، ولا تجعلني من المتأخرين، ومنه قول ابن الدمينة:

ابيني أفِي يُمْنَى يديْكِ جعلْتِني فأفرحَ أم صيَّرْتني فِي شِمَالِكِ

ثم ذكر سبحانه الصنف الثالث، فقال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ والتكرير فيه للتفخيم والتعظيم، كما مرّ في القسمين الأوّلين، كما تقول أنتَ أنتَ، وزيدٌ زيد[٦]، والسابقون مبتدأ، وخبره السابقون. وفيه تأويلان[٧]:

أحدهما: أنّه بمعنى السابقون هم الذين اشتهرت حالُهم بذلك.

والثاني: أن متعلق السابقين مختلف والتقدير: والسابقون إلى الإيمان السابقون إلى الجنة. والأوّل أولى لما فيه من الدلالة على التفخيم والتعظيم. قال الحسن[٨]، وقتادة: هم السابقون إلى الإيمان من كُلِّ أمةٍ. وقال محمد بن كعب[٩]: إنهم

---

(١) «النكت والعيون» (٥/ ٤٤٨).
(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ١٨١).
(٣) «النكت والعيون» (٥/ ٤٤٨).
(٤) «معالم التنزيل» (٨/ ٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ١٨١).
(٥) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ١٨٢).
(٦) ذكره الأخفش في «معاني القرآن» (٢/ ٧٠١).
(٧) «النكت والعيون» (٥/ ٤٤٩).
(٨) «النكت والعيون» (٥/ ٤٤٨).
(٩) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ١٨٢).

الأنبياء. وقال ابن سيرين[١]: هم الذين صلّوا إلى القبلتين. وقال مجاهد[٢]: هم الذين سبقوا إلى الجهاد، وبه قال الضحاك[٣]. وقال سعيد بن جبير[٤]: هم السابقون إلى التوبة وأعمال البرّ.

وقال الزجاج[٥]: المعنى: والسابقون إلى طاعة الله هم السابقون إلى رحمة الله. قيل: ووجه تأخير هذا الصنف الثالث مع كونه أشرف من الصنفين الأوّلين هو أن يقترن به[٦] ما بعده، وهو قوله: ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ فالإشارة هي إليهم؛ أي: المقرّبون إلى جزيل ثواب الله، وعظيم كرامته، أو الذين قربت درجاتهم، وأُعليت مراتبُهم عند الله.

وقوله: ﴿فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ متعلّق بـ«المقربون»؛ أي: مقرّبون عند الله في جنات النعيم. ويجوز أن يكون خبراً ثانياً لأولئك، وأن يكون حالاً من الضمير في «مقربون»؛ أي: كائنين فيها.

قرأ الجمهور[٧]: «في جناتِ» بالجمع، وقرأ طلحة بن مُصرّف: «في جنة» بالإفراد[٨]، وإضافة الجنات إلى النعِّيم من إضافة المكان إلى ما يكون فيه، كما يقال: دار الضيافة، ودار الدعوة، ودار العدل. وارتفاع ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ على أنه خبر مبتدأ[٩] محذوف؛ أي: هم ثلةٌ، والثلةُ: الجماعةُ التي لا يُحصر عددها.

قال الزجاج[١٠]: معنى ثلة معنى فِرْقة، من ثَلَلْتُ الشيء: إذا قطعته، والمراد بالأوّلين: هم الأمم السابقة من لدن آدم إلى نبينا ﷺ.

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٢٩٠) بسند ضعيف.
(٢) «معالم التنزيل» (٨/ ٩).
(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ١٨٣).
(٤) «النكت والعيون» (٥/ ٤٤٨).
(٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ١٠٩).
(٦) وعلى أنَّ إيرادهم بعنوان السَّبق مطلقاً معربٌ عن إحرازهم قصب السَّبق مع جميع الوجوه. «روح المعاني» (٢٦/ ٣١٤).
(٧) «البحر المحيط» (١٠/ ٧٩)، و«المحرر الوجيز» (١٥/ ٣٦٠).
(٨) «القراءات الشاذة» (ص١٥١)، و«روح المعاني» (٢٦/ ٣١٨)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٧٩). القراءة بالإفراد شاذة.
(٩) «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٣٥٠)، و«التبيان» (٢/ ١٢٠٣).
(١٠) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ١٠٩).

﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾؛ أي: مِنْ هذه الأمة، وسموا قليلاً بالنسبة إلى مَنْ كان قبلهم، وهم كثيرون لكثرة الأنبياء فيهم، وكثرة من أجابهم.

قال الحسن(١): سابقو مَنْ مضى أكثر مِنْ سابقِينا. قال الزجاج(٢): الذين عاينوا جميع الأنبياء وصدّقوا بهم أكثر ممن عاين النبيّ ﷺ، ولا يخالف هذا ما ثبت في «الصحيح»(٣) مِنْ قوله ﷺ: «إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة، ثم قال: ثلث أهل الجنة، ثم قال: نصف أهل الجنة»؛ لأن قوله: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ إنما هو تفصيل للسابقين فقط.

كما سيأتي في ذكر أصحاب اليمين أَنّهم ثلة من الأولين، وثلة من الآخرين، فلا يمتنع أن يكون في أصحاب اليمين من هذه الأمة من هو أكثر من أصحاب اليمين من غيرهم، فيجتمع من قليل سابقي هذه الأمة، ومن ثلة أصحاب اليمين منها مَنْ يكون نصف أهل الجنة، والمقابلة بين الثلّتين في أصحاب اليمين لا تستلزم استواءهما لجواز أن يقال: هذه الثلة أكثر من هذه الثلة، كما يقال: هذه الجماعة أكثر من هذه الجماعة، وهذه الفرقة أكثر من هذه الفرقة، وهذه القطعة أكثر من هذه القطعة. وبهذا تعرف أنه لم يصب من قال: إن هذه الآية منسوخة(٤) بالحديث المذكور.

ثم ذكر سبحانه حالةً أخرى للسابقين المقربين، فقال: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾ قرأ الجمهور(٥): «سُرُر» بضم السين والراء الأولى، وقرأ أبو السَّمَّال، وزيد بن عليّ بفتح الراء(٦)، وهي لغة كما تقدّم، والموضونة: المنسوجة، والوَضْنُ: النسجُ المُضاعف.

قال الواحدي(٧): قال المفسِّرون: منسوجة بقضبان الذهب، وقيل: مُشبكة بالدرّ، والياقوت، والزَّبرجد، وقيل: إن الموضونة: المصفوفة. وقال مجاهد(٨): الموضونة: المرمولة بالذهب.

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ١٨٤).

(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ١١٠).

(٣) أخرجه البخاري رقم (٦٥٢٨)، ومسلم رقم (٢٢١)، وأحمد رقم (٣٦٦١).

(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ١٨٤)، و«جامع البيان» (٢٢/ ٢٩١).

(٥) «البحر المحيط» (١٠/ ٧٩)، و«المحرر الوجيز» (١٥/ ٣٦٣)، و«روح المعاني» (٢٦/ ٣٢٢). وهي القراءة المتواترة أمّا فتح الراء فهي قراءة شاذة.

(٦) انظر: المصادر المتقدمة.

(٧) في «الوسيط للواحدي» (٤/ ٢٣٣).

(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٢٩٢) وهنّاد رقم (٧٧) من طريق سفيان، به.

وانتصاب[(١)] ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَيۡهَا﴾ على الحال، وكذا انتصاب ﴿مُتَقَٰبِلِينَ﴾ والمعنى: مستقرّين على سُرُرٍ متكئين عليها متقابلين، لا ينظر بعضهم قفا بعض ﴿يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ﴾ الجملة في محل نصب على الحال من المقربين، أو مستأنفة لبيان بعض ما أعدّ الله لهم من النعيم، والمعنى: يدور حولهم للخِدْمة غلمان لا يهرمون، ولا يتغيرون، بل شكلهم شكل الولدان دائماً.

قال مجاهد[(٢)]: المعنى لا يموتون. وقال الحسن[(٣)]، والكلبي[(٤)]: لا يهرمون، ولا يتغيرون. قال الفراء[(٥)]: والعرب تقول للرجل إذا كبر ولم يشمط: إنه لمخلّد. وقال سعيد بن جبير[(٦)]: مخلدون: مقرطون.

قال الفراء[(٧)]: ويقال: مخلدون: مُقرَّطون، يقال: خلد جاريته: إذا حلّاها بالخَلَدة، وهي القُرْطة. وقال عكرمة[(٨)]: مخلدون: مُنْعَمون، ومنه قول امرئ القيس[(٩)]:

وهل يَنْعُمَنْ إلّا سعيدُ مخلَّدٌ قليلُ الهمومِ ما يبيتُ بأوجالِ

وقيل: مستورون بالحلية، وروي نحوه عن الفراء، ومنه قول الشاعر:

ومخلَّداتٌ باللُّجَيْنِ كأنَّما أعجازُهنّ أقاوِزُ الكُثْبَانِ[(١٠)]

وقيل: مخلّدون: ممنطقون، قيل: وهم ولدان المسلمين الذين يموتون صغاراً ولا حسنة لهم ولا سيئة، وقيل: هم أطفال المشركين، ولا يبعد أن يكونوا مخلوقين في الجنة للقيام بهذه الخدمة. والأكواب[(١١)]: هي الأقداح المستديرة الأفواه التي لا آذان لها ولا عُرى، وقد مضى بيان معناها في سورة الزخرف، والأباريق[(١٢)]: هي ذاتُ العُرى والخراطيم، واحدها إبريق، وهو الذي يبرق لونُه من صَفائه.

---

(١) «التبيان» (٢/ ١٢٠٣)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٣٥١)، و«الفريد» (٤/ ٤١٧).
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٢٩٥) بسند صحيح.
(٣) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٥٠).
(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ١٨٦) عن الحسن والكلبي.
(٥) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٢٣).
(٦) «معالم التنزيل» (٨/ ١٠).
(٧) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٢٣).
(٨) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ١٨٧).
(٩) «ديوان امرئ القيس» (ص٢٧) وفيه: يَعمَنْ. بدل ينعمن.
(١٠) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ١٨٧).
(١١) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٧٢٨).
(١٢) «الوسيط» (٤/ ٢٣٣).

﴿وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾؛ أي: مِنْ خمر جارية، أو من ماء جار، والمراد به ها هنا: الخمر الجارية من العيون.

وقد تقدّم بيان معنى الكأس في سورة الصافات.

﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾؛ أي: لا تتصدّع رؤوسهم من شربها، كما تتصدّع من شرب خمر الدنيا. والصداع: هو الداءُ المعروف الذي يلحق الإنسان في رأسه، وقيل: معنى لا يصدعون: لا يتفرقون كما يتفرق الشُرّاب، ويقوّي هذا المعنى قراءة مجاهد[١]: «يَصَّدعون» بفتح الياء وتشديد الصاد، والأصل: يتصدعون؛ أي: يتفرقون، والجملة مستأنفة لبيان ما أعد الله لهم من النعيم، أو في محل نصب[٢] على الحال.

وجملة: ﴿وَلَا يُنزِفُونَ﴾ معطوفة على الجملة التي قبلها، وقد تقدم اختلاف القراء في هذا الحرف في سورة الصافات، وكذلك تقدّم تفسيره؛ أي: لا يسكرون فتذهب عقولهم، من أنزف الشارب: إذا نفد عقلُه، أو شرابه، ومنه قول الشاعر:

لعمري لئنْ أنزفْتُم أو صحوتُمُ ... لَبِئْسَ النَّدامى كنتُم آلَ أَبْجَرا[٣]

﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾؛ أي: يختارونه، يقال: تخيرتُ الشيءَ: إذا أخذت خيره. قرأ الجمهور[٤]: «وفاكهةٍ» بالجر ﴿و﴾ كذا ﴿لَحْمِ﴾ عطفاً على أكواب؛ أي: يطوفون عليهم بهذه الأشياء المأكول والمشروب والمتفكّه به. وقرأ زيد بن عليّ، وأبو عبد الرحمٰن برفعهما[٥] على الابتداء، والخبر مقدّر؛ أي: ولهم فاكهة ولحم، ومعنى: ﴿مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ مما يتمنّونه وتشتهيه أنفسُهم.

﴿وَحُورٌ عِينٌ ۝٢٢ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ﴾ قرأ الجمهور: «حورٌ عينٌ» برفعهما عطفاً على ولدان أو على تقدير مبتدأ؛ أي: نساؤهم حورٌ عين، أو على تقدير خبر؛ أي: ولهم حورٌ عين، وقرأ حمزة، والكسائي بجرّهما عطفاً على أكواب.

---

(١) «روح المعاني» (٢٦/ ٣٢٤)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٨٠). وهي قراءة شاذة.

(٢) «البحر المحيط» (١٠/ ٨٠).

(٣) ذكره ابن جرير في «جامع البيان» (١٩/ ٥٣٧). والقرّاء الكوفيون قرأوا بضم الياء وكسر الزايّ وباقي العشرة بفتح الزاي لكن عاصم في «الصافات» قرأ بفتح الزاي. «النشر» (٢/ ٣٥٧).

(٤) «البحر المحيط» (١٠/ ٨٠)، و«الدر المصون» (٦/ ٢٥٧).

(٥) «إعراب القراءات الشواذ» (٢/ ٥٥٠)، و«التبيان» (٩/ ٤٩٢). المتواتر هو القراءة بالجر فيهما أمّا الرفع فشاذ.

قال الزجاج[١]: [٤/١١٧] وجائز أن يكون معطوفاً على جناتٍ؛ أي: هم في جنات وفي حورٍ على تقدير مضاف محذوف؛ أي: وفي معاشرة حور. قال الفراء[٢]: في توجيه العطف على أكواب إنه يجوز الجرّ على الاتباع في اللفظ، وإن اختلفا في المعنى؛ لأن الحور لا يطاف بهنّ، كما في قول الشاعر:

إذا ما الغانياتُ برزْنَ يوماً وزجَّجْنَ الحواجبَ والعيونا[٣]

والعين لا تزجّج، وإنما تُكحّل، ومن هذا قول الشاعر:

علفتُها تبناً وماءً باردا[٤]

وقول الآخر:

متقلَّداً سيفاً ورُمْحا[٤]

قال قطرب[٥]: هو معطوف على الأكواب والأباريق من غير حمل على المعنى. قال: ولا ينكر أن يطاف عليهم بالحور: ويكون لهم في ذلك لذة. وقرأ الأشهب العقيلي، والنخعي، وعيسى بن عُمر بنصبهما[٦] على تقدير إضمار فعل، كأنه قيل: ويزوّجون حوراً عيناً، أو ويعطون، ورجّح أبو عبيد[٧]، وأبو حاتم قراءة الجمهور.

ثم شبههنّ سبحانه باللؤلؤ المكنون، وهو الذي لم تمسّه الأيدي، ولا وقع عليه الغُبار، فهو أشد ما يكون صفاءً، وانتصاب[٨] (جزاءً) في قوله: ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ على أنه مفعول له؛ أي: يُفعل بهم ذلك كله للجزاء بأعمالهم. ويجوز أن يكون مصدراً مؤكداً لفعل محذوف؛ أي: يُجزون جزاءً، وقد تقدّم تفسير الحور العين في سورة الطور وغيرها ﴿لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا تَأۡثِيمًا﴾ اللّغو: الباطلُ من الكلام، والتأثيم: النسبة إلى الإثم.

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ١١١). (٢) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٢٤).
(٣) قائله الراعي النميري وهو في شعره (ص١٥٦).
(٤) تقدم شرحه.
(٥) «الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٠٤)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ١٩٠).
(٦) «المحتسب» (٢/ ٣٠٩)، و«التبيان» (٢/ ١٢٠٤)، و«زاد المسير» (٨/ ١٣٨). القراءة بالرفع والجر متواترة، ومع الكسائي وحمزة قرأ أبو جعفر وأما القراء بنصبهما فشاذة. اهـ. «النشر» (٢/ ٣٨٣).
(٧) ذكره عنهما القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ١٩١).
(٨) «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٣٥٢)، و«التبيان» (٢/ ١٢٠٤)، و«الفريد» (٤/ ٤١٨).

قال محمد بن كعب[١]: لا يؤثّم بعضُهم بعضاً، وقال مجاهد[٢]: لا يسمعون شتماً، ولا مأثماً، والمعنى: أنه لا يقول بعضهم لبعضهم أثمت؛ لأنّهم لا يتكلمون بما فيه إثم.

﴿إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾ القيلُ: القولُ، والاستثناء منقطع؛ أي: لكن يقولون قِيلاً، أو يسمعون قيلاً، وانتصاب (سلاماً سلاماً) على أنه بدل من قيلاً، أو صفة له، أو هو مفعول به لقيلاً؛ أي: إلّا أن يقولوا سلاماً سلاماً، واختار هذا الزجاج[٣]، أو على أنه منصوب بفعل هو محكي بقيلاً؛ أي: إلّا قيلاً سلموا سلاماً سلاماً، والمعنى في الآية: أنّهم لا يسمعون إلّا تحيةَ بعضِهم لبعضٍ.

قال عطاء[٤]: يحيي بعضُهم بعضاً بالسلام، وقيل: إن الاستثناء[٥] متصل وهو بعيد؛ لأن التحتية ليست مما يندرج تحت اللغو والتأثيم، قُرئ: «سلامٌ سلام» بالرفع. قال مكي[٦]: ويجوز الرفع على معنى سلام عليكم مبتدأ وخبر.

وقد أخرج ابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس[٧] في قوله: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ قال: يوم القيامة ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ قال: ليس لها مَرْدودٌ ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ قال: تخفض ناساً وترفع آخرين.

وأخرج ابن جرير، وابن مردويه[٨] عنه ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ قال: أسمعت القريب والبعيد.

وأخرج ابن أبي حاتم[٩] عن عمر بن الخطاب ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ قال: الساعة خفضت أعداء الله إلى النار، ورفعت أولياء الله إلى الجنة.

---

(١) «النكت والعيون» (٥/ ٤٥٢).

(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ١٩٢).

(٣) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ١١٢).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢٣٤).

(٥) «روح المعاني» (٢٦/ ٣٣١ ـ ٣٣٢)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٨١). والقراءة برفع (سلامٌ سلامٌ) شاذة.

(٦) في «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٣٥٢).

(٧) أخرجه ابن أبي شيبة (١٣/ ٣٧٢)، وابن جرير (٢٢/ ٢٧٩)، وابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٣/ ٣٤٧) ـ بسند حسن.

(٨) أجرجه ابن جرير (٢٢/ ٢٨١) بسند ضعيف.

(٩) أجرجه ابن جرير (٢٢/ ٢٨١) وابن أبي حاتم ـ كما في «فتح الباري» (٨/ ٦٢٦) من طريق عثمان بن عبد الله بن سراقة عن عمر بن الخطاب.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر عن ابن عباس[١] في قوله: ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا﴾ قال: زُلْزلت ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا﴾ قال: فُتّتت ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾ قال: شعاع الشمس.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عنه[٢] ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾ قال: الهباء: الذي يطير من النار إذا أضرمت يطيرُ منها الشرر، فإذا وقع لم يكن شيئًا.

وأخرج ابن المنذر[٣] عنه أيضاً قال: الهباء: ما يثور مع شعاع الشمس، وانبثاثه: تفرقه.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر عن عليّ بن أبي طالب[٤] قال: الهباء المنبث رَهْجُ الدواب، والهباء المنثور: غبار الشمس الذي تراه في شعاع الكوّة.

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس[٥]: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا﴾ قال: أصنافاً.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم[٥] عنه في قوله: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً﴾ قال: هي التي في سورة الملائكة ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [فاطر: ٣٢].

وأخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه عنه[٦] أيضاً في قوله: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ قال: يوشع بن نون سبق إلى موسى، ومؤمن آل ياسين سبق إلى عيسى، وعليّ بن أبي طالب سبق إلى رسول الله ﷺ.

وأخرج ابن مردويه[٧] عنه أيضاً في الآية قال: نزلت في حزقيل مؤمن آل فرعون؛ وحبيب النجار الذي ذكر في يسّ، وعليّ بن أبي طالب، وكل رجل منهم سابق أمته، وعليّ أفضلهم سبقاً.

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٢٨٥) بسند صحيح.
(٢) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٢٨٥) بسند ضعيف.
(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥).
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٢٨٥) مختصراً من طريق سفيان، به.
(٥) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥).
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم ـ كما في تفسير ابن كثير (١٣/ ٣٥٠).
(٧) عزاه إليه السيوطي في «تفسيره» (٨/ ٧).
● وهذا الأثر وما قبله إنْ صح فهو مِنْ باب التمثيل لما يصح أنْ تتناوله الآية.

وأخرج أحمد عن معاذ بن جبل(١) أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية: «﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾ ـ و﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾ [الواقعة: ٢٧] فقبض بيديه قبضتين، فقال: هذه في الجنة ولا أبالي، وهذه في النار ولا أبالي».

وأخرج أحمد(٢) أيضاً عن عائشة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أتدرون مَنْ السابقون إلى ظلّ الله يوم القيامة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: الذين إذا أعطوا الحق قبلوه، وإذا سُئلوا بذلوا، وحكموا للناس كحكمهم لأنفسهم».

وأخرج أحمد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن أبي هريرة(٣) قال: «لما نزلت: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ شقّ على أصحاب رسول الله ﷺ، فنزلت: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٣٩ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: ٣٩، ٤٠] فقال النبيّ ﷺ: إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة، ثلث الجنة، بل أنتم نصف أهل الجنة، أو شطر أهل الجنة، وتقاسمونهم النصف الثاني».

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، والبيهقي في «البعث» عن ابن عباس(٤) ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾ قال: مصفوفة.

وأخرج سعيد بن منصور، وهنّاد، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «البعث» عنه(٥). قال: مرمولة بالذهب.

وأخرج ابن أبي الدنيا في صفة الجنة، والبزار، وابن مردويه، والبيهقي في «البعث» عن عبد الله بن مسعود(٦) قال: قال لي رسول الله ﷺ: «إنك لتنظر إلى الطير في الجنة، فتشتهيه فيخرّ بين يديك مشوياً».

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» رقم (٢٢٠٧٧) بسند ضعيف

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» رقم (٢٤٤٩٠) بسند ضعيف

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» رقم (٩٠٨٠)، وابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٣/ ٣٥٠) ـ بسند حسن لغيره.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٢٩٤)، واليهقي رقم (٣٤٧) بسند صحيح.

(٥) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٨).
أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٢٩٢)، والبيهقي رقم (٣٣٧، ٣٤٦) وهنّاد رقم (٧٧) بسند ضعيف.

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» رقم (١٠٤)، والبزار في «مسنده» رقم (١٠٢٢ ـ كشف)، والبيهقي رقم (٣٥٣). وهو حديث ضعيف جداً.

وأخرج أحمد، والترمذي، والضياء عن أنس[١] قال: قال رسول الله ﷺ: «إن طير الجنة كأمثال البُخْت ترعى في شجر الجنة، فقال أبو بكر: يا رسول الله إن هذه الطير لناعمة، قال: آكلها أنعمُ منها، وإنّي لأرجو أن تكون ممّن يأكل منها» وفي الباب أحاديث.

وأخرج ابن المنذر[٢] عن ابن عباس في قوله: ﴿كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ﴾ قال: الذي في الصّدَف.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم[٣] عنه ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ قال: باطلاً ﴿وَلَا تَأْثِيمًا﴾ قال: كذباً.

[هؤلاء هم أصحاب اليمين وهذا جزاؤهم]:

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾.

[هؤلاء هم أصحاب الشمال وهذا هو جزاؤهم]:

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾﴾.

---

(١) أخرجه أحمد رقم (١٣٣١١)، والترمذي رقم (٢٥٤٢)، و«الضياء» رقم (١٦١٤) بسند حسن. وانظر: «السلسلة الصحيحة» رقم (٢٥١٤).

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ١١).

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ١١).

لما فرغ سبحانه من ذكر أحوال السابقين، وما أعدّه لهم من النعيم المقيم، ذكر أحوال أصحاب اليمين، فقال: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾ قد قدّمنا وجه إعراب هذا الكلام، وما في هذه الجملة الاستفهامية من التفخيم[1] والتعظيم، وهي خبر المبتدأ، وهو أصحاب اليمين.

وقوله: ﴿فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ خبر ثان، أو خبر[2] مبتدأ محذوف؛ أي: هم في سدر مخضود، والسدُر: نوعٌ من الشجر، والمخضود[3] الذي خُضد شوكه؛ أي: قطع فلا شوك فيه. قال أمية بن أبي الصلت[4] يصف الجنّة:

إنَّ الحدائقَ في الجنانِ ظليلةٌ   فيها الكواعبُ سِدْرُها مخضودُ

وقال الضحاك[5]، ومجاهد[6]، ومقاتل بن حيان[7]: إن السدر المخضود: المُوقَر حملاً.

﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾ قال أكثر المفسِّرين[8]: إنّ الطلحَ في الآية هو شجُر الموز. وقال جماعة[9]: ليس هو شجر الموز، ولكنّه الطلح المعروف وهو أعظم أشجار العرب.

قال الفراء[10]، وأبو عبيدة[11]: هو شجر عظام لها شوك.

قال الزجاج[12]: الطلح هو أمّ غيلان، ولها نور طيب، فخوطبوا ووعدوا ما يحبون، إلّا أن فضله على ما في الدنيا كفضل سائر ما في الجنة على ما في الدنيا. قال: ويجوز أن يكون في الجنة، وقد أُزيل شوكه.

---

(١) «روح المعاني» (٢٦/ ٣٣٢)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٢٦٢)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٨١).
(٢) انظر: المصادر المتقدمة.
(٣) «تهذيب اللغة» (٦/ ٥٤٩)، و«الصحاح» (٢/ ٤٦٨).
(٤) «ديوانه» (ص٥٩).
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٣٠٩) بسند حسن.
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٣٠٨) بسند صحيح.
(٧) «النكت والعيون» (٥/ ٤٥٢).
(٨) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ١٩٤).
(٩) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٥/ ٣٦٨) عن الحسن.
(١٠) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٢٤).
(١١) في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٥٠).
(١٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ١١٢).

قال السدي[1]: طلح الجنة يشبه طلح الدنيا لكن له ثمر أحلى من العسل، والمنضود: المتراكب الذي قد نُضد أوله وآخره بالحمل ليس له سوق بارزة.

قال مسروق[2]: أشجار الجنة من عروقها إلى أفنانها نضيد ثمر كلُّه، كلما أخذت ثمرة عاد مكانها أحسن منها.

﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾؛ أي: دائم باقٍ لا يزول، ولا تنسخه الشمسُ.

قال أبو عُبيدة[3]: والعرب تقول لكلِّ شيء طويل لا ينقطع: ممدود، ومنه قولُه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [الفرقان: ٤٥] والجنة كلها ظلّ لا شمس معه. قال الربيع بن أنس[4]: يعني ظلّ العرش، ومن استعمال العرب للممدود في الدائم الذي لا ينقطع قول لبيد[5]:

غلَبَ العزاءُ وكان غيرَ مغلَّبٍ   دهرٌ طويلٌ دائمٌ ممدودُ

﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ﴾؛ أي: منصبٌ يجري بالليل، والنهار أينما شاءوا لا ينقطع عنهم، فهو مسكوب يسكبه الله في مجاريه، وأصل السّكب[6]: الصبُّ، يقال: سكبه سَكْباً؛ أي: صبّه.

﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾؛ أي: ألوان متنوعة متكثرة ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ﴾ في وقت من الأوقات، كما تنقطع فواكه الدنيا في بعض الأوقات ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾؛ أي: لا تمتنع على من أرادها في أي وقت على أيّ صفة، بل هي معدّة لمن أرادها لا يحول بينه وبينها حائل.

قال ابن قتيبة[7]: يعني: أنَّها غير محظورة عليها كما يحظر على بساتين الدنيا [٤/١١٨].

﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾؛ أي: مرفوع بعضها فوق بعض، أو مرفوعة على الأسرّة. وقيل: إن الفرش هنا كناية عن النساء اللواتي في الجنة، وارتفاعها كونها على الأرائك، أو كونها مرتفعات الأقدار في الحسن والكمال.

---

(١) «معالم التنزيل» (٨/ ١٢)، و«النكت والعيون» (٥/ ٤٥٥).
(٢) «معالم التنزيل» (٨/ ١٢). (٣) في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٥٠).
(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ١٩٦). (٥) «شرح ديوان» لبيد (ص٣٦).
(٦) «تهذيب اللغة» (١٠/ ٨٢)، و«الصحاح» (١/ ١٤٨).
(٧) في «غريب القرآن له» (ص٤٤٩).

﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ﴾؛ أي: خلقناهنّ خَلْقاً جديداً من غير توالد، وقيل: المراد: نساء بني آدم.

والمعنى: أنَّ الله سبحانه أعادهنّ بعد الموت إلى حال الشباب، والنساء، وإن لم يتقدّم لهنّ ذكر لكنهن قد دخلن في أصحاب اليمين، وأما على قول من قال: إن الفرش المرفوعة عين النساء، فمرجع الضمير ظاهر.

﴿فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا﴾ ﴿لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ﴾ [الرحمٰن: ٥٦].

﴿عُرُبًا أَتۡرَابٗا﴾ العُرُب جمع عَرُوب، وهي المتحبّبة إلى زوجها. قال المبِّرد[١]: هي العاشقة لزوجها، ومنه قول لبيد[٢]:

وفي الخباءِ عَرُوبٌ غيرُ فاحشةٍ ريَّا الروادفِ يَغْشى ضوؤُها البصرا

وقال زيد بن أسلم[٣]: هي الحسنة الكلام. قرأ الجمهور[٤] بضم العين والراء. وقرأ حمزة، وأبو بكر عَنْ عاصم بإسكان الراء[٥]، وهما لغتان في جمع فَعُول، والأتراب: هنّ اللواتي على ميلادٍ واحد، وسنّ واحد. وقال مجاهد[٦]: أتراباً: أمثالاً وأشكالاً. وقال السديّ[٧]: أتراباً في الأخلاق لا تباغض بينهن ولا تحاسد.

قوله: ﴿لِّأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ﴾ متعلق بأنشأناهن، أو بجعلنا، أو بأتراباً، والمعنى: أن الله أنشأهنّ لأجلهم، أو خلقهنّ لأجلهم، أو هنّ مساويات لأصحاب اليمين في السنّ، أو هو خبر لمبتدأ[٨] محذوف؛ أي: هنّ لأصحابِ اليمين.

﴿ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٣٩ وَثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ هذا راجع إلى قوله: ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ

---

(١) ذكره ابن الجوزي في «تفسيره» (٨/ ١٤٢).
(٢) «شرح ديوان» لبيد (ص٦١).
(٣) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٣٢٥) من طريق ابن يمان، به.
(٤) «التيسير» (ص٢٠٧)، و«جامع البيان» (٢٢/ ٣٢٨)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٠٤)، و«روح المعاني» (٢٦/ ٣٤٠).
(٥) انظر: المصادر المتقدمة. هما قراءتان متواترتان ومع مَنْ قرأ بإسكان الراء خلَف.
(٦) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٣٢٩) بسند صحيح.
(٧) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٢٠٠).
(٨) «الفريد» (٤/ ٤١٩)، و«التبيان» (٢/ ١٢٠٥).

أَصْحَبُ ٱلْيَمِينِ﴾؛ أي: هم ثلة من الأوّلين، وثلة من الآخرين، وقد تقدم تفسير الثُلّة عند ذكر السابقين، والمعنى: أنهم جماعة، أو أمة، أو فرقة، أو قطعة من الأوّلين، وهم من لدن آدم إلى نبينا ﷺ، وجماعة، أو أمة، أو فرقة، أو قطعة من الآخرين، وهم أمة محمد ﷺ.

وقال أبو العالية[1]، ومجاهد، وعطاء بن أبي رباح، والضحاك: ثلة من الأوّلين يعني: من سابقي هذه الأمة، وثلة من الآخرين من هذه الأمة من آخرها.

ثم لما فرغ سبحانه مما أعدّه لأصحاب اليمين شرع في ذكر أصحاب الشمال، وما أعدّه لهم، فقال: ﴿وَأَصْحَبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَبُ ٱلشِّمَالِ﴾ الكلام في إعراب هذا وما فيه من التفخيم، كما سبق في أصحاب اليمين.

وقوله: ﴿فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ﴾ إما خبر[2] ثان لأصحاب الشمال، أو خبر[3] مبتدأ محذوف، والسموم[4]: حرّ النار، والحميم: الماء الحارّ الشديد الحرارة، وقد سبق بيان معناه.

وقيل: السَمُوم: الريحُ[5] الحارة التي تدخل في مسامّ البدن.

﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ اليحموم يَفْعول من الأحم: وهو الأسود؛ والعرب تقول: أسود يَحْمُوم: إذا كان شديد السواد، والمعنى: أنهم يفزعون إلى الظلّ، فيجدونه ظلاً من دخان جهنّم شديد السواد. وقيل: وهو مأخوذ من الحمِّ، وهو الشحم المسودّ باحتراق النار. وقيل: مأخوذ من الحُمَم، وهو: الفحم. قال الضحاك[6]: النار سوداء، وأهلها سود، وكل ما فيها أسود.

ثم وصف هذا الظلّ بقوله: ﴿لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ ليس كغيره من الظِّلال التي تكون باردة، بل هو حار؛ لأنه من دخان[7] نار جهنم. قال سعيد بن المسيب[8]: ولا كريم؛ أي: ليس فيه حُسْن منظر، وكلّ ما لا خير فيه، فليس بكريم، وقال

---

(١) ذكره عنهم القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٢٠٠).
(٢) «التبيان» (٢/ ١٢٠٥)، و«الفريد» (٤/ ٤١٩)، و«روح المعاني» (٢٦/ ٢٤١).
(٣) انظر: المصادر المتقدمة.
(٤) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٤٢٥).
(٥) «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص٤٤٩).
(٦) «معالم التنزيل» (٨/ ١٨).
(٧) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٢٠٢).
(٨) «معالم التنزيل» (٨/ ١٨).

الضحاك[١]: ولا كريم، ولا عَذْب. قال الفراء[٢]: العرب تجعل الكريم تابعاً لكلّ شيء نفت عنه وصفاً تنوي به الذم، تقول: ما هو بسمين ولا بكريم، وما هذه الدار بواسعة ولا كريمة.

ثم ذكر سبحانه أعمالهم التي استحقوا بها هذا العذاب فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ وهذه الجملة تعليل لما قبلها؛ أي: إنهم كانوا قبل هذا العذاب النازل بهم مترفين في الدنيا؛ أي: مُنَعمين بما لا يحل لهم، والمترف: المتنعم. وقال السدي[٣]: مشركين، وقيل: متكبرّين، والأوّل أولى.

[الحنث العظيم الشرك بالله]:

﴿وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ﴾ الحِنْثُ: الذنبُ؛ أي: يُصرّون على الذنب العظيم.

قال الواحدي[٤]: قال أهل التفسير: عني به الشرك؛ أي: كانوا لا يتوبون عن الشرك. وبه قال الحسن[٥]، والضحاك[٦]، وابن زيد[٧].

وقال قتادة[٨]، ومجاهد[٩]: هو الذنب العظيم الذي لا يتوبون عنه.

وقال الشعبي[١٠]: هو اليمين الغموس.

﴿وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ الهمزة في الموضعين للإنكار[١١] والاستبعاد، وقد تقدّم الكلام على هذا في الصافات، وفي سورة الرعد.

[قضية البعث والنشأة الأخرى]:

والمعنى: أنهم أنكروا واستبعدوا أن يُبعثوا بعد الموت، وقد صاروا عظاماً وتراباً، والمراد: أنه صار لحمهم وجلودهم تراباً، وصارت عظامهم نخرةً باليةً،

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٣٣٧).
(٢) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٢٧).
(٣) «النكت والعيون» (٥/ ٤٥٧).
(٤) في «الوسيط» (٤/ ٣٣٦).
(٥) «النكت والعيون» (٥/ ٤٥٧).
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٣٣٩) بسند حسن.
(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٣٣٩ ـ ٣٤٠) بسند صحيح.
(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٣٣٩) بسند صحيح.
(٩) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٣٤٠) بسند صحيح.
(١٠) «النكت والعيون» (٥/ ٤٥٧).
(١١) «تفسير أبي السعود» (٦/ ٢٦٦)، و«روح المعاني» (٥٦/ ٣٤٧). وهي قراءة شاذة مخالفة للرسم.

والعامل في الظرف ما يدلّ عليه (مبعوثون)؛ لأن ما بعد الاستفهام لا يعمل فيما قبله؛ أي: أنبعث إذا متنا؟ إلخ.

﴿أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ معطوف على الضمير في (لمبعوثون)؛ لوقوع الفصل بينهما بالهمزة. والمعنى: أنّ بعثَ آبائهم الأوّلين أبعد؛ لتقدّم موتهم، وقُرئ[1]، «وآباؤنا».

ثم أمر الله سبحانه رسوله أن يجيب عليهم ويردّ استبعادهم فقال: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ﴾؛ أي: قل لهم يا محمد: إن الأوّلين من الأمم، والآخرين منهم الذين أنتم من جملتهم لمجموعون بعد البعث ﴿إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ وهو يوم القيامة ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ﴾ هذا وما بعده من جملة ما هو داخل تحت القول، وهو معطوف على ﴿إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

ووصفهم سبحانه بوصفين قبيحين، وهما الضلال عن الحقّ والتكذيب له.

﴿لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ﴾؛ أي: لآكلون في الآخرة من شجرٍ كريه المنظر، كريه الطَعْم.

وقد تقدّم تفسيره في سورة الصافات، و«من» الأولى[2] لابتداء الغاية والثانية بيانية، ويجوز أن تكون الأولى مزيدة والثانية بيانية، وأن تكون الثانية مزيدة والأولى للابتداء.

﴿فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ﴾؛ أي: مالئون مِنْ شجر الزقوم بطونكم؛ لما يلحقكم من شدّة الجوع.

﴿فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ﴾ الضمير في عليه عائد إلى الزقوم، والحميمُ: الماء الذي قد بلغ حرّه إلى الغاية، والمعنى: فشاربون على الزقوم عقب أكله من الماء الحارّ، ويجوز أن يعود الضمير إلى شجر؛ لأنه يذكّر ويؤنّث.

ويجوز أَنْ يعود إلى الأكل المدلول عليه بقوله: ﴿لَءَاكِلُونَ﴾. وقُرئ: «مِنْ شجرةٍ» بالإفراد[3].

---

(١) «روح المعاني» (٢٦/ ٣٤٧)، و«النشر» (٢/ ٣٥٧)، و«التيسير» (ص١٨٦).

(٢) «روح المعاني» (٢٦/ ٣٤٧)، و«التبيان» (٢/ ١٢٠٥)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٢٦٦).

(٣) وهي قراءة عبد الله بن مسعود. «القراءات الشاذة» (ص١٥٣)، و«الدر المصون» (٦/ ٢٦١)، و«جامع البيان» (٢٢/ ٣٤١). وهي قراءة شاذة مخالفة للرسم.

﴿فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ﴾ قرأ الجمهور[١]: «شَرب الهيم» بفتح الشين، وقرأ نافع، وعاصم، وحمزة بضمها[٢]. وقرأ مجاهد، وأبو عثمان النهدي بكسرها[٣]، وهي لغات.

قال أبو زيد[٤]: سمعتُ العرب تقول بضم الشين وفتحها وكسرها. قال المبرِّد[٥]: الفتح على أصل المصدر، والضم اسم المصدر، والهيم[٦]: الإبل العطاش التي لا تروى لداء يصيبها.

وهذه الجملة بيان لما قبلها؛ أي: لا يكون شربكم شرباً معتاداً بل يكون مثل شَرب الهيم التي تعطش ولا تُروى بشرب الماء، ومفرد الهيم أهْيَم، والأنثى هيماء. قال قيس بن الملوّح:

يُقَالُ به داءُ الهُيامِ أصابَه وقد علمتْ نفسي مكانَ شِفَائِيا[٧]

وقال الضحاك[٨]، وابن عيينة، والأخفش[٩]، وابن كيسان[١٠]: الهيم: الأرض السهلة ذات الرمل، والمعنى: أنهم يشربون، كما تشرب هذه الأرض الماء، ولا يظهر له فيها أثر.

قال في «الصحاح»[١١]: الهُيام بالضم: أشدُ العطش، والهيام كالجنون من العشق، والهيام: داء يأخذ الإبل تهيم في الأرض لا ترعى، يقال: ناقة هيماء، والهيماء أيضاً: المفازة لا ماء بها، والهَيام بالفتح: الرمل الذي لا يتماسك في اليد للينه، والجمع: هُيُم مثل قَذَال وقُذُل، والهيام بالكسر: الإبلُ العطاش.

---

(١) «جامع البيان» (٢٢/ ٣٤٢)، و«روح المعاني» (٢٦/ ٣٤٧)، و«النشر» (٢/ ٣٨٣)، و«التيسير» (ص٢٠٧)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٠٥).
(٢) انظر: المصادر المتقدمة.
(٣) «التبيان» (٢/ ١٢٠٥)، و«حاشية الجمل» (٤/ ٢٧٧)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٨٧). القراءة بكسر الشين شاذة وأما بالضم والفتح فقراءتان متواترتان.
(٤) «الحجة» للفارسي (٦/ ٢٦٠).
(٥) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢٣٦).
(٦) «تهذيب اللغة» (٦/ ٤٦٧، ٤٧٧)، و«مفردات ألفاظ القرآن» (ص٨٤٨).
(٧) «النكت والعيون» (٥/ ٤٥٧).
(٨) ذكره عنهما البغوي في «تفسيره» (٨/ ١٩).
(٩) «الصحاح» (٥/ ٢٠٦٣).
(١٠) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٢٠٥).
(١١) «الصحاح» (٥/ ٢٠٦٣).

﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ قرأ الجمهور: «نُزُلهم» بضمتين[١].

وروي عن أبي عمرو، وابن محيصن بضمة وسكون[٢]، وقد تقدم أن النُزل ما يعدّ للضيف، ويكون أوّل ما يأكله، و﴿يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ يوم الجزاء، وهو يوم القيامة، والمعنى: أن ما ذكر من شجر الزقوم، وشراب الحميم هو الذي يعدّ لهم ويأكلونه يوم القيامة، وفي هذا تهكّم[٣] بهم؛ لأنّ النزل هو ما يعدّ للأضياف تكرمة لهم، ومثل هذا قوله: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١، الإنشقاق: ٢٤].

وقد أخرج الحاكم وصححه، والبيهقي عن أبي أمامة[٤] قال: «كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: إن الله ينفعنا بالأعراب ومسائلهم، أقبل أعرابيّ يوماً فقال: يا رسول الله ذكر في القرآن شجرة مؤذية، وما كنت أرى في الجنة شجرةً تؤذي صاحبها قال: وما هي؟ قال: السِّدْرُ، فإن لها شوكاً، فقال رسول الله ﷺ: أليس الله يقول: ﴿فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾؟ يُخضّد الله شوكَه، فيجعل مكان كل شوكة ثمرة، فإنها تنبت ثمراً يتفتق الثمر منها عن اثنين وسبعين لوناً من الطعام ما منها لون يشبه الآخر».

وأخرج ابن أبي داود، والطبراني، وأبو نعيم في «الحلية»، وابن مردويه عن عتبة بن عبد السلمي[٥] قال: «كنت جالساً مع النبي ﷺ، فجاء أعرابي فقال: يا رسول الله أسمعُك تذكر في الجنة شجرةً لا أعلم شجرة أكثر شوكاً منها يعني: الطّلْح، فقال رسول الله ﷺ: إن الله يجعل مكان كل شوكة منها ثمرة مثل خُصْية التيس الملبود ـ يعني: الخصيّ منها ـ فيها سبعون لوناً من الطعام لا يشبه لون آخر».

وأخرج ابن جرير، عن ابن عباس[٦] في قوله: ﴿سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ [٤/ ١١٩] قال: خَضَده وقره من الحَمْل.

---

(١) «البحر المحيط» (١٠/ ٨٧)، و«المحرر الوجيز» (١٥/ ٣٧٧)، و«حاشية الشهاب» (٨/ ١٤٦).

(٢) «القراءات الشاذة» (ص٢٠٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٢٠٦)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٨٧). القراءة بإسكان الزاي شاذة، وهي رواية شاذة عن أبي عَمرْو والمتواتر عنه كقراءة الجمهور.

(٣) «روح المعاني» (٢٦/ ٣٥٠)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٢٦٧).

(٤) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٧٦)، وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي رقم (٣٠٢).

(٥) أخرجه ابن أبي داود رقم (٦٩)، والطبراني (ج١٧ رقم ٣١٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١٠٣). وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح «مجمع الزوائد» (١٠/ ٤١٤).

(٦) أخرجه ابن جرير في جامع البيان (٢٢/ ٣٠٧) بسند ضعيف.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر من طرق عنه[١] قال: المخضود: الذي لا شوك فيه.

وأخرج عبد بن حميد[٢] عنه أيضاً قال: المخضود: المُوقَر الذي لا شوك فيه.

وأخرج عبد الرزاق، والفريابي، وهناد، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن مردويه عن عليّ بن أبي طالب[٣] في قوله: ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾ قال: هو الموز.

وأخرج الفريابي، وسعيد بن منصور، وهناد، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر من طرق عن ابن عباس[٤] مثله.

وأخرج سعيد بن منصور، وابن المنذر عن أبي هريرة[٥] مثله.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عن أبي سعيد الخدري[٦] مثله.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم عن عليّ بن أبي طالب[٧] أنه قرأ «وطلع منضود»[٨].

وأخرج ابن جرير، وابن الأنباري في المصاحف عن قيس بن عُباد[٩] قال: قرأت على عليّ بن أبي طالب ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾ فقال عليّ: ما بال الطلح؟ أما تقرأ وطلع؟ ثم قال: ﴿طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ [قٓ: ١٠]، فقيل له: يا أمير المؤمنين أنحكُّها في المصحف؟ قال: لا يُهاجُ القرآن اليوم.

---

(١) أخرجه ابن جرير في جامع البيان (٢٢/ ٣٠٧) بسند صحيح.

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ١٣).

(٣) أخرجه عبد الرزاق (٢/ ٢٧٠) وهناد رقم (١١٢)، وابن جرير (٢٢/ ٣١١) بسند ضعيف.

(٤) أخرجه هنّاد رقم (١١١)، وابن جرير (٢٢/ ٣١١)، وعبد الرزاق (٢/ ٢٧٠) من طريق سفيان، به.

(٥) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ١٣).

(٦) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ١٣).

(٧) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٣٠٩)، وابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٣/ ٣٦٤) بسند ضعيف.

(٨) وهي قراءة شاذة لمخالفتها رسم المصحف. «القراءات الشاذة» (ص١٥١).

(٩) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٣٠٩، ٣١٠)، وابن الأنباري ـ كما في تفسير القرطبي (٢٠/ ١٩٥). قال ابن الأنباري: ومعنى هذا أنَّه رجع إلى ما في المصحف وعلم أنّه الصواب، وأبطل الذي كان فرط من قوله.

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس[(١)] في قوله: ﴿مَّنضُودٍ﴾ قال: بعضه على بعض.

وأخرج البخاري، ومسلم، وغيرهما من حديث أبي هريرة[(٢)] عن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة شجرةً يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، اقرءوا إن شئتم ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾».

وأخرج البخاري، وغيره نحوه من حديث أنس[(٣)].

وأخرج البخاري، ومسلم، وغيرهما نحوه من حديث أبي سعيد[(٤)].

وأخرج أحمد، والترمذي وحسنه، والنسائي، وغيرهم عن أبي سعيد[(٥)] الخدري عن النبي ﷺ في قوله: «﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ قال: ارتفاعها كما بين السماء والأرض، ومسيرةُ ما بينهما خمسمائة عام».

قال الترمذي بعد إخراجه: هذا حديث غريبٌ لا نعرفه إلّا من حديث رشدين بن سعد، ورشدين ضعيف.

وأخرج الفريابي، وهنّاد، وعبد بن حُميد، والترمذي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «البعث» عن أنس[(٦)] قال: قال رسول الله ﷺ في قوله: «﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً﴾ قال: إن المنشَئات التي كُنّ في الدنيا عجائز عُمْشاً رُمْصاً». قال الترمذي بعد إخراجه: غريب، وموسى ويزيد ضعيفان.

وأخرج الطيالسي، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه،

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٣١٢) بسند ضعيف.

(٢) أخرجه البخاري رقم (٣٢٥٢)، ومسلم رقم (٢٨٢٦)، وأحمد رقم (٧٤٩٨، ٩٢٤٣، ٩٦٥٠)، والترمذي رقم (٢٥٢٣)، وابن ماجه رقم (٤٣٣٥)، وابن جرير (٢٢/ ٣١٤، ٣١٥)، وعبد الرزاق (٢/ ٢٧١)، وابن أبي شيبة (١٣/ ١٠١، ١٠٢) وهنَّاد رقم (١١٣)، وعبد بن حميد رقم (١٤٥٥ ـ منتخب).

(٣) أخرجه البخاري رقم (٣٢٥١)، والترمذي رقم (٣٢٩٣)، وأحمد رقم (١٢٠٧٠).

(٤) أخرجه البخاري رقم (٦٥٥٣)، ومسلم رقم (٢٨٢٨)، وأحمد رقم (١١٦٧٣)، والترمذي رقم (٢٥٢٤).

(٥) أخرجه أحمد رقم (١١٧١٩)، والترمذي رقم (٢٥٤٠، ٣٢٩٤)، وابن أبي الدنيا رقم (١٥٧)، وابن جرير (٢٢/ ٣١٩). وابن أبي حاتم ـ كما في تفسير ابن كثير (١٣/ ٣٧١) ـ وابن حبان رقم (٧٤٠٥)، وأبو الشيخ رقم (٢٧٤، ٥٩٥)، والبيهقي رقم (٣٤٢). وهو حديث ضعيف جدّاً.

(٦) أخرجه هنّاد رقم (٢١)، والترمذي رقم (٣٢٩٦)، وابن جرير (٢٢/ ٣٢٠)، وابن أبي حاتم ـ كما «في تفسير ابن كثير» (١٣/ ٣٧٢) ـ، والبيهقي رقم (٣٨٠). وهو حديث ضعيف.

وابن قانع، والبيهقي في «البعْث» عن سلمة بن يزيد[١] الجعفي سمعت النبي ﷺ يقول في قوله: «﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ﴾ قال: الثيب والأبكار اللّاتي كنّ في الدنيا».

وأخرج ابن المنذر[٢] عن ابن عباس في الآية قال: خلقهنّ غير خلقهنّ الأوّل. وأخرج ابن أبي حاتم[٢] عنه: ﴿أَبۡكَارًا﴾ قال: عَذارى.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، والبيهقي في «البعث» من طريق عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس[٣] في قوله: ﴿عُرُبًا﴾ قال: عواشق ﴿أَتۡرَابٗا﴾ يقول: مستويات.

وأخرج ابن أبي حاتم[٤] عنه: ﴿عُرُبًا﴾ قال: عواشق لأزواجهنّ وأزواجهنّ لهنّ عاشقون ﴿أَتۡرَابٗا﴾ قال: في سنّ واحد ثلاثاً وثلاثين سنة.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عنه[٥] أيضاً قال: العَرُوب المَلَقَةُ لزوجها.

وأخرج مسدد في «مسنده»، وابن المنذر، والطبراني، وابن مردويه بسند حسن عن أبي بكرة[٦] عن النبيّ ﷺ في قوله: «﴿ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ٣٩ وَثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ قال: جميعهما من هذه الأمة».

وأخرج أبو داود الطيالسي، ومسدّد، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن مردويه عن أبي بكرة[٧] في قوله: ﴿ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ٣٩ وَثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ قال: هما جميعاً من هذه الأمة.

وأخرج الفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن عدي،

---

(١) أخرجه الطيالسي رقم (١٤٠٣)، وابن جرير (٢٢/ ٣٢٠)، ابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٣/ ٣٧٢) ـ، والطبراني رقم (٦٣٢٢)، وابن قانع (١/ ٢٧٤)، والبيهقي رقم (٣٨١) بسند ضعيف. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١١٩) فيه جابر الجعفي، وهو ضعيف.

(٢) عزه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ١٦).

(٣) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٣٢٣، ٣٢٤)، والبيهقي رقم (٣٧٧) بسند صحيح.

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ١٦).

(٥) أخره ابن جرير (٢٢/ ٣٢٣) بسند حسن

(٦) أخرجه مسدد ـ كما في «تخريج أحاديث الكشاف» (٣/ ٤٠٣) وفي المطالب العالية رقم (٤١٣٩) ـ والطبراني وابن مردويه ـ كما في «تخريج أحاديث الكشاف» (٣/ ٤٠٣) ـ وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١١٨، ١١٩)، رواه الطبراني بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح غير علي بن زيد وهو ثقة سيئ الحفظ.

(٧) أخرجه الطيالسي رقم (٩٢٧)، ومسدد ـ كما في المطالب العالية رقم (٤١٣٧) بسند ضعيف.

وابن مردويه. قال السيوطي(١): بسند ضعيفٍ عن ابن عباس(٢) في قوله: «﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٣٩ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ قال: قال رسول الله ﷺ: هما جميعاً من أمتي».

وأخرج عبد الرزاق، وابن المنذر، وابن مردويه عن ابن عباس(٣) قال: الثُّلَّتان جميعاً من هذه الأمة.

وأخرج الفريابي، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه عن ابن عباس(٤) في قوله: ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ قال: مِنْ دخانٍ أسود، وفي لفظ: من دخان جهنم.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس(٥) في قوله: ﴿شُرْبَ ٱلْهِيمِ﴾ قال: الإبل العطاش.

[بعض الأدلة على إثبات قدرة الله]:

﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ۝٥٧ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ۝٥٨ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٥٩ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝٦٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٦١ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝٦٣ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ۝٦٤ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ۝٦٥ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ۝٦٦ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ۝٦٧ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ۝٦٨ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ۝٦٩ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ۝٧٠ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ۝٧١ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ۝٧٢ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ۝٧٣ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ۝٧٤﴾.

---

(١) في «الدر المنثور» (٨/ ١٧).

(٢) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٣٣٤)، وابن عدي (١/ ٣٧٨)، وابن مردويه ـ كما في «تخريج الكشاف» (٣/ ٤٠٤) بسند ضعيف جدّاً. أبان ابن أبي عياش، متروك. «التقريب» (ص٨٦).

(٣) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٠).

(٤) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٠).
أخرجه الفريابي وسعيد بن منصور ـ كما في «فتح الباري» (٨/ ٦٢٦) ـ وابن جرير (٢٢/ ٣٣٥)، والحاكم (٢/ ٤٧٦) بسند صحيح.

(٥) وأخرجه ابن جرير (٢٢/ ٣٣٥) بسند صحيح.

قوله: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ التفت سبحانه إلى خطاب الكفرة تبكيتاً[(١)] لهم، وإلزاماً للحجة؛ أي: فهلا تصدّقون بالبعث أو بالخلق؟ قال مقاتل: خلقناكم ولم تكونوا شيئًا، وأنتم تعلمون ذلك، فهلا تصدّقون بالبعث؟

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ﴾؛ أي: ما تَقْذفون وتصبّون في أرحام النِّساء من النُّطف، ومعنى ﴿أَفَرَءَيْتُم﴾: أخبروني، ومفعولها **الأوّل**: ما تمنون، **والثاني**: الجملة الاستفهامية، وهي ﴿ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾؛ أي: تقدّرونه وتصوّرونه بشراً سوياً أم نحن المقدرون المصوّرون له؟ و«أمْ» هي المتصلة[(٢)]، وقيل: هي المنقطعة[(٣)]، والأوّل أولى.

قرأ الجمهور[(٤)]: «تُمنون» بضم الفوقية من أمنى يُمني.

وقرأ ابن عباس، وأبو السمّال، ومحمد بن السميفع، والأشهب العقيلي بفتحها[(٥)] من مَنى يَمني، وهما لغتان، وقيل: معناهما مختلف، يقال: أمني إذا أنزل عَنْ جماع، ومنى إذا أنزل عن احتلام، وسمي المنيّ منياً؛ لأنّه يُمْنى؛ أي: يُراق.

﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ قرأ الجمهور[(٦)]: «قدّرنا» بالتشديد، وقرأ مجاهد وحميد وابن محيصن وابن كثير بالتخفيف[(٧)]، وهما لغتان، يقال: قدَرْتُ الشيء وقدّرته؛ أي: قسّمناه عليكم، ووقّتناه لكل فرد من أفرادكم، وقيل: قضينا، وقيل: كتبنا، والمعنى متقارب.

قال مقاتل[(٨)]: فمنكم مَنْ يموت كبيراً، ومنكم من يموت صغيراً.

---

(١) «روح المعاني» (٢٦/ ٣٥٠)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٢٦٧).
(٢) «روح المعاني» (٢٦/ ٣٥١). (٣) «روح المعاني» (٢٦/ ٣٥١).
(٤) «البحر المحيط» (١٠/ ٨٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٢٠٧)، و«المحرر الوجيز» (٥١/ ٣٧١).
(٥) «القراءات الشاذة» (ص١٥١)، و«حاشية الجمل» (٤/ ٢٧٧)، و«روح المعاني» (٢٦/ ٣٥١). وهي قراءة شاذة.
(٦) «النشر» (٢/ ٣٨٣)، و«التيسير» (ص٢٠٧)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٠٥).
(٧) انظر: المصادر المتقدمة.
(٨) «الوسيط» للواحدي (٤/ ٢٣٧)، و«معالم التنزيل» (٨/ ١٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٢٠٨).

وقال الضحاك[(١)]: معناه أنّه جعل أهل السماء وأهل الأرض فيه سواء ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ بمغلوبين، بل قادرين: ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ﴾؛ أي: نأتي بخلق مثلكم.

قال الزجاج[(٢)]: إن أردنا أن نخلق خلقاً غيركم لم يسبقنا سابق ولا يفوتنا.

قال ابن جرير[(٣)]: المعنى: نحن قدّرنا بينكم الموتَ على أن نبدّل أمثالكم بعد موتكم بآخرين مِنْ جنسكم، وما نحنُ بمسبوقين في آجالكم؛ أي: لا يتقدّم متأخر، ولا يتأخر متقدّم.

﴿وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من الصُوَر والهيئات.

قال الحسن[(٤)]؛ أي: نجعلكم قردةً وخنازير، كما فعلنا بأقوام قبلكم، وقيل المعنى: ننشئكم في البعث على غير صوركم في الدنيا.

وقال سعيد بن المسيب[(٥)]: ﴿فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يعني: في حواصل طيور سود تكون ببرهوت كأنّها الخطاطيف، وبرهوت وادٍ باليمن.

وقال مجاهد[(٦)]: ﴿فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يعني: في أيِّ خلق شئنا، ومَنْ كان قادراً على هذا فهو قادر على البعث.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ وهي ابتداء الخَلْق من نُطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة، ولم تكونوا قبل ذلك شيئًا. وقال قتادة[(٧)]، والضحاك[(٨)]: يعني: خلق آدم مِنْ تراب.

﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾؛ أي: فهلّا تذكرون قُدرةَ الله سبحانه على النشأة الأخيرة، وتقيسونها على النشأة الأولى.

قرأ الجمهور[(٩)]: «النّشْأة» بالقصر، وقرأ مُجاهد، والحسن، وابن كثير، وأبو

---

(١) انظر: المصادر المتقدمة. (٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ١١٤).
(٣) في «جامع البيان» (٢٢/ ٣٤٦).
(٤) «معالم التنزيل» (٨/ ٢٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٢٠٨).
(٥) «معالم التنزيل» (٨/ ٢٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٢٠٨).
(٦) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٣٤٦) بسند صحيح.
(٧) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٣٤٧) بسند صحيح.
(٨) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٢٠٩).
(٩) «البحر المحيط» (١٠/ ٨٩)، و«النشر» (٢/ ٣٤٣)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ١٧٨).

عمرو بالمد[١]، وقد مضى تفسير هذا في سورة العنكبوت.

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾؛ أي: أخبروني ما تحرثون من أرضكم، فتطرحون فيه البذر ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ﴾؛ أي: تنبتونه وتجعلونه زرعاً، فيكون فيه السنبل والحبّ ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾؛ أي: المنبتون له الجاعلون له زرعاً لا أنتم.

قال المبرد[٢]: يقال زرعه الله؛ أي: أنماه، فإذا أقررتم بهذا، فكيف تُنْكرون البعث؟.

﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا﴾؛ أي: لو نشاء لجعلنا ما تحرثون حُطاماً؛ أي: متحطماً متكسِّراً، والحُطام: الهشيمُ الذي لا يُنتفع به، ولا يحصل منه حبّ، ولا شيء مما يُطلب من الحرث ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾؛ أي: صرتم تعجبون.

قال الفرّاء[٣]: تفكهون تتعجّبون فيما نزل بكم في زرعكم.

قال في «الصحاح»[٤]: وتفكه تعجّب، ويقال: تندّم.

قال الحسن[٥]، وقتادة[٦]، وغيرهما: معنى الآية: تعجبون من ذهابها، وتندمون مما حلّ بكم. وقال عكرمة[٧]: تُلاومون وتَنْدمون على ما سلف منكم من معصية الله.

وقال أبو عمرو، والكسائي[٨]: هو التلهّفُ على ما فات.

قرأ الجمهور[٩]: «فَظَلْتم» بفتح الظاء مع لام واحدة.

وقرأ أبو حيوة، وأبو بكر في رواية عنه بكسر الظاء[١٠]. وقرأ ابن عباس، والجَحْدري: «فظللتم» بلامين[١١]: أولاهما مكسورة على الأصل، وروي عن

---

(١) انظر: المصادر المتقدمة.
(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢٣٧).
(٣) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٢٨).
(٤) «الصحاح» (٦/ ٢٢٤٣).
(٥) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٣٥٠) بسند صحيح.
(٦) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٣٥٠) بسند صحيح.
(٧) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٣٥٠) بسند حسن.
(٨) ذكره عنهما الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢٣٨).
(٩) «البحر المحيط» (١٠/ ٨٩)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٣٥٣)، و«روح المعاني» (٢٦/ ٣٥٤). قراءة الجمهور في كلمة (فَظَلْتُم) هي المتواترة، وما عداها فشاذ.
(١٠) انظر: المصادر المتقدمة.
(١١) «البحر المحيط» (١٠/ ٨٩)، و«القراءات الشاذة» (ص١٥١)، و«روح المعاني» (٢٦/ ٣٥٤).

الجحدري فتحها[١]، وهي لغة.

وقرأ الجمهور[٢]: «تفكّهون» وقرأ أبو حزام العكلي: «تفكّنون» بالنون مكان الهاء؛ أي: تندمون.

قال ابن خالويه[٣]: تفكه تعجّب، وتفكن تندم. وفي «الصحاح»[٤] التفكن التندمُ.

﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ قرأ الجمهور[٥] بهمزة واحدة على الخبر، وقرأ أبو بكر، والمفضل، وزرّ بن حبيش بهمزتين[٦] على الاستفهام، والجملة بتقدير القول، [١٢٠/ ٤]؛ أي: تقولون إنا لمغرمون؛ أي: مُلزمون غُرْماً بما هلك من زرعنا، والمُغْرَم: الذي ذهب ماله بغير عوض، قاله الضحاك[٧]، وابن كيسان.

وقيل المعنى: إنّا لمعذبون، قاله قتادة[٨]، وغيرُه. وقال مجاهد[٩]، وعكرمة[١٠]: لمولع بنا، ومِنْه قول النمر[١١] بن تَوْلَب:

سَلَا عن تَذَكُّرِهِ تَكَتُّما وكان رهيناً بها مُغْرما

يقال: أغرم فلان بفلان؛ أي: أُولع. وقال مقاتل: مُهْلَكون. قال النحاس: مأخوذ من الغرام، وهو الهلاك، ومنه قول الشاعر:

ويومُ النِّسارِ ويومُ الجفار كان عليكُم عذاباً مقيما[١٢]

---

(١) انظر: المصادر المتقدمة.

(٢) «البحر المحيط» (١٠/ ٨٩)، و«زاد المسير» (٨/ ١٤٨).

(٣) «القراءات الشاذة» (ص١٥١)، و«روح المعاني» (٢٦/ ٣٥٥). وهي قراءة شاذة مخالفة للرسم.

(٤) في «الصحاح» (٦/ ٢١٧٧).

(٥) «الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٠٦)، و«التيسير» (ص٢٠٧)، و«النشر» (١/ ٣٧١)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٨٩). وهما قراءتان متواترتان.

(٦) انظر: المصادر المتقدمة.

(٧) «معالم التنزيل» (٨/ ٢١).

(٨) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٣٥٣)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٧٢) بسند صحيح.

(٩) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٣٥١) بسند صحيح.

(١٠) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٣٥١) من طريق يزيد النحوي، به.

(١١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٢١٢).

(١٢) قائله بشر بن أبي خازم وهو في «ديوانه» (ص١٩٠). والشاهد من البيت إنما هو في الرواية =

والظاهر من السياق المعنى الأول؛ أي: إنا لمُغْرمون بذهاب ما حرثناه، ومصيره حطاماً، ثم أضربوا عن قولهم هذا، وانتقلوا فقالوا: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾؛ أي: حُرمنا رزقنا بهلاك زرعنا، والمحروم الممنوع من الرزق الذي لا حظ له فيه، وهو المُحارَف.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ﴾، فتسكنون به ما يلحقكم من العطش، وتدفعون به ما ينزل بكم من الظمأ. واقتصر سبحانه على ذكر الشرب مع كثرة فوائد[1] الماء ومنافعه؛ لأنه أعظم فوائده، وأجلّ منافعه.

﴿ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ﴾؛ أي: السحاب. قال في «الصحاح»[2]: قال أبو زيد: المُزْنة: السحابةُ البيضاء، والجمع مُزْن، والمزنة: المطر. قال الشاعر[3]:

ألـم تـرَ أنَّ اللهَ أنـزلَ مُـزْنَـةً ... وعُفْرُ الظِّباء في الكِنَاسِ تُقَمَّعُ

ومما يدل على أنّه السحاب قول الشاعر[4]:

فنحنُ كماءِ المزْنِ ما في نصابِنا ... كَـهَـامٍ ولا فـيـنـا يُـعـدُّ بـخـيـلُ

وقول الآخر:

فـلا مـزنـةً ودقـتْ وَدْقَـهـا ... ولا الأرضَ أبـقـلَ إبـقـالَـهـا[5]

﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ﴾ له بقدرتنا دون غيرنا، فإذا عرفتم ذلك، فكيف لا تقرّون بالتوحيد، وتصدّقون بالبعث.

ثم بيّن لهم سبحانه أنه لو يشاء لسلبهم هذه النعمة فقال: ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ

= الموجودة في الديوان وهو:

ويوم النّساء ويوم الجفا.... ... وكان عذاباً وكان غرامَا

(١) «روح المعاني» (٢٦/ ٣٥٥)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٢٦٨).

(٢) في «الصحاح» (٦/ ٢٢٠٣).

(٣) هو أوس بن حجر والبيت في «ديوانه» (ص٥٧). الكِنَّاس: مُوْلج الوحش من الظباء والبقر تستكنُّ فيه من الحرِّ.

(٤) هو السموأل بن عاديا اليهودي. والبيت في «ديوانه» (ص٦٩).

• والنصاب: الأصل.

ورجل كَهام، وكهيم، أي: مُسنٌّ لا غَنَاء عنده. الصحاح (٥/ ٢٠٢٥).

(٥) البيت لعامر بن جوين الطائي. «خزانة الأدب» (١/ ٤٥).

أُجَاجًا﴾ الأجاجُ: الماءُ الشديد الملوحة الذي لا يُمكن شربه، وقال الحسن[١]: هو الماء المُرّ الذي لا ينتفعون به في شُرب ولا زرع ولا غيرهما ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾؛ أي: فهلّا تشكرون نعمةَ الله الذي خلق لكم ماءً عذباً تشربون منه وتنتفعون به.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ﴾؛ أي: أخبروني عنها.

ومعنى تُورون: تستخرجونها بالقَدْح مِنْ الشجر الرَّطْب، يقال: أوريتُ النارَ إذا قدحتُها.

﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ﴾ التي يكون منها الزنود، وهي: المَرْخ[٢] والعَفَار، تقول العرب: في كلِّ شجرٍ نار، واستمْجد المَرْخُ والعَفَار ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ﴾ لها بقدرتنا دونكم، ومعنى الإنشاء: الخَلْقُ، وعبّر عنه بالإنشاء للدّلالة على ما في ذلك من بديع الصنعة، وعجيب القدرة.

﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً﴾؛ أي: جعلنا هذه النار التي في الدنيا تذكرة لنار جهنم الكبرى.

قال مجاهد[٣]، وقتادة[٤]: تبصرةً للناس في الظلام، وقال عطاء[٥]: موعظة ليتعظ بها المؤمن.

﴿وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾؛ أي: منفعةً للذين ينزلون بالقَواء، وهي الأرض القَفْر كالمسافرين، وأهل البوادي النازلين في الأراضي المقفرة، يقال: أرض قواء بالمد والقصر؛ أي: مقفرة، ومنه قول النابغة[٦]:

يا دارَ ميَّةَ بالعلياءِ فالسَّندِ ... أقوتْ وطالَ عليها سالفُ الأمدِ

وقال عنترة[٧]:

حُيِّيْتَ مِنْ طللٍ تقادَم عهدُه ... أقوى وأقفر بعدَ أُمِّ الهيثم

---

(١) «معالم التنزيل» (٨/ ٢١).
(٢) «معالم التنزيل» (٨/ ٢١)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢/ ٢١٥)، و«روح المعاني» (٢٦/ ٣٥٧).
(٣) «النكت والعيون» (٥/ ٤٦١)، و«الوسيط» (٤/ ٢٣٨).
(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٢١٥).
(٥) «الوسيط» للواحدي (٤/ ٢٣٨).
(٦) «ديوان النابغة الذبياني» (ص٣٠).
(٧) «ديوان عنترة» (ص١٤٣).

وقول الآخر:

ألم تسألِ الرَّبْعَ القُواءَ فينطقُ وهل يُخْبِرنْكَ اليَوم بيداءُ سَمْلَقُ

ويقال: أقوى إذا سافر؛ أي: نزل القَوى. وقال مجاهد(١): المقوين المستمتعين بها من الناس أجمعين في الطبخ، والخبز، والاصطلاء، والاستضاءة، وتذكّر نار جهنم.

وقال ابن زيد(٢): للجائعين في إصلاح طعامهم، يقال: أقويت منذ كذا وكذا؛ أي: ما أكلتُ شيئًا، وبات فلان القَوى؛ أي: بات جائعاً، ومنه قول الشاعر(٣):

وإني لأَخْتَارُ القَوى طاوِي الحشَا محافظةً مِنْ أَنْ يُقَالُ لَئيمُ

وقال قطرب(٤): المُقْوِي من الأضداد يكون بمعنى: الفقر، ويكون بمعنى: الغني؛ يقال: أقوى الرجل إذا لم يكن معه زاد، وأقوى: إذا قويت دوابه وكثُرَ ماله. وحكى الثعلبي(٥) عَنْ أكثر المفسّرين القول الأوّل، وهو الظاهر.

﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ الفاء لترتيب ما بعدها مِنْ ذكر الله سبحانه، وتنزيهه على ما قبلها مما عدّده مِنْ النّعم التي أنعم بها على عباده، وجحود المشركين لها، وتكذيبهم بها.

وقد أخرج البزار، وابن جرير، وابن مردويه، وأبو نعيم، والبيهقي في «الشعب»، وضعفه عن أبي هريرة(٦). قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يقولنّ أحدكم: زرعت، ولكن يقول: حَرثْتُ». قال أبو هريرة: ألم تسمعوا الله يقول: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝٦٣ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾.

وأخرج ابن جرير(٧) عن ابن عباس ﴿تَفَكَّهُونَ﴾ قال: تعجّبون.

---

(١) «ديوان التنزيل» (٨/ ٢١).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٣٥٨) بسند صحيح.

(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٢١٧). (٤) ذكره البغوي في «تفسيره» (٨/ ٢٢).

(٥) في «تفسيره» (٩/ ٢١٧).

(٦) أخرجه البزار في «مسنده» رقم (١٢٨٩ ـ كشف)، وابن جرير (٢٢/ ٣٤٨)، وابن مردويه ـ كما في «تخريج أحاديث الكشاف» (٣/ ٤٠٩) ـ وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٢٦٧)، والبيهقي رقم (٥٢١٧، ٥٢١٨) من طريق مسلم بن أبي مسلم الجرميّ. به.

(٧) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٣٤٩) بسند ضعيف.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[١]. قال: ﴿ٱلْمُزْنِ﴾ السحاب.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه من طرق عن ابن عباس[٢] ﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً﴾ قال: تذكرة للنار الكبرى ﴿وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ قال: للمسافرين.

[عظمة مواقع النجوم]:

﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾.

قوله: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ ذهب جمهور[٣] المفسرين إلى أن «لا» مزيدة للتوكيد، والمعنى: فأقسم، ويؤيد هذا قوله بعد: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ﴾ وقال جماعة من المفسرين[٤]: إنها للنفي، وإن المنفيّ بها محذوف، وهو كلام الكفار الجاحدين.

قال الفرّاء[٥]: هي نفيٌ، والمعنى: ليس الأمر كما تقولون. ثم استأنف، فقال: أقسم، وضُعِّف هذا بأن حذف اسم لا وخبرها غير جائز، كما قال أبو حيان[٦]، وغيره. وقيل: إنها لام الابتداء، والأصل: فلا أقسم، فأشبعت الفتحة،

(١) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٣٥٤) بسند ضعيف.
(٢) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٣٥٦)، وابن أبي حاتم ـ كما في «الإتقان» (٢/ ٤٧) بسند صحيح.
(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٢١٧)، و«معالم التنزيل» (٨/ ٢٢)، و«الفريد» (٤/ ٤٢١).
(٤) انظر: المصادر المتقدمة.
(٥) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٢٩).
(٦) في «البحر المحيط» (١٠/ ٩١ ـ ٩٢).

فتولد منها ألف، كقول الشاعر[١]:

أعــوذُ بــالــلَّــهِ مــن الــعَــقْــرابِ

وقد قرأ هكذا: «فلأقسم» بدون[٢] ألف الحسن، وحُميد، وعيسى بن عمر، وعلى هذا القول، وهذه القراءة يقدّر مبتدأ محذوف، والتقدير: فلأنا أقسم بذلك. وقيل[٣]: إن «لا» هنا بمعنى ألا التي للتنبيه، وهو بعيد. وقيل: «لا» هنا على ظاهرها، وإنها لنفي القسم؛ أي: فلا أقسم على هذا؛ لأن الأمر أوضح من ذلك، وهذا مدفوع بقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ مع تعيين المقسم به، والمقسم عليه، ومعنى قوله: ﴿بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ مساقُطها، وهي مغاربها كذا قال قتادة[٤]، وغيره.

وقال عطاء بن أبي رباح[٥]: منازُلها. وقال الحسن[٦]: انكدارها وانتثارها يوم القيامة، وقال الضحاك[٧]: هي الأنواء التي كان أهل الجاهلية يقولون: مُطرنا بنوء كذا. وقيل: المراد بمواقع النجوم: نزول القرآن نجوماً من اللوح المحفوظ، وبه قال السديّ[٧]، وغيره، وحكى الفراء[٨] عن ابن مسعود أن مواقع النجوم هو مُحكم القرآن.

قرأ الجمهور[٩]: «مواقع» على الجمع، وقرأ ابن مسعود، والنخعي، وحمزة، والكسائي، وابن محيصن ورويس عَنْ يعقوب بموقع على الإفراد[١٠].

---

(١) انظر: كتاب الجُمل (ص٢٤٤) للفراهيدي فقد ذكره بدون نسبةٍ. وفي «اللسان» مادة «سبسب» (١/ ٤٥٨).
وعجز البيت.
الــشــائــلاتِ عُــقَــدَ الأذنــابِ

(٢) «القراءات الشاذة» (ص١٥١)، و«المحتسب» (٢/ ٣٠٩). قراءة العشرة بألف بعد اللّام، وأما هذه القراءة التي نسبها المؤلف للحسن ومَنْ معه فشاذة.

(٣) «جامع البيان» (٢٢/ ٣٥٩)، و«الفريد» (٤/ ٤٢١).

(٤) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٣٦١) بسند صحيح.

(٥) «معالم التنزيل» (٨/ ٢٢).

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٣٦١) بسند صحيح.

(٧) «النكت والعيون» (٥/ ٤٦٣).

(٨) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٢٩).

(٩) «النشر» (١/ ٣٨٣)، و«التيسير» (ص٢٠٧)، و«فتح الباري» (٨/ ٤٨١)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٩٢).

(١٠) انظر: المصادر المتقدمة.

قال المبرد[١]: موقع هاهنا مصدر، فهو يصلح للواحد والجمع.

ثم أخبر سبحانه عن تعظيم هذا القسم وتفخيمه، فقال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ هذه الجملة معترضة بين المُقْسَم به، والمقسم عليه، وقوله: ﴿لَّوْ تَعْلَمُونَ﴾ جملة معترضة بين جزأي الجملة المعترضة، فهو اعتراض في اعتراض.

قال الفراء[٢]، والزجاج[٣]: هذا يدل على أن المراد بمواقع النجوم: نزولُ القرآن، والضمير في إنّه على القسم الذي يدل عليه أُقسم، والمعنى أن القسم بمواقع النجوم لقسم عظيم لو تعلمون.

ثم ذكر سبحانه المقسم عليه فقال: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾؛ أي: كرّمه الله وأعزّه، ورفع قدره على جميع الكتب، وكرّمه عن أن يكون سحراً أو كهانة أو كذباً، وقيل: إنه كريم لما فيه من كرم[٤] الأخلاق، ومعالي الأمور، وقيل: لأنّه يكرم حافظه، ويعظم قارئه. وحكى الواحدي[٥] عن أهل المعاني: أن وصف القرآن بالكريم؛ لأن من شأنه أن يعطي الخير الكثير بالدلائل التي تؤدّي إلى الحق في الدين.

قال الأزهري[٦]: الكريمُ اسمٌ جامع لما يُحْمَد، والقرآن كريم يحمد لما فيه من الهدى والبيان والعلم والحكمة.

﴿فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ﴾؛ أي: مستور مصون، وقيل: محفوظ[٧] عن الباطل، وهو اللوح[٨] المحفوظ قاله جماعة، وقيل: هو كتاب [في السماء]. [٤/١٢١] وقال عكرمة[٩]: هو التوراة والإنجيل فيهما ذكر القرآن، ومن ينزل عليه.

وقال السديّ[١٠]: هو الزبور. وقال مجاهد[١١]، وقتادة: هو المصحف الذي في أيدينا.

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٢١٧).
(٢) «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٢٩).
(٣) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ١١٥).
(٤) «روح المعاني» (٢٦/ ٣٦٥ ـ ٣٦٦).
(٥) في «الوسيط» (٤/ ٢٣٩).
(٦) في «تهذيب اللغة» (١٠/ ١٠٣).
(٧) «النكت والعيون» (٥/ ٤٦٣).
(٨) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٣٦٢) بسند صحيح عن ابن عباس.
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٣٦٣) عن جابر بن زيد وأبي نهيك.
(٩) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٣٦٥) من طريق سفيان، به.
(١٠) «النكت والعيون» (٥/ ٤٦٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٢٢٠).
(١١) انظر: التعليقة المتقدمة.

﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ قال الواحدي[١]: أكثر المفسِّرين على أن الضمير عائد إلى الكتاب المكنون؛ أي: لا يمس الكتاب المكنون إلّا المطهرون، وهم الملائكة وقيل: هم الملائكة والرسل مِنْ بني آدم، ومعنى ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ﴾ المسّ الحقيقي، وقيل: معناه: لا ينزل به إلّا المطهرون، وقيل: معناه: لا يقرؤه، وعلى كون المراد بالكتاب المكنون هو القرآن، فقيل: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ من الأحداث والأنجاس.

كذا قال قتادة[٢]، وغيره: وقال الكلبي[٣]: المطهرون من الشرك. وقال الربيع بن أنس[٤]: المطهرون من الذنوب والخطايا. وقال محمد بن الفضل[٥] وغيره: معنى ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ﴾: لا يقرؤه إلّا المطهرون؛ أي: إلّا الموحّدون. وقال الفراء[٦]: لا يجد نفعه وبركته إلّا المطهرون؛ أي: المؤمنون. وقال الحسين بن الفضل[٧]: لا يعرف تفسيره وتأويله إلّا من طهره الله من الشرك والنفاق.

وقد ذهب الجمهور[٨] إلى منع المحدث مِنْ مسّ المصحف، وبه قال عليّ، وابن مسعود، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وعطاء، والزهري، والنخعي، والحكم، وحماد وجماعة من الفقهاء منهم مالك، والشافعي. وروي عن ابن عباس، والشعبي، وجماعة منهم أبو حنيفة، أنه يجوز للمحدث مسه، وقد أوضحنا ما هو الحق في هذا في شرحنا للمنتقى[٩]، فليرجع إليه.

قرأ الجمهور[١٠]: «المُطَهَّرون» بتخفيف الطاء وتشديد الهاء مفتوحة اسم

---

(١) في «الوسيط» (٤/ ٢٣٩).
(٢) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٣٦٦) بسند صحيح.
(٣) «معالم التنزيل» (٨/ ٢٣). (٤) «النكت والعيون» (٥/ ٤٦٤).
(٥) «معالم التنزيل» (٨/ ٢٣)، و«النكت والعيون» (٥/ ٤٦٤).
(٦) في «معاني القرآن» (٣/ ١٣٠).
(٧) «معالم التنزيل» (٨/ ٢٣)، و«النكت والعيون» (٥/ ٤٦٤).
(٨) «أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ١٧٢٦)، و«الأم» للشافعي (١/ ٢٢١)، و«الوسيط» (٤/ ٢٤٠)، و«مختصر اختلاف العلماء» للطحاوي (١/ ١٥٦).
(٩) في «نيل الأوطار» (٢/ ٢٥٤ ـ ٢٦٠، ٢٦٢ ـ ٢٦٤)، وابن الجوزي.
(١٠) «البحر المحيط» (١٠/ ٩٣)، و«المحرر الوجيز» (١٥/ ٣٨٧)، و«حاشية الشهاب» (٨/ ١٤٩).

مفعول. وقرأ سلمان الفارسي بكسر[١] الهاء على أنه اسم فاعل؛ أي: المطهِّرون أنفسهم.

وقرأ نافع، وأَبو عمرو في رواية عنهما، وعيسى بن عمر بسكون الطاء[٢] وفتح الهاء خفيفة، اسم مفعول من أطهر.

وقرأ الحسن، وزيد بن عليّ، وعبد الله بن عوف بتشديد الطاء[٣] وكسر الهاء، وأصله المتطهرون .

﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قرأ الجمهور[٤] بالرفع، وقُرئ بالنصب[٥]، فالرفع على أنه صفة أخرى لقرآن، أو خبر مبتدأ محذوف، والنصب على الحال.

﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾ الإشارة إلى القرآن المنعوت بالنعوت السابقة، والمُدْهِن والمداهن: المنافق.

كذا قال الزجاج[٦] وغيرُه. وقال عطاء[٧] وغيره: هو الكذّاب. وقال مقاتل بن سليمان[٨]، وقتادة[٩]: مدهنون: كافرون، كما في قوله: ﴿وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: ٩] وقال الضحاك[١٠]: مدهنون: معرضون، وقال مجاهد[١١]: ممالئون للكفار على الكفر، وقال ابن كيسان[١٢]: المُدْهِن: الذي لا يعقل حق الله عليه، ويدفعه بالعلل.

والأوّل أولى؛ لأنّ أصل المدهن الذي ظاهره خلاف باطنه؛ كأنه يشبه الدهن في سهولته.

---

(١) انظر: المصادر المتقدمة. القراءة المتواترة في قراءة الجمهور، وما عداها فشاذ، وما روى عن نافع وأبي عمرو فرواية شاذة عنهما.

(٢) «القراءات الشاذة» (ص١٥١)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٩٣)، و«روح المعاني» (٢٦/ ٣٧١).
● وهو خلاف المشهور عن نافع وأبي عمرو.

(٣) «البحر المحيط» (١٠/ ٩٣)، و«القراءات الشاذة» (ص١٥١)، و«حاشية الشهاب» (٨/ ١٤٩).

(٤) «البحر المحيط» (١٠/ ٩٣)، و«الدر المصون» (٦/ ٣٦٨)، و«الكشاف» (٦/ ٣٨). المتواتر القراءة بالرفع أمّا القراءة بنصب «تنزيل» فهي شاذة.

(٥) انظر: المصادر المتقدمة.

(٦) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ١١٦).

(٧) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٢٢٤).

(٨) «معالم التنزيل» (٨/ ٢٢٤).

(٩) «معالم التنزيل» (٨/ ٢٢٤).

(١٠) «النكت والعيون» (٥/ ٤٦٥).

(١١) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٣٦٨) بسند صحيح.

(١٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٢٣٥).

قال المؤرِّج[(١)]: المُدْهن: المنافق الذي يلين جانبه؛ ليخفي كفره، والإدهان والمداهنة: التكذيب، والكفر، والنفاق، وأصله اللين، وأن يسرّ خلاف ما يظهر، وقال في «الكشّاف»[(٢)]: مدهنون؛ أي: متهاونون به كمن يُدْهن في الأمر؛ أي: يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاوناً به انتهى.

قال الراغب[(٣)]: والإدهان في الأصل مثل التدهين؛ لكن جُعل عبارة عن المداراة والملاينة، وترك الجدّ: كما جعل التَّقريد، وهو نزع القُراد عبارة عن ذلك، ويؤيد ما ذكره قول أبي قيس بن الأسْلَت:

الحزمُ والقوَّةُ خيرُ مِنَ الـ ... إِدْهانِ والْعَهّه والهاعِ[(٤)]

﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ في الكلام مضاف محذوف، كما حكاه الواحدي[(٥)] عن المفسرين؛ أي: تجعلون شكر رزقكم أنكم تكذبون بنعمة الله، فتضعون التكذيب موضع الشكر.

وقال الهيثم[(٦)]: إنَّ أزدشنوءة يقولون: ما رَزَقَ فلان؛ أي: ما شكر؛ وعلى هذه اللغة لا يكون في الآية مضاف محذوف بل معنى الرزق الشكر.

ووجه التعبير بالرزق[(٧)] عن الشكر أنَّ الشكر يفيض زيادة الرزق، فيكون الشكر رزقاً تعبيراً بالسبب عن المسبب، وممّا يدخل تحت هذه الآية قول الكفار إذا سقاهم الله، وأنزل عليهم المطر: سقينا بنوء كذا، ومطرنا بنوء كذا.

قال الأزهري[(٨)]: معنى الآية: وتجعلون بدل شكركم رزقكم الذي رزقكم الله التكذيب بأنَّه من عند الله الرّزاق.

وقرأ عليّ وابن عباس: «وتجعلون شُكْركَم»[(٩)] وقرأ الجمهور[(١٠)]: «أَنّكم

---

(١) «الوسيط» (٤/ ٢٤٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٢٢٥).
(٢) الزمخشري في «الكشاف» (٦/ ٣٩). (٣) في «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٣٢٠).
(٤) المفضليات (ص٢٨٥) وصواب البيت. . . . والفكَّةِ والهاعِ».
(٥) في «الوسيط» (٤/ ٢٤٠).
(٦) ذكره ابن جرير (٢٢/ ٢٦٨) عن الهيثم بن عديٍّ.
(٧) «روح المعاني» (٢٦/ ٣٧٢ ـ ٣٧٣). (٨) في «تهذيب اللغة» (٨/ ٤٢٩).
(٩) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٢٢٥)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ٣٤٤)، و«القراءات الشاذة» (ص١٥١)، و«المحتسب» (٢/ ٣١٠). وهي قراءة شاذة مخالفة للرسم.
(١٠) «البحر المحيط» (١٠/ ٩٤)، و«زاد المسير» (٨/ ١٥٤)، و«المحرر الوجيز» (١٥/ ٣٣٩).

تكذّبون» بالتشديد من التكذيب، وقرأ عليّ، وعاصم في رواية عنه بالتخفيف[١] من الكذب.

﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾؛ أي: فهلّا إذا بلغت الروح، أو النفس الحلقوم عند الموت، ولم يتقدّم لها ذكر؛ لأن المعنى مفهوم عندهم إذا جاءوا بمثل هذه العبارة، ومنه قول حاتم طي[٢]:

أماويَّ ما يُغني الثَراءُ عَنْ الفتَى ... إذا حشرجَتْ يوماً وضاقَ بها الصدرُ

﴿وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾ إلى ما هو فيه ذلك الذي بلغت نفسه أو روحه الحلقوم.

قال الزجاج[٣]: وأنتم يا أهل الميت في تلك الحال ترون الميتَ قد صار إلى أن تخرج نفسُه، والمعنى: أنهم في تلك الحال لا يمكنهم الدفع عنه، ولا يستطيعون شيئًا ينفعه، أو يخفّف عنه ما هو فيه ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾؛ أي: بالعلم، والقدرة، والرؤية.

وقيل: أراد ورسلنا الذين يتولّون قبضه أقرب إليه منكم ﴿وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾؛ أي: لا تُدْركون ذلك؛ لجهلكم بأنّ الله أقرب إلى عبده من حبل الوريد، أو لا تبصرون ملائكة الموت الذين يحضرون الميت ويتولّون قبضه.

﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ﴾ يُقال: دان السلطان رعيته: إذا ساسهم واستعبدهم. قال الفراء[٤]: دنته ملكته، وأُنشد للحطيئة[٥]:

لقد دُيِّنْتِ أمور بنِيْكَ حتى ... تركتِهم أدقَّ مِنَ الطحين

أي: مُلّكتِ، ويقال: دانه إذا أذلّه واستعبده[٦]، وقيل: معنى مدينين: محاسبين، وقيل: مجزيين، ومنه قول الشاعر:

ولم يبقَ سوى العدوا ... نِ دِنَّاهم كما دانُوا[٧]

---

(١) انظر: المصادر المتقدمة. القراءة بالتخفيف شاذة، والرواية عن عاصم شاذة عنه.
(٢) «ديوان حاتم طي» (ص٣٩).
(٣) في «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ١١٦ ـ ١١٧).
(٤) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٣١).
(٥) وهو في «ديوانه» (ص٦٥) وفيه فقد سوَّست بدل: لقد دُيِّنت.
(٦) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٢٣٠).
(٧) قائله هو «الفند الزمّاني» من قصيدة مذكورة في «الحماسة» لأبي تمام (١/ ٥) رقم القصيدة (٢).

والمعنى الأوّل ألصق بمعنى الآية؛ أي: فهلّا إن كنتم غير مربوبين ومملوكين ترجعونها؛ أي: النفس التي قد بلغت الحلقوم إلى مقرّها الذي كانت فيه ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ ولن ترجعوها، فبطل زعمكم إنّكم غير مربوبين ولا مملوكين، والعامل في قوله: ﴿إِذَا بَلَغَتِ﴾ هو قوله: ﴿تَرْجِعُونَهَآ﴾، و«لولا» الثانية تأكيد للأولى قال الفراء[١]: وربما أعادت العرب الحرفين ومعناهما واحد.

[طبقات الخلق عند الموت]:

ثم ذكر سبحانه طبقات الخلق عند الموت وبعده فقال: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾؛ أي: السابقين من الثلاثة الأصناف المتقدّم تفصيل أحوالهم.

﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ قرأ الجمهور[٢]: «رَوح» بفتح الراء، ومعناه: الراحة مِنْ الدنيا، والاستراحة من أحوالها.

وقال الحسن[٣]: الرَوح: الرحمة.

وقال مجاهد[٤]: الرَوح: الفرح.

وقرأ ابن عباس، وعائشة، والحسن، وقتادة، ونصر بن عاصم، والجحدري: «فرُوح» بضم الراء[٥]، ورويت هذه القراءة عن يعقوب.

قيل: ومعنى هذه القراءة: الرحمة؛ لأنها كالحياة للمرحوم، والريحان: الرزق في الجنّة، قاله مجاهد[٦]، وسعيد بن جبير[٧]، ومقاتل[٨].

قال مقاتل[٩]: هو الرزق بلغة حمير، يقال: خرجت أطلب ريحان الله؛ أي:

---

(١) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٣١).
(٢) «النشر» (٢/ ٣٨٣)، و«جامع البيان» (٢٢/ ٣٧٦)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٩٥)، و«التبيان» (٢/ ١٢٠٦).
(٣) «الوسيط» (٤/ ٢٤٢)، و«زاد المسير» (٨/ ١٥٦).
(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٢٣١)، الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢٤٢).
(٥) «القراءات الشاذة» (ص١٥٢)، و«المحتسب» (٢/ ٣١٠). قرأ رويس عن يعقوب (فرُوح) بضم الراء، وقرأ باقي العشرة بفتح الراء (فرَوح) وهما قراءتان متواترتان.
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٣٧٧) بسند صحيح.
(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٣٧٧) بسند حسن من طريق أبي إسحاق السبيعي، به.
(٨) ذكره البغوي في «تفسير» (٨/ ٢٦). (٩) ذكره البغوي في «تفسير» (٨/ ٢٦).

رزقَه، ومنه قول النمر بن تولَب[١]:

سلامُ الإلٰهِ وريحانُه ورحمتُه وسماءٌ دِرَرْ

وقال قتادة[٢]: إنه الجنة. وقال الضحاك[٣]: هو الرحمة. وقال الحسن[٤]: هو الريحان المعروف الذي يُشمّ.

قال قتادة[٥]، والربيع بن خُثَيْم[٦]: هذا عند الموت، والجنة مخبوءة له إلى أن يُبعث، وكذا قال أبو الجوزاء[٧]، وأبو العالية[٨]، ومعنى وجنّةُ نعيم: أنها ذات تنعم، وارتفاع (روح)، وما بعده على الابتداء، والخبر محذوف؛ أي: فله روح.

﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ﴾ ذلك المُتوفِّي ﴿مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ وقد تقدّم ذكرهم، وتفصيل أحوالهم، وما أعدّه الله لهم من الجزاء ﴿فَسَلَـٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾؛ أي: لست ترى فيهم إلّا ما تحبّ من السلامة، فلا تهتم بهم، فإنه يسلمون من عذاب الله.

وقيل: المعنى: سلام لك منهم[٩]؛ أي: أنت سالم من الاغتمام بهم، وقيل المعنى: إنّهم يدعون لك، ويسلّمون عليك، وقيل: إنه ﷺ يُحيي بالسلام إكراماً، وقيل: هو إخبار من الله سبحانه بتسليم بعضهم على بعض، وقيل المعنى: سلام لك يا صاحب اليمين من إخوانك أصحاب اليمين.

﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ﴾؛ أي: المكذبين بالبعث، الضالين عن الهدى، وهم أصحاب الشمال المتقدّم ذكرهم، وتفصيل أحوالهم ﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾؛ أي: فله نُزل يعدّ لنزوله من حميم، وهو الماء الذي قد تناهت حرارته، وذلك بعد

---

(١) في «ديوان النمر بن تولب» (ص٥٥).
(٢) «النكت والعيون» (٥/ ٤٦٧)، و«زاد المسير» (٨/ ١٥٧)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ٣٤٦).
(٣) انظر: المصادر المتقدمة.
(٤) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٣٧٨) بسند صحيح.
(٥) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٣٧٨) بسند صحيح.
(٦) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٣٧٩)، وابن أبي شيبة (١٣/ ٤٠١) من طريق منذر الثوري، به.
(٧) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٢٣٢).
(٨) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٣٧٨) بسند حسن.
(٩) انظر: هذه الأقوال في الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٢٣٢)، و«زاد المسير» (٨/ ١٥٨)، و«معاني القرآن» للنحاس (٤/ ٣٤٧).

أن يأكل من الزقوم كما تقدم بيانه: ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ يقال أصلاه النار وصلاه؛ أي: إذا جعله في النّار، وهو من إضافة المصدر[١] إلى المفعول، أو إلى المكان.

قال المبرِّد[٢]: وجواب الشرط في هذه الثلاثة المواضع محذوف، والتقدير: مهما يكن من شيء فروح إلخ، وقال الأخفش[٣]: إن الفاء في المواضع[٤] الثلاثة هي جواب أما، وجواب حرف الشرط.

قرأ الجمهور[٥]: «وتصليةُ» بالرفع عطفاً على فنزل. وقرأ أبو عمرو في رواية عنه بالجر[٦] عطفاً على حميم؛ أي: فنزل مِنْ حميم، ومن تصلية جحيم.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ الإشارة إلى ما ذُكر في هذه السورة، أو إلى المذكور قريباً من أحوال المتفرّقين لهو حق اليقين؛ أي: مَحْض اليقين وخالصه، وإضافة حق إلى اليقين مِنْ باب إضافة الشيء إلى نفسه.

قال المبرِّد[٧]: هو كقولك عين اليقين، ومحض اليقين، هذا عند الكوفيين[٨] وجوّزوا ذلك؛ لاختلاف اللفظ؛ وأما البصريون[٩]، فيجعلون المضاف إليه محذوفاً، والتقدير: حق الأمر اليقين، أو الخبر اليقين.

والفاء في ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ لترتيب ما بعدها على ما قبلها؛ أي: نزّهه عما لا يليق بشأنه، والباء متعلقة بمحذوف، [٤/١٢٢]؛ أي: فسبح ملتبساً باسم ربِّك للتبرك به، وقيل المعنى: فصلِّ بذكر ربك.

وقيل: الباء زائدة[١٠]، والاسم بمعنى الذات. وقيل: هي للتعدية؛ لأن سبح يتعدّى بنفسه تارة، ويتعدّى بالحرف أخرى، والأوّل أولى.

---

(١) «التبيان» (٢/١٢٠٦)، و«الفريد» (٤/٤٢٤).

(٢) في «المقتضب» (٢/٢٧).

(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/٢٣٣).

(٤) «مشكل إعراب القرآن» (٢/٣٥٤ ـ ٣٥٥)، و«التبيان» (٢/١٢٠٦).

(٥) «البحر المحيط» (١٠/٩٥)، و«التبيان» (٢/١٢٠٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/٢٣٣).

(٦) «القراءات الشاذة» (ص١٥٢)، و«البحر المحيط» (١٠/٩٥)، و«روح المعاني» (٢٦/٣٨٥).
القراءة بالجر قراءة شاذة وهي رواية شاذة عن أبي عمرو.

(٧) «إعراب القرآن» للنحاس (٤/٣٤٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/٢٣٤).

(٨) «إعراب القرآن» (٤/٣٤٨).

(٩) «البحر المحيط» (١٠/٩٥)، و«روح المعاني» (٢٦/٣٨٥ ـ ٣٨٦).

(١٠) «روح المعاني» (٢٦/٣٨٦)، و«البحر المحيط» (١٠/٩٥).

وقد أخرج النسائي، وابن جرير، ومحمد بن نصر، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «الشعب» عن ابن عباس[1] قال: أنزل القرآن في ليلة القدر من السماء العليا إلى السماء الدنيا جملةً واحدة، ثم فُرّق في السنين، وفي لفظ: ثم نزل من السماء الدنيا إلى الأرض نجوماً، ثم قرأ: ﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾.

وأخرج عبد بن حُميد، وابن جرير، ومحمد بن نصر، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه عنه[2] ﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ قال: القرآن ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ قال: القرآن.

وأخرج ابن مردويه[3] عنه أيضاً في الآية قال: نجوم القرآن حين ينزل.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، والبيهقي في المعرفة من طرق عن ابن عباس[4] أيضاً ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ قال: الكتاب المنزل في السماء لا يمسّه إلّا الملائكة.

وأخرج سعيد بنُ منصور، وابن المنذر عن أنس[5] ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ قال: الملائكة.

وأخرج عبد الرّزاق، وابن المنذر عَنْ علقمة قال: أتينا سلمان الفارسي[6]، فخرج علينا من كنيف، فقلنا له: لو توضأت يا أبا عبد الله، ثم قرأت علينا سورة كذا، وكذا، قال: إنما قال الله: ﴿فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ وهو الذي في السماء لا يمسه إلّا الملائكة، ثم قرأ علينا من القرآن ما شئنا.

---

(١) أخرجه النسائي في «الكبرى» رقم (١١٥٦٥)، وابن جرير (٢٢/ ٣٥٩)، ومحمد بن نصر (ص١٠٤)، والحاكم (٢/ ٥٣٠)، والبيهقي رقم (٢٢٥٠) بسند ضعيف لضعف حكيم بن جبير.

(٢) أخرجه ابن جرير (٣/ ١٩١)، ومحمد بن نصر في «مختصر قيام الليل» (ص١٠٤)، والطبراني رقم (١٢٤٢٦)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٢٠): فيه حكيم بن جبير وهو متروك.

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٥).

(٤) أخرجه آدم بن أبي إياس (ص٦٤٦ ـ تفسير مجاهد)، وابن جرير (٢٢/ ٣٦٢)، والبيهقي رقم (١٠٨) بسند ضعيف لضعف حكيم بن جبير.

(٥) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٦).
وأخرجه البيهقي (١/ ١٨٧).

(٦) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» رقم (١٣٢٥).

وأخرج عبد الرزاق، وابن أبي داود، وابن المنذر، عن عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم[١] عن أبيه قال: في كتاب النبي ﷺ لعمرو بن حزم: «لا تمس القرآن إلّا على طُهر».

وأخرجه مالك[٢] في الموطأ عن عبد الله بن أبي بكر.

وأخرجه أبو داود[٣] في المراسيل من حديث الزهري قال: قرأت في صحيفة عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم أن رسول الله ﷺ قال: «ولا يمس القرآن إلّا طاهر» وقد أسنده الدارقطني[٤] عن عمرو بن حزم، وعبد الله بن عمر، وعثمان بن أبي العاص، وفي أسانيدها نظر.

وأخرج ابن المنذر عن ابن عمر[٥] أنه كان لا يمس المصحف إلّا متوضئاً.

وأخرج سعيد بن منصور، وابن أبي شيبة في «المصنف»، وابن المنذر، والحاكم وصححه عن عبد الرحمٰن بن زيد[٦] قال: كنا مع سلمان فانطلق إلى حاجة، فتوارى عنا، ثم خرج إلينا، فقلنا: لو توضأت، فسألناك عن أشياء من القرآن، فقال: سلوني، فإني لست أمسه إنما يمسه المطهرون، ثم تلا: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾.

وأخرج الطبراني، وابن مردويه عن ابن عمر[٧] قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يمس القرآن إلّا طاهر».

وأخرج ابن مردويه[٨] عن معاذ بن جبل: «أن النبي ﷺ لما بعثه إلى اليمن كتب له في عهده: أن لا يمس القرآن إلّا طاهر».

---

(١) أخرجه عبد الرزاق رقم (١٣٢٨)، وابن أبي داود (ص١٨٥ ـ ١٨٦).
(٢) أخرجه مالك في «الموطأ» (١/ ١٩٩ رقم ١) وهو حديث صحيح لغيره.
(٣) أخرجه ابن جرير في «المراسيل» رقم (٩٢، ٩٣)، ورجال الحديث رجال الشيخين.
(٤) في «السنن» (١/ ١٢١).
(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٧).
(٦) أخرجه ابن أبي شيبة (١/ ١٠٣)، والحاكم (٢/ ٤٧٧)، وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.
(٧) أخرجه الطبراني رقم (١٣٢١٧)، وفي «الصغير» (٢/ ١٣٩)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٢٨١): «رجاله موثقون».
وهو حديث صحيح، صححه الألباني في «الإرواء» رقم (١٢٢).
(٨) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٨).

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[1] في قوله: ﴿أَنتُم مُّدۡهِنُونَ﴾ قال: مكذّبون.

وأخرج مسلم، وابن المنذر، وابن مردويه عن ابن عباس[2] قال: «مُطر الناس على عهد رسول الله ﷺ، فقال النبي ﷺ: أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر، قالوا: هذه رحمة وضعها الله. وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا، وكذا، فنزلت هذه الآية: ﴿۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ حتى بلغ ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ﴾».

وأصل الحديث بدون ذكر أنه سبب نزول الآية ثابت في «الصحيحين» من حديث زيد بن خالد[3] الجهني، ومن حديث أبي سعيد الخدري، وفي الباب أحاديث.

وأخرج أحمد، وابن منيع، وعبد بن حميد، والترمذي وحسنه، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والضياء في «المختارة» عن عليّ[4] عن النبيّ ﷺ في قوله: ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ﴾ قال: «شكركم، تقولون: مطرنا بنوء كذا، وكذا، وبنجم كذا وكذا».

وأخرج ابن عساكر[5] في «تاريخه» عن عائشة قالت: ما فسّر رسول الله ﷺ من القرآن إلّا آيات يسيرة قوله: ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ﴾ قال: «شُكْركم».

وأخرج ابن مردويه[6] عن عليّ أن رسول الله ﷺ قرأ: «وتجعلون شكركم»[7].

وأخرج أبو عبيد في «فضائله»، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن مردويه عن ابن عباس[8] أنه كان يقرأ: «وتجعلون

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٣٦٨) بسند ضعيف.
(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» رقم (٧٣/ ١٢٧).
(٣) أخرجه البخاري رقم (٧٥٠٣)، ومسلم رقم (٧١/ ١٢٥).
(٤) أخرجه أحمد رقم (٦٧٧، ٨٤٩، ٨٥٠، ١٠٨٧)، والترمذي رقم (٣٢٩٥)، وابن جرير (٢٢/ ٣٦٩)، وابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٣/ ٣٩٢) ـ والخرائطي رقم (٧٨٩)، و«الضياء» رقم (٥٧٩) بسند ضعيف لضعف عبد الأعلى وهو ابن عامر الثعلبي.
(٥) أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» (٤٣/ ٢٤٧).
(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٨).
(٧) وهي قراءة شاذة. «القراءات الشاذة» (ص١٥٢). مخالفة للرسم.
(٨) أخرجه أبو عبيد (ص١٨٥)، وسعيد بن منصور ـ كما في «التغليق» (٢/ ٣٩٧)، و«فتح =

شكركم»[١] قال: يعني الأنواء، وما مطر قوم إلّا أصبح بعضهم كافراً كانوا يقولون مطرنا بنوء كذا، وكذا، فأنزل الله: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾.

وأخرج ابن مردويه عن أبي عبد الرحمٰن السلمي[٢] عن عليّ أنه قرأ: «وتجعلون شكركم» وقال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقرؤها كذلك.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر عن ابن عباس[٣] في قوله: ﴿غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ قال: غير محاسبين.

وأخرج ابن أبي شيبة، وأحمد في الزهد، وعبد بن حميد، وابن المنذر عن الربيع بن خُثَيْم[٤] ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ الآية قال: هذا له عند الموت ﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ تخبأ له الجنة إلى يوم يبعث ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ قال: هذا عند الموت ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ قال: تخبأ له الجحيم إلى يوم يبعث.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس[٥] في قوله: ﴿فَرَوْحٌ﴾ قال: رائحة ﴿وَرَيْحَانٌ﴾ قال: استراحة.

وأخرج ابن جرير[٦] عنه قال: يعني بالريحان المستريح من الدنيا ﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ يقول: مغفرة ورحمة.

وأخرج ابن المنذر[٧] عنه أيضاً قال: الريحان: الرزقُ.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر عنه[٨] أيضاً في قوله: ﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ قال: تأتيه الملائكة بالسلام من قبل الله تسلم عليه، وتخبره أنه من أصحاب اليمين.

= الباري» (٢/ ٥٢٢) ـ وابن جرير (٢٢/ ٣٦٩)، وابن مردويه ـ كما في «التغليق» (٢/ ٣٩٧) ـ بسند صحيح كما قال الحافظ في «فتح الباري» (٢/ ٥٢٢).

(١) وهي قراءة شاذة. «القراءات الشاذة» (ص١٥٢).

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٩).

(٣) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٣٧٤)، وابن أبي حاتم ـ كما في «الإتقان» (٢/ ٤٧) بسند صحيح.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (١٣/ ٤٠١).

(٥) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٣٧٧)، وابن أبي حاتم ـ كما في «الإتقان» (٢/ ٤٧) بسند صحيح.

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٣٧٧) بسند ضعيف.

(٧) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٧).

(٨) أخرجه ابن جرير (١٤/ ٢١٣، ٢١٤) بسند ضعيف، عطاء الخراساني لم يسمع من ابن عباس.

وأخرج ابن أبي حاتم[١] عنه أيضاً ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ قال: ما قصصنا عليك في هذه السورة.

وأخرج عنه أيضاً[٢] ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ قال: فصلّ لربك.

وأخرج سعيد بن منصور، وأحمد، وأبو داود، وابن حبان، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «سننه» عن عقبة بن عامر[٣] الجهني قال: «لما نزلت على رسول الله ﷺ ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ قال: اجعلوها في ركوعكم، فلما نزلت ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١] قال: اجعلوها في سجودكم».

❁ ❁ ❁

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٠).

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٠).

(٣) أخرجه أحمد رقم (١٧٤١٤)، وأبو داود رقم (٨٦٩، ٨٧٠)، وابن ماجه رقم (٨٨٧)، وابن حبان رقم (١٨٩٨)، والحاكم (١/ ٢٢٥) (٢/ ٤٧٧)، والبيهقي (٢/ ٨٦). وهو حديث ضعيف.

سُورَةُ الحَدِيدِ

هي تسع وعشرون آية.

وهي مدنية. قال القرطبي[(١)]: في قول الجميع.

وأخرج ابن الضريس، والنحاس، وابن مردويه، والبيهقي عن ابن عباس[(٢)] قال: نزلت سورة الحديد بالمدينة.

وأخرج ابن مردويه[(٣)] عن ابن الزبير مثله.

وأخرج الطبراني، وابن مردويه قال السيوطي[(٤)]: بسند ضعيف عن ابن عمر[(٥)] قال: قال رسول الله ﷺ: «نزلت سورة الحديد يوم الثلاثاء، وخلق الله الحديد يوم الثلاثاء، وقتل ابن آدم أخاه يوم الثلاثاء، ونهى رسول الله ﷺ عن الحجامة يوم الثلاثاء».

وأخرج الديلمي[(٦)] عن جابر مرفوعاً «لا تحتجموا يوم الثلاثاء، فإن سورة الحديد أنزلت عليّ يوم الثلاثاء».

وأخرج أحمد، والترمذي، وحسنه، والنسائي، وابن مردويه، والبيهقي في «الشعب» عن عرباض بن سارية[(٧)]: «أن رسول الله ﷺ كان يقرأ المُسبِّحات قبل أن

---

(١) في «تفسيره» (٢٠/ ٢٣٥).

(٢) أخرجه ابن الضريس رقم (١٧)، والنحاس (ص٦٩٩)، والبيهقي في «الدلائل» (٧/ ١٤٢ ـ ١٤٤).

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٥).

(٤) في «الدر المنثور» (٨/ ٤٥).

(٥) أخرجه الطبراني ـ كما في «مجمع الزوائد» (٥/ ٩٣) و(٧/ ١٢٠) ـ قال الهيثمي: فيه مسلمة بن علي الخشني، وهو ضعيف.

(٦) أخرجه الديلمي في «مسنده» رقم (٧٣٩٥) عن أنس.
وأخرجه ابن عدي في «الكامل» (٥/ ١٦٧١) عن جابر مرفوعاً، في ترجمة عمر بن موسى بن وجيه الوجيهي، وقال فيه: وهو في عداد من يضع الحديث متناً وإسناداً.

(٧) أخرجه أحمد رقم (٥٠٥٧)، والترمذي رقم (٢٩٢١، ٣٤٠٦)، والنسائي في «الكبرى» رقم (١٠٥٤٩، ١٠٥٥)، والبيهقي رقم (٢٥٠٣). وهو حديث ضعيف.

يرقد، وقال: إنّ فيهنّ آية أفضل من ألف آية»، وفي إسناده بقية بن الوليد، وفيه مقال معروف.

وقد أخرجه النسائي[١] عن خالد بن معدان قال: كان رسول الله ﷺ، ولم يذكر العرباض بن سارية، فهو مرسل.

وأخرج ابن الضريس[٢] عن يحيى بن أبي كثير قال: «كان رسول الله ﷺ لا ينام حتى يقرأ المُسبِّحات، وكان يقول: إن فيهنّ آيةً أفضل من ألف آية» قال يحيى: فنراها الآية التي في آخر الحشر.

وقال ابن كثير[٣] في تفسيره: والآية المشار إليها، والله أعلم هي قوله: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ الآية [الحديد: ٣]. والمسبحات المذكورة هي: الحديد، والحشر، والصف، والجمعة، والتغابن.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[الوجود كله مسبح لخالقه في السموات والأرض]:

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾﴾.

قوله: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: نزّهه ومجّده. قال المقاتلان[٤]: يعني كل شيء من ذي روح وغيره، وقد تقدّم الكلام في تسبيح الجمادات عند تفسير قوله: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤] والمراد بالتسبيح المسند إلى ما في السمٰوات والأرض من العقلاء وغيرهم، والحيوانات

---

(١) أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (١٠٥٥١).
(٢) أخرجه ابن الضريس رقم (٢٢٩). (٣) في «تفسيره» (١٣/ ٤٠٢).
(٤) «روح المعاني» (٢٦/ ٣٩٢ ـ ٣٩٣). يعني: مقاتل بن حيان، ومقاتل بن سليمان.

والجمادات هو ما يعم التسبيح بلسان المقال كتسبيح الملائكة والإنس والجنّ، وبلسان الحال كتسبيح غيرهم، فإنّ كل موجود يدل على الصانع.

وقد أنكر الزجاج[(١)] أن يكون تسبيح غير العقلاء هو تسبيح الدلالة وقال: لو كان هذا تسبيح الدلالة، وظهور آثار الصنعة لكانت مفهومة، فلم قال: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]؟ وإنّما هو تسبيح مقال، واستدل بقوله: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾ [الأنبياء: ٧٩] فلو كان هذا التسبيح من الجبال تسبيح دلالة لم يكن لتخصيص داود فائدة.

وفعل التسبيح قد يتعدّى بنفسه تارة، كما في قوله: ﴿وَسَبِّحُوهُ﴾ [الأحزاب: ٤٢] وباللّام أُخرى كهذه الآية، وأصله أن يكون متعدياً بنفسه؛ لأنّ معنى سبحته: بَعّدتُه عَنِ السوء، فإذا استعمل باللام، فهي إما مزيدة للتأكيد، كما في شكرته، وشكرت له، [٤/١٢٣] أو هي للتعليل؛ أي: افعل التسبيحَ؛ لأجل الله سبحانه خالصاً له، وجاء هذا الفعل في بعض الفواتح[(٢)] ماضياً كهذه الفاتحة، وفي بعضها مضارعاً، وفي بعضها أمراً للإشارة إلى أن هذه الأشياء مسبّحة في كل الأوقات لا يختصّ تسبيحها بوقت دون وقت، بل هي مسبحة أبداً في الماضي، وستكون مسبحة أبداً في المستقبل.

﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾؛ أي: القادرُ الغالب الذي لا ينازعه أحد، ولا يمانعه ممانع كائناً ما كان ﴿الْحَكِيمُ﴾ الذي يفعل أفعال الحكمة والصواب ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يتصرّف فيه وحده، ولا ينفذ غير تصرّفه وأمره. وقيل: أراد خزائن المطر والنبات، وسائر الأرزاق.

﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ الفعلان في محل رفع[(٣)] على أنهما خبر لمبتدأ محذوف، أو في محل نصب على الحال من ضمير «له»، أو كلام مستأنف، لبيان بعض أحكام المُلْك.

والمعنى: أَنَّه يُحيي في الدنيا ويميت الأحياء، وقيل: يحيي النُّطف وهي موات، ويميت الأحياء، وقيل: يحيي الأموات للبعث.

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ١٧١).
(٢) «روح المعاني» (٢٦/ ٣٩٤)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٢٧٤).
(٣) «التبيان» (٢/ ١٢٠٧)، و«الفريد» (٤/ ٤٢٨).

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ لا يعجزه شيء كائناً ما كان ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾ قبل كل شيء ﴿وَٱلْآخِرُ﴾ بعد كلِّ شيء؛ أي: الباقي بعد فناء خلقه ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ العالي الغالب على كلِّ شيء، أو الظاهر وجوده بالأدلة الواضحة ﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾؛ أي: العالم بما بطن، مِنْ قولهم: فلان يبطن أمر فلان؛ أي: يعلم داخلة أمره، ويجوز أن يكون المعنى المحتجب عَنْ الأبصار، والعقول.

[يتعين المصير إلى تفسير الرسول ﷺ للأسماء الأربعة]:

وقد فسّر هذه الأسماء الأربعة رسول الله ﷺ، كما سيأتي، فيتعين المصير إلى ذلك.

﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ لا يَعْزبُ عن علمه شيء من المعلومات.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ هذا بيان لبعض مُلْكه للسمٰوات والأرض.

وقد تقدّم تفسيره في سورة الأعراف وفي غيرها مستوفي.

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: يدخل فيها من مطر وغيره ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ من نبات وغيره ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ من مطر وغيره ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾؛ أي: يصعد إليها مِنْ الملائكة، وأعمال العباد، وقد تقدّم تفسير هذا في سورة سبأ.

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾؛ أي: بُقْدرته وسلطانه وعلمه، وهذا تمثيل للإحاطة بما يصدر منهم أينما داروا في الأرض مِنْ برّ وبحر.

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ لا يخفى عليه من أعمالكم شيء ﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ هذا التكرير[١] للتأكيد ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ لا إلى غيره. قرأ الجمهور[٢]: «تُرجَع» مبنيّاً للمفعول.

وقرأ حمزة والكسائي وابن عامر على البناء[٣] للفاعل.

﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ قد تقدّم تفسير هذا في سورة آل عمران، وفي مواضع.

---

(١) «روح المعاني» (٢٦/ ٣٩٥)، تفسير أبي السعود (٦/ ٢٧٤).

(٢) «النشر» (٢/ ٢٠٨ ـ ٢٠٩)، و«البحر المحيط» (١٠/ ١٠١)، و«روح المعاني» (٢٦/ ٤٠٢).

(٣) انظر: المصادر المتقدمة. وكذلك قرأ على البناء للفاعل يعقوب وخلف.

﴿وَهُوَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾؛ أي: بضمائر الصدور ومكنوناتها، لا يخفى عليه من ذلك خافية.

وقد أخرج ابنُ أبي شيبة، ومسلم، والترمذي، والبيهقي، عن أبي هريرة[(١)] قال: «جاءت فاطمة إلى رسول الله ﷺ تسأله خادماً، فقال: قولي: اللَّهمّ ربَّ السمٰوات السبع، ورب العرش العظيم، وربَّنا وربَّ كل شيء، منزل التوراة والإنجيل والفرقان، فالق الحبِّ والنوى، أعوذ بك من شرّ كل شيء أنت آخذ بناصيته، أنت الأول، فليس قبلك شيء، وأنت الآخر، فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر، فليس فوقك شيء، وأنت الباطن، فليس دونك شيء، اقض عنّا الدين، وأغننا من الفقر».

وأخرج أحمد، ومسلم، وغيرهما من حديث أبي هريرة[(٢)] من وجه آخر مرفوعاً مثل هذا في الأربعة الأسماء المذكورة وتفسيرها.

وأخرج أبو الشيخ في «العظمة» عن ابن عمر وأبي سعيد[(٣)] عن النبيّ ﷺ قال: «لا يزال الناس يسألون عن كلِّ شيء حتى يقولوا: هذا الله كان قبل كل شيء، فماذا كان قبل الله؟ فإن قالوا لكم ذلك، فقولوا: هو الأوّل قبل كل شيء، والآخر فليس بعده شيء، وهو الظاهر فوق كل شيء، وهو الباطن دون كل شيء، وهو بكل شيء عليم».

وأخرج أبو داود[(٤)] عن أبي زُمَيل قال: سألت ابن عباس، فقلت: ما شيء أجده في صدري، قال: ما هو؟ قلتُ: والله لا أتكلم به، قال: فقال لي: أشيء من شك؟ قال، وضحك، قال: ما نجا من ذلك أحد، قال حتى أنزل الله: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [يونس: ٩٤] الآية قال: وقال لي: إذا وجدت في نفسك شيئًا فقل: هو الأوّل والآخر والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (١٠/ ٢٦٢ ـ ٢٦٣)، ومسلم رقم (٦٣/ ٢٧١٣)، والترمذي رقم (٣٤٨١)، والبيهقي رقم (٥٣).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (١٠/ ٥٢١)، وأحمد رقم (٨٩٦٠)، ومسلم رقم (٦١/ ٢٧١٣)، والبيهقي رقم (١٢).

(٣) أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» رقم (١١٧) وهو ضعيف جداً.

(٤) أخرجه أبو داود رقم (٥١١٠) بسند حسن.

وأخرج ابن أبي حاتم[١] عن ابن عباس في قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ قال: عالم بكم أينما كنتم.

[الحث على الإيمان والإنفاق]:

﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنۢ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَّن ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾﴾.

قوله: ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾؛ أي: صدّقوا بالتوحيد، وبصحة الرسالة، وهذا خطاب لكفار العرب. ويجوز أنْ يكون خطاباً للجميع، ويكون المراد بالأمر بالإيمان في حق المسلمين الاستمرار عليه، أو الازدياد منه.

ثم لما أمرهم بالإيمان أمرهم بالإنفاق في سبيل الله، فقال: ﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾؛ أي: جعلكم خلفاء في التصرّف فيه من غير أن تملكوه حقيقة، فإنّ المال مالُ الله، والعباد خلفاء الله في أمواله، فعليهم أن يصرفوها فيما يرضيه وقيل: جعلكم خلفاء مَنْ كان قبلكم ممن ترثونه، وسينتقل إلى غيركم ممن يرثكم، فلا تبخلوا به. كذا قال الحسن[٢] وغيره. وفيه الترغيب إلى الإنفاق في سبل الخير قبل أنْ ينتقل عنهم، ويصير إلى غيرهم.

والظاهر أنّ معنى الآية الترغيب في الإنفاق في الخير، وما يرضاه الله على العموم، وقيل: هو خاص بالزكاة المفروضة، ولا وجه لهذا التخصيص.

ثم ذكر سبحانه ثواب من أنفق في سبيل الله فقال: ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٤٩).
(٢) «النكت والعيون» (٥/ ٤٧٢)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٢٤٤).

﴿أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾؛ أي: الذين جمعوا بين الإيمان بالله ورسوله، وبين الإنفاق في سبيل الله لهم أجر كبير، وهو الجنّة.

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ هذا الاستفهام، للتوبيخ[١] والتقريع؛ أي: أيّ عُذْرٍ لكم، وأيّ مانع من الإيمان، وقد أُزيحت عنكم العلل؟ «وما» مبتدأ، و﴿لَكُمْ﴾ خبره، و﴿لَا تُؤْمِنُونَ﴾ في محل نصب[٢] على الحال من الضمير في ﴿لَكُمْ﴾، والعامل ما فيه من معنى الاستقرار، وقيل: المعنى: أي شيء لكم من الثواب في الآخرة إذا لم تؤمنوا؟

وجملة: ﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ﴾ في محل نصب[٣] على الحال من ضمير ﴿لَا تُؤْمِنُونَ﴾ على التداخل، و﴿لِتُؤْمِنُوا﴾ متعلّق بـ﴿يَدْعُوكُمْ﴾؛ أي: يدعوكم للإيمان، والمعنى: أيُّ عذرٍ لكم في ترك الإيمان، والرسول يدعوكم إليه، وينبهكم عليه؟.

وجملة: ﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ﴾ في محل نصب[٤] على الحال من فاعل ﴿يَدْعُوكُمْ﴾ على التداخل أيضاً؛ أي: والحال أن قد أخذ الله ميثاقكم حين أخرجكم من ظهر أبيكم آدم، أو بما نصب لكم من الأدلة الدالة على التوحيد، ووجوب الإيمان. قرأ الجمهور[٥]: «وقد أَخَذ» مبنيّاً للفاعل، وهو الله سبحانه لتقدم ذكره.

وقرأ أبو عَمْرو[٦] على البناء للمفعول. ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ بما أخذ عليكم من الميثاق، أو بالحُجج والدلائل، أو إن كنتم مؤمنين بسبب من الأسباب، فهذا من أعظم أسبابه وأوضح موجباته.

﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾؛ أي: واضحات ظاهرات، وهي الآيات القرآنية، وقيل: المعجزات والقرآن أعظمها.

---

(١) «روح المعاني» (٢٦/٤٠٣)، و«تفسير أبي السعود» (٦/٢٧٦).
(٢) «الفريد» (٤/٤٢٨)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/٣٥٦).
(٣) «التبيان» (٢/١٢٠٧)، و«الفريد» (٤/٤٢٨).
(٤) «الفريد» (٤/٤٢٨)، و«روح المعاني» (٢٦/٤٠٤).
(٥) «النشر» (٢/٣٨٤)، و«التيسير» (ص٢٠٨)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/٣٠٨)، و«جامع البيان» (٢٢/٣٩٠).
(٦) انظر: المصادر المتقدمة.

﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾؛ أي: ليخرجكم اللهُ بتلك الآيات من ظلمات الشرك إلى نور الإيمان، أو ليخرجكم الرسولُ بتلك الآيات، أو بالدعوة.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾؛ أي: لكثير الرأفة والرحمة بليغهما؛ حيث أنزل كُتبه، وبعث رسله لهداية عباده، فلا رأفة ولا رحمة أبلغ من هذه.

والاستفهام في قوله: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ للتقريع[1] والتوبيخ، والكلام في إعراب هذا كالكلام في إعراب قوله: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ وفي هذه الآية دليل على أن الإنفاق المأمور به في قوله: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ هو الإنفاق في سبيل الله، كما بينّا ذلك، والمعنى: أيّ عذرٍ لكم، وأيّ شيء يَمْنعكم مِنْ ذلك، والأصل: في أن لا تنفقوا، وقيل: إن أَنْ زائدة.

وجملة ﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ في محل نصب[2] على الحال من فاعل ﴿أَلَّا تُنفِقُوا۟﴾ أو مِنْ مفعوله، والمعنى: أيّ شيء يمنعكم من الإنفاق في ذلك الوجه، والحال أنّ كل ما في السمٰوات والأرض راجعٌ إلى الله سبحانه بانقراض العالَم كرجوع الميراث إلى الوارث، ولا يبقى لهم منه شيء؟ وهذا أدخل في التوبيخ، وأكمل[3] في التقريع، فإن [٤/١٢٤] كون تلك الأموال تخرج عن أهلها، وتصير لله سبحانه، ولا يبقى أحد من مالكيها أقوى في إيجاب الإنفاق عليهم مِنْ كونها لله في الحقيقة، وهم: خلفاؤه في التصرّف فيها.

[المراد بالفتح فتح مكة]:

ثم بيّن سبحانه فضل مَنْ سبق بالإنفاق في سبيل الله، فقال: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ﴾ قيل: المراد بالفتح فتح مكة، وبه قال أكثر المفسرين[4].

وقال الشعبي[5]، والزهري: فتح الحديبية، قال قتادة[6]: كان قتالان أحدهما أفضل من الآخر، ونفقتان إحداهما أفضل من الأخرى، كان القتال والنفقة قبل فتح

---

(١) «روح المعاني» (٢٦/٤٠٧)، و«تفسير أبي السعود» (٦/٢٧٨).
(٢) «الفريد» (٤/٤٢٨ ـ ٤٢٩)، و«البحر المحيط» (١٠/١٠٢ ـ ١٠٣).
(٣) «روح المعاني» (٢٦/٤٠٨)، و«البحر المحيط» (١٠/١٠٣).
(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٢٤٠)، و«الوسيط» (٤/ ٢٤٤).
(٥) «معالم التنزيل» (٨/ ٣٣).
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٣٩٣) بسند صحيح.

مكة أفضل من القتال والنفقة بعد ذلك، وكذا قال مقاتل[١] وغيره، وفي الكلام حذف[٢]، والتقدير: لا يستوي مَنْ أنفق مِنْ قبل الفتح وقاتل ومَنْ أنفق من بعد الفتح وقاتل، فحذف لظهوره، ولدلالة ما سيأتي عليه، وإنما كانت النفقة والقتال قبل الفتح أفضل من النفقة والقتال بعد الفتح؛ لأنّ حاجة الناس كانت إذ ذاك أكثر، وهم أقلّ وأضعف، وتقديم[٣] الإنفاق على القتال للإيذان بفضيلة الإنفاق لما كانوا عليه من الحاجة، فإنهم كانوا يجودون بأنفسهم، ولا يجدون ما يجودون به من الأموال.

«والجودُ بالنفس أَقصى غاية الجود»[٤]، والإشارة بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إلى «مَنْ» باعتبار معناها، وهو مبتدأ وخبره ﴿أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْۚ﴾؛ أي: أرفع منزلةً، وأعلا رتبة من الذين أنفقوا أموالهم في سبيل الله من بعد الفتح، وقاتلوا مع رسول الله ﷺ، قال عطاء[٥]: درجات الجنة تتفاضل، فالذين أنفقوا من قبل الفتح في أفضلها.

قال الزجاج[٦]: لأن المتقدّمين نالهم من المشقة أكثر مما نال من بعدهم، وكانت بصائرهم أيضاً أنفذ.

وقد أرشد ﷺ إلى هذه الفضيلة بقوله فيما صحّ عنه: «لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مُدّ أحدِهم ولا نصيفه»[٧] وهذا خطاب منه ﷺ للمتأخرين وصحبه، كما يرشد إلى ذلك السبب الذي ورد فيه هذا الحديث.

﴿وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾؛ أي: وكل واحد من الفريقين وعد الله المثوبة الحُسْنى، وهي الجنّة مع تفاوت[٨] درجاتهم فيها.

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٢٤٠).
(٢) «الكشاف» (٦/ ٤٥)، و«روح المعاني» (٢٦/ ٤٠٨ ـ ٤٠٩).
(٣) «روح المعاني» (٢٦/ ٤١٠)، و«البحر المحيط» (١٠/ ١٠٣)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٢٧٧).
(٤) هذا عجز بيتٍ وأوله: يجودُ بالنفس إنْ ضَنّ البخيل بها: والبيت لمسلم بن الوليد الملقب بصريع الغواني. انظر: «جمهرة الأمثال» للعسكري (١/ ٩٥).
(٥) «الوسيط» للواحدي (٤/ ٢٤٦)، و«زاد المسير» (٨/ ١٦٤).
(٦) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ١٢٣).
(٧) أخرجه البخاري رقم (٣٦٧٣)، ومسلم في «صحيحه» رقم (٢٢١/ ٢٥٤٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
(٨) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٢٤٣).

قرأ الجمهور[١]: «وكُلاً» بالنصب على أنّه مفعول به للفعل المتأخر. وقرأ ابن عامر بالرفع[٢] على الابتداء، والجملة بعده خبره، والعائد محذوف، أو على أنه خبر مبتدأ محذوف، ومثل هذا قول الشاعر:

قد أصبحتْ أمُّ الخيارِ تدَّعي عليَّ ذَنْباً كلُّه لم أصْنعِ[٣]

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ لا يخفى عليه من ذلك شيء.

ثم رغّب سبحانه في الصدقة فقال: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾؛ أي: مَنْ ذا الذي ينفق ماله في سبيل الله، فإنه كمن يقرضه، والعرب تقول لكل من فعل فعلاً حسناً: قد أقرض، ومنه قول الشاعر[٤]:

وإذا جُوزيْتَ قَرْضَاً فأجْزِهِ إنما يُجْزِى الفتَى ليسَ الجملْ

قال: الكلبي[٥] ﴿قَرْضًا﴾؛ أي: صدقة ﴿حَسَنًا﴾؛ أي: محتسباً من قلبه بلا مَنٍّ ولا أذى. قال مقاتل[٦]: حسناً: طيبة به نفسه، وقد تقدّم تفسير الآية في سورة البقرة.

﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ﴾ قرأ ابن عامر[٧]، وابن كثير: «فيضعّفه» بإسقاط الألف إلّا أن ابن عامر، ويعقوب نصبوا الفاء، وقرأ نافع، وأهل الكوفة، والبصرة: «فيضاعفه» بالألف وتخفيف[٨] العين إلّا أن عاصماً نصب الفاء، ورفع الباقون.

---

(١) «التيسير» (ص٢٠٨)، و«النشر» (٢/ ٣٨٤)، و«زاد المسير» (٨/ ١٦٤)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٠٧).

(٢) انظر: المصادر المتقدمة.

(٣) البيت مطلع أرجوزة لأبي النجم العجلي. أمَ الخيار: زوجته، ويعني بالذنب: الصلع والشيخوخة.
• وذكره ابن هشام: على أنَّ «كل» إذا تقدمت على النفي، اقتضى أن يكون لعموم السلب على كل فرد. وكلُّه: بالرفع والنصب والمعنى واحد، والأصل: كله له أصنعه. «خزانة الأدب» (١/ ٣٥٩)، و«الخصائص» (٢/ ٦١).

(٤) قائله لبيد بن أبي ربيعة وهو في ديوانه (ص١٤١).

(٥) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٢٤٤)، و«معالم التنزيل» (٨/ ٣٤).

(٦) «الوسيط» (٤/ ٢٤٦).

(٧) «النشر» (٢/ ٢٢٨)، و«زاد المسير» (٨/ ١٦٤)، و«روح المعاني» (٢٦/ ٤١٤)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٠٨). هي أربع قراءات متواترة لكن ابن كثير وأبو جعفر قرءآ (فيصعِّنهُ) بإسقاط الألف، وتشديد العين المكسورة، ورفع الفاء. والباقي كما ذكره الإمام الشوكاني.

(٨) انظر: المصادر المتقدمة.

قال ابن عطية[١]: الرفع على العطف على (يقرض)، أو الاستئناف والنصب لكون الفاء في جواب الاستفهام. وضعّف النصبَ أبو عليّ[٢] الفارسي قال: لأن السؤال لم يقع عن القرض، وإنما وقع عن فاعل القرض، وإنما تنصب الفاء فعلاً مردوداً على فعل مستفهم عنه، لكن هذه الفرقة حملت ذلك على المعنى؛ كأن قوله: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ﴾ بمنزلة قوله: أيُقرض الله أحد؟

﴿وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ وهو الجنّة، والمضاعفة هنا هي كون الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف على اختلاف الأحوال والأشخاص والأوقات.

وقد أخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وأبو نعيم في «الدلائل» من طريق زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري[٣] قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ عام الحديبية حتى إذا كنا بعُسْفان قال رسول الله ﷺ: يوشك أن يأتي قوم تحقرون أعمالكم مع أعمالهم، قلنا مَنْ هم يا رسول الله؟ أقريش؟ قال: لا، ولكنهم أهل اليمن هم: أرقّ أفئدة، وألين قلوباً، فقلنا: أهم خير منا يا رسول الله؟ قال: لو كان لأحدهم جبل من ذهب ما أدرك مدّ أحدكم، ولا نصيفه، إلّا إنَّ هذا فصل ما بيننا وبين الناس ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ﴾» الآية.

وهذا الحديث قال ابن كثير[٤]: هو غريب بهذا الإسناد، وقد رواه ابن جرير[٥]، ولم يذكر فيه الحديبية.

وأخرج أحمد عن أنس قال: «كان بين خالد بن الوليد، وبين عبد الرحمٰن بن عوف[٦] كلام، فقال خالد لعبد الرحمٰن: تستطيلون علينا بأيام سبقتمونا بها؟ فبلغ النبيّ ﷺ فقال: دعوا لي أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفقتم مثل أُحُدٍ أو مثل الجبال ذهباً ما بلغتم أعمالهم».

---

(١) في «المحرر الوجيز» (١٥/ ٤٠٧). (٢) في «الحجة» (٦/ ١٦٧ ـ ١٦٨).
(٣) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٣٩٤)، وابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٣/ ٤١٢).
(٤) في «تفسيره» (١٣/ ٤١٢). (٥) في «جامع البيان» (٢٢/ ٣٩٤).
(٦) أخرجه أحمد رقم (١٣٨١٢) بسند صحيح.

والذي في «الصحيح»[(١)] عَنْ رسول الله ﷺ بلفظ: «لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أُحُدٍ ذهباً ما أدرك مُدّ أحدهم ولا نصيفه» وفي لفظ: «ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه».

أخرج هذا الحديث البخاري، ومسلم وغيرهما من حديث أبي سعيد[(٢)] الخدري.

وأخرج ابن أبي شيبة[(٣)] عن ابن عمر قال: لا تسبوا أصحاب محمد ﷺ، فلمقام أحدهم ساعةً خير من عمل أحدكم عمره.

﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾.

[المنافقون يوم القيامة]:

﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾.

قوله: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ العامل في الظرف مضمر[(٤)] وهو اذكر، أو ﴿كَرِيمٌ﴾ أو ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ﴾ [الحشر: ١١]، أو العامل في (لهم)، وهو الاستقرار، والخطاب لكل من يصلح له.

وقوله: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم﴾ في محل نصب[(٥)] على الحال من مفعول (ترى)، والنور

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٣٦٧٣)، ومسلم رقم (٢٥٤٠)، وابن أبي شيبة (١٢/ ١٧٤، ١٧٥)، وأبو داود رقم (٤٦٥٨)، والترمذي رقم (٣٨٦١).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (١٢/ ١٧٨).

(٤) «الفريد» (٤/ ٤٣٠)، و«التبيان» (٢/ ١٢٠٧ ـ ١٢٠٨)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٣٥٨).

(٥) انظر: المصادر المتقدمة.

هو الضياء الذي يُرى ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ وذلك على الصراط يوم القيامة، وهو دليلهم إلى الجنة.

قال قتادة[(١)]: إن المؤمن يُضيء له نور كما بين عدن إلى صنعاء، حتى إن من المؤمنين مَنْ لا يضيء له نوره إلّا موضع قدميه.

وقال الضحاك[(٢)]، ومقاتل: وبأيمانهم: كتبُهم التي أُعطوها، فكتبهم بأيمانهم، ونورُهم بين أَيديهم، قال الفرّاء[(٣)]: الباء بمعنى في: أي: في أيمانهم، أو بمعنى عن، قال الضحّاك[(٤)] أيضاً: نورهم هداهم، وبأيمانهم كتبُهم، واختار هذا ابن جرير[(٥)] الطبري؛ أي: يسعى أيمانهم وعملُهم الصالح بين أيديهم، وفي أيمانهم كتب أعمالهم.

قرأ الجمهور[(٦)]: «بأَيمانهم» جمع يمين. وقرأ سهل بن سعد الساعديّ، وأبو حيوة «بإِيمانهم» بكسر[(٧)] الهمزة على أن المراد الإيمان ضدّ الكفر، وقيل: هو القرآن، والجار والمجرور في الموضعين في محل نصب على الحال من نورهم؛ أي: كائناً بين أيديهم وبأيمانهم.

﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾، ﴿بُشْرَىٰكُمُ﴾[(٨)] مبتدأ، وخبره ﴿جَنَّٰتٌ﴾ على تقدير مضاف؛ أي: دخول جنات، والجملة مقولُ قولٍ مقدّر؛ أي: يُقال لهم هذا، والقائل لهم هم الملائكة.

قال مكيّ[(٩)]: وأجاز الفرّاء[(١٠)] نصب جنات على الحال، ويكون اليوم خبر بشراكم، وهذا بعيد جدّاً.

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٣٩٧ ـ ٣٩٨) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به بسند صحيح.
وأخرجه ابن جرير (٢٢/ ٣٩٨)، وعبد الرزاق (٢/ ٢٧٥) بسند صحيح من طريق معمر، به.

(٢) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٣٩٨) بسند حسن.

(٣) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٢٢).

(٤) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٣٩٨) بسند حسن.

(٥) في «تفسيره» (٢٢/ ٣٩٨ ـ ٣٩٩).

(٦) «البحر المحيط» (١٠/ ١٠٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٢٤٥).

(٧) «القراءات الشاذة» (ص١٥٢)، و«المحتسب» (٢/ ٣١١)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٢٤٥). والقراءة بكسر الهمزة قراءة شاذة.

(٨) «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٣٥٨)، و«التبيان» (٢/ ١٢٠٨)، و«الفريد» (٤/ ٤٣٠).

(٩) في «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٣٥٨).

(١٠) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٣٢).

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ﴾ حال مقدّرة، والإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى النور والبشرى، وهو مبتدأ، وخبره ﴿هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾؛ أي: لا يقادر قدره حتى كأنه لا فوز غيره، ولا اعتداد بما سواه.

﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ﴾ يوم [(١)] بدل من يوم الأوّل، ويجوز أن يكون العامل فيه الفوز العظيم، ويجوز[(١)] أن يكون منصوباً بفعل مقدّر؛ أي: اذكر ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ اللام للتبليغ كنظائرها.

قرأ الجمهور[(٢)]: «انظرُونا» أمراً بوصل الهمزة وضم الظاء من النظر بمعنى الانتظار؛ أيّ: انتظرونا. يقولون ذلك لما رأوا المؤمنين يُسرع بهم إلى الجنة. وقرأ الأعمش، وحمزة، ويحيى بن وثّاب بقطع الهمزة[(٣)] وكسر الظاء من الإنظار؛ أي: أمهلونا، وأخرونا، يقال أنظرته واستنظرته؛ أي: أمهلته واستمهلته.

قال الفراء[(٤)]: تقول العرب أنظرني؛ أي: انتظرني، وأنشد قول عمرو بن كلثوم:

أبا هندٍ فلا تعجلْ علينا ... وأَنْظِرْنا نُخَبِّرُكَ اليقينا[(٥)] [٤/١٢٥]

وقيل: معنى انظرونا[(٦)]: انظروا إلينا؛ لأنهم إذا نظروا إليهم استقبلوهم بوجوههم، فيستضيئون بنورهم.

﴿نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾؛ أي: نستضيء منه، والقَبَس[(٧)]: الشعلةُ من النار والسراج، فلما قالوا ذلك ﴿قِيلَ ٱرْجِعُواْ وَرَآءَكُمْ﴾؛ أي: قال لهم المؤمنون، أو الملائكة زجراً لهم، وتهكماً بهم؛ أي: ارجعوا وراءكم إلى الموضع الذي أخذنا منه النور ﴿فَٱلْتَمِسُواْ نُورًا﴾؛ أي: اطلبوا هنالك نوراً لأنفسكم، فإنّه من هنالك يُقْتبس، وقيل المعنى: ارجعوا إلى الدنيا، فالتمسوا النور بما التمسناه به من الإيمان، والأعمال الصالحة.

---

(١) «الفريد» (٤/ ٤٣٠)، و«التبيان» (٢/ ١٢٠٨).
(٢) «فتح الباري» (٨/ ٤٨٢)، و«النشر» (٢/ ٣٨٤)، و«التيسير» (ص٢٠٨)، و«جامع البيان» (٢٢/ ٤٠٠).
(٣) انظر: المصادر المتقدمة.
(٤) في «معاني القرآن» (٣/ ١٣٢).
(٥) البيت من معلقة عمرو بن كلثوم. وهو في «شرح القصائد العشر» للتبريزي (ص٢٢٥).
(٦) «النكت والعيون» (٥/ ٤٧٤).
(٧) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٦٥٢).

وقيل: أرادوا بالنور ما وراءهم من الظُّلمة تهكماً بهم.

﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ﴾ السور: هو الحاجز بين الشيئين، والمراد به هنا: الحاجز بين الجنّة والنار، أو بين أهل الجنة وأهل النار.

قال الكسائي[١]: والباء في بسور زائدة.

ثم وصف سبحانه السور المذكور فقال: ﴿لَّهُ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ﴾؛ أي: باطن ذلك السور. وهو الجانب الذي يلي أهل الجنة فيه الرّحمة: وهي الجنة ﴿وَظَٰهِرُهُۥ﴾ وهو الجانب الذي يلي أهل النار ﴿مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾؛ أي: من جهته عذاب جهنم، وقيل: إن المؤمنين يسبقونهم فيدخلون الجنة، والمنافقون يحصلون في العذاب وبينهم السور، وقيل: إن الرّحمة التي في باطنه نور المؤمنين، والعذاب الذي في ظاهره: ظُلمة المنافقين.

ولما ضرب بالسور بين المؤمنين والمنافقين أخبر الله سبحانه عما قاله المنافقون[٢] إذ ذاك، فقال: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾؛ أي: موافقين لكم في الظاهر نصلي بصلاتكم في مساجدكم، ونعمل بأعمال الإسلام مثلكم؟ والجملة مستأنفة كأنه قيل: فماذا قال المنافقون بعد ضرب السور بينهم وبين المؤمنين؟ فقال: ﴿يُنَادُونَهُمْ﴾.

ثم أخبر سبحانه عما أجابهم به المؤمنون فقال: ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾؛ أي: كنتم معنا في الظاهر ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ بالنفاق وإبطان الكفر، قال مجاهد[٣]: أهلكتموها بالنفاق.

وقيل: بالشهوات واللذات ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ بمحمد ﷺ، وبمن معه من المؤمنين حوادث الدّهر، وقيل: تربصتم بالتوبة، والأوّل أولى ﴿وَٱرْتَبْتُمْ﴾؛ أي: شككتم[٤] في أمر الدين ولم تصدّقوا ما نزل من القرآن، ولا بالمعجزات الظاهرة ﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ﴾ الباطلة[٥] التي من جملتها ما كنتم فيه من التربّص، وقيل: هو طول الأمل[٦]، وقيل: ما كانوا يتمنونه من ضعف المؤمنين[٧].

---

(١) انظر: «التبيان» (٢/ ١٢٠٨)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٣٥٨).
(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٢٤٩).
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٤٠٤ ـ ٤٠٥) بسند صحيح.
(٤) «النكت والعيون» (٥/ ٤٧٦).
(٥) «تفسير السمرقندي» (٣/ ٣٢٥).
(٦) «المحرر الوجيز» (١٥/ ٤١٣).
(٧) «الوسيط» للواحدي (٤/ ٢٤٩).

وقال قتادة[١]: الأمانيّ هنا: غرور الشيطان، وقيل: الدنيا، وقيل: هو طمعهم في المغفرة، وكلُّ هذه الأشياء تدخل في مسمى الأمانيّ.

﴿حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ وهو الموت، وقيل: نصره سبحانه لنبيه ﷺ.

وقال قتادة[٢]: هو إلقاؤهم في النار.

﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾ قرأ الجمهور[٣]: «الغَرور» بفتح الغين، وهو صفة على فَعول، والمراد به الشيطان: أي خدعكم بحلم الله وإمهاله: الشيطانُ.

وقرأ أبو حيوة، ومحمد بن السميفع، وسماك بن حرب بضمها[٤]، وهو مصدر.

﴿فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ فِدۡيَةٞ﴾ تفدونَ بها أنفسَكم من النار أيها المنافقون ﴿وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾ بالله ظاهراً وباطناً ﴿مَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُۖ﴾؛ أي: منزلكم الذي تأوون إليه النار ﴿هِيَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ﴾؛ أي: هي أولى[٥] بكم، والمولى في الأصل: مَنْ يتولّى مصالح الإنسان، ثم استُعمل فيمن يلازمه، وقيل: معنى مولاكم: مكانكم عَنْ قُرب، من الولاء]، وهو القُرْب. وقيل: إنّ الله يركّب في النار الحياة والعقل، فهي تتميز غيظاً على الكفار، وقيل المعنى: هي ناصركم على طريقة قول الشاعر:

تحيةُ بينهم ضربٌ وجيعَ[٦]

﴿وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ الذي تصيرون إليه وهو النار.

[يؤتى المؤمن من النور على قدر عمله]:

وقد أخرج ابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه عن

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/٤٠٦) بسند صحيح.

(٢) أخرجه ابن جرير (٢٢/٤٠٦) بسند صحيح.

(٣) «المحرر الوجيز» (١٥/٤١٣ ـ ٤١٤)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/٣٠٩)، و«التيسير» (ص٢٠٨).

(٤) «المحتسب» (٢/٣١١ ـ ٣١٢)، و«روح المعاني» (٢٦/٤٢٢)، و«القراءات الشاذة» (ص١٥٢). القراءة بضم الغين قراءة شاذة.

(٥) «مجاز القرآن» (٢/٢٥٢)، و«مفردات ألفاظ القرآن» (ص٨٨٦).

(٦) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (١٠/١٠٧). وهذا البيت مُخْتلف في قائله وقيل أَنّه لعمرو بن معدي يكرب = وأوله: «خيل قد دلفتُ لها بخيلٍ». انظر: «خزانة الأدب» (٩/٢٥٢) للبغدادي.

ابن مسعود(١) ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ قال: يُؤتَون نورهم على قدر أعمالهم يمرّون على الصراط، منهم من نوره مثل الجبل، ومنهم من نوره مثل النخلة، وأدناهم نوراً مَنْ نوره على إبهامه يطفأ مرّة، ويُوقد أخرى.

وأخرج ابن جرير، وابن مردويه، والبيهقي في «البعث» عن ابن عباس(٢) قال: بينما الناس في ظُلمة إذْ بعث الله نوراً، فلما رأى المؤمنون النور توجهوا نحوه، وكان النور دليلهم من الله إلى الجنة، فلما رأى المنافقون المؤمنين قد انطلقوا إلى النور تبعوهم، فأظلم الله على المنافقين، فقالوا حينئذ: ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ فإنا كنّا معكم في الدنيا، قال المؤمنون: ﴿ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ﴾ مِنْ حيثُ جئتم من الظلمة ﴿فَالْتَمِسُوا﴾ هنالك النور.

وأخرج الطبراني، وابن مردويه(٣) عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يدعو الناس يوم القيامة بأُمهاتهم ستراً منه على عباده، وأمّا عند الصراط، فإن الله يعطي كل مؤمن نوراً، وكل منافق نوراً، فإذا استووا على الصراط سَلَب الله نور المنافقين والمنافقات، فقال المنافقون: ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ وقال المؤمنون: ﴿رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾ [التحريم: ٨] فلا يذكر عند ذلك أحدٌ أحداً» وفي الباب أحاديث، وآثار.

وأخرج عبد بن حميد عن عبادة بن الصامت(٤): أنه كان على سور بيت المقدس، فبكى، فقيل له: ما يُبكيك؟ فقال: هاهنا أخبرنا رسول الله ﷺ أنه رأى جهنّم.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن عساكر عن عبد الله بن عَمْرو بن العاص(٥) قال: إن السور الذي ذكره الله في القرآن ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ﴾ هو: السور الذي ببيت المقدس الشرقي ﴿بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾ المسجدُ ﴿وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ يعني: وادي جهنّم، وما يليه.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (١٣/ ٢٩٩)، وابن جرير (٢٢/ ٣٩٨)، وابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٣/ ٤١٦) ـ والحاكم (٢/ ٤٧٨)، وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٤٠١) بسند ضعيف.

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» رقم (١١٢٤٢). وهو حديث موضوع.

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٥).

(٥) أخرج ابن جرير (٢٢/ ٤٠٣)، و«الحاكم» (٤/ ٦٠١)، وابن عساكر في «تاريخه» (٢١/ ٤٣) من طريق عمرو بن أبي سلمة، به.

[الشوكاني يفند قول من قال إنّه السور الذي ببيت المقدس]:

ولا يخفاك أنّ تفسير السُور المذكور في القرآن في هذه الآية بهذا السور الكائن ببيت المقدس فيه مِنْ الإشكال ما لا يدفعه مقال، ولا سيما بعد زيادة قوله: باطنه فيه الرّحمة المسجد، فإنّ هذا غير ما سيقت له الآية، وغير ما دلت عليه، وأين يقع بيت المقدس، أو سوره بالنسبة إلى السور الحاجز بين فريقي المؤمنين والمنافقين وأيّ معنى لذكر مسجد بيت المقدس هاهنا فإنْ كان المراد أن الله سبحانه ينزع سور بيت المقدس، ويجعله في الدار الآخرة سوراً مضروباً بين المؤمنين والمنافقين، فما معنى تفسير باطن السور، وما فيه من الرّحمة بالمسجد، وإن كان المراد أنّ الله يسوق فريقي المؤمنين والمنافقين إلى بيت المقدس، فيجعل المؤمنين داخل السور في المسجد، ويجعل المنافقين خارجه، فهم إذ ذاك على الصراط وفي طريق الجنة، وليسوا ببيت المقدس، فإن كان مثل هذا التفسير ثابتاً عن رسول الله ﷺ قبلناه وآمنا به، وإلّا فلا كرامةَ ولا قبول.

وأخرجَ البيهقي في «الشُعب» عن ابن عباس(١) في قوله: ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ قال: بالشهوات واللذات ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ قال: بالتوبة ﴿وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ قال: الموت ﴿وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ قال: الشيطان.

[عتاب من الله سبحانه للمؤمنين]:

﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ ۖ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾﴾.

قوله: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ يقال: أنى لك يأني أنى: إذا حان. قرأ

(١) أخرجه البيهقي في «الشعب» رقم (٧٢٩٥).

الجمهور[١]: «ألم يأنِ» وقرأ الحسن[٢]، وأبو السمّال: «ألمّا يأنِ»، وأنشد ابن السكيت[٣]:

أَلَمَّا يأنِ لي أنْ تُجَلَّى عمايتي وأُقْصِرَ عن ليلى بَلَى قد أَنَى لِيَا

و﴿أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ﴾ فاعل يأن؛ أي: ألم يحضر خشوعُ قلوبهم ويجيء وقته، ومنه قول الشاعر:

ألم يأنِ لي يا قلبُ أن أتركَ الجهلا وأنْ يُحْدِثَ الشيبُ المنير لنا عقلاً[٤]

هذه الآية نزلت في المؤمنين. قال الحسن[٥]: يستبطئهم، وهم أحبّ خلقه إليه. وقيل: إنّ الخطاب لمن آمن بموسى وعيسى دون محمد. قال الزجاج[٦]: نزلت في طائفة من المؤمنين، حثوا على الرّقة والخشوع، فأما من وصفهم الله بالرّقة والخشوع، فطبقة فوق هؤلاء.

وقال السديّ[٧] وغيره: المعنى ألم يأن للذين آمنوا في الظاهر، وأسرّوا الكفر أنْ تخشع قلوبهم ﴿لِذِكْرِ اللَّهِ﴾، وسيأتي في آخر البحث ما يقوّي قول من قال إنها نزلت في المسلمين، والخشوع لين القلب ورقته.

والمعنى: أنه ينبغي أن يورثهم الذكر خشوعاً ورقة، ولا يكونوا كمن لا يلين قلبه للذكر ولا يخشع له.

﴿وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ معطوف على ذكر الله، والمراد بما نزل من الحقّ: القرآن، فيحمل الذكر المعطوف عليه على ما عداه ممّا فيه ذكر الله سبحانه باللسان، أو خطور بالقلب، وقيل: المراد بالذكر هو القرآن، فيكون هذا العطف [٤/١٢٦] من باب عطف التفسير، أو باعتبار تغاير المفهومين.

---

(١) «البحر المحيط» (١٠/١٠٨)، و«المحرر الوجيز» (١٥/٤١٥).

(٢) «القراءات الشاذة» (ص١٥٢)، و«المحتسب» (٢/٣١٢)، و«روح المعاني» (٢٦/٤٢٧). المتواتر قراءة الجمهور وقراءة الحسن وأبي السمال شاذة.

(٣) «النكت والعيون» (٥/٤٧٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/٢٥٦).

(٤) قائله كُثيِّر عزَّه. وهو في «ديوانه» (ص٢١٥). وعجزه في الديوان:
وأَن يُحدِثَ الشيبُ الملمُّ ليَ العقلا

(٥) «معالم التنزيل» (٨/٣٧).

(٦) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/١٢٥).

(٧) «النكت والعيون» (٥/٤٧٧).

قرأ الجمهور[١]: «نَزّل» مشدّداً مبنيّاً للفاعل. وقرأ نافع، وحفص بالتخفيف[٢] مبنيّاً للفاعل.

وقرأ الجحدري، وأبو جعفر، والأعمش، وأبو عمرو في رواية عنه مشدّداً[٣] مبنيّاً للمفعول. وقرأ ابن مسعود[٤]: «أنزل» مبنيّاً للفاعل.

﴿وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ﴾ قرأ الجمهور[٥] بالتحتية على الغيبة جرياً على ما تقدّم.

وقرأ أبو حيوة[٦]، وابن أبي عبلة بالفوقية على الخطاب التفاتاً، وبها قرأ عيسى، وابن إسحاق.

والجملة معطوفة على تخشع؛ أي: ألم يأن لهم أن تخشع قلوبهم، ولا يكونوا والمعنى: النّهي لهم عَنْ أن يسلكوا سبيل اليهود والنصارى الذين أوتوا التوراة والإنجيل من قبل نزول القرآن ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ﴾؛ أي: طال عليهم الزمان بينهم وبين أنبيائهم.

قرأ الجمهور[٧]: «الأمَدُ» بتخفيف الدال، وقرأ ابن كثير في رواية عنه بتشديدها[٨]؛ أي: الزّمن الطويل، وقيل: المراد بالأمد على القراءة الأولى الأجل والغاية، يقال أمد فلان كذا؛ أي: غايته.

﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ بذلك السبب، فلذلك حرّفوا وبدّلوا، فنهى الله سبحانه أمة محمد ﷺ أن يكونوا مثلهم ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾؛ أي: خارجون عن طاعة الله؛ لأنهم تركوا العمل بما أنزل إليهم، وحرّفوا وبدّلوا، ولم يؤمنوا بما نزل على

---

(١) «النشر» (٢/ ٢٨٤)، و«التيسير» (ص٢٠٨)، و«الكشف عن وجوه القرآن» (٢/ ٣١٠).
(٢) انظر: المصادر المتقدمة.
(٣) «القراءات الشاذة» (ص١٥٢)، و«روح المعاني» (٥١/ ٤٢٩)، و«البحر المحيط» (١٠/ ١٠٨).
هي قراءة شاذة، ورواية شاذة عن أبي عمرو.
(٤) «القراءات الشاذة» (ص١٥٢)، و«روح المعاني» (٢٦/ ٤٢٩). هي قراءة شاذة.
(٥) «النشر» (٢/ ٣٨٤)، و«البحر المحيط» (١٠/ ١٠٨)، و«زاد المسير» (٨/ ١٨٦).
(٦) انظر: المصادر المتقدمة. وهي قراءة متواترة قرأ بها رويس عَنْ يعقوب أيضاً.
(٧) «البحر المحيط» (١٠/ ١٠٩)، و«حاشية الشهاب» (٨/ ١٥٩)، و«روح المعاني» (٢٦/ ٤٣٠).
(٨) انظر: المصادر المتقدمة. هي رواية شاذة عن ابن كثير والمتواتر عنه كقراءة الجمهور.

محمد ﷺ، وقيل: هم الذين تركوا الإيمان بعيسى، ومحمد ﷺ، وقيل: هم الذين ابتدعوا الرهبانية، وهم أصحاب الصوامع.

﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ فهو قادر على أن يبعث الأجسام بعد موتها، ويلين القلوب بعد قسوتها ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ﴾ التي من جملتها هذه الآيات ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾؛ أي: كي تعقلوا ما تضمنته من المواعظ، وتعملوا بموجب ذلك.

﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَـٰتِ﴾ قرأ الجمهور[(١)] بتشديد الصاد في الموضعين من الصدقة، وأصله: المتصدّقين والمتصدّقات، فأدغمت التاء في الصاد. وقرأ أبيّ[(٢)] «المتصدّقين والمتصدّقات» بإثبات التاء على الأصل.

وقرأ ابن كثير بتخفيف[(٣)] الصاد فيهما من التصديق؛ أي: صدّقوا رسول الله ﷺ فيما جاء به.

﴿وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ معطوف على اسم الفاعل في المصدّقين؛ لأنه لما وقع صلة للألف واللام الموصولة حلّ محلّ الفعل، فكأنه قال: إن الذين تصدّقوا وأقرضوا، كذا قال أبو علي[(٤)] الفارسي وغيره.

وقيل: جملة[(٥)]، وأقرضوا معترضة بين اسم إنّ وخبرها، وهو ﴿يُضَـٰعَفُ﴾ وقيل: هي صلة[(٦)] لموصول محذوف؛ أي: والذين أقرضوا، والقرض الحسن: عبارةُ عَنْ التصدق والإنفاق في سبيل الله مع خلوص نية، وصحة قصد، واحتساب أجر.

قرأ الجمهور[(٧)]: «يُضاعَفُ لهم» بفتح العين على البناء للمفعول، والقائم مقام

---

(١) «النشر» (٢/ ٣٨٤)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣١٠)، و«جامع البيان» (٢٢/ ٤١١)، و«التيسير» (ص٢٩٨).

(٢) «القراءات الشاذة» (ص١٥٢)، و«روح المعاني» (٢٦/ ٤٣١)، و«البحر المحيط» (١٠/ ١٠٩). قراءة أُبيٍّ شاذة.

(٣) «النشر» (٢/ ٢٨٤)، و«جامع البيان» (٢٢/ ٤١٠ ـ ٤١١)، و«البحر المحيط» (١٠/ ١٠٩). وقرأ بتخفيف الصاد أبو بكر عن عاصم.

(٤) في «الحجة» (٦/ ٢٧٤ ـ ٢٧٥).

(٥) «الفريد» (٤/ ٤٣٣)، و«التبيان» (٢/ ١٢٠٩).

(٦) «الفريد» (٤/ ٤٣٣)، و«التبيان» (٢/ ١٢٠٩).

(٧) «البحر المحيط» (١٠/ ١٠٩)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣١١)، و«معاني القرآن» =

الفاعل إما الجار والمجرور، أو ضمير يرجع إلى المصدّقين على حذف مضاف؛ أي: ثوابهم، وقرأ الأعمش: «يضاعِفه» بكسر العين[١] وزيادة الهاء.

وقرأ ابن كثير، وابن عامر، ويعقوب: «يضعَّف» بتشديد[٢] العين وفتحها ﴿وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ وهو الجنة، والمضاعفة هنا أن الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ جميعاً، والإشارة بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إلى الموصول، وخبره قوله: ﴿هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَآءُ﴾ والجملة خبر الموصول. قال مجاهد[٣]: كل مَنْ آمن بالله ورسله فهو صدّيق. قال المقاتلان[٤]: هم الذين لم يشكّوا في الرسل حين أخبروهم ولم يكذّبوهم.

وقال مجاهد[٥]: هذه الآية للشهداء خاصة، وهم الأنبياء الذين يشهدون للأمم وعليهم، واختار هذا الفراء[٦]، والزجاج[٧].

[واختلفوا في المعني بالصديقين]:

وقال مقاتل بن سليمان[٨]: هم الذين استشهدوا في سبيل الله، وكذا قال ابن جرير[٩]، وقيل: هم أُمم الرسل يشهدون يوم القيامة لأنبيائهم بالتبليغ.

والظاهر أنّ معنى الآية: إن الذين آمنوا بالله ورسله جميعاً بمنزلة الصدّيقين والشهداء المشهورين بعلوّ الدرجة عند الله، وقيل: إن الصدّيقين هم المبالغون في الصدق حيث آمنوا بالله، وصدّقوا جميع رسله، والقائمون لله سبحانه بالتوحيد.

= للفراء (٣/ ١٣٥). قراءة الجمهور متواترة، وكذلك قراءة ابن كثير ومَنْ معه بإسقاط الألف وأما قراءة الأعمش فشاذة ومخالفة للرسم.

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٢٥٧)، و«روح المعاني» (٢٦/ ٤٣٤).

(٢) «التيسير» (ص٨١)، و«النشر» (٢/ ٢٢٨).

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٤١٤) بسند صحيح.

(٤) «الوسيط» (٤/ ٢٥١). و«البسيط» (٢١/ ٢٩٨).

(٥) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٤١٣) بسند صحيح.

(٦) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٣٥).

(٧) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ١٢٦).

(٨) «الوسيط» (٤/ ٢٥١)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٢٥٩).

(٩) في «جامع البيان» (٢٢/ ٤١٥ ـ ٤١٦).

ثم بيّن سبحانه ما لهم من الخير بسبب ما اتصفوا به من الإيمان بالله ورسله فقال: ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ والضمير الأوّل راجع إلى الموصول، والضميران الأخيران راجعان إلى الصدّيقين والشهداء؛ أي: لهم مثل أجرهم ونورهم، وأما على قول مَنْ قال: إن الذين آمنوا بالله ورسله هم نفس الصديقين والشهداء، فالضمائر الثلاثة[١] كلها راجعة إلى شيء واحد، والمعنى: لهم الأجر والنور الموعودان لهم.

ثم لما ذكر حال المؤمنين وثوابهم، ذكر حال الكافرين وعقابهم، فقال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾؛ أي: جمعوا بين الكفر وتكذيب الآيات، والإشارة بقوله: ﴿أُولَئِكَ﴾ إلى الموصول باعتبار ما في صلته من اتصافهم بالكفر والتكذيب، وهذا مبتدأ، وخبره ﴿أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ يُعذّبون بها، ولا أجر لهم ولا نور، بل عذاب مقيم وظلمة دائمة.

وقد أخرج ابن مردويه[٢] عن أنس عن النبيّ ﷺ قال: «استبطأ اللهُ قلوبَ المهاجرين بعد سبع عشرة سنة من نزول القرآن، فأنزل الله ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾» الآية.

وأخرج ابن مردويه[٣] عن عائشة قالت: «خرج رسول الله ﷺ على نفر من أصحابه في المسجد، وهم يضحكون، فسحب رداءه محمرّاً وجهه فقال: أتضحكون، ولم يأتكم أمان من ربكم بأنّه قد غفر لكم، ولقد أُنزل عليّ في ضحككم آية ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ قالوا: يا رسول الله، فما كفارة ذلك؟ قال: تبكون بقدر ما ضحكتم».

وأخرج مسلم، والنسائي، وابن ماجه، وابن المنذر، وابن مردويه عن ابن مسعود[٤] قال: ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ إلّا أربع سنين.

---

(١) «روح المعاني» (٢٦/ ٤٣٤ ـ ٤٣٥)، و«البحر المحيط» (١٠/ ١٠٩).
(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٧).
(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٧).
(٤) أخرجه مسلم رقم (٣٠٣٧)، والنسائي في «السنن الكبرى» رقم (١١٥٦٨).
وأخرجه ابن ماجه رقم (٤١٩٢) من حديث عبد الله بن الزبير. وهو حديث حسن.

وأخرج نحوه عنه[١] ابن المنذر، والطبراني، والحاكم وصححه، وابن مردويه من طريق أخرى.

وأخرج أبو يعلى، وابن مردويه[٢] عنه أيضاً قال: لما نزلت هذه الآية أقبل بعضُنا على بعض أيّ شيء أحدثنا أيّ شيء صنعنا؟.

وأخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس[٣] قال: إن الله استبطأ قلوب المهاجرين، فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ الآية.

وأخرج ابن أبي شيبة في «المصنف» عن عبد العزيز بن أبي روّاد[٤] أن أصحاب النبيّ ﷺ ظهر فيهم المزاح والضحك، فنزلت هذه الآية ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾.

وأخرج ابن المبارك[٥] عن ابن عباس ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ قال: يعني: أنه يلين القلوب بعد قسوتها.

وأخرج ابن جرير عن البراء بن عازب[٦] سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مؤمنو أمتي شهداء ثم تلا النبيّ ﷺ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾».

وأخرج ابن المنذر[٧] عن ابن مسعود قال: كل مؤمن صديق وشهيد.

وأخرج الحاكم وصححه عن ابن مسعود[٨] قال: «إن الرجل ليموت على فراشه، وهو شهيد، ثم تلا هذه الآية».

---

(١) أخرجه الطبراني رقم (٩٧٧٣)، والحاكم (٢/ ٤٧٩).
(٢) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» رقم (٥٢٥٦).
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم ـ كما في تفسير ابن كثير (٣١/ ٤٢١) ـ من طريق صالح المري، عن قتادة عن ابن عباس. سنده ضعيف، لضعف صالح المري. وقتادة لم يسمع من ابن عباس.
(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (١٤/ ٦٠).
(٥) أخرجه ابن المبارك رقم (٢٦١) بسند ضعيف.
(٦) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٤١٤، ٤١٥) من طريق زيد بن أسلم، به. وقال ابن كثير (٨/ ٢٣): هذا حديث غريب.
(٧) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٦٠).
(٨) أخرجه الحاكم (٢/ ١١١).

وأخرج ابن أبي حاتم[(١)] عن أبي هريرة نحوه.

وأخرج ابن جرير[(٢)] عن ابن عباس ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ قال: هذه مفصولة ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾.

وأخرج ابن حبان عن عمرو بن مرة[(٣)] الجهني قال: «جاء رجل إلى النبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله أرأيتَ إنْ شهدتُ أن لا إله إلّا الله، وأنك رسول الله، وصليت الصلوات الخمس، وأدّيت الزكاة، وصمت رمضان، وقمتُه فممن أنا؟ قال: من الصدّيقين والشهداء».

[حقيقة الدنيا والآخرة]:

﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾﴾.

قوله: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا [١٢٧/٤] لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ لما ذكر سبحانه حال الفريق الثاني، وما وقع منهم من الكفر والتكذيب، وذلك بسبب ميلهم إلى الدنيا وتأثيرها، بيّن لهم حقارتها وأنها أحقر من أن تُؤثر على الدار الآخرة، واللعب: هو الباطل، واللهو: كل شيء يُتلهى به ثم يذهب. قال قتادة[(٤)]: لعب ولهو: أكل وشرب.

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٦٠).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/١٣/٤١٣) بسند ضعيف.

(٣) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» رقم (٣٤٣٨١). وهو حديث صحيح.

(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/٢٥٨)، و«النكت والعيون» (٥/ ٤٨٠).

قال مجاهد[(١)]: كلّ لعب لهو، وقيل: اللعب ما رغّب في الدنيا[(٢)]، واللهو: ما ألهى عن الآخرة وشَغَل عنها، وقيل: اللعب: الاقتناء، واللهو: النساء، وقد تقدّم تحقيق هذا في سورة الأنعام، والزينة: التزينُ بمتاع الدنيا من دون عمل للآخرة ﴿وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ﴾ قرأ الجمهور[(٣)] بتنوين: «تفاخرٌ» والظرف صفة له، أو معمول له، وقرأ السلمي[(٤)] بالإضافة؛ أي: يفتخر به بعضكم على بعض، وقيل: يتفاخرون بالخِلْقة والقوّة، وقيل: بالأنساب والأحساب، كما كانت عليه العرب ﴿وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾؛ أي: يتكاثرون بأموالهم وأولادهم، ويتطاولون بذلك على الفقراء.

ثم بيّن سبحانه لهذه الحياة شبهاً، وضرب لها مثلاً فقال: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾؛ أي: كمثل مطر أعجب الزرّاع نباتهُ، والمراد بالكفار هنا: الزراع؛ لأنهم يكفرون البذر؛ أي: يغطّونه بالتراب، ومعنى ﴿نَبَاتُهُ﴾: النبات الحاصل به ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾؛ أي: يجفّ بعد خضرته وييبس ﴿فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا﴾؛ أي: متغيراً عما كان عليه من الخضرة والرّونق إلى لون الصفرة والذبول ﴿ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا﴾؛ أي: فتاتاً[(٥)] هشيماً متكسِّراً متحطِّماً بعد يبسه، وقد تقدّم تفسير هذا المثل في سورة يونس والكهف.

والمعنى: أن الحياة الدنيا كالزرع يعجب الناظرين إليه، لخضرته وكثرة نضارته، ثم لا يلبث أن يصير هشيماً تبناً كأن لم يكن. وقرئ[(٦)]: «مصفارّاً» والكاف في محل نصب[(٧)] على الحال، أو في محل رفع[(٨)] على أنها خبر بعد خبر، أو خبر مبتدأ محذوف.

ثم لما ذكر سبحانه حقارة الدنيا، وسرعة زوالها، ذكر ما أعدّه للعصاة في الدار الآخرة فقال: ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ وأتبعه بما أعدّه لأهل الطاعة، فقال: ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾، والتنكير فيهما للتعظيم.

---

(١) «النكت والعيون» (٥/ ٤٨٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٢٥٨).

(٢) «زاد المسير» (٨/ ١٧١)، و«النكت والعيون» (٥/ ٤٨٠).

(٣) «البحر المحيط» (١٠/ ١١٠)، و«روح المعاني» (٢٦/ ٤٣٨).

(٤) «القراءات الشاذة» (ص١٥٢)، و«البحر المحيط» (١٠/ ١١٠). قراءة السلمي بالإضافة شاذة.

(٥) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٢٤٢ ـ ٢٤٣).

(٦) «النشر» (٢/ ٣٦)، و«المهذب» (٢/ ٢٧٧). وهي قراءة شاذة.

(٧) «التبيان» (٢/ ١٢٠٩)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٣٦٠)، و«الفريد» (٤/ ٤٣٤).

(٨) انظر: المصدر المتقدمة.

قال قتادة[١]: عذاب شديد لأعداء الله، ومغفرة من الله ورضوان لأوليائه وأهل طاعته. قال الفراء[٢]: التقدير في الآية إما عذاب شديد وإما مغفرة، فلا يوقف على شديد.

ثم ذكر سبحانه بعد الترهيب والترغيب حقارة الدنيا، فقال: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ لمن اغترّ بها ولم يعمل لآخرته.

قال سعيد بن جُبير[٣]: متاع الغرور لمن لم يشتغل بطلب الآخرة، ومَنْ اشتغل بطلبها فله متاع بلاغ إلى ما هو خير منه. وهذه الجملة مقرّرة للمثَل المتقدّم ومؤكدة له.

ثم ندب عباده إلى المسابقة إلى ما يوجب المغفرة من التوبة والعمل الصالح، فإن ذلك سبب إلى الجنة، فقال: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾؛ أي: سارعوا مسارعة السابقين بالأعمال الصالحة التي توجب المغفرة لكم من ربكم، وتوبوا مما وقع منكم من المعاصي.

وقيل: المراد بالآية: التكبيرة الأولى مع الإمام قاله مكحول[٤]، وقيل: المراد: الصفّ الأوّل[٥]، ولا وجه لتخصيص ما في الآية بمثل هذا، بل هو من جملة ما تصدّق عليه صدقاً شمولياً أو بدلياً.

﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: كعرضهما، وإذا كان هذا قدر عرضها، فما ظنك بطولها. قال الحسن[٦]: يعني: جميع السمٰوات والأرضين مبسوطات كل واحدة إلى صاحبتها، وقيل: المراد بالجنة التي عرضها هذا العرض هي جنة كل واحد من أهل الجنة.

وقال ابن كيسان[٧]: عنى به جنة واحدة من الجنات، والعرض أقل من الطول، ومِنْ عادة العرب أنها تعبر عن الشيء بعرضه دون طوله، ومن ذلك قول الشاعر:

---

(١) زاد المسير (٨/ ١٧١).
(٢) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٣٥).
(٣) ذكره البغوي في «تفسيره» (٨/ ٣٩).
(٤) «النكت والعيون» (٥/ ٤٨١)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٢٦٢).
(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٢٦٢).
(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٢٦٢).
(٧) البيت للشاعر لبيد بن أبي ربيعة. وهو في «ملحق ديوانه» (ص٣٦٥).

كــأنَّ بــلادَ اللهِ وهــي عــريــضــةٌ ... على الخائفِ المطلوبِ كِفَّةُ حابِلِ

وقد مضى تفسير هذا في سورة آل عمران.

ثم وصف سبحانه تلك الجنة بصفة أخرى، فقال: ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ ويجوز أن تكون هذه الجملة مستأنفة. وفي هذا دليل على أن استحقاق الجنة يكون بمجرّد الإيمان بالله ورسله، ولكن هذا مقيد بالأدلة الدالة على أنه لا يستحقها إلّا مَنْ عمل بما فرض الله عليه، واجتنب ما نهاه الله عنه، وهي أدلة كثيرة في الكتاب والسُّنَّة، والإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى ما وعد به سبحانه من المغفرة والجنة، وهو مبتدأ[١] وخبره ﴿فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾؛ أي: يعطيه من يشاء إعطاءه إياه تفضلاً وإحساناً.

﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ فهو يتفضل على مَنْ يشاء بما يشاء، لا مانع لما أعطى ولا مُعطي لما منع، والخير كله بيده، وهو الكريم المطلق، والجواد الذي لا يبخل.

ثم بيّن سبحانه أن ما يصاب به العباد من المصائب قد سبق بذلك قضاؤه وقدره، وثبت في أمّ الكتاب، فقال: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ من قحط مطرٍ، وضعف نبات، ونقص ثمار. قال مقاتل[٢]: القحط وقلة النبات والثمار، وقيل: الجوائح في الزرع.

﴿وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ﴾ قال قتادة[٣]: بالأوصاب والأسقام.

وقال مقاتل[٤]: إقامة الحدود.

وقال ابن جريج[٥]: ضيق المعاش.

﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ في محل[٦] نصب على الحال من﴿مُّصِيبَةٍ﴾؛ أي: إلّا حال كونها مكتوبة في كتاب، وهو اللّوح المحفوظ.

---

(١) «روح المعاني» (٢٦/ ٤٤١).
(٢) «النكت والعيون» (٥/ ٤٨١).
(٣) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٤١٩)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٧٥) بسند صحيح.
(٤) عزاه إليه القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٢٦٣)، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٤٨١) دون نسبة.
(٥) «النكت والعيون» (٥/ ٤٨١).
(٦) «الفريد» (٤/ ٤٣٥)، و«التبيان» (٢/ ١٢١٠).

وجملة: ﴿مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ﴾ في محل جر[١] صفة لكتاب، والضمير في نبرأها عائد إلى المصيبة، أو إلى الأنفس، أو إلى الأرض، أو إلى جميع ذلك، ومعنى ﴿نَّبۡرَأَهَآۚ﴾: نخلقها.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾؛ أي: أن إثباتها في الكتاب على كثرته على الله يسير غير عسير.

﴿لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ﴾؛ أي: اختبرناكم بذلك، لكيلا تحزنوا على ما فاتكم[٢] من الدنيا.

﴿وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ﴾ منها؛ أي: أعطاكم منها، فإن ذلك يزول عن قريبٍ، وكلّ زائل عن قريب لا يستحق أن يُفرح بحصوله، ولا يحزن[٣] على فواته، ومع أن الكلَّ بقضاء الله وقدره، فلن يعدو امرؤٌ ما كُتب له، وما كان حصوله كائناً لا محالة، فليس بمستحقّ للفرح بحصوله، ولا للحزن على فوته، قيل: والحزن والفرح المنهيّ عنهما هما اللذان يتعدّى فيهما إلى ما لا يجوز، وإلّا فليس من أحد إلّا وهو يحزن ويفرح.

قرأ الجمهور[٤]: «بما آتاكم» بالمدّ؛ أي: أعطاكم، وقرأ أبو العالية، ونصر بن عاصم، وأبو عمرو بالقصر[٥]؛ أي: جاءكم، واختار القراءة الأولى أبو حاتم[٦]، واختار القراءة الثانية أبو عبيد[٧].

﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ﴾؛ أي: لا يحبّ من اتصف بهاتين الصفتين، وهما الاختيال والافتخار، قيل: هو ذمّ للفرح الذي يختال فيه صاحبه ويبطر، وقيل: إن من فرح بالحظوظ الدنيوية، وعظمت في نفسه اختال وافتخر بها، وقيل: المختال

(١) «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٣٦١)، و«الفريد» (٤/ ٤٣٥)، و«التبيان» (٢/ ١٢١٠).
(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٢٦٤).
(٣) «النكت والعيون» (٥/ ٤٨٢)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٣٦٥).
(٤) «النشر» (٢/ ٣٨٤)، والتيسير (ص٢٠٨)، و«زاد المسير» (٨/ ١٧٣)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣١١).
(٥) «التيسير» (ص٢٠٨)، و«النشر» (٢/ ٣٨٤)، و«روح المعاني» (٢٦/ ٤٤٥).
(٦) «البحر المحيط» (١٠/ ١١٢)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٢٦٥).
(٧) «إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ٣٦٥).

الذي ينظر إلى نفسه، والفخور: الذي ينظر إلى الناس بعين الاستحقار.

والأولى تفسير هاتين الصفتين بمعناهما الشرعي ثم اللغوي، فمن حصلتا فيه فهو الذي لا يحبُّه الله.

﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ﴾ الموصول في محل رفع[١] بالابتداء، وهو كلام مستأنف لا تعلّق له بما قبله، والخبر مقدّر؛ أي: الذين يبخلون فالله غنيّ عنهم، ويدل على ذلك قوله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ وقيل: الموصول في محل جرّ بدل من مختال، وهو بعيد، فإن هذا البخل بما في اليد، وأمر الناس بالبخل ليس هو معنى المختال الفخور، لا لغة ولا شرعاً. وقيل: هو في محل جرّ نعت له، وهو أيضاً بعيد.

قال سعيد بن جبير[٢]: الذين يبخلون بالعلم، ويأمرون الناس بالبخل به لئلا يعلموا الناس شيئًا. وقال زيد بن أسلم: إنه البخل بأداء حق الله، وقيل: إنه البخل بالصدقة، وقال طاووس: إنه البخل بما في يديه، وقيل: أراد رؤساء اليهود الذين بخلوا ببيان صفة محمد ﷺ في كتبهم لئلا يؤمن به الناس، فتذهب مآكلهم، قاله السدّي والكلبي.

قرأ الجمهور[٣]: «بالبُخْل» بضم الباء وسكون الخاء.

وقرأ أنس، وعُبيد بن عمير، ويحيى بن يَعْمُر، ومجاهد، وحميد، وابن محيصن، وحمزة، والكسائي بفتحتين[٤]، وهي لغة الأنصار.

وقرأ أبو العالية، وابن السميفع بفتح[٥] الباء وإسكان الخاء. وقرأ نصر بن عاصم[٦] بضمهما، وكلها لغات.

---

(١) «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٣٦١)، و«التبيان» (٢/ ١٢١٠)، و«الفريد» (٤/ ٤٣٥).

(٢) انظر: هذه الأقوال في «النكت والعيون» (٥/ ٤٨٢)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٢٦٦).

(٣) «النشر» (٢/ ٢٤٩)، و«التيسير» (ص٩٦)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٣٨٩).

(٤) انظر: المصادر المتقدمة. قراءة الجمهور وقراءة حمزة والكسائي متواتران أما القراءتان بفتح الباء وسكون الخاء، أو بضمهما فشادتان.

(٥) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٢٦٧)، و«البحر المحيط» (١٠/ ١١٢).

(٦) «النشر» (٢/ ٢٤٩)، و«التيسير» (ص٩٦)، و«البحر المحيط» (١٠/ ١١٢).

﴿وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾؛ أي: ومن يعرض عن الإنفاق، فإن الله غنيّ عنه، محمود عند خلقه لا يضره ذلك. قرأ الجمهور[١]: «هو الغني» بإثبات ضمير الفصل.

وقرأ نافع، وابن عامر، «فإن الله الغني الحميد» بحذف الضمير[٢].

وقد أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[٣] في قوله: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ يقول: في الدين والدنيا ﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ [٤/١٢٨] مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ قال: نخلقها ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ من الدنيا ﴿وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ منها.

وأخرج ابن جرير[٤] عنه في الآية قال: هو شيء قد فُرغ منه من قبل أن تبرأ الأنفس.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، والحاكم وصحّحه، والبيهقي في «الشُعب»[٥] عنه أيضاً في قوله: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ الآية قال: ليس أحد إلّا وهو يحزن ويفرح، ولكن مَنْ أصابته مصيبة جعلها صبراً، ومَنْ أصابه خير جعله شكراً.

وأخرج ابن المنذر عنه[٦] في الآية قال: يريد مصائب المعاش، ولا يريد مصائب الدين، إنه قال: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ وليس هذا من مصائب الدين، أمرهم أن يأسوا على السيئة ويفرحوا بالحسنة.

---

(١) «البحر المحيط» (١٠/ ١١٣)، و«النشر» (٢/ ٣٨٢)، و«التيسير» (ص٢٠٨)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣١٢).

(٢) انظر: المصادر المتقدمة. هما قراءتان متواترتان وقرأ بحذف الضمير أيضاً أبو جعفر.

(٣) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٤٢٠)، وابن أبي حاتم ـ كما في «الإتقان» (٢/ ٤٧) ـ بسند صحيح.

(٤) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٤١٨) بسند ضعيف.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة (١٣/ ٣٧٣، ٣٧٤)، والحاكم (٢/ ٤٧٩)، والبيقهي رقم (٩٧٧١)، وابن جرير (٢٢/ ٤٢١) بسند حسن.

(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٦٢).

[أسس الحكم في الإسلام]:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾.

[الميزان العدل]:

قوله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾؛ أي: بالمعجزات البينة، والشرائع الظاهرة ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ المراد الجنس، فيدخل فيه كتاب كلّ رسول ﴿وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ قال قتادة[1]، ومقاتل بن حيان[2]: الميزان: العدل، والمعنى: أمرناهم بالعدل، كما في قوله: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ [الرحمٰن: ٧].

وقوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾ [الشورى: ١٧] وقال ابن زيد[3]: هو ما يوزن به ويتعامل به.

ومعنى: ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾؛ ليتبعوا ما أُمروا به من العدل[4]، فيتعاملوا فيما بينهم بالنَّصفة، والقِسْط: العدلُ، وهو يدل على أن المراد بالميزان العدل،

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٤٢٤)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٧٥) بسند صحيح.
(٢) «الوسيط» (٤/ ٢٥٣)، و«معالم التنزيل» (٨/ ٤١).
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٤٢٤) بسند صحيح.
(٤) «زاد المسير» (٨/ ١٧٤)، و«الوسيط» (٤/ ٢٥٣)، و«النكت والعيون» (٥/ ٤٨٣).

ومعنى إنزاله: إنزال أسبابه وموجباته. وعلى القول بأن المراد به: الآلة التي يوزن بها، فيكون إنزاله بمعنى إرشاد الناس إليه، وإلهامهم الوزن به، ويكون الكلام من باب:

علفتُها تبناً وماءً بارداً[١]

﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ﴾؛ أي: خلقناه، كما في قوله: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ [الزمر: ٦] والمعنى: أنّه خلقه من المعادن، وعلّم الناس صنعته، وقيل: إنه نزل مع آدم ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾؛ لأنه تتخذ منه آلات الحرب.

قال الزجاج[٢]: يُمتنع به ويُحارب، والمعنى: أنه تتخذ منه آلة للدفع، وآلة للضرب. قال مجاهد[٣]: فيه جنة وسلاح، ومعنى ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾: أنهم ينتفعون به في كثير مما يحتاجون إليه مثل السكين، والفأس، والإبرة، وآلات الزراعة، والنجارة، والعمارة ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ معطوف على قوله: ليقوم الناس؛ أي: لقد أرسلنا رُسلنا، وفعلنا كيت وكيت، ليقوم الناس وليعلم، وقيل: معطوف على علة مقدّرة، كأنه قيل: ليستعملوه وليعلم الله، والأوّل أولى.

والمعنى: أنّ الله أمر في الكتاب الذي أنزل بنصرة دينه ورسله، فمن نصر دينه ورسله علمه ناصراً، ومَنْ عصى عَلِمه بخلاف ذلك، و﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ في محلّ نصب[٤] على الحال من فاعل ﴿يَنصُرُهُۥ﴾، أو من مفعوله[٥]؛ أي: غائباً عنهم، أو غائبين عنه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾؛ أي: قادر على كلِّ شيء، غالب لكل شيء، وليس له حاجة في أن ينصره أحد من عباده وينصر رسله، بل كلفهم بذلك؛ لينتفعوا به إذا امتثلوا، ويحصل لهم ما وعد به عباده المطيعين.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ﴾ لما ذكر سبحانه إرسال الرسل إجمالاً أشار هنا إلى نوع تفصيل، فذكر رسالته لنوح وإبراهيم، وكرّر القسم[٦] للتوكيد.

---

(١) تقدم بيانه.
(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ١٢٩).
(٣) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٤٢٦) بسند صحيح.
(٤) «الفريد» (٤/ ٤٣٦)، و«التبيان» (٢/ ١٢١٠)، و«روح المعاني» (٢٦/ ٤٤٨).
(٥) انظر: المصادر المتقدمة.
(٦) «روح المعاني» (٢٦/ ٤٤٩)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٢٨٥).

﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾؛ أي: جعلنا فيهم النبوّة والكتب المنزلة على الأنبياء منهم.

وقيل: جعل بعضهم أنبياء، وبعضهم يتلون الكتاب ﴿فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ﴾؛ أي: فمن الذرية مَنْ اهتدى بهدي نوح وإبراهيم، وقيل: المعنى فمن المرسل إليهم من قوم الأنبياء مهتد بما جاء به الأنبياء من الهدى ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ خارجون عن الطاعة.

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا﴾؛ أي: اتبعنا على آثار الذرية، أو على آثار نوح وإبراهيم برسلنا الذين أرسلناهم إلى الأمم كموسى، وإلياس، وداود، وسليمان، وغيرهم.

﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾؛ أي: أرسلنا رسولاً بعد رسول حتى انتهى إلى عيسى ابن مريم، وهو مِنْ ذرية إبراهيم مِنْ جهة أمّه ﴿وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ﴾ وهو الكتاب الذي أنزله الله عليه، وقد تقدّم ذكر اشتقاقه في سورة آل عمران.

قرأ الجمهور[١]: «الإِنْجيل» بكسر الهمزة، وقرأ الحسن[٢] بفتحها.

﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ الذين اتبعوه هم الحواريون جعل الله في قلوبهم[٣] مودّة لبعضهم البعض، ورحمة يتراحمون بها، بخلاف اليهود، فإنهم ليسوا كذلك، وأصل الرأفة: اللِّين، والرحمةُ: الشفقة، وقيل: الرأفة: أشدّ الرحمة.

﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ انتصاب[٤] رهبانية على الاشتغال؛ أي: وابتدعوا رهبانية ابتدعوها، وليس بمعطوفة على ما قبلها، وقيل: معطوفة[٥] على ما قبلها؛ أي: وجعلنا في قلوبهم رأفة ورحمة، ورهبانية مبتدعة من عند أنفسهم. والأوّل أولى، ورجحه أبو علي الفارسي[٦] وغيره.

وجملة: ﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ صفة ثانية لرهبانية، أو مستأنفة مقرّرة؛ لكونها

---

(١) «البحر المحيط» (١٠/ ١١٥)، و«الكشاف» (٣/ ٣٠٤).
(٢) «المحتسب» (٢/ ٣١٣)، و«روح المعاني» (٢٦/ ٤٥٠). والقراءة بفتح همزة «الإنجيل» شاذة.
(٣) «زاد المسير» (٨/ ١٧٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٢٧١).
(٤) «التبيان» (٢/ ١٢١١)، و«الفريد» (٢/ ٤٣٦)، و«روح المعاني» (٢٦/ ٤٥١).
(٥) انظر: المصادر المتقدمة.
(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٢٧١).

مبتدعة من جهة أنفسهم، والمعنى: ما فرضناها عليهم، والرهبانية بفتح الراء[١] وضمها، وقد قرئ بهما، وهي بالفتح الخوف من الرهب، وبالضم منسوبة إلى الرهبان؛ وذلك لأنهم غلوا في العبادة، وحملوا على أنفسهم المشقات في الامتناع من المطعم والمشرب والمنكح، وتعلقوا بالكهوف والصوامع؛ لأن ملوكهم غيروا وبدلوا، وبقي منهم نفر قليل، فترهبوا وتبتّلوا، ذكر معناه الضحاك[٢]، وقتادة[٣]، وغيرهما.

﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ الاستثناء منقطع[٤]؛ أي: ما كتبناها نحن عليهم رأساً، ولكن ابتدعوها ابتغاء رضوان الله.

وقال الزجاج[٥]: ﴿مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ معناه لم نكتب عليهم شيئًا البتة، قال: ويكون ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ بدلاً من الهاء والألف في كتبناها، والمعنى: ما كتبنا عليهم إلّا ابتغاء رضوان الله.

﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾؛ أي: لم يرعوا هذه الرهبانية التي ابتدعوها من جهة أنفسهم، بل صنعوها وكفروا بدين عيسى، ودخلوا في دين الملوك الذين غيروا وبدّلوا، وتركوا الترهب، ولم يبق على دين عيسى إلّا قليل منهم، وهم المرادون بقوله: ﴿فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ الذي يستحقونه بالإيمان؛ وذلك لأنهم آمنوا بعيسى، وثبتوا على دينه حتى آمنوا بمحمد ﷺ لما بعثه الله.

﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ خارجون عن الإيمان بما أمروا أن يؤمنوا به، ووجه الذمّ لهم على تقدير أن الاستثناء منقطع أنهم قد كانوا ألزموا[٦] أنفسهم الرهبانية معتقدين أنها طاعة، وأن الله يرضاها، فكان تركها وعدم رعايتها حق الرعاية يدل على عدم مبالاتهم بما يعتقدونه ديناً.

---

(١) «البحر المحيط» (١٠/ ١١٥)، و«النكت والعيون» (٥/ ٤٨٤)، و«روح المعاني» (٢٦/ ٤٥٢). القراءة المتواترة بفتح الراء من كلمة (رهبانية) وأما ضمها فقراءة شاذة.

(٢) «النكت والعيون» (٥/ ٤٨٤).

(٣) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٤٢٨)، بسند صحيح.

(٤) «روح المعاني» (٢٦/ ٤٥٢)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٢٨٦).

(٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ١٣٠).

(٦) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٢٧٢ ـ ٢٧٣)، و«أحكام القرآن» للجصاص (٣/ ٤١٦ ـ ٤١٧).

وأما على القول بأن الاستثناء متصل، وأن التقدير: ما كتبناها عليهم لشيء من الأشياء إلّا ليبتغوا بها رضوان الله بعد أن وفقناهم لابتداعها، فوجه الذم ظاهر.

ثم أمر سبحانه المؤمنين بالرسل المتقدّمين بالتقوى والإيمان بمحمد ﷺ، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ بترك ما نهاكم عنه ﴿وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ﴾ محمد ﷺ ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾؛ أي: نصيبين من رحمته بسبب إيمانكم برسوله بعد إيمانكم بمن قبله من الرسل، وأصل الكِفْل[1]: الحظُ والنصيبُ.

وقد تقدّم الكلام على تفسيره في سورة النساء.

﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ يعني: على الصراط كما قال: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ [التحريم: ٨] وقيل: المعنى: ويجعل لكم سبيلاً واضحاً في الدين تهتدون به ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ما سلف من ذنوبكم ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾؛ أي: بليغ المغفرة والرحمة.

﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ اللام متعلقة بما تقدّم من الأمر بالإيمان والتقوى، والتقدير: اتقوا وآمنوا يؤتكم كذا وكذا؛ ليعلم الذين لم يتقوا ولا آمنوا من أهل الكتاب ﴿أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ و«لا» في قوله: ﴿لِّئَلَّا﴾ زائدة للتوكيد، قاله الفراء[2]، والأخفش[3]، وغيرهما، و«أن» في قوله: ﴿أَلَّا يَقْدِرُونَ﴾ هي المخففة[4] من الثقيلة، واسمها [٤/١٢٩] ضمير شأن محذوف، وخبرها ما بعدها، والجملة في محل نصب على أنها مفعول يعلم، والمعنى: ليعلم أهلُ الكتاب أنهم لا يقدرون على أن ينالوا شيئًا من فضل الله الذي تفضل به على من آمن بمحمد ﷺ، ولا يقدرون على دفع ذلك الفضل الذي تفضل الله به على المستحقين له.

وجملة: ﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ﴾ معطوفة على الجملة التي قبلها؛ أي: ليعلموا أنهم لا يقدرون، وليعلموا أن الفضل بيد الله سبحانه، وقوله: ﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ خبر ثان لأنّ، أو هو الخبر، والجارّ والمجرور[5] في محل نصب على الحال.

﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ هذه الجملة مقرّرة لمضمون ما قبلها، والمراد بالفضل

---

(١) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٧١٧). (٢) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٣٧).

(٣) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٧٠٥).

(٤) «روح المعاني» (٢٦/ ٤٥٩)، و«الفريد» (٤/ ٤٣٧).

(٥) «روح المعاني» (٢٦/ ٤٥٨ ـ ٤٥٩).

هنا ما تفضّل به على الذين اتقوا وآمنوا برسوله من الأجر المضاعف.

وقال الكلبي[(١)]: هو رزق الله، وقيل: نِعَم الله التي لا تُحصى، وقيل: هو الإسلام، وقد قيل: إن «لا» في (لئلا) غير مزيدة[(٢)]، وضمير ﴿أَلَّا يَقْدِرُونَ﴾ للنبيّ ﷺ وأصحابه. والمعنى: لئلا يعتقد أهل الكتاب أنّه لا يقدر النبيّ والمؤمنون على شيء من فضل الله الذي هو عبارة عما أوتوه، والأوّل أولى.

وقرأ ابن مسعود[(٣)]: «لكيلا يعلم» وقرأ حِطّان بن عبد الله[(٤)]: «لأنْ يعلم» وقرأ عكرمة[(٥)]: «ليعلم» وقرئ: «ليلاً» بقلب[(٦)] الهمزة ياء، وقرئ بفتح اللام[(٧)].

وقد أخرج عبد بن حُميد، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول، وأبو يعلى، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «الشعب» من طرق عن ابن مسعود[(٨)] قال: «قال لي رسول الله ﷺ: يا عبد الله، قلتُ: لبيك يا رسول الله ثلاث مرات، قال: هل تدري أيّ عُرى الإسلام أوثق؟ قلتُ: الله، ورسوله أعلم، قال: أوثق عُرى الإيمان: الولايةُ في الله بالحب فيه والبغض فيه، قال: هل تدري أي الناس أفضل؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: أفضل الناس أفضلهم عملاً إذ فقهوا في دينهم؛ يا عبد الله هل تدري أيّ الناس

---

(١) «النكت والعيون» (٥/ ٤٨٦).

(٢) «الفريد» (٤/ ٤٣٧)، و«التبيان» (٢/ ١٢١١).

(٣) «القراءات الشاذة» (ص١٥٣)، و«روح المعاني» (٢٦/ ٢٧٨).

(٤) «القراءات الشاذة» (ص١٥٣).

(٥) «القراءات الشاذة» (ص١٥٣)، و«روح المعاني» (٢٦/ ٢٧٨).

(٦) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٢٧٨).

(٧) «القراءات الشاذة» (ص١٥٣)، و«المحتسب» (٢/ ٣١٤).

(٨) أخرجه الحكيم الترمذي (١/ ٨٦)، وأبو يعلى ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٣/ ٤٣٤) ـ وابن جرير (٢٢/ ٤٣٠ ـ ٤٣١)، وابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٣/ ٤٣٤)، والطبراني رقم (١٠٣٥٧، ١٠٥٣١)، وفي «الأوسط» رقم (٤٤٧٩)، وفي «الصغير» (١/ ٢٢٣، ٢٢٤)، والحاكم (٢/ ٤٨٠)، والبيهقي رقم (٩٥٠٩، ٩٥١٠)، وابن عساكر (٣٦/ ١٩٧)، قال أبو نعيم في «الحلية» (٤/ ١٧٧، ١٧٨) وقال: غريب من حديث سويد وأبي إسحاق، وتفرد به عقيل الجعدي.

وقال العقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٤٠٨، ٤٠٩): عقيل الجعدي عن أبي إسحاق حديثه غير محفوظ ولا يعرف إلا به، وقال البخاري: عقيل عن أبي إسحاق منكر الحديث.

أعلم؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنّ أعلم الناس أبصرهم بالحق إذا اختلف الناس، وإنْ كان مقصراً بالعمل، وإنْ كان يزحف على استه.

واختلف مَنْ كان قبلنا على اثنتين وسبعين فرقة نجا منها ثلاث وهلك سائرها: فرقة وازرت الملوك وقاتلتهم على دين الله وعيسى ابن مريم، وفرقة لم تكن لهم طاقة بموازرة الملوك، فأقاموا بين ظهراني قومهم فدعوهم إلى دين الله ودين عيسى، فقتلهم الملوكُ ونشرتهم بالمناشير، وفرقة لم تكن لهم طاقة بموازرة الملوك ولا بالمقام معهم، فساحوا في الجبال وترهّبوا فيها، وهم الذين قال الله: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ﴾ هم الذين آمنوا بي وصدقوني ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ الذين جحدوني وكفروا بي».

وأخرج النسائي، والحكيم الترمذي في «نوادر الأصول»، وابن جرير، وابن المنذر، وابن مردويه عن ابن عباس(١) قال: كانت ملوك بعد عيسى بدّلت التوراة والإنجيل، فكان منهم مؤمنون يقرءون التوراة والإنجيل، فقيل لملوكهم: ما نجد شيئًا أشدّ من شتم يشتمنا هؤلاء إنّهم يقرءون ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤] ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥] ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧] مع ما يعيبوننا به من أعمالنا في قراءتهم، فادعوهم فليقرءوا كما نقرأ، وليؤمنوا كما آمنا، فدعاهم فجمعهم، وعرض عليهم القتل، أو ليتركوا قراءة التوراة والإنجيل إلّا ما بدّلوا منهما، فقالوا: ما تريدون إلى ذلك؟ دعونا، فقالت طائفة منهم: ابنوا لنا أسطوانة، ثم ارفعونا إليها، ثم أعطونا شيئًا نرفع به طعامنا وشرابنا، ولا نَرِدُ عليكم، وقالت طائفة: دعونا نسيح في الأرض ونهيم ونأكل مما تأكل منه الوحوش، ونشرب مما تشرب، فإن قدرتم علينا في أرضكم فاقتلونا، وقالت طائفة: ابنوا لنا دوراً في الفيافي، ونحتفر الآبار، ونحرث البقول، فلا نَرِدُ عليكم ولا نمرّ بكم، وليس أحد من القبائل إلّا له حميم فيهم، ففعلوا ذلك، فأنزل الله ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ﴾ وقال الآخرون ممن تعبّد من أهل الشرك، وفَنِي مَنْ فني

---

(١) أخرجه النسائي رقم (٥٤١٥)، والحكيم الترمذي (١/ ٨٤ ـ ٨٥)، وابن جرير (٢٢/ ٤٢٩ ـ ٤٣٠). وهو موقوف صحيح الإسناد إلى ابن عباس.

منهم قالوا: نتعبد كما تَعبّد فلان، ونسيح كما ساح فلان، ونتخذ دوراً كما اتخذ فلان، وهم على شركهم لا علم لهم بإيمان الذين اقتدوا بهم، فلما بُعث النبي ﷺ، ولم يبق منهم إلّا القليل انحط صاحب الصومعة من صومعته، وجاء السياح من سياحته، وصاحب الدير من ديره، فآمنوا به وصدّقوه، فقال الله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ أجرين بإيمانهم بعيسى، ونصب أنفسهم، والتوراة والإنجيل، وبإيمانهم بمحمد وتصديقهم ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ القرآنُ واتباعهُم النبيّ ﷺ.

وأخرج أحمد، والحكيم الترمذي، وأبو يعلى، والبيهقي في «الشعب» عن أنس[1] أن النبي ﷺ قال: «إن لكل أمة رهبانيةً، ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله».

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن أبي موسى[2] الأشعريّ في قوله: ﴿كِفْلَيْنِ﴾ قال: ضِعْفين وهي بلسان الحبشة.

وأخرج الفريابي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن[3] عمر في قوله: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ قال: الكِفْلُ ثلثمائة جزء وخمسون جزءاً من رحمة الله.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه أحمد رقم (١٣٨٠٧)، والحكيم الترمذي (٢/ ٢٢)، وأبو يعلى رقم (٤٢٠٤)، والبيهقي رقم (٤٢٢٧) بسند ضعيف.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (١٠/ ٤٧١)، وابن جرير (٢٢/ ٤٣٨)، وابن أبي حاتم ـ كما في «تغْليق التعليق» (٥/ ٩٢) ـ، و«الفتح» (١/ ٤٥٢).

(٣) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٦٧).

سُورَةُ المجَادلَة

هي ثنتان وعشرون آية وهي مدنية. قال القرطبي(١): في قول الجميع، إلّا رواية عن عطاء(٢) أن العشر الأول منها مدني، وباقيها مكّي.

وقال الكَلْبي(٣): نزلت جميعها بالمدينة غير قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] نزلت بمكة.

وأخرج ابن الضريس، والنحاس، وأبو الشيخ في «العظمة»، وابن مردويه عن ابن عباس(٤) قال: نزلت سورة المجادلة بالمدينة.

وأخرج ابن مردويه(٥) عن الزبير مثله.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[الظهار وحكمه وكفارته]:

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾﴾.

---

(١) في «تفسيره» (٢٠/ ٢٨١).

(٢) «النكت والعيون» (٥/ ٤٨٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٢٨١).

(٣) «النكت والعيون» (٥/ ٤٨٧)، و«روح المعاني» (٢٦/ ٤٦٣).

(٤) أخرجه ابن الضريس رقم (١٧، ١٨)، و«النحاس» (ص٦٩٩)، والبيهقي في «الدلائل» (٧/ ١٤٣، ١٤٤).

(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٦٩).

قوله: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾ قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي بإدغام[١] الدال في السين، وقرأ الباقون بالإظهار[٢].

قال الكسائي[٣]: مَنْ بيَّن الدال عند السين، فلسانه أعجميّ وليس بعربيّ.

[نزلت في خولة بنت ثعلبة وزوجها أوس بن الصامت]:

﴿قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾؛ أي: تراجعك الكلام في شأنه ﴿وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ معطوف على تجادلك. والمجادلة هذه الكائنة منها مع رسول الله أنه كان كلما قال لها: قد حَرُمتِ عليه، قالت: واللهِ ما ذكر طلاقاً، ثم تقول: أشكو إلى الله فاقتي ووحدتي، وإنّ لي صبيةً صغاراً إنْ ضممتهم إليه ضاعوا، وإن ضممتهم إليّ جاعوا، وجعلتْ ترفعُ رأسَها إلى السماء، وتقول: اللّهم إني أشكو إليك، فهذا معنى قوله: ﴿وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾.

قال الواحدي[٤]: قال المفسِّرون: نزلت هذه الآية في خولة بنت ثعلبة، وزوجها أوس بن الصامت، وكان به لمم، فاشتد به لممه ذات يوم، فظاهر منها، ثم ندم على ذلك، وكان الظهار طلاقاً في الجاهلية.

وقيل: هي خولة بنت حكيم، وقيل: اسمها جميلة، والأوّل أصح، وقيل: هي بنت خويلد، وقال الماوردي[٥]: إنها نُسبت تارة إلى أبيها، وتارة إلى جدّها، وأحدهما أبوها، والآخر جدّها، فهي: خولة بنت ثعلبة بن خويلد.

وجملة: ﴿وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾ في محل نصب[٦] على الحال، أو مستأنفة جارية مجرى التعليل لما قبلها؛ أي: والله يعلم تراجعكما في الكلام ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ يسمع كلَّ مسموع، ويُبْصر كلَّ مبصر، ومن جملة ذلك ما جادلتك به هذه المرأة.

---

(١) «النشر» (٢/ ٣ ـ ٤)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ١٤٥)، و«زاد المسير» (٨/ ١٨١)، و«البحر المحيط» (١٠/ ١٢٠). وهما قراءتان متواترتان، وممّن قرأ بالإدغام هشام وخلف.

(٢) انظر: المصادر المتقدمة.

(٣) «النشر» (٢/ ٣ ـ ٤).

(٤) في «الوسيط» (٤/ ٢٥٨ ـ ٢٥٩).

(٥) في «النكت والعيون» (٥/ ٤٨٧).

(٦) «الفريد» (٤/ ٤٣٩)، و«التبيان» (٢/ ١٢١٢).

ثم بيّن سبحانه شأن الظهار في نفسه، وذكر حكمه، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم﴾ قرأ الجمهور[١]: «يَظَّهَّرون» بالتشديد مع فتح حرف المضارعة.

وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي: «يظّاهرون» بفتح الياء[٢]، وتشديد الظاء، وزيادة ألف، وقرأ أبو العالية، وعاصم، وزرّ بن حبيش «يُظَاهرون» بضم الياء[٣]، وتخفيف الظاء، وكسر الهاء، وقد تقدّم مثل هذا في سورة الأحزاب.

وقرأ أبيّ[٤]: «يتظاهرون» بفك الإدغام.

[ما معنى الظهار؟]:

ومعنى الظهار: أَنْ يقول لامرأته: أنتِ عليّ كظهر أمي، ولا خلاف في كون هذا ظهاراً. واختلفوا إذا قال: أنت عليّ كظهر ابنتي، أو أختي، أو غير ذلك من ذوات المحارم، فذهب جماعة منهم أبو حنيفة[٥] ومالك[٦] إلى أنه ظهار، وبه قال الحسن[٧]، والنخعي، والزهري، والأوزاعي، والثوري.

وقال جماعة[٨] منهم قتادة والشعبي: إنّه لا يكون ظهاراً بل يختصّ [٤/١٣٠] الظهار بالأمّ وحدها. واختلفت الرواية عن الشافعي[٩]، فروي عنه كالقول الأوّل، وروي عنه كالقول الثاني، وأصل الظهار مشتق من الظهر.

[واختلفوا في صيغ الظهار التي يقع بها..]:

واختلفوا[١٠] إذا قال لامرأته: أنت عليّ كرأس أمي، أو يدها، أو رجلها، أو

---

(١) «التيسير» (ص٢٠٨)، و«النشر» (٢/ ٣٨٥)، و«زاد المسير» (٨/ ١٨٢)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣١٣).

(٢) انظر: المصادر المتقدمة. وكذلك قرأ أبو جعفر وخلف.

(٣) «النشر» (٢/ ٣٨٥)، و«التيسير» (ص٢٠٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٢٨٥)، و«روح المعاني» (٢٦/ ٤٦٩).

(٤) «القراءات الشاذة» (ص١٥٣)، و«روح المعاني» (٢٦/ ٤٦٩)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٨٥). القراءة بفك الإدغام فشاذة.

(٥) «بدائع الصنائع» (٣/ ٢٣٣)، و«البناية في شرح الهداية» (٥/ ٣٢٩).

(٦) «الاستذكار» (١٧/ ١٢٥ رقم ٢٥٦٠٠)، و«مدونة الفقه المالكي وأدلته» (٣/ ٤٤ ـ ٤٥).

(٧) «المغني» (١١/ ٥٨).

(٨) «المغني» (١١/ ٥٨)، و«البيان» للعمراني (١٠/ ٣٣٦ ـ ٣٣٧).

(٩) «البيان» للعمراني (١٠/ ٣٣٦ ـ ٣٣٧).

(١٠) «فتح الباري» (٩/ ٤٣٣)، و«المغني» (١١/ ٥٧).

نحو ذلك؟ هل يكون ظهاراً أم لا وهكذا إذا قال: أنت عليّ كأمي ولم يذكر الظهر، والظاهر أنه إذا قصد بذلك الظهار كان ظهاراً.

وروي عن أبي حنيفة(١) أنه إذا شبهها بعضو من أمه يحلّ له النظر إليه لم يكن ظهاراً، وروي عن الشافعي(٢) أنه لا يكون الظهار إلّا في الظهر وحده.

واختلفوا(٣) إذا شبّه امرأته بأجنبية فقيل: يكون ظهاراً وقيل: لا، والكلام في هذا مبسوط في كتب الفروع.

وجملة: ﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْۖ﴾ في محل رفع على أنها خبر الموصول؛ أي: ما نساؤهم بأمهاتهم، فذلك كذب منهم، وفي هذا توبيخ(٤) للمظاهرين وتبكيت لهم. قرأ الجمهور(٥): «أمهاتِهم» بالنصب على اللغة الحجازية في إعمال «ما» عمل ليس. وقرأ أبو عَمْرو، والسلمي بالرّفع(٦) على عدم الإعمال، وهي لغة نجد، وبني أسد.

ثم بيّن سبحانه لهم أمهاتهم على الحقيقة فقال: ﴿إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْۚ﴾؛ أي: ما أمهاتهم إلّا النساء اللائي ولدنهم.

ثم زاد سبحانه في توبيخهم(٧) وتقريعهم، فقال: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًاۚ﴾؛ أي: وإن المظاهرين ليقولون بقولهم هذا منكراً من القول؛ أي: فظيعاً من القول ينكره الشرع، والزور: الكذب، وانتصاب(٨) منكراً، وزوراً على أنهما صفة لمصدر محذوف؛ أي: قولاً منكراً وزوراً ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾؛ أي: بليغ العفو والمغفرة إذْ جعل الكفارة عليهم مخلّصة لهم عن هذا القول المنكر.

﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟﴾ لما ذكر سبحانه الظهار إجمالاً ووبّخ فاعليه شرع في تفصيل أحكامه، والمعنى: والذين يقولون ذلك القول المنكر

---

(١) «البناية في شرح الهداية» (٥/ ٣٢٩)، و«بدائع الصنائع» (٣/ ٢٣٣).
(٢) «الأم» (٦/ ٧٠٥ ـ ٧٠٦)، و«البيان» للعمراني (١٠/ ٣٣٦ ـ ٣٣٧).
(٣) «فتح الباري» (٤٣٢ ـ ٤٣٣)، و«المغني» (١١/ ٦٠).
(٤) «روح المعاني» (٢٦/ ٤٦٩)، و«أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ١٧٣٦).
(٥) «التبيان» (٢/ ١٢١٢)، و«البحر المحيط» (١٠/ ١٢١)، و«المحرر الوجيز» (١٥/ ٤٣٧).
(٦) انظر: المصادر المتقدمة. القراءة بالرفع شاذة، والرواية عن أبي عمرو شاذة.
(٧) «البحر المحيط» (١٠/ ١٢١)، و«روح المعاني» (٢٦/ ٤٧٠).
(٨) «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٣٦٣)، و«الفريد» (٤/ ٤٣٩ ـ ٤٤٠)، و«التبيان» (٢/ ١٢١٢).

الزور، ثم يعودون لما قالوا؛ أي: إلى ما قالوا بالتدارك والتلافي، كما في قوله: ﴿أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ﴾ [النور: ١٧]؛ أي: إلى مثله.

قال الأخفش[(١)]: ﴿لِمَا قَالُواْ﴾ وإلى ما قالوا يتعاقبان. قال ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف: ٤٣] وقال: ﴿فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٢٣] وقال: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة: ٥] وقال: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ﴾ [هود: ٣٦] وقال الفرّاء[(٢)]: اللام بمعنى عن، والمعنى: ثم يرجعون عما قالوا، ويريدون الوطء.

[كفارة الظهار على ثلاث مراتب]:

وقال الزجاج[(٣)]: المعنى: ثم يعودون إلى إرادة الجماع من أجل ما قالوا.

قال الأخفش[(٤)] أيضاً: الآية فيها تقديم وتأخير، والمعنى: والذين يظّهرون من نسائهم، ثم يعودون لما كانوا عليه من الجماع ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ لما قالوا؛ أي: فعليهم تحريرُ رقبة من أجل ما قالوا. فالجار في قوله: ﴿لِمَا قَالُواْ﴾ متعلق بالمحذوف الذي هو خبر المبتدأ، وهو فعليهم.

[واختلفوا في المراد بالعود]:

واختلف أهل العلم في تفسير العود المذكور على أقوال: الأوّل أنّه العزم على الوطء، وبه قال العراقيون أبو حنيفة[(٥)] وأصحابه، وروي عن مالك[(٦)]. وقيل: هو الوطء نفسه، وبه قال الحسن[(٧)]، وروي أيضاً عن مالك[(٨)].

وقيل: هو أن يمسكها زوجة بعد الظهار مع القدرة على الطلاق، وبه قال الشافعي[(٩)]. وقيل: هو الكفارة، والمعنى: أنه لا يستبيح وطأها إلّا بكفارة، وبه قال

---

(١) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٧٠٥ ـ ٧٠٦).

(٢) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٣٩).

(٣) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ١٣٥).

(٤) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٣٩).

(٥) «الاختيار» (٣/ ٢١٠)، و«البناية في شرح الهداية» (٥/ ٣٢٧).

(٦) «عيون المجالس» (٣/ ١٢٧٣ ـ ١٢٧٤)، و«المدونة» (٢/ ٣٠٦).

(٧) «المغني» (١١/ ١١١).

(٨) «الاستذكار» (١٧/ ١١٨).

(٩) «المهذب» (٤/ ٤٢٠ ـ ٤٢١)، و«الأم» (٦/ ٧١٧).

الليث بن سعد، وروي عن أبي حنيفة[١]. وقيل: هو تكرير الظهار بلفظه، وبه قال أهل الظاهر[٢]. وروي عن بُكير بن الأشج، وأبي العالية، والفرّاء.

والمعنى: ثم يعودون إلى قول ما قالوا. والموصول مبتدأ، وخبره ﴿فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ﴾ على تقدير، فعليهم تحرير رقبة، كما تقدّم، أو قالوا وجب عليهم إعتاق رقبة، يقال: حررّته؛ أي: جعلته حُرّاً، والظاهر أنها تجزئ أيّ رقبة كانت.

وقيل: يشترط أن تكون مؤمنة كالرقبة في كفارة القتل؛ وبالأول قال أبو حنيفة[٣] وأصحابه، وبالثاني قال: مالك[٤]، والشافعي[٥]، واشترطا أيضاً سلامتها من كل عيب.

﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ﴾ المراد بالتماس هنا: الجماع، وبه قال الجمهور[٦]، فلا يجوز للمظاهر الوطء حتى يُكَفّر، وقيل: إن المراد به: الاستمتاع بالجماع، أو اللمس، أو النظر إلى الفرج بشهوة، وبه قال مالك[٧]، وهو أحد قولي الشافعي[٨].

والإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكُمۡ﴾ إلى الحكم المذكور وهو مبتدأ، وخبره ﴿تُوعَظُونَ بِهِۦۚ﴾؛ أي: تُؤمرون به، أو تزجرون به عن ارتكاب الظهار، وفيه بيان لما هو المقصود من شرع الكفارة.

قال الزجاج[٩]: معنى الآية ذلكم التغليظ في الكفارة تُوعظون به؛ أي: إنّ غلظَ الكفارة وعظٌ لكم حتى تتركوا الظهار ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، فهو مجازيكم عليها.

ثم ذكر سبحانه حكم العاجز عن الكفارة، فقال: ﴿فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ﴾؛ أي: فمن لم يجد الرّقبة في ملكه، ولا تمكن من قيمتها، فعليه صيام شهرين متتابعين متواليين لا يفطر فيهما، فإن أفطر استأنف[١٠] إن

---

(١) «البناية في شرح الهداية» (٥/ ٣٢٩). (٢) «المحلى» (١٠/ ٥٥).
(٣) «الاختيار» (٣/ ٢١٣)، و«البناية في شرح الهداية» (٥/ ٣٣٧).
(٤) «المدونة» (٣/ ٤٨). (٥) «الأم» (٦/ ٧٠٥ ـ ٧٠٦).
(٦) «المغني» (١١/ ٦٧).
(٧) «المدونة» (٣/ ٤٨)، و«الاستذكار» (١٧/ ١٢٧).
(٨) «المهذب» (٤/ ٤٢٠ ـ ٤٢١). (٩) «في معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ١٣٥).
(١٠) «الإشراف» لابن المنذر (٤/ ٢٤٩)، و«المنتقى» للباجي (٤/ ٤٤)، و«المبسوط» (١٢١٧)، و«المغني» (١١/ ٨٨).

كان الإفطار لغير عذر، وإن كان لعذر من سفر؛ أو مرض، فقال سعيد بن المسيب، والحسن، وعطاء بن أبي رباح، وعمرو بن دينار، والشعبي، والشافعي، ومالك: إنه يبني، ولا يستأنف[١].

وقال أبو حنيفة[٢]: إنه يستأنف، وهو مرويّ عن الشافعي[٣]؛ ومعنى ﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ﴾ هو ما تقدّم قريباً، فلو وطئ ليلاً أو نهاراً عمداً أو خطأ استأنف، وبه قال أبو حنيفة[٤]، ومالك[٥].

وقال الشافعي[٦]: لا يستأنف إذا وطئ ليلاً؛ لأنه ليس محلاً للصوم، والأول أولى ﴿فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ﴾ يعني: صيام شهرين متتابعين ﴿فَإِطۡعَامُ سِتِّينَ مِسۡكِينٗاۚ﴾؛ أي: فعليه أن يطعم ستين مسكيناً، لكل مسكين مدّان، وهما نصف صاع، وبه قال أبو حنيفة[٧] وأصحابه.

[واختلفوا في كيفية الإطعام]:

وقال الشافعي[٨] وغيره: لكل مسكين مُدّ واحد، والظاهر من الآية: أن يطعمهم حتى يشبعوا مرّةً واحدة، أو يدفع إليهم ما يشبعهم، ولا يلزمه أن يجمعهم مرّة واحدة، بل يجوز له أن يطعم بعض الستين في يوم، وبعضهم في يوم آخر.

والإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى ما تقدّم ذكره من الأحكام، وهو مبتدأ[٩]، وخبره مقدّر؛ أي: ذلك واقع ﴿لِتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ﴾ ويجوز أن يكون اسم الإشارة في محل نصب[١٠]، والتقدير: فعلنا ذلك لتؤمنوا؛ أي: لتصدّقوا أن الله أمر به وشرعه، أو لتطيعوا الله ورسوله في الأوامر والنواهي، وتقفوا عند حدود الشرع ولا تتعدّوها، ولا تعودوا إلى الظهار الذي هو منكر من القول وزور.

---

(١) انظر: المصادر المتقدمة.
(٢) «بدائع الصنائع» (٥/ ٣٧).
(٣) «الأم» (٦/ ٧١٧).
(٤) «المبسوط» (٧/ ١٢)، و«البناية في شرح الهداية» (٥/ ٣٥٠).
(٥) «المنتقى» للباجي (٤/ ٤٤).
(٦) «الأم» (٦/ ٧١٧)، و«الإشراف» (٤/ ٢٤٩).
(٧) «بدائع الصنائع» (٥/ ٣٧)، و«المبسوط» (٧/ ١٢).
(٨) «المهذب» (٤/ ٤٢١ ـ ٤٢٣).
(٩) «روح المعاني» (٢٦/ ٤٩٩).
(١٠) انظر: المصدر المتقدم.

والإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى الأحكام المذكورة، وهو مبتدأ، وخبره ﴿حُدُودُ ٱللَّهِۗ﴾ فلا تجاوزوا حدوده التي حدّها لكم، فإنه قد بيّن لكم أن الظهار معصية، وأن كفارته المذكورة توجب العفو والمغفرة ﴿وَلِلۡكَٰفِرِينَ﴾ الذين لا يقفون عند حدود الله، ولا يعملون بما حدّه الله لعباده ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وهو عذاب جهنم، وسماه كفراً تغليظاً وتشديداً.

وقد أخرج ابن ماجه، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي عن عائشة[١] قالت: تبارك الذي وسع سمعُه كلَّ شيء إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة، ويَخْفى عليّ بعضُه، وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ، وهي تقول: يا رسول الله أكل شبابي، ونثرت له بطني حتى إذا كبر سنّي وانقطع ولدي ظاهر مني، اللَّهمّ إني أشكو إليك، قالت: فما برحت حتى نزل جبريل بهؤلاء الآيات ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا﴾ وهو أوس بن الصامت.

وأخرج النحاس، وابن مردويه، والبيهقي عن ابن عباس[٢] قال: كان أوّل من ظاهر في الإسلام أوس، وكانت تحته ابنة عمّ له يقال لها: خولة بنت خويلد، فظاهر منها، فأُسْقِط في يده وقال: ما أراكِ إلّا قد حَرمتِ عليّ، فانطلقي إلى النبيّ ﷺ، فاسأليه، فأتت النبيّ ﷺ، فوجدت عنده ماشطة تمشط رأسه، فأخبرته، فقال: «يا خولة ما أُمِرْنا في أمرك بشيء، فأنزل الله على النبيّ ﷺ فقال: يا خولة أبشري؟ قالت: خيراً. قال: خيراً، فقرأ عليها ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا﴾» الآيات.

وأخرج أحمد، وأبو داود، وابن المنذر، والطبراني، [٤/١٣١] وابن مردويه، والبيهقيّ من طريق يوسف بن عبد الله بن سلام[٣] قال: «حدّثتني خولة بنت ثعلبة قالت: فيّ، واللهِ، وفي أوس بن الصامت أنزل الله صدر سورة «المجادلة»، قالت: كنتُ عنده، وكان شيخاً كبيراً قد ساء خُلُقه، فدخل عليّ يوماً فراجعته بشيء،

---

(١) أخرجه ابن ماجه رقم (٢٠٦٣)، وابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٣/ ٤٤١) ـ، والحاكم (٢/ ٤٨١)، والبيهقي (٧/ ٣٨٢). وهو حديث صحيح.

(٢) أخرجه النحاس (ص٧٠٠)، والبيهقي (٧/ ٣٨٢، ٣٨٣).

(٣) أخرجه أحمد رقم (٢٧٣١٩)، وأبو داود رقم (٢٢١٤، ٢٢١٥)، والطبراني (ج٢٤ رقم ٦١٦، ٦٣٣، ٦٣٤)، والبيهقي (٧/ ٣٩١، ٣٩٢). وهو حديث حسن.

فغضب فقال: أنت عليّ كظهر أُمي، ثم رجع، فجلس في نادي قومه ساعة، ثم دخل عليّ، فإذا هو يريدني عَنْ نفسي، قلتُ: كلّا والذي نفس خولة بيده لا تصل إليّ، وقد قلتَ ما قلتَ حتى يحكم الله ورسوله فينا، ثم جئتُ إلى رسول الله ﷺ، فذكرت ذلك له، فما برحتُ حتى نزل القرآن، فتغشى رسولَ الله ﷺ ما كان يتغشاه، ثم سُرِّي عنه، فقال لي: «يا خولة قد أنزل الله فيك وفي صاحبك، ثم قرأ عليّ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ﴾ إلى قوله: ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فقال رسولَ الله ﷺ: مريه، فليعتق رقبة، قلتُ: يا رسول الله ما عنده ما يعتق، قال: فليصم شهرين متتابعين، قلت: والله إنه لشيخ كبير ما به من صيام، قال: فليطعم ستين مسكيناً وسقاً من تمر، قلت: والله ما ذاك عنده، قال رسول الله ﷺ: فأنا سأعينه بعَرق من تمر، فقلت: وأنا يا رسول الله سأعينه بعَرَق آخر، فقال: قد أصبت، وأحسنت، فاذهبي، فتصدّقي به عنه، ثم استوصي بابن عمك خيراً، قالت: ففعلت» وفي الباب أحاديث.

وأخرج ابن المنذر، والبيهقي في «سننه» عن ابن عباس(١) في قوله: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟﴾ قال: هو الرجل يقول لامرأته: أنت عليّ كظهر أمي، فإذا قال ذلك فليس يحلّ له أن يقربها بنكاح، ولا غيره حتى يُكَفّر بعتق رقبة فإن ﴿لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾ والمسّ: النكاح فإن ﴿لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ وإن هو قال لها: أنت عليّ كظهر أمي إن فعلت كذا، فليس يقع في ذلك ظهار حتى يحنث، فإن حنث، فلا يقربها حتى يُكَفّر، ولا يقع في الظهار طلاق.

وأخرج ابن المنذر(٢) عن أبي هريرة قال: ثلاث فيه مُدّ: كفارة اليمين، وكفارة الظهار، وكفارة الصيام.

وأخرج البزار، والطبراني، والحاكم، وابن مردويه، والبيهقي عن ابن عباس(٣) قال: «أتى رجل النبيّ ﷺ فقال: إني ظاهرتُ من امرأتي، فرأيت بياض خَلْخالها في ضوء القمر، فوقعت عليها قبل أن أُكفّر، فقال النبيّ ﷺ: ألم يقل الله ﴿مِّن قَبْلِ أَن

---

(١) أخرجه البيهقي (٧/ ٣٨٣).

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٧٦).

(٣) أخرجه البزار ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٣/ ٤٥٠) ـ والحاكم (٢/ ٢٠٤)، والبيهقي (٧/ ٣٨٦)، والطبراني رقم (١٠٨٨٧) قال الحاكم: ولم يحتج الشيخان بإسماعيل، وقال الذهبي: واهٍ.

يَتَمَآسَّاۚ﴾، قال: قد فعلت يا رسول الله، قال: أمسك عنها حتى تُكَفر».

وأخرج عبد الرزاق، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، والحاكم، والبيهقيّ عن ابن عباس[١] «أن رجلاً قال: يا رسول الله إني ظاهرت من امرأتي، فوقعت عليها من قبل أن أُكفِّر، فقال: وما حملك على ذلك؟ قال: رأيت خلخالها في ضوء القمر، قال: فلا تقربها حتى تفعل ما أمرك الله».

وأخرج عبد الرّزاق، وأحمد، وعبد بن حميد، وأبو داود، والترمذيّ وحسنه، وابن ماجه، والطبراني، والبغوي في معجمه، والحاكم وصححه عن سلمة بن صخر[٢] الأنصاريّ قال: كنتُ رجلاً قد أُوتيت من جماع النساء ما لم يُؤت غيري، فلما دخل رمضان ظاهرتُ من امرأتي حتى ينسلخ رمضان فَرَقاً من أن أصيب منها في ليلي، فأتتابع في ذلك، ولا أستطيع أن أنزع حتى يدركني الصبح، فبينما هي تخدمني ذات ليلة إذ انكشف لي منها شيء، فوثبت عليها، فلما أصبحت غدوت على قومي، فأخبرتهم خبري، فقلتُ: انطلقوا معي إلى رسول الله ﷺ، فأخبره بأمري، فقالوا: لا، والله لا نفعل نتخوّف أن ينزل فينا القرآن، أو يقول فينا رسول الله ﷺ مقالة يبقى علينا عارها؛ ولكن اذهب أنت، فاصنع ما بدا لك قال: «فخرجتُ، فأتيت رسول الله ﷺ، فأخبرته خبري، فقال: أنت بذاك؟ قلت: أنا بذاك، قال: أنت بذاك؟ قلت: أنا بذاك، قال: أنت بذاك؟ قلت: أنا بذاك، وها أنا ذا، فأمض فيّ حكم الله، فإنّي صابر لذلك، قال: أعتق رقبةً، فضربت عنقي بيدي، فقلت: لا والذي بعثك بالحقّ ما أصبحت أملك غيرها، قال: فصم شهرين متتابعين، فقلت: هل أصابني ما أصابني إلّا في الصيام؟ قال: «فأطعم ستين مسكيناً»، قلت: والذي بعثك بالحقّ لقد بتنا ليلتنا هذه وَحْشاً ما لنا عشاء، قال: اذهب إلى صاحب صدقة بني زُريق، فقل له: فليدفعها إليك، فأطعم عنك منها وسقاً

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» رقم (١١٥٢٥)، وأبو داود رقم (٢٢٢٣، ٢٢٢٥)، والترمذي رقم (١١٩٩)، والنسائي رقم (٣٤٥٧)، وابن ماجه رقم (٢٠٦٥)، والحاكم (٢/ ٢٠٤)، والبيهقي (٧/ ٣٨٦). وهو حديث صحيح.

(٢) أخرجه عبد الرزاق رقم (١١٥٢٨)، وأحمد رقم (١٦٤٢١)، وأبو داود رقم (٢٢١٣)، والترمذي رقم (٣٢٩٩)، وابن ماجه رقم (٢٠٦٢)، والطبراني رقم (٦٣٣٣)، والبغوي ـ كما في «الإصابة» (٣/ ١٥٠) ـ والحاكم (٢/ ٢٠٣)، والبيهقي (٧/ ٣٩٠). وهو حديث حسن.

ستين مسكيناً، ثم استعن بسائرها عليك، وعلى عيالك، فرجعت إلى قومي فقلت: وجدتُ عندكم الضيقَ، وسوء الرأي، ووجدتُ عند رسول الله ﷺ السعة والبركة، أمر لي بصدقتكم، فادفعوها إليّ، فدفعوها إليه».

[الحرب والنكاية للذين يحادون الله ورسوله]:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾.

[آداب المناجاة في الإسلام]:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾.

قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ لما ذكر سبحانه المؤمنين الواقفين عند حدوده ذكر المُحادّين، والمحادّة: المشاقة، والمعاداة، والمخالفة، ومثله قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ قال الزجّاج[1]: المحادّة أَنْ تكون في حدّ يخالف صاحبك، وأصلُها الممانعة، ومِنْه الحديد، ومنه الحدّاد للبوّاب.

﴿كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾؛ أي: أُذلّوا وأخزوا، يقال: كبت الله فلاناً: إذا أذله، والمردود بالذلّ يقال له: مَكْبوت. قال المقاتلان[2]: أُخْزوا، كما أخزي

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/١٣٧).

(٢) «الوسيط» (٤/٢٦٠ ـ ٢٦١).

الذين من قبلهم من أهل الشرك، وكذا قال قتادة[١]، وقال أبو عبيدة[٢]، والأخفش[٣]: أهلكوا.

وقال ابن زيد[٤]: عذبوا. وقال السديّ[٥]: لعنوا. وقال الفرّاء[٦]: أغيظوا.

والمراد بمن قبلهم: كفّار الأمم الماضية المعادين لرسل الله، وعبّر عن المستقبل بلفظ الماضي تنبيهاً[٧] على تحقق وقوعه، وقيل المعنى: على المضيّ، وذلك ما وقع للمشركين يوم بدر، فإن الله كبتهم بالقتل والأسر، والقهر.

وجملة ﴿وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۚ﴾ في محل نصب[٨] على الحال من الواو في كبتوا؛ أي: والحال أَنّا قد أنزلنا آياتٍ واضحاتٍ فيمن حادّ الله ورسله من الأمم المتقدّمة. وقيل: المراد: الفرائض التي أنزلها الله سبحانه، وقيل: هي المعجزات.

﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾؛ أي: للكافرين بكلِّ ما يجب الإيمان به. فتدخل الآيات المذكورة هنا دخولاً أوّلياً، والعذاب المهين: الذي يهين صاحبه، ويذله، ويذهب بعزّه.

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾ الظرف[٩] منتصب بإضمار اذكر، أو بمهين، أو بما تعلق به اللام من الاستقرار، أو بأحصاه المذكور بعده، وانتصاب جميعاً على الحال؛ أي: مجتمعين في حالة واحدة، أو يبعثهم كلهم لا يبقي منهم أحد غير مبعوث.

﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ﴾؛ أي: يخبرهم بما عملوه في الدنيا من الأعمال القبيحة توبيخاً لهم وتبكيتاً[١٠]، ولتكميل الحجة عليهم.

وجملة: ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ﴾ مستأنفة جواب سؤال مقدّر، كأنه قيل كيف

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٤٦٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره ـ كما في «فتح الباري» (٨/ ٦٢٨) بسند صحيح.
(٢) في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٥٥).
(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٣٠٥).
(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٣٠٥).
(٥) «النكت والعيون» (٥/ ٤٨٩).
(٦) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٣٩).
(٧) «روح المعاني» (٢٦/ ٥٠٤)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٢٩٣).
(٨) «روح المعاني» (٢٦/ ٥٠٤)، و«البحر المحيط» (١٠/ ١٢٤).
(٩) «الفريد» (٤/ ٤٤٠ ـ ٤٤١)، و«التبيان» (٢/ ١٢١٣)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٣٦١).
(١٠) «تفسير أبي السعود» (٦/ ١٩٣)، و«روح المعاني» (٢٦/ ٥١٠).

ينبئهم بذلك على كثرته واختلاف أنواعه؟ فقيل: أحصاه الله جميعاً، ولم يفته منه شيء، والحال أنهم قد نسوه ولم يحفظوه، بل وجدوه حاضراً مكتوباً في صحائفهم.

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ لا يخفى عليه شيء من الأشياء، بل هو مطلع وناظر.

ثُم أكّد سبحانه بيان كونه عالماً بكل شيء، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: ألم تعلم أنّ علمه محيط بما فيهما بحيث لا يخفى عليه شيء مما فيهما.

وجملة: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ﴾ إلخ مستأنفة؛ لتقرير شمول علمه وإحاطته بكل المعلومات.

قرأ الجمهور[١]: «يكون» بالتحتية. وقرأ [٤/١٣٢] أبو جعفر بن القعقاع، والأعرج، وأبو حيوة بالفوقية[٢]، و(كان) على القراءتين تامة، و﴿مِن﴾ مزيدة للتأكيد، و﴿نَّجْوَىٰ﴾ فاعل (كان)، والنّجوى: السرارُ، يقال: قوم نجوى؛ أي: ذو نجوى، وهي مصدر. والمعنى: ما يُوجد مِنْ تناجي ثلاثة، أو من ذوي نجوى، ويجوز أن تطلق النجوى على الأشخاص المتناجين، فعلى الوجه الأوّل انخفاض ﴿ثَلَٰثَةٍ﴾ بإضافة نجوى إليه، وعلى الوجهين الآخرين يكون انخفاضها على البدل من نجوى، أو الصفة لها.

قال الفرّاء[٣]: ثلاثة نعت للنجوى، فانخفضت، وإنْ شئت أضفت نجوى إليها، ولو نصبت على إضمار فعل جاز، وهي قراءة ابن أبي عبلة، ويجوز رفع ثلاثة على البدل من موضع نجوى.

﴿إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ هذه الجملة في موضع نصب[٤] على الحال، وكذا قوله: ﴿إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾.

---

(١) «النشر» (٢/ ٣٨٥)، و«البحر المحيط» (١٠/ ١٢٥).

(٢) «زاد المسير» (٨/ ١٨٧)، و«جامع البيان» (٢٢/ ٤٦٩).

(٣) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٤٠). القراءة بالنصب شاذة، وقد قرأ العشرة بخفض (ثلاثةٍ).

(٤) «الفريد» (٤/ ٤٤١)، و«التبيان» (٢/ ١٢١٣).

﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾؛ أي: ما يوجد شيء مِنْ هذه الأشياء إلّا في حال من هذه الأحوال، فالاستثناء[(١)] مفرّغ من أعمّ الأحوال، ومعنى: رابعهم جاعلهم أربعة، وكذا سادسهم جاعلهم ستة من حيث إنه يشاركهم في الاطلاع على تلك النجوى ﴿وَلَا خَمْسَةٍ﴾؛ أي: ولا نجوى خمسة.

[ما وجه تخصيص هذه الأعداد؟]:

وتخصيص[(٢)] العددين بالذكر؛ لأن أغلب عادات المتناجين أن يكونوا ثلاثة، أو خمسة؛ أو كانت الواقعة التي هي سبب النزول في متناجين كانوا ثلاثة في موضع، وخمسة في موضع.

قال الفرّاء[(٣)]: العدد غير مقصود؛ لأنَّه سبحانه مع كل عدد قلّ أو كثر، يعلم السر والجهر، لا تخفى عليه خافية.

﴿وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾؛ أي: ولا أقلّ من العدد المذكور: كالواحد والاثنين، ولا أكثر منه كالستة والسبعة إلّا هو معهم يعلم ما يتناجون به لا يخفى عليه مِنْه شيء.

قرأ الجمهور[(٤)]: «ولا أكثرَ» بالجرّ بالفتحة عطفاً على لفظ نجوى. وقرأ الحسن، والأعمش، وابنُ أبي إسحاق، وأبو حيوة، ويعقوب، وأبو العالية، ونصر، وعيسى بن عمر، وسلام بالرفع[(٥)] عطفاً على محل نجوى. وقرأ الجمهور[(٦)]: «ولا أكثر» بالمثلثة.

وقرأ الزهري[(٧)]، وعكرمة بالموحدة.

قال الواحدي[(٨)]: قال المفسِّرون: إن المنافقين واليهود كانوا يتناجون فيما

---

(١) «روح المعاني» (٢٦/ ٥٠٧)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٢٩٣).
(٢) «روح المعاني» (٢٦/ ٥٠٧)، و«الكشاف» (٦/ ٦٢ ـ ٦٣)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٢٩٣).
(٣) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٤٠).
(٤) «البحر المحيط» (١٠/ ١٢٥)، و«النشر» (٢/ ٣٨٥)، و«التبيان» (٢/ ١٢١٣).
(٥) انظر: المصادر المتقدمة.
(٦) «النشر» (٢/ ٣٨٥)، و«البحر المحيط» (١٠/ ١٢٥)، و«التبيان» (٢/ ١٢١٣).
(٧) «إعراب القراءات الشواذ» (٢/ ٥٦٨). والقراءة بالباء الموحدة قراءة شاذة.
(٨) في «الوسيط» (٤/ ٢٦٣).

بينهم، ويُوهمون المؤمنين أنّهم يتناجون فيما يسوءهم، فيحزنون لذلك، فلما طال ذلك وكثُرُ شكوا إلى رسول الله ﷺ، فأمرهم أن لا يتناجوا دون المسلمين، فلم ينتهوا عن ذلك، وعادوا إلى مناجاتهم، فأنزل الله هذه الآيات.

ومعنى ﴿أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ إحاطة علمه بكل تناج يكون منهم في أيّ مكان من الأمكنة ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم﴾؛ أي: يخبرهم ﴿بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ توبيخاً لهم(١) وتبكيتاً وإلزاماً للحجة ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ لا يخفى عليه شيء كائناً ما كان.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ هؤلاء الذين نُهوا، ثم عادوا لما نهوا عنه، هم من تقدّم ذكره من المنافقين واليهود.

قال مقاتل(٢): كان بين النبيّ ﷺ وبين اليهود مواعدة، فإذا مرّ بهم الرجل من المؤمنين تناجوا بينهم حتى يظنّ المؤمن شرّاً، فنهاهم الله، فلم ينتهوا، فنزلت.

وقال ابن زيد(٣): كان الرجل يأتي النبيّ ﷺ، فيسأله الحاجة، ويناجيه، والأرض يومئذٍ حرب، فيتوهمون أنه يناجيه في حرب، أو بلية، أو أمر مهمّ، فيفزعون لذلك.

﴿وَيَتَنَاجَوْنَ﴾ قرأ الجمهور(٤): «يتناجون» بوزن يتفاعلون، واختار هذه القراءة أبو عبيد(٥)، وأبو حاتم، لقوله فيما بعد: ﴿إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا﴾.

وقرأ حمزة، وخلف، ورويس عن يعقوب، «ويَنْتجون» بوزن يفتعلون(٦)، وهي قراءة ابن مسعود وأصحابه، وحكى سيبويه(٧) أن تفاعلوا وافتعلوا يأتيان بمعنى واحد نحو تخاصموا واختصموا، وتقاتلوا واقتتلوا، ومعنى الإثم ما هو إثم

---

(١) «روح المعاني» (٢٦/ ٥٠٩ ـ ٥١٠)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٢٩٤).

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٤٣).

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٤٧٤) بسند صحيح.

(٤) «التيسير» (ص٢٠٩)، و«النشر»، (٢/ ٣٨٥)، و«زاد المسير» (٨/ ١٨٩)، و«جامع البيان» (٢٢/ ٤٧٠)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢١٤).

(٥) ذكره عنهما القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٣٠٩).

(٦) انظر: المصادر المتقدمة خلف قرأ كقراءة الجمهور.

(٧) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٣٠٩).

في نفسه كالكذب والظلم، والعدوان ما فيه عدوان على المؤمنين، ومعصية الرسول مخالفته.

قرأ الجمهور[١]: «ومعصيت» بالإفراد. وقرأ الضحاك، وحميد، ومجاهد «ومعصيات» بالجمع[٢].

﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوۡكَ بِمَا لَمۡ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾ قال القرطبي[٣]: «إنّ المراد بها: اليهود كانوا يأتون النبيّ ﷺ، فيقولون: السام عليك يريدون بذلك السلام ظاهراً، وهم يعنون الموت باطناً، فيقول النبيّ ﷺ: عليكم. وفي رواية أخرى، وعليكم».

﴿وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾؛ أي: فيما بينهم ﴿لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ﴾؛ أي: هلّا يعذبنا بذلك، ولو كان محمد نبيّاً لعذبنا بما يتضمنه قولنا من الاستخفاف به.

وقيل المعنى[٤]: لو كان نبيّاً لاستجيب له فينا حيث يقول: وعليكم، ووقع علينا الموت عند ذلك.

﴿حَسۡبُهُمۡ جَهَنَّمُ﴾ عذاباً ﴿يَصۡلَوۡنَهَاۖ﴾ يدخلونها ﴿فَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾؛ أي: المرجع، وهو جهنم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾ لما فرغ سبحانه عن نهي اليهود والمنافقين عن النجوى أرشد المؤمنين إذا تناجوا فيما بينهم أن لا يتناجوا بما فيه إثم وعدوان، ومعصية لرسول الله، كما يفعله اليهود والمنافقون.

ثم بيّن لهم ما يتناجون به في أنديتهم وخلواتهم، فقال: ﴿وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰٓۖ﴾؛ أي: بالطاعة وترك المعصية، وقيل: الخطاب للمنافقين، والمعنى: يا أيها الذين آمنوا ظاهراً، أو بزعمهم، واختار هذا الزجاج. وقيل: الخطاب لليهود. والمعنى: يا أيها الذين آمنوا بموسى، والأوّل أولى.

---

(١) «البحر المحيط» (١٠/ ١٢٧)، و«الإتحاف» (ص٤١٢)، و«المحرر الوجيز» (١٥/ ٤٧٤). وهي المتواترة أما القراءة بالجمع فهي شاذة.

(٢) انظر: المصادر المتقدمة.

(٣) في «تفسيره» (٢٠/ ٣١٢).

(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٣١٢ ـ ٣١٣)، و«روح المعاني» (٢٦/ ٥١٤).

ثم خوفهم سبحانه، فقال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾، فيجزيكم بأعمالكم.

ثم بيّن سبحانه أن ما يفعله اليهود والمنافقون من التناجي هو من جهة الشيطان، فقال: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَىٰ﴾ يعني: بالإثم والعدوان، ومعصية الرسول ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ لا من غيره؛ أي: من تزيينه وتسويله.

﴿لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾؛ أي: لأجل أن يوقعهم في الحزن بما يحصل لهم من التوهم أنّها في مكيدة يُكادون بها ﴿وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا﴾ أو وليس الشيطان، أو التناجي الذي يزينه الشيطان بضارّ المؤمنين شيئًا من الضرر ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾؛ أي: بمشيئته، وقيل: بعلمه ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: يكلون أمرهم إليه، ويفوّضونه في جميع شؤونهم، ويستعيذون بالله من الشيطان، ولا يبالون بما يزينه من النجوى.

وقد أخرج أحمد، وعبد بن حميد، والبزار، وابن المنذر، والطبراني، وابن مردويه، والبيهقي في «الشعب». قال السيوطي(١): بسندٍ جيد عن ابن عمر(٢): إن اليهود كانوا يقولون لرسول الله ﷺ: السام عليك، يريدون بذلك شتمه، ثم يقولون في أنفسهم: لولا يعذبنا الله بما نقول، فنزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾.

وأخرج أحمد، وعبد بن حميد، والبخاري، والترمذي وصححه عن أنس(٣): «أن يهودياً أتى النبيّ ﷺ وأصحابه فقال: السام عليكم، فردّ عليه القوم، فقال النبيّ ﷺ: هل تدرون ما قال هذا؟ قالوا: الله أعلم، سلم يا نبيّ الله، قال: لا، ولكنه قال كذا، وكذا، ردّوه عليّ فردّوه، قال: قلت: السام عليكم؟ قال: نعم، قال النبيّ ﷺ عند ذلك: إذا سلم عليكم أحد من أهل الكتاب، فقولوا: عليك ما قلت. قال: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾».

---

(١) في «الدر المنثور» (٨/ ٨٠).

(٢) أخرجه أحمد رقم (٦٥٨٩)، والبزار في «مسنده» رقم (٢٤١٠)، والطبراني ـ كما في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٢١، ١٢٢) ـ، والبيهقي رقم (٩١٠٠). وهو حديث صحيح.

(٣) أخرجه أحمد رقم (١٢٤٢٧، ١٢٤٦٧، ١٢٩٠٥)، والبخاري رقم (٦٩٢٦)، والترمذي رقم (٣٣٠١).

[وفي هذا إشارة إلى أدب النبيّ ﷺ]:

وأخرج البخاري، ومسلم، وغيرهما عن عائشة[(١)] قالت: «دخل على رسول الله ﷺ يهود، فقالوا: السام عليك يا أبا القاسم، فقالت عائشة: عليكم السام واللعنة، فقال: يا عائشة إنّ الله لا يحب الفُحْش ولا المتفحش، قلت: ألا تسمعهم يقولون السام؟ فقال رسول الله ﷺ: أو ما سمعتني أقول وعليكم: فأنزل الله: ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾».

وأخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس[(٢)] في هذه الآية قال: كان المنافقون يقولون لرسول الله ﷺ إذا حيّوه: سام عليك، فنزلت.

وأخرج ابن مردويه[(٣)] عنه قال: «كان النبيّ ﷺ إذا بعث سرية وأغزاها، التقى المنافقون، فأنَغضُوا رؤوسهم إلى المسلمين، ويقولون: قُتل القوم، وإذا رأوا رسول الله ﷺ تناجوا وأظهروا الحُزنَ، فبلغ ذلك من النبيّ ﷺ ومن المسلمين، فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾ الآية.

وأخرج البخاري، ومسلم، وغيرهما عن ابن مسعود[(٤)] قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كنتم ثلاثة، فلا يتناجى اثنان دون الثالث، فإن ذلك يحزنه».

وأخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه عن أبي سعيد[(٥)] قال: كنا نتناوب رسول الله ﷺ يطرقه أمر، أو يأمر بشيء، فكثر أهل النُّوب [٤/١٣٣] والمحتسبون ليلةً حتى إذا كنا أنداء نتحدّث، فخرج علينا رسول الله ﷺ من الليل فقال: ما هذه النجوى؟ ألم تنهوا عن النجوى؟ قلنا: يا رسول الله إنا كنا في ذكر المسيح فرقاً منه، فقال: ألا أخبركم مما هو أخوف عليكم عندي منه؟ قلنا: بلى يا رسول الله. قال: الشرك الخفيّ أَنْ يقوم الرجل يعمل لمكان رجل». قال ابن كثير[(٦)]: هذا إسناد غريب، وفيه بعض الضعفاء.

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٦٠٢٤، ٦٢٥٦)، ومسلم رقم (٢١٦٠)، وابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير (١٣/ ٤٥٣) ـ، والبيهقي رقم (٩٠٩٨، ٩٠٩٩).

(٢) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٨١).

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور (٨/ ٨١).

(٤) أخرجه البخاري رقم (٦٢٩٠)، ومسلم رقم (٢١٨٤).

(٥) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٨٢).

(٦) في «تفسيره» (١٣/ ٤٥٣).

[من أدب الإسلام في المجالسة]:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٢ ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٣﴾.

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ﴾ يقال: فسح له يَفْسَح فَسْحاً؛ أي: وسّع له، ومنه قولهم بلد فسيح. أمر الله سبحانه بحسن الأدب مع بعضهم بعضاً بالتوسعة في المجلس، وعدم التضايق فيه. قال قتادة(١)، ومجاهد(٢)، والضحاك(٣): كانوا يتنافسون في مجلس النبيّ ، فأمروا أن يفسح بعضهم لبعض.

وقال الحسن، ويزيد بن أبي حبيب(٤): هو مجلس القتال إذا اصطفوا للحرب كانوا يتشاحون على الصفّ الأوّل، فلا يوسع بعضهم لبعض رغبة في القتال؛ لتحصيل الشهادة ﴿فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ﴾؛ أي: فوسّعوا يوسع الله لكم في الجنة، أو في كلّ ما تريدون التفسح فيه من المكان والرزق وغيرهما.

قرأ الجمهور(٥): «تفسّحوا في المجلس» وقرأ السلمي، وزرّ بن حبيش، وعاصم: «في المجالس» على الجمع(٦)؛ لأن لكلّ واحد منهم مجلساً، وقرأ قتادة، والحسن، وداود بن أبي هند، وعيسى بن عمر: «تفاسحوا»(٧) قال الواحدي(٨): والوجه التوحيد في المجلس؛ لأنّه يعني به مجلس النبيّ ﷺ.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٤٧٧) بسند صحيح.
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٤٧٦ ـ ٤٧٧) بسند صحيح.
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٤٧٧) بسند حسن.
(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٣١٦)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ٣٧٨).
(٥) «البحر المحيط» (١٠/ ١٢٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٣١٦).
(٦) «التيسير» (ص٢٠٩)، و«البحر المحيط» (١٠/ ١٢٧).
(٧) «القراءات الشاذة» (ص١٥٣)، و«المحتسب» (٢/ ٣١٥)، و«البحر المحيط» (١٠/ ١٢٧). وهي قراءة شاذة.
(٨) في «الوسيط» (٤/ ٢٦٥).

وقال القرطبي[(١)]: الصحيح في الآية أنَّها عامة في كلّ مجلس اجتمع فيه المسلمون للخير والأجر، سواء كان مجلس حرب، أو ذكر، أو يوم الجمعة، وأن كلّ واحد أحقّ بمكانه الذي سبق إليه، ولكن يوسع لأخيه ما لم يتأذّ بذلك، فيخرجه الضيق عَنْ موضعه، ويؤيد هذا حديث ابن عمر[(٢)] عند البخاري، ومسلم، وغيرهما عن النبيّ ﷺ أنه قال: «لا يقم الرجل الرجل من مجلسه، ثم يجلس فيه، ولكن تفسّحوا وتوسعوا».

﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ﴾ قرأ الجمهور[(٣)] بكسر الشين فيها، وقرأ نافع، وابن عامر، وعاصم بضمها[(٤)] فيهما، وهما لغتان بمعنى واحد، يقال: نشز[(٥)]؛ أي: ارتفع، ينشِز وينشُز كعكَف يعكُف ويعكِفُ، والمعنى: إذا قيل لكم: انهضوا، فانهضوا.

قال جمهور المفسرين[(٦)]: أي: انهضوا إلى الصلاة، والجهاد، وعمل الخير. وقال مجاهد[(٧)]، والضحاك، وعكرمة: كان رجال يتثاقلون عن الصلاة، فقيل لهم: إذا نودي للصلاة، فانهضوا.

وقال الحسن[(٧)]: انهضوا إلى الحرب.

وقال ابن زيد[(٨)]: هذا في بيت النبيّ ﷺ، كان كل رجل منهم يحب أن يكون آخر عهده بالنبيّ ﷺ، فقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ﴾ عن النبي ﷺ ﴿فَٱنشُزُواْ﴾ فإن له حوائج، فلا تمكثوا.

وقال قتادة[(٩)]: المعنى: أجيبوا إذا دُعيتم إلى أمر بمعروف، والظاهر حمل الآية على العموم.

---

(١) في «تفسيره» (٢٠/ ٣١٧).
(٢) أخرجه البخاري رقم (٦٢٦٩)، ومسلم رقم (٢١٧٧).
(٣) «النشر» (٢/ ٣٨٥)، و«التيسير» (ص٢٠٩)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣١٦).
وقراءة عاصم بالضم إنما هي من رواية حفص أما رواية أبي بكر شعبة فهي بكسر الشين.
(٤) انظر: المصادر المتقدمة.
(٥) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٨٠٦).
(٦) معالم التنزيل (٨/ ٥٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٣١٨).
(٧) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢٦٥).
(٨) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٤٨٠) بسند صحيح.
(٩) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٤٧٩)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٨٠) بسند صحيح.

والمعنى: إذا قيل لكم: انهضوا إلى أمر من الأمور الدينية، فانهضوا ولا تتثاقلوا، ولا يمنع[١] من حملها على العموم كون السبب خاصّاً، فإن الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، كما هو الحق، ويندرج ما هو سبب النزول فيها اندراجاً أوّليّاً، وهكذا يندرج ما فيه السّياق، وهو التفسيح في المجلس اندراجاً أوّليّاً، وقد قدّمنا أن معنى نشز[٢]: ارتفع، وهكذا يقال: نشز ينشز: إذا تنحى عن موضعه، ومنه امرأة ناشز؛ أي: متنحية عن زوجها، وأصله مأخوذ من النشز، وهو ما ارتفع من الأرض وتنحى، ذكر معناه النحاس[٣].

﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ﴾ في الدنيا والآخرة بتوفير نصيبهم فيهما ﴿وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾؛ أي: ويرفع الذين أوتوا العلم منكم درجات عالية في الكرامة في الدنيا، والثواب في الآخرة.

ومعنى الآية أنّه يرفع الذين آمنوا على مَنْ لم يؤمن درجات، ويرفع الذين أوتوا العلم على الذين آمنوا درجاتٍ، فمن جمع بين الإيمان والعلم رفعه الله بإيمانه درجات، ثم رفعه بعلمه درجات.

وقيل: المراد بالذين آمنوا من الصحابة، وكذلك الذين أوتوا العلم، وقيل: المراد بالذين أوتوا العلم الذين قرءوا القرآن.

والأولى[٤] حمل الآية على العموم في كل مؤمن، وكل صاحب علم من علوم الدين من جميع أهل هذه الملة، ولا دليل يدلّ على تخصيص الآية بالبعض دون البعض، وفي هذه الآية فضيلة عظيمة للعلم وأهله، وقد دلّ على فضله وفضلهم آيات قرآنية وأحاديث نبوية.

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ لا يخفى عليه شيء من أعمالكم من خير وشرّ، فهو مجازيكم بالخير خيراً وبالشرّ شرّاً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً﴾ المناجاة[٥]: المسارة، والمعنى: إذا أردتم مسارة الرسول في أمر من أموركم، فقدّموا بين يدي مسارتكم له صدقة.

---

(١) «روح المعاني» (٢٦/٥١٦).
(٢) «تهذيب اللغة» (١١/٣٠٤).
(٣) في «إعراب القرآن» له (٤/٣٧٩).
(٤) «أحكام القرآن» لابن العربي (٤/١٧٤٩).
(٥) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٧٩٣)، و«تهذيب اللغة» (١١/١٩٨).

قال الحسن[١]: نزلت بسبب أن قوماً من المسلمين كانوا يستخلون النبيّ ﷺ يناجونه، فظنّ بهم قوم من المسلمين أنهم ينتقصونهم في النجوى، فشقّ عليهم ذلك، فأمرهم الله بالصدقة عند النجوى؛ لتقطعهم عن استخلائه.

وقال زيد بن أسلم[٢]: نزلت بسبب أن المنافقين واليهود كانوا يناجون النبيّ ﷺ، ويقولون: إنه أذن يسمع كل ما قيل له، وكان لا يمنع أحداً من مناجاته، وكان ذلك يشقّ على المسلمين؛ لأن الشيطان كان يلقي في أنفسهم أنهم ناجوه بأن جموعاً اجتمعت لقتاله، فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾ [المجادلة: ٩]، فلم ينتهوا، فأنزل الله هذه الآية، فانتهى أهل الباطل عن النجوى؛ لأنهم لم يقدّموا بين يدي نجواهم صدقة، وشقّ ذلك على أهل الإيمان، وامتنعوا عن النجوى لضعف كثير منهم عن الصدقة، فخفف الله عنهم بالآية التي بعد هذه.

والإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى ما تقدّم من تقديم الصدقة بين يدي النجوى، وهو مبتدأ وخبره ﴿خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ﴾ لما فيه من طاعة الله، وتقييد الأمر بكون امتثاله خيراً لهم من عدم الامتثال، وأطهر لنفوسهم يدل على أنه أمر ندب لا أمر وجوب.

﴿فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ يعني: مَنْ كان منهم لا يجد تلك الصدقة المأمور بها بين يدي النجوى، فلا حرج عليه في النجوى بدون صدقة.

﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ﴾؛ أي: أخفتم الفقر والعيلة؛ لأن تقدّموا ذلك؟ والإشفاق: الخوف من المكروه، والاستفهام للتقرير.

وقيل المعنى: أبخلتم؟ وجمع[٣] الصدقات هنا باعتبار المخاطبين. قال مقاتل بن حيان[٤]: إنما كان ذلك عشر ليالٍ، ثم نسخ. وقال الكلبي[٥]: ما كان ذلك إلّا ليلة واحدة.

---

(١) «النكت والعيون» (٥/ ٤٩٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٣٢٢).

(٢) ذكره ابن العربي في «أحكام القرآن» (٤/ ١٧٥٠).

(٣) «روح المعاني» (٢٦/ ٥٢٢)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٢٩٦).

(٤) «معالم التنزيل» (٨/ ٦١).

(٥) ذكره البغوي في «تفسيره» (٨/ ٦١) عن الكلبي بلفظ: «ما كانت إلا ساعة من نهار».

وقال قتادة[١]: ما كان إلّا ساعة من النهار.

﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ ما أمرتم به من الصدقة بين يدي النجوى، وهذا خطاب لمن وجد ما يتصدق به، ولم يفعل، وأما من لم يجد، فقد تقدّم الترخيص له بقوله: ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ بأن رخص لكم في الترك، و«وإذ» على بابها في الدلالة على المضيّ.

وقيل: هي بمعنى إذا، وقيل: بمعنى إن، و(تاب) معطوف على ﴿لَمْ تَفْعَلُوا﴾؛ أي: وإذا لم تفعلوا، وإذ تاب عليكم.

﴿فَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا ٱلزَّكَوٰةَ﴾ والمعنى: إذا وقع منكم التثاقل عن امتثال الأمر بتقديم الصدقة بين يدي النجوى، فاثبتوا على إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وطاعة الله ورسوله، فيما تؤمرون به وتنهون عنه.

﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ لا يخفى عليه من ذلك شيء، فهو مُجازيكم، وليس في الآية ما يدلّ على تقصير المؤمنين في امتثال هذا الأمر، أمّا الفقراء منهم، فالأمر واضح، وأما من عداهم من المؤمنين، فإنهم لم يكلفوا بالمناجاة حتى تجب عليهم الصدقة بل أمروا بالصدقة إذا أرادوا المناجاة فمن ترك المناجاة، فلا يكون مقصراً في امتثال الأمر بالصدقة، على أن في الآية ما يدل على أن الأمر للندب، كما قدّمنا.

[لا يجوز النسخ إلا بعد إمكان الفعل]:

وقد استدلّ بهذه الآية مَنْ قال بأنه يجوز النسخ قبل إمكان الفعل، وليس هذا الاستدلال بصحيح، فإن النسخ لم يقع إلّا بعد[٢] إمكان الفعل، وأيضاً قد فعل ذلك البعضُ، فتصدّق بين يدي نجواه، كما سيأتي.

وقد أخرج ابن أبي حاتم[٣] عن مقاتل بن حيان قال: أنزلت هذه الآية ﴿إِذَا

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٨٠) بسند صحيح.

(٢) «الناسخ والمنسوخ» للنحاس (٣/ ٥٣)، و«إرشاد الفحول» (ص٦١٤ ـ ٦١٦) ط ابن كثير، و«شرح الكوكب المنير» (٣/ ٥٤٠ ـ ٥٤١).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٣/ ٤٥٧) ـ بسند ضعيف لإعضاله.

قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلْمَجَٰلِسِ﴾ يوم جمعة، ورسول الله ﷺ يومئذٍ في الصُّفَّة، وفي المكان ضيق، وكان يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار، فجاء ناس من أهل بدر، وقد سُبقوا إلى المجالس، فقاموا حيال رسول الله ﷺ فقالوا: السلام عليك أيها النبيّ ورحمة الله وبركاته، فردّ النبيّ ﷺ عليهم، ثم سلموا على القوم بعد ذلك، فردّوا عليهم، فقاموا [٤/١٣٤] على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم، فعرف النبي ﷺ ما يحملهم على القيام، فلم يفسح لهم، فشق ذلك عليه، فقال لمن حوله من المهاجرين والأنصار من غير أهل بدر: «قم يا فلان، وأنت يا فلان، فلم يزل يقيمهم بعدّة النفر الذين هم قيام من أهل بدر، فشقّ ذلك على مَنْ أُقيم من مجلسه، فنزلت هذه الآية».

وأخرج ابن جرير(١) عن ابن عباس في الآية قال: ذلك في مجلس القتال ﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ﴾ قال: إلى الخير والصلاة.

وأخرج ابن المنذر، والحاكم وصححه، والبيهقي في «المدخل» عن ابن عباس(٢) في قوله: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ﴾ قال: يرفع الله الذين أوتوا العلم من المؤمنين على الذين لم يؤمنوا درجات.

وأخرج سعيد بن منصور، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن مسعود(٣) في تفسير هذه الآية قال: يرفع الله الذين آمنوا منكم، وأوتوا العلم على الذين آمنوا ولم يؤتوا العلم درجات.

وأخرج ابن المنذر(٤) عنه قال: ما خصّ الله العلماء في شيء من القرآن ما خصّهم في هذه الآية، فضل الله الذين آمنوا وأوتوا العلم على الذين آمنوا ولم يؤتوا العلم.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس(٥) في قوله: ﴿إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ﴾ الآية قال: إنّ المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله ﷺ حتى

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/٤٧٨ ـ ٤٧٩) بسند ضعيف.

(٢) أخرجه الحاكم (٢/٤٨١)، والبيهقي رقم (٣٤١).

(٣) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٨/٨٣).

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/٨٣).

(٥) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٨/٨٣).

شقّوا عليه، فأراد الله أن يخفف عن نبيه، فلما قال ذلك امتنع كثير من الناس، وكفوا عن المسألة، فأنزل الله بعد هذا ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ﴾ الآية، فوسع الله عليهم ولم يضيق.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، والترمذي وحسنه، وأبو يعلى، وابن جرير، وابن المنذر، والنحاس، وابن مردويه عن عليّ بن أبي طالب[1] قال: لما نزلت: «﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ﴾ قال لي النبيّ ﷺ: ما ترى دينار؟ قلتُ: لا يطيقونه. قال: فنصف دينار؟ قلت: لا يطيقونه، قال: فكم؟ قلت: شعيرة، قال: إنّك لزهيد، قال: فنزلت ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ﴾ الآية، فبي خفّف الله عن هذه الأمة»، والمراد بالشعيرة هنا: وزن شعيرة مِنْ ذهب، وليس المراد واحدة من حبّ الشعير.

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عنه[2] قال: ما عمل بها أحد غيري حتى نسخت، وما كانت إلّا ساعة، يعني: آية النجوى.

وأخرج سعيد بن منصور، وابن راهويه، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصحّحه، وابن مردويه[3] عنه أيضاً قال: إن في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي، ولا يعمل بها أحد بعدي، آية النجوى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ﴾ كان عندي دينار، فبعته بعشرة دراهم، فكنت كلما ناجيت رسول الله ﷺ قدّمت بين يدي نجواي درهماً، ثم نسخت، فلم يعمل بها أحد، فنزلت: ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ﴾ الآية.

وأخرج الطبراني، وابن مردويه. قال السيوطي[4]: بسندٍ ضعيف عن سعد بن

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (١٢/ ٨١، ٨٢)، وعبد بن حميد رقم (٩٠ ـ المنتخب)، والترمذي رقم (٣٣٠٠)، وأبو يعلى رقم (٤٠٠)، وابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٤٨٤، ٤٨٥)، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (٣/ ٥٣) بسند ضعيف.

(٢) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٨٣ ـ ٨٤)، أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٨٠).

(٣) أخرجه ابن راهويه ـ كما في «المطالب العالية» رقم (٤١٤٠) ـ، وابن أبي شيبة (١٢/ ٨١)، والحاكم (٢/ ٤٨١، ٤٨٢) بسند ضعيف. وهو حديث حسن لغيره.

(٤) في «الدر المنثور» (٨/ ٨٤).

أبي وقاص[(١)] قال: نزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ﴾، فقدمت شعيرة، فقال رسول الله ﷺ: إنك لزهيد، فنزلت الآية الأخرى ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ﴾.

[موالاة غير المؤمنين]:

﴿۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدًاۖ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٦﴾ لَّن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحۡلِفُونَ لَكُمۡۖ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍۚ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴿٢١﴾ لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

قوله: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا﴾؛ أي: والوهم. قال قتادة[(٢)]: هم المنافقون تولّوا اليهود. وقال السديّ[(٣)]، ومقاتل[(٤)]: هم اليهود تولوا المنافقين، ويدلّ على الأوّل قوله: ﴿غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾ فإنّ المغضوب عليهم هم اليهود، ويدلّ على الثاني قوله: ﴿مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ﴾ فإن هذه صفة المنافقين، كما قال الله فيهم: ﴿مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ﴾ [النساء: ١٤٣].

وجملة: ﴿مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ﴾ في محل نصب[(٥)] على الحال، أو هي مستأنفة.

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» رقم (٣٣١).
(٢) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٤٨٧)، وعبد الرزاق في «تفسير» (٢/ ٢٨٠) بسند صحيح.
(٣) «معالم التنزيل» (٨/ ٦١).
(٤) ذكره القرطبي «تفسيره» (٢٠/ ٣٢٦).
(٥) «روح المعاني» (٢٦/ ٥٢٤).

﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ﴾؛ أي: يحلفون أنَّهم مسلمون، أو يحلفون أنهم ما نقلوا الأخبار إلى اليهود، والجملة عطف على تولّوا داخلة في حكم التعجيب من فعلهم، وجملة: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ في محل نصب[١] على الحال؛ أي: والحال أنهم يعلمون بُطلان ما حلفوا عليه، وأنّه كذب لا حقيقة له.

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ بسبب هذا التولّي والحلف على الباطل ﴿إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ مِنْ الأعمال القبيحة.

﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُمْ جُنَّةً﴾ قرأ الجمهور[٢]: «أَيمانهم» بفتح الهمزة جمع يمين، وهي ما كانوا يحلفون عليه من الكذب بأنهم من المسلمين توقياً من القتل، فجعلوا هذه الأيمان وقايةً وسترة دون دمائهم، كما يجعل المقاتل الجُنّة وقاية له من أن يصاب بسيف أو رمح أو سهم.

وقرأ الحسن، وأبو العالية: «إِيمانهم» بكسر الهمزة[٣]؛ أي: جعلوها تصديقهم جُنّة من القتل، فآمنت ألسنتهم من خوف القتل، ولم تؤمن قلوبهم.

﴿فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: مُنعوا الناس عن الإسلام بسبب ما يصدر عنهم من التثبيط، وتهوين أمر المسلمين، وتضعيف شوكتهم، وقيل: المعنى: فصدّوا المسلمين عن قتالهم بسبب إظهارهم للإسلام.

﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾؛ أي: يهينهم ويخزيهم، قيل: هو تكرير لقوله: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ للتأكيد، وقيل: الأوّل: عذاب القبر، وهذا عذاب الآخرة، ولا وجه للقول بالتكرار[٤]، فإنّ العذاب الموصوف بالشدّة غير العذاب الموصوف بالإهانة.

﴿لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾؛ أي: لن تغني عنهم من عذابه شيئًا من الإغناء. قال مقاتل[٥]: قال المنافقون: إن محمداً يزعم أنه ينصر يوم القيامة لقد شقينا إذن، فوالله لنُنصرن يوم القيامة بأنفسنا، وأموالنا، وأولادنا إن كانت

---

(١) «روح المعاني» (٢٦/ ٥٢٤).
(٢) «البحر المحيط» (١٠/ ١٣٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٣٢٦).
(٣) «المحتسب» (٢/ ٣١٥)، و«حاشية الشهاب» (٨/ ٧٣). القراءة بكسر الهمزة شاذة.
(٤) ذكره الألوسي في «روح المعاني» (٢٦/ ٥٢٤).
(٥) «المحرر الوجيز» (١٥/ ٤٥٤).

قيامة، فنزلت الآية ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الموصوفون بما ذكر ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ﴾ لا يفارقونها ﴿هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ لا يخرجون منها.

﴿يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا﴾ الظرف منصوب بقوله: ﴿مُّهِينٞ﴾، أو بمقدّر؛ أي: اذكر.

﴿فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحۡلِفُونَ لَكُمۡۖ﴾؛ أي: يحلفون لله يوم القيامة على الكذب كما يحلفون لكم في الدنيا، وهذا مِنْ شدّة شقاوتهم ومزيد الطبْع على قلوبهم، فإن يوم القيامة قد انكشفت الحقائق وصارت الأمور معلومة بضرورة المشاهدة، فكيف يجترئون على أن يكذبوا في ذلك الموقف ويحلفون على الكذب.

﴿وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍۚ﴾؛ أي: يحْسبون في الآخرة أَنّهم بتلك الأيمان الكاذبة على شيء مما يجلب نفعاً، أو يدفع ضرراً، كما كانوا يحسبون ذلك في الدنيا ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ﴾؛ أي: الكاملون في الكذب المتهالكون عليه، البالغون فيه إلى حدّ لم يبلغ غيرهم إليه بإقدامهم عليه، وعلى الأيمان الفاجرة في موقف القيامة بين يدي الرحمٰن.

﴿ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾؛ أي: غلَب عليهم[1] واستعلى واستولى. قال المبرّد[2]: استحوذ على الشيء، حواه وأحاط به، وقيل: قوي عليهم، وقيل: جمعهم، يقال: أحوذ الشيء؛ أي: جمعه وضمّ بعضه إلى بعض، والمعاني متقاربة؛ لأنه إذا جمعهم فقد قوي عليهم وغلبهم، واستعلى عليهم واستولى، وأحاط بهم.

﴿فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ﴾؛ أي: أوامره والعمل بطاعاته، فلم يذكروا شيئًا من ذلك، وقيل: زواجره في النهي عَنْ معاصيه، وقيل: لم يذكروه بقلوبهم ولا بألسنتهم.

والإشارة بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إلى المذكورين الموصوفين بتلك الصفات، وهو مبتدأ، وخبره: ﴿حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾؛ أي: جنوده، وأتباعه، ورهطه.

﴿أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾؛ أي: الكاملون في الخُسْران حتى كأن خسران غيرهم بالنسبة إلى خسرانهم ليس بخسران؛ لأَنّهم باعوا الجنة والهدى بالضلالة، وكذبوا على الله وعلى نبيه، وحلفوا الأيمان الفاجرة في الدنيا والآخرة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ تقدّم معنى المحادّة لله ولرسوله في أوّل هذه

---

(١) «النكت والعيون» (٥/ ٤٩٤).

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢٦٧)، و«زاد المسير» (٨/ ١٩٧).

السورة، والجملة تعليل لما قبلها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْأَذَلِّينَ﴾؛ أي: أولئك المحادّون لله ورسوله، المتصفون [٤/١٣٥] بتلك الصفات المتقدّمة من جملة مَنْ أذله الله من الأمم السابقة واللاحقة؛ لأنهم لما حادّوا الله ورسوله صاروا من الذلّ بهذا المكان.

قال عطاء[١]: يريد الذلّ في الدنيا، والخزي في الآخرة.

﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ﴾ الجملة مستأنفة لتقرير ما قبلها مع كونهم في الأذلّين؛ أي: كتب في اللوح المحفوظ، وقضى[٢] في سابق علمه: لأغلبنّ أنا ورسلي بالحُجّة والسيف. قال الزجاج[٣]: معنى غلبة الرسل على نوعين: من بعث منهم بالحرب، فهو غالب في الحرب، ومَنْ بعث منهم بغير الحرب، فهو غالب بالحجة.

قال الفراء[٤]: كتب بمعنى قال، وقوله: ﴿أَنَا۠﴾ توكيد، ثم ذكر مثل قول الزجاج.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ فهو قويّ على نصر أوليائه، غالب لأعدائه لا يغلبه أحد.

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ الخطاب لرسول الله ﷺ، أو لكل مَنْ يصلح له؛ أي: يحبون ويوالون من عادى الله ورسوله وشاقهما.

وجملة: ﴿يُوَآدُّونَ﴾ في محل نصب[٥] على أنها المفعول الثاني لـ﴿تَجِدُ﴾ إن كان متعدّياً إلى مفعولين، أو في محل نصب على الحال إن كان متعدّياً إلى مفعول واحد، أو صفة أخرى لقوماً؛ أي: جامعون بين الإيمان والموادّة لمن حادّ الله ورسوله.

﴿وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْۚ﴾؛ أي: ولو كان المحادّون لله ورسوله آباء الموادّين، إلخ، فإن الإيمان يزجر عن ذلك، ويمنع منه، ورعايته أقوى من رعاية الأبوّة والبنوّة والأخوّة والعشيرة.

---

(١) «الوسيط» (٤/ ٢٦٨)، و«معالم التنزيل» (٨/ ٦١).
(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٣٢٨).
(٣) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ١٤١).
(٤) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٤٢).
(٥) «التبيان» (٢/ ١٢١٤)، الفريد (٤/ ٤٤٤)، و«روح المعاني» (٢٦/ ٥٣٠).

﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾ يعني: الذين لا يوادّون من حادّ الله ورسوله.

ومعنى ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾: خلقه، وقيل: أثبته، وقيل: جعله، وقيل: جمعه، والمعاني متقاربة ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ﴾ قوّاهم بنصر[1] منه على عدوّهم في الدنيا، وسُمّى نصره لهم روحاً؛ لأن به يحيا أمرهم، وقيل: هو نور القلب.

وقال الربيع بن أنس[2]: بالقرآن والحجة، وقيل: بجبريل، وقيل: بالإيمان، وقيل: برحمة.

قرأ الجمهور[3]: «كتب» مبنيّاً للفاعل، ونصب ﴿ٱلۡإِيمَٰنَ﴾ على المفعولية. وقرأ زرّ بن حبيش، والمفضل عن عاصم على البناء للمفعول[4]، ورفع ﴿ٱلۡإِيمَٰنَ﴾ على النيابة.

وقرأ زرّ بن حبيش: «عشيراتهم» بالجمع[5]، ورويت هذه القراءة عن عاصم.

﴿وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ﴾ على الأبد ﴿رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ﴾؛ أي: قَبِل أعمالهم، وأفاض عليهم آثار رحمته العاجلة والآجلة ﴿وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾؛ أي: فرحوا بما أعطاهم عاجلاً وآجلاً ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ﴾؛ أي: جنده الذين يمتثلون أوامره، ويقاتلون أعداءه، وينصرون أولياءه، وفي إضافتهم إلى الله سبحانه تشريف لهم عظيم، وتكريم فخيم ﴿أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾؛ أي: الفائزون بسعادة الدنيا والآخرة، الكاملون في الفلاح الذين صار فلاحهم هو الفرد الكامل، حتى كان فلاح غيرهم بالنسبة إلى فلاحهم كَلَا فلاح.

وقد أخرج أحمد، والبزار، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل» عن ابن عباس[6] قال: «كان رسول الله ﷺ

---

(١) «النكت والعيون» (٥/ ٤٩٦).
(٢) «معالم التنزيل» (٨/ ٦٣).
(٣) «البحر المحيط» (١٠/ ١٣١)، و«النشر» (١/ ٢٧٤).
(٤) «روح المعاني» (٢٦/ ٥٣٢)، و«معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٤٢). القراءة بالبناء للمفعول شاذة، وهي رواية شاذة عن عاصم والمتواتر عنه كقراءة الجمهور.
(٥) «روح المعاني» (٢٦/ ٥٣٢).
(٦) أخرجه أحمد رقم (٢١٤٧، ٢٤٠٧، ٢٤٠٨، ٣٢٧٧)، والبزار رقم (٢٢٧٠ ـ كشف)، =

جالساً في ظلّ حُجْرة من حُجَرِه، وعنده نفر مِنْ المسلمين، فقال: إنه سيأتيكم إنسان، فينظر إليكم بعين شيطان، فإذا جاءكم، فلا تكلموه، فلم يلبثوا أن طلع عليهم رجل أزرق، فقال حين رآه: علام تشتمني أنت وأصحابك؟ فقال: ذرني آتيك بهم، فحلفوا، واعتذروا، فأنزل الله: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ الآية والتي بعدها.

وأخرج ابن أبي حاتم، والطبراني، والحاكم، وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي في «سننه» عن عبد الله بن شوذب[1] قال: جعل والد أبي عبيدة بن الجرّاح يتقصد لأبي عبيدة يوم بدر، وجعل أبو عبيدة يحيد عنه، فلما أكثر قصده أبو عبيدة، فقتله، فنزلت: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ الآية.

❁ ❁ ❁

= والطبراني رقم (١٢٣٠٧ ـ ١٢٣٠٩)، وابن مردويه ـ كما في تخريج أحاديث الكشاف (٣/ ٤٣١، ٤٣٢) ـ، والحاكم (٢/ ٤٨٢)، والبيهقي (٥/ ٢٨٢، ٢٨٣)، وابن أبي حاتم ـ كما في تفسير ابن كثير (١٣/ ٤٦٦) ـ بسند حسن.

(١) أخرجه الطبراني رقم (٩/ ٣٦٠)، والحاكم (٣/ ٢٦٤)، وأبو نعيم (١/ ١٠١)، والبيهقي (٩/ ٣٧)، وابن عساكر (٢٥/ ٤٤٦، ٤٤٧).

سُورَةُ الحَشْرِ

هي أربع وعشرون آية وهي مدنية. قال القرطبي[(١)]: في قول الجميع.

وأخرج ابن الضريس، والنّحاس، وابن مردويه، والبيهقي عن ابن عباس[(٢)] قال: نزلت سورة الحشر بالمدينة.

وأخرج ابن مردويه[(٣)] عن ابن الزبير مثله.

[سورة النضير]:

وأخرج البخاريّ، ومسلم، وغيرهما عن سعيد بن جبير[(٤)] قال: قلت لابن عباس: سورة الحشر، قال: سورة النضير يعني: أنها نزلت في بني النضير، كما صرح بذلك في بعض الرّوايات.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[إجلاء بني النضير]:

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ۝٢ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ۝٣ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٤ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥﴾.

---

(١) في «تفسيره» (٢٠/ ٣٣٣).

(٢) أخرجه ابن الضريس رقم (١٧، ١٨)، والنحاس (ص٧٠٣)، والبيهقي (٧/ ١٤٢ ـ ١٤٤).

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٨٨).

(٤) أخرجه سعيد بن منصور ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٣/ ٤١٧) ـ، والبخاري رقم (٤٨٨٢)، ومسلم رقم (٣٠٣١)، وابن مردويه ـ كما في «فتح الباري» (٧/ ٣٣٣) من وجه آخر، عن ابن عباس.

[الفيء وحكمه]:

﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾.

قوله: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ قد تقدّم تفسير هذا في سورة الحديد.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ﴾ هم بنو النضير، وهم: رهط من اليهود مِنْ ذرية هارون، نزلوا المدينة في فتن بني إسرائيل انتظاراً منهم لمحمد ﷺ، فغدروا بالنبيّ ﷺ بعد أن عاهدوه، وصاروا عليه مع المشركين، فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى رضوا بالجلاء.

[كان بنو النضير أول من أُجلي من جزيرة العرب]:

قال الكلبي[١]: كانوا أوّل من أجلي من أهل الذمّة من جزيرة العرب، ثم أجلي آخرهم في زمن عمر بن الخطاب، فكان جلاؤهم أوّل حشر من المدينة، وآخر حشر إجلاء عمر لهم.

وقيل: إن أوّل الحشر إخراجهم من حصونهم إلى خيبر[٢]، وآخر الحشر إخراجهم من خيبر إلى الشام، وقيل: آخر الحشر هو حشر جميع الناس إلى أرض المحشر، وهي الشام[٣].

قال عكرمة[٤]: من شك أن المحشر يوم القيامة في الشام، فليقرأ هذه الآية، وأن النبي ﷺ قال لهم: «اخرجوا، قالوا: إلى أين؟ قال: إلى أرض المحشر».

قال ابن العربي[٥]: الحشر: أوّل وأوسط وآخر، فالأوّل: إجلاء بني النضير، والأوسط: إجلاء أهل خيبر، والآخر: يوم القيامة.

---

(١) «الوسيط» للواحدي (٤/ ٢٧٠).
(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٣٣٤).
(٣) «النكت والعيون» (٥/ ٤٩٩).
(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٣٣٤).
(٥) في «أحكام القرآن» (٤/ ٧٥٢).

وقد أجمع المفسرون(١) على أن هؤلاء المذكورين في الآية هم بنو النضير، ولم يخالف في ذلك إلّا الحسن البصري(٢) فقال: هم بنو قريظة، وهو غلط، فإن بني قريظة ما حُشِروا، بل قُتلوا بحكم سعد بن معاذ لما رضوا بحكمه، فحكم عليهم بأن تُقتل مقاتلتُهم، وتُسبى ذراريهم، وتغنم أموالُهم.

فقال رسول الله ﷺ لسعد: «لقد حكمتَ بحكمِ الله مِنْ فوق سبعة أرقعة»(٣). واللّام في لأوّل الحشر متعلقة بأخرج، وهي لام التوقيت كقوله: ﴿لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾ [الإسراء: ٧٨].

﴿مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟﴾ هذا خطاب للمسلمين؛ أي: ما ظننتم أيها المسلمون أن بني النضير يخرجون من ديارهم؛ لعزتهم، ومنعتهم، وذلك أنهم كانوا أهل حصون مانعة وعقار ونخيل واسعة، وأهل عَدد وعدّة.

﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: وظنّ بنو النضير أن حصونهم تمنعهم مِنْ بأس الله، وقوله: ﴿مَّانِعَتُهُمْ﴾ خبر مقدّم(٤)، ﴿حُصُونُهُم﴾ مبتدأ مؤخر، والجملة خبر أنهم.

ويجوز أن يكون مانعتهم خبر ﴿أَنَّهُم﴾، و﴿حُصُونُهُم﴾ فاعل ﴿مَّانِعَتُهُمْ﴾، ورجح الثاني أبو حيان(٥)، والأوّل أولى.

﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟﴾؛ أي: أتاهم أمر الله من حيث لم يخطر ببالهم أنه يأتيهم أمره من تلك الجهة، وهو أنه سبحانه أمر نبيه ﷺ بقتالهم وإجلائهم وكانوا لا يظنون ذلك، وقيل: هو قتل رئيسهم كعب بن الأشرف، قاله ابن جُريج(٦)، والسديّ، وأبو صالح، فإنّ قتله أضعف شوكتهم.

---

(١) «معالم التنزيل» (٨/ ٦٧). (٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٣٣٥).

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٢٢)، والبخاري رقم (١٤٢١)، و(٣٨٠٤)، ومسلم رقم (٦٤/ ١٧٦٨) من حديث أبي سعيد الخدري.

(٤) «الفريد» (٤/ ٤٤٥)، و«التبيان» (٢/ ١٢١٥).

(٥) «البحر المحيط» (١٠/ ١٣٨).

(٦) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٤٩٩) عن ابن جبير والسُّدي.
وذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٣٣٦) عن ابن جريج والسُّدي وأبي صالح.

وقيل: إن الضمير(١) في أتاهم، ولم يحتسبوا للمؤمنين؛ أي: فأتاهم نصر الله من حيث لم يحتسبوا، والأوّل أولى لقوله: ﴿وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ [٤/١٣٦] فإن قذف الرعب كان في قلوب بني النضير، لا في قلوب المسلمين.

قال أهل اللغة(٢): الرعب: الخوفُ الذي يُرعب الصدرَ؛ أي: يملؤه، وقذفُه: إثباتُه فيه. وقيل: كان قذف الرعب في قلوبهم بقتل سيدهم كعب بن الأشرف، والأولى عدم تقييده بذلك، وتفسيره به، بل المراد بالرعب الذي قذفه الله في قلوبهم: هو الذي ثبت في «الصحيح»(٣) من قوله ﷺ: «نُصرتُ بالرعب مسيرة شهر».

﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وذلك أنهم لما أيقنوا بالجلاء حسدوا المسلمين أن يسكنوا منازلهم، فجعلوا يخربونها من داخل، والمسلمون من خارج.

قال قتادة(٤) والضحاك(٥): كان المؤمنون يُخربون من خارج، ليدخلوا، واليهود مِنْ داخل ليبنوا به ما خرب من حصنهم.

قال الزجاج(٦): معنى تخريبها بأيدي المؤمنين أنّهم عرضوها لذلك.

قرأ الجمهور(٧): «يُخْربون» بالتخفيف.

وقرأ الحسن، والسلمي، ونصر بن عاصم، وأبو العالية، وأبو عمرو بالتشديد(٨). قال أبو عمرو(٩): إنما اخترت القراءة بالتشديد(١٠)؛ لأن الإخراب ترك الشيء خراباً، وإنما خرّبوها بالهدم. وليس ما قاله بمسلّم، فإن التخريب والإخراب

---

(١) «التبيان» (٢/ ١٢١٥)، و«الفريد» (٤/ ٤٤٥)، و«البحر المحيط» (١٠/ ١٣٨).
(٢) «تهذيب اللغة» (٢/ ٣٦٧)، و«الصحاح» (١/ ١٣٦ ـ ١٣٧).
(٣) أخرجه (١/ ٣٠١) (٢/ ٢٢٢، ٢٦٤)، والبخاري رقم (٣٣٥، ٤٣٨، ٢٩٨٨، ٦٩٩٨، ٧٢٧٢)، ومسلم رقم (٥/ ٥٢٣)، والترمذي رقم (١٥٥٣). وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، والنسائي (١/ ٢١٠).
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٥٠١) بسند صحيح.
(٥) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٥٠٢) بسند حسن.
(٦) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ١٤٤).
(٧) «التيسير» (ص٢٠٩)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣١٦)، و«جامع البيان» (٢٢/ ٥٠٣).
(٨) انظر: المصادر المتقدمة.
(٩) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٣٣٦).
(١٠) «الحجة» (٦/ ٢٨٣)، و«النكت والعيون» (٥/ ٥٠٠). وهما قراءتان متواترتان.

عند أهل اللغة[١] بمعنى واحد. قال سيبويه[٢]: إنّ معنى فعلتُ وأفعلتُ يتعاقبان نحو أخربته وخرّبته، وأفرحته وفرّحته. واختار القراءة الأولى أبو عبيد[٣]، وأبو حاتم.

قال الزهري[٤]، وابن زيد[٥]، وعروة بن الزبير[٦]: لما صالحهم النبيّ ﷺ على أنّ لهم ما أقلّت الإبلُ كانوا يستحسنون الخشبة، أو العمود، فيهدمون بيوتهم، ويحملون ذلك على إبلهم، ويخرّب المؤمنون باقيها.

وقال الزهري[٧] أيضاً: يخربون بيوتهم بنقض المعاهدة، وأيدي المؤمنين بالمقاتلة، وقال أبو عمرو[٨]: بأيديهم في تركهم لها، وبأيدي المؤمنين في إجلائهم عنها، والجملة إما مستأنفة لبيان ما فعلوه، أو في محل نصب[٩] على الحال.

﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾؛ أي: اتعظوا وتدبّروا، وانظروا فيما نزل بهم يا أهل العقول والبصائر.

قال الواحدي[١٠]: ومعنى الاعتبار: النظر في الأمور ليعرف بها شيء آخر من جنسها.

﴿وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾؛ أي: لولا أن كتب الله عليهم الخروج من أوطانهم على ذلك الوجه، وقضى به عليهم لعذّبهم بالقتل والسبي في الدنيا، كما فعل ببني قريظة. والجلاء مفارقة الوطن، يقال: جلا بنفسه جلاء، وأجلاه غيرُه إجلاءً.

[الفرقُ بين الجلاء والإخراج؟]:

والفرق بين الجلاء والإخراج، وإنْ كان معناهما في الإبعاد واحداً من جهتين:

---

(١) «تهذيب اللغة» (٧/ ٣٥٩)، و«الصحاح» (١/ ١١٨ ـ ١١٩).
(٢) «إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ٣٨٦).
(٣) ذكره عنهما القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٣٣٧).
(٤) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٥٠١)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٨٢) بسند صحيح من طريق معمر، عن الزهري.
(٥) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٥٠٢) بسند صحيح.
(٦) «النكت والعيون» (٥/ ٥٠٠).
(٧) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٣٣٨).
(٨) «أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ١٧٥٤).
(٩) «التبيان» (٢/ ١٢١٥)، و«الفريد» (٢/ ٤٤٦).
(١٠) في «الوسيط» (٤/ ٢٧٠).

إحداهما: أن الجلاء ما كان مع الأهل والولد، والإخراج قد يكون مع بقاء الأهل والولد.

الثاني: أنّ الجلاء لا يكون إلّا لجماعةٍ، والإخراج يكون لجماعة ولواحد، كذا قال الماوردي[(١)].

﴿وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ﴾ هذه الجملة مستأنفة غير متعلقة بجواب «لولا» متضمنة لبيان ما يحصل لهم في الآخرة من العذاب، وإن نجوا من عذاب الدنيا.

والإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى ما تقدّم ذكره من الجلاء في الدنيا، والعذاب في الآخرة ﴿بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾؛ أي: بسبب المشاقة منهم لله ولرسوله بعدم الطاعة، والميل مع الكفار، ونقض العهد ﴿وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ اقتصر[(٢)] هاهنا على مشاقة الله؛ لأن مشاقته مشاقة لرسوله.

قرأ الجمهور[(٣)]: «يُشاقّ» بالإدغام، وقرأ طلحة بن مصرف، ومحمد بن السميفع: «يشاقق» بالفك[(٤)].

﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ قال مجاهد[(٥)]: إنّ بعض المهاجرين وقعوا في قطع النخل، فنهاهم بعضُهم، وقالوا: إنما هي مغانم للمسلمين، وقال الذين قطعوا: بل هو غيظ للعدوّ؛ فنزل القرآن بتصديق مَنْ نهى عن قطع النخل، وتحليل مَنْ قطعه من الإثم فقال: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ﴾.

قال قتادة[(٦)]، والضحاك[(٧)]: إنهم قطعوا من نخيلهم وأحرقوا ست نخلات.

---

(١) في «النكت والعيون» (٥/ ٥٠١).

(٢) والاقتصار على ذكر مشاقَّته ﷺ لتضمُّنها مشاقَّته عليه الصلاة والسلام، وفيه من تهويل أمرها ما فيه، وليوافق قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [البَقَرَة: ٢١١]. «روح المعاني» (٢٧/ ١٥)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٣٠٤).

(٣) «البحر المحيط» (٢٦/ ١٣٨).

(٤) «إعراب القراءات الشواذ» (٢/ ٥٧٢)، و«روح المعاني» (٢٧/ ١٥)، و«مجمع البيان» (٢٨/ ٢٢). القراءة بالفك شاذة.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٥١١) بسند صحيح.

(٦) «النكت والعيون» (٥/ ٥٠١).

(٧) «النكت والعيون» (٥/ ٥٠١)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٣٤٠).

وقال محمد بن إسحاق[١]: إنهم قطعوا نخلة وأحرقوا نخلة، فقال بنو النضير، وهم أهل كتاب: يا محمد ألستَ تزعم أنّك نبيّ تريد الصلاح، أفمن الصلاح قطع النخل، وحرق الشجر؟، وهل وجدتَ، فيما أُنزل عليك إباحة الفساد في الأرض؟ فشقّ ذلك على رسول الله ﷺ، ووجد المسلمون في أنفسهم، فنزلت الآية.

ومعنى الآية: أيّ شيء قطعتم من ذلك أو تركتم فبإذن الله، والضمير في تركتموها عائد إلى «ما» لتفسيرها باللّيّنة، وكذا في قوله: ﴿قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا﴾، ومعنى ﴿عَلَىٰٓ أُصُولِهَا﴾: أنها باقية على ما هي عليه.

واختلف[٢] المفسرون في تفسير اللينة، فقال الزهري[٣]، ومالك، وسعيد بن جبير، وعكرمة، والخليل: إنّها النخل كلُّه إلّا العجوة.

وقال مجاهد[٤]: إنها النخل كله، ولم يستثن عجوة ولا غيرها.

وقال الثوري[٥]: هي كرام النخل. وقال أبو عبيدة[٦]: إنها جميع أنواع التمر سوى العجوة والبرني.

وقال جعفر بن مُحمد[٧]: إنها العجوة خاصة، وقيل: هي ضرب من النخل، يقال لتمره اللون: تمره أجود التمر.

وقال الأصمعي[٨]: هي الدَقَل، وأصل اللِّينة: لونة، فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها، وجمع اللينة لين، وقيل: ليان[٩].

وقرأ ابن مسعود[١٠]: «ما قطعتم من لينة ولا تركتم قوماً على أصولها»؛ أي:

---

(١) «السيرة النبوية» (٢/ ٢٧٢).
(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٣٤٣).
(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٣٤٣)، و«أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ١٧٥٦)، و«جامع البيان» (٢٢/ ٥٠٧).
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٥٠٨) بسند صحيح.
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٥٠٩) بسند ضعيف.
(٦) في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٥٦).
(٧) «أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ١٧٥٦).
(٨) «تهذيب اللغة» (١٥/ ٣٧٠).
(٩) «الصحاح» (٦/ ٢١٩٨).
(١٠) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٣٤٥)، و«القراءات الشاذة» (ص١٥٤). هي قراءة شاذة مخالفة للرسم وكذلك القراءتان المذكورتان بعدها شاذة.

قائمةً على سوقها، وقُرئ(١): «على أصلها»، وقرئ(٢): «قائماً على أصوله».

﴿وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾؛ أي: ليذلّ الخارجين عن الطاعة، وهم اليهود، ويغيظهم في قطعها وتركها؛ لأنهم إذا رأوا المؤمنين يتحكمون في أموالهم كيف شاءوا من القطع والترك ازدادوا غيظاً.

قال الزجاج(٣): وليخزي الفاسقين بأنْ يريهم أموالهم يتحكّم فيها المؤمنون كيف أحبوا من قطع وترك، والتقدير: وليخزي الفاسقين أذن في ذلك، يدل على المحذوف قوله: ﴿فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾.

وقد استدلّ بهذه الآية على جواز الاجتهاد، وعلى تصويب المجتهدين، والبحث مستوفى في كُتب الأصول(٤).

﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ﴾؛ أي: ما ردّه عليه من أموال الكفار، يقال: فاء يفيء إذا رجع، والضمير في منهم عائد إلى بني النضير.

﴿فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ يقال: وجف الفرسُ والبعيرُ يجف وجْفاً، وهو سرعةُ السير، وأوجفه صاحبه: إذا حمله على السير السريع، ومنه قول تميم بن مُقْبل(٥):

مذاويدُ بالبيضِ الحديدِ صِقَالُهَا عن الركبِ أحياناً إذا الركْبُ أوجفُوا

وقال نُصيب(٦):

ألا رُبَّ ركبٍ قد قطعتَ وجيفَهم إليك ولولا أنتَ لم يُوجَفِ الركبُ

و«ما» في ﴿فَمَآ أَوْجَفْتُمْ﴾ نافية، والفاء جواب الشرط إن كانت «ما» في قوله: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ﴾ شرطية(٧)، وإن كانت موصولة، فالفاء زائدة، و«من» في قوله: ﴿مِنْ خَيْلٍ﴾ زائدة للتأكيد، والركاب ما يركب من الإبل خاصة.

---

(١) «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٤٤)، و«تفسير الرازي» (٢٩/ ٢٨٤)، و«روح المعاني» (٢٧/ ١٦).

(٢) انظر: المصادر المتقدمة.

(٣) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ١٤٥).

(٤) «إرشاد الفحول» (ص٨٤٥ ـ ٨٥٠) ط. ابن كثير، و«البحر المحيط» للزركشي (٦/ ٢٣٧).

(٥) والبيت في «ديوان تميم بن أُبي بن مقبل» (ص٣٧٢).

(٦) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٥٠٣) بدون نسبة.

(٧) «الفريد» (٤/ ٤٤٨).

[وكانت غنيمة بني النضير خاصة لرسول ﷺ]:

والمعنى: أن ما ردّ الله على رسوله من أموال بني النضير لم تركبوا لتحصيله خيلاً، ولا إبلاً، ولا تجشّمتم لها شقة، ولا لقيتم بها حَرْباً ولا مشقة، وإنما كانت من المدينة على ميلين، فجعل الله سبحانه أموال بني النضير لرسوله ﷺ، خاصة لهذا السبب، فإنه افتتحها صُلْحاً، وأخذ أموالها، وقد كان سأله المسلمون أن يقسم لهم، فنزلت الآية: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ﴾ من أعدائه، وفي هذا بيان أن تلك[١] الأموال كانت خاصةً لرسول الله ﷺ، دون أصحابه لكونهم لم يوجفوا عليها بخيل، ولا ركاب، بل مشوا إليها مشياً، ولم يقاسوا فيها شيئًا من شدائد الحروب.

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ يسلّط من يشاء على من أراد، ويعطي من يشاء، ويمنع من يشاء ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ﴾ هذا بيان لمصارف الفيء بعد بيان أنّه لرسول الله ﷺ خاصةً، والتكرير[٢] لقصد التقرير والتأكيد، ووضع أهل القرى موضع قوله: ﴿مِنْهُمْ﴾؛ أي: من بني النضير للإشعار بأن هذا الحكم لا يختصّ ببني النضير وحدهم، بل هو حكم على كل قرية يفتحها رسول الله ﷺ صلحاً، ولم يوجف عليها المسلمون بخيل ولا ركاب.

[قول أهل العلم في هذه الآية والتي قبلها]:

قيل: والمراد بالقرى: بنو النضير، وقريظة، وفَدَك، وخيبر. وقد تكلم أهل العلم في هذه الآية والتي قبلها؟ هل معناهما متفق، أو مختلف؟ فقيل: معناهما متفق كما ذكرنا، وقيل: مختلف وفي ذلك كلام لأهل العلم طويل.

قال ابن العربي[٣]: لا إشكال أنها ثلاثة معانٍ في ثلاث آيات. أما الآية الأولى، وهي قوله: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ﴾ فهي خاصة برسول الله ﷺ خالصة له، وهي أموال بني النضير وما كان مثلها.

وأما الآية الثانية، وهي قوله: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ﴾ فهذا كلام

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٣٥٠ ـ ٣٥٢)، و«أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ١٧٦١).
(٢) «روح المعاني» (٢٧/ ٢٥ ـ ٢٦).
(٣) في «أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ١٧٢٠ ـ ١٧٢١).

مبتدأ غير الأوّل لمستحقٍ غير الأول، وإن اشتركت هي والأولى في أنّ كل واحدة منهما تضمنت شيئًا أفاءه الله على رسوله، واقتضت الآية الأولى أنه حاصل بغير قتال.

واقتضت آية الأنفال، وهي الآية الثالثة أنه حاصل بقتال، وعَرِيت الآية الثانية، وهي قوله: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ﴾ عن ذكر حصوله بقتال، أو بغير قتال، فنشأ الخلاف مِنْ ها هنا؛ فطائفة قالت[1]: هي ملحقة بالأولى، وهي مال الصلح، وطائفة قالت: هي ملحقة بالثالثة، وهي آية الأنفال. والذين قالوا: إنها ملحقة بآية الأنفال اختلفوا [٤/١٣٧] هل هي منسوخة[2]، أو محكمة؟ هذا معنى حاصل كلامه.

وقال مالك[3]: إن الآية الأولى من هذه السورة خاصة برسول الله ﷺ، والآية الثانية: هي في بني قريظة: وأنّ معناها يعود إلى آية الأنفال. ومذهب الشافعي أن سبيل خُمس الفيء سبيل خُمس الغنيمة، وأنّ أربعة أخماسه كانت للنبيّ ﷺ وهي بعده لمصالح المسلمين.

﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ المراد بقوله: ﴿لله﴾ أنه ﴿يحكم فيه بما يشاء﴾ ﴿وَلِلرَّسُولِ﴾ يكون ملكاً له ﴿وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ وهو بنو هاشم[4]، وبنو المطلب لأنهم قد منعوا من الصدقة، فجعل لهم حقّاً في الفيء. قيل: تكون القسمة في هذا المال على أن يكون أربعة أخماسه لرسول الله ﷺ، وخمسه يقسم أخماساً.

للرّسول خمس، ولكل صنف من الأصناف الأربعة المذكورة خمس، وقيل: يقسم أسداساً. السادس سهم الله سبحانه، ويصرف إلى وجوه القرب، كعمارة المساجد، ونحو ذلك.

﴿كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾؛ أي: كيلا يكون الفيء دولة بين الأغنياء دون الفقراء، والدولة[5]: اسم للشيء يتداوله القوم بينهم، يكون لهذا مرّة ولهذا مرّة.

---

(١) «أحكام القرآن» (٤/ ١٧٢١)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٣٥٠).

(٢) «نواسخ القرآن» لابن الجوزي (ص٢٣٨)، و«أحكام القرآن» (٤/ ١٧٢١).

(٣) «الكافي» لابن عبد البر (١/ ٤٧٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٤/ ١٧٢١).

(٤) تقدم بيانه.

(٥) «تهذيب اللغة» (١٤/ ١٧٩)، و«الصحاح» (٤/ ١٧٠٠).

قال مقاتل[١]: المعنى: أنه يغلب الأغنياء الفقراء، فيقسمونه بينهم. قرأ الجمهور[٢]: «يكون» بالتحتية «دُولةً» بالنصب؛ أي: كيلا يكون الفيء دُولةً. وقرأ أبو جعفر، والأعرج، وهشام، وأبو حيّان: «تكون» بالفوقية[٣] «دُولةٌ» بالرفع؛ أي: كيلا تقع، أو توجد دولة، وكان تامة.

وقرأ الجمهور[٤]: «دُولة» بضم الدال. وقرأ أبو حيوة، والسلمي بفتحها[٥]. قال عيسى بن عمر، ويونس، والأصمعي[٦]: هما لغتان بمعنى واحد. وقال أبو عمرو بن العلاء[٧]: الدولة بالفتح الذي يتداول من الأموال، وبالضم الفعل، وكذا قال أبو عبيدة[٨].

[الآية على العموم في كل شيء يأتي به الرسول ﷺ]:

ثم لما بيّن لهم سبحانه مصارف هذا المال أمرهم بالاقتداء برسوله ﷺ فقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾؛ أي: ما أعطاكم من مال الغنيمة فخذوه، وما نهاكم عن أخذه فانتهوا عنه، ولا تأخذوه.

قال الحسن[٩]، والسديّ[١٠]: ما أعطاكم من مال الفيء فاقبلوه، وما منعكم منه فلا تطلبوه.

وقال ابن جريج[١١]: ما آتاكم من طاعتي فافعلوا، وما نهاكم عنه من معصيتي فاجتنبوه.

والحقّ أن هذه الآية عامة في كلِّ شيء يأتي به رسول الله ﷺ من أمر أو نهي،

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢٧٢).
(٢) «التيسير» (ص٢٠٩)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣١٦)، و«جامع البيان» (٢٢/ ٥٢١).
(٣) انظر: المصادر المتقدمة.
(٤) «البحر المحيط» (١٠/ ١٤٢)، و«جامع البيان» (٢٢/ ٥٢١)، و«التيسير» (ص٢٠٩)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٢١٦). القراءة بضم الدّال من «دُولة» هي المتواترة، وأما فتحها فشاذة.
(٥) «القراءات الشاذة» (ص١٥٤).
(٦) «النكت والعيون» (٥/ ٥٠٣).
(٧) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٣٥٣).
(٨) في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٥٦).
(٩) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٥٢٢)، وابن أبي شيبة (١٢/ ٤٩٥) بسند صحيح.
(١٠) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٣٥٤).
(١١) «النكت والعيون» (٥/ ٥٠٤).

أو قول أو فعل، وإنْ كان السبب خاصّاً، فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وكل شيء أتانا به من الشرع، فقد أعطانا إياه، وأوصله إلينا، وما أنفع هذه الآية وأكثر فائدتها.

ثم لما أمرهم بأخذ ما أمرهم به الرّسول، وترك ما نهاهم عنه أمرهم بتقواه، وخوفهم شدّة عقوبته، فقال: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ فهو معاقب من لم يأخذ ما آتاه الرّسول، ولم يترك ما نهاه عنه.

وقد أخرج الحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل» عن عائشة[١] قالت: كانت غزوة بني النضير - وهم طائفة من اليهود - على رأس ستة أشهر مِنْ وقعة بدر، وكان منزلهم، ونخلُهم في ناحية المدينة، فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على الجلاء، وعلى أن لهم ما أقلّت الإبل من الأمتعة، والأموال إلّا الحَلْقة يعني: السلاح، فأنزل الله فيهم ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ إلى قوله: ﴿لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ﴾ فقاتلهم النبي ﷺ حتى صالحهم على الإجلاء، وأجلاهم إلى الشام، وكانوا من سِبْط لم يصبهم جلاء فيما خلا، وكان الله قد كتب عليهم ذلك، ولولا ذلك لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبي، وأما قوله: ﴿لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ﴾ فكان إجلاؤهم ذلك أوّل حشر في الدنيا إلى الشام.

وأخرج البزار، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقيّ في «البعث» عن ابن عباس[٢] قال: «مَنْ شكّ أن المحشر بالشام فليقرأ هذه الآية ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ﴾ قال لهم رسول الله ﷺ يومئذٍ: اخرجوا، قالوا: إلى أين؟ قال: إلى أرض المحشر».

وأخرج ابنُ جرير، وابن مردويه، والبيهقيّ في «الدلائل»، وابن عساكر عن ابن

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٨٣)، والبيهقي (٣/ ١٧٨).
وقال البيهقي: وذكر عائشة فيه غير محفوظ.

(٢) أخرجه البزار في «مسنده» رقم (٣٤٢٦ - كشف)، وابن أبي حاتم - كما في «تفسير ابن كثير» (١٣/ ٤٧٥) بسند ضعيف.
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٤٦): رواه البزار وفيه أبو سعد البقال، والغالب فيه الضعف.

عباس[١] قال: كان النبيّ ﷺ قد حاصرهم حتى بلغ منهم كلَّ مبلغ، فأعطوه ما أراد منهم، فصالحهم على أن يحقن لهم دماءهم، وأنْ يخرجهم من أرضهم وأوطانهم، وأن يسيروا إلى أذرعات الشام، وجعل لكل ثلاثة منهم بعيراً وسِقاء.

وفي البخاري، ومسلم، وغيرهما عن ابن عمر[٢]: «أن رسول الله ﷺ حرَّق نخل بني النضير، وقطع، وهي البويرة، ولها يقول حسان[٣]:

وهانَ على سَراةِ بني لُؤيٍّ حَريقٌ بالبويرةِ مستطيرُ

فأنزل الله: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾».

وأخرج الترمذي وحسّنه، والنسائي، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس[٤] في الآية قال: اللينة النخلة ﴿وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ قال: استنزلوهم من حصونهم، وأُمروا بقطع النخل، فحكّ في صدورهم، فقال المسلمون: قد قطعنا بعضاً وتركنا بعضاً، فلنسألنّ رسول الله ﷺ هل لنا فيما قطعنا من أجر، وهل علينا فيما تركنا من وزر؟ فأنزل الله: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ﴾ الآية، وفي الباب أحاديث، والكلام في صلح بني النضير مبسوط في كتب السير.

وأخرج البخاريّ، ومسلم، وغيرهما عن عمر بن الخطاب[٥] قال: كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله، ومما لم يُوجِف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، وكانت لرسول الله ﷺ خاصة، فكان ينفق على أهله منها نفقة سنة، ثم يجعل ما بقي في السلاح والكُراع عُدّةً في سبيل الله.

وأخرج ابن مردويه[٦] عن ابن عباس في قوله: ﴿فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٥٠٥، ٥٠٦)، والبيهقي (٣/ ٣٥٩)، وابن عساكر (١/ ١٧٩) بسند ضعيف.

(٢) أخرجه سعيد بن منصور رقم (٢٦٤٢)، والبخاري رقم (٤٠٣٢)، ومسلم رقم (٣٠/ ١٧٤٦)، والترمذي رقم (٣٣٠٢)، والبيهقي (٣/ ١٨٤، ٣٥٥ ـ ٣٥٨).

(٣) «ديوان حسان بن ثابت» (ص٢٥٣).

(٤) أخرجه الترمذي رقم (٣٣٠٣)، والنسائي في «السنن الكبرى» رقم (١١٥٧٤)، والطبراني رقم (٥٨٧). وهو حديث صحيح.

(٥) أخرجه أحمد رقم (١٧١، ٣٣٧)، والبخاري رقم (٢٩٠٤، ٤٨٨٥)، ومسلم رقم (٤٨/ ١٧٥٧)، وأبو داود رقم (٢٩٦٥)، والترمذي رقم (١٧٤٩)، والنسائي رقم (٤١٥١).

(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ١٠٠).

رِكَابٍ﴾ فجعل ما أصاب رسول الله ﷺ يحكم فيه ما أراد، ولم يكن يومئذٍ خيل ولا ركاب يُوَجف بها. قال: والإيجاف أن يُوضعوا السَّير، وهي لرسول الله ﷺ، فكان من ذلك خيبر، وفَدَك، وقرى عرينة. وأمر رسول الله ﷺ أن يعمد لينبع، فأتاها رسول الله ﷺ، فاحتواها كلها، فقال ناس: هلّا قسمها الله؟ فأنزل الله عذره فقال: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ﴾ الآية.

وأخرج ابنُ مردويه(١) عنه أيضاً قال: كان ما أفاء الله على رسوله من خيبر نصفٌ لله ورسوله، والنصف الآخر للمسلمين، فكان الذي لله ورسوله من ذلك الكتيبة، والوطيح، وسُلالم، ووخْدة، وكان الذي للمسلمين الشَقّ، والشقّ ثلاثة عشر سَهْماً، ونَطاة خمسة أسهم، ولم يقسم رسول الله ﷺ من خيبر لأحد من المسلمين إلّا لمن شهد الحديبية، ولم يأذن رسول الله ﷺ لأحد من المسلمين تخلف عنه عند مخرجه إلى الحديبية أن يشهد معه خيبر إلّا جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاريّ.

وأخرج أبو داود، وابن مردويه عن عمر بن الخطاب(٢) قال: كان لرسول الله ﷺ صفايا في النضير، وخيبر، وفَدَك، فأما بنو النضير فكانت حبساً لنوائبه، وأما فَدَك فكانت لابن السبيل، وأما خيبر فجزأها ثلاثة أجزاء: قسم منها جزءين بين المسلمين، وحبس جزءاً لنفسه ولنفقة أهله، فما فضل عَنْ نفقة أهله ردّها على فقراء المهاجرين.

وأخرج عبد الرزاق، وابن سعد، وابن أبي شيبة، وابن زنجويه في «الأموال». وعبد بن حُميد، وابن المنذر عن عمر بن الخطاب(٣) قال: ما على وجه الأرض مسلم إلّا ولَه في هذا الفيء حقّ إلّا ما ملكت أيمانُكم.

وأخرج البخاريّ، ومسلم، وغيرهما عن ابن مسعود(٤) قال: «لعن الله الواشمات والمستوشمات، والمتنمّصات، والمتفلّجات للحُسْن المغيرات لخلق الله»،

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ١٠٠).
(٢) أخرجه أبو داود رقم (٢٩٦٧) بسند حسن.
(٣) أخرجه عبد الرزاق رقم (٢٠٠٣٩)، وابن سعد (٣/ ٢٩٩، ٣٠٠)، وابن أبي شيبة (١٢/ ٣٤١)، وابن زنجويه في الأموال رقم (٩٤٧).
(٤) أخرجه البخاري رقم (٤٨٨٦، ٤٨٨٧)، ومسلم رقم (٢١٢٥)، وأحمد رقم (٤١٢٩).

فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها: أمّ يعقوب، فجاءت ابن مسعود، فقالت: بلغني أنَّك لعنت كيتَ وكيتَ، قال: وما لي لا ألعن مَنْ لعن رسول الله ﷺ، وهو في كتاب الله؟ قالت: لقد قرأت ما بين الدّفتين، فما وجدت فيه شيئًا من هذا، قال: لئن كنت قرأته لقد وجدته، أما قرأت ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ قالت: بلى، قال: فإنه قد نهى عنه».

[الفيء وحكمه]:

[أهم الملامح المميزة للمهاجرين والأنصار]:

﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾.

قوله: ﴿لِلْفُقَرَآءِ﴾ قيل: هو بدل من ﴿وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الحشر: ٧] و(ما) عطف عليه، ولا يصح أن يكون[1] بدلاً من الرسول، وما بعده لئلا يستلزم وصف رسول الله ﷺ بالفقر، وقيل: التقدير: ﴿كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةً﴾ [الحشر: ٧] ولكن يكون للفقراء.

وقيل التقدير: اعجبوا للفقراء، وقيل التقدير: والله شديد العقاب للفقراء؛ أي: شديد العقاب للكفّار بسبب الفقراء، [٤/١٣٨] وقيل: هو عطف على ما مضى بتقدير[2] الواو، كما تقول: المال لزيد لعمرو لبكر، والمراد بـ﴿ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾: الذين هاجروا إلى رسول الله ﷺ رغبةً في الدين ونصرةً له. قال قتادة[3]: هؤلاء المهاجرون هم الذين تركوا الديار، والأموال، والأهلين.

---

(١) «التبيان» (٢/ ١٢١٥)، و«الفريد» (٤/ ٤٤٩).

(٢) «الفريد» (٤/ ٤٤٩)، و«روح المعاني» (٢٧/ ٣١).

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٥٢٣) بسند صحيح.

ومعنى ﴿أُخْرِجُوا مِن دِيَـٰرِهِمْ﴾: أن كفار مكة[١] أخرجوهم منها، واضطروهم إلى الخروج، وكانوا مائة رجل.

﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾؛ أي: يطلبون منه أن يتفضل عليهم بالرزق في الدنيا، وبالرضوان في الآخرة.

﴿وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ بالجهاد للكفار، وهذه الجملة معطوفة على يبتغون، ومحل الجملتين النصب على الحال[٢]، الأولى: مقارنة، والثانية مقدّرة؛ أي: ناوين لذلك، ويجوز أن تكون حالاً مقارنة؛ لأن خروجهم على تلك الصفة نصرة لله ورسوله.

والإشارة بقوله: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾ إليهم من حيث اتصافهم بتلك الصفات، وهو مبتدأ، وخبره: ﴿هُمُ الصَّـٰدِقُونَ﴾؛ أي: الكاملون في الصدق الراسخون فيه.

ثم لما فرغ من مدح المهاجرين مدح الأنصار فقال: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ المراد بالدار: المدينة، وهي دار الهجرة، ومعنى تبوّئهم الدار والإيمان أنهم اتخذوها مباءة؛ أي: تمكّنوا منهما تمكناً شديداً، والتبوّأ[٣] في الأصل إنما يكون للمكان، ولكنه جعل الإيمان مثله لتمكنهم فيه تنزيلاً للحال منزلة المحل، وقيل: إن (الإيمان) منصوب[٤] بفعل غير الفعل المذكور، والتقدير: واعتقدوا الإيمان، أو وأخلصوا الإيمان كذا قال أبو علي الفارسي[٥].

ويجوز أن يكون على حذف مضاف؛ أي: تبوءوا الدار وموضع الإيمان، ويجوز أن يكون تبوّءوا مضمناً لمعنى لزموا، والتقدير: لزموا الدار والإيمان، ومعنى ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾: من قبل هجرة المهاجرين، فلا بدّ من تقدير مضاف، لأن الأنصار إنما آمنوا بعد إيمان المهاجرين، والموصول مبتدأ، وخبره: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ وذلك لأنهم أحسنوا إلى المهاجرين، وأشركوهم في أموالهم ومساكنهم ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً﴾؛ أي: لا يجد الأنصار في صدورهم حسداً، وغيظاً، وحزازة ﴿مِّمَّآ

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٣٥٧).

(٢) «التبيان» (٢/ ١٢١٥)، و«روح المعاني» (٢٧/ ٣٢).

(٣) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص١٥٨)، و«تهذيب اللغة» (١٥/ ٥٩٤).

(٤) «التبيان» (٢/ ١٢١٦)، و«الفريد» (٤/ ٤٤٩ ـ ٤٥٠).

(٥) «البحر المحيط» (١٠/ ١٤٤)، و«التبيان» (٢/ ١٢١٦).

﴿أُوتُواْ﴾؛ أي: مما أوتي المهاجرون دونهم مِنْ الفيء، بل طابت أنفسهم بذلك.

وفي الكلام مضاف محذوف؛ أي: لا يجدون في صدورهم مسّ حاجة، أو أثر حاجة، وكلّ ما يجده الإنسان في صدره مما يحتاج إليه فهو حاجة. وكان المهاجرون في دور الأنصار فلما غنم[1] النبيّ ﷺ بني النضير دعا الأنصار، وشكرهم فيما صنعوا مع المهاجرين من إنزالهم إياهم في منازلهم، وإشراكهم في أموالهم، ثم قال: «إن أحببتم قسمتُ ما أفاء الله عليّ من بني النضير بينكم وبين المهاجرين، وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في مساكنكم، والمشاركة لكم في أموالكم، وإن أحببتم أعطيتهم ذلك، وخرجوا من دياركم»، فرضوا بقسمة ذلك في المهاجرين، وطابت أنفسُهم.

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ﴾ الإيثار تقديم الغير على النفس في حظوظ الدنيا رغبة في حظوظ الآخرة، يقال: آثرته بكذا؛ أي: خصصته به.

والمعنى: ويقدّمون المهاجرين على أنفسهم في حظوظ الدنيا.

﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ﴾؛ أي: حاجة وفقر، والخصاصة[2] مأخوذة من خصاص البيت، وهي الفرج التي تكون فيه، وجملة: ﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ﴾ في محل نصب[3] على الحال، وقيل: إن الخصاصة مأخوذة من الاختصاص، وهو الانفراد بالأمر، فالخصاصة الانفراد بالحاجة، ومنه قول الشاعر:

أمَّا الربيعَ إذا تكونُ خصاصةٌ   عاشَ السقيمُ به وأَثْرى المُقْتِرُ[4]

﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ قرأ الجمهور[5]: «يُوق» بسكون الواو، وتخفيف القاف من الوقاية، وقرأ ابن أبي عبلة، وأبو حيوة بفتح الواو[6]، وتشديد القاف.

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٢/ ٣٦٢).
(٢) «تهذيب اللغة» (١٥/ ١١٩)، و«مفردات ألفاظ القرآن» (ص٦٢).
(٣) «روح المعاني» (٢٧/ ٣٦).
(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٧/ ٣٦٩).
(٥) «البحر المحيط» (١٠/ ١٤٣)، و«زاد المسير» (٨/ ٢١٥)، و«الدر المصون» (٦/ ٢٩٦).
(٦) «القراءات الشاذة» (ص١٥٤، ١٥٨)، و«روح المعاني» (٢٧/ ٣٧)، و«البحر المحيط» (١٠/ ١٤٣). القراءة بفتح الواو وتشديد القاف شاذة.

وقرأ الجمهور[١]: «شُحّ نفسه» بضم الشين.

وقرأ ابن عمر[٢]، وابن أبي عبلة بكسرها.

والشحُّ: البُخْل مع حرصٍ، كذا في «الصحاح»[٣]، وقيل: الشحّ أشدّ من البخل.

قال مقاتل[٤]: شحّ نفسه حرص نفسه. قال سعيد بن جبير[٥]: شحّ النفس هو أخذ الحرام، ومنع الزكاة.

قال ابن زيد[٦]: مَنْ لم يأخذ شيئًا نهاه الله عنه، ولم يمنع شيئًا أمره الله بأدائه، فقد وقى شحّ نفسه.

قال طاووس[٧]: البخل أن يبخل الإنسان بما في يده، والشحّ أن يشحّ بما في أيدي الناس، يحبّ أن يكون له ما في أيديهم بالحلال والحرام لا يقنع. وقال ابن عيينة[٨]: الشحّ الظلم. وقال الليث[٩]: ترك الفرائض وانتهاك المحارم.

والظاهر من الآية أن الفلاح مترتب على عدم شحّ النفس بشيء من الأشياء التي يقبح الشحّ بها شرعاً من زكاة، أو صدقة، أو صلة رحم، أو نحو ذلك، كما تفيده إضافة الشحّ إلى النفس، والإشارة بقوله: ﴿فَأُولَٰٓئِكَ﴾ إلى «مَنْ» باعتبار معناها، وهو مبتدأ، وخبره ﴿هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ والفلاح الفوزُ والظفر بكلِّ مطلوب.

ثم لما فرغ سبحانه من الثناء على المهاجرين والأنصار، ذكر ما ينبغي أن يقوله من جاء بعدهم، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ وهم التابعون لهم بإحسان إلى يوم القيامة.

---

(١) «البحر المحيط» (١٠/ ١٤٣)، و«الدر المصون» (٦/ ٢٩٦).

(٢) «القراءات الشاذة» (ص١٥٤)، و«البحر المحيط» (١٠/ ١٤٣)، و«روح المعاني» (٢٧/ ٣٧). كسر الشين قراءة شاذة.

(٣) في «الصحاح» (١/ ٣٧٨).

(٤) «الوسيط» للواحدي (٤/ ٢٧٤)، و«معالم التنزيل» (٨/ ٧٨).

(٥) «النكت والعيون» (٥/ ٥٠٦).

(٦) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٥٣١) بسند صحيح.

(٧) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٣٧٠)، والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٧٨).

(٨) «النكت والعيون» (٥/ ٥٠٦ ـ ٥٠٧).

(٩) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٣٧٠).

وقيل: هم الذين هاجروا بعد ما قوي الإسلام، والظاهر[١] شمول الآية لمن جاء بعد السابقين مِنْ الصحابة المتأخر إسلامهم في عصر النبوّة، ومَنْ تبعهم من المسلمين بعد عصر النبوّة إلى يوم القيامة؛ لأنّه يصدق على الكلّ أنهم جاءوا بعد المهاجرين الأوّلين والأنصار.

والموصول مبتدأ، وخبره ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ ويجوز أن يكون الموصول معطوفاً على قوله: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾، فيكون ﴿يَقُولُونَ﴾ في محل نصب[٢] على الحال، أو مستأنف لا محل له.

والمراد بالأخوّة هنا أخوة الدّين، أمرهم الله أن يستغفروا لأنفسهم، ولمن تقدّمهم من المهاجرين والأنصار.

﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾؛ أي: غشاً وبُغضاً وحَسَداً.

أمرهم الله سبحانه بعد الاستغفار للمهاجرين والأنصار أن يطلبوا من الله سبحانه أن ينزع مِنْ قلوبهم الغلّ للذين آمنوا على الإطلاق، فيدخل في ذلك الصحابة دخولاً أوّليّاً لكونهم أشرف المؤمنين، ولكون السياق فيهم، فمن لم يستغفر للصحابة على العموم، ويطلب رضوان الله لهم، فقد خالف ما أمره الله به في هذه الآية، فإن وجد في قلبه غلاً لهم، فقد أصابه نزغ من الشيطان، وحلّ به نصيب وافر من عصيان الله بعداوة أوليائه، وخير أمة نبيه ﷺ، وانفتح له باب من الخذلان يفد به على نار جهنم إن لم يتدارك نفسه باللجأ إلى الله سبحانه، والاستغاثة به، بأن ينزع عن قلبه ما طرقه من الغلّ لخير القرون، وأشرف هذه الأمة، فإن جاوز ما يجده من الغلّ إلى شتم أحد منهم، فقد انقاد للشيطان بزمام، ووقع في غضب الله وسخطه.

[وقد حُرم الرافضة هذه الآية]:

وهذا الداء العضال إنما يصاب به مَنْ ابتلي بمعلّمٍ من الرافضة، أو صاحب من أعداء خير الأمة الذين تلاعب بهم الشيطان، وزين لهم الأكاذيب المختلفة، والأقاصيص المفتراة، والخرافات الموضوعة، وصرفهم عن كتاب الله الذي لا يأتيه

---

(١) «أحكام القرآن» لابن العربي (٤/١٧٦٦).

(٢) «إعراب القرآن» للنحاس (٤/٣٩٨)، و«الفريد» (٤/ ٤٥٠)، و«روح المعاني» (٢٧/ ٣٩٠).

الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، وعن سنة رسول الله ﷺ، المنقولة إلينا بروايات الأئمة الأكابر في كل عصر من العصور، فاشتروا الضلالة بالهدى، واستبدلوا الخسران العظيم بالربح الوافر، وما زال الشيطان الرجيم ينقلهم من منزلة إلى منزلة، ومن رُتبة إلى رتبة حتى صاروا أعداء كتاب الله وسنة رسوله وخير أمته وصالحي عباده وسائر المؤمنين، وأهملوا فرائض الله وهجروا شعائر الدين، وسعوا في كيد الإسلام وأهله كل السعي، ورموا الدين وأهله بكلّ حَجَرٍ ومدر، والله من ورائهم محيط.

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾؛ أي: كثير الرأفة والرحمة بليغهما لمن يستحق ذلك من عبادك.

وقد أخرج البخاري(١) عَنْ عمر بن الخطاب أنه قال: أوصي الخليفة بعدي بالمهاجرين الأوّلين أَنْ يعرف لهم حقهم، ويحفظ لهم حرمتهم، وأوصيه بالأنصار الذين تبوّءوا الدار والإيمان من قبلهم أَنْ يُقْبِل من محسنهم، ويتجاوز عن مسيئهم.

وأخرج البخاري، ومسلم، وغيرهما عن أبي هريرة(٢) قال: أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: «يا رسول الله أصابني الجهد، فأرسل إلى نسائه، فلم يجد عندهنّ شيئًا فقال: ألا رجل يُضيّف هذا الليلة رحمه الله، فقال رجل من الأنصار، وفي رواية، فقال أبو طلحة الأنصاري: أنا يا رسول الله، فذهب به إلى أهله، فقال لامرأته: أكرمي ضيفَ رسول الله ﷺ لا تدّخرينَ شيئًا، قالت: والله ما عندي إلّا قوت الصبية، قال: فإذا أراد الصِّبية العشاء، فنوّميهم وتعالي فأطفئي السراج، ونطوي بطوننا الليلة لضيف رسول الله ﷺ، ففعلت، ثم غدا الضيف على النبيّ ﷺ فقال: لقد عجب الله الليلة [٤/١٣٩] مِنْ فلان وفلانة، وأنزل فيهما ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾».

وأخرج الحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «الشعب» عن ابن عمر(٣)

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٤٨٨٨)، وابن أبي شيبة (١٤/ ٥٧٤).

(٢) أخرجه البخاري رقم (٤٨٨٩)، ومسلم رقم (٢٠٥٤)، والترمذي رقم (٣٣٠٤)، والنسائي في «الكبرى» رقم (١١٥٨٢)، وابن جرير (٢٢/٥٢٨)، والحاكم (٤/ ١٣٠)، والبيهقي رقم (٩٧٩)، وابن أبي شيبة (١٣/ ٣٥٠).

(٣) أخرجه الحاكم (٢/٤٨٣، ٤٨٤)، والبيهقي رقم (٣٤٧٩).

قال: أُهدي إلى رجل من أصحاب رسول الله ﷺ رأس شاة فقال: إن أخي فلاناً، وعياله أحوج إلى هذا منا، فبعث به إليه، فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتى تداولها أهل سبعة أبيات حتى رجعت إلى الأوّل، فنزلت فيهم ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾.

وأخرج الفريابي، وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وعبد بن حُميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «الشُعب» عن ابن مسعود(١) أن رجلاً قال: إني أخاف أن أكون قد هلكت، قال: وما ذاك؟ قال: إني سمعت الله يقول: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ وأنا رجل شحيح لا يكاد يخرج مني شيء، فقال له ابن مسعود: ليس ذاك بالشحّ، ولكنه البخل، ولا خير في البخل، وإن الشحّ الذي ذكره الله في القرآن أن تأكل مال أخيك ظلماً.

وأخرج ابن المنذر، وابن مردويه عن ابن عمر(٢) في الآية قال: ليس الشحّ أن يمنع الرجل ماله، ولكنه البخل، وإنه لشرّ، إنما الشحّ أن تطمح عين الرجل إلى ما ليس له.

وأخرج ابن المنذر(٣) عن عليّ بن أبي طالب قال: من أدّى زكاة ماله، فقد وقى شحّ نفسه.

وأخرج الحكيم الترمذي، وأبو يعلى، وابن مردويه عن أنس(٤) قال: قال رسول الله : «ما محق الإسلامَ مَحْقَ الشُحّ شيءٌ قط».

وأخرج أحمد، والبخاري في «الأدب»، ومسلم، والبيهقي عن جابر بن عبد الله(٥) أن رسول الله قال: «اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٩/٩٨)، وابن جرير (٢٢/٥٢٩)، وابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٣/٤٩٢ ـ ٤٩٣) ـ، وابن جرير (٢٢/٥٣٠) بسند حسن.

(٢) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٨/١٠٨).

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/١٠٨).

(٤) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» رقم (٣٤٨٨) بسند ضعيف.

(٥) أخرجه البخاري (٦/٨، ٩)، وأبو داود رقم (٢٥١١)، والبيهقي رقم (١٠٨٣١)، وابن أبي شيبة (٩/٩٨). وهو حديث صحيح.

الشحّ، فإن الشحّ أهلك مَنْ كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم».

وقد وردت أحاديث كثيرة في ذمّ الشحّ.

[طبقات المؤمنين ثلاثة مضت ثنتان وبقيت واحدة]:

وأخرج الحاكم وصححه، وابن مردويه عن سعد بن أبي وقاص(١) قال: الناس على ثلاث منازل قد مضت منزلتان، وبقيت منزلة، فأحسن ما أنتم كائنون عليه أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت، ثم قرأ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ الآية.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن الأنباري في المصاحف، وابن مردويه عن عائشة(٢) قالت: أُمروا أن يستغفروا لأصحاب النبيّ ﷺ، فسبّوهم، ثم قرأت هذه الآية ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ﴾.

وأخرج ابن مردويه(٣) عن ابن عمر أنه سمع رجلاً، وهو يتناول بعض المهاجرين فقرأ عليه ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾ الآية، ثم قال: هؤلاء المهاجرون أفمنهم أنت؟ قال: لا، ثم قرأ عليه ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾ الآية. ثم قال: هؤلاء الأنصار أفأنت منهم؟ قال: لا، ثم قرأ عليه ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ الآية، ثم قال: أفمن هؤلاء أنت؟ قال: أرجو، قال: ليس من هؤلاء مَنْ سبّ هؤلاء.

﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١١) لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ (١٢) لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ (١٣) لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٨٤).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٣/ ٤٩٤) ـ بسند ضعيف لضعف إسماعيل بن عليَّة.

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ١١٣).

تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾».

لما فرغ سبحانه من ذكر الطبقات الثلاث من المؤمنين، ذكر ما جرى بين المنافقين واليهود من المقاولة؛ لتعجيب المؤمنين من حالهم، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ والخطاب لرسول الله، أو لكل من يصلح له، والذين نافقوا هم: عبد الله بن أبيّ، وأصحابه.

وجملة: ﴿يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ مستأنفة؛ لبيان المتعجب منه، والتعبير بالمضارع؛ لاستحضار الصورة، أو للدلالة على الاستمرار، وجعلهم إخواناً لهم لكون الكفر قد جمعهم، وإن اختلف نوع كفرهم، فهم إخوان في الكفر، واللام في لإخوانهم هي لام التبليغ[1].

وقيل: هو من قول بني النضير لبني قريظة، والأوّل أولى؛ لأن بني النضير، وبني قريظة هم يهود، والمنافقون غيرهم، واللام في قوله: ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ﴾ هي الموطئة للقسم؛ أي: والله لئن أخرجتم من دياركم ﴿لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ﴾ هذا جواب القسم؛ أي: لنخرجن من ديارنا في صحبتكم ﴿وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ﴾؛ أي: في شأنكم، ومن أجلكم ﴿أَحَدًا﴾ ممن يريد أن يمنعنا من الخروج معكم، وإن طال الزمان، وهو معنى قوله: ﴿أَبَدًا﴾.

ثم لما وعدوهم بالخروج معهم، وعدوهم بالنصرة لهم، فقالوا: ﴿وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ﴾ على عدوّكم.

ثم كذبهم الله سبحانه فقال: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ فيما وعدوهم به من الخروج معهم والنصرة لهم.

---

(١) «روح المعاني» (٢٧/٤٣)، و«تفسير أبي السعود» (٦/٣٠٨).

[ما نفاه الله لا يجوز وجوده]:

ثم لما أجمل كذبهم فيما وعدوا به فصّل ما كذبوا فيه فقال: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ﴾ وقد كان الأمر كذلك، فإن المنافقين لم يخرجوا مع من أُخرج من اليهود، وهم بنو النضير ومَنْ معهم، ولم ينصروا من قُوتل من اليهود، وهم بنو قريظة وأهل خيبر ﴿وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ﴾؛ أي: لو قدِّر وجود نصرهم إياهم؛ لأن ما نفاه الله لا يجوز وجوده.

قال الزجاج[1]: معناه لو قصدوا نصر اليهود ﴿لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ﴾ منهزمين ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ يعني: اليهود لا يصيرون منصورين إذا انهزم ناصرُهم، وهم المنافقون، وقيل: يعني: لا يصير المنافقون منصورين بعد ذلك، بل يذلهم الله، ولا ينفعهم نفاقهم.

وقيل: معنى الآية: لا ينصرونهم طائعين، ولئن نصروهم مكرهين ليولنّ الأدبار، وقيل: معنى: ﴿لَا يَنصُرُونَهُمْ﴾ لا يدومون على نصرهم، والأوّل أولى، ويكون من باب قوله: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨].

﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ﴾؛ أي: لأنتم يا معاشر المسلمين أشدّ خوفاً وخشية في صدور المنافقين، أو صدور اليهود، أو صدور الجميع من الله؛ أي: من رهبة الله، والرهبة هنا بمعنى المرهوبية؛ لأنها مصدر من المبني للمفعول، وانتصابها[2] على التمييز.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾؛ أي: ما ذُكر من الرهبة الموصوفة بسبب عدم فقههم لشيء مِنْ الأشياء، ولو كان لهم فقه لعلموا أن الله سبحانه هو الذي سلطكم عليهم، فهو أحقّ بالرهبة منه دونكم.

ثم أخبر سبحانه بمزيد فشلهم، وضعف نكايتهم فقال: ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا﴾ يعني: لا يبرز اليهود والمنافقون مجتمعين لقتالكم ولا يقدرون على ذلك ﴿إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ﴾ بالدروب والدور ﴿أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ﴾؛ أي: من خلف الحيطان التي يستترون بها لجبنهم ورهبتهم.

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ١٤٧).

(٢) «الفريد» (٤/ ٤٥٠)، و«روح المعاني» (٢٧/ ٤٥).

قرأ الجمهور[١]: «جُدُر» بالجمع، وقرأ ابن عباس، ومجاهد، وابن محيصن، وابن كثير، وأبو عمرو: «جِدار» بالإفراد[٢]. واختار القراءة الأولى أبو عبيد[٣]، وأبو حاتم؛ لأنها موافقة لقوله: ﴿قُرًى مُّحَصَّنَةٍ﴾. وقرأ بعض المكيين: «جَدْر» بفتح الجيم[٤]، وإسكان الدال، وهي لغة في الجدار.

﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾؛ أي: بعضهم غليظ فظ على بعض، وقلوبهم مختلفة، ونياتهم متباينة.

قال السديّ[٥]: المراد: اختلاف قلوبهم حتى لا يتفقوا على أمر واحد. وقال مجاهد[٦]: بأسهم بينهم شديدٌ بالكلام والوعيد ليفعلن كذا، والمعنى: أنهم إذا انفردوا نسبوا أنفسهم إلى الشدّة والبأس، وإذا لاقوا عدوّاً ذلّوا وخضعوا، وانهزموا، وقيل: المعنى: أن بأسهم بالنسبة إلى أقرانهم شديد، وإنما ضعفهم بالنسبة إليكم لما قذف الله في قلوبهم من الرعب، والأوّل أولى لقوله: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ فإنه يدلّ على أن اجتماعهم إنما هو في الظاهر مع تخالف قلوبهم في الباطن، وهذا التخالف هو البأس الذي بينهم الموصوف بالشدّة.

ومعنى ﴿شَتَّىٰ﴾: متفرقة، قال مجاهد[٧]: يعني: اليهود والمنافقين تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى. وروي[٨] عنه أيضاً أنه قال: المراد: المنافقون. وقال الثوري[٩]: هم المشركون، وأهل الكتاب.

قال قتادة[١٠]: تحسبهم جميعاً؛ أي: مجتمعين على أمرٍ ورأي، وقلوبهم شتى

---

(١) «التيسير» (ص٢٠٩)، و«النشر» (٢/٣٨٦)، و«جامع البيان» (٢٢/٢٣٧)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/٢١٦).

(٢) انظر: المصادر المتقدمة.

(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/٣٧٧).

(٤) «القراءات الشاذة» (ص١٥٤)، و«روح المعاني» (٢٧/٤٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/٣٧٧). القراءة بفتح الجيم وإسكان الدال قراءة شاذة.

(٥) «النكت والعيون» (٥/٣٦).

(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/٣٧٨).

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/٥٣٨) بسند صحيح.

(٨) أخرجه ابن جرير (٢٢/٥٣٨) بسند ضعيف.

(٩) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/٣٧٨).

(١٠) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/٥٣٨) بسند صحيح.

متفرقة، فأهل الباطل مختلفة آراؤهم مختلفة شهادتهم مختلفة أهواؤهم، وهم مجتمعون في عداوة أهل الحقّ.

وقرأ ابن مسعود[١]: «وقلوبُهم أشت»؛ أي: أشدُّ اختلافاً ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾؛ أي: ذلك الاختلاف والتشتّت بسبب أنهم قوم لا يعقلون شيئًا، ولو عقلوا؛ لعرفوا الحقّ واتبعوه [٤/١٤٠] ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾؛ أي: مثلهم كمثل الذين من قبلهم.

والمعنى: أنّ مثل المنافقين واليهود كمثل الذين من قبلهم من كفار المشركين ﴿قَرِيبًا﴾ يعني: في زمان قريب[٢]، وانتصاب قريباً على الظرفية؛ أي: يشبهونهم في زمن قريب، وقيل: العامل فيه (ذاقوا)؛ أي: ذاقوا في زمن قريب.

ومعنى ﴿ذَاقُواْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾؛ أي: سوء عاقبة كفرهم في الدنيا بقتلهم يوم بدر، وكان ذلك قبل غزوة بني النضير بستة أشهر، قاله مجاهد[٣]، وغيره.

وقيل: المراد: بنو النضير حيث أمكن الله منهم، قاله قتادة[٤]. وقيل: قتل بني قريظة، قاله الضحاك[٥]. وقيل: هو عامّ في كل من انتقم الله منه بسبب كفره، والأوّل أولى.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾؛ أي: في الآخرة.

[المراد بالإنسان جنس من أطاع الشيطان من نوع الإنسان]:

ثم ضرب لليهود والمنافقين مثلاً آخر فقال: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ﴾؛ أي: مثلهم في تخاذلهم وعدم تناصرهم، فهو إما خبر[٦] مبتدأ محذوف، أو خبر آخر للمبتدأ المقدّر قبل قوله: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ على تقدير حذف حرف العطف، كما تقول: أنت عاقل، أنت عالم، أنت كريم. وقيل: المثل الأوّل

---

(١) «القراءات الشاذة» (ص١٥٤)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/٣٧٨) وهي قراءة شاذة مخالفة للرسم.

(٢) «روح المعاني» (٢٧/٤٧)، و«التبيان» (٢/١٢١٦).

(٣) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٥٤٠) بسند صحيح.

(٤) «النكت والعيون» (٥/٥٠٩).

(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/٣٧٩).

(٦) «روح المعاني» (٢٧/٤٨)، و«البحر المحيط» (١٠/١٤٧).

خاص باليهود، والثاني: خاص بالمنافقين، وقيل: المثل الثاني بيان للمثل الأوّل[(١)].

ثم بيّن سبحانه وجه الشبه فقال: ﴿إِذْ قَالَ لِلْإِنسَـٰنِ ٱكْفُرْ﴾؛ أي: أغراه بالكفر، وزينه له، وحمله عليه، والمراد بالإنسان هنا: جنس مَنْ أطاع الشيطان من نوع الإنسان، وقيل: هو عابد كان في بني إسرائيل حمله الشيطان على الكفر، فأطاعه.

﴿فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ﴾؛ أي: فلما كفر الإنسان مطاوعة للشيطان، وقبولاً لتزيينه قال الشيطان: إني بريء منك، وهذا يكون منه يوم القيامة.

وجملة: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ تعليل لبراءته من الإنسان بعد كفره، وقيل: المراد بالإنسان هنا: أبو جهل، والأوّل أولى[(٢)].

قال مجاهد[(٣)]: المراد بالإنسان هنا جميع الناس في غرور الشيطان إياهم، قيل: وليس قول الشيطان: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾ على حقيقته، إنما هو على وجه التبرّي من الإنسان، فهو تأكيد لقوله: ﴿إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ﴾ قرأ الجمهور[(٤)]: «إِنِّي» بإسكان الياء. وقرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو بفتحها[(٥)].

﴿فَكَانَ عَـٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ﴾ قرأ الجمهور[(٦)]: «عاقبتَهما» بالنصب على أنه خبر كان، واسمها أنهما في النار.

وقرأ الحسن، وعمرو بن عُبيد بالرفع[(٧)] على أنّها اسم كان، والخبر ما بعده؛ والمعنى: فكان عاقبة الشيطان، وذلك الإنسان الذي كفر أنهما صائران إلى النار.

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٣٧٩).

(٢) «روح المعاني» (٢٧/ ٤٩).

(٣) «المحرر الوجيز» (١٥/ ٤٧٦).

(٤) «النشر» (٢/ ٣٨٦)، و«التيسير» (ص٢١٠)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣١٧).

(٥) انظر: المصادر المتقدمة.

(٦) «البحر المحيط» (١٠/ ١٤٧)، و«المحرر الوجيز» (١٥/ ٤٧٧)، و«معاني القرآن» للزجاج (٥/ ١٤٩)، و«التبيان» (٢/ ١٢١٦).

(٧) «القراءات الشاذة» (ص١٥٤)، و«البحر المحيط» (١٠/ ١٤٧)، و«روح المعاني» (٢٧/ ٥٠). القراءة بالرفع شاذة.

﴿خَٰلِدَيْنِ فِيهَاۚ﴾ قرأ الجمهور[١]: «خالدين» بالنصب على الحال، وقرأ ابن مسعود، والأعمش، وزيد بن عليّ، وابن أبي عبلة: «خالدان»[٢] على أنه خبر أنّ، والظرف متعلق به.

﴿وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ أي: الخلود في النار جزاء الظالمين، ويدخل هؤلاء فيهم دخولاً أوّليّاً.

ثم رجع سبحانه إلى خطاب المؤمنين بالموعظة الحسنة فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾؛ أي: اتقوا عقابه بفعل ما أمركم به، وترك ما نهاكم عنه ﴿وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٌ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٍۖ﴾؛ أي: لتنظر أيّ شيء قدّمت من الأعمال ليوم القيامة، والعرب تُكنّي عن المستقبل بالغد.

وقيل: ذكر الغد[٣] تنبيهاً على قُرب الساعة ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ كرّر الأمر بالتقوى للتأكيد.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ لا تخفى عليه من ذلك خافية، فهو مجازيكم بأعمالكم إن خيراً فخير، وإن شرّاً فشرّ.

﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ﴾؛ أي: تركوا أمره، أو ما قدّروه حق قدره، أو لم يخافوه، أو جميع ذلك ﴿فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ﴾؛ أي: جعلهم ناسين لها بسبب نسيانهم له، فلم يشتغلوا بالأعمال التي تنجيهم من العذاب، ولم يكفّوا عن المعاصي التي توقعهم فيه، ففي الكلام مضاف محذوف؛ أي: أنساهم حظوظ أنفسهم.

قال سفيان[٤]: نسوا حقّ الله، فأنساهم حق أنفسهم، وقيل[٥]: نسوا الله في الرخاء، فأنساهم أنفسهم في الشدائد.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾؛ أي: الكاملون في الخروج عن طاعة الله.

---

(١) «البحر المحيط» (١٠/١٤٨)، و«جامع البيان» (٢٢/ ٥٤٥ ـ ٥٤٦)، و«معاني القرآن» للفراء (٣/١٤٦).

(٢) «القراءات الشاذة» (ص١٥٤)، و«روح المعاني» (٢٧/ ٥٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٣٨٦). وهي قراءة شاذة.

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/٣٨٦)، و«روح المعاني» (٢٧/ ٥٠)، و«تفسير أبي السعود» (٦/٣١٠).

(٤) أخرجه ابن جرير (٢٢/٥٤٨) بسند ضعيف من طريق ابن حميد، به.

(٥) «النكت والعيون» (٥/ ٥١١).

﴿لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۚ﴾ في الفضل[١]، والرتبة، والمراد: الفريقان على العموم، فيدخل في فريق أهل النار مَنْ نسي الله منهم دخولاً أوّليّاً، ويدخل في فريق أهل الجنة الذين اتقوا دخولاً أوّليّاً؛ لأن السياق فيهم، وقد تقدّم الكلام في معنى مثل هذه الآية في سورة المائدة، وفي سورة السجدة، وفي سورة صٓ.

ثم أخبر سبحانه وتعالى عن أصحاب الجنة بعد نفي التساوي بينهم، وبين أهل النار فقال: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾؛ أي: الظافرون بكلّ مطلوب الناجون من كلّ مكروه.

وقد أخرج ابن مردويه عن ابن عباس[٢] في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟﴾ قال: عبد الله ابن أبيّ بن سلول، ورفاعة بن تابوت، وعبد الله بن نبتل، وأوس بن قَيظي، وإخوانهم بنو النضير.

وأخرج ابن إسحاق، وابن المنذر، وأبو نعيم في «الدلائل» عنه[٣] أن رهطاً من بني عوف بن الحارث منهم عبد الله بن أبيّ ابن سلول، ووديعة بن مالك، وسويد، وداعِس بعثوا إلى بني النضير أن اثبتوا، وتمنّعوا، فإننا لا نُسلِمكم، وإن قوتلتم قاتلنا معكم، وإن أُخرجتم خرجنا معكم، فتربصوا ذلك من نصرهم، فلم يفعلوا، وقذف الله في قلوبهم الرعب، فسألوا رسول الله ﷺ أن يجليهم، ويكفّ عن دمائهم، على أن لهم ما حملت الإبل إلّا الحَلْقة، ففعل، فكان الرجل منهم يهدم بيته، فيضعه على ظهر بعير، فينطلق به، فخرجوا إلى خيبر، ومنهم من سار إلى الشام.

وأخرج ابن مردويه[٤] عنه أيضاً في قوله: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰۚ﴾ قال: هم المشركون.

وأخرج عبد الرزاق، وابن راهويه، وأحمد في «الزهد»، وعبد بن حميد، والبخاري في تاريخه، وابن جرير، وابن المنذر، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «الشعب» عن عليّ بن أبي طالب[٥] أن رجلاً كان يتعبد في صومعة،

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٣٨٨)، و«النكت والعيون» (٥/ ٥١١).
(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ١١٥).
(٣) أخرجه ابن إسحاق (٢/ ١٩١ ـ السيرة النبوية لابن هشام).
(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ١١٦).
(٥) أخرجه عبد الرزاق (٢/ ٢٨٥)، وابن راهويه ـ كما في «المطالب العالية» رقم (٤١٤٣) ـ، =

وأن امرأة كان لها إخوة، فعرض لها شيء، فأتوه بها فزينت له نفسه فوقع عليها، فحملت، فجاءه الشيطان، فقال: اقتلها، فإنّهم إن ظهروا عليك افتضحت، فقتلها، ودفنها، فجاءوه، فأخذوه، فذهبوا به، فبينما هم يمشون إذ جاءه الشيطان فقال: إني أنا الذي زينت لك، فاسجد لي سجدة أُنجيك، فسجد له، فذلك قوله: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ﴾ الآية. قلت: وهذا لا يدلّ على أن هذا الإنسان هو المقصود بالآية، بل يدلّ على أنه من جملة من تصدق عليه.

وقد أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس[1] بأطول من هذا، وليس فيه ما يدلّ على أنه المقصود بالآية.

وأخرجه بنحوه ابن جرير[2] عن ابن مسعود.

وأخرج ابن مردويه[3] عن ابن مسعود في قوله: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ قال: ضرب الله مثل الكفار والمنافقين الذين كانوا على عهد النبيّ ﷺ، كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر.

﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٢١ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤﴾.

لما فرغ سبحانه من ذكر أهل الجنة وأهل النار، وبيّن عدم استوائهم في شيء من الأشياء ذكر تعظيم كتابه الكريم، وأخبر عن جلالته، وأنه حقيق بأن تَخْشع له القلوب، وترقّ له الأفئدة، فقال: ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا

= والبخاري في «الأدب المفرد» (٥/ ٢١٣)، وابن جرير (٢٢/ ٥٤١)، والحاكم (٢/ ٤٨٤)، والبيهقي رقم (٥٤٥٠) من طريق أبي إسحاق، عن نهيك بن عبد الله، به.

(١) ذكره ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٤٨) من طريق العوفي، عن ابن عباس. وهو أثر ضعيف.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٥٤٢) بسند ضعيف.

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ١١٩).

﴿مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: من شأنه[(١)]، وعظمته، وجودة ألفاظه، وقوّة مبانيه، وبلاغته، واشتماله على المواعظ التي تلين لها القلوب أنه لو أنزل على جبل من الجبال الكائنة في الأرض لرأيته مع كونه في غاية القسوة، وشدّة الصلابة، وضخامة الجُرْم خاشعاً متصدعاً؛ أي: متشققاً من خشية الله سبحانه حذراً من عقابه، وخوفاً من أن لا يؤدي ما يجب عليه من تعظيم كلام الله.

وهذا تمثيل[(٢)] وتخييل يقتضي علوّ شأن القرآن وقوّة تأثيره في القلوب، ويدلّ على هذا قوله: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيما يجب عليهم التفكر فيه؛ ليتعظوا بالمواعظ، وينزجروا بالزواجر، وفيه توبيخ، وتقريع للكفار حيث لم يخشعوا للقرآن، ولا اتعظوا بمواعظه، ولا انزجروا بزواجره، والخاشع[(٣)]: الذليل المتواضع. وقيل[(٤)]: الخطاب للنبيّ ﷺ؛ أي: لو أنزلنا هذا القرآن يا مُحّمد على جبل لما ثبت، ولتصدّع من نزوله عليه، وقد أنزلناه عليك، وثبتناك له، وقوّيناك عليه، فيكون على هذا من باب الامتنان على النبيّ ﷺ؛ لأن الله سبحانه ثبته لما لا تثبت له الجبال الرواسي.

ثم أخبر سبحانه بربوبيته وعظمته، فقال: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [٤/١٤١] وفي هذا تقرير[(٥)] للتوحيد ودفع للشرك.

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾؛ أي: عالم ما غاب من الإحساس وما حضر، وقيل[(٦)]: عالم السرّ والعلانية، وقيل: ما كان وما يكون، وقيل: الآخرة والدنيا، وقدّم[(٧)] الغيب على الشهادة لكونه متقدّماً وجوداً.

﴿هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ قد تقدّم تفسير هذين الاسمين.

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ كرره للتأكيد[(٨)] والتقرير لكون التوحيد حقيقاً بذلك.

---

(١) «روح المعاني» (٢٧/٥٣ ـ ٥٤)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/٣٨٨)، و«جامع البيان» (٢٢/٥٤٨ ـ ٥٥٠).

(٢) «تفسير أبي السعود» (٦/٣١١).

(٣) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٣٨٣).

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» (٥/١٥٠).

(٥) «روح المعاني» (٢٧/٥٥)، و«تفسير أبي السعود» (٦/٣١١).

(٦) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/٣٨٩)، و«روح المعاني» (٢٧/٥٤).

(٧) «روح المعاني» (٢٧/٥٤)، و«تفسير أبي السعود» (٦/٣١١).

(٨) «تفسير أبي السعود» (٦/٣١١)، و«روح المعاني» (٢٧/٥٥).

﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ﴾؛ أي: الطاهر[1] من كلِّ عيب المنزّه عن كل نقص، والقَدَسُ بالتحريك في لغة أهل الحجاز: السَّطْل؛ لأنّه يتطهر به، ومنه القادوس لواحد الأواني التي يستخرج بها الماء.

قرأ الجمهور[2]: «القُدّوس» بضم القاف. وقرأ أبو ذرّ، وأبو السمّال بفتحها[3]، وكان سيبويه[4] يقول: سَبوح قَدّوس بفتح أوّلهما، وحكى أبو حاتم[5] عن يعقوب أنه سمع عند الكسائي أعرابيّاً فصيحاً يقرأ «القَدّوس» بفتح القاف.

قال ثعلب[5]: كل اسم على فَعول فهو مفتوح الأوّل إلّا السُبوح والقُدّوس، فإنَّ الضم فيهما أكثر، وقد يفتحان.

﴿ٱلسَّلَـٰمُ﴾؛ أي: الذي سلم من كل نقص وعيب، وقيل: المسلِّم على عباده في الجنة، كما قال: ﴿سَلَـٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يٓس: ٥٨].

وقيل: الذي سلم الخلق من ظلمه[6]، وبه قال الأكثر، وقيل: المسلم لعباده، وهو مصدر وصف به للمبالغة.

﴿ٱلْمُؤْمِنُ﴾؛ أي: الذي وهب[7] لعباده الأمن من عذابه، وقيل[8]: المصدِّق لرسله بإظهار المُعجزات، وقيل: المصدّق للمؤمنين بما وعدهم به من الثواب، والمصدّق للكافرين بما أوعدهم به من العذاب، يقال: أمنه من الأمن وهو ضدّ

---

(١) قال ابن قتيبة في «تفسير غريب القرآن» (ص٨): «ومن صفاته قُدُّوس» وهو حرف مبني على (فُعُّول) من القدس، وهو الطهارة.

(٢) «البحر المحيط» (١٠/ ١٤٩)، و«زاد المسير» (٨/ ٢٢٥)، و«تفسير الرازي» (٢٩/ ٢٩٤).

(٣) «المحتسب» (٢/ ٤١٧)، و«القراءات الشاذة» (ص١٥٤)، و«روح المعاني» (٢٧/ ٥٥). القراءة بفتح القاف شاذة.

(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٣٩٠). (٥) «إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ٤٠٤).

(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٣٩٠).

(٧) قال الخطابي في «شأن الدعاء» (ص٤١): «السلام في صفة الله سبحانه هو الذي سلم من كل عيب، وبرئ من كل آفة ونقص يلحق المخلوقين. وقيل: الذي سلم الخلق من ظلمه.
وقال ابن كثير في «تفسيره» (١٣/ ٥٠٢): أي: «من جميع العيوب والنقائص؛ بكماله في ذاته وصفاته وأفعاله».

(٨) انظر هذه المعاني في: «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة (ص٩)، و«اشتقاق أسماء الله» للزجاجي (ص٢٢١).

الخوف، ومنه قول النابغة[(١)]:

والمؤمنُ العائذاتِ الطيرُ يمسحُها ركبانُ مكّةَ بينَ الغيلِ والسندِ[(٢)]

وقال مجاهد[(٣)]: المؤمن الذي وحّد نفسَه بقوله: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨]. قرأ الجمهور[(٤)]: «المؤمِنُ» بكسر الميم اسم فاعل من آمن بمعنى: أمن. وقرأ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بفتحها[(٥)] بمعنى المؤمن به على الحذف كقوله: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾ [الأعراف: ١٥٥] وقال أبو حاتم[(٦)]: لا تجوز هذه القراءة؛ لأن معناه: أنه كان خائفاً فأمنه غيره.

﴿ٱلْمُهَيْمِنُ﴾؛ أي: الشهيدُ على عباده بأعمالهم الرقيب عليهم. كذا قال مجاهد[(٧)]، وقتادة[(٨)]، ومقاتل[(٩)]. يقال: هيمن يهيمن فهو مهيمن: إذا كان رقيباً على الشيء.

قال الواحدي[(١٠)]: وذهب كثير من المفسرين إلى أن أصله مؤيمن من آمن يؤمن، فيكون بمعنى المؤمن، والأوّل أولى، وقد قدّمنا الكلام على المهيمن في سورة المائدة.

﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ الذي لا يوجد له نظير[(١١)]، وقيل: القاهر، وقيل: الغالب غير المغلوب، وقيل: القويّ.

﴿ٱلْجَبَّارُ﴾ جبروت الله: عظمته[(١٢)]، والعربُ تسمّي الملك الجبار، ويجوز أن

---

(١) «ديوان النابغة» (ص٣٥). (٢) والذي في «الديوان»: و«السعدِ».
(٣) ذكره الزجاج في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ١٥٠).
(٤) «البحر المحيط» (١٠/ ١٤٩).
(٥) «القراءات الشاذة» (ص١٥٤)، و«روح المعاني» (٢٧/ ٥٦)، و«حاشية الشهاب» (٨/ ١٨٣). القراءة المتواترة بكسر الميم، أما فتحها فقراءة شاذة.
(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٣٩١).
(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٥٥٣) بسند صحيح.
(٨) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٥٥٣) بسند صحيح.
(٩) «الوسيط» (٤/ ٢٧٩)، و«معالم التنزيل» (٨/ ٨٧).
(١٠) في «الوسيط» (٤/ ٢٧٩).
(١١) «روح المعاني» (٢٧/ ٥٧)، و«فتح الباري» (١٣/ ٣٧)، و«معاني القرآن» للنحاس (٢/ ٢١٩).
(١٢) «تفسير غريب القرآن» (ص١٩)، و«النونية» لابن القيم (٢/ ٩٥).

يكون مِنْ جَبَر إذا أغنى الفقير وأصلح الكسير[١].

ويجوز أن يكون من جبره على كذا: إذا أكرهه على ما أراد، فهو الذي جبر خلقه على ما أراد منهم، وبه قال السديّ[٢]، ومقاتل، واختاره الزجاج[٣]، والفراء[٤]، قال: هو من أجبره على الأمر؛ أي: قهره. قال: ولم أسمع فعّالاً من أفعل إلّا في جبّار من أجبر، ودرّاك من أدرك، وقيل: الجبار الذي لا تطاق سطوته.

[الكبر في جنب الله مدح وفي جنب الخلق ذم]:

﴿ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾؛ أي: الذي تكبّر عن كل نقص، وتعظّم عما لا يليق به، وأصل التكبّر: الامتناع وعدم الانقياد، ومنه قول حُميد بن ثور[٥]:

عفتْ مِثْلَ ما يعفُو الفصيلُ فأصبحتْ ... بها كبرياءُ الصَّعْبِ وهي ذلولُ

والكبرُ في صفات الله مدح، وفي صفات المخلوقين ذمّ. قال قتادة: هو الذي تكبّر عن كل سوء.

قال ابن الأنباري[٦]: المتكبّر ذو الكبرياء، وهو الملك.

ثم نزه سبحانه نفسه عن شرك المشركين، فقال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾؛ أي: عما يشركونه، أو عن إشراكهم به.

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ﴾؛ أي: المقدّر للأشياء على مقتضى إرادته ومشيئته.

﴿ٱلْبَارِئُ﴾؛ أي: المنشئ المخترع للأشياء الموجد لها. وقيل: المميز لبعضها من بعض.

﴿ٱلْمُصَوِّرُ﴾؛ أي: الموجد للصور المركب لها على هيئات مختلفة، فالتصوير مترتب على الخلق والبراية وتابع لهما، ومعنى التصوير: التخطيط والتشكيل، قال النابغة[٧]:

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٣٩٢).

(٢) ذكره عنهما الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢٧٩).

(٣) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ١٥٢).

(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٣٩٢).

(٥) في «ديوان حميد بن ثور الهلالي» (ص٥٨).

(٦) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢٧٩).

(٧) وهو الجعدي. والبيت في «ديوانه» (ص١٣٣).

الخالقُ البارئُ المصوِّرُ في الـ أرحام ماءً حتى يصيرَ دما

وقرأ حاطب بن أبي بلتعة[١] الصحابي ﴿ٱلْمُصَوِّرُ﴾ بفتح الواو ونصب الراء على أنه مفعول به للبارئ؛ أي: الذي برأ المصوّر؛ أي: ميزه.

﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ قد تقدّم بيانها، والكلام فيها عند تفسير قوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف ١٨٠] ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: ينطق بتنزيهه بلسان الحال أو المقال كل ما فيهما.

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾؛ أي: الغالب لغيره الذي لا يغالبه مغالب، الحكيم في كل الأمور التي يقضي بها.

وقد أخرج ابن جرير، وابن مردويه عن ابن عباس[٢]، في قوله: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾ قال: يقول لو أنِّي أنزلتُ هذا القرآن على جبل حَمّلتهُ إيّاه تصدّع، وخشع مِن ثِقله ومن خشية الله، فأمر اللهُ الناسَ إذا نزل عليهم القرآن أن يأخذوه بالخشية الشديدة والتخشّع. قال: كذلك يضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتفكرون.

وأخرج الديلمي[٣] عن ابن مسعود وعليّ مرفوعاً في قوله: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾ إلى آخر السورة قال: هي «رُقية الصُّداع». رواه الديلمي بإسنادين لا ندري كيف حال رجالهما.

وأخرج الخطيب[٤] في «تاريخه» بإسناده إلى إدريس بن عبد الكريم الحَدّاد قال: قرأتُ على خَلَف، فلما بلغت هذه الآية قال: ضع يدك على رأسك، فإني قرأتُ على حمزة، فلما بلغت هذه الآية قال: ضع يدك على رأسك، فإني قرأت على الأعمش ثم ساق الإسناد مسلسلاً هكذا إلى ابن مسعود فقال: فإني قرأت على النبيّ ﷺ، فلما بلغت هذه الآية قال لي: «ضع يدك على رأسك، فإن جبريل لما نزل بها قال لي: ضع يدك على رأسك، فإنّها شفاء من كلّ داء إلّا السام»، والسام: الموت. قال الذهبي: هو باطل.

وأخرجه ابن السني في عمل يوم وليلة، وابن مردويه عن أنس[٥] أن

---

(١) «القراءات الشاذة» (ص١٥٤)، و«روح المعاني» (٢٧/ ٣٩٤). وهي قراءة شاذة.
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٥٤٩) بسند ضعيف.
(٣) أخرجه الديلمي رقم (٤٦٦٥).
(٤) أخرجه الخطيب في «تاريخه» (١/ ٣٧٧).
(٥) أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» رقم (٧١٨).

رسول الله ﷺ أمر رجلاً إذا آوى إلى فراشه أن يقرأ آخر سورة الحشر وقال: «إن متّ متّ شهيداً».

وأخرج ابن مردويه(١) عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «من تعوّذ بالله من الشيطان ثلاث مرات، ثم قرأ آخر سورة الحشر بعث الله سبعين ملكاً يطردون عنه شياطين الإنس والجنّ إنْ كان ليلاً حتى يصبح، وإن كان نهاراً حتى يمسي».

وأخرج أحمد، والدارمي، والترمذي وحسنه، والطبراني، وابن الضريس، والبيهقي في «الشعب» عن معقل بن يسار(٢) عن النبيّ ﷺ قال: «مَنْ قال حين يصبح ثلاث مرّات: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، ثم قرأ الثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكّل الله به سبعين ألف ملَك يصلون عليه حتى يُمسي، وإن مات ذلك اليوم مات شهيداً، ومن قالها حين يمسي كان بتلك المنزلة».

قال الترمذي بعد إخراجه: غريب لا نعرفه إلّا من هذا الوجه.

وأخرج ابن عديّ، وابن مردويه، والخطيب، والبيهقي في «الشعب» عن أبي أمامة(٣) قال: قال رسول الله : «مَنْ قرأ خواتيم الحشر في ليل أو نهار، فمات من يومه أو ليلته أوجب الله له الجنة».

وأخرج ابنُ أبي حاتم(٤) عن ابن عباس في قوله: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ﴾ قال: السرّ والعلانية. وفي قوله: ﴿ٱلْمُؤْمِنُ﴾ قال: المؤمِّن خلقَه مِنْ أن يظلمهم، وفي قوله: ﴿ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ قال: الشاهد.

۞ ۞ ۞

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ١٢٢).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» رقم (٢٠٣٠٦)، والدارمي (١/ ٤٥٨)، والترمذي رقم (٢٩٢٢)، والطبراني (ج٢٠ رقم ٥٣٧)، وابن الضريس رقم (٢٣٠)، والبيهقي رقم (٢٥٠٢). وهو حديث ضعيف.

(٣) أخرجه ابن عدي (٣/ ١١٦٤، ١١٦٥)، والخطيب (١٢/ ٤٤٤)، والبيهقي رقم (٢٥٠١). وهو حديث ضعيف.

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ١٢٣).

سُورَةُ المُمتَحنَة

هي ثلاثة عشرة آية وهي مدنية. قال القرطبي[(١)]: في قول الجميع.

وأخرج ابن الضُّرَيس، والنحاس، وابن مردويه، والبيهقي عن ابن عباس[(٢)] قال: نزلت سورة الممتحنة بالمدينة.

وأخرج ابن مردويه[(٣)] عن ابن الزبير مثله.

والممتحنة[(٤)] بكسر الحاء اسم فاعل أُضيف الفعل إليها مجازاً، كما سُمّيت سورة براءة: الفاضحة لكشفها عن عيوب المنافقين، وقيل: الممتحَنة بفتح الحاء اسم مفعول أضاف إلى المرأة التي نزلت فيها، وهي أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، لقوله سبحانه: ﴿فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّۖ﴾ [الممتحنة: ١٠].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[موالاة الكفار وعلاقتنا بهم]:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثۡقَفُوكُمۡ يَكُونُواْ لَكُمۡ أَعۡدَآءٗ وَيَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ وَأَلۡسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمۡ أَرۡحَامُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡۚ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَفۡصِلُ بَيۡنَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٣﴾﴾.

[نزلت في حاطب بن أبي بلتعة]:

قال المفسِّرون[(٥)]: نزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ في

---

(١) في «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٣٩٥).

(٢) أخرجه ابن الضريس رقم (١٧)، والنحاس (ص٧١١)، والبيهقي (٧/ ١٤٣).

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ١٢٤).

(٤) «فتح الباري» (٨/ ٦٣٣).

(٥) «الوسيط» (٤/ ٢٨٢)، و«فتح الباري» (٨/ ٦٣٣)، و«أسباب النزول» (ص٤٤٨، ٤٤٩).

حاطب بن أبي بلتعة حين كتب إلى مشركي قريش يخبرهم بمسير النبيّ ﷺ إليهم، [٤/١٤٢] وسيأتي ذكر القصة آخر البحث إن شاء الله.

وقوله: ﴿عَدُوِّي﴾ هو المفعول الأوّل ﴿وَعَدُوَّكُمْ﴾ معطوف عليه، والمفعول الثاني أولياء، وأضاف سبحانه العدوّ إلى نفسه تعظيماً لجرمهم، والعدوّ مصدر يطلق على الواحد، والاثنين، والجماعة، والآية تدلّ على النهي عن موالاة الكفار بوجه من الوجوه.

﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾؛ أي: توصلون إليهم المودّة على أن الباء زائدة، أو هي سببية. والمعنى: تلقون إليهم أخبار النبيّ ﷺ بسبب المودّة التي بينكم وبينهم.

قال الزجاج[(١)]: تلقون إليهم أخبار النبيّ ﷺ، وسرّه بالمودّة التي بينكم وبينهم، والجملة في محل نصب[(٢)] على الحال من ضمير ﴿تَتَّخِذُوا﴾؛ ويجوز أن تكون مستأنفة؛ لقصد الإخبار بما تضمنته، أو لتفسير موالاتهم إياهم، ويجوز أن تكون في محل نصب[(٣)] صفة (لأولياء).

وجملة: ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ في محل نصب[(٤)] على الحال من فاعل ﴿تُلْقُونَ﴾، أو من فاعل ﴿لَا تَتَّخِذُوا﴾، ويجوز أن تكون مستأنفة؛ لبيان حال الكفار.

قرأ الجمهور[(٥)]: «بما جاءكم» بالباء الموحدة.

وقرأ الجَحْدري، وعاصم في رواية عنه: «لما جاءكم» باللام[(٦)]؛ أي: لأجل ما جاءكم من الحق على حذف المكفور به؛ أي: كفروا بالله والرسول لأجل ما جاءكم من الحق، أو على جعل ما هو سبب للإيمان سبباً للكفر توبيخاً لهم.

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/١٥٥).
(٢) «التبيان» (٢/١٢١٦)، و«الفريد» (٤/٤٥٦)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/٣٧٠).
(٣) انظر: المصادر المتقدمة.
(٤) «الفريد» (٤/٤٥٦)، و«التبيان» (٢/١٢١٦).
(٥) «البحر المحيط» (١٠/١٥٣)، و«الدر المصون» (٦/٣٠٢)، و«المحرر الوجيز» (١٥/٤٨٣).
(٦) «البحر المحيط» (١٠/١٥٣)، و«روح المعاني» (٢٧/٦٥)، و«الدر المصون» (٦/٣٠٢). المتواتر قراءة الجمهور أما القراءة باللّام فشاذة، وهي رواية شاذة عن عاصم.

﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ الجملة مستأنفة لبيان كفرهم، أو في محل نصب[١] على الحال.

وقوله: ﴿أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ تعليل للإخراج؛ أي: يُخْرجونكم لأجل إيمانكم، أو كراهَة أَنْ تؤمنوا.

﴿إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي﴾ جواب الشرط محذوف؛ أي: إنْ كنتم كذلك، فلا تلقوا إليهم بالمودّة، أو إنْ كنتم كذلك، فلا تتخذوا عدوّي وعدوّكم أولياء، وانتصاب[٢] جهاداً وابتغاءَ على العلة؛ أي: إن كنتم خرجتم لأجل الجهاد في سبيلي؛ ولأجل ابتغاء مرضاتي.

وجملة: ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ مستأنفة للتقريع[٣] والتوبيخ؛ أي: تسرّون إليهم الأخبار بسبب المودّة، وقيل: هي بدل من قوله: ﴿تُلْقُونَ﴾.

ثم أخبر سبحانه بأنه لا يخفى عليه من أحوالهم شيء، فقال: ﴿وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ﴾ والجملة في محل نصب[٤] على الحال؛ أي: (بما) أضمرتم وما أظهرتم، والباء في ﴿بِمَا﴾ زائدة يقال: علمتُ كذا، وعلمت بكذا، هذا على أن أعلم مضارع، وقيل: هو أفعل تفضيل؛ أي: أعلم من كل أحد بما تخفون وما تعلنون.

﴿وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾؛ أي: مَنْ يفعل ذلك الاتخاذ لعدوّي وعدوّكم أولياء، ويلقي إليهم بالمودّة، فقد أخطأ طريق الحق والصواب، وضلّ عن قصد السبيل.

﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً﴾؛ أي: إنْ يلقوكم ويصادفوكم يُظْهِروا لكم ما في قلوبهم من العداوة، ومنه المثاقفة، وهي: طلبُ مصادفة الغُرّة في المسايفة، وقيل المعنى: إن يظفروا بكم، ويتمكنوا منكم، والمعنيان متقاربان.

---

(١) «التبيان» (٢/ ١٢١٦)، و«الفريد» (٤/ ٤٥٦).

(٢) «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٣٧٠).

(٣) «روح المعاني» (٢٧/ ٦٦)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٣١٥).

(٤) «الفريد» (٤/ ٤٥٧)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ٤١١).

﴿وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ﴾؛ أي: يبسطوا إليكم أيديهم بالضرب ونحوه، وألسنتهم بالشتم ونحوه.

﴿وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ هذا معطوف على جواب الشرط أو على جملة الشرط والجزاء، ورجح هذا أبو حيان.

والمعنى: أنهم تمنوا ارتدادهم، وودّوا رجوعهم إلى الكفر.

﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ﴾؛ أي: لا تنفعكم القرابات على عمومها، ولا الأولاد، وخصهم[1] بالذكر مع دخولهم في الأرحام لمزيد المحبة لهم، والحنوّ عليهم، والمعنى: أن هؤلاء لا ينفعونكم حتى توالوا الكفار لأجلهم، كما وقع في قصة حاطب بن أبي بلتعة، بل الذي ينفعكم هو ما أمركم الله به من معاداة الكفار، وترك موالاتهم.

وجملة: ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾ مستأنفة لبيان عدم نفع الأرحام والأولاد في ذلك اليوم ومعنى ﴿يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾: يفرّق بينكم، فيدخل أهل طاعته الجنة، وأهل معصيته النار.

وقيل: المراد[2] بالفصل بينهم: أنه يفرّ كلّ منهم من الآخر من شدّة الهول، كما في قوله: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ [عبس: ٣٤] الآية. قيل: ويجوز أن يتعلق يوم القيامة بما قبله؛ أي: لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة فيوقف عليه. ويبتدأ بقوله: ﴿يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾ والأولى أن يتعلق بما بعده، كما ذكرنا.

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ لا يخفى عليه شيء من أقوالكم وأفعالكم، فهو مجازيكم على ذلك.

قرأ الجمهور[3]: «يُفْصَل» بضم الياء، وتخفيف الفاء، وفتح الصاد مبنيّاً للمفعول، واختار هذه القراءة أبو عبيدة[4]. وقرأ عاصم بفتح الياء[5]، وكسر الصاد مبنيّاً للفاعل.

---

(١) «روح المعاني» (٢٧/ ٦٩)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٣١٥).
(٢) «المحرر الوجيز» (١٥/ ٤٨٦).
(٣) «التيسير» (ص٢١٠)، و«النشر» (٢/ ٢٨٧)، و«البحر المحيط» (١٠/ ١٤٤)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣١٨).
(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٤٠٢).
(٥) «التيسير» (ص٢١٠)، و«النشر» (٢/ ٢٨٧)، و«البحر المحيط» (١٠/ ١٥٦).

وقرأ حمزة، والكسائي بضم الياء[(١)]، وفتح الفاء، وكسر الصاد مشدّدة، وقرأ علقمة بالنون[(٢)]، وقرأ قتادة، وأبو حيوة بضم الياء، وكسر الصاد مخففة[(٣)].

وقد أخرج البخاريّ، ومسلم، وغيرهما عن عليّ بن أبي طالب[(٤)] قال: «بعثني رسول الله ﷺ أنا، والزبير، والمقداد، فقال رسول الله ﷺ: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإنّ بها ظعينةً معها كتاب، فخذوه منها فأتوني به، فخرجنا حتى أتينا الرّوضة، فإذا نحن بالظعينة، فقلنا: أخرجي الكتاب، قالت: ما معي من كتاب، فقلنا: لتخرجنّ الكتابَ، أو لنُلقينَّ الثياب، فأخرجته من عِقاصها، فأتينا به النبيّ ﷺ، فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر النبيّ ﷺ، فقال النبيّ ﷺ: ما هذا يا حاطب؟ قال: لا تعجل عليّ يا رسول الله، إني كنت امرأ ملصقاً في قريش، ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم، وأموالهم بمكة، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أصطنع إليهم يداً يحمون بها قرابتي، وما فعلت ذلك كفراً، ولا ارتداداً عن ديني، فقال النبيّ ﷺ: صدق، فقال عمر: دعني أضرب عنقه. فقال: إنه شهد بدراً، وما يدريك لعلّ الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم.

ونزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾.

وفي الباب أحاديث مسندة ومرسلة متضمنة لبيان هذه القصة، وأن هذه الآيات إلى قوله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الممتحنة: ٤] نازلة في ذلك.

---

(١) انظر: المصادر المتقدمة.

(٢) «القراءات الشاذة» (ص١٥٥)، و«روح المعاني» (٢٧/ ٧٠). القراءة بالنون، وكذا بضم الياء وكسر الصاد مخفّفة شاذتان.

(٣) «روح المعاني» (٢٧/ ٧٠)، و«المحرر الوجيز» (١٥/ ٤٨٦).

(٤) أخرجه البخاري رقم (٣٠٠٧، ٣٠٨١، ٣٩٨٣، ٤٢٧٤، ٤٨٩٠، ٦٢٥٩، ٦٩٣٩)، ومسلم رقم (٢٤٩٤)، وأبو داود رقم (٢٦٥٠، ٢٦٥١)، والترمذي رقم (٣٣٠٥)، والنسائي في «السنن الكبرى» رقم (١١٥٨٥)، وأبو عوانة ـ كما في «فتح الباري» (١٢/ ٣٠٦) ـ وابن حبان رقم (٦٤٩٩)، وابن جرير (٢٢/ ٥٥٩)، وابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (٤/ ٣٤٥) ـ، والبيهقي (٣/ ١٥٢، ١٥٣) و(٥/ ١٦، ١٧)، وأحمد رقم (٦٠٠، ٨٢٧)، والحميدي رقم (٤٩)، وعبد بن حميد رقم (٨٣ ـ المنتخب).

[موالاة الكفار وعلاقتنا بهم]:

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾﴾.

[الإبرار للمسالمين والحرب على الظالمين]:

﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾﴾.

لما فرغ سبحانه من النهي عن موالاة المشركين، والذمّ لمن وقع منه ذلك ضرب لهم إبراهيم مثلاً حين تبرأ من قومه، فقال: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾؛ أي: خَصْلة حميدة تقتدون بها، يقال: لي به أسوة في هذا الأمر؛ أي: اقتداء، فأرشدهم سبحانه إلى الاقتداء به في ذلك إلّا في استغفاره لأبيه.

قرأ الجمهور[(١)]: «إِسْوة» بكسر الهمزة: وقرأ عاصم[(٢)] بضمها وهما لغتان، وأصل الأسُوة[(٣)] بالضم والكسر: القُدْوة، ويقال: هو أسوتك؛ أي: مثلك، وأنت مثله.

وقوله: ﴿فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ متعلق بأسوة، أو بحسنة، أو هو نعت لأسوة، أو حال من الضمير المستتر في حسنة، أو خبر كان، ولكم للبيان، والذين معه هم

(١) «التيسير» (ص١٧٨)، و«النشر» (٢/٣٤٨)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/١٩٦).
(٢) انظر: المصادر المتقدمة. وهما قراءتان متواترتان.
(٣) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٧٦ ـ ٧٧)، و«تهذيب اللغة» (١٣/١٣٩).

أصحابُه المؤمنون. وقال ابن زيد[١]: هم الأنبياء.

قال الفرّاء[٢]: يقول: أفلا تأسيت يا حاطب بإبراهيم، فتتبرأ مِنْ أهلك، كما تبرأ إبراهيم مِنْ أبيه وقومه؟.

والظرف في قوله: ﴿إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ﴾ هو خبر كان، أو متعلق به؛ أي: وقت قولهم لقومهم الكفار.

﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ﴾ جمع بريء، مثل شُركاء وشَريك، وظُرفاء وظَريف. قرأ الجمهور[٣]: «بُرَآء» بضم الباء وفتح الراء وألف بين همزتين، ككُرَماء في كريم. وقرأ عيسى بن عُمر، وابن أبي إسحاق بكسر الباء[٤] وهمزة واحدة بعد ألف، ككِرام في جمع كريم. وقرأ أبو جعفر بضم الباء[٥] وهمزة بعد ألف.

﴿وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وهي الأصنام ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾؛ أي: بما آمنتم به من الأوثان أو بدينكم أو بأفعالكم ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا﴾؛ أي: هذا دأبنا معكم ما دمتم على كفركم ﴿حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ وتتركوا ما أنتم عليه من الشرك، فإذا فعلتم ذلك صارت تلك العداوة موالاةً، والبغضاء محبةً.

﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ هو استثناء[٦] متصل من قوله: ﴿فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [٤/١٤٣] بتقدير مضاف محذوف؛ ليصح الاستثناء؛ أي: قد كانت لكم أسوة حسنة في مقالات إبراهيم إلّا قوله لأبيه، أو مِنْ أسوة حسنة، وصح ذلك؛ لأن القول من جملة الأسوة، كأنه قيل: قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم في جميع أقواله، وأفعاله إلّا قوله لأبيه، أو من التبرّي والقطيعة التي ذكرت؛ أي: لم يواصله إلّا قوله، ذكر هذا ابن عطية[٧]، أو هو منقطع؛ أي: لكن قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٢/٥٦٦) بسند صحيح.
(٢) في «معاني القرآن» للفراء (٣/١٤٩).
(٣) «البحر المحيط» (١٠/١٥٥)، و«المحرر الوجيز» (١٥/٤٨٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/٤٠٣).
(٤) «القراءات الشاذة» (ص١٥٥)، و«المحتسب» (٢/٣١٩). قراءة العشرة هي ما نسبة للجمهور، وما عداها فشاذ، والرواية عن أبي جعفر شاذة.
(٥) «القراءات الشاذة» (ص١٥٥)، و«روح المعاني» (٢٧/٧١).
(٦) «روح المعاني» (٢٧/٧٣)، و«تفسير أبي السعود» (٦/٣١٦).
(٧) في «المحرر الوجيز» (١٥/٤٨٨).

لك، فلا تأتسوا به، فتستغفرون للمشركين، فإنه كان عن موعدة وعدها إياه، أو أن ذلك إنما وقع منه؛ لأنه ظنّ أنه قد أسلم ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ﴾ [التوبة: ١١٤].

وقد تقدّم تحقيق هذا في سورة براءة.

﴿وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۖ﴾ هذا من تمام القول المستثنى، يعني: ما أغني عنك، وما أدفع عنك من عذاب الله شيئًا، والجملة في محل نصب[1] على الحال من فاعل لأستغفرنّ، فالاستثناء متوجه إلى الاستغفار لا إلى هذا القيد، فإنه إظهار للعجز، وتفويض للأمر إلى الله، وذلك من خصال الخير.

﴿رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ هذا من دعاء إبراهيم وأصحابه، ومما فيه أسوة حسنة يُقتدى به فيها، وقيل: هو تعليم للمؤمنين أن يقولوا هذا القول، والتوكل: هو تفويض الأمور إلى الله، والإنابة: الرجوع، والمصير: المَرْجع، وتقديم الجارّ والمجرور لقصر التوكل والإنابة، والمصير على الله.

﴿رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ قال الزجّاج: لا تظهرهم علينا، فيظنوا أنّهم على حقّ، فيفتنوا بذلك.

وقال مجاهد: لا تعذبنا بأيديهم، ولا بعذاب مِنْ عندك، فيقولوا: لو كان هؤلاء على حقّ ما أصابهم هذا ﴿وَٱغۡفِرۡ لَنَا رَبَّنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ﴾؛ أي: الغالب الذي لا يغالب ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ ذو الحكمة البالغة.

﴿لَقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِيهِمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ﴾؛ أي: لقد كان لكم في إبراهيم والذين معه قدوة حسنة، وكرّر هذا للمبالغة والتأكيد، وقيل: إن هذا نزل بعد الأوّل بمدّة.

﴿لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَۚ﴾ بدل من قوله: ﴿لَكُمۡ﴾ بدل بعض من كلّ.

والمعنى: أن هذه الأسوة إنما تكون لمن يخاف الله، ويخاف عقاب الآخرة، أو يطمع في الخير من الله في الدنيا وفي الآخرة.

﴿وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾؛ أي: يُعْرِض عن ذلك، فإن الله هو الغنيّ عن خلقه، الحميد إلى أوليائه.

﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةٗۚ﴾ وذلك بأن يُسْلموا،

(١) «روح المعاني» (٢٧/ ٧٦).

فيصيروا من أهل دينكم، وقد أسلم قوم منهم بعد فتح مكة وحسن إسلامهم، ووقعت بينهم وبين من تقدّمهم في الإسلام مودّة، وجاهدوا، وفعلوا الأفعال المقرّبة إلى الله.

وقيل: المراد بالمودّة هنا: تزويج[١] النبيّ ﷺ بأمّ حبيبة بنت أبي سفيان. ولا وجه لهذا التخصيص، وإنْ كان من جملة ما صار سبباً إلى المودّة، فإن أبا سفيان بعد ذلك ترك ما كان عليه من العداوة لرسول الله ﷺ، ولكنها لم تحصل المودّة إلّا بإسلامه يوم الفتح وما بعده.

﴿وَٱللَّهُ قَدِيرٌ﴾؛ أي: بليغ القدرة كثيرها ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾؛ أي: بليغهما كثيرهما.

ثم لما ذكر سبحانه ما ينبغي للمؤمنين من معاداة الكفار وترك موادّتهم، فصل القول فيمن يجوز برّه منهم ومن لا يجوز، فقال: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾؛ أي: لا ينهاكم عن هؤلاء ﴿أَن تَبَرُّوهُمْ﴾ هذا بدل من الموصول بدل اشتمال[٢]، وكذا قوله: ﴿وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾ يقال: أقسطت إلى الرّجل: إذا عاملته بالعدل.

قال الزجاج[٣]: المعنى، وتعدلوا فيما بينكم وبينهم من الوفاء بالعهد.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾؛ أي: العادلين؛ ومعنى الآية: أن الله سبحانه لا ينهى عن برّ أهل العهد من الكفار الذين عاهدوا المؤمنين على ترك القتال، وعلى أن لا يظاهروا الكفار عليهم، ولا ينهى عَنْ معاملتهم بالعدل.

قال ابن زيد[٤]: كان هذا في أوّل الإسلام عند الموادعة؛ وترك الأمر بالقتال، ثم نسخ[٥]. قال قتادة[٦]: نسختها ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥] وقيل: هذا الحكم كان ثابتاً في الصلح بين النبيّ ﷺ وبين قريش، فلما زال الصلح

---

(١) «أسباب النزول» للواحدي (ص٤٥٠).
(٢) «الفريد» (٤/ ٤٥٩)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٣٧١)، و«التبيان» (٢/ ١٢١٨).
(٣) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ١٥٨).
(٤) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٥٧٣) بسند صحيح.
(٥) «أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ١٧٧٣)، و«الناسخ والمنسوخ» للنحاس (٣/ ٦٨).
(٦) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٥٧٣) بسند صحيح.

بفتح مكة نُسخ الحكم. وقيل: هي خاصة في حلفاء النبيّ ﷺ، ومن بينه وبينه عهد، قاله الحسن[(١)].

وقال الكلبي[(٢)]: هم خزاعة، وبنو الحارث بن عبد مناف.

وقال مجاهد[(٣)]: هي خاصة في الذين آمنوا ولم يهاجروا، وقيل: هي خاصة بالنساء والصبيان.

وحكى القرطبي[(٤)] عَنْ أكثر أهل التأويل أنها محكمة.

ثم بيّن سبحانه من لا يحلّ برّه، ولا العدل في معاملته فقال: ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾ وهم صناديد الكفر من قريش ﴿وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ﴾؛ أي: عاونوا الذين قاتلوكم على ذلك، وهم سائر أهل مكة، ومن دخل معهم في عهدهم.

وقوله: ﴿أَن تَوَلَّوْهُمْ﴾ بدل اشتمال[(٥)] من الموصول، كما سلف.

﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾؛ أي: الكاملون في الظلم؛ لأنهم تولّوا مَنْ يستحق العداوة؛ لكونه عدوّاً لله ولرسوله ولكتابه، وجعلوهم أولياء لهم.

وقد أخرج ابن المنذر، والحاكم وصححه عن ابن عباس[(٦)] ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ﴾ قال: نُهوا أن يتأسوا باستغفار إبراهيم لأبيه، وقوله: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ لا تعذبنا بأيديهم، ولا بعذاب من عندكم، فيقولون: لو كان هؤلاء على الحقّ ما أصابهم هذا.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصحّحه[(٧)] عنه ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ قال: في صنيع إبراهيم كله إلّا في الاستغفار لأبيه، وهو مشرك.

---

(١) «الناسخ والمنسوخ» للنحاس (٤/ ٣/ ٧٨).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٤٠٨).

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٥٧٥) بسند صحيح.

(٤) في «تفسيره» (٢٠/ ٤٠٨).

(٥) «التبيان» (٢/ ١٢١٨)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٣٧١).

(٦) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٨٥) من طريق مجاهد، عن ابن عباس.

(٧) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٨٥).

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم[(١)] عنه أيضاً في قوله: ﴿لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ قال: لا تسلّطهم علينا، فيفتنونا.

وأخرج ابن مردويه عن الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمٰن عن أبي هريرة[(٢)] قال: أوّل من قاتل أهل الردّة على إقامة دين الله أبو سفيان بن حرب، وفيه نزلت هذه الآية ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾.

وأخرج ابن أبي حاتم[(٣)] عن الزهري أن رسول الله ﷺ استعمل أبا سفيان بن حرب على بعض اليمن، فلما قبض رسول الله ﷺ أقبل، فلقي «ذا الخمار» مرتدّاً، فكان أوّل من قاتل في الردّة، وجاهد عن الدّين. قال: وهو فيمن قال الله فيه: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن عديّ، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل»، وابن عساكر من طريق الكلبي عن أبي صالح، عن ابن عباس[(٤)] في الآية قال: كانت المودّة التي جعل بينهم تزويج النبيّ ﷺ أمّ حبيبة بنت أبي سفيان، فصارت أمّ المؤمنين، فصار معاوية خال المؤمنين.

وفي «صحيح مسلم»[(٥)] عن ابن عباس «أن أبا سفيان قال: يا رسول الله ثلاث أعطنيهنّ، قال: نعم، قال: تؤمّرني حتى أقاتل الكفار، كما كنت أقاتل المسلمين، قال: نعم، قال: ومعاوية تجعله كاتباً بين يديك، قال: نعم، قال: وعندي أحسن العرب وأجمله أمّ حبيبة بنت أبي سفيان أزوّجكها» الحديث.

وأخرج الطيالسي، وأحمد، والبزار، وأبو يعلى، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والنحاس في «ناسخه»، والحاكم وصححه، وابن مردويه عن عبد الله بن الزبير[(٦)] قال: قدمت قُتيلة بنت عبد العزّى على ابنتها أسماء بنت أبي بكر

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٥٦٩)، وابن أبي حاتم ـ كما في «الإتقان» (٢/ ٤٧) ـ بسند صحيح.
(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ١٣٠).
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» (١٣/ ٥١٦) بسند مرسل.
(٤) أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٦/ ٢١٢٩)، والبيهقي (٣/ ٤٥٩)، وابن عساكر (٣/ ٢٠٧). وهو حديث ضعيف جدّاً.
(٥) أخرجه مسلم في «صحيحه» رقم (١٦٨/ ٢٥٠١).
(٦) أخرجه الطيالسي رقم (١٧٤٤)، وأحمد رقم (١٦١١١)، والبزار في «مسنده» رقم (٢٢٠٨)، =

بهدايا: ضِباب، وأَقِط، وسمن، وهي مشركة، فأبت أسماء أن تقبل هديتها، أو تدخلها بيتها حتى أرسلت إلى عائشة أنْ سلي عن هذا رسول الله ﷺ، فسألته، فأنزل الله ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ الآية، فأمرها أن تقبل هديتها، وتدخلها بيتها.

وزاد ابن أبي حاتم(١) في المدّة التي كانت بين قريش ورسول الله ﷺ.

وفي البخاري(٢) وغيره، عن أسماء بنت أبي بكر قالت: «أتتني أمي راغبة، وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدوا رسول الله ﷺ، فسألت النبيّ ﷺ أأصلها؟ فأنزل الله ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ﴾ الآية، فقال: نَعمْ صلي أمَّك».

[المهاجرات من النساء ومبايعتهن]:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ [٤/١٤٤] إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾﴾.

= وأبو يعلى ـ كما في «المطالب العالية» رقم (٤١٥١)، و«تخريج أحاديث الكشاف» (٣/ ٤٥٩) ـ وابن جرير (٢٢/ ٥٧٢)، وابن أبي حاتم ـ كما في «تخريج أحاديث الكشاف» (٣/ ٤٥٩) ـ والنحاس (ص٧١٥)، والحاكم (٢/ ٤٨٥) ـ، والطبراني ـ كما في «مجمع الزوائد» (٤/ ١٥٢)، وفي «تخريج أحاديث الكشاف» (٣/ ٤٥٩)، وابن مردويه ـ كما في «تخريج الكشاف» (٣/ ٤٥٩) بسند ضعيف.

(١) انظر: المصادر المتقدمة.

(٢) أخرجه البخاري رقم (٢٦٢٠، ٣١٨٣، ٥٩٧٨، ٥٩٧٩)، والنحاس (ص٧١٤ ـ ٧١٥)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٧٩٣١).

لما ذكر سبحانه حكم فريقي الكافرين في جواز البرّ، والإقساط للفريق الأوّل دون الفريق الثاني ذكر حكم من يُظهر الإيمان، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ﴾ من بين الكفار، وذلك(١) أن النبيّ ﷺ لما صالح قريشاً يوم الحديبية على أن يردّ عليهم مَنْ جاءهم من المسلمين، فلما هاجر إليه النساء أبى الله أن يرددن إلى المشركين، وأمر بامتحانهنّ فقال: ﴿فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾؛ أي: فاختبروهنّ.

[اختلفوا فيما كان يمتحنّ به]:

وقد اختلف فيما كان يمتحنّ به، فقيل: كان يستحلفهن(٢) بالله ما خرجن من بُغض زوجٍ، ولا رغبة من أرض إلى أرض، ولا لالتماس دنيا بل حبّاً لله ولرسوله، ورغبة في دينه، فإذا حلفت كذلك أعطى النبيّ ﷺ زوجها مهرها، وما أنفق عليها، ولم يردّها إليه.

وقيل: الامتحان(٣) هو أن تشهد أن لا إله إلّا الله، وأن محمّداً رسول الله، وقيل: ما كان الامتحان(٤) إلّا بأن يتلو عليهنّ رسول الله ﷺ الآية، وهي ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ﴾ إلى آخرها.

واختلف(٥) أهل العلم هل دخل النساء في عهد الهدنة أم لا؟ على قولين، فعلى القول بالدخول تكون هذه الآية مخصصة لذلك العهد، وبه قال الأكثر. وعلى القول بعدمه لا نسخ، ولا تخصيص.

﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ﴾ هذه الجملة معترضة لبيان أن حقيقة حالهنّ لا يعلمها إلّا الله سبحانه، ولم يتعبدكم بذلك، وإنما تعبدكم بامتحانهنّ حتى يظهر لكم ما يدلّ على صدق دعواهنّ في الرغوب في الإسلام.

﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ﴾؛ أي: علمتم ذلك بحسب الظاهر بعد الامتحان الذي أمرتم به ﴿فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾؛ أي: إلى أزواجهنّ الكافرين.

وجملة: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ تعليل للنهي عن إرجاعهنّ. وفيه دليل

---

(١) «أسباب النزول» للواحدي (ص٤٥١)، و«النكت والعيون» (٥/ ٥٢١)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٤١٠).

(٢) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٥٧٥) بسند ضعيف لضعف أبي نصر الأسدي.

(٣) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٥٧٩ ـ ٥٨٠) بسند ضعيف.

(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٤١٢). (٥) «النكت والعيون» (٥/ ٥٢١).

على أنّ المؤمنة لا تحلّ لكافر، وأن إسلام المرأة يوجب فرقتها من زوجها لا مجرّد هجرتها، والتكرير لتأكيد الحرمة، أو الأوّل لبيان زوال النكاح، والثاني لامتناع النكاح الجديد.

﴿وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ﴾؛ أي: وأعطوا أزواج هؤلاء اللّاتي هاجرن وأسلمن مثل ما أنفقوا عليهنّ من المهور.

قال الشافعي[1]: وإذا طلبها غير الزوج من قراباتها مُنع منها بلا عوض.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ لأنهنّ قد صرن من أهل دينكم.

﴿إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾؛ أي: مهورهنّ، وذلك بعد انقضاء عدّتهنّ، كما تدلّ عليه أدلة وجوب العدة.

﴿وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾ قرأ الجمهور[2]: «تُمْسكوا» بالتخفيف من الإمساك، واختار هذه القراءة أبو عُبيد[3]، لقوله: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [الطلاق: ٢] وقرأ الحسن، وأبو العالية، وأبو عَمْرو بالتشديد[4] من التمسك، والعِصَم جمعُ عصمة، وهي ما يُعتصم به، والمراد هنا: عصمة عقد النكاح.

والمعنى: أن مَنْ كانت له امرأة كافرة، فليست له بامرأة لانقطاع عصمتها باختلاف الدين.

قال النخعي[5]: هي المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر، وكان الكفار يزوّجون المسلمين، والمسلمون يتزوّجون المشركات، ثم نسخ ذلك بهذه الآية، وهذا خاص بالكوافر المشركات دون الكوافر من أهل الكتاب. وقيل: عامة في جميع الكوافر مخصصة بإخراج الكتابيات منها.

---

(١) في «الأم» (٤/ ١١٥).

(٢) «جامع البيان» (٢٢/ ٥٨٦)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣١٩)، و«التيسير» (ص٢١٠)، و«النشر» (٢/ ٣٨٧).

(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٤١٦).

(٤) «القراءات الشاذة» (ص١٥٥)، و«روح المعاني» (٢٧/ ٨٨). قراءة أبي عمرو متواترة، ومعه يعقوب.

(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٤١٦).

[اختلفوا في مآل الوثني والكتابي إذا أسلم دون زوجته]:

وقد ذهب جمهور(١) أهل العلم إلى أنه إذا أسلم وثنيّ أو كتابيّ لا يفرق بينهما إلّا بعد انقضاء العدّة.

وقال بعض(٢) أهل العلم: يفرق بينهما بمجرّد إسلام الزوج، وهذا إنما هو إذا كانت المرأة مدخولاً بها، وأما إذا كانت غير مدخول بها، فلا خلاف بين أهل العلم في انقطاع العصمة بينهما بالإسلام إذ لا عدّة عليها.

﴿وَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقۡتُمۡ﴾؛ أي: اطلبوا مهور نسائكم اللّاحقات بالكفار.

﴿وَلۡيَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْۚ﴾ قال المفسِّرون(٣): كان مَنْ ذهب من المسلمات مرتدّة إلى الكفار من أهل العهد، يقال للكفار: هاتوا مهرها، ويقال للمسلمين إذا جاءت امرأة من الكفار إلى المسلمين، وأسلمت: ردّوا مهرها على زوجها الكافر.

﴿ذَٰلِكُمۡ حُكۡمُ ٱللَّهِۖ﴾؛ أي: ذلكم المذكور من إرجاع المهور من الجهتين حكم الله.

وقوله: ﴿يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡۚ﴾ في محل نصب(٤) على الحال. أو مستأنفة ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾؛ أي: بليغ العلم لا تخفى عليه خافية بليغ الحكمة في أقواله وأفعاله.

قال القرطبي(٥): وكان هذا مخصوصاً بذلك الزمان في تلك النازلة خاصة بإجماع المسلمين.

﴿وَإِن فَاتَكُمۡ شَيۡءٌ مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ إِلَى ٱلۡكُفَّارِ﴾ لما نزلت الآية المتقدّمة، قال المسلمون: رضينا بحكم الله، وكتبوا إلى المشركين فامتنعوا، فنزل قوله: ﴿وَإِن فَاتَكُمۡ شَيۡءٌ مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ إِلَى ٱلۡكُفَّارِ﴾ مما دفعتم إليهم من مهور النساء المسلمات.

وقيل المعنى: وإن انفلت منكم أحد من نسائكم إلى الكفار بأن ارتدت المسلمة ﴿فَعَاقَبۡتُمۡ﴾ قال الواحدي(٦): قال المفسِّرون: فعاقبتم فغنمتم. قال الزجاج(٧): تأويله، وكانت العقبى لكم؛ أي: كانت الغنيمة لكم حتى غنمتم ﴿فَـَٔاتُواْ

---

(١) «المغني» (١٠/٦)، و«الناسخ والمنسوخ» للنحاس (٣/١١٦).

(٢) «الإشراف» لابن المنذر (٤/٢٠٩).

(٣) «أحكام القرآن» لابن العربي (٤/١٧٧٦).

(٤) «الفريد» (٤/٤٥٩).

(٥) في «تفسيره» (٢٠/٤٢٠).

(٦) في «الوسيط» (٤/٢٨٧).

(٧) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/١٦٠).

﴿ٱلَّذِينَ ذَهَبَتۡ أَزۡوَٰجُهُم مِّثۡلَ مَآ أَنفَقُواْۚ﴾ مِنْ مهر المهاجرة التي تزوّجوها، ودفعوه إلى الكفار، ولا تؤتوه زوجها الكافر.

قال قتادة[١]، ومجاهد[٢]: إنما أمروا أن يعطوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا من الفيء والغنيمة، وهذه الآية منسوخة[٣] قد انقطع حكمها بعد الفتح. وحاصل معناها: أن ﴿مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ﴾ يجوز أن يتعلق بـ﴿فَاتَكُمۡ﴾؛ أي: من جهة أزواجكم، ويراد بالشيء المهر الذي غرمه الزوج، ويجوز أن يتعلق بمحذوف على أنه صفة لشيء.

ثم يجوز في ﴿شَيۡءٞ﴾ أن يراد به المهر، ولكن لا بدّ على هذا من مضاف محذوف؛ أي: من مهر أزواجكم؛ ليتطابق الموصوف وصفته، ويجوز أن يراد بـ﴿شَيۡءٞ﴾: النساء أي نوع وصنف منهنّ، وهو ظاهر قوله: ﴿مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ﴾ وقوله: ﴿فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتۡ أَزۡوَٰجُهُم﴾ والمعنى: أنهم يعطون مَنْ ذهبت زوجته إلى المشركين، فكفرت، ولم يردّ عليه المشركون مهرها، كما حكم الله مثل ذلك المهر الذي أنفقه عليها من الغنيمة.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ﴾؛ أي: احذروا أن تتعرضوا لشيء مما يوجب العقوبة عليكم، فإن الإيمان الذي أنتم متصفون به يوجب على صاحبه ذلك.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ﴾؛ أي: قاصدات لمبايعتك على الإسلام، و﴿عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا﴾ من الأشياء كائناً ما كان، هذا كان يوم فتح مكة، فإن نساء أهل مكة أتين رسول الله ﷺ يبايعنه، فأمره الله أن يأخذ عليهنّ ﴿أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡرِقۡنَ وَلَا يَزۡنِينَ وَلَا يَقۡتُلۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ﴾ وهو ما كانت تفعله الجاهلية من وأد البنات ﴿وَلَا يَأۡتِينَ بِبُهۡتَٰنٖ يَفۡتَرِينَهُۥ بَيۡنَ أَيۡدِيهِنَّ وَأَرۡجُلِهِنَّ﴾؛ أي: لا يلحقن بأزواجهنّ ولداً ليس منهم.

[ليس المراد بالبهتان ولد الزنا]:

قال الفرّاء[٤]: كانت المرأة تلتقط المولود، فتقول لزوجها: هذا ولدي منك، فذلك البُهتان المفترى بين أيديهنّ وأرجلهنّ، وذلك أن الولد إذا وضعته الأمّ سقط

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٥٨٩) بسند صحيح.
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٥٨٨ ـ ٥٨٩) بسند صحيح.
(٣) «الناسخ والمنسوخ» للنحاس (٣/ ١١٩ ـ ١٢٠).
(٤) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٥٢).

بين يديها ورجليها، وليس المراد هنا أنها تنسب ولدها من الزنا إلى زوجها، لأن ذلك قد دخل تحت النهي عَنْ الزنا.

﴿وَلَا يَعۡصِينَكَ فِي مَعۡرُوفٖ﴾؛ أي: في كلِّ أمرٍ هو طاعة لله.

قال عطاء[١]: في كل برّ وتقوى، وقال المقاتلان[٢]: عنى بالمعروف: النهي عن النوح وتمزيق الثياب، وجزّ الشَّعرَ، وشقّ الجيب، وخمش الوجوه، والدعاء بالويل، وكذا قال قتادة[٣]، وسعيد بن المسيب[٤]، ومحمد بن السائب، وزيد بن أسلم، ومعنى القرآن أوسع مما قالوه.

قيل: ووجه التقييد بالمعروف، مع كونه ﷺ لا يأمر إلّا به التنبيه على أنه لا يجوز طاعة مخلوق في معصية الخالق.

[لماذا خصت هذه الأمور البيعة دون غيرها؟]:

﴿فَبَايِعۡهُنَّ﴾ هذا جواب «إذا»، والمعنى إذا بايعنك على هذه الأمور، فبايعهنّ، ولم يذكر في بيعتهنّ الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج لوضوح كون هذه الأمور، ونحوها من أركان الدين، وشعائر الإسلام، وإنما خصّ[٥] الأمور المذكورة لكثرة وقوعها من النساء.

﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُنَّ ٱللَّهَۖ﴾؛ أي: اطلب من الله المغفرة لهنّ بعد هذه المبايعة لهنّ منك.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾؛ أي: بليغ المغفرة والرحمة لعباده.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾ هم جميع طوائف الكفر.

وقيل: اليهود خاصة وقيل: المنافقون خاصة وقال الحسن[٦]: اليهود والنصارى. والأوّل أولى؛ لأنّ جميع طوائف الكفر تتصف بأن الله سبحانه غضب عليها.

﴿قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ «مِن» لابتداء الغاية[٧]؛ أي: أنهم لا يوقنون بالآخرة

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٤٢٦). (٢) «معالم التنزيل» (٨/ ١٠١).
(٣) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٥٩٧)، وعبد الرزاق (٢/ ٢٨٩) بسند صحيح.
(٤) «معالم التنزيل» (٨/ ١٠٢)، و«الوسيط» (٤/ ٢٨٧).
(٥) «روح المعاني» (٢٧/ ٩٤)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٣٢٠).
(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٤٣١). (٧) «روح المعاني» (٢٧/ ٩٦).

البتّة بسبب كفرهم ﴿كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾؛ أي: كيأسهم من بعث موتاهم لاعتقادهم عدم البعث.

وقيل: كما يئس الكفار الذين قد ماتوا منهم مِنْ الآخرة، لأنه قد وقفوا على الحقيقة، وعلموا أنه لا نصيب لهم في الآخرة، فتكون «من» على الوجه الأوّل ابتدائية، وعلى الثاني بيانية، والأوّل أولى.

وقد أخرج البخاري عَنْ المسور بن مخرمة[(١)]، ومروان بن الحكم أن رسول الله ﷺ [٤/١٤٥] لما عاهد كفار قريش يوم الحديبية جاءه نساء مسلمات، فأنزل الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ﴾ حتى بلغ ﴿وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾ فطلّق عمر يومئذٍ امرأتين كانتا له في الشرك.

وأخرجه[(٢)] أيضاً مِنْ حديثهما بأطول من هذا، وفيه، وكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي مُعيط ممن خرج إلى رسول الله ﷺ، وهي عاتق، فجاء أهلها يسألون رسول الله ﷺ يرجعها إليهم حتى أنزل الله في المؤمنات ما أنزل.

وأخرج ابن مردويه[(٣)] عن ابن عباس في قوله: ﴿فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾ قال: كان امتحانهنّ: أن يشهدن أن لا إلٰه إلّا الله، وأن محمّداً عبده ورسوله، فإذا علموا أن ذلك حقّاً منهنّ لم يرجعن إلى الكفار، وأُعطى بعلها في الكفار الذين عقد لهم رسول الله ﷺ صداقها الذي أصدقها، وأحلّهنّ للمؤمنين إذا آتوهنّ أجورهنّ.

وأخرج ابن مردويه[(٤)] عنه قال: نزلت سورة الممتحنة بعد ذلك الصلح، فكان مَنْ أسلم من نسائهم، فسُئلت ما أخرجك؟ فإن كانت خرجت فراراً من زوجها، ورغبة عنه رُدّت، وإن كانت خرجت رغبة في الإسلام أمسكت، وردّ على زوجها مثل ما أنفق.

وأخرج ابن أبي أسامة، والبزار، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني في الكبير، وابن مردويه بسندٍ حسن، كما قال السيوطي[(٥)] عن ابن

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٢٧٣١، ٢٧٣٢).
(٢) أخرجه البخاري رقم (٢٧١١، ٢٧١٢، ٢٧٣٢، ٤١٨٠، ٤١٨٢)، والبيهقي (٧/ ١٧١).
(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ١٣٤).
(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ١٣٤).
(٥) في «الدر المنثور» (٨/ ١٣٧).

عباس[١] في قوله: ﴿إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾ قال: كان إذا جاءت المرأة النبيّ ﷺ حلّفها عمر بن الخطاب بالله ما خرجت رغبة بأرض عن أرض، وبالله ما خرجت من بغض زوج، وبالله ما خرجت التماس دنيا، وبالله ما خرجت إلّا حبّاً لله ورسوله.

وأخرج ابن منيع من طريق الكلبي عن أبي صالح، عن ابن عباس[٢] قال: أسلم عمر بن الخطاب، وتأخرت امرأته في المشركين، فأنزل الله ﴿وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾.

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، والبخاري، والترمذي، وابن المنذر، وابن مردويه عن عائشة[٣] أن رسول الله ﷺ كان يمتحن من هاجر إليه من المؤمنات بهذه الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ إلى قوله: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فمن أقرّ بهذا الشرط من المؤمنات قال لها رسول الله ﷺ: «قد بايعتك» كلاماً، والله ما مسّت يدهُ يدَ امرأةٍ قط من المبايعات ما بايعهنّ إلّا بقوله: «قد بايعتك على ذلك».

وأخرج عبد الرزاق، وسعيد بن منصور، وابن سعد، وأحمد، وعبد بن حميد، والترمذي وصححه، والنسائي، وابن ماجه، وابن جرير، وابن المنذر، وابن مردويه عن أُميمة بنت رُقيقة[٤] قالت: «أتيت النبيّ ﷺ في نساء لنبايعه، فأخذ علينا ما في القرآن أنْ لا نشرك بالله شيئًا حتى بلغ: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ﴾ فقال: فيما استطعتن، وأطقتُنْ، فقلنا: الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا يا رسول الله ألا تصافحنا؟ قال: إنّي لا أصافح النساء، إنما قولي لمائة امرأةٍ كقولي لامرأة واحدة» وفي الباب أحاديث.

---

(١) أخرجه الحارث بن أبي أسامة رقم (٧٢١ ـ بغية)، والبزار رقم (٢٢٧٢ ـ كشف)، وابن جرير (٢١/ ٥٧٥)، وابن أبي حاتم ـ كما في «فتح الباري» (٨/ ٦٣٧) ـ، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٢٣): «رواه البزار وفيه قيس بن الربيع وثقه شعبة والثوري وضعفه غيرهما وبقية رجاله ثقات».

(٢) أخرجه ابن منيع ـ كما في «المطالب» رقم (٤١٤٨) بسند ضعيف جداً.

(٣) أخرجه عبد الرزاق رقم (٩٨٢٥)، والبخاري رقم (٢٧١٣، ٤٨٩١)، والترمذي رقم (٣٣٠٦)، وابن ماجه رقم (٢٨٧٥)، وابن مردويه ـ كما في «فتح الباري» (٨/ ٦٣٧).

(٤) أخرجه ابن سعد (٨/ ٥)، وأحمد رقم (٢٧٠٠٦ ـ ٢٧٠١٠)، والترمذي رقم (٤١٩٢)، وابن ماجه رقم (٢٨٧٤)، وابن جرير (٢٢/ ٦٠٠). وهو حديث صحيح.

وأخرج البخاري، ومسلم، وغيرهما عن عبادة بن الصامت[١] قال: كنا عند النبيّ ﷺ فقال: «بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا، ولا تَزْنوا، وقرأ آية النساء، فمن وَفَى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومَنْ أصاب من ذلك شيئًا فستره الله، فهو إلى الله، إن شاء عذّبه وإن شاء غفر له».

وأخرج ابن المنذر من طريق ابن جريج عن ابن عباس[٢] في قوله: ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ﴾ قال: كانت الحرة تولد لها الجارية، فتجعل مكانها غلاماً.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عنه[٣] في الآية. قال: لا يلحقن بأزواجهنّ غير أولادهم ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ﴾ قال: إنما هو شرط شرطه الله للنِّساء.

وأخرج ابن سعد، وابن أبي شيبة، وأحمد، وعبد بن حميد، والترمذي وحسنه، وابن ماجه، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن أم سلمة[٤] الأنصارية قالت: «قالت امرأة مِنْ النسوة ما هذا المعروف الذي لا ينبغي لنا أن نعصيك فيه؟ قال: لا تَنُحْنَ، قلتُ: يا رسول الله إنّ بني فلان أسعدوني على عمِّي ولا بدّ لي من قضائهن، فأبى عليّ فعاودته مراراً فأذن لي في قضائهنّ، فلم أنح بعد، ولم يبق من النسوة امرأة إلّا وقد ناحت غيري».

وأخرج البخاري، ومسلم، وغيرهما عن أمّ عطية[٥] قالت: بايعنا رسول الله ﷺ، فقرأ علينا أن لا نشرك بالله شيئًا، ونهانا عن النياحة، فقبضت امرأة منّا يدها، فقالت: يا رسول الله إنّ فلانة أسعدتني وأنا أريد أن أجزيها، فلم يقل لها شيئًا. فذهبت، ثم رجعت، فقالت: ما وفت منا امرأة إلّا أم سليم، وأمّ العلاء،

---

(١) أخرجه عبد الرزاق رقم (٩٨١٨)، وأحمد رقم (٢٢٦٧٨)، والبخاري رقم (١٨، ٣٨٩٢، ٣٨٩٣، ٤٨٩٤، ٦٨٠١، ٦٨٧٣)، ومسلم رقم (١٧٠٩)، والترمذي رقم (٤٣٩)، والنسائي رقم (٤١٧٢، ٤١٧٣، ٤٢٢١، ٥٠١٧).

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ١٣٤).

(٣) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٥٩٤)، وابن أبي حاتم ـ كما في «الإتقان» (٢/ ٤٧) بسند صحيح.

(٤) أخرجه ابن سعد (٨/ ٨)، وابن أبي شيبة (٣/ ٣٨٩)، وأحمد رقم (٢٦٧٢٠)، والترمذي رقم (٣٣٠٧)، وابن ماجه رقم (١٥٧٩)، وابن جرير (٢٢/ ٥٥٩). وهو حديث حسن.

(٥) أخرجه البخاري رقم (١٣٠٦، ٤٨٩٢، ٧٢١٥)، ومسلم رقم (٩٣٧).

وبنت أبي سَبْرة امرأة معاذ، أو بنت أبي سبرة، وامرأة معاذ. وقد وردت أحاديث كثيرة في النهي عن النوح.

وأخرج ابن إسحاق، وابن المنذر عن ابن عباس[١] قال: كان عبد الله ابن عمرو، وزيد بن الحارث يودّان رجلاً من اليهود، فأنزل الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ الآية.

وأخرج الفريابي، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والطبراني عن ابن مسعود[٢] في قوله: ﴿قَدْ يَئِسُواْ مِنَ ٱلْأَخِرَةِ﴾ قال: فلا يؤمنون بها، ولا يرجونها، كما يئس الكافر إذا مات، وعاين ثوابَه واطّلع عليه.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر عن ابن عباس[٣] في الآية قال: هم الكفار أصحاب القبور الذين يئسوا من الآخرة.

وأخرج ابن جرير[٤] عنه في الآية قال: مَنْ مات من الذين كفروا، فقد يئس الأحياء من الذين كفروا أنْ يرجعوا إليهم، أو يبعثهم اللهُ.

۞ ۞ ۞

---

(١) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ١٤٤).
(٢) أخرجه الطبراني رقم (٩٠٥٩)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٤٧): «رواه الطبراني عن شيخه عبد بن محمد بن سعيد بن أبي مريم، وهو ضعيف».
(٣) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ١٤٤).
(٤) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٦٠٢) بسند ضعيف.
وأخرجه ابن جرير (٢٢/ ٦٠٣) بسند حسن، عن الضحاك.

سُورَةُ الصَّفِّ

هي أربع عشرة آية.

وهي مدنية. قال الماوردي[١]: في قول الجميع.

وأخرج ابن الضُّرَيس، وابن مردويه، والبيهقي عن ابن عباس[٢] قال: نزلت سورة الصفّ بالمدينة.

وأخرج ابن مردويه[٣] عن ابن الزبير مثله.

وأخرج النحاس[٤] عن ابن عباس قال: نزلت سورة الصف بمكة، ولعلّ هذا لا يصح عَنْه، ويؤيد كونها مدنية ما أخرجه أحمد عَنْ عبد الله بن سلام[٥] قال: تذاكرنا، أيكم يأتي رسول الله ﷺ، فيسأله أيّ الأعمال أحبّ إلى الله؟ فلم يقم أحد منا، فأرسل رسول الله ﷺ إلينا رجلاً رجلاً، فجمعنا، فقرأ علينا هذه السورة يعني: سورة الصف كلها.

وأخرجه ابن أبي حاتم، وقال في آخره: فنزلت فيهم هذه السورة.

وأخرجه أيضاً الترمذي، وابن حبان، والحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين، والبيهقي في «الشعب» و«السنن»[٦].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ

---

(١) في «النكت والعيون» (٥/ ٥٢٧).

(٢) أخرجه ابن الضريس رقم (١٧)، والبيهقي في «الدلائل» (٧/ ١٤٣).

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (١٤/ ٤٤٠).

(٤) أخرجه النحاس في «ناسخه» (ص٧٤٥).

(٥) ذكره الألوسي في «روح المعاني» (٢٧/ ٩٨).

(٦) أخرجه الترمذي رقم (٣٣٠٩)، والحاكم (٢/ ٤٨٦ ـ ٤٨٧)، وأحمد رقم (٢٣٧٨٩).

لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾.

قوله: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ قد تقدّم الكلام على هذا، ووجه التعبير في بعض السور بلفظ الماضي كهذه السورة، وفي بعضها بلفظ المضارع، وفي بعضها بلفظ الأمر الإرشاد إلى مشروعية التسبيح في كل الأوقات ماضيها ومستقبلها وحالها، وقد قدّمنا نحو هذا في أوّل سورة الحديد.

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾؛ أي: الغالب الذي لا يغالب، الحكيم في أفعاله وأقواله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ هذا الاستفهام للتقريع[1] والتوبيخ؛ أي: لِمَ تقولون مِنْ الخير ما لا تفعلونه؟ و«لم» مركبة من اللام الجارّة، وما الاستفهامية، وحذفت ألفها تخفيفاً لكثرة استعمالها، كما في نظائرها.

ثم ذمّهم سبحانه على ذلك فقال: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾؛ أي: عظم ذلك في المقت، وهو البُغْض، والمقت[2] والمقاتة مصدران، يقال: رجل مقيت، ومَمْقوت: إذا لم يحبّه الناس.

قال الكسائي[3]: ﴿أَن تَقُولُوا۟﴾ في موضع رفع؛ لأنَّ ﴿كَبُرَ﴾ فعُل بمعنى: بئس، و﴿مَقْتًا﴾ منتصب[4] على التمييز، وعلى هذا فيكون في ﴿كَبُرَ﴾ ضمير مبهم مفسّر بالنكرة، و﴿أَن تَقُولُوا۟﴾ هو المخصوص بالذمّ، ويجيء فيه الخلاف هل رفعه

(١) «روح المعاني» (٢٧/ ٩٩)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٣٢٤).
(٢) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٧٧٢)، و«تهذيب اللغة» (٩/ ٦٦).
(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٤٣٧).
(٤) «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٣٧٣)، و«التبيان» (٢/ ١٢٢٠)، و«الفريد» (٤/ ٤٦١).

بالابتداء، وخبره الجملة المتقدّمة عليه، أو خبره محذوف[١]، أو هو خبر مبتدأ محذوف. وقيل: إنه قصد بقوله: ﴿كَبُرَ﴾ التعجّب.

وقد عدّه ابن عصفور[٢] من أفعال التعجب. وقيل: إنه ليس من أفعال الذم، ولا من أفعال التعجب، بل هو مسند إلى أن تقولوا، ومقتاً تمييز محوّل عَنْ الفاعل.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾ قال المفسرون: إن المؤمنين قالوا: وددنا أن الله يخبرنا بأحبّ الأعمال إليه حتى نعمله، ولو ذهبت فيه أموالنا وأنفسنا؛ فأنزل الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ﴾ الآية، وانتصاب[٣] ﴿صَفًّا﴾ على المصدرية، والمفعول محذوف؛ أي: يصفُّون أنفسهم صفّاً، وقيل: هو: مصدر في موضع[٤] الحال؛ أي: صافِّين، أو مصفوفين.

قرأ الجمهور[٥]: «يُقَاتِلون» على البناء للفاعل.

وقرأ زيد بن عليّ[٦] على البناء للمفعول، وقرئ: «يُقتَّلون»[٧] بالتشديد.

وجملة: ﴿كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ في محل نَصْبٍ على الحال من فاعل ﴿يُقَٰتِلُونَ﴾، أو من الضمير في ﴿صَفًّا﴾ على تقدير أنه مؤوّل بصافِّين، أو مصفوفين، ومعنى ﴿مَّرْصُوصٌ﴾: ملتزق بعضه ببعض، يقال: رصصتُ البناء أرصُّه رصّاً إذا ضممت بعضَه إلى بعض. قال الفرّاء[٨]: مرصوص بالرصاص. قال المبرِّد[٩]: هو مأخوذ [٤/١٤٦] من رصصت البناء: إذا لا أمْتَ بينه وقاربتَ حتى يصير كقطعة واحدة.

وقيل: هو من الرصيص، وهو ضمّ الأشياء بعضها إلى بعض، والتراصّ[١٠]: التلاصق.

---

(١) انظر: المصادر المتقدمة.

(٢) «روح المعاني» (٢٧/ ١٠٠)، و«معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٥٣).

(٣) «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٣٧٤)، و«الفريد» (٤/ ٤٦١)، و«التبيان» (٢/ ١٢٢٠).

(٤) انظر: المصادر المتقدمة.

(٥) «البحر المحيط» (١٠/ ١٦٥)، و«تفسير الرازي» (٢٩/ ٣١٢)، و«الدر المصون» (٦/ ٣١٠).

(٦) انظر: المصادر المتقدمة. وهي قراءة شاذة.

(٧) «روح المعاني» (٢٧/ ١٠٢)، و«البحر المحيط» (١٠/ ١٦٥). وهي قراءة شاذة أيضاً.

(٨) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٥٣).

(٩) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٤٣٨).

(١٠) «تهذيب اللغة» (١٢/ ١١١)، و«مفردات ألفاظ القرآن» (ص٣٥٥).

[ما وجه ذكر قصتي موسى وعيسى؟]:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾ لما ذكر سبحانه أنه يحبّ المقاتلين في سبيله بيّن أن موسى وعيسى أمرا بالتوحيد(١)، وجاهدا في سبيل الله، وحلّ العقاب بمن خالفهما، والظرف متعلق بمحذوف هو اذْكر؛ أي: اذْكر يا مُحمّد لهؤلاء المُعرضين وقت قول موسى، ويجوز أن يكون وجه ذكر قصة موسى وعيسى بعد محبة المجاهدين في سبيل الله التحذير لأمة محمد ﷺ أَنْ يفعلوا مع نبيهم ما فعله قوم موسى وعيسى معهما.

﴿يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى﴾ هذا مقول القول؛ أي: لِمَ تؤذونني بمخالفة ما أمركم به مِنْ الشرائع التي افترضها الله عليكم؟ أو لِمَ تؤذونني بالشتم والانتقاص؟ ومن ذلك رميه بالأُدْرة، وقد تقدّم بيان هذا في سورة الأحزاب.

وجملة: ﴿وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ في محلّ نصب(٢) على الحال، و«قد» لتحقق العلم، أو لتأكيده، وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار.

والمعنى: كيف تؤذونني مع علمكم بأني رسولُ الله، والرسول يُحْتَرم ويعظّم، ولم يبق معكم شك في الرسالة لما قد شاهدتم من المعجزات التي توجب عليكم الاعتراف برسالتي، وتفيدكم العلم بها علماً يقينياً؟.

﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾؛ أي: لما أصرّوا على الزيغ، واستمرّوا عليه أزاغ الله قلوبهم عن الهدى، وصرفها(٣) عن قبول الحقّ، وقيل: فلما زاغوا عن الإيمان أزاغ الله قلوبهم عن الثواب.

قال مقاتل(٤): لما عدلوا عن الحق أمال الله قلوبهم عنه، يعني: أنهم لما تركوا الحقّ بإيذاء نبيهم أمال الله قلوبهم عن الحق جزاء بما ارتكبوا.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ هذه الجملة مقرّرة لمضمون ما قبلها.

قال الزجاج(٥): لا يهدي من سبق في علمه أنه فاسق، والمعنى: أنه لا يهدي كل متصف بالفسق، وهؤلاء من جملتهم.

---

(١) «زاد المسير» (٨/ ٢٥٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٤٣٩).
(٢) «الفريد» (٤/ ٤٦٢)، و«روح المعاني» (٢٧/ ١٠٢).
(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٤٤٠).
و«النكت والعيون» (٥/ ٥٢٨).
(٤) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢٩٢).
(٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ١٦٤).

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ معطوف على ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ﴾ معمول لعامله، أو معمول لعامل مُقدّر معطوف على عامل الظرف الأوّل ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾؛ أي: إنِّي رسولُ الله إليكم بالإنجيل مصدّقاً لما بين يديّ مِنْ التوراة لأنَّي لم آتكم بشيء يخالف التوراة، بل هي مشتملة على التبشير بي، فكيف تنفرون عني وتخالفونني؟ وانتصاب[1] ﴿مُّصَدِّقًا﴾ على الحال، وكذا ﴿مبشراً﴾، والعامل فيهما ما في الرسول مِنْ معنى الإرسال.

والمعنى: أنِّي أُرسلت إليكم حال كوني مصدّقاً لما بين يدي من التوراة، ومبشراً بمن يأتي بعدي، وإذا كنت كذلك في التصديق[2] والتبشير، فلا مقتضى لتكذيبي.

وأحمد اسم نبينا ﷺ، وهو عَلَم منقول مِنْ الصفة، وهي تحتمل أن تكون مبالغة من الفاعل، فيكون معناها أنه أكثر حمداً لله من غيره، أو من المفعول، فيكون معناها أنَّه يُحمد بما فيه من خصال الخير أكثر مما يحمد غيره.

قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، والسلمي، وزرّ بن حبيش، وأبو بكر عن عاصم «مِنْ بعديَ» بفتح الياء[3]. وقرأ الباقون بإسكانها[4].

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾؛ أي: لما جاءهم عيسى بالمعجزات قالوا هذا الذي جاءنا به سحر واضح ظاهر، وقيل: المراد محمد ﷺ؛ أي: لما جاءهم بذلك قالوا هذه المقالة، والأوّل أولى.

قرأ الجمهور[5]: «سحر» وقرأ حمزة، والكسائي: «ساحر»[6].

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ﴾؛ أي: لا أحد أكثر

---

(١) «الفريد» (٤/ ٤٦٢)، و«التبيان» (٢/ ١٢٢٠)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٣٧٤).
(٢) «روح المعاني» (٢٧/ ١٠٤).
(٣) «النشر» (٢/ ٣٨٧)، و«التيسير» (ص٢١٠)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٢١)، و«زاد المسير» (٨/ ٢٥٣). وممن قرأ بفتح الياء أبو جعفر ويعقوب.
(٤) انظر: المصادر المتقدمة.
(٥) «البحر المحيط» (١٠/ ١٦٦)، و«النشر» (٢/ ٢٥٦)، و«التيسير» (ص١٠)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٤٢١).
(٦) انظر: المصادر المتقدمة.

ظلماً منه حيث يفتري على الله الكذب، والحال أنه يُدْعى إلى دين الإسلام الذي هو خير الأديان وأشرفها؛ لأن من كان كذلك، فحقه أن لا يفتري على غيره الكذب، فكيف يفتريه على ربه؟

قرأ الجمهور(١): «وهو يُدْعى» من الدعاء مبنيّاً للمفعول. وقرأ طلحة بن مصرف: «يَدّعي» بفتح الياء(٢) وتشديد الدال من الادّعاء مبنيّاً للفاعل، وإنما عدّي بإلى لأنه ضمن معنى الانتماء والانتساب.

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ هذه الجملة مقرّرة لمضمون ما قبلها.

والمعنى: لا يهدي من اتصف بالظلم، والمذكورون من جملتهم.

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ الإطفاء(٣): الإخماد، وأصله في النار، واستعير لما يجري مجراها من الظهور.

والمراد بنور الله: القرآن؛ أي: يريدون إبطاله، وتكذيبه بالقول، أو الإسلام، أو محمد ﷺ، أو الحجج والدلائل، أو جميع ما ذكر، ومعنى ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾: بأقوالهم الخارجة من أفواههم المتضمنة للطعن.

﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾ بإظهاره في الآفاق وإعلائه على غيره.

قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: «متمّ نوره»(٤) بالإضافة، والباقون بتنوين(٥) «متمّ».

﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ ذلك، فإنه كائن لا محالة، والجملة في محل نصب(٦) على الحال.

قال ابن عطية(٧): واللام في ليطفئوا لام مؤكدة دخلت على المفعول؛ لأن

---

(١) «البحر المحيط» (١٠/ ١٦٦)، و«المحرر الوجيز» (١٥/ ٥٠٧).

(٢) «المحتسب» (٢/ ٣٢١)، و«القراءات الشاذة» (ص١٥٥). وهي قراءة شاذة.

(٣) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٥٢٢).

(٤) «البحر المحيط» (١٠/ ١٦٧)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٢٠)، و«زاد المسير» (٨/ ٢٥٢)، و«جامع البيان» (٢٢/ ٦١٥).

(٥) انظر: المصادر المتقدمة.

(٦) «الفريد» (٤/ ٤٦٢).

(٧) في «المحرر الوجيز» (١٥/ ٥٠٦).

التقدير: يريدون أن يطفئوا، وأكثر ما تلزم هذه اللام المفعول إذا تقدّم، كقولك: لزيد ضربت، ولرؤيتك قصدت.

وقيل: هي لام العلة[١]، والمفعول محذوف؛ أي: يريدون إبطال القرآن، أو دفع الإسلام، أو هلاك الرسول؛ ليطفئوا، وقيل: إنها بمعنى أن الناصبة، وأنها ناصبة بنفسها.

قال الفراء[٢]: العرب تجعل لام كي في موضع «أن» في أراد وأمر، وإليه ذهب الكسائي[٣]، ومثل هذا قوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ [النساء: ٢٦].

وجملة: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ مستأنفة مقرّرة لما قبلها، والهدى القرآن، أو المعجزات، ومعنى ﴿وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾: الملة الحقة، وهي ملة الإسلام؛ ومعنى ﴿لِيُظْهِرَهُۥ﴾: ليجعله ظاهراً على جميع الأديان عالياً عليها غالباً لها، ولو كره المشركون ذلك، فإنه كائن لا محالة.

قال مجاهد[٤]: ذلك إذا نزل عيسى لم يكن في الأرض دين إلّا دين الإسلام، والدّين مصدر يعبر به عن الأديان المتعدّدة، وجواب «لو» في الموضعين محذوف، والتقدير أتمه وأظهره.

وقد أخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس[٥] قال: كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون: وددنا لو أن الله أخبرنا بأحبّ الأعمال فنعمل به، فأخبر الله نبيه ﷺ أن أحبّ الأعمال إيمان بالله لا شك فيه، وجهاد أهل معصيته الذين خالفوا الإيمان، ولم يقرّوا به، فلما نزل الجهاد كره ذلك أناس من المؤمنين، وشقّ عليهم أمره، فقال الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾.

---

(١) «الفريد» (٤/ ٤٦٢ ـ ٤٦٣)، و«روح المعاني» (٢٧/ ١٠٩).
(٢) انظر: «روح المعاني» (٢٧/ ١٠٩).
(٣) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٤٤٣).
(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٤٤٤).
(٥) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (١٤/ ٤٤٢).

وأخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه(١) عنه في قوله: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ قال: هذه الآية في القتال وحده، وهم قوم كانوا يأتون النبيّ ﷺ، فيقول الرجل: قاتلت وضربت بسيفي، ولم يفعلوا، فنزلت.

وأخرج عبد بن حميد، وابن مردويه(٢) عنه أيضاً قال: قالوا: لو نعلم أحبّ الأعمال إلى الله لفعلناه، فأخبرهم الله، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ فكرهوا ذلك، فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه(٣) أيضاً: ﴿كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ قال: مُثْبَت لا يزول، ملصق بعضه على بعض.

وأخرج البخاري، ومسلم، وغيرهما عن جبير بن مطعم(٤) قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لي أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الحاشر الذي يحشر الله الناس على قدمي، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا العاقب، والعاقب الذي ليس بعده نبيّ».

[حساب التجارة الرابحة في الدنيا والآخرة]:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١١ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝١٢ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٣ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ۝١٤﴾.

---

(١) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (١٤/ ٤٤٣).
(٢) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (١٤/ ٤٤٣).
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم ـ كما في «تغليق التعليق» (٤/ ٣٤٠)، وفي «فتح الباري» (٨/ ٦٤١).
(٤) أخرجه البخاري رقم (٣٥٣٢، ٤٨٩٦)، ومسلم رقم (٢٣٥٤)، والدارمي (٢/ ٣١٧، ٣١٨)، والترمذي رقم (٢٨٤٠)، والنسائي في «السنن الكبرى» رقم (١١٥٩٠)، ومالك (٢/ ١٠٠٤).

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ جعل العمل المذكور بمنزلة التجارة؛ لأنَّهم يربحون فيه، كما يربحون فيها، وذلك بدخولهم الجنة، ونجاتهم من النار. قرأ الجمهور[١]: «تُنْجيكم» بالتخفيف من الإنجاء. وقرأ الحسن، وابن عامر، وأبو حيوة بالتشديد[٢] من التنجية.

ثم بَيّن سُبحانه هذه التجارة التي دلّ عليها فقال: ﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ وهو خبر في معنى الأمر للإيذان بوجوب الامتثال، فكأنه قد وقع، فأخبر بوقوعه، وقدّم ذكر الأموال على الأنفس؛ لأنّها هي التي يبدأ بها في الإنفاق والتجهز إلى الجهاد.

قرأ الجمهور[٣]: «تؤمنون» وقرأ ابن مسعود[٤]: «آمنوا، وجاهدوا» على الأمر. قال الأخفش[٥]: تؤمنون عطف بيان لتجارة، والأولى أن تكون الجملة مستأنفة مبينة لما قبلها.

والإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ إلى ما ذكر من الإيمان والجهاد، وهو مبتدأ، وخبره ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾؛ أي: هذا الفعل خير لكم من أموالكم وأنفسكم.

﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾؛ أي: إن كنتم ممّن يعلم، فإنكم تعلمون أنه خير لكم، لا إذا كنتم من أهل الجهل، فإنكم لا تعلمون ذلك.

﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ هذا جواب الأمر المدلول عليه بلفظ الخبر، ولهذا جُزِمَ.

قال الزجاج[٦]، والمبرد: قوله: ﴿تُؤْمِنُونَ﴾ في معنى آمنوا، ولذلك جاء يغفر لكم مجزوماً. وقال الفرّاء[٧]: يغفر لكم جواب الاستفهام، فجعله مجزوماً لكونه جواب الاستفهام، وقد غلطه بعض أهل العلم.

---

(١) «التيسير» (ص٢١٠)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣١٠)، و«النشر» (٢/ ٢٥٩).
(٢) انظر: المصادر المتقدمة.
(٣) «البحر المحيط» (١٠/ ١٦٧)، و«روح المعاني» (٢٧/ ١١١).
(٤) «البحر المحيط» (١٠/ ١٦٧)، و«القراءات الشاذة» (ص١٥٦)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ١٥٤). قراءة ابن مسعود شاذة لمخالفتها الرسم.
(٥) ذكره الألوسي في «روح المعاني» (٢٧/ ١١١).
(٦) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ١٦٦). (٧) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٥٤).

قال الزجاج(١): ليسوا إذا دلّهم على ما ينفعهم يغفر لهم إنما يغفر لهم إذا آمنوا وجاهدوا.

وقال الرازي(٢) في توجيه قول الفرّاء: إن ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾ في معنى الأمر عنده، يقال: هل أنت ساكت؛ أي: اسكت، وبيانه أن «هل» بمعنى الاستفهام، ثم يتدرّج إلى أن يصير عَرَضاً وحثّاً، والحثّ كالإغراء، والإغراء أمر.

وقرأ زيد بن عليّ(٣) «تؤمنوا، وتجاهدوا» [٤/١٤٧] على إضمار لام الأمر. وقيل: إن ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ﴾ مجزوم بشرط مقدّر؛ أي: إنْ تؤمنوا يغفر لكم، وقرأ بعضُهم بالإدغام في يغفر لكم، والأولى ترك الإدغام؛ لأن الراء حرف متكرّر، فلا يحسن إدغامه في اللام.

﴿وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ قد تقدّم بيان كيفية جري الأنهار من تحت الجنات.

﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾؛ أي: في جنّات إقامة.

﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾؛ أي: ذلك المذكور من المغفرة، وإدخال الجنات الموصوفة بما ذكر هو الفوز الذي لا فوز بعده، والظفر الذي لا ظفر يماثله.

﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا﴾ قال الأخفش(٤)، والفرّاء(٥): أخرى معطوفة على تجارة فهي في محل خفض؛ أي: وهل أدلكم على خصلة أخرى تحبونها في العاجل مع ثواب الآخرة، وقيل: هي في محل رفع؛ أي: ولكم خصلة أخرى، وقيل: في محل نصب(٦)؛ أي: ويعطيكم خصلة أخرى.

ثم بيّن سبحانه هذه الأخرى فقال: ﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾؛ أي: هي نصر من الله لكم، وفتح قريب يفتحه عليكم، وقيل: نصر بدل من أخرى على تقدير كونها

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/١٦٦). (٢) في «تفسيره» (٢٩/٣١٦).

(٣) «البحر المحيط» (١٠/١٦٧)، و«روح المعاني» (٢٧/١١١). قراءة زيد عليٍّ بن بلال شاذة، وما ذكره الإمام الشوكاني أنَّ الأولى ترك الإدغام لكن قد قرأ أبو عمرو في وجه عَنْه بالإدغام والوجه الثاني كباقي العشرة.

(٤) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/٧٠٨). (٥) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٥٤).

(٦) «الفريد» (٤/ ٤٦٥)، و«التبيان» (٢/ ١٢٢١).

في محلّ رفع[١]، وقيل: التقدير: ولكم نصر وفتح قريب.

قال الكلبي[٢]: يعني: النصر على قريش وفتح مكة.

وقال عطاء[٣]: يريد فتح فارس والروم.

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ معطوف على محذوف؛ أي: قُلْ يا أيها الذين آمنوا، وبشر، أو على تؤمنون؛ لأنه في معنى الأمر، والمعنى: وبشّر يا محمد المؤمنين بالنصر والفتح، أو، وبشّرهم بالنصر في الدنيا والفتح، وبالجنة في الآخرة، أو، وبشّرهم بالجنة في الآخرة.

ثم حضّ سبحانه المؤمنين على نصرة دينه فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: دوموا على ما أنتم عليه من نصرة الدين. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ونافع: «أنصاراً لله» بالتنوين[٤]، وترك الإضافة.

وقرأ الباقون[٥] بالإضافة، والرسم يحتمل القراءتين معاً، واختار أبو عبيدة[٦] قراءة الإضافة لقوله: ﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ بالإضافة.

﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾؛ أي: انصروا دين الله مثل نصرة الحواريين لما قال لهم عيسى: ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ فقالوا: ﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ والكاف في ﴿كَمَا قَالَ﴾ نعت[٧] مصدر محذوف تقديره: كونوا كوناً، كما قال، وقيل: الكاف في محل نصب[٧] على إضمار الفعل، وقيل: هو كلام محمول على معناه دون لفظه، والمعنى: كونوا أنصار الله، كما كان الحواريون أنصار عيسى حين قال لهم من أنصاري إلى الله.

وقوله: ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ قيل: إلى بمعنى مع؛ أي: من أنصاري مع الله، وقيل:

---

(١) «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٣٧٥)، و«التبيان» (٢/ ١٢٢١)، و«الفريد» (٤/ ٤٦٥).

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢٩٣).

(٣) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢٩٣).

(٤) «التيسير» (ص٢١٠)، و«النشر» (٢/ ٣٨٧)، و«زاد المسير» (٨/ ٢٥٥)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٢٠). وممّن قرأ بالتنوين أبو جعفر.

(٥) انظر: المصادر المتقدمة.

(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٤٤٨).

(٧) «التبيان» (٢/ ١٢٢١).

التقدير من أنصاري فيما يقرّب إلى الله، وقيل التقدير: من أنصاري متوجهاً إلى نصرة الله، وقد تقدّم الكلام على هذا في سورة آل عمران.

والحواريون هم أنصار المسيح وخُلّص أصحابه، وأوّل من آمن به، وقد تقدّم بيانهم.

﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ﴾؛ أي: آمنت طائفة بعيسى وكفرت به طائفة، وذلك لأنّهم لما اختلفوا بعد رفعه تفرّقوا وتقاتلوا.

﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ﴾؛ أي: قوّينا المحقين منهم على المبطلين ﴿فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾؛ أي: عالين غالبين، وقيل المعنى: فأيدنا الآن المسلمين على الفرقتين جميعاً.

وقد أخرج ابن مردويه عن أبي هريرة(١) قال: قالوا: لو كنا نعلم أيّ الأعمال أحبّ إلى الله؟ فنزلت ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ فكرهوا، فنزلت: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ إلى قوله: ﴿بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٢ ـ ٤].

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر عن قتادة(٢) في قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾ قال: قد كان ذلك بحمد الله جاءه سبعون رجلاً، فبايعوه عند العقبة وآووه ونصروه حتى أظهر الله دينه.

وأخرج ابن إسحاق، وابن سعد عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم(٣) قال: قال رسول الله ﷺ للنفر الذين لقوه بالعقبة: «أخرجوا إليّ اثني عشر منكم يكونون كفلاء على قومهم، كما كفلت الحواريون لعيسى ابن مريم».

وأخرج ابن سعد عن محمود بن لبيد(٤) قال: قال رسول الله ﷺ للنقباء: «إنكم

---

(١) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ١٤٩) إلى ابن أبي حاتم، عن سعيد بن جبير.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٩٠)، وابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٦٢٠ ـ ٦٢١) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن إسحاق (١/ ٤٤٦ ـ السيرة النبوية لابن هشام)، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ٦٠٢).

(٤) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ٦٠٢).

كفلاء على قومكم ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم، وأنا كفيل قومي، قالوا: نعم».

وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس[1] ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ قال: فقوينا الذين آمنوا.

وأخرج ابن أبي حاتم[2] عنه، فأيدنا الذين آمنوا بمحمد ﷺ وأمته على عدوّهم، فأصبحوا اليوم ظاهرين.

۞ ۞ ۞

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ١٥٠).

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ١٥٠).

سُورَةُ الجُمُعَةِ

هي إحدى عشرة آية وهي مدنية. قال القرطبي(١): في قول الجميع.

وأخرج ابن الضريس، والنحاس، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل» عن ابن عباس(٢) قال: نزلت سورة الجمعة بالمدينة.

وأخرج ابن مردويه(٣) عن عبد الله بن الزبير مثله.

وأخرج مسلم، وأهل السنن عن أبي هريرة(٤) سمعتُ رسول الله ﷺ يقرأ في الجمعة سورة الجمعة و﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾.

وأخرج مسلم، وأهل السنن عن ابن عباس(٥) نحوه.

وأخرج ابن حبّان، والبيهقي في «سننه» عن جابر بن سمرة(٦) قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ في صلاة المغرب ليلة الجمعة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ وكان يقرأ في صلاة العشاء الآخرة ليلة الجمعة سورة الجمعة والمنافقون.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ

---

(١) في «تفسيره» (٢٠/ ٤٥١).

(٢) أخرجه ابن الضريس رقم (١٧)، والنحاس (ص٧٤٥)، والبيهقي في «الدلائل» (٧/ ١٤٣، ١٤٤).

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ١٥٠).

(٤) أخرجه مسلم رقم (٨٧٧)، وأبو داود رقم (١١٢٤)، والترمذي رقم (٥١٩)، والنسائي في «الكبرى» رقم (١٧٣٥)، وابن ماجه رقم (١١١٨)، وابن أبي شيبة (٢/ ١٤٢).

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة (٢/ ١٤٢)، ومسلم رقم (٨٧٩)، وأبو داود رقم (١٠٧٥)، والترمذي رقم (٥٢٠)، والنسائي في «المجتبى» رقم (١٤٢٠)، وفي «السنن الكبرى» رقم (١٧٣٦)، وابن ماجه رقم (٨٢١).

(٦) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» رقم (١٨٤١)، والبيهقي (٣/ ٢٠١) بسند ضعيف.

لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ
يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ
ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ
﴿٥﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن
كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ
ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا
كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾.

قوله: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ قد تقدم تفسير هذا في أوّل سورة الحديد، وما بعدها من المسبحات.

﴿ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ قرأ الجمهور(١) بالجرّ في هذه الصفات الأربع على أنها نعت لله، وقيل: على البدل، والأوّل أولى. وقرأ أبو وائل ومسلمة بن محارب وأبو العالية ونصر بن عاصم ورؤبة بالرفع(٢) على إضمار مبتدأ.

وقرأ الجمهور(٣): «القُدوس» بضم القاف، وقرأ زيد بن علي(٤) بفتحها، وقد تقدم تفسيره.

[ما وجه الامتنان بكون الرسول ﷺ منهم]:

﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ المراد بالأميين: العرب، من كان يحسن الكتابة منهم ومن لا يحسنها؛ لأنهم لم يكونوا أهل كتاب، والأميّ في الأصل: الذي لا يكتب ولا يقرأ المكتوب، وكان غالب العرب كذلك، وقد مضى بيان معنى الأميّ في سورة البقرة، ومعنى ﴿مِّنْهُمْ﴾: من أنفسهم، ومن جنسهم، ومن جملتهم، وما كان حيّ من أحياء العرب إلّا ولرسول الله ﷺ فيهم قرابة، ووجه الامتنان بكونه منهم أن ذلك أقرب إلى الموافقة؛ لأن الجنس أميل إلى جنسه وأقرب إليه.

---

(١) «البحر المحيط» (١٠/ ١٧١)، و«الدر المصون» (٦/ ٣١٥)، و«تفسير الرازي» (٣٠/ ٢)، و«القراءات الشاذة» (ص١٥٦). القراءة المتواترة قراءة الجمهور أما بالرفع فشاذة.
(٢) «البحر المحيط» (١٠/ ١٧١)، و«القراءات الشاذة» (ص١٥٦)، و«روح المعاني» (٢٧/ ١٢٠).
(٣) «البحر المحيط» (١٠/ ١٧١)، و«التبيان» (٢/ ١٢٢٢)، و«الدر المصون» (٦/ ٣١٥).
(٤) «القراءات الشاذة» (ص١٥٦)، و«روح المعاني» (٢٧/ ١٢٠). وهي قراءة شاذة.

﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ يعني: القرآن مع كونه أميّاً لا يقرأ ولا يكتب، ولا تعلم ذلك من أحد، والجملة صفة لرسولاً، وكذا قوله: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ قال ابن جريج[(١)]، ومقاتل: أي: يطهرهم من دنس الكفر والذنوب.

وقال السديّ[(١)]: يأخذ زكاة أموالهم، وقيل: يجعلهم أزكياء القلوب بالإيمان.

[الكتاب: القرآن، والحكمة: السُّنَّة]:

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ هذه صفة ثالثة لرسولاً، والمراد بالكتاب: القرآن، وبالحكمة: السُّنَّة، كذا قال الحسن[(٢)]. وقيل: الكتاب: الخط بالقلم، والحكمة: الفقه في الدين، كذا قال مالك بن أنس[(٣)].

﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾؛ أي: وإن كانوا من قبل بعثته فيهم في شرك وذهاب عن الحق.

﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ﴾ معطوف على الأميين؛ أي: بعث في الأميين وبعث في آخرين منهم ﴿لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ﴾ ذلك الوقت، وسيلحقون بهم من بعد، أو هو معطوف على المفعول الأوّل في يعلّمهم؛ أي: ويعلم آخرين، أو على مفعول يزكيهم؛ أي: يزكيهم ويزكي آخرين منهم، والمراد بالآخرين: من جاء بعد الصحابة إلى يوم القيامة، وقيل: المراد بهم من أسلم من غير العرب. وقال عكرمة[(٤)]: هم التابعون.

وقال مجاهد[(٥)]: هم الناس كلهم، وكذا قال ابن زيد[(٦)]، والسديّ[(٧)].

[تخصيص العرب ها هنا لقصد الامتنان]:

وجملة: ﴿لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ﴾ صفة لآخرين، والضمير في «منهم» و«لهم» راجع

---

(١) ذكره عنهم القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٤٥٢ ـ ٤٥٣)، والماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٦).
(٢) «النكت والعيون» (٦/ ٦).
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٥٧٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/ ٥٣٢ رقم ٢٨٢٩).
(٤) «النكت والعيون» (٦/ ٦).
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٦٣١) بسند صحيح.
(٦) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٦٣١) بسند صحيح.
(٧) «النكت والعيون» (٦/ ٦).

إلى الأميين، وهذا يؤيد أن المراد بالآخرين هم مَنْ يأتي بعد الصحابة من العرب خاصةً إلى يوم القيامة، وهو ﷺ، وإن كان مرسلاً إلى جميع الثقلين، فتخصيص العرب ها هنا لقصد الامتنان عليهم، وذلك لا ينافي عموم الرسالة، ويجوز أن يراد بالآخرين(١): العجم؛ لأنهم وإن لم يكونوا من العرب فقد صاروا بالإسلام منهم، والمسلمون كلهم أمة واحدة وإن اختلفت أجناسهم.

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾؛ أي: بليغ العزّة والحكمة، والإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى ما تقدّم ذكره.

وقال الكلبي(٢): يعني: الإسلام. وقال قتادة(٣): يعني: الوحي والنبوّة. وقيل: إلحاق العجم بالعرب، وهو مبتدأ، وخبره ﴿فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾؛ أي: يعطيه من يشاء من عباده ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ الذي لا يساويه فضلٌ ولا يدانيه.

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ ضرب سبحانه لليهود الذين تركوا العمل بالتوراة مثلاً فقال: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾؛ أي: كُلِّفوا القيام بها والعمل بما فيها ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾؛ أي: لم يعملوا بموجبها، ولا أطاعوا ما أمروا به فيها.

﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ هي جمع سِفْر، وهو الكتاب الكبير؛ لأنه يسفر عن المعنى إذا قرئ.

قال ميمون بن مهران(٤): الحمار لا يدري أسِفْر على ظهره أم زبْل؟ فهكذا اليهود.

وقال الجرجاني(٥): هو يعني: حملوا من الحمالة بمعنى الكفالة؛ أي: ضمنوا أحكام التوراة.

وقوله: ﴿يَحْمِلُ﴾ في محلّ نصب(٦) على الحال، أو صفة للحمار إذ ليس المراد به حماراً معيناً، فهو في حكم النكرة، كما في قول الشاعر:

---

(١) «جامع البيان» (٢٢/ ٦٢٨ ـ ٦٣٠)، و«روح المعاني» (٢٧/ ١٢٣).
(٢) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٧ ـ ٨).
(٣) «معالم التنزيل» (٨/ ١١٤).
(٤) ذكره الرازي في «تفسيره» (٣٠/ ٥).
(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٤٥٦).
(٦) «الفريد» (٤/ ٤٦٨)، و«التبيان» (٢/ ١٢٢٢).

ولقد أمرُّ على اللئيم يسبُّني فمضيتُ ثمَّ وقلتُ لا يعنيني[١]

﴿بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ [١٤٨/٤]﴾؛ أي: بئس مثلاً مثلُ القوم الذين كذبوا بآيات الله، على أن التمييز محذوف، والفاعل المفسَّر به مضمر، و﴿مَثَلُ الْقَوْمِ﴾ هو المخصوص[٢] بالذم، أو ﴿مَثَلُ الْقَوْمِ﴾ فاعل ﴿بِئْسَ﴾، والمخصوص بالذمّ الموصول بعده على حذف مضاف؛ أي: مثل الذين كذبوا، ويجوز أن يكون الموصول صفة للقوم، فيكون في محل جرّ[٣]، والمخصوص بالذمّ محذوف.

والتقدير: بئس مثل القوم المكذبين مثل هؤلاء.

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ يعني: على العموم، فيدخل فيهم اليهود دخولاً أوّليّاً.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ﴾ المراد: بالذين هادوا: الذين تهوّدوا، وذلك أن اليهود ادّعوا الفضيلة على الناس، وأنهم أولياء الله من دون الناس، كما في قولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [المائدة: ١٨] وقولهم: ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ [البقرة: ١١١] فأمر الله سبحانه رسوله أن يقول لهم لما ادّعوا هذه الدعوى الباطلة ﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ﴾ لتصيروا إلى ما تصيرون إليه من الكرامة في زعمكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في هذا الزعم، فإن من علم أنه من أهل الجنة أحبَّ الخلوص من هذه الدار.

قرأ الجمهور[٤]: «فتمنُوا» بضم الواو، وقرأ ابن السميفع بفتحها[٥] تخفيفاً، وحكى الكسائي[٦] إبدال الواو همزة.

ثم أخبر الله سبحانه أنهم لا يفعلون ذلك أبداً بسبب ذنوبهم فقال: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٤٥٧/٢٠).

(٢) «التبيان» (١٢٢٢/٢)، و«مشكل إعراب القرآن» (٣٧٧/٢)، و«الفريد» (٤٦٨/٤).

(٣) انظر: المصادر المتقدمة.

(٤) «البحر المحيط» (١٧٣/١٠)، و«الدر المصون» (٣١٦/٦)، و«معاني القرآن وإعرابه» للزجاج (١٧٣/٥).

(٥) «القراءات الشاذة» (ص١٥٦)، و«المحتسب» (٣٢١/٢)، و«روح المعاني» (١٢٧/٢٧). القراءة بفتح الواو شاذة.

(٦) «القراءات الشاذة» (ص١٥٦)، و«روح المعاني» (١٢٧/٢٧)، و«البحر المحيط» (١٧٣/١٠).

أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾؛ أي: بسبب ما عملوا من الكفر والمعاصي، والتحريف والتبديل ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ يعني: على العموم، وهؤلاء اليهود داخلون فيهم دخولاً أوّليّاً.

ثم أمر الله سبحانه رسوله أن يقول لهم بأن الفرار من الموت لا ينجيهم، وأنه نازل بهم، فقال: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾ لا محالة، ونازل بكم بلا شك، والفاء[1] في قوله: ﴿فَإِنَّهُ﴾ داخلة لتضمن الاسم معنى الشرط.

قال الزجاج[2]: لا يقال: إن زيداً فمنطلق، وها هنا قال: فإنه ملاقيكم لما في معنى الذي من الشرط والجزاء؛ أي: إن فررتم منه، فإنه ملاقيكم، ويكون مبالغة في الدلالة على أنه لا ينفع الفرار منه، وقيل: إنها مزيدة[3].

وقيل: إن الكلام قد تمّ عند قوله: ﴿تَفِرُّونَ مِنْهُ﴾ ثم ابتدأ فقال: ﴿فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ وذلك يوم القيامة ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من الأعمال القبيحة، ويجازيكم عليها.

وقد أخرج ابن المنذر، والحاكم، والبيهقي في «الشعب» عن عطاء بن السائب[4] عن ميسرة: أن هذه الآية مكتوبة في التوراة بسبعمائة آية ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ أوّل سورة الجمعة.

وأخرج البخاري، ومسلم، وغيرهما عن ابن عمر[5] عن النبيّ ﷺ قال: «إنّا أمّة أميّة لا نكتب ولا نحسب».

وأخرج البخاري، وغيره عن أبي هريرة[6] قال: «كنا جلوساً عند النبي ﷺ حين نزلت سورة الجمعة، فتلاها، فلما بلغ ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ قال له رجل: يا رسول الله مَنْ هؤلاء الذين لم يلحقوا بنا؟ فوضع يده على سلمان

---

(١) «الفريد» (٤/٤٦٨ ـ ٤٦٩)، و«التبيان» (٢/١٢٢٢ ـ ١٢٢٣).

(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/١٧١). (٣) «التبيان» (٢/١٢٢٣)، و«الفريد» (٤/٤٦٩).

(٤) أخرجه الحاكم (٢/٤٨٧)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٢٥٠٥).

(٥) أخرجه البخاري رقم (١٩١٣)، ومسلم رقم (١٠٨٠)، وأبو داود رقم (٢٣١٩)، والنسائي رقم (٢١٤٠).

(٦) أخرجه البخاري رقم (٤٨٩٧)، ومسلم رقم (٢٥٤٦/٢٣١)، والترمذي رقم (٣٣١٠، ٣٩٣٣)، والنسائي في «السنن الكبرى» رقم (٨٢٧٨) و(١١٥٩٢)، وابن جرير (٢٢/٦٣٠)، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (١/٢)، والبيهقي (٦/٣٣٣).

الفارسي، وقال: والذي نفسي بيده لو كان الإيمان بالثريا لناله رجال من هؤلاء».

وأخرجه أيضاً مسلم[(١)] من حديثه مرفوعاً بلفظ: «لو كان الإيمان عند الثريا لذهب به رجال من فارس ـ أو قال ـ من أبناء فارس».

وأخرج سعيد بن منصور، وابن مردويه عن قيس بن سعد بن عبادة[(٢)] أن رسول الله ﷺ قال: «لو كان الإيمان بالثريا لناله ناس من أهل فارس».

وأخرج الطبراني، وابن مردويه، والضياء عن سهل بن سعد[(٣)] قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في أصلاب أصلاب أصلاب رجال من أصحابي رجالاً ونساء من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب، ثم قرأ ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾».

وأخرج ابن المنذر[(٤)] عن ابن عباس في قوله: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ قال: الدين.

وأخرج عبد بن حميد من طريق الكلبي عن أبي صالح عنه[(٥)] ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ قال: اليهود.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه أيضاً[(٦)] في قوله: ﴿أَسْفَارًۢا﴾ قال: كتباً.

[بعض أحكام تتعلق بصلاة الجمعة]:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾﴾.

(١) انظر: التعليقة المتقدمة.
(٢) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ١٥٣).
(٣) أخرجه الطبراني رقم (٦٠٠٥)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٤٠٨): إسناده جيد.
(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ١٥٣).
(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ١٥٣).
(٦) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ١٥٣).

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ﴾؛ أي: وقع النداء لها، والمراد به: الأذان إذا جلس الإمام على المنبر يوم الجمعة؛ لأنّه لم يكن على عهد رسول الله ﷺ نداء سواه، وقوله: ﴿مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ﴾ بيان لـ«إذا» وتفسير لها. وقال أبو البقاء[(١)]: إن «من» بمعنى: في، كما في قوله: ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ [فاطر ٤٠]؛ أي: في الأرض.

قرأ الجمهور[(٢)]: «الجُمعة» بضم الميم.

وقرأ عبد الله بن الزبير والأعمش بإسكانها تخفيفاً[(٣)]. وهما لغتان، وجمعها جمع وجمعات.

قال الفراء[(٤)]: يقال: الجمعة بسكون الميم وبفتحها وبضمها. وهي صفة لليوم؛ أي: يوم يجُمع الناس.

قال الفراء[(٥)] أيضاً، وأبو عبيد[(٦)]: والتخفيف أخفّ وأقيس، نحو غُرْفة وغُرف، وطرْفة وطرف، وحجْرة وحجر. وفتح الميم لغة عقيل.

وقيل: إنما سُمّيت جمعة؛ لأن الله جمع فيها خلق آدم[(٧)]، وقيل: لأن الله فرغ فيها من خلق كلّ شيء، فاجتمعت فيها جميع المخلوقات[(٨)]، وقيل: لاجتماع الناس فيها للصلاة.

﴿فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ قال عطاء[(٩)]: يعني: الذهاب والمشي إلى الصلاة.

وقال الفراء[(١٠)]: المضيّ والسعي والذهاب في معنى واحد، ويدلّ على ذلك

---

(١) في «التبيان» (٢/ ١٢٢٣).

(٢) «البحر المحيط» (١٠/ ١٧٦)، و«جامع البيان» (٢٢/ ٦٤٣)، و«زاد المسير» (٨/ ٢٦٢).

(٣) «القراءات الشاذة» (ص٩٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٤٦٠). إسكان الميم من «الجمْعة» قراءة شاذة.

(٤) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٥٦).

(٥) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٥٦).

(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٤٦٠).

(٧) أخرجه مسلم رقم (١٨/ ٨٥٤)، وأحمد رقم (٩٤٠٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أنَّ رسول الله ﷺ قال: «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم...»».

(٨) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٤٦٠).

(٩) «معالم التنزيل» (٨/ ١١٦).

(١٠) «النكت والعيون» (٦/ ٨ ـ ٩)، و«أحكام» لابن العربي (٤/ ١٧٩٢).

قراءة عمر بن الخطاب، وابن مسعود: «فامضوا إلى ذكر الله»[١] وقيل: المراد القصد.

قال الحسن[٢]: والله ما هو سعي على الأقدام ولكنه قصد بالقلوب والنيات، وقيل: هو العمل كقوله: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [الإسراء: ١٩] وقوله: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ [الليل: ٤] وقوله: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم: ٣٩] قال القرطبي[٣]: وهذا قول الجمهور، ومنه قول زهير[٤]:

سعى بعدَهم قومٌ لكي يُدْركوهُمُ

وقال أيضاً[٥]:

سعى ساعِيَا غَيظِ بنِ مُرةَ بعدَ ما ... تبزّلَ ما بينَ العشيرةِ بالدَّمِ

أي: فاعملوا على المضيّ إلى ذكر الله، واشتغلوا بأسبابه من الغسل والوضوء والتوجه إليه، ويؤيد هذا القول قول الشاعر[٦]:

أسعَى على جُلِّ بنِي مالكٍ ... كلُّ امرئٍ في شأنه سَاعي[٧]

[يحرم البيع والشراء بآذان مؤذن الجمعة]:

﴿وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ﴾؛ أي: اتركوا المعاملة به، ويلحق به سائر المعاملات. قال الحسن[٨]: إذا أذّن المؤذن يوم الجمعة لم يحلّ الشراء والبيع.

---

(١) «القراءات الشاذة» (ص١٥٦)، و«المحتسب» (٢/ ٣٢١ ـ ٣٢٢). هي قراءة مخالفة للرسم.
(٢) «معالم التنزيل» (٨/ ١١٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٤٦٥).
(٣) في «تفسيره» (٢٠/ ٤٦٥).
(٤) «شرح ديوان زهير» (ص١١٤).
وعجزه:

فلم يفعلوا ولم يُلاموا ولم يألُوا

(٥) «شرح ديوان زهير» (ص١٤).
الساعيان: الحارث بن عوف وهرم بن سنان سَعَيا في الحمالةِ، وغيظ مرة: حيٌّ من غطفان بن سعد.
(٦) هو: أبو قيس بن الأسلت.
(٧) «المفضليات» (ص٢٨٢).
(٨) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٤٧٧)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص٤٥٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٤٧٧)، و«جامع البيان» (٢/ ٦٣٧).

والإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ إلى السعي إلى ذكر الله، وترك البيع، وهو مبتدأ، وخبره ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾؛ أي: خير لكم من فعل البيع، وترك السعي لما في الامتثال من الأجر والجزاء. وفي عدمه من عدم ذلك إذا لم يكن موجباً للعقوبة.

﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾؛ أي: إن كنتم من أهل العلم، فإنه لا يخفى عليكم أن ذلكم خير لكم.

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ﴾؛ أي: إذا فعلتم الصلاة وأدّيتموها وفرغتم منها ﴿فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ للتجارة والتصرّف فيما تحتاجون إليه مِنْ أمر معاشكم ﴿وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: مِنْ رزقه الذي يتفضّل به على عباده بما يحصل لهم من الأرباح في المعاملات والمكاسب.

وقيل: المراد به ابتغاء ما عند الله مِنْ الأجر بعمل الطاعات، واجتناب ما لا يحلّ.

﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ أي ذكراً كثيراً بالشكر له على ما هداكم إليه مِنْ الخير الأُخْروي والدنيويّ، وكذا اذكروه بما يقرّبكم إليه مِنْ الأذكار، كالحمد، والتسبيح، والتكبير، والاستغفار، ونحو ذلك.

﴿لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾؛ أي: كي تفوزوا بخير الدارين وتَظْفروا به.

﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾ سبب(١) نزول هذه الآية أنه كان بأهل المدينة فاقة وحاجة، فأقبلت عِير من الشام، والنبيّ ﷺ يخطب يوم الجمعة، فانفتل الناس إليها حتى لم يبق إلّا اثنا عشر رجلاً في المسجد.

ومعنى ﴿ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا﴾: تفرّقوا خارجين إليها. وقال المبرد(٢): مالوا إليها، والضمير للتجارة، وخُصت بإرجاع الضمير إليها دون اللّهو؛ لأنها كانت أهمّ عندهم.

وقيل: التقدير: وإذا رأوا تجارة انفضوا إليها، أو لهواً انفضوا إليه، فحذف الثاني لدلالة الأوّل عليه، كما في قول الشاعر:

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٤٧٧)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص٤٥٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٤٧٧)، و«جامع البيان» (٢/ ٦٣٧).

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٣٠١).

نحنُ بما عندَنا وأنتَ بما عندَكَ راضٍ والرأيُ مختلِفُ(١)

وقيل: إنّه اقتصر على ضمير التجارة؛ لأنّ الانفضاض إليها إذا كان مذموماً مع الحاجة إليها، فكيف بالانفضاض إلى اللهو، وقيل: غير ذلك ﴿وَتَرَكُوكَ قَآئِمًاۚ﴾؛ أي: على المنبر:

ثم أمره الله سبحانه أن يخبرهم بأنّ العمل للآخرة خير من العمل للدنيا، فقال: ﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ يعني: من الجزاء العظيم وهو الجنة ﴿خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ﴾ اللذين ذهبتم إليهما، وتركتم البقاء في المسجد، وسماع خطبة النبيّ ﷺ لأجلها ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ فمنه اطلبوا الرزق، وإليه توسلوا بعمل الطاعة، فإن ذلك من أسباب تحصيل الرزق وأعظم ما يجلبه.

[سبب تسمية يوم الجمعة]:

وقد أخرج سعيد بن منصور، وابن مردويه عن أبي هريرة(٢) قال: قلت: «يا رسول الله لأيّ شيء سُمي يوم الجمعة؟ قال: لأن فيه [٤/١٤٩] جُمعت طينة أبيكم آدم، وفيه الصَّعْقة والبعثةُ، وفي آخره ثلاث ساعات منها ساعة مَنْ دعا الله فيها بدعوة استجاب له».

وأخرج سعيد بن منصور، وأحمد، والنسائي، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه عن سلمان(٣) قال: قال لي رسول الله ﷺ: «أتدري ما يوم الجمعة؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قالها ثلاث مرات، ثم قال في الثالثة: هو اليوم الذي جَمع اللهُ فيه أباكم آدم أفلا أحدّثكم عَنْ يوم الجمعة»، الحديث.

وأخرج أحمد، ومسلم، والترمذي، وابن مردويه عن أبي هريرة(٤) قال: قال رسول الله ﷺ: «خيرُ يومٍ طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل

---

(١) لعمرو بن امرئ القيس. «خزانة الأدب» (٤/ ٢٨٣)، و«جمهرة أشعار العرب» (١/ ١١٣).

(٢) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ١٥٥).

(٣) أخرجه أحمد رقم (٢٣٧١٨، ٢٣٧٢٩)، والنسائي رقم (١٤٠٢)، والطبراني رقم (٦٠٩٢). وهو حديث صحيح.

(٤) أخرجه أحمد رقم (٩٢٠٧، ٩٤٠٩، ١٠٣٠٣، ١٠٥٤٥، ١٠٦٤٥، ١٠٩٧٠)، ومسلم رقم (٨٥٤)، والترمذي رقم (٤٨٨).

الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلّا في يوم الجمعة» وفي الباب أحاديث مصرحة بأنه خلق فيه آدم.

وورد في فضل يوم الجمعة أحاديث كثيرة، وكذلك في فضل صلاة الجمعة وعظيم أجرها، وفي الساعة التي فيها، وأنه يستجاب الدعاء فيها، وقد أوضحت ذلك في شرحي[١] للمنتقى بما لا يحتاج الناظر فيه إلى غيره.

وأخرج أبو عُبيد في «فضائله»، وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن الأنباري في «المصاحف» عن خرشة بن الحُرّ[٢] قال: رأى معي عُمر بن الخطاب لوحاً مكتوباً فيه ﴿إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ فقال: من أملى عليك هذا؟ قلتُ أبيّ بن كعب، قال: إن أُبيّاً أقرأنا للمنسوخ اقرأها: «فامضوا إلى ذكر الله»[٣].

وروى[٤] هؤلاء ما عدا أبا عبيد عن ابن عمر قال: لقد تُوفي رسول الله ﷺ، وما نقرأ هذه الآية التي في سورة الجمعة إلّا «فامضوا إلى ذكر الله».

وأخرجه عنه أيضاً الشافعي في الأمّ، وعبد الرزاق، والفريابي، وابن جرير، وابن أبي حاتم[٥].

وأخرجوا كلهم أيضاً عن ابن مسعود[٦] أنه كان يقرأ: «فامضوا إلى ذكر الله»[٧] قال: ولو كان فاسعوا لسعيتُ حتى يسقط ردائي.

---

(١) في «نيل الأوطار» (٦/ ٢١٧ ـ ٤٢٣) ط. ابن الجوزي.

(٢) أخرجه أبو عبيد (ص١٨٥ ـ ١٨٦)، وسعيد بن منصور ـ كما في «فتح الباري» (٨/ ٦٤٢) ـ وابن أبي شيبة (٢/ ١٥٧)، وابن الأنباري ـ كما في «تفسير القرطبي» (١٨/ ١٠٢).

(٣) وهي قراءة شاذة. «القراءات الشاذة» (ص١٥٧).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» رقم (٥٣٤٨).

(٥) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٩١)، وفي المصنف رقم (٥٣٤٦)، والطبراني رقم (٩٥٤٠)، وابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٦٣٨).

(٦) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» رقم (٥٣٤٩)، وأبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص١٨٦)، وسعيد بن منصور ـ كما في «فتح الباري» (٨/ ٦٤٢) ـ، وابن أبي شيبة (٢/ ١٥٧)، وابن جرير (٢٢/ ٦٣٩)، وابن الأنباري ـ كما في «تفسير القرطبي» (٢٠/ ٤٩٤) ـ، والطبراني رقم (٩٥٣٩).

(٧) وهي قراءة شاذة. وقد تقدم ذكرها.

وأخرج عبد بن حميد[١] عن أبيّ بن كعب أنه قرأ كذلك.

وأخرج عبد بن حميد[١] عن ابن عباس ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ قال: فامضوا.

وأخرج عبد بن حُميد[١] عنه أن السعي: العمل.

وأخرج عبد بن حميد عن مُحمّد بن كعب[٢]: أنّ رجلين من أصحاب النبيّ ﷺ كانا يختلفان في تجارتهما إلى الشام، فربما قدما يوم الجمعة ورسول الله ﷺ يخطب، فيدعونه ويقومون، فنزلت الآية: ﴿وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ﴾ فحرم عليهم ما كان قبل ذلك.

وأخرج ابنُ جرير[٣] عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ في قوله: «﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ قال: ليس لطلب دنيا، ولكن عيادة مريض وحضور جنازة وزيارة أخ في الله».

وأخرج ابنُ مردويه[٤] عن ابن عباس في الآية قال: «لم تؤمروا بشيء من طلب الدنيا إنما هو: عيادة مريض، وحضور جنازة، وزيارة أخ في الله».

وأخرج البخاري، ومسلم، وغيرهما عن جابر بن عبد الله[٥] قال: بينما النبيّ ﷺ يخطب يوم الجمعة قائماً إذ قدمت عِيرٌ المدينة، فابتدرها أصحاب رسول الله ﷺ حتّى لم يبق منهم إلّا اثنا عشر رجلاً، أنا فيهم وأبو بكر وعمر، فأنزل الله: ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا﴾ إلى آخر السورة.

وأخرج عبد بن حُميد[٦] عن ابن عباس في الآية قال: «جاءت عير عبد الرحمٰن بن عوف تحمل الطعام، فخرجوا من الجمعة بعضهم يريد أن يشتري، وبعضُهم يريد أَنْ ينظر إلى دحية، وتركوا رسول الله ﷺ قائماً على المنبر، وبقي في

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ١٦٢).
(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ١٦٢).
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٢/ ٦٤٤).
(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ١٦٣).
(٥) أخرجه البخاري رقم (٩٣٦، ٢٠٥٨، ٢٠٦٤، ٤٨٩٩)، ومسلم رقم (٨٦٣)، والترمذي رقم (٣٣١١)، وابن جرير (٢٢/ ٦٤٥)، وابن مردويه ـ كما في «فتح الباري» (٨/ ٢٣) ـ، والبيهقي (٣/ ١٨١ ـ ١٨٢)، وأحمد رقم (١٤٣٥٦، ١٤٩٧٨)، وابن أبي شيبة (٢/ ١١٣).
(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ١٦٣).

المسجد اثنا عشر رجلاً وسبع نسوة، فقال رسول الله ﷺ: «لو خرجوا كلهم لاضطرم المسجد عليهم ناراً».

وفي الباب روايات متضمنة لهذا المعنى عَنْ جماعة من الصحابة وغيرهم.

۞ ۞ ۞

سُورَةُ المُنَافِقُونَ

هي إحدى عشرة آية وهي مدنية. قال القرطبي[١]: في قول الجميع.

وأخرج ابن الضُّرَيس، والنحاس، وابن مردويه، والبيهقي عن ابن عباس[٢] قال: نزلت سورة المنافقين بالمدينة.

وأخرج ابن مردويه[٣] عن ابن الزبير مثله.

وأخرج سعيد بن منصور، والطبراني في «الأوسط». قال السيوطي[٤] بسندٍ حسن عن أبي هريرة[٥] قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ في صلاة الجمعة بسورة الجمعة، فيحرّض بها المؤمنين، وفي الثانية بسورة المنافقين، فيقرّع بها المنافقين.

وأخرج البزار، والطبراني عن أبي عنبة الخولاني[٦] مرفوعاً نحوه.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ

---

(١) في «تفسيره» (٢٠/ ٤٩٤).

(٢) أخرجه ابن الضريس رقم (١٧)، والنحاس (ص٧٤٥)، والبيهقي (٧/ ١٤٣).

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ١٦٥).

(٤) في «الدر المنثور» (٨/ ١٦٥).

(٥) أخرجه الطبراني رقم (٩٢٧٩) وأصل الحديث عند مسلم رقم (٨٧٧).

(٦) أخرجه البزار في «مسنده» رقم (٣٧٥٩)، والطبراني ـ كما في «مجمع الزوائد» (٢/ ١٩١) ـ، وقال الهيثمي: فيه سعيد بن سنان، وهو ضعيف.

لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ ورَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾.

قوله: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ﴾؛ أي: إذا وصلوا إليك وحضروا مجلسك، وجواب الشرط ﴿قَالُوا۟﴾، وقيل: محذوف، و﴿قَالُوا۟﴾: حال، والتقدير: جاءوك قائلين: كيتَ وكيتَ، فلا تقبل منهم، وقيل: الجواب ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُمْ جُنَّةً﴾ وهو بعيد.

﴿قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ أكّدوا شهادتهم بإنّ واللام للإشعار بأنها صادرة من صميم قلوبهم مع خلوص اعتقادهم.

والمراد بالمنافقين: عبد الله بن أُبيّ وأصحابه، ومعنى نشهد: نحلف، فهو يجري مجرى القَسم، ولذلك يتلقى بما يتلقى به القسم، ومن هذا قول قيس بن ذريح:

وأشـهـدُ عـنـدَ اللهِ أَنَّـي أحـبُّـهـا فـهذا لها عندي فما عندَها ليا[1]

ومثل نشهد نعلم، فإنه يجري مجرى القَسَم كما في قول الشاعر:

ولـقـد عـلـمـتُ لـتـأتِـيـنَّ مـنـيَّـتـي إنَّ الـمـنـايـا لا تـطـيـشُ سِـهَـامُـهـا

وجملة: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾ معترضة مقرّرة لمضمون ما قبلها، وهو ما أظهروه من الشهادة، وإن كانت بواطنهم على خلاف ذلك.

﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَكَـٰذِبُونَ﴾؛ أي: في شهادتهم التي زعموا أنها من صميم القلب وخلوص الاعتقاد لا إلى منطوق كلامهم، وهو الشهادة بالرسالة، فإنه حقّ، والمعنى: والله يشهد إنهم لكاذبون فيما تضمنه كلامهم من التأكيد الدالّ على أنّ شهادتهم بذلك صادرة عَنْ خلوص اعتقاد وطمأنينة قلب، وموافقة باطن لظاهر.

---

(١) البيت في «ديوان مجنون ليلى قيس بن الملوَّح» (ص٢٩٤، ٣٠٠).

﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ﴾؛ أي: جعلوا حَلْفهم الذي حلفوا لكم به إنهم لمنكم، وإن محمداً لرسول الله وقايةً تقيهم منكم، وسترةً يستترون بها من القتل والأسر، والجملة مستأنفة لبيان كذبهم وحلفهم عليه، وقد تقدّم قول من قال إنها جواب الشرط.

قرأ الجمهور[١]: «أيمانهم» بفتح الهمزة، وقرأ الحسن بكسرها[٢]، وقد تقدّم تفسير هذا في سورة المجادلة.

﴿فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾؛ أي: منعوا النّاس عن الإيمان والجهاد، وأعمال الطاعة بسبب ما يصدر منهم من التشكيك والقدح في النبوّة.

هذا معنى الصدّ[٣] الذي بمعنى الصرف، ويجوز أن يكون من الصدود؛ أي: أعرضوا عن الدخول في سبيل الله وإقامة أحكامه ﴿إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ من النفاق والصدّ، وفي (ساء) معنى[٤] التعجّب، والإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى ما تقدّم ذكره من الكذب، والصدّ، وقبح الأعمال، وهو مبتدأ، وخبره ﴿بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ﴾؛ أي: بسبب أنهم آمنوا في الظاهر نفاقاً ﴿ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ في الباطن، أو أظهروا الإيمان للمؤمنين، وأظهروا الكفر للكافرين، وهذا صريح في كفر المنافقين.

وقيل: نزلت الآية في قوم آمنوا ثم ارتدّوا، والأوّل أَوْلى، كما يفيده السياق.

﴿فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾؛ أي: خُتم عليها بسبب كُفْرهم. قرأ الجمهور[٥]: «فُطِبع» على البناء للمفعول، والقائم مقام الفاعل الجار والمجرور بعده، وقرأ زيد بن عليّ[٦] على البناء للفاعل، والفاعل ضمير يعود إلى الله سبحانه، ويدل على هذا قراءة الأعمش[٧]: «فطبع اللهُ على قلوبهم».

﴿فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ﴾ ما فيه من صلاحهم ورشادهم، وهو الإيمان.

---

(١) «البحر المحيط» (١٠/ ١٧٩)، و«الدر المصون» (٦/ ٣١٨).
(٢) «القراءات الشاذة» (ص١٥٧)، و«المحتسب» (٢/ ٣٢٢)، و«روح المعاني» (٢٧/ ١٥٨). القراءة بِكسر الهمزة شاذة.
(٣) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٤٧٧)، و«تهذيب اللغة» (١٢/ ١٠٣).
(٤) «روح المعاني» (٢٧/ ١٥٩)، و«البحر المحيط» (١٠/ ١٧٩).
(٥) «البحر المحيط» (١٠/ ١٨٠)، و«الدر المصون» (٦/ ٣٢٠)، و«المحرر الوجيز» (١٦/ ١٦).
(٦) انظر: المصادر المتقدمة. القراءة بالبناء للفاعل شاذة.
(٧) «روح المعاني» (٢٧/ ١٥٩)، و«القراءات الشاذة» (ص١٥٦)، و«المحرر الوجيز» (١٦/ ١٦).

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾؛ أي: هيئاتهم ومناظرهم، يعني: أنّ لهم أجساماً تُعجب مَنْ يراها لما فيها من النضارة والرونق.

﴿وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ فتحسب أن قولهم حقّ وصدق لفصاحتهم، وذلاقة ألسنتهم، وقد كان عبد الله بن أبيّ رأس المنافقين فصيحاً جسيماً جميلاً، وكان يحضر مجلس النبيّ ﷺ، فإذا قال سمع النبيّ ﷺ مقالته.

قال الكلبي[١]: المراد: عبد الله بن أبيّ، وجدّ بن قيس، ومعتب بن قيس كانت لهم أجسام ومنظر وفصاحة، والخطاب للنبيّ ﷺ، وقيل: لكلّ من يصلح له، ويدلّ عليه قراءة من قرأ: «يُسْمَع» على البناء[٢] للمفعول.

وجملة: ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ مستأنفة لتقرير ما تقدّم من أَنّ أجسامهم تعجب الرائي وتروق الناظر، ويجوز أَنْ تكون في محل رفع[٣] على أنها خبر مبتدأ محذوف، شبّهوا في جلوسهم في مجالس رسول الله ﷺ مستندين بها بالخشب المنصوبة المسندة إلى الحائط التي لا تفهم ولا تعلم، وهم كذلك لخلوّهم عن الفهم النافع، والعلم الذي ينتفع به صاحبه.

قال الزجاج[٤]: وصفهم بتمام الصور، ثم أعلم أنهم في ترك الفهم والاستبصار بمنزلة الخُشُب. قرأ الجمهور[٥]: «خُشُب» بضمتين، وقرأ أبو عمرو، والكسائي، وقنبل بإسكان[٦] الشين، [٤/١٥١] وبها قرأ البراء بن عازب، واختارها أبو عبيد[٧]؛ لأن واحدتها خَشَبة كبدنة وبُدْن، واختار القراءة الأولى أبو حاتم[٧].

وقرأ سعيد بن جبير، وسعيد بن المسيب بفتحتين[٨]، ومعنى ﴿مُّسَنَّدَةٌ﴾: أنها

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٥٠٠).

(٢) «القراءات الشاذة» (ص١٥٦ ـ ١٥٧)، و«إعراب القراءات الشواذ» (٢/ ٥٨٧). وهي قراءة شاذة.

(٣) «التبيان» (٢/ ١٢٢٤)، و«الفريد» (٤/ ٤٧٢).

(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ١٧٦).

(٥) «جامع البيان» (٢٢/ ٦٥٣)، و«التيسير» (ص٢١٢)، و«التبيان» (٢/ ١٢٢٤)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٢٢).

(٦) «التيسير» (ص٢١١)، و«النشر» (٢/ ٢١٦)، و«روح المعاني» (٢٧/ ١٦١).

(٧) ذكره عنهما القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٥٠٠).

(٨) «البحر المحيط» (١٠/ ١٨٠)، و«روح المعاني» (٢٧/ ١٦١). القراءة بفتح الخاء والشين شاذة.

أُسندت إلى غيرها، من قولهم: أسندت كذا إلى كذا، والتشديد للتكثير[(١)].

ثم عابهم الله سبحانه بالجبن، فقال: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: يحسبون كلَّ صيحة يسمعونها واقعة عليهم، نازلةً بهم؛ لفرط جبنهم ورعب قلوبهم، وفي المفعول الثاني[(٢)] للحسبان وجهان:

أحدهما: أنه عليهم، ويكون قوله: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ﴾ جملة مستأنفة؛ لبيان أنهم الكاملون[(٣)] في العداوة لكونهم يظهرون غير ما يبطنون.

والوجه الثاني: أن المفعول الثاني للحسبان هو قوله: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ﴾، ويكون قوله: ﴿عَلَيْهِمْ﴾ متعلقاً بصيحة، وإنما جاء بضمير[(٤)] الجماعة باعتبار الخبر، وكان حقه أن يقال: هو العدوّ، والوجه الأوّل أولى.

قال مقاتل[(٥)]، والسديّ[(٦)]: أي إذا نادى منادٍ في العسكر، أو انفلتت دابة، أو أنشدت ضالة ظنوا أَنّهم المرادون لما في قلوبهم من الرعب، ومن هذا قول الشاعر:

ما زلتَ تحسِبُ كلَّ شيءٍ بعدَهم ... خيلاً تَكَرُّ عليهمُ ورجالا[(٧)]

وقيل: كان المنافقون على وجَلٍ مَنْ أن ينزل فيهم ما يهتك أستارهم، ويبيح دماءهم وأموالهم.

ثم أمر الله سبحانه رسوله بأن يأخذ حذره منهم فقال: ﴿فَاحْذَرْهُمْ﴾ أنْ يتمكنوا من فرصة منك، أو يطّلعوا على شيءٍ من أسرارك؛ لأنهم عيون لأعدائك من الكفار.

ثم دعا عليهم بقوله: ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾؛ أي: لعنَهم الله، وقد تقول العرب هذه الكلمة على طريقة التعجّب، كقولهم: قاتله الله مِنْ شاعر، أو ما أشعره، وليس بمراد هنا، بل المراد: ذمُّهم وتوبيخهم، وهو طلب من الله سبحانه طلبه من

---

(١) «معالم التنزيل» (٨/ ١٣٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٠/ ٥٠١).

(٢) «التبيان» (٢/ ١٢٢٤)، و«الفريد» (٤/ ٤٧٢).

(٣) «روح المعاني» (٢٧/ ١٦١ ـ ١٦٢)، و«الكشاف» (٦/ ١٢٥).

(٤) «روح المعاني» (٢٧/ ١٦٢)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٣٣٥).

(٥) ذكره الرازي في «تفسيره» (٣٠/ ١٥).

(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٥٠١).

(٧) البيت في «ديوان جرير» (١/ ٥٣).
وفيه (عليكم) بدل (عليهم).

ذاته ﷻ أَنْ يلعنهم ويخزيهم، أو هو تعليم للمؤمنين أن يقولوا ذلك؛ ومعنى ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾: كيف يُصْرفون عَنْ الحق، ويميلون عنه إلى الكفر؟

قال قتادة[١]: معناه: يَعْدلون عن الحق. وقال الحسن معناه: يصرفون عن الرشد.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾؛ أي: إذا قال لهم القائل من المؤمنين قد نزل فيكم ما نزل من القرآن، فتوبوا إلى الله ورسوله، وتعالوا يستغفر لكم رسول الله ﴿لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ﴾؛ أي: حرّكوها استهزاءً بذلك.

قال مقاتل[١]: عطفوا رؤوسهم رغبةً عن الاستغفار.

قرأ الجمهور[٢]: «لوّوا» بالتشديد. وقرأ نافع بالتخفيف[٣]، واختار القراءة الأولى أبو عبيد[٤].

﴿ورَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾؛ أي: يُعرضون عَنْ قول من قال لهم: تعالوا يستغفر لكم رسول الله، أو يعرضون عن رسول الله ﷺ، وجملة: ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ في محل نصب[٥] على الحال مِنْ فاعل الحال الأولى، وهي يصدّون؛ لأنَّ الرؤية بَصَرية، فيصدّون في محل نصب[٥] على الحال.

والمعنى: ورأيتهم[٦] صادّين مستكبرين.

﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾؛ أي: الاستغفار وعدمه سواء لا ينفعهم ذلك لإصرارهم على النفاق، واستمرارهم على الكفر. قرأ الجمهور[٧]: «أَسْتغفرت» بهمزة مفتوحة من غير مدّ، وحذف[٨] همزة الاستفهام ثقة بدلالة «أم» عليها. وقرأ يزيد بن القعقاع[٩] بهمزة ثم ألف.

---

(١) «معالم التنزيل» (٨/ ١٣٠).

(٢) «زاد المسير» (٨/ ٢٧٦)، و«التيسير» (ص٢٠١)، و«النشر» (٢/ ٣٨٨)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٢٢).

(٣) انظر: المصادر المتقدمة.

(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٥٠٤).

(٥) «الفريد» (٤/ ٤٧٣)، و«البحر المحيط» (١٠/ ١٨٢)، و«روح المعاني» (٢٧/ ١٦٤).

(٦) انظر: المصادر المتقدمة.

(٧) «النشر» (٢/ ٣٨٨)، و«البحر المحيط» (١٠/ ١٨٣).

(٨) «التبيان» (٢/ ١٢٢٤)، و«البحر المحيط» (١٠/ ١٨٣).

(٩) «المحرر الوجيز» (١٦/ ٢١)، و«روح المعاني» (٢٧/ ١٦٦ ـ ١٦٧). الرواية عن أبي جعفر يزيد بن القعقاع شاذة، والمتواتر عنه كقراءة الجمهور.

﴿لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾؛ أي: ما داموا على النفاق ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾؛ أي: الكاملين في الخروج عَنْ الطاعة، والانهماك في معاصي الله، ويدخل فيهم المنافقون دخولاً أوّليّاً.

ثم ذكر سبحانه بعض قبائحهم فقال: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ﴾؛ أي: حتى يتفرّقوا عنه، يعنون بذلك فقراء المهاجرين.

والجملة مستأنفة جارية مجرى التعليل لفسقهم، أو لعدم مغفرة الله لهم. قرأ الجمهور(١): «يَنْفَضّوا» من الانفضاض، وهو التفرّق، وقرأ الفضل بن عيسى(٢) الرقاشي: «ينفضوا» من أنفض القوم: إذا فنيت أزوادهم، يقال: نفض الرجل وعاءه من الزاد فانفضّ.

[الذي يعطي أعداءه لا ينسى أولياءه]:

ثم أخبر سبحانه بسعة ملكه فقال: ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: إنه هو الرزاق لهؤلاء المهاجرين؛ لأن خزائن الرزق له فيعطي من شاء ما شاء، ويمنع من شاء ما شاء.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ذلك، ولا يعلمون أن خزائن الأرزاق بيد الله ﷻ، وأنه الباسط القابض المعطي المانع.

ثم ذكر سبحانه مقالة شنعاء قالوها فقال: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ القائل(٣) لهذه المقالة هو عبد الله بن أبيّ رأس المنافقين، وعنى بالأعزّ نفسَه ومَنْ معه، وبالأذلّ: رسول الله ﷺ ومن معه، ومراده بالرجوع: رجوعهم من تلك الغزوة، وإنما أسند القول إلى المنافقين مع كون القائل هو فرد من أفرادهم، وهو عبد الله بن أبيّ، لكونه كان رئيسهم وصاحب أمرهم، وهم راضون بما يقوله سامعون له مطيعون.

ثم ردّ الله سبحانه على قائل تلك المقالة فقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: القوّة والغلبة لله وحدَه ولمن أفاضها عليه من رسله وصالحي عباده

---

(١) «البحر المحيط» (١٠/ ١٨٣).
(٢) «المحرر الوجيز» (١٦/ ٢١)، و«الكشاف» (٦/ ١٢٨). وهي قراءة شاذة.
(٣) «روح المعاني» (٢٧/ ١٦٩)، و«المحرر الوجيز» (١٦/ ٢١).

لا لغيرهم. اللَّهم كما جعلت العزّة للمؤمنين على المنافقين، فاجعل العزّة للعادلين مِنْ عبادك، وأنزل الذلة على الجائرين الظالمين.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ بما فيه النفع فيفعلونه، وبما فيه الضرّ فيجتنبونه، بل هم كالأنعام؛ لفرط جهلهم ومزيد حيرتهم، والطبع على قلوبهم.

وقد أخرج البخاري، ومسلم، وغيرهما عن زيد بن أرقم(١) قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فأصاب الناس شدّة، فقال عبد الله بن أبيّ لأصحابه: ﴿لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟﴾ من حوله، وقال: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ فأتيت النبيّ ﷺ، فأخبرته بذلك، فأرسل إلى عبد الله بن أبيّ، فسأله، فاجتهد يمينه ما فعل، فقالوا: كذب زيد رسول الله، فوقع في نفسي مما قالوا شدّةً حتى أنزل الله تصديقي في ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾، فدعاهم النبيّ ﷺ ليستغفر لهم، فلوّوا رؤوسهم، وهو قوله: ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ قال: كانوا رجالاً أجمل شيء.

وأخرجه عنه(٢) بأطول من هذا ابن سعد، وعبد بن حميد، والترمذي وصححه، وابن المنذر، والطبراني، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي.

وأخرج ابن مردويه(٣) عن ابن عباس قال: إنما سماهم الله منافقين لأنهم كتموا الشرك وأظهروا الإيمان.

وأخرج ابن المنذر(٤) عنه ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً﴾ قال: حلفُهم بالله إنهم لمنكم اجتنوا بأيمانهم من القتل والحرب.

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٤٩٠٢، ٤٩٠٣)، ومسلم رقم (٣٧٧٢)، وأحمد رقم (١٩٢٨٥، ١٩٢٩٥ ـ ١٩٢٩٧، ١٩٣٣٣، ١٩٣٣٤)، وعبد بن حميد رقم (٢٦٢ ـ المنتخب)، وابن سعد (٢/ ٦٥)، والترمذي رقم (٣٣١٤)، والنسائي في «السنن الكبرى» رقم (١١٥٩٤، ١١٥٩٧، ١١٥٩٨)، وابن جرير (٢٢/ ٦٥٥)، والطبراني رقم (٥٠٥٠)، وابن مردويه ـ كما في «التغليق» (٤/ ٣٤١، ٣٤٢).

(٢) أخرجه الترمذي رقم (٣٣١٣)، والطبراني رقم (٥٠٤١)، والحاكم (٢/ ٤٨٨، ٤٨٩)، والبيهقي (٤/ ٥٤، ٥٥)، وابن عساكر في «تاريخه» (١٩/ ٢٦٩، ٢٧٠). وهو حديث صحيح.

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ١٧٢).

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ١٧٢).

وأخرج ابن أبي حاتم[١] عنه أيضاً ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ قال: نخل قيام.

وأخرج ابن مردويه، والضياء في «المختارة» عنه[٢] أيضاً. قال: نزلت هذه الآية ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟﴾ في عسيف لعمر بن الخطاب.

وأخرج ابنُ مردويه عَنْ زيد بن أرقم، وابن مسعود[٣] أنهما قرآ: «لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله»[٤].

وأخرج البخاري، ومسلم، وغيرهما عن جابر بن عبد الله[٥] قال: «كنا مع النبيّ ﷺ في غزاة. قال سفيان: يرون أَنَّها غزوة بني المصطلق، فكسع رجل من المهاجرين رجلاً مِنْ الأنصار، فقال المهاجريّ: يا للمهاجرين، وقال الأنصاريّ: يا للأنصار، فسمع ذلك النبيّ ﷺ فقال: ما بالُ دعوة الجاهلية؟ قالوا: رجل من المهاجرين كسع رجلاً من الأنصار، فقال النبيّ ﷺ: دعوها؛ فإنها منتنة، فسمع ذلك عبد الله بن أبيّ، فقال: أو قد فعلوها، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منه الأذلّ، فبلغ ذلك النبيّ ﷺ، فقام عمر فقال: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبيّ ﷺ: دعه، لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه»، زاد الترمذي «فقال له ابنه عبد الله: والله لا تنفلت حتى تقر أنك الذليل، ورسول الله العزيز، ففعل».

[الأولاد ملهاة ومشغلة إذا لم يستيقظ القلب ويدرك غاية وجوده]:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾.

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ١٧٣).

(٢) أخرجه الضياء في «المختارة» (١٠/ ٩٥ رقم ٩٢).

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ١٧٤).

(٤) وهي قراءة شاذة لمخالفتها رسم المصحف. «فتح الباري» (٨/ ١٩٤).

(٥) أخرجه البخاري رقم (٤٩٠٥، ٤٩٠٧)، ومسلم رقم (٢٥٨٤)، والترمذي رقم (٣٣١٥)، والنسائي في «الكبرى» رقم (٨٨٦٣، ١٥٩٩)، والبيهقي (٤/ ٥٣، ٥٤).

لما ذكر سبحانه قبائح المنافقين رجع إلى خطاب المؤمنين مرغباً لهم في ذكره فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ فحذرهم عن أخلاق المنافقين الذين ألهتهم أموالهم وأولادهم عن ذكر الله، ومعنى ﴿لَا تُلْهِكُمْ﴾: لا تشغلكم، والمراد بالذكر: فرائض الإسلام، قاله الحسن[1].

وقال الضحاك[2]: الصلوات الخمس، وقيل: قراءة القرآن، وقيل: هو خطاب للمنافقين، ووصفهم بالإيمان لكونهم آمنوا ظاهراً، والأوّل أولى ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: يلتهي بالدنيا عن الدين ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾؛ أي: الكاملون في الخسران.

﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم﴾ الظاهر أن المراد الإنفاق في الخير على عمومه، و«مِنْ» للتبعيض؛ أي: أنفقوا بعض ما رزقناكم في سبيل الخير. وقيل: المراد: الزكاة المفروضة.

﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ بأنْ تنزل به أسبابه، ويشاهد حضور علاماته، وقدّم المفعول على الفاعل للاهتمام.

﴿فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾؛ أي: يقول عند نزول ما نزل به منادياً لربِّه: هلّا أمهلتني وأخّرت موتي إلى أجلٍ قريب؛ أي: أمدٍ قصير ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾؛ أي: فأتصدّق بمالي ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

قرأ الجمهور[3]: «فأصدّق» بادغام التاء في الصاد، وانتصابه على أنه جواب التمني، وقيل: إنْ لا في لولا زائدة، والأصل لو أخرتني. وقرأ أُبيّ[4]، وابن مسعود، وسعيد بن جبير: «فأتصدّق» بدون إدغام على الأصل.

وقرأ الجمهور[5]: «وأكن» [٤/١٥٢] بالجزم على محل، «فأتصدّق»، كأنه قيل: إن قيل: إن أخرتني أتصدّق وأكن.

---

(١) «المحرر الوجيز» (١٦/ ٢٣).
(٢) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٦٧٠ ـ ٦٧١) بسند ضعيف.
(٣) «البحر المحيط» (١٠/ ١٨٤ ـ ١٨٥)، و«الدر المصون» (٦/ ٣٢٤).
(٤) «القراءات الشاذة» (ص١٥٧)، و«إعراب القراءات الشواذ» (٢/ ٥٩٠). هي قراءة شاذة، والمتواتر قراءة الجمهور.
(٥) «جامع البيان» (٢٢/ ٦٧٣)، و«التيسير» (ص٢١١)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٢٢)، و«النشر» (٢/ ٣٨٨).

قال الزجاج[١]: معناه: هلا أخرتني؟ وجزم أكنْ على موضع، «فأصدق»؛ لأنه على معنى: إن أخرتني أصدّق وأكن. وكذا قال أبو عليّ[٢] الفارسي، وابن عطية[٣]، وغيرهم.

وقال سيبويه[٤] حاكياً عن الخليل: إنّه جُزم على توهم الشرط الذي يدلّ عليه التمنّي، وجعل سيبويه هذا نظير قول زهير:

بدا ليَ أني لستُ مدركَ ما مضَى ولا سابقٍ شيئًا إذا كان جائيا

فخفض، و«لا سابق» عطفاً على «مدرك» الذي هو خبر ليس على توهم زيادة الباء فيه.

وقرأ أبو عمرو، وابن محيصن، ومجاهد: «وأكونَ» بالنصب[٥] عطفاً على «فأصدّق»، ووجُهها واضح. ولكن قال أبو عبيد[٦]: رأيت في مصحف عثمان: «وأكن» بغير واو، وقرأ عُبيد بن عمير[٧]: «وأكون» بالرفع على الاستئناف؛ أي: وأنا أكون.

قال الضحاك[٨]: لا ينزل بأحد الموت لم يحج ولم يؤدّ زكاة إلّا سأل الرجعة، وقرأ هذه الآية.

ثم أجاب الله سبحانه عن هذا المتمني فقال: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ﴾؛ أي: إذا حضر أجلها وانقضى عمرها ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ لا يخفى عليه شيء منه، فهو مجازيكم بأعمالكم.

قرأ الجمهور[٩]: «تعملون» بالفوقية على الخطاب، وقرأ أبو بكر عن عاصم، والسلمي بالتحتية[١٠] على الخبر.

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ١٧٨). (٢) في «الحجة» (٦/ ٢٩٤).

(٣) في «المحرر الوجيز» (١٦/ ٢٣ ـ ٢٤).

(٤) «البحر المحيط» (١٠/ ١٨٤)، و«روح المعاني» (٢٧/ ١٧٥).

(٥) «التيسير» (ص٢١١)، و«النشر» (٢/ ٣٨٨). وهي قراءة متواترة.

(٦) «البحر المحيط» (١٠/ ١٨٤)، و«روح المعاني» (٢٧/ ١٧٥).

(٧) «روح المعاني» (٢٧/ ١٧٥). القراءة بالرفع شاذة.

(٨) أخرجه ابن جرير (٢٢/ ٦٧١ ـ ٦٧٢) بسند ضعيف من طريق الضحاك، عن ابن عباس. وأخرجه ابن جرير (٢٢/ ٦٧٢) بسند حسن من طريق عبيد، عن الضحاك.

(٩) «النشر» (٢/ ٣٨٨)، و«التيسير» (ص٢١١)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٢٣)، و«روح المعاني» (٢٧/ ١٧٦).

(١٠) انظر: المصادر المتقدمة.

وقد أخرج ابن مردويه[١] عن ابن عباس عن النبيّ ﷺ في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ﴾ الآية قال: هم عباد من أمتي الصالحون منهم لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، وعن الصلوات الخمس المفروضة.

وأخرج عبد بن حميد، والترمذي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه عن ابن عباس[٢] قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كان له مال يبلغه حجّ بيت الله، أو تجب عليه فيه الزكاة، فلم يفعل سأل الرجعة عند الموت، فقال رجل: يا ابن عباس اتق الله، فإنما يسأل الرجعة الكافر، فقال: سأتلو عليكم بذلك قرآناً ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ إلى آخر السورة».

وأخرج ابن المنذر[٣] عن ابن عباس ﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ قال: أحج.

❁ ❁ ❁

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ١٧٩).

(٢) أخرجه عبد بن حميد رقم (٦٩٢ ـ المنتخب)، والترمذي رقم (٣٣١٦)، وابن جرير (٢٢/ ٦٧١)، والطبراني رقم (١٢٦٣٥، ١٢٦٣٦). وهو حديث ضعيف.

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ١٨٠).

سُورَةُ التَّغَابُنِ

هي ثمان عشرة آية وهي مدنية في قول الأكثر(١). وقال الضحاك(٢): هي مكية. وقال الكلبي(٣): هي مدنية ومكية.

وأخرج ابن الضريس، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل» عن ابن عباس(٤) قال: نزلت سورة التغابن بالمدينة.

وأخرج ابن مردويه(٥) عن ابن الزبير مثله.

وأخرج النحاس(٦) عن ابن عباس قال: نزلت سورة التغابن بمكة إلّا آيات من آخرها نزلن بالمدينة في عوف بن مالك الأشجعي، شكا إلى رسول الله ﷺ جفاء أهله وولده، فأنزل الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ﴾ [التغابن: ١٤ ـ ١٨] إلى آخر السورة.

وأخرج ابن إسحاق، وابن جرير عن عطاء بن يسار(٧) نحوه.

وأخرج ابن حبان في «الضعفاء»، والطبراني، وابن مردويه، وابن عساكر عن عبد الله بن عمر(٨) قال: قال النبيّ ﷺ: «ما من مولود يولد إلّا مكتوب في تشبيك رأسه خمس آيات من سورة التغابن».

قال ابن كثير(٩): وهو غريبٌ جدّاً بل منكر.

وأخرج البخاري في «تاريخه» عن عبد الله بن عمرو(١٠) قال: «ما من مولود يولد إلّا مكتوب في تشبيك رأسه خمس آيات من أوّل سورة التغابن».

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٥).
(٢) «النكت والعيون» (٦/ ٢٠).
(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٥).
(٤) أخرجه ابن الضريس رقم (١٧)، والبيهقي (٧/ ١٤٣).
(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ١٨١).
(٦) أخرجه النحاس (ص٧٤٥ ـ ٧٤٦).
(٧) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ١٥) بسند ضعيف.
(٨) أخرجه ابن حبان (٣/ ٨١، ٨٢) عن ابن عمر، والطبراني في «مسند الشاميين» رقم (٩٠)، وابن عساكر (٦٣/ ١٥٠)، وذكره ابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ١٥٢).
(٩) في «تفسيره» (١٤/ ١٧).
(١٠) أخرجه البخاري في «تاريخه» (١/ ٤٤٥).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾﴾.

قوله: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: يُنزّهه سبحانه جميعُ مخلوقاته التي في سماواته وأرضه عن كل نقص وعيب ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ﴾ يختصان به ليس لغيره منهما شيء، وما كان لعباده منهما، فهو من فيضه وراجع إليه ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ لا يعجزه شيء.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾؛ أي: فبعضُكم كافر وبعضكم مؤمن.

قال الضحاك[١]: فمنكم كافر في السرّ مؤمن في العلانية كالمنافق، ومنكم مؤمن في السرّ كافر في العلانية كعمّار بن ياسر ونحوه ممن أكره على الكفر. وقال عطاء[٢]: فمنكم كافر بالله مؤمن بالكواكب، ومنكم مؤمن بالله كافر بالكواكب.

[وجود خلاف المقدر عجز ووجود خلاف المعلوم جهل]:

قال الزجاج[٣]: إن الله خلق الكافر، وكفره فعلٌ له وكسب مع أن الله خالق الكفر. وخلق المؤمن، وإيمانه فعل له وكسب مع أن الله خالق الإيمان. والكافر يكفر ويختار الكفر بعد خلق الله إياه؛ لأنّ الله تعالى قدّر ذلك عليه وعلمه منه لأن وجود خلاف المُقدّر عَجْز، ووجود خلاف المعلوم جهل.

---

(١) ذكره الرازي في «تفسيره» (٣٠/ ٢١).
(٢) «معالم التنزيل» (٨/ ١٣٩)، و«زاد المسير» (٨/ ٢٨٠ ـ ٢٨١).
(٣) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ١٧٩ ـ ١٨٠).

قال القرطبي[١]: وهذا أحسن الأقوال، وهو الذي عليه جمهور الأمة، وقدّم الكافر على المؤمن لأنّه الأغلب عند نزول القرآن ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ لا تخفى عليه من ذلك خافية، فهو مجازيكم بأعمالكم.

ثم لما ذكر سبحانه خلق العالم الصغير أتبعه بخلق العالم الكبير فقال: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ﴾؛ أي: بالحكمة البالغة. وقيل: خلق ذلك خلقاً يقيناً لا ريب فيه، وقيل: الباء بمعنى اللام؛ أي: خلق ذلك لإظهار الحق، وهو أن يجزي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

ثم رجع سبحانه إلى خلق العالم الصغير فقال: ﴿وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡۖ﴾ قيل: المراد: آدم خلقه بيده كرامةً له، كذا قال مقاتل[٢]، وقيل: المراد: جميع الخلائق، وهو الظاهر؛ أي: أنه سبحانه خلقهم في أكمل صورة وأحسن تقويم وأجمل شكل. والتصوير: التخطيط والتشكيل.

قرأ الجمهور[٣]: «فأحسن صُوَرَكم» بضمّ الصاد، وقرأ زيد بن عليّ، والأعمش، وأبو زيد بكسرها[٤] ﴿وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ في الدار الآخرة، لا إلى غيره.

[شمول علمه للأمور الكلية والجزئية والأحوال الجليَّة والخفيَّة]:

﴿يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ لا تخفى عليه من ذلك خافية ﴿وَيَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَۚ﴾؛ أي: ما تخفونه وما تظهرونه، والتصريح به مع اندراجه فيما قبله لمزيد التأكيد في الوعد والوعيد ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ هذه الجملة مقرّرة لما قبلها من شمول علمه لكل معلوم، وهي تذييلية[٥].

﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُ﴾ وهم كفار الأمم الماضية كقوم نوح، وعاد، وثمود، والخطاب لكفار العرب ﴿فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ﴾ بسبب كفرهم، والوبال: الثقل والشدّة، والمراد: بأمرهم هنا ما وقع منهم من الكفر والمعاصي، وبالوبال ما

(١) في «تفسيره» (٢١/٨). (٢) «النُّكت والعيون» (٦/ ٢١).
(٣) «البحر المحيط» (١٠/ ١٨٨)، و«زاد المسير» (٨/ ٢٨١)، و«المحرر الوجيز» (١٦/ ٢٧).
(٤) «القراءات الشاذة» (ص٩٩، ١٥٧).
(٥) «روح المعاني» (٢٧/ ١٨٣)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٣٤٠).

أصيبوا به من عذاب الدنيا ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وذلك في الآخرة هو عذاب النار؛ والإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى ما ذكر من العذاب في الدارين، وهو مبتدأ، وخبره ﴿بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾؛ أي: بسبب أنها كانت تأتيهم الرسل المرسلة إليهم بالمعجزات الظاهرة.

﴿فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾؛ أي: قال كل قوم منهم لرسولهم هذا القول منكرين أن يكون الرسول من جنس البشر متعجبين من ذلك، وأراد بالبشر الجنس[1]، ولهذا قال يهدوننا ﴿فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟﴾؛ أي: كفروا بالرسل وبما جاءوا به، وأعرضوا عنهم ولم يتدبروا فيما جاءوا به، وقيل: كفروا بهذا القول الذي قالوه للرسل ﴿وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ﴾ عَنْ إيمانهم وعبادتهم.

وقال مقاتل[2]: استغنى الله بما أظهره لهم مِنْ البرهان، وأوضحه من المعجزات، وقيل: استغنى بسلطانه عن طاعة عباده ﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾؛ أي: غير محتاج إلى العالَم ولا إلى عبادتهم له، محمود من كل مخلوقاته بلسان المقال والحال.

وقد أخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن أبي ذرّ[3] قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مكث المنيّ في الرحم أربعين ليلة أتاه ملَك النفوس، فعرج به إلى الربّ فيقول: يا ربّ أذكر أم أنثى؟ فيقضي الله ما هو قاض، فيقول: أشقي أم سعيد؟ فيكتب ما هو لاق، وقرأ أبو ذرّ من فاتحة التغابن خمس آيات إلى قوله: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾».

وأخرج ابن مردويه[4] عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «العبد يولد مؤمناً، ويعيش مؤمناً، ويموت مؤمناً، والعبد يولد كافراً، ويعيش كافراً، ويموت كافراً، وإن العبد يعمل برهة من دهره بالسعادة، ثم يدركه ما كتب له فيموت شقيّاً، وإن العبد يعمل برهة من دهره بالشقاء، ثم يدركه ما كتب له فيموت سعيداً».

---

(١) «تفسير ابن السعود» (٦/ ٣٤٠).
(٢) «المحرر الوجيز» (١٦/ ٢٨).
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم ـ كما في «جامع العلوم والحكم» (١/ ١٢٨) ـ، وابن جرير (٢٣/ ٦) موقوفاً.
(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ١٨٢).

[إثبات البعث وتهديد الكفار]:

﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ
(٧) فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٨) يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ
ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٩) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٠) مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ
اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١١) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن
تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (١٢) اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
الْمُؤْمِنُونَ (١٣)﴾.

قوله: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا﴾ [٤/١٥٣] الزعم: هو القول بالظنّ، ويطلق على الكذب. قال شريح[1]: لكل شيء كنية، وكنية الكذب زعموا، و﴿أَن لَّن يُبْعَثُوا﴾ قائم مقام مفعولي زعم، و«أن» هي المخففة[2] من الثقيلة لا المصدرية لئلا يدخل ناصب على ناصب، والمراد بالكفار: كفار العرب؛ والمعنى: زعم كفار العرب أن الشأن لن يبعثوا أبداً.

ثم أمر سبحانه رسوله ﷺ بأن يردّ عليهم ويبطل زعمهم فقال: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ﴾ بَلْ هي التي لإيجاب النفي، فالمعنى: بلى تبعثون.

ثم أقسم على ذلك، وجواب القسم لتبعثنّ؛ أي: لتخرجنّ من قبوركم، ثُمَّ لتنبؤن ﴿بِمَا عَمِلْتُمْ﴾؛ أي: لتخبرنّ بذلك إقامةً للحجة عليكم، ثم تجزون به ﴿وَذَٰلِكَ﴾ البعث والجزاء ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ إذ الإعادة أيسر من الابتداء.

﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ الفاء هي الفصيحة[3] الدالة على شرط مقدّر؛ أي: إذا كان الأمر هكذا، فصدّقوا بالله ورسوله محمد ﷺ ﴿وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا﴾ وهو القرآن؛

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٨/ ٦٣٧ ـ ٦٣٨).
(٢) «الفريد» (٤/ ٤٧٨).
(٣) «روح المعاني» (٢٧/ ١٨٥).

لأنّه نور يُهتدى به من ظلمة الضلال ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ لا يخفى عليه شيء من أقوالكم وأفعالكم، فهو مجازيكم على ذلك.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ﴾ العامل في الظرف لتنبؤن، قاله النحاس[١]. وقال غيره: العامل فيه خبير، وقيل: العامل فيه محذوف هو اذكر.

وقال أبو البقاء[٢]: العامل فيه ما دلّ عليه الكلام؛ أي: تتفاوتون يوم يجمعكم.

قرأ الجمهور[٣]: «يَجمعُكم» بفتح الياء وضم العين، وروي عن أبي عمرو إسكانها[٤]، ولا وجه[٥] لذلك إلّا التخفيف، وإن لم يكن هذا موضعاً له، كما قرئ في ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ [الأنعام: ١٠٩] بسكون الراء، وكقول الشاعر:

فاليومَ أشربْ غيرَ مستحقبٍ ... إثماً مِنَ اللهِ ولا واغلِ

بإسكان باء أشرب، وقرأ زيد بن عليّ، والشعبي، ويعقوب، ونصر، وابن أبي إسحاق، والجحدري: «نجمعكم» بالنون[٦].

ومعنى ﴿لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ﴾ ليوم القيامة، فإنه يجمع[٧] فيه أهل المحشر للجزاء، ويجمع فيه بين كل عامل وعمله، وبين كل نبيّ وأمته، وبين كل مظلوم وظالمه.

﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾ يعني: أنّ يوم القيامة هو يوم التغابن[٨]، وذلك أنه يغبن فيه بعض أهل المحشر بعضاً، فيغبن فيه أهل الحق أهل الباطل، ويغبن فيه أهل الإيمان أهل الكفر، وأهل الطاعة أهل المعصية، ولا غَبن أعظم مِنْ غبن أهل الجنة أهل النار عند دخول هؤلاء الجنة وهؤلاء النار، فنزلوا منازلهم التي كانوا سينزلونها لو لم

---

(١) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (١٠/ ١٩٠).

(٢) في «التبيان» له (٢/ ١٢٢٦).

(٣) «البحر المحيط» (١٠/ ١٩١)، و«إعراب القراءات السبع وعللها». «المحرر الوجيز» (١٦/ ٢٩).

(٤) انظر: المصادر المتقدمة.

(٥) «الحجة» لأبي علي الفارسي (٦/ ٢٩٦).

(٦) «القراءات الشاذة» (ص١٥٧)، و«النشر» (٢/ ٣٨٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ١١). قراءة يعقوب ومَنْ معه بالنون وضم العين متواترة أمّا إسكان العين فرواية شاذة عن أبي عمرو.

(٧) انظر: هذه الأقوال في «النكت والعيون» (٦/ ٢٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ١١).

(٨) «أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ١٨٠٣).

يفعلوا ما يوجب النار، فكأن أهل النار استبدلوا الخير بالشرّ، والجيد بالرديء، والنعيم بالعذاب، وأهل الجنة على العكس من ذلك.

يقال: غَبنْتُ فلاناً إذا بايعته، أو شاريته فكان النقص عليه والغَلَبة، كذا قال المفسرون[١]، فالمغبون: مَنْ غَبن أهلَه، ومنازله في الجنّة.

﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ﴾؛ أي: مَنْ وقع منه التصديق مع العمل الصالح استحق تكفير سيئاته، قرأ الجمهور[٢]: «يُكفّر» «ويدخله» بالتحتية.

وقرأ نافع، وابن عامر بالنون فيهما، وانتصاب[٣] ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ﴾ على أنها حال مقدّرة.

والإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى ما ذكر من التكفير والإدخال، وهو مبتدأ، وخبره ﴿ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾؛ أي: الظفر الذي لا يساويه ظفر.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ المراد بالآيات: إما التنزيلية أو ما هو أعم منها.

ذكر سبحانه حال السعداء، وحال الأشقياء هاهنا لبيان ما تقدم من التغابن، وأنه يكون بسبب التكفير، وإدخال الجنة للطائفة الأولى، وبسبب إدخال الطائفة الثانية النار، وخلودهم فيها.

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ﴾؛ أي: ما أصاب كلَّ أحدٍ من مصيبة من المصائب إلّا بإذن الله؛ أي: بقضائه وقدره.

قال الفراء[٤]: إلّا بإذن الله؛ أي: بأمر الله، وقيل: إلّا بعلم الله. قيل: وسبب نزولها أن الكفار قالوا: لو كان ما عليه المسلمون حقّاً لصانهم الله عن المصائب في الدنيا.

---

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» (٨/ ١٤١)، والقرطبي في «تفسيره» (٢١/ ١٢).

(٢) «التيسير» (ص٢١١)، و«النشر» (٢/ ٢٤٨)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٣٨٠)، و«زاد المسير» (٨/ ٢٨٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ١٤). ومع نافع أبو جعفر.

(٣) انظر: المصادر المتقدمة.

(٤) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٦١).

﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾؛ أي: مَنْ يصدّق ويعلم أنه لا يصيبه إلّا ما قدّره الله عليه يهد قلبه للصبر والرضا بالقضاء. قال مقاتل بن حيان[١]: يهد قلبه عند المصيبة، فيعلم أنها من الله، فيسلم لقضائه ويسترجع.

وقال سعيد بن جبير[٢]: يهد قلبه عند المصيبة، فيقول: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦].

وقال الكلبي[٣]: هو إذا ابُتلي صَبر، وإذا أُنعم عليه شكر، وإذا ظُلم غفر.

قرأ الجمهور[٤]: «يَهْدِ» بفتح الياء، وكسر الدال؛ أي: يهده الله، وقرأ قتادة، والسلمي، والضحاك، وأبو عبد الرحمٰن بضم[٥] الياء، وفتح الدال على البناء للمفعول، وقرأ طلحة بن مصرّف، والأعرج، وسعيد بن جبير، وابن هرمز، والأزرق: «نهد» بالنون[٦].

وقرأ مالك بن دينار، وعمرو بن دينار، وعكرمة: «يهدأ» بهمزة ساكنة[٧]، ورفع قلبُه؛ أي: يطمئن ويسكن.

﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾؛ أي: بليغ العلم لا تخفى عليه من ذلك خافية.

﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾؛ أي: هوّنوا على أنفسكم المصائب، واشتغلوا بطاعة الله وطاعة رسوله ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾؛ أي: أعرضتم عن الطاعة ﴿فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ ليس عليه غير ذلك وقد فعل، وجواب الشرط محذوف، والتقدير فلا بأس على الرسول، وجملة: ﴿فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا﴾ تعليل للجواب المحذوف.

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٢٠٧).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٣/ ١٢) بسند صحيح من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٣) «زاد المسير» (٨/ ٢٨٣)، و«النكت والعيون» (٦/ ٢٣).

(٤) «البحر المحيط» (١٠/ ١٩١)، و«الدر المصون» (٦/ ٢٢٦)، و«الكشاف» (٦/ ١٣٤). وقراءة الجمهور هي المتواترة وما عداها من القراءات فشاذة.

(٥) «القراءات» (ص١٥٧)، و«زاد المسير» (٨/ ٢٨٤)، و«البحر المحيط» (١٠/ ١٩١).

(٦) «القراءات الشاذة» (ص١٥٧)، و«البحر المحيط» (١٠/ ١٩١)، و«الدر المصون» (٦/ ٣٢٦).

(٧) «المحتسب» (٢/ ٣٢٣)، و«البحر المحيط» (١٠/ ١٩١)، و«روح المعاني» (٢٧/ ١٩٠).

[حقيقة التوحيد هي أساس التصور الإيماني كله]:

ثم أرشد إلى التوحيد[١] والتوكل فقال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ﴾؛ أي: هو المستحق للعبودية دون غيره، فوحدوه ولا تشركوا به ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾؛ أي: يفوّضوا أمورهم إليه، ويعتمدوا عليه لا على غيره.

وقد أخرج ابن أبي شيبة، وأحمد، والبيهقي، وابن مردويه عن ابن مسعود[٢] أنه قيل له: ما سمعت النبيّ ﷺ يقول: في زعموا؟ قال: سمعته يقول: «بئس مطية الرجل».

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر[٣] عنه أنه كره زعموا.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[٤] قال: يوم التغابن من أسماء يوم القيامة.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر[٥] عنه في قوله: ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ﴾ قال: غَبَن أهلُ الجنة أهلَ النار.

وأخرج سعيد بن منصور عن ابن مسعود[٦] في قوله: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ﴾ قال: هي المصيبات تُصيب الرجلَ، فيعلم أنها من عند الله، فيسلم لها ويرضى.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر عن ابن عباس[٧] في قوله: ﴿يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ﴾ قال: يعني: يهد قلبه لليقين، فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

---

(١) «روح المعاني» (٢٧/ ١٩١).
(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٨/ ٤٤٩)، وأحمد رقم (١٧٠٧٥، ٢٣٤٠٣)، والبيهقي رقم (٥٢٢٥) بسند ضعيف.
(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٨/ ٤٤٩).
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٣/ ١٠) بسند صحيح.
(٥) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ١٨٣).
أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٣/ ١٠) بسند صحيح من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.
(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ١٨٤).
(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٣/ ١٢) بسند صحيح.

[التحذير من فتنة الأزواج والأولاد والأموال]:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٤) إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٥) فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٦) إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ (١٧) عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨)﴾.

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ﴾ يعني: أنّهم يعادونكم ويشغلونكم عَنْ الخير، ويدخل في ذلك سبب النزول دخولاً أوّليّاً، وهو أن رجالاً من مكة أسلموا، وأرادوا أن يهاجروا، فلم يدعهم أزواجهم ولا أولادهم، فأمر الله سبحانه بأن يحذروهم، فلا يطيعوهم في شيء مما يريدونه منهم مما فيه مخالفة لما يريده الله، والضمير في ﴿فَاحْذَرُوهُمْ﴾ يعود إلى العدوّ، أو إلى الأزواج والأولاد لكن لا على العموم، بل إلى المتصفين بالعداوة[١] منهم، وإنما جاز جمع الضمير على الوجه الأوّل؛ لأن العدوّ يطلق على الواحد، والاثنين، والجماعة.

ثم أرشدهم الله إلى التجاوز، فقال: ﴿وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا﴾؛ أي: تعفوا عن ذنوبهم التي ارتكبوها، وتتركوا التثريب عليها وتستروها ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ بالغ المغفرة والرحمة لكم ولهم، قيل: كان الرجل الذي ثبطه أزواجه وأولاده عن الهجرة إذا رأى الناس قد سبقوه إليها، وفقهوا في الدين همّ أن يعاقب أزواجه وأولاده، فأنزل الله ﴿وَإِنْ تَعْفُوا﴾ الآية، والآية تعمّ وإن كان السبب[٢] خاصّاً، كما عرفناك غير مرة. قال مجاهد[٣]: والله ما عادوهم في الدنيا، ولكن حملتهم مودتهم على أن اتخذوا لهم الحرام[٤]، فأعطوهم إياه.

ثم أخبر الله سبحانه بأن الأموال والأولاد فتنة فقال: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ

---

(١) «أحكام القرآن» لابن العربي (٤/١٨٠٦).
(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/١٩).
(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/١٩).
(٤) انظر: «جامع البيان» (٢٣/١٥ ـ ١٦).

فِتۡنَةٞۚ﴾؛ أي: بلاء واختبار ومحنة، يحملونكم على كسب الحرام ومنع حق الله، فلا تطيعوهم في معصية الله ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ لمن آثر طاعة الله، وترك معصيته في محبة ماله وولده.

ثم أمرهم سبحانه بالتقوى والطاعة فقال: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾؛ أي: ما أطقتم وبلغ إليه جهدكم.

وقد ذهب جماعة من أهل العلم[1] إلى أن هذه الآية ناسخة لقوله سبحانه: فـ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢] ومنهم قتادة[2]، والربيع[3] بن أنس، والسديّ[4]، وابن زيد[5]، وقد أوضحنا الكلام في قوله: فـ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢] ومعنى ﴿وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ﴾؛ أي: اسمعوا ما تؤمرون به، وأطيعوا الأوامر.

قال مقاتل[6] ﴿وَٱسۡمَعُواْ﴾؛ أي: اصغوا إلى ما ينزل عليكم، وأطيعوا لرسوله فيما يأمركم وينهاكم. وقيل: معنى ﴿وَٱسۡمَعُواْ﴾ اقبلوا ما تسمعون؛ لأنه لا فائدة في مجرد السماع ﴿وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ﴾؛ أي: أنفقوا من أموالكم التي رزقكم الله إياها في وجوه الخير ولا تبخلوا بها.

وقوله: ﴿خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ﴾ منتصب بفعل مضمر دلّ عليه أنفقوا، كأنه قال: ائتوا في الإنفاق خيراً لأنفسكم، أو قدّموا خيراً لها، كذا قال سيبويه[7]. وقال الكسائي[8]، والفرّاء[9]: هو نعت لمصدر محذوف؛ أي: إنفاقاً خيراً.

وقال أبو عبيدة[10]: هو خبر [٤/١٥٤] لكان المقدّرة؛ أي: يكن الإنفاق خيراً لكم.

وقال الكوفيون[11]: هو منتصب على الحال، وقيل: هو مفعول به لأنفقوا؛ أي: فأنفقوا خيراً.

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/٢١). (٢) أخرجه ابن جرير (٥/٦٤٢) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير (٥/٦٤٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢/٧٢٢)، عقب الأثر رقم (٣٩١١) بسند صحيح.

(٤) أخرجه ابن جرير (٥/٦٤٢ ـ ٦٤٣) بسند حسن.

(٥) أخرجه ابن جرير (٥/٦٤٣) بسند صحيح. (٦) «النكت والعيون» (٦/٢٦).

(٧) في «الكتاب» (١/٢٨٢ ـ ٢٨٣). (٨) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/٢٤).

(٩) في «معاني القرآن» للفراء (١/٢٩٥). (١٠) في «مجاز القرآن» (١/١٤٣).

(١١) «مشكل إعراب القرآن» (٢/٣٨٣)، و«التبيان» (١/١١٨).

[الآية على عموم الانفاق]:

والظاهر: في الآية الإنفاق مطلقاً من غير تقييد بالزكاة الواجبة، وقيل: المراد زكاة الفريضة، وقيل: النافلة، وقيل: النفقة في الجهاد.

﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾؛ أي: ومَنْ يوق شحّ نفسه، فيفعل ما أُمر به من الإنفاق، ولا يمنعه ذلك منه، فأولئك هم الظافرون بكل خير، الفائزون بكل مطلب، وقد تقدم تفسير هذه الآية.

﴿إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ فتصرفون أموالكم في وجوه الخير بإخلاص نية وطيب نفس ﴿يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ﴾ فيجعل الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف.

وقد تقدّم تفسير هذه الآية، واختلاف القراء في قراءتها في سورة البقرة، وسورة الحديد.

﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾؛ أي: يضمّ لكم إلى تلك المضاعفة غفران ذنوبكم ﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ يثيب من أطاعه بأضعاف مضاعفة، ولا يعاجل من عصاه بالعقوبة.

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾؛ أي: ما غاب وما حضر لا تخفى عليه منه خافية، وهو ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾؛ أي: الغالب القاهر ذو الحكمة الباهرة. وقال ابن الأنباري[(١)]: الحكيم: هو المُحْكِم لخلق الأشياء.

وقد أخرج الفريابي، وعبد بن حميد، والترمذي وصححه، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، والحاكم وصححه، وابن مردويه عن ابن عباس[(٢)] قال: نزلت هذه الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ في قوم من أهل مكة أسلموا، وأرادوا أن يأتوا النبيّ ﷺ، فأبى أزواجُهم وأولادهم أن يدعوهم، فلما أتوا رسول الله ﷺ، فرأوا الناس قد فقهوا في الدين همُّوا أن يعاقبوهم، فنزلت إلى قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

وأخرج ابن أبي شيبة، وأحمد، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، والحاكم وصححه، وابن مردويه عن بُريدة[(٣)] قال: كانَ النبيُّ ﷺ يخطب، فأقبل

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/٢٥).

(٢) أخرجه الترمذي رقم (٣٣١٧)، وابن جرير (٢٣/١٤)، وابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٤/٢٢) ـ.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٨/ ١٨٠) و(١٢/٩٩)، وأحمد رقم (٢٢٩٩٥)، وأبو داود رقم =

الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران، فنزل رسول الله ﷺ من المنبر، فحملهما واحداً من ذا الشقّ، وواحداً من ذا الشقّ ثم صعد المنبر فقال: «صدق الله: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ﴾، إني لما نظرت إلى هذين الغلامين يمشيان ويعثران لم أصبر أن قطعت كلامي ونزلت إليهما».

وأخرج ابنُ جرير، والحاكم وصحّحه عن أبي هريرة[1] قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله استقرضت عبدي فأبى أن يقرضني، وشتمني عبدي وهو لا يدري، يقول: وادهراه، وادهراه، وأنا الدهر»، ثم تلا أبو هريرة ﴿إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ﴾.

۞ ۞ ۞

= (١١٠٩)، والترمذي رقم (٣٧٧٤)، والنسائي (١٤١٢، ١٥٨٤)، وابن ماجه رقم (٣٦٠٠)، والحاكم (١/ ٢٨٧) و(٤/ ١٨٩). وهو حديث صحيح.

(١) أخرجه الحاكم (١/ ٤١٨) و(٢/ ٤٥٣، ٤٩١)، وابن جرير في «جامع البيان» (٢٣/ ٦٤٢) وهو حديث صحيح صححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٣٤٧٧).

سُورَةُ الطَّلَاقِ

[السورة مدنية في قول الجميع]:

هي إحدى عشرة آية وقيل اثنتا عشرة وهي مدنية. قال القرطبي[(١)]: في قول الجميع.

وأخرج ابن الضُّريس، النحاس، وابن مردويه، والبيهقي عن ابن عباس[(٢)] قال: نزلت سورة الطلاق بالمدينة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾﴾.

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ نادى النبيّ ﷺ أوّلاً تشريفاً[(٣)] له، ثم خاطبه مع أمته، أو الخطاب له خاصة، والجمع للتعظيم، وأمته أسوته في ذلك،

---

(١) في «تفسيره» (٢١/ ٢٦).

(٢) أخرجه ابن الضريس رقم (١٧)، والنحاس (ص٧٤٥)، والبيهقي في «الدلائل» (٧/ ١٤٣).

(٣) «أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ١٨١١)، و«روح المعاني» (٢٧/ ١٩٨).

والمعنى: إذا أردتم تطليقهن وعزمتم عليه ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾؛ أي: مُستقبلات لعدتهنّ، أو في قبل عدتهنّ، أو لقبل عدتهنّ.

وقال الجَرْجاني[١]: إنّ اللّام في لعدتهنّ بمعنى في؛ أي: في عدتهنّ. وقال أبو حيّان: هو على حذف مضاف؛ أي: لاستقبال عدتهنّ، واللّام للتوقيت نحو لقيته لليلة بقيت مِنْ شهر كذا.

والمراد: أن يطلقوهنّ في طُهرٍ لم يقع فيه جماع، ثم يُتْركن حتى تنقضي عدتهنّ، فإذا طلقوهنّ هكذا، فقد طلقوهنّ لعدتهنّ، وسيأتي بيان هذا من السُّنَّة في آخر البحث إن شاء الله.

﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾؛ أي: احفظوها، واحفظوا الوقتَ الذي وقع فيه الطلاق حتّى تتمّ العدّة، وهي ثلاثة قُروء، والخطاب للأزواج.

وقيل: للزوجات، وقيل: للمسلمين على العموم، والأول أولى؛ لأنَّ الضمائر كلها لهم.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ فلا تعصوه فيما أمركم ولا تضارّوهن ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾؛ أي: التي كنّ فيها عند الطلاق ما دمن في العدّة، وأضاف البيوت إليهنّ وهي لأزواجهنّ لتأكيد النهي، وبيان كمال استحقاقهنّ للسكنى في مدّة العدّة، ومثله قوله: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٤] وقوله: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

ثم لما نهى الأزواج عن إخراجهنّ من البيوت التي وقع الطلاق وهنّ فيها نهى الزوجات عن الخروج أيضاً فقال: ﴿وَلَا يَخْرُجْنَ﴾؛ أي: لا يخرجن من تلك البيوت ما دمن في العدّة إلّا لأمرٍ ضروري، كما سيأتي بيان ذلك، وقيل: المراد لا يخرجن من أنفسهن إلّا إذا أذن لهنّ الأزواج، فلا بأس، والأوّل أولى.

﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾ هذا الاستثناء هو من الجملة الأولى؛ أي: لا تخرجوهنّ مِنْ بيوتهنّ، لا من الجملة الثانية.

قال الواحدي[٢]: أكثر المفسِّرين على أن المراد بالفاحشة هنا: الزنا، وذلك أن تزني، فتخرج لإقامة الحدّ عليها.

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/٣٣). (٢) في «الوسيط» (٤/٣١٢).

وقال الشافعي[١] وغيره: هي البذاء في اللسان، والاستطالة بها على مَنْ هو ساكن معها في ذلك البيت، ويؤيد هذا ما قال عكرمة[٢]: إن في مصحف أبيّ: «إلّا أَنْ يفحشن عليكم» وقيل المعنى: إلّا أن يخرجن تعدّيّاً، فإن خروجهنّ على هذا الوجه فاحشة، وهو بعيد.

والإشارة بقوله: ﴿وَتِلْكَ﴾ إلى ما ذكر من الأحكام وهو مبتدأ، وخبره: ﴿حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ والمعنى: أنّ هذه الأحكام التي بينها لعباده هي حدوده التي حدّها لهم لا يحل لهم أَنْ يتجاوزوها إلى غيرها.

﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: يتجاوزها إلى غيرها، أَو يخلّ بشيء منها ﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ بإيرادها مورد الهلاك، وأوقعها في مواقع الضرر بعقوبة الله له على مجاوزته لحدوده وتعدّيه لرسمه.

وجملة: ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ مستأنفة لتقرير مضمون ما قبلها وتعليله.

قال القرطبي[٣]: قال جميع المفسِّرين: أراد بالأمر هنا: الرغبة في الرجعة؛ والمعنى: التحريض على طلاق الواحدة، والنهي عن الثلاث، فإنه إذا طلق ثلاثاً أضرّ بنفسه عند الندم على الفراق، والرغبة في الارتجاع، فلا يجد إلى المراجعة سبيلاً. وقال مقاتل[٤] بعد ذلك؛ أي: بعد طلقة أو طلقتين أمراً بالمراجعة.

قال الواحدي[٥]: الأمر الذي يحدث أن يُوقع في قلب الرجل المحبة لرجعتها بعد الطلقة والطلقتين.

قال الزجاج[٦]: وإذا طلقها ثلاثاً في وقت واحد، فلا معنى لقوله: ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾.

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾؛ أي: قاربن انقضاء أجل العدة، وشارفن آخرها ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ

---

(١) «شرح صحيح مسلم» (١٠/ ١١٥ ـ النووي)، و«روضة الطالبين» (٨/ ٤٠٦).

(٢) «روح المعاني» (٢٧/ ٢٠٩)، و«البحر المحيط» (١٠/ ١٩٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٣٧). وقراءة أبيٍّ شاذة مخالفة للرسم.

(٣) في «تفسيره» (٢١/ ٣٩).

(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٣٩).

(٥) في «الوسيط» (٤/ ٣١٢).

(٦) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ١٨٣).

﴿بِمَعْرُوفٍ﴾؛ أي: راجعوهنّ بحسن معاشرة، ورغبة فيهنّ من غير قصد إلى مضارّة لهنّ ﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾؛ أي: اتركوهنّ حتى تنقضي عدتهنّ، فيملكن نفوسهن مع إيفائهنّ بما هو لهنّ عليكم من الحقوق، وترك المضارة لهنّ.

﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ على الرجعة، وقيل: على الطلاق.

وقيل: عليهما قطعاً للتنازع، وحسماً لمادة الخصومة، والأمر للندب، كما في قوله: ﴿وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٢] وقيل: إنه للوجوب، وإليه ذهب الشافعي[١] قال: الإشهاد واجب في الرجعة مندوب إليه في الفرقة، وإليه ذهب أحمد بن حنبل[٢]. وفي قول للشافعي[٣]: إن الرجعة لا تفتقر إلى الإشهاد كسائر الحقوق.

وروي نحو هذا عن أبي حنيفة[٤] وأحمد[٥].

﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ هذا أمر للشهود بأن يأتوا بما شاهدوا به تقرباً إلى الله، وقد تقدّم تفسير هذا في سورة البقرة، وقيل: الأمر للأزواج بأن يقيموا الشهادة؛ أي: الشهود عند الرجعة، فيكون قوله: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ أمراً بنفس الإشهاد، ويكون قوله: ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ﴾ أمراً بأن تكون خالصة لله.

والإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ إلى ما تقدّم من الأمر بالإشهاد، وإقامة الشهادة لله، وهو مبتدأ، وخبره ﴿يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ وخص المؤمن بالله واليوم الآخر؛ لأنه المنتفع بذلك دون غيره [٤/١٥٥].

﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾؛ أي: مَنْ يتق عذاب الله بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، والوقوف على حدوده التي حدّها لعباده، وعدم مجاوزتها يجعل له مخرجاً مما وقع فيه من الشدائد والمحن ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾؛ أي: من وجه لا يخطر بباله، ولا يكون في حسابه.

قال الشعبي[٦]، والضحاك[٧]: هذا في الطلاق خاصة؛ أي: من طلق كما

---

(١) «نهاية المحتاج» (٧/٥٨ ـ ٥٩)، و«روضة الطالبين» (٨/٢١٦).
(٢) «المغني» (١٠/ ٥٦٠).
(٣) «البيان» للعمراني (١٠/٢٤٩ ـ ٢٥٠).
(٤) «بدائع الصنائع» (٣/١٨١)، و«البناية في شرح الهداية» (٥/ ٢٣٠).
(٥) «المغني» (١٠/ ٥٦٠).
(٦) ذكره الرازي في «تفسيره» (٣٠/ ٣٤).
(٧) «النكت والعيون» (٦/ ٣١).

أمره الله يكن له مخرج في الرجعة في العدّة، وأنه يكون كأحد الخطاب بعد العدّة.

وقال الكلبي[١]: ومن يتق الله بالصبر عند المصيبة يجعل له مخرجاً من النار إلى الجنة. وقال الحسن[٢]: مخرجاً مما نهى الله عنه. وقال أبو العالية[٣]: مخرجاً من كل شيء ضاق على الناس.

وقال الحسين بن الفضل[٤]: ومن يتق الله في أداء الفرائض يجعل له مخرجاً من العقوبة، ويرزقه الثواب مِنْ حيث لا يحتسب؛ أي: يبارك له فيما آتاه. وقال سهل بن عبد الله[٥]: ومن يتق الله في اتباع السُّنَّة يجعل له مخرجاً من عقوبة أهل البدع، ويرزقه الجنة من حيث لا يحتسب، وقيل: غير ذلك. وظاهر الآية العموم، ولا وجه للتخصيص بنوع خاص، ويدخل ما فيه السياق دخولاً أوليّاً.

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾؛ أي: ومَنْ وثق بالله فيما نابه كفاه ما أهمه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ قرأ الجمهور[٦]: «بالغٌ أمره» بتنوين بالغ، ونصب أمره.

وقرأ حفص[٧] بالإضافة، وقرأ ابن أبي عَبْلة[٨]، وداود بن أبي هند، وأبو عمرو في رواية عنه بتنوين[٩] بالغ، ورفع أمره على أنه فاعل بالغ، أو على أن أمره مبتدأ مؤخر، وبالغ خبر مقدم.

قال الفراء[١٠] في توجيه هذه القراءة؛ أي: أمره بالغ؛ والمعنى على القراءة الأولى، والثانية: أنَّ الله سبحانه بالغ ما يريده مِنْ الأمر لا يفوته شيء، ولا يعجزه مطلوب، وعلى القراءة الثالثة: أن الله نافذ أمره لا يرده شيء.

= وأخرجه ابن جرير (٢٢/ ٢٣/ ٤٤) عن الضحاك بسند ضعيف.

(١) «النكت والعيون» (٦/ ٣١).

(٢) «معالم التنزيل» (٨/ ١٥١).

(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٤٢ ـ ٤٣).

(٤) «النكت والعيون» (٦/ ٣١).

(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٤٣).

(٦) «النشر» (٢/ ٢٠٩)، و«السبعة» (ص١٥١ ـ ١٥٢).

(٧) «التيسير» (ص٢١١)، و«النشر» (٢/ ٣٨٨)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٢٤)، و«التبيان» (٢/ ١٢٢٧).

(٨) «المحتسب» (٢/ ٣٢٤)، و«القراءات الشاذة» (ص١٥٨)، و«روح المعاني» (٢٧/ ٢١٤).

(٩) انظر: المصادر المتقدمة. وهي قراءة شاذة، ورواية شاذة عن أبي عمرو.

(١٠) في «معاني القرآن» (٢/ ١٦٣).

وقرأ المفضل[١]: «بالغاً» بالنصب على الحال، ويكون خبر (إن) قوله: ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾؛ أي: تقديراً وتوقيتاً أو مقداراً. فقد جعل سبحانه للشدة أجلاً تنتهي إليه، وللرخاء أجلاً ينتهي إليه.

وقال السدي[٢]: هو قدر الحيض والعدة.

[انتهاء عدة الحامل بالوضع]:

﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ﴾ وهنّ الكبار اللاتي قد انقطع حيضهن وأيسن منه ﴿إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾؛ أي: شككتم وجهلتم كيف عدتهن ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ﴾ لصغرهن، وعدم بلوغهن سن المحيض؛ أي: فعدتهن ثلاثة أشهر، وحذف هذا لدلالة ما قبله عليه ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾؛ أي: انتهاء عدتهن وضع الحمل.

وظاهر الآية: أنّ عدة الحوامل بالوضع سواء كن مطلقات أو متوفى عنهن، وقد تقدّم الكلام في هذا في سورة البقرة مستوفى، وحققنا البحث في هذه الآية وفي الآية الأخرى ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤].

وقيل: معنى ﴿إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾: إنْ تيقنتم، ورجّح ابن جرير[٣] أنه بمعنى الشك، وهو الظاهر.

قال الزجاج[٤]: إن ارتبتم في حيضها، وقد انقطع عنها الحيض، وكانت ممن يحيض مثلها.

وقال مجاهد[٥]: إنْ ارتبتم: يعني لم تعلموا عدّة الآيسة والتي لم تحض فالعدّة هذه.

وقيل المعنى: إنْ ارتبتم في الدم الذي يظهر منها هل هو حيض أم لا؟ بل استحاضة، فالعدّة ثلاثة أشهر.

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٤٦/٢١). القراءة بنصب (بالغاً) شاذة ومخالفة للرسم.
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٤٩/٢٣) بسند حسن.
(٣) في «جامع البيان» (٤٩/٢٣). (٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (١٨٥/٥).
(٥) أخرجه ابن جرير (٤٩/٢٣) بسند صحيح.

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾؛ أي: مَنْ يتقه في امتثال أوامره، واجتناب نواهيه يسهل عليه أمره في الدنيا والآخرة.

وقال الضحاك[١]: من يتق الله، فليطلق للسُّنة يجعل له من أمره يسراً في الرجعة.

وقال مقاتل[٢]: من يتق الله في اجتناب معاصيه يجعل له من أمره يسراً في توفيقه للطاعة.

والإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى ما ذكر من الأحكام؛ أي: ذلك المذكور من الأحكام ﴿أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ﴾؛ أي: حكمه الذي حكم به بين عباده، وشرعه الذي شرعه لهم.

ومعنى ﴿أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ﴾: أنزله في كتابه على رسوله، وبيَّنه لكم وفصَّل أحكامه، وأوضح حلالَه وحرامه.

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ بترك ما لا يرضاه ﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ﴾ التي اقترفها؛ لأن التقوى من أسباب المغفرة للذنوب ﴿وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾؛ أي: يعطه من الأجر في الآخرة أجراً عظيماً، وهو الجنّة.

وقد أخرج ابن أبي حاتم[٣] عن أنس قال: طلق رسول الله ﷺ حفصة، فأتت أهلها، فأنزل الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ فقيل له: راجعها، فإنها صوّامة قوّامة، وهي من أزواجك في الجنة. وأخرجه ابن جرير[٤] عن قتادة مرسلاً.

وأخرج الحاكم[٥] عن ابن عباس قال: «طلق عبد يزيد أبو ركانة أمَّ ركانة، ثم نكح امرأة مِنْ مُزينة، فجاءت إلى رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله ما يغني عني إلّا ما تغني عني هذه الشعرة لشعرة أخذتها مِنْ رأسها، فأخذت رسول الله ﷺ حمية عند ذلك، فدعا رسول الله ركانة وإخوته، ثم قال لجلسائه: «أترون كذا من كذا، فقال رسول الله ﷺ لعبد يزيد: طلّقها، ففعل، فقال لأبي ركانة ارتجعها، فقال: يا

---

(١)(٢) ذكره عنهما الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٣٣).
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٤/ ٢٦) ـ بسند ضعيف.
(٤) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٢٦ ـ ٢٧)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٩٩) بسند صحيح.
(٥) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٩١).

رسول الله إني طلقتها، قال: قد علمت ذلك، فارتجعها»، فنزلت: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾. قال الذهبي: إسناده واه، والخبر خطأ، فإن عبد يزيد لم يدرك الإسلام.

وأخرج البخاري، ومسلم، وغيرهما عن ابن عمر(١): أنه طلق امرأته، وهي حائض، فذكر ذلك عمر لرسول الله ﷺ، فتغيظ رسول الله ﷺ، ثم قال: «ليراجعها، ثم يمسكها حتى تطهر، ثم تحيض، وتطهر، فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهراً قبل أن يمسها، فتلك العدّة التي أمر الله أن يُطلق لها النساء، وقرأ النبيّ ﷺ: «يا أيها النبيّ إذا طلقتم النساء فطلقوهنّ في قُبُل عدتهنّ»(٢).

وأخرج عبد الرزاق في «المصنف»، وابن المنذر، والحاكم، وابن مردويه عن ابن عمر(٣): «أن رسول الله ﷺ قرأ: «فطلقوهنّ في قُبل عدتهنّ».

وأخرج ابن الأنباري(٤) عن ابن عمر أنه قرأ: «فطلقوهنّ لقُبل عدتهنّ».

وأخرج ابن الأنباري، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، والبيهقي عن مجاهد(٥) أنه قرأ كذلك.

وأخرج عبد الرزاق، وأبو عبيد في فضائله، وسعيد بن منصور، وعبد ابن حميد، وابن مردويه، والبيهقي عن ابن عباس(٦) أنه قرأ كذلك.

---

(١) أخرجه مالك (٢/ ٥٧٦)، والشافعي (٢/ ٦٥ رقم ١٠٤)، وعبد الرزاق رقم (١٠٩٥٢ ـ ١٠٩٥٤)، وفي «تفسيره» (٢/ ٢٩٧)، وأحمد رقم (٥١٦٤، ٥٢٩٩، ٥٥٢٤، ٥٥٢٥، ٥٧٩٢) (٦٠٦١، ٦١٤١)، والبخاري رقم (٥٢٥١، ٥٢٥٢، ٥٣٣٢) (٤٩٠٨، ٧٦١٠)، ومسلم رقم (١٤٧١)، وأبو داود رقم (٢١٧٩، ٢١٨٢، ٢١٨٥)، والترمذي رقم (١١٧٥)، والنسائي رقم (٣٣٨٩ ـ ٣٣٩١، ٣٣٩٦)، وابن ماجه رقم (٢٠١٩)، وابن جرير (٢٣/ ٢٧ ـ ٢٩)، وأبو يعلى رقم (٥٥٦١، ٥٦٥٠)، والبيهقي (٧/ ٣٢٣).

(٢) قال النووي في «شرحه لصحيح مسلم» (١٠/ ٦٩) هذه قراءة ابن عباس وابن عمر، وهي شاذة لا تثبت قرآناً بالإجماع، ولا يكون لها حكم خبر الواحد عندنا وعند محققي الأصوليين.

(٣) أخرجه عبد الرزاق رقم (١١٠١٩)، والحاكم (٢/ ٤٩١)، والبيهقي (٧/ ٤٣١).

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ١٩٠).

(٥) أخرجه سعيد بن منصور رقم (١٠٥٩)، والبيهقي (٧/ ٣٢٣).

(٦) أخرجه عبد الرزاق رقم (١٠٩٢٨)، وأبو عبيد (ص١٨٧)، وسعيد بن منصور رقم (١٠٥٨)، والبيهقي (٧/ ٣٢٣).

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن مردويه عن ابن مسعود[١] قال: من أراد أن يطلق للسُّنة، كما أمره الله، فليطلقها طاهراً في غير جماع.

وأخرج سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه من طرق عن ابن عباس[٢] في قوله: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ قال: طاهراً من غير جماع، وفي الباب أحاديث.

وأخرج عبد بن حميد[٣] عن ابن مسعود: ﴿وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾ قال: الطلاق طاهراً في غير جماع.

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «سننه» عن ابن عمر[٤] في قوله: ﴿وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ قال: خروجها قبل انقضاء العدّة من بيتها هي الفاحشة المبينة.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر عن ابن عباس[٥] ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ قال: الزنا.

وأخرج عبد الرزاق، وسعيد بن منصور، وابن راهويه، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن مردويه، والبيهقي من طرق عن ابن عباس[٦] قال: الفاحشة المبينة: أن تَبْذو المرأة على أهل الرجل، فإذا بذَتْ عليهم بلسانها، فقد حلّ لهم إخراجها.

وأخرج ابنُ أبي حاتم عَنْ فاطمة بنت قيس[٧] في قوله: ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ قالت: هي الرّجعة.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق رقم (١٠٩٢٩)، والطبراني رقم (٩٦١١، ٩٦١٢)، والبيهقي (٧/ ٣٣٢).
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٣/ ٢٣) بسند حسن.
(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ١٩١).
(٤) أخرجه عبد الرزاق رقم (١١٠١٩)، والحاكم (٢/ ٤٩١)، والبيهقي (٧/ ٤٣١).
(٥) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ١٩٣).
(٦) أخرجه عبد الرزاق رقم (١١٠١٩)، والحاكم (٢/ ٤٩١)، والبيهقي (٧/ ٤٣١).
(٧) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ١٩٤).

وأخرج عبدُ الرزاق عَنْ ابن سيرين أَنّ رجلاً سأل عمران بن حصين[١] أن رجلاً طلق، ولم يشهد، قال: بئس ما صنع، طلق في بدعة وارتجع في غير سُنَّة، فيشهد على طلاقه وعلى مراجعته، ويستغفر الله.

وأخرج ابن مردويه[٢] عن ابن مسعود في قوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ قال: مخرجه: أن يعلم أنه من قِبل الله، وأن الله هو الذي يعطيه وهو يمنعه، وهو يبتليه وهو يعافيه وهو يدفع عنه، وفي قوله: ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ قال: من حيثُ لا يدري.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[٣] في قوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ قال: يُنْجيه من كل كرب في الدنيا والآخرة.

وأخرج الحاكم[٤] وصححه، وضعّفه الذهبي من طريق سالم بن أبي الجعد عن جابر قال: «نزلت هذه الآية: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ في رجل من أشجع كان فقيراً خفيف ذات اليد كثير العيال، فأتى رسول الله ﷺ، فقال: اتق الله واصبر، فلم يلبث إلّا يسيراً حتى جاء ابنٌ له بغنم كان العدوّ أصابوه، فأتى رسول الله ﷺ، فسأله عنها، وأخبره خبرها، فقال: كلها، فنزلت: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾» الآية.

وأخرج ابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس[٥] قال: «جاء عوف بن مالك الأشجعي إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله إن ابني أسره العدوّ، وجزعت أمه، فما تأمرني؟ قال: آمرك، وإياها أن تستكثرا من قول لا حول ولا قوّة إلّا بالله، فقالت المرأة: نِعْمَ ما أمرك، فجعلا يكثران منها، فتغفل عنه العدوّ، فاستاق غنمهم، فجاء بها إلى أبيه، فنزلت: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾» الآية. وفي الباب روايات تشهد لهذا.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق رقم (١٠٢٥٥، ١٠٢٥٧).

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ١٩٤).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم، كما في «الإتقان» (٢/ ٤٨).

(٤) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٩٢).

(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ١٩٦).

وأخرج ابن أبي حاتم(١) عن عائشة في الآية قالت: يكفيه همّ الدنيا وغمها. [٤/١٥٦]

وأخرج أحمد وصححه، وابن مردويه، وأبو نعيم في المعرفة، والبيهقي عن أبي ذرّ(٢) قال: «جعل رسول الله ﷺ يتلو هذه الآية: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُۚ﴾ فجعل يردّدها حتى نعست، ثم قال: يا أبا ذرّ لو أنّ الناس كلهم أخذوا بها لكفتهم» وفي الباب أحاديث.

وأخرج ابن مردويه(٣) عن ابن مسعود في قوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓۚ﴾ قال: ليس المتوكل الذي يقول: تقضي حاجتي، وليس كل من يتوكل على الله كفاه ما أهمه، ودفع عنه ما يكره، وقضى حاجته، ولكن الله جعل فضل من توكّل على مَنْ لم يتوكل أن يكفر عنه سيئاته، ويعظم له أجراً، وفي قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦۚ﴾ قال: يقول قاضي أمره على مَنْ توكل، وعلى من لم يتوكل، ولكن المتوكل يكفر عنه سيئاته، ويعظم له أجراً، وفي قوله: ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ قال: يعني أجلاً ومنتهى ينتهي إليه.

وأخرج ابن المبارك، والطيالسي، وأحمد، وعبد بن حميد، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وأبو يعلى، والحاكم وصححه، والبيهقي عن عمر بن الخطاب(٤) قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أنكم توكلتم على الله حقّ توكله لرُزقتم كما تُرزق الطير، تغدو خماصاً وتروح بطاناً».

وأخرج إسحاق بن راهويه، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «سننه» عن أبيّ بن كعب(٥) أن ناساً

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ١٩٦).

(٢) أخرجه أحمد رقم (٢١٥٥)، والحاكم (٢/ ٤٩٢)، وأبو نعيم (١/ ٤٦١) رقم (١٥٦٩)، والبيهقي (٦/ ١٩٤) بسند ضعيف.

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٠٠).

(٤) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» رقم (٥٥٩)، والطيالسي رقم (٥١)، وأحمد رقم (٢٠٥، ٣٧٠، ٣٧٣)، وعبد بن حميد رقم (١٠ ـ منتخب)، والترمذي رقم (٢٣٤٤)، والنسائي في «الكبرى» ـ كما في «تحفة الأشراف» (٨/ ٧٩)، وابن ماجه رقم (٤٦٤)، والحاكم (٤/ ٣١٨)، والبيهقي في «الشعب» رقم (١١٨٢) وهو حديث صحيح.

(٥) أخرجه إسحاق بن راهويه ـ كما في «المطالب» رقم (٤١٥٤) ـ، وابن جرير (٢٣/ ٥١)، =

من أهل المدينة لما نزلت هذه الآية في البقرة في عدّة النساء قالوا: لقد بقي من عدّة النساء عدد لم يذكر في القرآن الصغار والكبار اللاتي قد انقطع حيضهنّ، وذوات الحمل، فأنزل الله: ﴿وَٱلَّـٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ﴾ الآية.

وأخرج عبد الله بن أحمد في «زوائد المسند»، وأبو يعلى، والضياء في «المختارة»، وابن مردويه عن أبيّ بن كعب[١] قال: «قلت للنبيّ ﷺ: ﴿وَأُوْلَـٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ أهي المطلقة ثلاثاً، أو المتوفى عنها؟ قال: هي المطلقة ثلاثاً، والمتوفى عنها».

وأخرج[٢] نحوه عنه مرفوعاً ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والدارقطني من وجه آخر.

وأخرج عبد الرزاق، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه من طرق عن ابن مسعود[٣] أنه بلغه أن علياً قال: تعتدّ آخر الأجلين، فقال: مَنْ شاء لاعنته إنّ الآية التي في سورة النساء القصرى نزلت بعد سورة البقرة ﴿وَأُوْلَـٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ بكذا وكذا أشهراً، وكل مطلقة، أو متوفى عنها زوجها فأجلها أن تضع حملها. وروي نحو هذا عنه من طرق، وبعضها في «صحيح البخاري».

وقد ثبت في «الصحيحين»[٤]، وغيرهما من حديث أم سلمة: أن سبيعة

= وابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٤/ ٣٥) ـ بسند ضعيف.

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد رقم (٢١١٠٨)، وأبو يعلى في «المعجم» رقم (٣)، و«الضياء» رقم (١٢١٣، ١٢١٤) بسند ضعيف.

(٢) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٥٦، ٥٧)، وابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٤/ ٣٥) وفي «فتح الباري» (٨/ ٦٥٤) ـ، والدارقطني (٣/ ٣٠٢)، وقال الحافظ: وهذا المرفوع وإن كان لا يخلو شيء من أسانيده عن مقال لكن كثرة طرقه تُشعر بأن له أصلاً «فتح الباري» (٨/ ٦٥٤).

(٣) أخرجه عبد الرزاق رقم (١١٧٤)، وسعيد بن منصور رقم (١٥١٢ ـ ١٥١٤)، وابن أبي شيبة (٤/ ٢٩٧، ٢٩٨)، وأبو داود رقم (٢٣٠٧)، والنسائي رقم (٣٥٢٢، ٣٥٢٣)، وابن ماجه رقم (٢٠٣٠)، وابن جرير (٢٣/ ٥٤ ـ ٥٦)، وابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٤/ ٣٦)، وفي «فتح الباري» (٨/ ٦٥٦) ـ، والطبراني رقم (٩٦٤١ ـ ٩٦٤٦) وهو حديث صحيح.

(٤) أخرجه أحمد (٦/ ٣١١، ٣١٤، ٣١٩)، والبخاري رقم (٥٣١٨)، ومسلم رقم (٥٦/ ١٤٨٤)، والترمذي رقم (١١٩٤)، والنسائي رقم (٣٥١٦).

الأسلمية تُوفي عنها زوجها وهي حُبْلى، فوضعت بعد موته بأربعين ليلة، فخُطبت فأنكحها رسولُ الله ﷺ. وفي الباب أحاديث.

[أحكام تتعلق بالعدة]:

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ۝٦ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۝٧﴾.

قوله: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم﴾ هذا كلام مبتدأ يتضمن[(١)] بيان ما يجب للنساء من السكنى، و«من» للتبعيض[(٢)]؛ أي: بعض مكان سكناكم، وقيل: زائدة ﴿مِّن وُجْدِكُمْ﴾؛ أي: من سعتكم وطاقتكم، والوجد: القدرة.

قال الفرّاء[(٣)]: يقول: على ما يجد، فإن كان موسّعاً عليه، وسّع عليها في المسكن والنفقة، وإن كان فقيراً فعلى قدر ذلك.

قال قتادة[(٤)]: إن لم تجد إلّا ناحية بيتك فأسكنها فيه.

[هل للمبتوتة نفقة وسكنى؟]:

وقد اختلف أهل العلم في المطلقة ثلاثاً، هل لها سكنى ونفقة أم لا؟ فذهب مالك[(٥)]، والشافعي[(٦)]: أن لها السكنى ولا نفقة لها. وذهب أبو حنيفة[(٧)] وأصحابه: أن لها السكنى والنفقة.

وذهب أحمد[(٨)]، وإسحاق، وأبو ثور: أنه لا نفقة لها ولا سكنى، وهذا هو

---

(١) «التبيان» (٢/ ١٢٢٧)، و«الفريد» (٢/ ٤٨٣).
(٢) «روح المعاني» (٢٧/ ٢٢٠)، و«التبيان» (٢/ ١٢٢٨)، و«الفريد» (٢/ ٤٨٣).
(٣) في «أحكام القرآن» (٣/ ١٦٣).
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٣/ ٦٠) بسند صحيح.
(٥) «التمهيد» (١١/ ٣٢٣ ـ الفاروق)، و«عيون المجالس» (٣/ ١٣٦٢).
(٦) «البيان» للعمراني (١١/ ٥٩)، و«روضة الطالبين» (٨/ ٤٠٨).
(٧) «البناية في شرح الهداية» (٥/ ٥٢٦ ـ ٥٢٧)، و«الاختيار» (٤/ ٢٤٥).
(٨) «المغني» (١١/ ٤٠٣)، و«المحلى» (١٠/ ٢٨٢).

الحق، وقد قررته في شرحي للمنتقى[١] بما لا يحتاج الناظر فيه إلى غيره.

﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيۡهِنَّۚ﴾ نهى سبحانه عن مضارتهنّ بالتضييق عليهنّ في المسكن والنفقة.

وقال مجاهد[٢]: في المسكن. وقال مقاتل[٣]: في النفقة. وقال أبو الضحى[٤]: هو أن يطلقها، فإذا بقي يومان من عدّتها راجعها، ثم طلقها.

﴿وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمۡلٖ فَأَنفِقُواْ عَلَيۡهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ﴾؛ أي: إلى غاية هي وضعهنّ للحمل. ولا خلاف بين العلماء في وجوب النفقة والسكنى للحامل المطلقة؛ فأما الحامل المتوفى عنها زوجها، فقال عليّ، وابن عمر، وابن مسعود، وشريح، والنخعي، والشعبي، وحماد، وابن أبي ليلى، وسفيان وأصحابه: ينفق عليها من جميع المال حتى تضع[٥].

وقال ابن عباس، وابن الزبير، وجابر بن عبد الله، ومالك[٦]، والشافعي[٧]، وأبو حنيفة[٨] وأصحابه: لا ينفق عليها إلّا من نصيبها، وهذا هو الحق للأدلة الواردة في ذلك من السُّنَّة.

﴿فَإِنۡ أَرۡضَعۡنَ لَكُمۡ﴾ أولادكم بعد ذلك ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾؛ أي: أجور إرضاعهنّ، والمعنى: أن المطلقات إذا أرضعن أولاد الأزواج المطلقين لهنّ منهنّ، فلهنّ أجورهنّ على ذلك.

﴿وَأۡتَمِرُواْ بَيۡنَكُم بِمَعۡرُوفٖۖ﴾ هو خطاب[٩] للأزواج والزوجات؛ أي: تشاوروا بينكم بما هو معروف غير مُنكر، وليقبل بعضُكم من بعض من المعروف والجميل، وأصل معناه: ليأمر بعضكم بعضاً بما هو متعارف بين الناس غير منكر عندهم.

---

(١) في «نيل الأوطار» (١٢/ ٥٩٣ ـ ٦٠١).
(٢) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٦١) بسند صحيح.
(٣) «النكت والعيون» (٦/ ٣٤).
(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٥٥).
(٥) انظر: «زاد المعاد» (٥/ ٦٠٣ ـ ٦١٥)، و«فتح الباري» (٩/ ٤٨٩).
(٦) «مدونة الفقه المالكي وأدلته» (٣/ ١١٧)، و«التمهيد» (١١/ ٣٢٣).
(٧) «المهذب» (٤/ ٥٥٤)، و«روضة الطالبين» (٨/ ٤١٥ ـ ٤١٦).
(٨) «شرح فتح القدير» (٤/ ٣٠٩)، و«الاختيار» (٣/ ٢٣٠).
(٩) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٥٦).

قال مقاتل[١]: المعنى ليتراض الأب والأم على أجرٍ مُسمّى، قيل: والمعروف الجميل من الزوج: أن يوفر لها الأجر، والمعروف الجميل منها: أن لا تطلب ما يتعاسره الزوج من الأجر.

﴿وَإِن تَعَاسَرۡتُمۡ﴾؛ أي: في أجر الرضاع، فأبى الزوج أن يعطي الأمّ الأجر، وأبت الأمّ أن ترضعه إلّا بما تريد من الأجر ﴿فَسَتُرۡضِعُ لَهُۥٓ أُخۡرَىٰ﴾؛ أي: يستأجر مرضعةً أخرى ترضع ولده، ولا يجب عليه أن يسلم ما تطلبه الزوجة، ولا يجوز له أن يكرهها على الإرضاع بما يريد مِنْ الأجر.

قال الضحاك[٢]: إن أبت الأمّ أن ترضع استأجر لولده أخرى، فإن لم تقبل أجبرت أمه على الرضاع بالأجر.

﴿لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ فيه الأمر لأهل السعة بأن يوسعوا على المرضعات من نسائهم على قدر سعتهم.

﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ﴾؛ أي: كان رزقه بمقدار القوت، أو مضيق ليس بموسع ﴿فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ﴾؛ أي: مما أعطاه من الرزق ليس عليه غير ذلك.

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ﴾؛ أي: ما أعطاها من الرزق، فلا يكلف الفقير بأن ينفق ما ليس في وسعه، بل عليه ما يقدر عليه وتبلغ إليه طاقتُه مما أعطاه الله من الرزق.

﴿سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا﴾؛ أي: بعد ضيق وشدّة سعةً وغنى.

وقد أخرج ابن جرير[٣] عن ابن عباس في قوله: ﴿مِّن وُجۡدِكُمۡ﴾ قال: من سعتكم ﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيۡهِنَّۚ﴾ قال: في المسكن.

وأخرج ابن المنذر[٤] عنه في قوله: ﴿وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمۡلٖ﴾ الآية، قال: فهذه في المرأة يطلقها زوجها، وهي حامل، فأمره الله أن يسكنها وينفق عليها حتى تضع، وإن أرضعت حتى تفطم، فإن أبان طلاقها وليس بها حمل، فلها السكنى حتى تنقضي عدّتها ولا نفقة لها.

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٣١٥).
(٢) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٦٥) بسند ضعيف.
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٣/ ٥٩، ٦٠) بسند ضعيف.
(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٠٧).

وأخرج عبد بن حميد[(١)] عن أبي سنان قال: سأل عمر بن الخطاب عن أبي عبيدة، فقيل: إنه يلبس الغليظ من الثياب، ويأكل أخشن الطعام، فبعث إليه بألف دينار، وقال للرسول: انظر ماذا يصنع بها إذا أخذها؟ فما لبث أن لبس ألين الثياب، وأكل أطيب الطعام، فجاء الرسول، فأخبره، فقال: رحمه الله تأوّل هذه الآية ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾.

لما ذكر سبحانه ما تقدّم من الأحكام، حذّر من مخالفتها، وذكر عتوّ قوم خالفوا أوامره، فحلّ بهم عذابه، فقال: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ﴾ يعني: عصت، والمراد: أهلها، والمعنى: وكم من أهل قرية عصوا أمر الله ورسله، أو أعرضوا عن أمر الله ورسله على تضمين عتت معنى: أعرضت، وقد قدّمنا الكلام في كأين في سورة آل عمران وغيرها.

﴿فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾؛ أي: شدّدنا على أهلها في الحساب بما عملوا.

قال مقاتل[(٢)]: حاسبها الله بعملها في الدنيا فجازها بالعذاب، وهو معنى قوله: ﴿وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾؛ أي: عذبنا أهلها عذاباً عظيماً مُنْكراً في الآخرة، وقيل: في الكلام تقديم وتأخير؛ أي: عذبنا أهلها عذاباً نُكراً في الدنيا بالجوع والقحط، والسيف والخسف والمسخ، وحاسبناهم في الآخرة حساباً شديداً. والنكر: المنكر [٤/١٥٧].

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/٢٠٧).
(٢) «الوسيط» (٤/٣١٦)، و«زاد المسير» (٨/٢٩٨).

﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾؛ أي: عاقبة كفرها ﴿وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾؛ أي: هلاكاً في الدنيا وعذاباً في الآخرة.

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ في الآخرة، وهو عذاب النار، والتكرير[١] للتأكيد.

﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾؛ أي: يا أولي العقول الراجحة.

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ في محل نصب بتقدير أعني بياناً للمنادى بقوله: ﴿يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أو عطف بيان له أو نعت.

﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝١٠ رَّسُولًا﴾ قال الزجاج[٢]: إنزال الذكر دليل على إضمار أرسل؛ أي: أنزل إليكم قرآناً، وأرسل إليكم رسولاً، وقال أبو عليّ الفارسي[٣]: إنّ رسولاً منصوب بالمصدر، وهو ذكراً؛ لأن المصدر المنوّن يعمل. والمعنى: أنزل إليكم ذكر الرسول. وقيل: إن رسولاً بدل من ذكراً؛ وكأنه جعل الرسول نفس الذكر مبالغة.

وقيل: إنه بدل منه على حذف مضاف من الأوّل تقديره: أنزل ذا ذكر رسولاً، أو صاحب ذكر رسولاً. وقيل: إن رسولاً نعت على حذف مضاف؛ أي: ذكراً ذا رسول، فذا رسول نعت للذكر. وقيل: إن رسولاً بمعنى رسالة، فيكون رسولاً بدلاً صريحاً من غير تأويل، أو بياناً.

وقيل: إن رسولاً منتصب[٤] على الإغراء، كأنه قال: الزموا رسولاً، وقيل: إن الذكر ها هنا بمعنى الشرف كقوله: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ [الأنبياء: ١٠] وقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤]. ثم بيّن هذا الشرف فقال: ﴿رَّسُولًا﴾ وقد ذهب[٥] الأكثر إلى أن المراد بالرسول هنا محمد ﷺ.

وقال الكلبي[٦]: هو جبريل، والمراد بالذكر: القرآن، ويختلف المعنى باختلاف وجوه الإعراب السابقة، كما لا يخفى.

ثم نعت سبحانه الرسول ﷺ المذكور بقوله: ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ﴾؛

---

(١) «روح المعاني» (٢٧/ ٢٢٥)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٣٥٠).
(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ١٨٨).
(٣) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (١٠/ ٢٠٤).
(٤) «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٣٨٥)، و«الفريد» (٤/ ٤٨٤)، و«التبيان» (٢/ ١٢٢٨).
(٥) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٦٢).
(٦) «النكت والعيون» (٦/ ٣٦).

أي: حال كونها مبينات، قرأ الجمهور[(١)]: «مُبَيَّنات» على صيغة اسم المفعول؛ أي: بيّنها الله وأوضحها، وقرأ ابن عامر، وحَفْص، وحمزة، والكسائي على صيغة اسم الفاعل[(٢)]؛ أي: الآيات تبيّن للناس ما يحتاجون إليه من الأحكام.

ورجّح القراءة الأولى أبو حاتم[(٣)]، وأبو عبيد لقوله: ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ﴾ [آل عمران: ١١٨].

﴿لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ اللام متعلقة بيتلو؛ أي: ليخرج الرسول الذي يتلو الآيات الذين آمنوا وعملوا الصالحات من ظلمات الضلالة إلى نور الهداية، ويجوز أن تتعلق اللام بأنزل، فيكون المُخْرِج هو الله سبحانه.

﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾؛ أي: يجمع بين التصديق والعمل بما فرضه الله عليه مع اجتناب ما نهاه عنه ﴿يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾.

قرأ الجمهور[(٤)]: «يُدخله» بالتحتية، وقرأ نافع، وابن عامر بالنون[(٥)]، وجمع الضمير في ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ باعتبار معنى من، ووحّده في يدخله باعتبار لفظها.

وجملة: ﴿قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا﴾ في محل نصب[(٦)] على الحال من الضمير في خالدين على التداخل، أو مِنْ مفعول يدخله على الترادف؛ ومعنى ﴿قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا﴾؛ أي: وسّع له رزقه في الجنة.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ الاسم الشريف مبتدأ، وخبره الموصول مع صلته ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾؛ أي: وخلق من الأرض مثلهنّ يعني: سبعاً.

واختلف في كيفية طبقات الأرض. قال القرطبي[(٧)] في تفسيره: واختلف فيهنّ على قولين: أحدهما، وهو قول الجمهور: أنها سبع أرضين طباقاً بعضها فوق

(١) «النشر» (٢/ ٢٤٨ ـ ٢٤٩)، و«التيسير» (ص٩٥)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٣٨٣).
(٢) انظر: المصادر المتقدمة.
(٣) ذكره عنهما القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٦٣).
(٤) «النشر» (٢/ ٢٤٨)، و«التيسير» (ص٢١١)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٢٠٤)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٨٣).
(٥) انظر: المصادر المتقدمة.
(٦) «التبيان» (٢/ ١٢٢٨)، و«الفريد» (٤/ ٤٨٥).
(٧) في «تفسيره» (٢١/ ٦٣).

بعض، بين كل أرض وأرض مسافة، كما بين السماء والأرض، وفي كل أرض سكان من خلق الله.

وقال الضحاك[١]: إنها مطبقة بعضها على بعض من غير فتوق بخلاف السمٰوات. والأوّل أصح؛ لأنّ الأخبار دالة عليه في الترمذي[٢]، والنسائي[٣]، وغيرهما، وقد مضى ذلك مبيناً في البقرة قال[٤]: وفي «صحيح مسلم»[٥] عن سعيد بن زيد قال: سمعت النبيّ ﷺ يقول: «من أخذ شبراً من الأرض ظلماً فإنه يطوّقه يوم القيامة من سبع أرضين» إلى آخر كلامه، وسيأتي في آخر البحث ما يقوّي قول الجمهور.

قرأ الجمهور[٦]: «مثلَهنّ» بالنصب عطفاً على ﴿سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ أو على تقدير فعل؛ أي: وخلق من الأرض مثلهنّ. وقرأ عاصم[٧] في رواية عنه بالرفع على الابتداء، والجار والمجرور قبله خبره.

﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ الجملة مستأنفة، ويجوز أن تكون صفة لما قبلها، والأمر: الوحي.

قال مجاهد[٨]: يتنزّل الأمرُ من السمٰوات السبع إلى السبع الأرضين. وقال الحسن[٩]: بين كل سماء وبين الأرض. وقال قتادة[١٠]: في كل أرض من أرضه، وسماء من سمائه خلق من خلقه وأمر من أمره، وقضاء من قضائه.

وقيل: بينهنّ إشارة إلى ما بين الأرض السفلى التي هي أدناها، وبين السماء

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٦٣)، و«النكت والعيون» (٦/ ٣٦).
(٢) أخرجه الترمذي في «السنن» رقم (٣٢٩٨).
(٣) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» رقم (١٠٦٠٢، ١٠٩١٣).
(٤) القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٦٤).
(٥) أخرجه مسلم في «صحيحه» رقم (١٦١٠ ـ ١٦١٢).
(٦) «البحر المحيط» (١٠/ ٢٠٥)، و«تفسير الرازي» (٣٠/ ٤٠)، و«التبيان» (٢/ ١٢٢٨).
(٧) «القراءات الشاذة» (ص١٥٨)، و«روح المعاني» (٢٧/ ٢٢٨)، و«إعراب القراءات الشواذ» (٢/ ٥٩٧). وهي رواية شاذة عن عاصم والمتواتر عنه كقراءة الجمهور.
(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٣/ ٨١ ـ ٨٢).
(٩) «النكت والعيون» (٦/ ٣٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٦٥).
(١٠) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٨٠)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٩٩) بسند صحيح.

السابعة التي هي أعلاها، وقيل: هو ما يُدبّر فيهنّ من عجيب تدبيره، فينزل المطر ويخرج النبات، ويأتي بالليل والنهار، والصيف والشتاء، ويخلق الحيوانات على اختلاف(١) أنواعها وهيئاتها، فينقلهم من حال إلى حال.

قال ابن كيسان(٢): وهذا هو مجال اللغة واتساعها، كما يقال للموت: أمر الله وللريح والسحاب، ونحوها.

قرأ الجمهور(٣): «يتنزل الأمُر» من التنزّل، ورفع الأمر على الفاعلية، وقرأ أبو عَمْرو(٤) في رواية عنه: «يُنْزِل» من الإنزال، ونصب الأمر على المفعولية، والفاعل الله سبحانه.

واللام في ﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ متعلق بخلق، أو بيتنزل، أو بمقدّر؛ أي: فعل ذلك؛ لتعلموا كمال قدرته، وإحاطته بالأشياء، وهو معنى ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾ فلا يخرج عَنْ علمه شيء منها كائناً ما كان، وانتصاب علماً على المصدرية؛ لأن أحاط بمعنى علم، أو هو صفة لمصدر محذوف؛ أي: أحاط إحاطةً علماً، ويجوز أَنْ يكون تمييزاً.

وقد أخرج ابن جرير(٥) عن ابن عباس في قوله: ﴿فَحَاسَبۡنَٰهَا حِسَابٗا شَدِيدٗا﴾ يقول: لم تُرحم ﴿وَعَذَّبۡنَٰهَا عَذَابٗا نُّكۡرٗا﴾ يقول: عظيماً منكراً.

وأخرج ابن مردويه(٦) عنه ﴿قَدۡ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكُمۡ ذِكۡرٗا ١٠ رَّسُولٗا﴾ قال: محمداً ﷺ.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس(٧) أنّه قال له رجل ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ﴾ إلى آخر السورة، فقال ابن عباس: ما يؤمنك أَنْ أُخبرك بها فتكفر؟

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، والبيهقي في «الشعب»

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٦٥).	(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٦٦).
(٣) «البحر المحيط» (١٠/ ٢٠٥)، و«تفسير الرازي» (٣٠/ ٤٠).
(٤) «روح المعاني» (٢٧/ ٢٣٤)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٢٠٥)، و«القراءات الشاذة» (ص١٥٨). وهي رواية شاذة عن أبي عمرو.
(٥) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٧٣) بسند صحيح.
(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٠٩).
(٧) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٠٩).

من طريق أبي الضحى عن ابن عباس[١] في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ قال: سبع أرضين في كلّ أرض نبيّ كنبيكم، وآدم كآدم، ونوح كنوح، وإبراهيم كإبراهيم، وعيسى كعيسى، قال البيهقي: هذا إسناده صحيح، وهو شاذ بمرّة لا أعلم لأبي الضحى عليه متابعاً.

وأخرج ابن أبي حاتم، والحاكم وصححه عن ابن عمرو[٢] قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الأرضين بين كل أرض والتي تليها مسيرة خمسمائة عام، والعليا منها على ظهر حوت قد التقى طرفاه في السماء، والحوت على صخرة، والصخرة بيد ملك. والثانية مَسْجَنُ الريح، فلما أراد الله أن يهلك عاداً أمر خازن الريح أن يرسل عليهم ريحاً يهلك عاداً، فقال: يا ربّ أرسل عليهم من الريح قدر منخر الثور؟ فقال له الجبار: إذن تُكفأ الأرض ومَنْ عليها، ولكن أرسل عليهم بقدر خاتم، فهي التي قال الله في كتابه: ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ﴾ [الذاريات: ٤٢] والثالثة فيها حجارة جهنم، والرابعة فيها كبريت جهنم، فقالوا: يا رسول الله أللنار كبريت؟ قال: نعم، والذي نفسي بيده؛ إن فيها لأودية من كبريت لو أرسل فيها الجبال الرواسي لماعت» إلى آخر الحديث. قال الذهبي متعقباً للحاكم: هو حديث منكر.

وأخرج عثمان بن سعيد الدارمي[٣] عن ابن عباس قال: سيد السمٰوات السماء التي فيها العرش، وسيد الأرضين الأرض التي نحن فيها.

۞ ۞ ۞

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٧٨)، والحاكم (٢/ ٤٩٣)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٨٣٢) بسند ضعيف.
وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» (١/ ٤٣) وهو محمود إنْ صح نقله عنه على أن ابن عباس رضي الله عنهما أخذه عن الإسرائيليات، والله أعلم.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (٥/ ٢٦٨)، والحاكم (٤/ ٥٩٤).
وقال ابن كثير: حديث غريب جداً، ورفعه فيه نظر.

(٣) أخرجه الدارمي (ص٢٤).

سُورَةُ التَّحْرِيمِ

هي اثنتا عشرة آية وهي مدنية. قال القرطبي[١]: في قول الجميع، وتُسمّى سورة النبيّ.

وأخرج النحاس وابنُ الضريس، وابن مردويه عن ابن عباس[٢] قال: نزلت سورة التحريم بالمدينة، ولفظ ابن مردويه سورة المحرّم.

وأخرج ابن مردويه[٣] عن ابن الزبير قال: أُنزلت بالمدينة سورة النساء، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝١ قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٢ وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ۝٣ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ۝٤ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرٗا مِّنكُنَّ مُسۡلِمَٰتٖ مُّؤۡمِنَٰتٖ قَٰنِتَٰتٖ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٖ سَٰٓئِحَٰتٖ ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا ۝٥﴾.

[اختلف في سبب نزول هذه الآية]:

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ﴾ اختلف في سبب نزول الآية على أقوال:

الأوّل قول أكثر المفسِّرين. قال الواحدي[٤]: قال المفسرون: «كان النبيّ ﷺ

---

(١) في «تفسيره» (٢١/ ٦٧)، و«النكت والعيون» (٦/ ٢٨).

(٢) أخرجه ابن الضريس رقم (١٧)، والنحاس (ص٧٤٥، ٧٤٦)، والبيهقي (٧/ ١٤١ ـ ١٤٣).

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢١٣).

(٤) في «الوسيط» (٤/ ٣١٧).

في بيت حفصة، فزارت أباها، فلمّا رجعت أبصرت مارية في بيتها مع النبيّ ﷺ، فلم تدخل حتى خرجت مارية ثم دخلت، فلما رأى النبيّ ﷺ في وجه حفصة الغيرة والكآبة قال لها: لا تخبري عائشة، ولك عليّ أن لا أقربها أبداً، فأخبرت حفصة عائشة، وكانتا مُتصافيتين، فغضبت عائشة، ولم تزل بالنبيّ ﷺ حتى حلف أن لا يقرب مارية». فأنزل الله هذه السورة.

قال القُرطبي(١): أكثر المفسرين على أن الآية نزلت في حفصة، وذكر القصة.

وقيل: السبب أنّه كان ﷺ يشرب عسلاً عند زينب بنت جحش، فتواطأت عائشة وحفصة أن تقولا له إذا دخل عليهما إنّا نجد منك ريح مَغافير.

وقيل: السبب المرأة التي وهبت [٤/١٥٩] نفسها للنبيّ ﷺ. وسيأتي دليل هذه الأقوال آخر البحث إن شاء الله، وستعرف كيفية الجمع بينهما.

وجُملة: ﴿تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾ مستأنفة، أو مفسِّرة لقوله: ﴿تُحَرِّمُ﴾، أو في محل نصب(٢) على الحال من فاعل تحرّم؛ أي: مبتغياً به مرضاة أزواجك، ومرضاة اسم مصدر، وهو الرضى، وأصله مرضوة، وهو مضاف إلى المفعول؛ أي: أن ترضي أزواجك، أو إلى الفاعل؛ أي: أَنْ يرضين هنّ.

﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾؛ أي: بليغ المغفرة والرحمة لما فرط منك من تحريم ما أحلّ الله لك، قيل: وكان لك ذنباً من الصغائر، فلذا عاتبه الله عليه، وقيل: إنها معاتبة على ترك الأولى.

﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾؛ أي: شرع لكم تحليل أيمانكم، وبيّن لكم ذلك، وتحلة أصلها: تحللة، فأدغمت.

وهي من مصادر التفعيل(٣) كالتوصية والتسمية، فكأن اليمين عقد، والكفارة حلّ؛ لأنها تحلّ للحالف ما حرّمه على نفسه.

قال مقاتل(٤): المعنى قد بيّن الله كفارة أيمانكم في سورة المائدة. أمر الله

---

(١) في «تفسيره» (٢١/ ٧٠)، و«جامع البيان» (٢٣/ ٨٣ ـ ٨٤)، و«أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ١٨٣٣ ـ ١٨٣٤).

(٢) «التبيان» (٢/ ١٢٢٩)، و«الفريد» (٤/ ٤٨٧).

(٣) «روح المعاني» (٢٧/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٣٥٥).

(٤) «الوسيط» (٤/ ٣١٨).

نبيه ﷺ أن يُكَفر يمينه، ويراجع وليدته، فأعتق رقبة. قال الزجاج[١]: وليس لأحد أن يحرّم ما أحلّ الله.

[تحريم ما أحل الله لا ينعقد ولا يلزم صاحبه]:

قلتُ: وهذا هو الحقّ أن تحريم ما أحلّ الله لا ينعقد ولا يلزم صاحبه. فالتحليل والتحريم هو إلى الله سبحانه لا إلى غيره، ومعاتبته لنبيه ﷺ في هذه السورة أبلغ دليل على ذلك، والبحث طويل، والمذاهب فيه كثيرة، والمقالات فيه طويلة، وقد حققناه في مؤلفاتنا[٢] بما يشفي.

[هل التحريم يمين؟]:

واختلف العلماء[٣] هل مجرّد التحريم يمين يوجب الكفارة أم لا؟ وفي ذلك خلاف، وليس في الآية ما يدلّ على أنه يمين؛ لأن الله سبحانه عاتبه على تحريم ما أحله له، ثم قال: ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ وقد ورد في القصة التي ذهب أكثر المفسرين إلى أنها هي سبب نزول الآية أنه حرّم أوّلاً، ثم حلف ثانياً، كما قدّمنا.

﴿وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ﴾؛ أي: وليكم وناصركم، والمتولي لأموركم ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾ بما فيه صلاحكم وفلاحكم ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في أفعاله وأقواله.

﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا﴾ قال أكثر المفسّرين[٤]: هي حفصة كما سبق، والحديث، هو تحريم مارية، أو العسل، أو تحريم التي وهبت نفسها له، والعامل في الظرف فعل مقدّر؛ أي: واذكر إذ أسرّ.

وقال الكلبي[٥]: أسرّ إليها أن أباك وأبا عائشة يكونان خليفتي على أمتي من بعدي ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ﴾؛ أي: أخبرت به غيرها ﴿وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾؛ أي: أطلع الله نبيه على ذلك الواقع منها من الإخبار لغيرها ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ﴾؛ أي: عرّف حفصة بعض ما أخبرت به.

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢٩١). (٢) «نيل الأوطار» (١٢/ ٤٣٢ ـ ٤٤٠).

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٧٧).

(٤) «أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ١٨٣٥).

(٥) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٨٠)، و«معالم التنزيل» (٨/ ١٦٤).

قرأ الجمهور[١]: «عَرّف» مشدّداً من التعريف، وقرأ عليّ، وطلحة بن مصرف، وأبو عبد الرحمٰن السلمي، والحسن، وقتادة، والكسائي بالتخفيف[٢].

واختار أبو عبيد[٣]، وأبو حاتم القراءة الأولى لقوله: ﴿وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾؛ أي: لم يعرّفها إياه، ولو كان مخففاً لقال في ضدّه: وأنكر بعضاً ﴿وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾؛ أي: وأعرض عَنْ تعريف بعض ذلك كراهة أن ينتشر في الناس، وقيل: الذي أعرض عنه هو حديث مارية.

وللمفسِّرين ها هنا خبط وخلط، وكلّ جماعة منهم ذهبوا إلى تفسير التعريف، والإعراض بما يطابق بعض ما ورد في سبب النزول، وسنوضح لك ذلك إن شاء الله.

﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ﴾؛ أي: أخبرها بما أفشت من الحديث ﴿قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا﴾؛ أي: مَنْ أخبرك به ﴿قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾؛ أي: أخبرني الذي لا يخفى عليه خافية.

﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ الخطاب لعائشة وحفصة؛ أي: إن تتوبا إلى الله فقد وجُد منكما ما يوجب التوبة.

[واختلفوا في معنى «صغت»]:

ومعنى ﴿صَغَتْ﴾: عدلت ومالت عن الحقّ، وهو أنهما أحبّتا ما كره رسول الله ﷺ، وهو إفشاء الحديث.

وقيل المعنى: إن تتوبا إلى الله، فقد مالت قلوبكما إلى التوبة، وقال[٤]: قلوبكما، ولم يقل: قلباكما؛ لأن العرب تستكره الجمع بين تثنيتين في لفظ واحد.

﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ﴾؛ أي: تتظاهرا، قرأ الجمهور[٥]: «تَظَاهرا» بحذف إحدى التاءين تخفيفاً. وقرأ عكرمة[٦]: «تتظاهرا» على الأصل. وقرأ الحسن[٧]، وأبو

---

(١) «النشر» (٢/٣٨٨)، و«التيسير» (ص٢١٢)، و«زاد المسير» (٨/٣٠٩)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/٣٢٥).

(٢) انظر: المصادر المتقدمة.

(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/٨١).

(٤) «البحر المحيط» (١٠/٢١١)، و«النشر» (٢/٢١٨)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/٢٥٠).

(٥) «البحر المحيط» (١٠/٢١١)، و«روح المعاني» (٢٧/٢٥٠).

(٦) «التيسير» (ص٧٤)، و«النشر» (٢/٢١٨).

(٧) «البحر المحيط» (١٠/٢١١)، و«التيسير» (ص٧٤)، و«النشر» (٢/٢١٨).

رجاء، ونافع، وعاصم[١] في رواية عنهما: «تظّهرا» بتشديد الظاء[٢]، والهاء بدون ألف، والمراد بالتظاهر التعاضد والتعاون.

والمعنى: وإن تعاضدا وتعاونا في الغيرة عليه منكما وإفشاء سرّه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: فإنّ الله يتولى نصره وكذلك جبريل، ومَنْ صلح من عباده المؤمنين، فلن يَعْدم ناصراً ينصره ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: بعد نصر الله له، ونصر جبريل، وصالح المؤمنين ﴿ظَهِيرٌ﴾؛ أي: أعوان يظاهرونه، والملائكة مبتدأ، وخبره ظهير.

قال أبو عليّ الفارسي[٣]: قد جاء فعيل للكثرة كقوله: ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ [المعارج: ١٠].

قال الواحدي[٤]: وهذا من الواحد الذي يؤدّي عن الجمع كقوله: ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩] وقد تقرّر في علم النحو أن مثل جريح وصبور وظهير يوصف به الواحد والمثنى والجمع.

وقيل: كان التظاهر بين عائشة وحفصة في التحكم على النبيّ ﷺ في النفقة ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾؛ أي: يعطيه بدلكنّ أزواجاً أفضل منكنّ، وقد علم الله سبحانه أنه لا يطلقهنّ؛ ولكن أخبر عن قدرته على أنه إن وقع منه الطلاق أبدله خيراً منهن تخويفاً لهنّ. وهو كقوله: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨] فإنه إخبار عن القدرة وتخويف لهم.

ثم نعت سبحانه الأزواج بقوله: ﴿مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ﴾؛ أي: قائمات بفرائض الإسلام مصدّقات بالله وملائكته، وكتبه ورسله، والقدر خيره وشرّه. وقال سعيد بن جبير: ﴿مُسْلِمَٰتٍ﴾؛ أي: مخلصات وقيل معناه: مسلمات لأمر الله ورسوله ﴿قَٰنِتَٰتٍ﴾ مطيعات لله، والقنوت: الطاعة، وقيل: مصليات ﴿تَٰٓئِبَٰتٍ﴾ يعني: من الذنوب ﴿عَٰبِدَٰتٍ﴾ لله متذللات له.

---

(١) وذلك في غير المشهور عنهما. قرأ الكوفيون (تظاهرا) بالتخفيف، وقرأ باقي العشرة (تظّاهرا) بتشديد الظاء على ادغام التاء في الظاء، أما باقي القراءات فهي شاذة. والرواية عن نافع وعاصم شاذة عنهما.

(٢) «القراءات الشاذة» (ص١٥٨)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٢١١)، و«روح المعاني» (٢٧/ ٢٥٠).

(٣) في «الحجة» (٦/ ٣٠٢).

(٤) في «الوسيط» (٤/ ٣٢٠ ـ ٣٢١).

قال الحسن[(١)]، وسعيد بن جبير[(٢)]: كثيرات العبادة ﴿سَٰٓئِحَٰتٍ﴾؛ أي: صائمات. وقال زيد بن أسلم[(٣)]: مهاجرات، وليس في أمة محمد ﷺ سياحة إلّا الهجرة. قال ابن قتيبة[(٤)]، والفراء[(٥)]، وغيرهما: وسمي الصيام سياحة لأن السائح لا زاد معه.

وقيل المعنى: ذاهبات في طاعة الله، من ساح الماء إذا ذهب، وأصل السياحة الجوَلان في الأرض، وقد مضى الكلام على السياحة في سورة براءة ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ وسّط بينهما العاطف لتنافيهما، والثيبّات: جمع ثيب، وهي المرأة التي قد تزوّجت، ثم ثابت عن زوجها فعادت، كما كانت غير ذات زوج. والأبكار: جمع بكر، وهي العذراء، سميت بذلك؛ لأنها على أوّل حالها التي خلقت عليه.

وقد أخرج البخاري[(٦)]، وغيره عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان يمكث عند زينب بنت جحش، ويشرب عندها لبناً، أو عسلاً، فتواصيت أنا وحفصة إن أيتنا دخل عليها النبيّ ﷺ، فلتقل إني أجد منك ريح مغافير، فدخل على إحداهما، فقالت ذلك له، فقال: «لا بل شربت عسلاً عند زينب بنت جحش، ولن أعود»، فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ إلى قوله: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ لعائشة وحفصة ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا﴾ لقوله: «بل شربت عسلاً».

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه، قال السيوطي[(٧)] بسندٍ صحيح عن ابن عباس[(٨)] قال: «كان رسول الله ﷺ شرب من شراب عند سودة من العسل، فدخل على عائشة فقالت: إني أجد منك ريحاً، فدخل

---

(١) «النكت والعيون» (٦/ ٤١)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٩١).
(٢) «النكت والعيون» (٦/ ٤١)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٩١).
(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٨٥). (٤) في «تفسير غريب القرآن» (ص٤٧٢).
(٥) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٦٧).
(٦) أخرجه البخاري في«صحيحه» رقم (٤٩١٢، ٥٢٦٧)، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨/ ١٠٧).
(٧) في «الدر المنثور» (٨/ ٢١٣).
(٨) أخرجه الطبراني رقم (١١٢٢٦)، وابن مردويه ـ كما في «فتح الباري» (٩/ ٣٧٦) و(١٢/ ٣٤٣) وقال الحافظ: ورواته موثقون، إلا أن أبا عامر ـ وهو الراوي عن ابن أبي ملكية عن ابن عباس ـ وهِم في قوله: سودة.

على حفصة، فقالت: إني أجد منك ريحاً، فقال: أراه من شراب شربته عند سودة، والله لا أشربه أبداً»، فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾ الآية.

وأخرج ابن سعد[(١)] عن عبد الله بن رافع قال: سألت أمّ سلمة عن هذه الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾ قالت: كانت عندي عُكّة من عسل أبيض، فكان النبيّ ﷺ يلعق منها، وكان يحبُّه. فقالت له عائشة: نحلُها تَجرسُ عُرْفطاً فحرّمها، فنزلت الآية.

وأخرج النسائي، والحاكم وصححه، وابن مردويه عن أنس[(٢)]: أن رسول الله ﷺ كانت له أمة يطؤها، فلم تزل عائشة وحفصة حتى جعلها على نفسه حراماً، فأنزل الله هذه الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾.

وأخرج البزار، والطبراني، قال السيوطي[(٣)]: بسندٍ صحيح عن ابن عباس[(٤)] قال: قلتُ لعمر بن الخطاب[(٥)]: مَنْ المرأتان اللّتان تظاهرتا؟ قال: عائشة وحفصة، وكان بدوّ الحديث في شأن مارية القبطية أمّ إبراهيم أصابها النبيّ ﷺ في بيت حفصة في يومها، فوجدت حفصة، فقالت: يا رسول الله لقد جئت إليّ بشيء ما جئته إلى أحد من أزواجك في يومي وفي دوري على فراشي، قال: «ألا ترضين أن أحرمها، فلا أقربها أبداً؟» قالت: بلى فحرّمها وقال: لا تذكري ذلك لأحد، فذكرته لعائشة، فأظهره الله عليه، فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾ الآيات كلها، فبلغنا أن رسول الله ﷺ كَفّر عَنْ يمينه وأصاب مارية.

وأخرجه ابن سعد، وابن مردويه[(٦)] عنه بأطول من هذا، وأخرجه ابن مردويه[(٧)] أيضاً من وجه آخر عنه بأخصر منه.

---

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨/ ١٧١).

(٢) أخرجه النسائي رقم (٣٩٦٩)، والحاكم (٢/ ٤٩٣) بسند صحيح.

(٣) في «الدر المنثور» (٨/ ٢١٤).

(٤) أخرجه البزار في «مسنده» رقم (٢٢٧٤ ـ كشف)، والطبراني رقم (١١١٣٠) وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٢٦) رواه البزار بإسنادين والطبراني، ورجال البزار رجال الصحيح غير بشر بن آدم الأصغر وهو ثقة.
ولفظه: قال نزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ﴾ الآية، في سُرِّيَّته.

(٥) هذا اللفظ أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٨٤) بسند ضعيف لعنعنة ابن إسحاق.

(٦) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨/ ١٨٥).

(٧) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢١٤ ـ ٢١٥).

وأخرجه ابن المنذر، والطبراني، وابن مردويه عنه[(١)] مختصراً بلفظ قال: حرّم سريته، وجعل ذلك سبب النزول في جميع ما روي عنه من هذه الطرق.

وأخرج الهيثم بن كُليب في «مسنده»، والضياء المقدسي في «المختارة» من طريق نافع عن ابن عمر[(٢)] قال: قال النبيّ ﷺ لحفصة: «لا تحدّثي أحداً، وإن أمّ إبراهيم عليّ حرام، فقالت: أتحرّم ما أحلّ الله لك؟ قال: فوالله لا أقربها»، فلم يقربها حتى أخبرت عائشة، فأنزل الله: ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَـٰنِكُمْ﴾.

وأخرج الطبراني في «الأوسط»، وابن مردويه عن أبي هريرة[(٣)] أنَّ سبب نزول الآية تحريم مارية كما سلف، وسنده ضعيفٌ. فهذان سببان صحيحان لنزول الآية.

والجمع ممكن بوقوع القصتين: قصة العسل، وقصة مارية، وأنّ القرآن نزل فيهما جميعاً، وفي كلٍّ واحد منهما أنه أسرّ الحديث إلى بعض أزواجه. [٤/١٦٠] وأما ما قيل: من أنَّ السبب هو تحريمُ المرأة التي وهبت نفسها، فليس في ذلك إلّا ما روى ابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس قال: نزلتْ هذه الآية: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ في المرأة التي وهبت نفسها للنبيّ ﷺ.

قال السيوطي[(٤)]: وسنده ضعيف. ويردّ هذا أيضاً أن النبيّ ﷺ لم يقبل تلك الواهبة لنفسها، فكيف يصحّ أن يقال: إنه نزل في شأنها ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ فإنّ من ردّ ما وهب له لم يصحّ أن يقال: إنه حرّمه على نفسه، وأيضاً لا ينطبق على هذا السبب قوله: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا﴾ إلى آخر ما حكاه الله.

وأما ما ثبت في «الصحيحين»[(٥)] وغيرهما أن ابن عباس سأل عمر بن الخطاب

---

(١) أخرجه الطبراني رقم (١١١٣٠).

(٢) أخرجه الهيثم بن كليب ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٤/٤٨)، وفي «فتح الباري» (٨/٦٥٧) ـ و«الضياء» رقم (١٨٩).
قال ابن كثير: إسناده صحيح.

(٣) أخرجه الطبراني رقم (٢٣١٦)، وابن مردويه ـ كما في «فتح الباري» (٨/٦٥٧) وفي «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٤/٦٠).

(٤) في «الدر المنثور» (٨/٢١٦).

(٥) أخرجه البخاري رقم (٢٤٦٨، ٤٩١٣، ٥١٩١)، ومسلم رقم (٣٤/١٤٧٩)، وابن سعد (٨/١٨٢ ـ ١٨٥)، وأحمد رقم (٢٢٢)، والترمذي رقم (٢٤٦١، ٣٣١٨)، والنسائي رقم =

عن المرأتين اللتين تظاهرتا على رسول الله ﷺ، فأخبره أنهما عائشة وحفصة، ثم ذكر قصة الإيلاء، كما في الحديث الطويل، فليس في هذا نفي لكون السبب هو ما قدّمنا من قصة العسل، وقصة السرية؛ لأنه إنما أخبره بالمتظاهرتين، وذكر فيه أن أزواج النبيّ ﷺ يراجعنه، وتهجره إحداهنّ اليوم إلى الليل، وأنّ ذلك سبب الاعتزال لا سبب نزول ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ﴾. ويؤيد هذا ما قدّمنا عن ابن عباس أنَّه قال لعمر: من المرأتان اللتان تظاهرتا؟ فأخبره بأنهما حفصة وعائشة، وبيّن له أنَّ السبب قصة مارية. هذا ما تيسر من تلخيص سبب نزول الآية، ودفع الاختلاف في شأنه، فاشدد عليه يديك؛ لتنجو به من الخبط والخلط الذي وقع للمفسرين.

وأخرج عبد الرزاق، والبخاري، وابن مردويه عن ابن عباس(١) قال: في الحرام يُكفِّر، وقال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وأخرج ابن المنذر، والطبراني، والحاكم، وابن مردويه(٢) عنه أنه جاءه رجل، فقال: إني جعلت امرأتي عليّ حراماً، فقال: «كذبتَ ليست عليك بحرام، ثم تلا ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ﴾ قال: عليك أغلظ الكفارات عتق رقبة».

وأخرج الحارث بن أبي أسامة عن عائشة(٣) قالت: لما حلف أبو بكر أن لا ينفق على مسطح، فأنزل الله: ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْۚ﴾ فأحلّ يمينه وأنفق عليه.

وأخرج ابنُ عديّ، وابن عساكر عن عائشة(٤) في قوله: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا﴾ قالت: أسرّ إليها أن أبا بكر خليفتي من بعدي.

= (٢١٣١)، وفي «الكبرى» رقم (٢٤٤٢، ٩١٥٧)، وابن حبان رقم (٤٢٦٨)، وابن مردويه ـ كما في «فتح الباري» (٩/ ٢٨٠).

(١) أخرجه عبد الرزاق رقم (١١٣٦٣، ١١٣٦٤)، والبخاري رقم (٤٩١١، ٥٢٦٦) قال الحافظ في «فتح الباري» (٨/ ٦٥٦)؛ أي: إذا قال لامرأته: أنت عليَّ حرام، لا تطلق وعليه كفارة يمين.

(٢) أخرجه عبد الرزاق رقم (١٥٨٣٤)، والطبراني رقم (١٢٢٤٦)، والحاكم (٢/ ٤٩٣، ٤٩٤)، وابن مردويه ـ كما في «فتح الباري» (٩/ ٣٧٦).

(٣) أخرجه الحارث بن أبي أُسامة ـ كما في «المطالب العالية» رقم (٤١٥٧).

(٤) أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٣/ ٩١٢)، وابن عساكر (٣٠/ ٢٢٢).

وأخرج ابن عديّ، وأبو نُعيم في الصحابة، والعُشاري في «فضائل الصدّيق»، وابن مردويه، وابن عساكر مِنْ طرق عن عليّ، وابن عباس[١] قال: والله إن إمارة أبي بكر وعمر لفي الكتاب ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا﴾ قال لحفصة: «أبوك وأبو عائشة واليا النّاس بعدي، فإياك أن تخبري أحداً بهذا». قلت: وهذا ليس فيه أنّه سبب نزول قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ﴾ بل فيه أن الحديث الذي أسرّه ﷺ هو هذا، فعلى فرض أن له إسناداً يصلح للاعتبار هو معارض بما سبق من تلك الروايات الصحيحة، وهي مقدّمة عليه ومرجحة بالنسبة إليه.

وأخرج ابن جرير، وابن مردويه عن ابن عباس[٢] في قوله: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَاۖ﴾ قال: زاغت وأثمت.

وأخرج ابن المنذر عنه قال: مالتْ.

وأخرج ابن عساكر من طريق عبد الله بن بريدة[٣] عن أبيه في قوله: ﴿وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ﴾ قال: أبو بكر وعمر.

وأخرج ابن عساكر[٤] عن ابن مسعود مثله.

وأخرج الطبراني، وابن مردويه، وأبو نعيم في «فضائل الصحابة» من وجه آخر عنه[٥] مثله.

وأخرج ابن مردويه[٦] عن ابن عمر، وابن عباس مثله.

وأخرج الحاكم[٧] عن أبي أمامة مرفوعاً مثله.

---

(١) أخرجه ابن عدي (٣/ ١٢٧٢)، وأبو نعيم رقم (١٧٨ ـ فضائل الخلفاء الأربعة)، وابن عساكر (٣٠/ ٢٢٢).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٣/ ٩٣) بسند ضعيف.

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢١٩).

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٩/ ٢١٩).

(٥) أخرجه الطبراني رقم (١٠٤٧٧)، وأبو نعيم رقم (١٠٢ ـ فضائل الخلفاء الأربعة) وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٢٧): «فيه عبد الرحيم بن زيد العمى. وهو متروك».

(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٢٣).

(٧) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٦٩).

وأخرج ابن أبي حاتم. قال السيوطي[١] بسندٍ ضعيف عن عليّ[٢] مرفوعاً قال: هو عليّ بن أبي طالب.

وأخرج ابنُ مردويه عن أسماء بنت عُميس[٣] سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «﴿وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ عليّ بن أبي طالب».

وأخرج ابن مردويه، وابن عساكر عن ابن عباس[٤] في قوله: ﴿وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال: هو عليّ بن أبي طالب.

وأخرج الطبراني، وابن مردويه عن بريدة[٥] في قوله: ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ قال: وعد الله نبيه ﷺ في هذه أن يزوّجه بالثيب آسية امرأة فرعون، وبالبكر مريم بنت عمران.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾.

قولُه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ بفعل ما أمركم به، وترك ما نهاكم عنه ﴿وَأَهْلِيكُمْ﴾ بأمرهم بطاعة الله، ونهيهم عَنْ معاصيه ﴿نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾؛ أي ناراً عظيمة تتوقد بالناس وبالحجارة كما يتوقد غيرها بالحطب، وقد تقدّم بيان هذا في سورة البقرة.

---

(١) في «الدر المنثور» (٨/ ٢٢٣).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٤/ ٥٥) ـ بسند ضعيف.
وقال ابن كثير: إسناده ضعيف، وهو منكر جدّاً.

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٢٤).

(٤) أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» (٤٢/ ٣٦١).

(٥) أخرجه الطبراني ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٤/ ٥٧) ـ بسند ضعيف لضعف صالح بن حيان، وهو القرشي الكوفي روى عن ابن بريدة، و«تهذيب التهذيب» (٤/ ٣٨٦).

قال مقاتل بن سليمان[١]: المعنى: قوا أنفسكم وأهليكم بالأدب الصالح النَّارَ في الآخرة. وقال قتادة[٢]، ومجاهد[٣]: قوا أنفسكم بأفعالكم، وقوا أهليكم بوصيتكم.

قال ابن جرير[٤]: فعلينا أن نُعلّم أولادنا الدين والخير، وما لا يستغنى عنه من الأدب، ومن هذا قوله: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢] وقوله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤].

﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾؛ أي: على النار خزنة من الملائكة يلون أمرها وتعذيب أهلها، غلاظ على أهل النار، شداد عليهم لا يرحمونهم إذا استرحموهم؛ لأن الله سبحانه خلقهم من غضبه، وحبب إليهم تعذيب خلقه، وقيل: المراد غلاظ القلوب شداد الأبدان[٥].

وقيل: غلاظ الأقوال شداد الأفعال، وقيل: الغلاظ: ضخام الأجسام، والشداد: الأقوياء.

﴿لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ﴾؛ أي: لا يخالفونه في أمره، و«ما» في ﴿مَآ أَمَرَهُمْ﴾ يجوز أن تكون موصولة[٦]، والعائد محذوف؛ أي: لا يعصون الله الذي أمرهم به، ويجوز أن تكون مصدرية؛ أي: لا يعصون الله أمره على أَنْ يكون ما أمرهم بدل اشتمال[٧] مِنْ الاسم الشريف، أو على تقدير نزع الخافض؛ أي: لا يعصون الله في أمره.

﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾؛ أي: يؤدّونه في وقته مِنْ غير تراخ لا يؤخرونه عنه ولا يقدّمونه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ﴾؛ أي: يقال لهم هذا القول عند إدخالهم النار

---

(١) «النكت والعيون» (٦/ ٤٤).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٣/ ١٠٥)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٣٠٣) بسند صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ١٠٤) بسند صحيح.

(٤) في «جامع البيان» (٢٣/ ١٠٣).

(٥) «زاد المسير» (٨/ ٣١٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٩٥).

(٦) «الفريد» (٤/ ٤٩١)، و«التبيان» (٢/ ١٢٣٠).

(٧) «الفريد» (٤/ ٤٩١)، و«التبيان» (٢/ ١٢٣٠)، و«روح المعاني» (٢٧/ ٢٦٠).

تأييساً لهم وقَطْعاً لأطماعهم ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من الأعمال في الدنيا، ومثل هذا قوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [الروم: ٥٧].

[التوبة النصوح التي تكفر عنهم السيئات وتدخلهم الجنة]:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾؛ أي: تنصح صاحبها بترك العود إلى ما تاب عنه، وصفت بذلك على الإسناد[١] المجازي، وهو في الأصل وصف للتائبين أن ينصحوا بالتوبة أنفسهم بالعزم على الترك للذنب، وترك المعاودة له.

[التوبة فرض على الأعيان]:

والتوبة فرض على الأعيان. قال قتادة[٢]: التوبة النصوح الصادقة، وقيل: الخالصة. وقال الحسن[٣]: التوبة النصوح: أن يبغض الذنب الذي أحبه ويستغفر منه إذا ذكره. وقال الكلبي[٤]: التوبة النصوح: الندم بالقلب، والاستغفار باللسان، والإقلاع بالبدن، والاطمئنان على أن لا يعود. وقال سعيد بن جبير[٥]: هي التوبة المقبولة.

قرأ الجمهور[٦]: «نَصوحاً» بفتح النون على الوصف للتوبة؛ أي: توبة بالغة في النصح، وقرأ الحسن، وخارجة، وأبو بكر عن عاصم بضمها[٧]؛ أي: توبة نصح لأنفسكم، ويجوز أن يكون جمع ناصح، وأن يكون مصدراً يقال: نصح نصاحة ونصوحاً. قال المبرّد[٨]: أراد توبة ذات نصح ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [التحريم: ٨] بسبب تلك التوبة، و﴿عَسَىٰ﴾ وإن كان أصلها للإطماع، فهي من الله واجبة؛ لأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، ﴿وَيُدْخِلَكُمْ﴾ معطوف على يكفر منصوب بناصبه.

---

(١) انظر: «روح المعاني» (٢٧/ ٢٦٠)، و«تفسير أبي السعود» (٧/ ٣٥٨).
(٢) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ١٠٨) بسند صحيح.
(٣) «النكت والعيون» (٦/ ٤٥).
(٤) «معالم التنزيل» (٨/ ١٦٩).
(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٩٧).
(٦) «النشر» (٢/ ٣٨٨، ٣٨٩)، و«التيسير» (ص٢١٢)، و«التبيان» (٢/ ١٢٣٠)، و«جامع البيان» (٢٣/ ١٠٨).
(٧) انظر: المصادر المتقدمة.
(٨) «زاد المسير» (٨/ ٣١٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ١٠٠).

وبالنصب قرأ الجمهور[١]، وقرئ بالجزم[٢] عطفاً على محل عسى كأنه قال: توبوا يوجب تكفير سيئاتكم، ويدخلكم.

﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ﴾ الظرف متعلق بيدخلكم؛ أي: يدخلكم يوم لا يخزي الله النبي ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ والموصول معطوف على النبي، وقيل: الموصول[٣] مبتدأ، وخبره ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ﴾ والأوّل أولى، وتكون جملة: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ﴾ في محل نصب[٤] على الحال، أو مستأنفة لبيان حالهم.

وقد تقدّم في سورة الحديد أن النور يكون معهم حال مشيهم على الصراط، وجملة ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ في محل نصب[٥] على الحال أيضاً، وعلى الوجه الآخر تكون خبراً آخر، وهذا دعاء المؤمنين حين أطفأ الله نور المنافقين، كما تقدّم بيانه وتفصيله.

وقد أخرج عبد الرزاق، والفريابي، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، والحاكم وصححه عن عليّ بن أبي طالب[٦] في قوله: ﴿قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ قال: علموا أنفسكم وأهليكم الخير وأدّبوهم.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر عن ابن عباس[٧] في الآية قال: اعملوا بطاعة الله، واتقوا معاصي الله، وأمروا أهلكم بالذكر يُنْجكم الله من النار. وأخرج عبد بن حميد[٨] عنه [٤/١٦١] في الآية قال: أدّبوا أهليكم.

وأخرج عبد الله بن أحمد[٩] في «زوائد الزهد» عن أبي عمران الجوني قال:

---

(١) «البحر المحيط» (١٠/ ٢١٤)، و«الدر المصون» (٦/ ٣٣٨)، و«معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٦٨).
(٢) «البحر المحيط» (١٠/ ٢١٤)، و«روح المعاني» (٢٧/ ٢٦٨). القراءة بالنصب هي المتواترة وأمّا بالجزم فقراءة شاذة.
(٣) «الفريد» (٤/ ٤٩٢)، و«روح المعاني» (٢٧/ ٢٦٩).
(٤) «الفريد» (٤/ ٤٩٢)، و«التبيان» (٢/ ١٢٢٩)، و«روح المعاني» (٢٧/ ٢٦٩).
(٥) انظر: المصادر المتقدمة.
(٦) أخرجه عبد الرزاق (٢/ ٣٠٣)، وابن جرير (٢٣/ ١٠٣)، والحاكم (٢/ ٤٩٤)، والبيهقي رقم (٣٧٢) بسند ضعيف.
(٧) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ١٠٤) بسند صحيح.
(٨) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٢٥).
(٩) أخرجه عبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد» (ص٣١٢).

بلغنا أنَّ خزنة النار تسعة عشر ما بين منكب أحدهم مسيرة مائة خريف ليس في قلوبهم رحمة إنما خُلقوا للعذاب، يضرب الملَك منهم الرجل من أهل النار الضربة فيتركه طحناً مِنْ لدن قرنه إلى قدمه.

وأخرج عبد الرزاق، والفريابي، وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وهناد، وابن منيع، وعبد بن حُميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «الشُعب» عن النِّعمان بن بشير أن عمر بن الخطاب[١] سُئل عن التوبة النصوح، قال: أن يتوب الرجل من العمل السيء، ثم لا يعود إليه أبداً.

وأخرج أحمد، وابن مردويه، والبيهقي عن ابن مسعود[٢] قال: قال رسول الله ﷺ: «التوبة من الذنب أن يتوب منه ثم لا يعود إليه أبداً»، وفي إسناده إبراهيم بن مسلم الهجْري وهو ضعيف، والصحيح الموقوف، كما أخرجه موقوفاً عنه[٣] ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، والبيهقي.

وأخرج الحاكم وصححه عن ابن مسعود[٤] قال: التوبة النصوح تكفر كلّ سيئة وهو في القرآن، ثم قرأ هذه الآية.

وأخرج الحاكم، والبيهقي في «البعث» عن ابن عباس[٥] في قوله: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ﴾ الآية قال: ليس أحد من الموحدين إلّا يُعطى نوراً يوم القيامة، فأما المنافق فيطفأ نوره، والمؤمن مشفق مما رأى من إطفاء نور المنافق، فهو يقول: ﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٣٠٣)، وابن أبي شيبة (١٣/ ٢٧٩)، وهناد رقم (٩٠١)، وابن منيع ـ كما في المطالب العالية رقم (٤١٥٨) ـ وابن جرير (٢٣/ ١٠٦)، والحاكم (٢/ ٤٩٥)، والبيهقي رقم (٧٠٣٤)، وقال الحافظ: إسناده صحيح موقوف.

(٢) أخرجه أحمد رقم (٤٢٦٤)، والبيهقي رقم (٧٠٣٦، ٧٠٣٧) بسند ضعيف.
وقال ابن كثير في «تفسيره» (١٤/ ٦١): تفرد به أحمد من طريق إبراهيم بن مسلم الهجري، وهو ضعيف.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (١٣/ ٣٠٠)، وابن جرير (٢٣/ ١٠٧)، والبيهقي رقم (٧٠٣٥)، وقال الحافظ في «فتح الباري» (١١/ ١٠٤) إسناده صحيح.

(٤) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٩٥)، وصححه وتعقبه الذهبي بقوله: عباية لا ذكر له في الكتب الستة.

(٥) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٩٥، ٤٩٦).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ
(٩) ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا
صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ (١٠)
وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ
وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ (١١) وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا
فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ (١٢)﴾.

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾؛ أي: بالسيف والحُجة، وقد تقدّم الكلام على هذه الآية في سورة براءة.

﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: تشدّد عليهم في الدعوة، واستعمل الخشونة في أمرهم بالشرائع.

قال الحسن[1]؛ أي: جاهدهم بإقامة الحدود عليهم، فإنهم كانوا يرتكبون موجبات الحدود.

﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾؛ أي: مصيرهم إليها يعني: الكفار والمنافقين ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾؛ أي: المرجع الذي يرجعون إليه.

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ قد تقدّم غير مرّة أن المثل قد يراد به إيراد حالة غريبة يعرف بها حالة أخرى مماثلة لها في الغرابة؛ أي: جعل الله مثلاً لحال هؤلاء الكفرة، وأنّه لا يغني أحدٌ عن أحد.

﴿ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ﴾ هذا هو المفعول[2] الأوّل، و﴿مَثَلًا﴾ المفعول الثاني حسبما قدّمنا تحقيقه، وإنما أخر ليتصل[3] به ما هو تفسير له، وإيضاح لمعناه.

﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ﴾ وهما نوح ولوط؛ أي: كانتا في عصمة نكاحهما ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾؛ أي: فوقعت منهما الخيانة لهما.

---

(١) «النكت والعيون» (٦/ ٤٦).

(٢) «الفريد» (٤/ ٤٩٢)، و«التبيان» (٢/ ١٢٣٩).

(٣) «روح المعاني» (٢٧/ ٢٧٠).

[وقع الإجماع على أنه ما زنت امرأة نبي قط]:

قال عكرمة[(١)]، والضحاك[(٢)]: بالكفر، وقيل: كانت امرأة نوح تقول للناس: إنه مجنون[(٣)]، وكانت امرأة لوط تخبر قومه بأضيافه[(٤)].

وقد وقع الإجماع[(٥)] على أنّه ما زنت امرأة نبيّ قطّ.

وقيل: كانت خيانتهما النفاق، وقيل: خانتاهما بالنميمة.

﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾؛ أي: فلم ينفعهما نوح ولوط بسبب كونهما زوجتين لهما شيئًا مِنْ النفع، ولا دفعا عنهما من عذاب الله مع كرامتهما على الله شيئًا مِنْ الدفع.

﴿وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾؛ أَي: وقيل لهما في الآخرة، أو عند موتهما: ادخلا النار مع الداخلين لها من أهل الكفر والمعاصي.

وقال يحيى بن سلام[(٦)]: ضرب الله مثلاً للذين كفروا يحذر به عائشة وحفصة مِنْ المخالفة لرسول الله ﷺ حين تظاهرتا عليه. وما أحسن من قال: فإن ذكر امرأتي النبيين بعد ذكر قصتهما ومظاهرتهما على رسول الله ﷺ، يرشد أتمّ إرشاد ويلوّح أبلغ تلويح إلى أن المراد: تخويفهما مع سائر أُمّهات المؤمنين، وبيان أَنّهما وإن كانتا تحت عصمة خير خلق الله وخاتم رسله، فإن ذلك لا يغني عنهما من الله شيئًا.

وقد عصمهما الله عن ذنب تلك المظاهرة بما وقع منهما من التوبة الصحيحة الخالصة.

[جعل الله حال امرأة فرعون مثلاً لحال المؤمنين]:

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ الكلام في هذا كالكلام في المثل الذي قبله؛ أي: جعل الله حال امرأة فرعون مثلاً لحال المؤمنين ترغيباً لهم في الثبات على الطاعة والتمسك بالدين، والصبر في الشدّة، وأن صولة الكفر

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١١٣/١٣) بسند حسن.
(٢) أخرجه ابن جرير (١١٣/٢٣) بسند حسن.
(٣) أخرجه ابن جرير (١١١/٢٣) عن ابن عباس من طريق الثوري.
(٤) أخرجه ابن جرير (١١٣/٢٣) بسند صحيح عن سعيد بن جبير.
(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٠٣/٢١).
(٦) «زاد المسير» (٣١٥/٨)، و«النكت والعيون» (٤٧/٦).

لا تضرّهم، كما لم تضر امرأة فرعون، وقد كانت تحت أكفر الكافرين، وصارت بإيمانها بالله في جنات النعيم.

﴿إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ﴾ الظرف متعلّق بضرب، أو بمثلاً؛ أي: ابن لي بيتاً قريباً من رحمتك، أو في أعلى درجات المقربين منك، أو في مكان لا يتصرّف فيه إلّا بإذنك، وهو الجنة ﴿وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ﴾؛ أي: من ذاته وما يصدر عنه من أعمال الشرّ ﴿وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قال الكلبي[(١)]: هم أهل مصر.

وقال مقاتل[(٢)]: هم القبط. قال الحسن[(٣)]، وابن كيسان[(٤)]: نجاها الله أكرم نجاة، ورفعها إلى الجنة فهي تأكل وتشرب.

﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ﴾ معطوف على امرأة فرعون؛ أي: وضرب الله مثلاً للذين آمنوا مريم ابنة عمران؛ أي: حالها وصفتها، وقيل: إن الناصب[(٥)] لمريم فعل مقدّر؛ أي: واذكر مريم، والمقصود من ذكرها أن الله سبحانه جمع لها بين كرامة الدنيا والآخرة، واصطفاها على نساء العالمين مع كونها بين قوم كافرين.

﴿ٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾؛ أي: عن الفواحش، وقد تقدّم تفسير هذا في سورة النساء.

قال المفسرون[(٦)]: المراد بالفرج هنا: الجيب لقوله: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ وذلك أن جبريل نفخ في جيب درعها فحبلت بعيسى.

﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا﴾ يعني: شرائعه التي شرعها لعباده، وقيل: المراد بالكلمات هنا: هو قول جبريل لها: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ﴾ [مريم: ١٩] الآية. وقال مقاتل[(٧)]: يعني بالكلمات: عيسى.

---

(١) «النكت والعيون» (٦/ ٤٨).
(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ١٠٥)، و«النكت والعيون» (٦/ ٤٨).
(٣) «معالم التنزيل» (٨/ ١٧١).
(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ١٠٥).
(٥) «التبيان» (٢/ ١٢٢٩)، و«الفريد» (٤/ ٤٨٣).
(٦) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ١٠٦).
(٧) «النكت والعيون» (٦/ ٤٨).

قرأ الجمهور[١]: «وصدّقت» بالتشديد، وقرأ حمزة الأموي، ويعقوب، وقتادة، وأبو مجلز، وعاصم في رواية عنه بالتخفيف[٢].

وقرأ الجمهور[٣]: «بكلمات» بالجمع، وقرأ الحسن، ومجاهد، والجحدري: «بكلمة» بالإفراد[٤].

وقرأ الجمهور[٥]: «وكتابه» بالإفراد، وقرأ أهل البصرة، وحفص: «كتبه» بالجمع[٦]، والمراد على قراءة الجمهور: الجنس، فيكون في معنى الجمع، وهي الكتب المنزلة على الأنبياء.

﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَـٰنِتِينَ﴾ قال قتادة[٧]: من القوم المطيعين لربهم.

وقال عطاء[٨]: من المصلين، كانت تصلي بين المغرب والعشاء، ويجوز أن يراد بالقانتين رهطها وعشيرتها الذين كانت منهم، وكانوا مطيعين أهل بيت صلاح وطاعة، وقال: من القانتين، ولم يقل: من القانتات؛ لتغليب[٩] الذكور على الإناث.

وقد أخرج عبد الرزاق، والفريابي، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا، وابن جرير، وابنُ المنذر، وابنُ أبي حاتم، والحاكم وصححه من طرق عن ابن عباس[١٠] في قوله: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ قال: ما زنتا: أما خيانة امرأة نوح، فكانت تقول للناس: إنه مجنون؛ وأما خيانة امرأة لوط، فكانت تدل على الضيف، فتلك خيانتهما.

---

(١) «البحر المحيط» (١٠/ ٢١٦)، و«تفسير الرازي» (٣٠/ ٥٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ١٠٧).

(٢) وهي قراءة شاذة. «البحر المحيط» (١٠/ ٢١٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ١٠٦). القراءة المتواترة عن العشرة بالتشديد أما التخفيف فقراءة شاذة، وهي رواية شاذة عن عاصم.

(٣) «البحر المحيط» (١٠/ ٢١٦)، و«روح المعاني» (٢٧/ ٢٧٦).

(٤) «القراءات الشاذة» (ص١٥٩). والقراءة بإفراد (كلمة) شاذة.

(٥) «التيسير» (ص٢١٢)، و«النشر» (٢/ ٢٨٩)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٢١٧).

(٦) «روح المعاني» (٢٧/ ٢٧٧)، و«المحتسب» (٢/ ٣٢٤)، و«زاد المسير» (٨/ ٣١٦).

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٣/ ١١٧)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٣٠٣) بسند صحيح.

(٨) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٣٢٤). (٩) «روح المعاني» (٢٧/ ٢٧٦).

(١٠) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٣١٠)، وابن جرير (٢٣/ ١١١، ١١٢)، والحاكم (٢/ ٤٩٦) من طريق سفيان، به.

وأخرج ابن المنذر[(١)] عنه: قال: ما بغت امرأة نبيٍّ قط، وقد رواه ابن عساكر مرفوعاً.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، والحاكم وصحّحه، والبيهقي في «الشعب» عن سلمان[(٢)] قال: كانت امرأة فرعون تُعذَّب بالشمس، فإذا انصرفوا عنها أظلتها الملائكة بأجنحتها، وكانت ترى بيتها في الجنة.

وأخرج عبد بن حميد عن أبي هريرة[(٣)]: أن فرعون وتَّد لامرأته أربعة أوتاد، وأضجعها على صدرها، وجعل على صدرها رحى، واستقبل بها عين الشمس، فرفعت رأسها إلى السماء، فـ﴿قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ﴾ إلى قوله: ﴿مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ففرج الله لها عن بيتها في الجنة فرأته.

وأخرج أحمد، والطبراني، والحاكم، وصححه عن ابن عباس[(٤)] قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون مع ما قص الله علينا من خبرها في القرآن قالت: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا﴾» الآية.

وفي «الصحيحين»[(٥)]، وغيرهما من حديث أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: «كَمُل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلّا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام».

وأخرج وكيع في «الغُرر» عن ابن عباس[(٦)] في قوله: ﴿وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ﴾ قال: من جماعته.

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٢٨).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (١٣/ ٣٣١)، وابن جرير (٢٣/ ١١٥)، والحاكم (٢/ ٤٩٦)، والبيهقي رقم (١٦٣٧).

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٢٨).

(٤) أخرجه أحمد رقم (٢٦٦٨، ٢٩٠١، ٢٩٥٧)، والطبراني رقم (١١٩٢٨)، والحاكم (٣/ ١٨٥) بسند صحيح.

(٥) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٥٤١٨)، ومسلم رقم (٧٠/ ٢٤٣١)، والترمذي رقم (١٨٣٤) وقال: «حسن صحيح».

(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٢٩).

سُورَةُ المُلْكِ

[مكية في قول الجميع]:

وتسمى سورة تبارك، والواقية والمنجية، والمانعة، وهي ثلاثون آية وهي مكية. قال القرطبي: في قول الجميع(١).

وأخرج ابن الضريس، والنحاس، وابن مردويه، والبيهقي عن ابن عباس(٢) قال: نزلت بمكة سورة تبارك الملك.

وأخرج أحمد، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وابن الضريس، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «الشعب» عن أبي هريرة(٣) قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ سورةً من كتاب الله ما هي إلّا ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غُفر له ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾».

قال الترمذي: هذا حديث حسن.

وأخرج الطبراني في «الأوسط»، وابن مردويه، والضياء في «المختارة» عن أنس(٤) قال: قال رسول الله : «سورة في القرآن خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾» [الملك: ١].

---

(١) في «تفسيره» (٢١/١٠٨).

(٢) أخرجه ابن الضريس رقم (١٧/ ١٨٠)، والنحاس (ص٧٤٩)، والبيهقي في «الدلائل» (٧/ ١٤٣، ١٤٤).

(٣) أخرجه أحمد رقم (٧٩٧٥، ٨٢٧٦)، وأبو داود رقم (١٤٠٠)، والترمذي رقم (٢٨٩)، والنسائي في «الكبرى» رقم (١١٦١٢)، وابن ماجه رقم (٣٧٨٦) وابن الضريس رقم (٢٣٥)، والحاكم (١/ ٥٦٥)، والبيهقي رقم (٢٥٠٦) وهو حديث حسن.

(٤) أخرجه الطبراني رقم (٣٦٥٤)، و«الضياء» رقم (١٧٣٨). وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح، و«مجمع الزوائد» (٧/ ١٢٧).

وأخرج [٤/١٦٢] الترمذي، والحاكم وصححه، وابن مردويه، وابن نصر، والبيهقي في «الدلائل» عن ابن عباس[١] قال: ضرب بعض أصحاب النبيّ ﷺ خباءه على قبر، وهو لا يحسب أنّه قبر، فإذا قبر إنسان يقرأ سورة المُلك حتى ختمها، فأتى النبيّ ﷺ، فأخبره، فقال رسول الله ﷺ: «هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر».

قال الترمذي بعد إخراجه: هذا حديث غريب من هذا الوجه.

وأخرج ابنُ مردويه[٢] عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «تبارك هي المانعة من عذاب القبر».

وأخرجه[٣] أيضاً النسائي وصححه، والحاكم.

وأخرج ابنُ مردويه[٤] عن رافع بن خديج، وأبي هريرة أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول: «أنزلت عليّ سورة تبارك، وهي ثلاثون آية جملة واحدة، وهي المانعة في القبور».

وأخرج عبد بن حميد في مسنده، والطبراني، والحاكم، وابن مردويه عن ابن عباس[٥] أنه قال لرجل: ألا أتحفك بحديث تفرح به؟ قال: بلى قال: اقرأ ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ وعلمها أهلك، وجميع ولدك، وصبيان بيتك، وجيرانك، فإنها المنجية، والمجادلة تجادل يوم القيامة عند ربها لقارئها، وتطلب له أن ينجيه الله من عذاب النار، وينجو بها صاحبها من عذاب القبر. قال رسول الله ﷺ: «لوددتُ أنّها في قلب كلِّ إنسان من أمتي».

---

(١) أخرجه الترمذي رقم (٢٨٩)، والطبراني رقم (١٢٨٠١)، وابن نصر في «قيام الليل» (ص٦٦)، والبيهقي (٧/ ٤١) وهو حديث ضعيف وإنما صح منه (المانعة).

(٢) وهو حديث صحيح.
انظر: «صحيح الجامع» رقم (٣٥٣٧)، و«السلسلة الصحيحة» رقم (١١٤٠).

(٣) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» رقم (١٠٥٤٧ ـ عمل اليوم والليلة)، وصححه الحاكم (٢/ ٤٩٨) ووافقه الذهبي.

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٣١).

(٥) أخرجه عبد بن حميد رقم (٦٠١ ـ منتخب)، والطبراني رقم (١١٦١٦)، والحاكم (١/ ٥٦٥) وقال الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ ضعيف جدّاً، «السلسلة الضعيفة» رقم (٤٧٤٧).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ
أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ۝٢ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن
تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ۝٣ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ
حَسِيرٞ ۝٤ وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ
۝٥ وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ۝٦ إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقٗا وَهِيَ تَفُورُ
۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ۝٨ قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا
نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ ۝٩ وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ
نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠ فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١١﴾.

قوله: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ﴾ تبارك تفاعلَ من البركة، والبركة: النماء والزيادة، وقيل: تعالى وتعاظم عَنْ صفات المخلوقين، وقيل: دام فهو الدائم الذي لا أوّل لوجوده، ولا آخر لدوامه.

وقال الحسن[١]: تبارك تقدّس، وصيغة التفاعل للمبالغة، واليد[٢] مجاز عن القدرة والاستيلاء، والمُلك: هو ملكُ السمٰوات والأرض في الدنيا والآخرة، فهو[٣] يعزّ من يشاء ويذل من يشاء، ويرفع من يشاء ويضع من يشاء، وقيل[٤]: المراد بالملك: ملك النبوّة، والأوّل أولى؛ لأن الحمل على العموم[٥] أكثر مدحاً وأبلغ ثناء، ولا وجه للتخصيص.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾؛ أي: بليغ القدرة لا يعجزه شيء من الأشياء يتصرّف في ملكه كيف يريد من إنعام وانتقام، ورفع ووضع، وإعطاء ومنع.

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ١٠٩).
(٢) تقدم أن اليدين صفة ذاتية خبرية لله ﷻ. نثبتها كما نثبت باقي صفاته تعالى، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، وهي ثابتة بالكتاب والسُّنَّة.
(٣) «النكت والعيون» (٦/ ٤٩)، و«زاد المسير» (٨/ ٣١٩).
(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ١٠٩)، و«النكت والعيون» (٦/ ٤٩).
(٥) «روح المعاني» (٢٧/ ٢٨١)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٣٦٣).

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ الموت: انقطاعُ تعلّق الرّوح بالبدن ومفارقته له، والحياة: تعلُّق الرّوح بالبدن واتصاله به.

وقيل: هي ما يصح بوجوده الإحساس، وقيل: ما يوجب كون الشيء حيّاً، وقيل: المراد الموت في الدنيا، والحياة في الآخرة.

وقدّم الموت[1] على الحياة؛ لأن أصل الأشياء عدم الحياة، والحياة عارضة لها، وقيل[2]: لأنّ الموت أقرب إلى القهر. وقال مقاتل[3]: خلق الموت يعني: النطفة، والمضغة والعلقة، والحياة يعني: خلقه إنساناً، وخلق الروح فيه.

وقيل: خلق الموت على صورة كبش لا يمرّ على شيء إلّا مات، وخلق الحياة على صورة فرس لا تمرّ بشيء إلّا حيي، قاله مقاتل[4] والكلبي.

وقد ورد في التنزيل: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١] وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الأنفال: ٥٠] وقوله: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ [الأنعام: ٦١] وقوله: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢] وغير ذلك من الآيات.

﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ اللّام متعلقة بخلق؛ أي: خلق الموت والحياة؛ ليعاملكم معاملة مَنْ يختبركم أيكم أحسن عملاً، فيجازيكم على ذلك.

وقيل المعنى: ليبلوكم أيكم أكثر للموت ذكراً وأشدّ منه خوفاً، وقيل: أيكم أسرع إلى طاعة الله، وأورع عن محارم الله.

وقال الزجاج[5]: اللام متعلق بخلق الحياة لا بخلق الموت.

وقال الزجاج[5] أيضاً، والفراء[6]: إن قوله: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ لم يقع على أيّ، لأن فيما بين البلوى وأيّ إضمار فعل، كما تقول: بلوتكم لأنظر أيكم أطوع، ومثله

---

(١) «معالم التنزيل» (٨/ ١٧٥)، و«روح المعاني» (٢٧/ ٢٨٤)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٣٦٢ ـ ٣٦٣).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ١١٠)، و«معالم التنزيل» (٨/ ١٧٥).

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ١١١).

(٤) ذكره عنهما القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ١١١).

(٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ١٩٧).

(٦) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٦٩).

قوله: ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ﴾ [القلم: ٤٠]؛ أي: سلهم ثم انظر أيهم، فأيكم في الآية مبتدأ، وخبره أحسنُ؛ لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله، وإيراد صيغة التفضيل مع أن الابتلاء شامل لجميع أعمالهم المنقسمة إلى الحسن والقبيح لا إلى الحسن والأحسن فقط، للإيذان بأنّ المراد بالذات والمقصد الأصلي من الابتلاء: هو ظهور كمال إحسان المحسنين.

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾؛ أي: الغالب الذي لا يُغالَب ﴿ٱلْغَفُورُ﴾ لمن تاب وأناب.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ الموصول[١] يجوز أن يكون تابعاً لـ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ نعتاً، أو بياناً، أو بدلاً، وأن يكون منقطعاً عنه على أنه خبر مبتدأ محذوف، أو منصوب على المدح، و﴿طِبَاقًا﴾ صفة لـ﴿سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾؛ أي: بعضها فوق بعض، وهو جمع طَبَق نحو جَبَل وجبال، أو جمع طبقة نحو رَحَبة ورِحاب، أو مصدر طابق، يقال: طابق[٢] مطابقة وطباقاً، ويكون على هذا الوجه الوصف بالمصدر للمبالغة، أو على حذف مضاف؛ أي: ذات طباق، ويجوز[٣] أن يكون منتصباً على المصدرية بفعل محذوف؛ أي: طُوبقت طباقاً.

﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ هذه الجملة صفة ثانية لسبع سمٰوات، أو مستأنفة لتقرير ما قبلها، والخطاب لرسول الله ﷺ، أو لكل من يصلح له، و«من» مزيدة لتأكيد النفي.

قرأ الجمهور[٤]: «مِنْ تفاوت». وقرأ ابن مسعود وأصحابه، وحمزة، والكسائي: «تَفوّت» مشدّداً بدون[٥] ألف، وهما لغتان كالتعاهد والتعهّد، والتحامل والتحّمل.

والمعنى على القراءتين: ما ترى في خلق الرحمٰن من تناقض ولا تباين، ولا اعوجاج ولا تخالف، بل هي مستوية مستقيمة دالة على خالقها، وإن اختلفت صورها وصفاتها، فقد اتفقت من هذه الحيثية.

---

(١) «الفريد» (٤/ ٤٩٤). (٢) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٥١٦).
(٣) «الفريد» (٤/ ٤٩٥)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٣٩١).
(٤) «التيسير» (ص٢١٢)، و«النشر» (٢/ ٣٨٩)، و«زاد المسير» (٨/ ٣١٩)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٢٨)، و«جامع البيان» (٢٣/ ١١٩ ـ ١٢٠).
(٥) انظر: المصادر المتقدمة.

﴿فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ﴾ الفطور: الشقوق[١] والصدوع والخروق؛ أي: اردد طَرْفَك حتى يتضح لك ذلك بالمعاينة. أخبر أوّلاً بأنه لا تفاوت في خلقه، ثم أمر ثانياً بترديد البصر في ذلك لزيادة التأكيد وحصول الطمأنينة.

قال مجاهد[٢]، والضحاك[٣]: الفطور: الشقوق جمع فطر وهو الشق. وقال قتادة[٤]: هل ترى من خلل؟.

وقال السديّ[٥]: هل ترى من خروق؟ وأصله من التفطر والانفطار، وهو التشقق والانشقاق، ومنه قول الشاعر:

بَنَى لكُمُ بِلا عَمَدٍ سماءً وزيَّنَها فما فيها فُطُورُ[٦]

وقول الآخر:

شَقَقْتِ القلبَ ثمَّ ذَرَرْتِ فيه هواكِ فَلِيمَ فالْتَامَ الفُطُورُ[٧]

﴿ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ﴾؛ أي: رجعتين مرّة بعد مرّة، وانتصابه على المصدر، والمراد بالتثنية التكثير، كما في لبيك وسعديك؛ أي: رجعة بعد رجعة وإن كثرت. ووجه الأمر بتكرير النظر على هذه الصفة، أنه قد لا يرى ما يظنه من العيب في النظرة الأولى ولا في الثانية، ولهذا قال أوّلاً: ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖ﴾ ثم قال ثانياً: ﴿فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ﴾ ثم قال ثالثاً: ﴿ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ﴾ فيكون ذلك أبلغ في إقامة الحجة[٨]، وأقطع للمعذرة ﴿يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا﴾؛ أي: يرجع إليك البصر ذليلاً صاغراً عن أن يرى شيئًا من ذلك.

وقيل: معنى خاسئاً[٩]: مُبْعداً مطروداً عَنْ أن يبصر ما التمسه من العيب، يقال: خسأتُ الكلبَ؛ أي: أبعدته وطردته. قرأ الجمهور[١٠]: «ينقلبْ» بالجزم

---

(١) «تهذيب اللغة» (٨/ ٢٤٥)، و«مفردات ألفاظ القرآن» (ص٤٥٩).

(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ١١٥).

(٣) «النكت والعيون» (٦/ ٥١). (٤) «النكت والعيون» (٦/ ٥١).

(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ١١٥).

(٦) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (١٠/ ٢٢٢) وفيه: سوَّاها بدل زيَّنها.

(٧) البيت لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود.
«مجالس ثعلب» (٢٣٦)، و«شرح ديوان الحماسة» للمرزوقي (٣/ ١٦٧).

(٨) «روح المعاني» (٢٧/ ٢٩١). (٩) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٢٨٢).

(١٠) «البحر المحيط» (١٠/ ٢٢٢)، و«الدر المصون» (٦/ ٣٤١).

جواباً للأمر. وقرأ الكسائي[١] في رواية بالرفع على الاستئناف ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾؛ أي: كليل منقطع.

قال الزجاج[٢]؛ أي: وقد أعيا من قبل أن يرى في السماء خللاً، وهو فعِيل بمعنى فاعل من الحُسور، وهو الإعياء، يقال: حَسر بصَره يَحْسِر حُسوراً؛ أي: كَلّ وانقطع، ومنه قول الشاعر:

نظرتُ إليها بالمحصَّبِ من مِنَى   فعادَ إليَّ الطرفَ وهو حَسيرُ[٣]

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ بيّن سبحانه بعد خلق السمٰوات، وخلوّها من العيب والخلل أنه زينها بهذه الزينة، فصارت في أحسن خلق وأكمل صورة وأبهج شكل، والمجيء بالقَسَم لإبراز[٤] كمال العناية، والمصابيح جمع مصباح، وهو السراج، وسُمّيت[٥] الكواكب مصابيح؛ لأنها تضيء كإضاءة السراج وبعض الكواكب، وإن كان في غير سماء الدنيا من السمٰوات التي فوقها، فهي تتراءى كأنها كلها في سماء الدنيا؛ لأنّ أجرام السمٰوات لا تمنع من رؤية ما فوقها مما له إضاءة لكونها أجراماً صقيلة شفافة.

﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾؛ أي: وجعلنا المصابيح رجوماً يُرجم بها الشياطين، وهذه فائدة أخرى غير الفائدة الأولى، وهي كونها زينة للسماء الدنيا.

والمعنى أنّها يرجُم بها الشياطين الذين يسترقون السمع، والرجوم: جَمْع رَجَم بالفتح، وهو في الأصل مصدر[٦] أطلق على المرجوم به، كما في قولهم: الدرهم ضَرْب الأمير؛ أي: مضروبة، ويجوز أن يكون باقياً على مصدريته، ويقدر مضاف محذوف؛ أي: ذات رَجْم، وجمع المصدر باعتبار أنواعه.

وقيل: إن الضمير[٧] [٤/ ١٦٣] في قوله: ﴿وَجَعَلْنَٰهَا﴾ راجع إلى المصابيح على

---

(١) «القراءات الشاذة» (ص١٥٩)، و«روح المعاني» (٢٧/ ٢٩٢). هي رواية شاذة عن الكسائي، والمتواتر عنه كباقي العشرة بجزم (ينقلبْ).
(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ١٩٨).
(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ١١٧).
(٤) «روح المعاني» (٢٧/ ٢٩٢).
(٥) «الوسيط» (٤/ ٣٢٧)، و«معالم التنزيل» (٨/ ١٧٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ١١٧).
(٦) «الفريد» (٤/ ٤٩٦).
(٧) «روح المعاني» (٢٧/ ٢٩٤)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٢٢٣)، و«الفريد» (٤/ ٤٩٦).

حذف مضاف؛ أي: شهبها، وهي نارها المقتبسة منها لا هي أنفسها: لقوله: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات: ١٠] ووجه هذا أن المصابيح التي زين الله بها السماء الدنيا لا تزول ولا يُرجم بها، كذا قال أبو عليّ[١] الفارسي جواباً لمن سأله: كيف تكون المصابيح زينة وهي رجوم؟ قال القشيري[٢]: وأمثل من قوله هذا أن نقول: هي زينة قبل أَنْ يرجم بها الشياطين.

[وظائف النجوم ثلاث]:

قال قتادة[٣]: خلق الله النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجوماً للشياطين، وعلامات يهتدى بها في البرّ والبحر، فمن تكلم فيها بغير ذلك، فقد تكلم فيما لا يعلم، وتعدّى وظلم؛ وقيل: معنى الآية: وجعلناها ظنوناً لشياطين الإنس، وهم المنجمون.

﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾؛ أي: وأعتدنا للشياطين في الآخرة بعد الإحراق في الدنيا بالشُهب عذاب السعير؛ أي: عذاب النار، والسعير: أشدّ الحريق، يقال: سَعَرْتُ النار، فهي مَسْعورة.

﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ﴾ من كفار بني آدم، أو من كفار الفريقين ﴿عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ قرأ الجمهور برفع: «عذابُ» على أنه مبتدأ، وخبره ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾.

وقرأ الحسن، والضحاك، والأعرج بنصبه[٤] عطفاً على ﴿عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾.

﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ ما يصيرون إليه، وهو جهنّم.

﴿إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا﴾؛ أي: طُرِحوا فيها كما يُطرح الحطب في النار ﴿سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا﴾؛ أي: صوتاً كصوت الحمير عند أوّل نهيقها، وهو أقبح الأصوات، وقوله: «لها» في محل نصب[٥] على الحال؛ أي: كائناً لها، لأنه في الأصل صفة، فلما قدّمت صارت حالاً.

---

(١) انظر: «البحر المحيط» (١٠/٢٢٣). (٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٠/١١٨).

(٣) أخرجه ابن جرير (٢٣/١٢٣)، وأبو الشيخ في «العظمة» رقم (٧٠٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/٢٩١٣) بسند صحيح.

(٤) «القراءات الشاذة» (ص١٥٩)، و«روح المعاني» (٢٧/٢٩٧). والقراءة بالنصب قراءة شاذة.

(٥) «روح المعاني» (٢٧/٢٩٧).

وقال عطاء(١): الشهيق هو مِنْ الكفار عند إلقائهم في النار، وجملة ﴿وَهِىَ تَفُورُ﴾ في محل نصب(٢) على الحال؛ أي: والحال أنها تغلي بهم غليان المرجل، ومنه قول حسان(٣):

تركتُم قِدْرَكُم لا شيء فيه ... وقِدْرُ الغيرِ حاميةٌ تفورُ

﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾؛ أي: تكاد تتقطع وينفصل بعضها من بعض من تغيظها عليهم. قال ابن قتيبة(٤): تكاد تنشقّ غيظاً على الكفار.

قرأ الجمهور(٥): «تَميَّز» بتاء واحدة مخففة، والأصل: تتميز بتاءين.

وقرأ طلحة بتاءين(٦) على الأصل. وقرأ البزي(٧) عن ابن كثير بتشديدها بإدغام إحدى التاءين في الأخرى. وقرأ الضحاك: «تمايز» بالألف(٨) وتاء واحدة، والأصل: تتمايز، وقرأ زيد بن عليّ «تَمِيزُ» من ماز(٩) يميز، والجملة في محل نصب على الحال، أو في محل رفع على أنها خبر آخر لمبتدأ.

وجملة: ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ﴾ مستأنفة لبيان(١٠) حال أهلها، أو في محل نصب على الحال مِنْ فاعل تميّز، والفوج: الجماعة من الناس؛ أي: كلما أُلقي في جهنم جماعة من الكفار سألهم خزنتها من الملائكة سؤال توبيخ وتقريع ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ في الدنيا ﴿نَذِيرٌ﴾ ينذركم هذا اليوم، ويحذركم منه؟

---

(١) «النكت والعيون» (٦/ ٥٣)، و«معالم التنزيل» (٨/ ١٧٧).
(٢) «الفريد» (٤/ ٤٩٧).
(٣) قائله جبل بن جوال الثعلبي يخاطب به حسان بن ثابت رضي الله عنه ديوان حسان (ص١١٠)، و«السيرة النبوية» (٢/ ٢٧٣ ابن هشام).
(٤) في «تفسير غريب القرآن» (ص٤٧٤).
(٥) «البحر المحيط» (١٠/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٣١٤ ـ ٣١٥).
(٦) «القراءات الشاذة» (ص١٥٩)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٢٢٤)، و«روح المعاني» (٢٧/ ٢٩٨ ـ ٢٩٩).
(٧) انظر: المصادر المتقدمة. قراءة البزيّ عن ابن كثير بتشديد (التاء) في حالة الوصل في وجه عنه، أما في حالة الابتداء فإنّه يخففها كقراءة الجمهور والوجه الثاني للبزيّ عن ابن كثير تخفيفها في الابتداء والوصل، وهي قراءة العشرة وباقي القراءات التي ذكرها المؤلف شاذة.
(٨) «القراءات الشاذة» (ص١٥٩)، و«روح المعاني» (٢٧/ ٢٩٩)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٢٢٤).
(٩) انظر: المصادر المتقدمة.
(١٠) «روح المعاني» (٢٧/ ٢٩٩).

وجملة: ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ﴾ مستأنفة جواب[١] سؤال مقدّر كأنه قيل: فماذا قالوا بعد هذا السؤال؟ فقال: قالوا: بلى قد جاءنا نذير، فأنذرنا وخوّفنا وأخبرنا بهذا اليوم ﴿فَكَذَّبْنَا﴾ ذلك النذير ﴿وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ مِنْ الأشياء على ألسنتكم ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ﴾؛ أي: في ذهاب عَنْ الحق وبُعد عن الصواب، والمعنى أنّه قال: كلّ فوج من تلك الأفواج حاكياً لخزنة جهنم ما قاله لمن أرسل إليه: ما أنتم أيها الرسل فيم تدّعون أن الله نزّل عليكم آياتٍ تنذرونا بها إلّا في ذهاب عن الحق، وبعد عن الصواب كبير لا يقادر قدره.

ثم حكى عنهم مقالة أخرى قالوها بعد تلك المقالة فقال: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ أيّ: لو كنّا نسمع ما خاطبنا به الرسلُ، أو نعقل شيئًا من ذلك ما كنا في عداد أهل النار، ومن جملة من يُعذَّب بالسعير، وهم الشياطين، كما سلف.

قال الزجاج[٢]: لو كنا نسمع سمع مَنْ يعي، أو نعقل عقل مَنْ يميز وينظر ما كنا من أهل النار، فلما اعترفوا هذا الاعتراف قال الله سبحانه: ﴿فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ﴾ الذي استحقوا به عذاب النار، وهو الكفر وتكذيب الأنبياء ﴿فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾؛ أي: فبُعداً لهم من الله ومن رحمته.

وقال سعيد بن جُبير[٣]، وأبو صالح[٤]: هو وادٍ في جهنّم يقال له: السُّحْق. قرأ الجمهور[٥]: «فسُحْقاً» بإسكان الحاء. وقرأ الكسائي، وأبو جعفر بضمها[٦]، وهما لغتان مثل السُحْت والرُّعْب.

قال الزجاج[٧]، وأبو عليّ الفارسي[٨]: فسحقاً منصوب على المصدر؛ أي: أسحقهم الله سحقاً. قال أبو عليّ الفارسي[٩]: وكان القياس إسحاقاً، فجاء المصدر

---

(١) «روح المعاني» (٢٧/ ٢٩٩).
(٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ١٩٩).
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٣/ ١٢٦) من طريق سفيان، به.
(٤) «النكت والعيون» (٦/ ٥٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ١٢١).
(٥) «جامع البيان» (٢٣/ ١٢٦)، و«التيسير» (ص٢١٢)، و«النشر» (٢/ ٢١٧)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٢٩).
(٦) انظر: المصادر المتقدمة.
(٧) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ١٩٩).
(٨) في «الحجة» (٦/ ٣٠٧).
(٩) في «الحجة» (٦/ ٣٠٧).

على الحذف، واللام في ﴿لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ للبيان[(١)]، كما في ﴿هَيۡتَ لَكَۚ﴾ [يوسف: ٢٣].

وقد أخرج عبد بن حميد عن ابن عباس[(٢)] في قوله: ﴿سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ﴾ قال: بعضها فوق بعض.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه[(٣)] في قوله: ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ﴾ قال: ما يفوت بعضُه بعضاً تفاوتاً مفرقاً.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عنه[(٤)] أيضاً في قوله: ﴿مِن تَفَٰوُتٖۖ﴾ قال: من تشقق، وفي قوله: ﴿هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ﴾ قال: شقوق، وفي قوله: ﴿خَاسِئٗا﴾ قال: ذليلاً ﴿وَهُوَ حَسِيرٞ﴾؛ كليل.

وأخرج ابن جرير[(٥)] عنه أيضاً. قال: الفطور: الوهي.

وأخرج ابن المنذر[(٦)] عنه أيضاً ﴿مِن فُطُورٖ﴾ قال: من تشقق أو خلل، وفي قوله: ﴿يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ﴾ قال: يرجع إليك ﴿خَاسِئٗا﴾ قال: صاغراً ﴿وَهُوَ حَسِيرٞ﴾ قال: مُعْيِي، ولا يَرى شيئًا.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر عنه[(٧)] أيضاً خاسئاً قال: ذليلاً ﴿وَهُوَ حَسِيرٞ﴾ قال: عَييّ مرجفٌ.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[(٨)] ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ﴾ قال: تتفرّق.

---

(١) «روح المعاني» (٢٧/٣٠٣)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٣٦٧).
(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٣٤).
(٣) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٣٤).
(٤) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٣٥)، وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٣/ ١٢١) بسند صحيح.
(٥) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ١٢٠) بسند ضعيف.
(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٣٥).
(٧) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ١٢٠) بسند صحيح.
(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٣/ ١٢٤)، وابن أبي حاتم ـ كما في «الإتقان» (٢/ ٤٨) ـ بسند صحيح.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر عنه[1] أيضاً ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ﴾ قال: يفارق بعضها بعضاً.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه[1] أيضاً ﴿فَسُحْقًا﴾ قال: بعداً.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾﴾.

قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ لما فرغ سبحانه من ذكر أحوال أهل النار ذكر أهل الجنة، و(بالغيب) حال من الفاعل أو المفعول؛ أي: غائبين عنه، أو غائباً عنهم، والمعنى: أنهم يخشون عذابه، ولم يروه، فيؤمنون به خوفاً من عذابه، ويجوز أن يكون المعنى: يخشون ربَّهم حال كونهم غائبين عن أعين الناس، وذلك في خلواتهم، أو المراد بالغيب كون العذاب غائباً عنهم لأنهم في الدنيا، وهو إنما يكون يوم القيامة، فتكون الباء على هذا سببية.

﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ عظيمة يغفر الله بها ذنوبهم ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ وهو الجنة، ومثل هذه الآية قوله: ﴿مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [ق: ٣٣].

ثم عاد سبحانه إلى خطاب الكفار فقال: ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ﴾ هذه الجملة مستأنفة مسوقة لبيان تساوي الإسرار والجهر بالنسبة إلى علم الله سبحانه،

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٣/ ١٢٥)، وابن أبي حاتم ـ كما في «الإتقان» (٢/ ٤٨) ـ بسند صحيح.

والمعنى: إن أخفيتم كلامكم أو جهرتم به في أمر رسول الله ﷺ، فكلّ ذلك يعلمه الله لا تخفى عليه منه خافية.

وجملة ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ تعليل للاستواء المذكور، وذات الصدور هي مُضْمرات القلوب، والاستفهام في قوله: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ﴾ للإنكار[١]. والمعنى: ألا يعلم السرّ، ومضمرات القلوب مَنْ خلق ذلك وأوجده؟ فالموصول[٢] عبارة عن الخالق.

ويجوز أن يكون عبارة عن المخلوق، وفي يعلم ضمير يعود إلى الله؛ أي: ألا يعلم الله المخلوق الذي هو من جملة خلقه، فإن الإسرار والجهر ومضمرات القلوب من جملة خلقه.

وجملة: ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ في محل نصب[٣] على الحال من فاعل يعلم؛ أي: الذي لطف علُمه بما في القلوب، الخبير بما تسرّه وتضمره من الأمور، لا تخفى عليه من ذلك خافية.

[استَدلَّ بالآية على ندب التسبب والكسب]:

ثم امتنّ سبحانه على عباده، فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا﴾؛ أي: سهلة لينة تستقرّون عليها، ولم يجعلها خَشِنة بحيث يمتنع عليكم السكون فيها والمشي عليها، والذلول في الأصل: هو المنقاد الذي يذلّ لك، ولا يستصعب عليك، والمصدر: الذلّ، والفاء في قوله: ﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا﴾ لترتيب الأمر بالمشي على الجَعْل المذكور، والأمر للإباحة.

قال مجاهد[٤]، والكلبي[٥]، ومقاتل[٦]: مناكبها: طرقها وأطرافها وجوانبها. وقال قتادة[٧]، وشهر بن حوشب[٨]: مناكبها: جبالها.

وأصل المنكب: الجانب، ومنه منكب الرجل، ومنه الريح النكباء لأنها تأتي مِنْ جانب دون جانب.

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ١٢٦)، وابن أبي حاتم ـ كما في «الإتقان» (٢/ ٤٨) ـ بسند صحيح.
(٢) «روح المعاني» (٢٧/ ٣٠٥).
(٣) «روح المعاني» (٢٧/ ٣٠٦ ـ ٣٠٧).
(٤) «التبيان» (٢/ ١٢٣٢)، و«الفريد» (٤/ ٤٩٧).
(٥) «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٣٩٢)، و«التبيان» (٢/ ١٢٣٢).
(٦) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ١٢٩).
(٧) «معالم التنزيل» (٨/ ١٧٨).
(٨) «معالم التنزيل» (٨/ ١٧٨).

﴿وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ﴾؛ أي: مما رزقكم وخلقه لكم في الأرض ﴿وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾؛ أي: وإليه البعث من قبوركم لا إلى غيره، وفي هذا وعيد شديد[1].

ثم خوّف سبحانه الكفار. فقال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾[2] قال الواحدي[3]: قال المفسِّرون: يعني: عقوبة مَنْ في السماء، وقيل: من في السماء قدرته، وسلطانه، وعرشه، وملائكته، وقيل: مَنْ في السماء من الملائكة، وقيل: المراد جبريل، ومعنى ﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ يقلعها ملتبسة بكم، كما فعل بقارون بعد ما جعلها لكم ذلولاً تمشون في مناكبها، وقوله: ﴿أَن يَخْسِفَ﴾ بدل اشتمال[4] من الموصول؛ أي: ءأمنتم خَسْفه، أو على حذف مِنْ؛ أي: من أن يخسف.

---

(١) «النكت والعيون» (٦/ ٥٤).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ١٢٥)، و«معالم التنزيل» (٦/ ١٧٨).

(٣) قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقدرته وسلطانه وعرشه وملائكته» هذا القيل الذي ذكره المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ فيه تأويل غير صحيح لصفة العلو وعدل عن ظاهر اللفظ.
قال ابن جرير في تفسير هذه الآية: ﴿مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾: وهو الله فهذه الآية من أعظم الحجج على إثبات صفة العلو لله ثم حمله على القدرة والسلطان ينافي سياق هذه الآية من ناحية اللغة لأن كلمة (من) لذوي العقول والقدرة والسلطان والملك ليس من ذوي العقول فلو كان المراد القدرة والملك لكان المناسب أن يقول: «أأمنتم ما في السماء» بدلاً من (مَن) وكلمة (في) في هذه الآية بمعنى كلمة (على) فالمعنى أنّ الله تعالى على السماء؛ أي: فوق سمواته على عرشه. أو كلمة (السماء) بمعنى جهة الفوق والعلو فالمعنى: أنَّ الله تعالى في جهة العلو؛ أي: أنّ الله تعالى فوق خلقه عالٍ على عرشه، وجهة العلو على هذا أمر عدمي، فلا يلزم في هذا كون الله تعالى في شيء مخلوق، فإن الله تعالى بائن من خلقه ليس هو في شيء من خلقه، وهذه الآية من أعظم الحجج القاطعة على علو الله تعالى على خلقه عند أئمة السُّنَّة. قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا وتاسعها النصوص بأنّه ... فوق السماء وذا بلا حسبان
إذ أجمع السلف الكرام بأن معـ ... ـناها كمعنى الفوق بالبرهان
أو أن لفظ سمائه يعني به ... نفس العلو المطلق الحقاني
والرب فيه ليس يحصره في الـ ... ـمخلوق شيء عز ذو سلطان
الجهات بأسرها عدمية ... في حقه هو فوقها ببيان

النونية ـ «شرح الهراس» (١/ ٢٢٢). وانظر: «التحف في الإرشاد إلى مذهل السلف» (ص٥٧) فقد أثبت صفة العلو لله عَزَّ وَجَلَّ.

(٤) في «الوسيط» للواحدي (٤/ ٣٢٩).

﴿فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾؛ أي: تَضْطرب، وتتحرك على خلاف ما كانت عليه من السكون. قرأ الجمهور[١]: «ءأمنتم» بهمزتين، وقرأ البصريون، والكوفيون بالتخفيف[٢]، وقرأ ابن كثير بقلب[٣] الأولى واواً.

ثم كرّر سبحانه التهديد لهم بوجه آخر، فقال: ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ [٤/١٦٥] أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾؛ أي: حجارة من السماء، كما أرسلها على قوم لوط وأصحاب الفيل، وقيل: سحاب فيها حجارة، وقيل: ريح فيها حجارة.

﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾؛ أي: إنذاري إذا عاينتم العذاب، ولا ينفعكم هذا العلم، وقيل: النذير هنا محمد ﷺ، قاله عطاء[٤]، والضحاك[٥]. والمعنى: ستعلمون رسولي وصدقه، والأوّل أولى.

والكلام في ﴿أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ كالكلام في ﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ فهو: إما بدل اشتمال، أو بتقدير من.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾؛ أي: الذين قبل كفار مكة من كفار الأمم الماضية. كقوم نوح، وعاد، وثمود، وقوم لوط، وأصحاب الأيكة، وأصحاب الرس، وقوم فرعون ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾؛ أي: فكيف كان إنكاري عليهم بما أصبتهم به مِنْ العذاب الفظيع؟

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ﴾ الهمزة للاستفهام[٦]، والواو للعطف على مقدّر؛ أي: أغفلوا ولم ينظروا.

ومعنى ﴿صَٰٓفَّٰتٍ﴾: أنها صافة لأجنحتها في الهواء، وتبسيطها عند طيرانها ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾؛ أي: يضممن أجنحتهنّ. قال النحاس[٧]: يقال للطائر إذا بسط جناحه

---

(١) «مشكل إعراب القرآن» (٢/٣٩٣)، و«الفريد» (٤/٤٩٨)، و«التبيان» (٢/١٢٣٣).
(٢) «التيسير» (ص٢١٢)، و«النشر» (١/٣٦٣)، و«زاد المسير» (٨/٣٢٢)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/٣٢٨).
(٣) انظر: المصادر المتقدمة.
(٤) «النشر» (١/٣٦٣)، و«النشر» (ص٢١٢).
(٥) انظر: «جامع البيان» (٢٣/١٣٠).
(٦) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/١٢٧).
(٧) «روح المعاني» (٢٧/٣١٤)، و«الوسيط» (٤/٣٢٩).

صافّ، وإذا ضمها قابض كأنه يقبضها، وهذا معنى الطيران، وهو بسط الجناح، وقبضه بعد البسط، ومنه قول أبي خراش:

يبادرُ جنحَ الليل فهو مزايلٌ تحتَ الجناحِ بالتبسُّطِ والقبضِ[١]

وإنما قال: ﴿وَيَقْبِضْنَۚ﴾ ولم يقل: قابضات، كما قال صافات؛ لأن القبض يتجدد تارةً فتارة، وأما البسط فهو الأصل، كذا قيل. وقيل: إن معنى ﴿وَيَقْبِضْنَۚ﴾: قبضهنّ لأجنحتهنّ عند الوقوف من الطيران، لا قبضها في حال الطيران.

وجملة: ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُۚ﴾ في محل[٢] نصب على الحال من فاعل يقبضن، أو مستأنفة؛ لبيان كمال قدرة الله سبحانه. والمعنى: أنه ما يمسكهنّ في الهواء عند الطيران إلّا الرحمٰن القادر على كلّ شيء ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۭ بَصِيرٌ﴾ لا يخفى عليه شيء كائناً ما كان: ﴿أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمۡ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ﴾ الاستفهام للتقريع[٣] والتوبيخ.

والمعنى: أنَّه لا جند لكم يمنعكم من عذاب الله، والجند: الحزب والمنعة. قرأ الجمهور[٤]: («أمّن» هذا) بتشديد الميم على إدغام ميم (أمْ) في ميم (من)، وأم بمعنى بل، ولا سبيل إلى تقدير الهمزة بعدها، كما هو الغالب في تقدير أم المنقطعة[٥] ببل والهمزة؛ لأن بعدها هنا من الاستفهامية، فأغنت عن ذلك التقدير، و«من» الاستفهامية مبتدأ، واسم الإشارة خبره، والموصول مع صلته صفة اسم الإشارة، و﴿يَنصُرُكُم﴾ صفة لجند، و﴿مِّن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ﴾ في محل نصب[٦] على الحال من فاعل ﴿يَنصُرُكُم﴾، والمعنى: بل مَنْ هذا الحقير الذي هو في زعمكم جند لكم متجاوزاً نصر الرحمٰن؟

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/١٢٨).

(٢) البيت في ديوان الهذليين (٢/١٥٩)، و«الكامل» (٢/٧١٤).

(٣) «التبيان» (٢/١٢٣٣)، و«الفريد» (٤/٤٩٨).

(٤) «روح المعاني» (٢٧/٣١٦).

(٥) «التيسير» (٢١٣)، و«النشر» (١/٣٦٣ ـ ٣٦٤)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/٣٢٨)، و«زاد المسير» (٩/٣٢٢).

(٦) «التبيان» (٢/١٢٣٣)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٣/٤٧٣).

وقرأ طلحة بن مصرف بتخفيف[(١)] الأولى وتثقيل الثانية.

وجملة: ﴿إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ﴾ معترضة مقرّرة لما قبلها ناعية عليهم ما هم فيه مَنْ الضلال، والمعنى: ما الكافرون إلّا في غرور عظيم من جهة الشيطان يغرّهم به.

﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ﴾ الكلام في هذا كالكلام في الذي قبله قراءة وإعراباً؛ أي: مَنْ الذي يدرّ عليكم الأرزاق من المطر وغيره، إن أمسك الله ذلك عنكم ومنعه عليكم؟

﴿بَل لَّجُّواْ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾؛ أي: لم يتأثروا لذلك بل تمادوا في عنادٍ واستكبار عَنْ الحقّ ونفور عنه، ولم يعتبروا ولا تفكّروا، وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه؛ أي: إن أمسك رزقه فمن يرزقكم غيره، والعتوّ[(١)]: العناد، والطغيان، والنفور[(٢)]: الشرود.

وقد أخرج ابن مردويه[(٣)] عن ابن عباس ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ قال: أبو بكر، وعمر، وعليّ، وأبو عبيدة بن الجراح.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر[(٤)] عنه في قوله: ﴿فِى مَنَاكِبِهَا﴾ قال: جبالها.

وأخرج ابن جرير[(٥)] عنه أيضاً قال: أطرافها.

وأخرج الطبراني، وابن عديّ، والبيهقي في «الشعب»، والحكيم الترمذي عن ابن عمر[(٦)] قال: قال رسول الله : «إنَّ الله يحبّ العبد المؤمن المُحْترف».

وأخرج ابنُ أبي حاتم عن ابن عباس[(٧)] في قوله: ﴿بَل لَّجُّواْ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ قال: في ضلال.

---

(١) «روح المعاني» (٢٧/٣١٦)، و«البحر المحيط» (١٠/٢٢٨)، و«الفريد» (٤/٤٩٨). المتواتر قراءة الجمهور أمّا قراءة طلحة بن مصرّف فشاذة.
(٢) «تهذيب اللغة» (٣/١٤٣)، و«مفرادت ألفاظ القرآن» (ص٥٤٦).
(٣) «تهذيب اللغة» (١٥/٢٠٩)، و«مفردات ألفاظ القرآن» (ص٨١٧).
(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/٢٣٦).
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٣/١٢٧) بسند صحيح.
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٣/١٢٨) بسند ضعيف.
(٧) أخرجه الطبراني رقم (١٣٢٠٠)، وابن عدي رقم (٣٦٩)، والبيهقي رقم (١٢٣٧). وهو حديث ضعيف. وانظر: السلسلة الضعيفة رقم (١٣٠١).

﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿٣٠﴾﴾.

ضرب سبحانه مثلاً للمشرك والموحد لإيضاح حالهما وبيان مآلهما، فقال: ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ﴾ والمكبّ والمنكبّ: الساقط على وجهه، يقال: كببته فأكبّ وانكبّ، وقيل: هو الذي يكب رأسه، فلا ينظر يميناً ولا شمالاً ولا أماماً، فهو لا يأمن العثور والانكباب على وجهه. وقيل: أراد به الأعمى الذي لا يهتدي إلى الطريق، فلا يزال مشيه ينكسه على وجهه[1].

قال قتادة[2]: هو الكافر يَكبُّ على معاصي الله في الدنيا فيحشره الله يوم القيامة على وجهه. والهمزة للاستفهام[3] الإنكاري؛ أي: هل هذا الذي يمشي على وجهه أهدى إلى المقصد الذي يُريده؟ ﴿أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا﴾ مُعْتدلاً ناظراً إلى ما بين يديه ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾؛ أي: على طريق مستوي لا اعوجاج به ولا انحراف فيه، وخبر «مَنْ» محذوف لدلالة خبر «من» الأولى، وهو أهدى عليه.

وقيل: لا حاجة إلى ذلك؛ لأن «من» الثانية معطوفة على «من» الأولى عطف المفرد على المفرد، كقولك: أزيد قائم أم عمرو؟ وقيل: أراد بمن يمشي مكبّاً على وجهه مَنْ يحشر على وجهه إلى النار، ومَنْ يمشي سوياً: مَنْ يُحشر على قدميه إلى الجنة، وهو كقول قتادة الذي ذكرناه، ومثله قوله: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ [الإسراء: ٩٧].

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٣٨).
(٢) «النكت والعيون» (٦/ ٥٦)، و«الوسيط الواحدي» (٤/ ٣٣٠).
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٣/ ١٣٣) بسند صحيح.

[ما وجه إفراد السمع مع جمع الأبصار!]:

﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ﴾ أمر سبحانه رسوله ﷺ أن يخبرهم بأن الله هو الذي أنشأهم النشأة الأولى ﴿وَجَعَلَ﴾ لهم ﴿ٱلسَّمْعَ﴾ ليسمعوا به ﴿وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ ليبصروا بها، ووجه[1] إفراد السمع مع جمع الأبصار أنّه مصدر يُطلق على القليل والكثير، وقد قدّمنا بيان هذا في مواضع مع زيادة في البيان ﴿وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ القلوب التي يتفكرون بها في مخلوقات الله.

فذكر سبحانه ها هنا أنه قد جعل لهم ما يُدركون به المسموعات والمبصرات والمعقولات إيضاحاً للحُجّة وقطعاً للمعذرة، وذمّاً لهم على عدم شكر نعم الله، ولهذا قال: ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ وانتصاب[2] قليلاً على أنه نعت مصدر محذوف، و«ما» مزيدة للتأكيد؛ أي: شكراً قليلاً أو زماناً قليلاً، وقيل: أراد[3] بقلة الشكر عدم وجوده منهم.

قال مقاتل[4]: يعني أنكم لا تشكرون ربَّ هذه النعم فتوحدونه.

﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ أمر الله رسوله ﷺ بأن يخبرهم أن الله هو الذي خلقهم في الأرض ونشرهم فيها، وفرقهم على ظهرها، وأن حشرهم للجزاء إليه لا إلى غيره.

ثم ذكر سبحانه أنهم يستعجلون العذاب فقال: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾؛ أي: متى هذا الوعد الذي تذكرونه لنا من الحشر والقيامة والنار والعذاب إن كنتم صادقين في ذلك؟ والخطاب منهم للنبيّ ﷺ ولمن معه من المؤمنين، وجواب الشرط محذوف، والتقدير: إن كنتم صادقين فأخبرونا به أو فبينوه لنا، وهذا منهم استهزاءً وسخريةً.

ثم لمّا قالوا هذا القول أمر الله سبحانه رسوله ﷺ أن يجيب عليهم، فقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: إنّ وقت قيام الساعة علمه عند الله لا يعلمه غيره، ومثله قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى﴾ [الأعراف: ١٨٧].

---

(١) «روح المعاني» (٢٧/ ٣١٦)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٣٧٠).
(٢) «روح المعاني» (٢٧/ ٣٢٢)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٣٧١).
(٣) «الفريد» (٤/ ٤٩٩)، و«روح المعاني» (٢٧/ ٣٢٢).
(٤) انظر: التعليقة المتقدمة.

ثم أخبرهم أنه مبعوث للإنذار لا للإخبار بالغيب فقال: ﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ أنذركم وأخوّفكم عاقبة كفركم، وأبين لكم ما أمرني الله ببيانه.

ثم ذكر الله سبحانه حالهم عند معاينة العذاب فقال: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً﴾ يعني: رأوا العذاب قريباً، وزُلْفة مصدر بمعنى الفاعل؛ أي: مُزْدِلفاً، أو حال من مفعول رأوا بتقدير مضاف؛ أي: ذا زلفة وقُرْب، أو ظرف؛ أي: رأوه في مكان ذي زلفة.

قال مجاهد[(١)]: أي: قريباً. وقال الحسن[(٢)]: عياناً. قال أكثر المفسرين[(٣)]: المراد: عذاب يوم القيامة، وقال مجاهد[(٤)]: المراد عذاب بدر، وقيل: رأوا ما وعدوا به من الحشر قريباً منهم، كما يدلّ عليه قوله: ﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ وقيل: لما رأوا عملهم السيء قريباً.

﴿سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾؛ أي: اسودّت وعَلَتْها الكآبةُ وغشيتها الذلة، يقال: ساء الشيء يسوء، فهو سيء إذا قبح.

قال الزجاج[(٥)]: المعنى تبين فيها السوء؛ أي: ساءهم ذلك العذاب، فظهر عليهم بسببه في وجوههم ما يدلّ على كفرهم كقوله: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦]. قرأ الجمهور[(٦)] بكسر السين بدون إشمام، وقرأ نافع، وابن عامر، والكسائي، وابن محيصن [٤/١٦٦] بالإشمام[(٧)].

﴿وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾؛ أي: قيل لهم توبيخاً وتقريعاً[(٨)] هذا المشاهد الحاضر من العذاب، هو العذاب الذي كنتم به تدّعون في الدنيا؛ أي: تطلبونه وتستعجلون به استهزاءً، على أن معنى تدّعون الدعاء.

---

(١) «الوسيط» (٤/ ٣٣٠)، و«زاد المسير» (٨/ ٣٢٣).
(٢) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ١٣٦) بسند صحيح.
(٣) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ١٣٥) بسند صحيح.
(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ١٣١).
(٥) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ١٣١)، و«معالم التنزيل» (٨/ ١٨٠).
(٦) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢٠١).
(٧) «التيسير» (ص١٢٥)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٢٢٩)، و«النشر» (٢/ ٢٠٨). وممّن قرأ بالإشمام أبو جعفر ورويس
(٨) انظر: المصادر المتقدمة.

قال الفراء[١]: تدّعون تفتعلون من الدعاء؛ أي: تتمنون وتسألون، وبهذا قال الأكثر من المفسرين[٢].

وقال الزجاج[٣]: هذا الذي كنتم به تدّعون الأباطيل والأحاديث.

وقيل: معنى ﴿تَدَّعُونَ﴾: تكذبون، وهذا على قراءة الجمهور[٤]: «تَدّعون» بالتشديد، فهو إما من الدعاء كما قال الأكثر، أو من الدعوى كما قال الزجاج[٥] ومَنْ وافقه، والمعنى: أنهم كانوا يدّعون أنه لا بعث ولا حشر ولا جنة ولا نار.

وقرأ قتادة، وابن أبي إسحاق، ويعقوب، والضحاك: «تَدْعون» مخففاً[٦]، ومعناها ظاهر.

قال قتادة[٧]: هو قولهم: ﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ [ص: ١٦] وقال الضحاك[٨]: هو قولهم: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنفال: ٣٢] الآية.

قال النحاس[٩]: تدّعون وتَدْعون بمعنى واحد، كما تقول قدّر واقتدر، وغدا واغتدى، إلّا أنّ أفعل معناه: مضى شيئًا بعد شيء، وفعل يقع على القليل والكثير.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ﴾؛ أي: أخبروني إنْ أهلكني الله بموت أو قتل ومَنْ معي من المؤمنين ﴿أَوْ رَحِمَنَا﴾ بتأخير ذلك إلى أجل، وقيل المعنى: إن أهلكني الله ومَنْ معي بالعذاب، أو رحمنا فلم يعذبنا ﴿فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾؛ أي: فمن يمنعهم ويؤمّنهم من العذاب؟

والمعنى: أنه لا ينجيهم من ذلك أحد سواء أهلك الله رسولَه والمؤمنين معه،

---

(١) «روح المعاني» (٢٧/ ٣٢٣).
(٢) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٧١).
(٣) «الوسيط» (٤/ ٣٣١)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ١٣٢).
(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢٠١).
(٥) «جامع البيان» (٢٣/ ١٣٧)، و«النشر» (٢/ ٣٨٩)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٢٢٩).
(٦) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢٠١).
(٧) «جامع البيان» (٢٣/ ١٣٧)، و«المحتسب» (٢/ ٣٢٥)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٢٢٩).
(٨) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ١٣٢).
(٩) ذكره ابن جرير في «جامع البيان» (٢٣/ ١٣٧).

كما كان الكفار يتمنونه أو أمهلهم. وقيل: المعنى: إنا مع إيمانا بين الخوف والرجاء، فمن يجيركم مع كفركم من العذاب؟ ووضع[١] الظاهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالكفر، وبيان أنّه السبب في عدم نجاتهم.

﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ وحدَه لا نشرك به شيئًا ﴿وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ لا على غيره، والتوكل: تفويض الأمور إليه ﷻ.

﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ منا ومنكم، وفي هذا تهديد شديد مع إخراج الكلام مخرج الإنصاف[٢].

قرأ الجمهور[٣]: «ستعلمون» بالفوقية على الخطاب. وقرأ الكسائي بالتحتية[٤] على الخبر.

[التلميح لهم بعذاب الدنيا قبل عذاب الآخرة]:

ثم احتجّ سبحانه عليهم ببعض نعمه، وخوّفهم بسلب تلك النعمة عنهم فقال: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾؛ أي: أخبروني إنْ صار ماؤكم غائراً في الأرض بحيث لا يبقى له وجود فيها أصلاً، أو صار ذاهباً في الأرض إلى مكان بعيد بحيث لا تناله الدِّلاء، يقال: غار الماء غَوراً؛ أي: نَضب، والغور: الغائر، وصف بالمصدر للمبالغة، كما يقال: رجل عَدْل، وقد تقدم مثل هذا في سورة الكهف.

﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾؛ أي: ظاهر تراه العيون وتناله الدلاء.

وقيل: هو مِنْ مَعَن الماءُ؛ أي: كثر. وقال قتادة[٥]، والضحاك[٦]؛ أي: جارٍ، وقد تقدّم معنى المعين في سورة المؤمن.

وقرأ ابن عباس[٧] «فمن يأتيكم بماء عَذْبٍ».

---

(١) «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٤٧٦).

(٢) «روح المعاني» (٢٧/ ٣٢٥)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٣٧٣).

(٣) «روح المعاني» (٢٧/ ٣٢٦).

(٤) «زاد المسير» (٨/ ٣٣٥)، و«التيسير» (ص٢١٢)، و«النشر» (٢/ ٣٨٩)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٢٩).

(٥) انظر: المصادر المتقدمة.

(٦) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ١٣٩) بسند صحيح.

(٧) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ١٣٩) بسند حسن. وهي قراءة شاذة مخالفة للرسم.

وقد أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس[١] ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا﴾ قال: في الضلالة ﴿أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا﴾ قال: مهتدياً.

وأخرج الخطيب في «تاريخه»، وابن النجار عن ابن عباس[٢] قال: قال رسول الله ﷺ: «من اشتكى ضرسه فليضع أصبعه عليه، وليقرأ هذه الآية: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾».

وأخرج الدارقطني في «الأفراد» عن ابن عباس[٣] قال: قال رسول الله ﷺ: «من اشتكى ضرسه فليضع أصبعه عليه، وليقرأ هاتين الآيتين سبع مرات: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ إلى ﴿يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٩٨] و﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ فإنه يبرأ بإذن الله».

وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس[٤] في قوله: ﴿إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾ قال: داخلاً في الأرض ﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾ قال: الجاري.

وأخرج ابن المنذر[٥] عنه: ﴿إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾ قال: يرجع في الأرض.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم[٦] عنه أيضاً ﴿بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾ قال: ظاهر.

وأخرج عبد بن حميد[٧] عنه أيضاً ﴿بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾ قال: عَذْب.

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٣/١٣٨ ـ ١٣٩) بسند ضعيف.
(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/٢٣٨).
(٣) أخرجه الخطيب في «تاريخه» (٩/ ٥٤).
(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٣٧ ـ ٢٣٨).
(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٣٩).
(٦) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٣٩).
(٧) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٣٩).

سُورَةُ القَلَمِ

تفسير سورة «نون»

هي اثنتان وخمسون آية وهي مكية(١) في قول الحسن، وعكرمة، وعطاء، وجابر.

وروي عن ابن عباس، وقتادة أن من أوّلها إلى قوله: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ [نٓ: ١ ـ ١٦] مكيّ، ومن بعد ذلك إلى قوله: ﴿مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [نٓ: ١٧ ـ ٥٢] مدنيّ، وباقيها مكي كذا قال الماوردي(٢).

وأخرج ابنُ الضريس عن ابن عباس(٣) قال: كانت إذا نزلت فاتحة سورة بمكة كتبت بمكة، ثم يزيد الله فيها ما يشاء، وكان أوّل ما نزل من القرآن: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ ثم نون، ثم المزمل، ثم المدثر.

وأخرج النحاس، وابن مردويه، والبيهقي(٤) عنه قال: نزلت سورة نٓ بمكة.
وأخرج ابن مردويه عن عائشة مثله.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[محمد رسول الله ﷺ أكرم الخلق]:

﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا قَالَ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾﴾.

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ١٣٥). (٢) في «النكت والعيون» (٦/ ٥٩).
(٣) أخرجه ابن الضريس في «فضائل القرآن» رقم (١٧).
(٤) أخرجه النحاس في «ناسخه» (ص٧٤٩)، والبيهقي (٧/ ١٤٢ ـ ١٤٣).

قوله: ﴿نٓ﴾ قرأ أبو بكر، وورش، وابن عامر، والكسائي، وابن محيصن، وابن هبيرة بإدغام[١] النون الثانية من هجائها في الواو، وقرأ الباقون[٢] بالإظهار، وقرأ أبو عمرو، وعيسى بن عمر بالفتح[٣] على إضمار فعل. وقرأ ابن عامر، ونصر، وابن إسحاق بكسرها[٤] على إضمار القسم، أو لأجل التقاء الساكنين، وقرأ محمد بن السميفع[٥] وهارون بضمها على البناء.

قال مجاهد[٦] ومقاتل[٧] والسديّ[٨]: هو الحوتُ الذي يحمل الأرض، وبه قال مرّة الهمذاني[٩]، وعطاء الخراساني، والكلبي. وقيل: إنّ نون آخر حرف من حروف الرحمٰن.

وقال ابن زيد[١٠]: هو قَسَمٌ أقسم الله به. وقال ابن كيسان[١١]: هو فاتحة السورة. وقال عطاء[١٢]، وأبو العالية: هي النون من نصر وناصر. قال محمد بن كعب[١٣]: أقسم الله تعالى بنصره المؤمنين.

وقيل: هو حرف من حروف[١٤] الهجاء، كالفواتح الواقعة في أوائل السور

---

(١) «التيسير» (ص١٨٣)، و«النشر» (٢/ ١٨ ـ ١٩)، و«زاد المسير» (٨/ ٣٣٦)، و«جامع البيان» (٢٣/ ١٤٥)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٣١).

(٢) انظر: المصادر المتقدمة: قال في «تخريج القراءات» في «فتح القدير» (ص٤١٩): أدغم (ن) في الواو، ورش والبزي وابن ذكوان وعاصم بخلافٍ عنهم وهشام والكسائي ويعقوب بلا خلاف، وقرأ باقي العشرة بالإظهار وهو الوجه الثاني عن ورش والبزي وابن ذكوان وعاصم، وهما متواترتان، أمّا فتح النون وكسرها وضمها فقراءات شاذة، ورواية شاذة عن أبي عمرو وابن عامر. ا.هـ.

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ١٣٥)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٥/ ٣).

(٤) «القراءات الشاذة» (ص١٥٩)، و«روح المعاني» (٢٧/ ٣٢٩).

(٥) «زاد المسير» (٨/ ٣٢٦)، و«إعراب القراءات الشاذة» (٢/ ٦٠٦)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٢٣٤).

(٦) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ١٤٢) بسند صحيح.

(٧) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٣٣٣).

(٨) «الوسيط» (٤/ ٣٣٣)، و«زاد المسير» (٨/ ٣٢٧).

(٩) ذكره عنهم الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٣٣٣).

(١٠) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٣/ ١٤٤) بسند صحيح.

(١١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ١٣٨).

(١٢) قاله البغوي في «تفسيره» (٨/ ١٨٧).

(١٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ١٣٨)، و«معالم التنزيل» (٨/ ١٨٧).

(١٤) «النكت والعيون» (٦/ ٦٠).

المفتتحة بذلك، وقد عرّفناك ما هو الحق في مثل هذه الفواتح في أوّل سورة البقرة.

والواو في قوله: ﴿وَٱلْقَلَمِ﴾ واو القَسَم، أَقْسَم اللهُ بالقلم لما فيه من البيان، وهو واقع على كلِّ قلم يكتب به.

وقال جماعة مِنْ المفسِّرين[1]: المراد به: القلم الذي كتب به اللوح المحفوظ، أقسم الله به تعظيماً له.

قال قتادة[2]: القلم مِنْ نعمة الله على عباده.

﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ «ما» موصولة[3]؛ أي: والذي يسطرون، والضمير عائد إلى أصحاب القلم المدلول عليهم بذكره؛ لأن ذكر آلة الكتابة تدلّ على الكاتب. والمعنى: والذي يسطرون؛ أي: يكتبون كل ما يكتب، أو الحفظة على ما تقدّم.

ويجوز أن تكون «ما» مصدرية[4]؛ أي: وسطرهم، وقيل: الضمير راجع إلى القلم خاصة من باب إسناد الفعل إلى الآلة، وإجرائها مجرى العقلاء.

وجواب القسم قوله: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ﴾ ما نافية، وأنت اسمها، وبمجنون خبرها.

قال الزجاج[5]: أنت هو اسم ما، وبمجنون خبرها، وقوله: ﴿بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ﴾ كلام وقع في الوسط؛ أي: انتفى عنك الجنون بنعمة ربك، كما يقال: أنت بحمد الله عاقل، قيل: الباء متعلقة[6] بمضمر هو حال، كأنه قيل: أنت بريء من الجنون ملتبساً بنعمة الله التي هي النبوة والرياسة العامة. وقيل: الباء للقسم؛ أي: وما أنت ونعمة ربك بمجنون.

وقيل: النعمة هنا: الرحمة، والآية رد على الكفار حيث قالوا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ﴾ [الحجر: ٦].

﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا﴾؛ أي: ثواباً على ما تحملت من أثقال النبوّة، وقاسيت من

---

(١) «الوسيط» (٤/ ٣٣٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ١٣٨).
(٢) أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٥٢٧) بسند صحيح.
(٣) «الفريد» (٤/ ٥٠٤)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٢٣٥)، و«روح المعاني» (٢٧/ ٣٣٢).
(٤) انظر: المصادر المتقدمة.
(٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢٠٤).
(٦) «روح المعاني» (٢٧/ ٣٣٢)، و«الفريد» (٤/ ٥٠٤).

أنواع الشدائد ﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾؛ أي: غير مقطوع، يقال: مننتُ الحبل إذا قطعته.

[تمجيد العنصر الأخلاقي في ميزان الله]:

وقال مجاهد(١): ﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ غير محسوب، وقال الحسن(٢): ﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ غير مكدّر بالمنّ. وقال الضحاك(٣): أجراً بغير عمل، وقيل: غير مقدّر، وقيل: غير ممنون به عليك مِنْ جهة الناس.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ قيل: هو الإسلام والدين، حكى هذا الواحدي(٤) عن الأكثرين. وقيل: هو القرآن، روي هذا عن الحسن(٥) والعوفي.

وقال قتادة(٦): هو ما كان يأتمر به من أمر الله وينتهي عنه مِنْ نهي الله. قال الزجاج(٧): المعنى: إنك على الخلق الذي أمرك الله به في القرآن، وقيل: هو رفقه بأمته وإكرامه إياهم، وقيل: المعنى: إنك على طبع كريم.

قال الماوردي(٨): وهذا هو الظاهر، وحقيقة الخُلق في اللغة ما يأخذ الإنسان نفسَه به من الأدب.

وقد ثبت [٤/ ١٦٧] في «الصحيح»(٩) عن عائشة أنّها سئلت عن خلق النبيّ ﷺ، فقالت: كان خلقه القرآن، وهذه الجملة، والتي قبلها معطوفتان على جملة جواب القسم.

﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾؛ أي: ستبصر يا محمد ويُبْصر الكفّار إذا تبين الحقّ وانكشف الغطاء، وذلك يوم القيامة ﴿بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾ الباء زائدة للتأكيد؛ أي: المفْتُون بالجنون، كذا قال الأخفش(١٠)، وأبو عبيدة(١١)، وغيرهما، ومثله قول الشاعر(١٢):

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ١٤٩) بسند صحيح.

(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ١٤١).

(٣) «النكت والعيون» (٦/ ٦١).

(٤) في «الوسيط» (٤/ ٣٣٤).

(٥) «النكت والعيون» (٦/ ٦١)، و«الوسيط» (٤/ ٣٣٤).

(٦) «معالم التنزيل» (٨/ ١٨٨).

(٧) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢٠٤).

(٨) في «النكت والعيون» (٦/ ٦١).

(٩) أخرجه مسلم في «صحيحه» رقم (١٣٩/ ٧٤٦).

(١٠) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٧١٢).

(١١) في «مجاز القرآن» (٢/ ٣٦٤).

(١٢) هو النابغة الجعدي وهو في ديوانه (ص٢١٦) برواية نضرب بالبيض.

نحنُ بنو جَعْدَةَ أصحابَ العِلَجْ نضربُ بالسيفِ ونرجُو بالفَرَجْ

وقيل: ليست الباء زائدة، والمفتون مصدر جاء على مفعول كالمعقول والميسور، والتقدير: بأيكم الفتُون أو الفتنة، ومنه قول الشاعر الراعي(١):

حتى إذا لم يتركُوا لعظامِه لحماً ولا لفؤادِه معقولا

أي: عَقْلا. وقال الفرّاء(٢): إن الباء بمعنى في؛ أي: في أَيّكم المفتون، أفي الفريق الذي أنت فيه أم في الفريق الآخر؟ ويؤيد هذا قراءة ابن أبي عبلة(٣): «في أيّكم المفتون»، وقيل: الكلام على حذف مضاف؛ أي: بأيكم فَتْن المفتونِ، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، روي هذا عن الأخفش(٤) أيضاً.

وقيل: المفتون المعذَّب، من قول العرب فتنتُ الذهبَ بالنار إذا أحميته، ومنه قوله: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ [الذاريات: ١٣]، وقيل: المفتون هو الشيطان، لأنه مفتون في دينه، والمعنى: بأيكم الشيطان(٥).

وقال قتادة(٦): هذا وعيد لهم بعذاب يوم بدر، والمعنى: سترى ويرى أهل مكة إذا نزل بهم العذاب ببدر بأيكم المفتون.

وجملة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ تعليل للجملة التي قبلها، فإنها تتضمن الحكم عليهم بالجنون لمخالفتهم لما فيه نفعهم في العاجل والآجل، واختيارهم ما فيه ضرهم فيهما.

والمعنى: هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله الموصل إلى سعادة الدارين.

﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ إلى سبيله الموصل إلى تلك السعادة الآجلة والعاجلة، فهو مجازٍ كل عامل بعمله، إن خيراً فخير، وإن شرّاً فشر.

﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ نهاه سبحانه عن ممايلة المشركين، وهم رؤساء كفار مكة؛ لأنهم كانوا يدعونه إلى دين آبائه، فنهاه الله عن طاعتهم، أو هو تعريض بغيره عن أن يطيع الكفار، أو المراد بالطاعة: مجرد المداراة بإظهار خلاف ما في الضمير،

---

(١) في ديوانه (ص٢٣٦). (٢) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٧٣).
(٣) «روح المعاني» (٢٧/ ٣٣٦)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٢٣٧). والقراءة شاذة مخالفة للرسم.
(٤) في «معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٧١٢). (٥) «النكت والعيون» (٦/ ٦٢).
(٦) «زاد المسير» (٨/ ٤٢٩)، و«الوسيط» (٤/ ٣٣٥).

فنهاه الله عَنْ ذلك، كما يدلّ عليه قوله: ﴿وَدُّوا۟ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ﴾ فإنّ الإدهان[١]: هو الملاينة[٢] والمسامحة والمداراة.

قال الفرّاء[٣]: المعنى لو تلين فيلينوا لك، وكذا قال الكلبي[٤]. وقال الضحاك[٥]، والسديّ[٦]: ودّوا لو تكفر فيتمادوا على الكفر. وقال الربيع بن أنس[٧]: ودّوا لو تكذب فيكذبون. وقال قتادة[٨]: ودّوا لو تذهب عن هذا الأمر، فيذهبون معك.

وقال الحسن[٩]: ودّوا لو تصانعهم في دينك فيصانعونك. وقال مجاهد[١٠]: ودّوا لو تركن إليهم وتترك ما أنت عليه من الحق فيمايلونك. قال ابن قتيبة[١١]: كانوا أرادوه على أن يعبد آلهتهم مدّة، ويعبدوا الله مدّة.

وقوله: ﴿فَيُدۡهِنُونَ﴾ عطف على تدهن داخل في حيز لو، أو هو خبر مبتدأ محذوف؛ أي: فهم يدهنون.

قال سيبويه[١٢]: وزعم قالون أنها في بعض المصاحف: «ودّوا لو تدهن فيدهنوا» بدون نون، والنصب على جواب التمنّي المفهوم من ودّوا، والظاهر من اللغة في معنى الإدهان، هو ما ذكرناه أوّلاً.

﴿وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٍ﴾؛ أي: كثير الحلف بالباطل ﴿مَّهِينٍ﴾ فعيل من المهانة، وهي القلة في الرأي والتمييز.

وقال مجاهد[١٣]: هو الكذّاب. وقال قتادة[١٤]: المكثار في الشرّ، وكذا قال

---

(١) «تهذيب اللغة» (٦/ ٢٠٥)، و«مفردات ألفاظ القرآن» (ص٣٢٠).
(٢) «تفسير الرازي» (٢٠/ ٨٣)، و«أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ١٨٤٣).
(٣) في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ١٧٣). (٤) «معالم التنزيل» (٨/ ١٩٢).
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٣/ ١٥٦) بسند حسن.
(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ١٤٦). (٧) «النكت والعيون» (٦/ ٦٢).
(٨) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ١٥٧)، وعبد الرزاق (٢/ ٣٠٨) بسند صحيح.
(٩) «زاد المسير» (٨/ ٣٣٠ ـ ٣٣١).
(١٠) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ١٥٧) بسند صحيح.
(١١) في «تفسير غريب القرآن» (ص٤٧٨). (١٢) في الكتاب (١/ ٦٧ ـ ٦٨).
(١٣) رواه ابن جرير (٢٣/ ١٥٨) عن مجاهد قال: ضَعيف بدل كذّاب وروى عن ابن عباس أنّه قال: المهين: الكذّاب «ابن جرير» (٢٣/ ١٥٨).
(١٤) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ١٥٨) بسند صحيح.

الحسن[١]. وقيل: هو الفاجر[٢] العاجز، وقيل: هو الحقير[٣] عند الله، وقيل: هو الذليل[٤]، وقيل: هو الوضيع.

﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءِ بِنَمِيمٍ﴾ الهماز المغتاب[٥] للناس.

قال ابن زيد[٦]: هو الذي يهمز بأخيه، وقيل: الهمّاز الذي يذكر الناس في وجوههم، واللمّاز: الذي يذكرهم في مغيبهم، كذا قال أبو العالية[٧]، والحسن[٧]، وعطاء بن أبي رباح[٨]، وقال مقاتل[٩] عكس هذا. والمشّاء بنميم: الذي يمشي بالنميمة بين الناس ليفسد بينهم، يقال: نمّ ينمّ إذا سعى بالفساد بين الناس، ومنه قول الشاعر[١٠]:

ومولَىً كبيتِ النملِ لا خيرَ عندَه ... لمولاهُ إلّا سعْيُه بنميمِ

وقيل: النميم جمع نميمة[١١].

﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾؛ أي: بخيل بالمال لا ينفقه في وجهه، وقيل: هو الذي يمنع أهله وعشيرته عن الإسلام. قال الحسن[١٢]: يقول لهم: مَنْ دخل منكم في دين محمد لا أنفعه بشيء أبداً.

﴿مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾؛ أي: متجاوز الحدّ في الظلم كثير الإثم.

﴿عُتُلٍّ﴾ قال الواحدي[١٣]: المفسِّرون يقولون: هو الشديد الخَلْق الفاحش الخُلق.

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٣/١٥٨ ـ ١٥٩) عن الحسن وقتادة من طريق الثوري.
(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/١٤٩) عن الكلبيِّ.
(٣) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/٣٩٢). (٤) «النكت والعيون» (٦/٦٣).
(٥) أخرجه ابن جرير (٢٣/١٥٩) عن ابن عباس بسند ضعيف.
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٣/١٥٩) بسند صحيح.
(٧) ذكره عنهما ابن الجوزي في «زاد المسير» (٩/٢٢٧).
(٨) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/١٤٩).
(٩) «المحرر الوجيز» (١٦/٧٧).
(١٠) هو خِداش بن بشر (البعيث)، و«المعاني الكبير» لابن قتيبة (٢/٦٣٧).
(١١) ذكره الفراء في «معاني القرآن» (٣/١٧٣).
(١٢) «معالم التنزيل» (٨/١٩٢).
(١٣) في «الوسيط» (٤/٣٣٥).

وقال الفراء[١]: هو الشديد الخصومة في الباطل. وقال الزجاج[٢]: هو الغليظ الجافي. وقال الليث[٣]: هو الأكول المنوعُ، يقال: عتلت الرجل أعتله إذا جذبته جذباً عنيفاً، ومنه قول الشاعر[٤]:

نـقـرعُـه قـرعـاً ولَـسْـنَـا نُـعْـتِـلُـهُ

﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾؛ أي: هو بعد ما عدّ من معايبه زنيم، والزنيم هو: الدعيُّ الملصق بالقوم وليس هو منهم؛ مأخوذ من الزَنَمة المتدلية في حلق الشاة أو الماعز، ومنه قول حسان[٥]:

زنـيـمٌ تـداعـاهُ الـرجـالُ زيـادةً ... كـمـا زِيْـد فـي عَـرْضِ الأديـمِ الأكـارعُ

وقال سعيد بن جبير[٦]: الزنيم: المعروف بالشرّ، وقيل: هو رجل من قريش كان له زَنَمة كزنمة الشاة، وقيل: هو الظلوم.

﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ متعلق بقوله: ﴿فَلَا تُطِعِ﴾؛ أي: لا تطع من هذه مثالبه لكونه ذا مال وبنين. قال الفراء[٧]، والزجاج[٨]: أي لأن كان، والمعنى: لا تطعه لماله وبنيه.

قرأ ابن عامر، وأبو جعفر، والمغيرة، وأبو حيوة «أَنْ كان» بهمزة واحدة[٩] ممدودة على الاستفهام. وقرأ حمزة، وأبو بكر، والمفضل: «أأن كان» بهمزتين مخففتين[١٠]، وقرأ الباقون بهمزة واحدة[١٠] على الخبر، وعلى قراءة الاستفهام يكون المراد به التوبيخ[١١] والتقريع حيث جعل مجازاة النِّعم التي خوّله الله من المال والبنين أن كفر به وبرسوله.

---

(١) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٧٣). (٢) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢٠٦).
(٣) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٣٣٥). (٤) هو: أبو النجم.
(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ١٥٣).
(٦) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ١٦٧) من طريق الثوري، به.
(٧) في «معاني القرآن» (٣/ ١٧٣). (٨) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢٠٦).
(٩) «التيسير» (ص٢١٣)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٣١)، و«جامع البيان» (٢٣/ ١٦٩)، و«زاد المسير» (٨/ ٣٣٣)، و«النشر» (١/ ٣٦٧). قرأ ابن عامر وأبو بكر وحمزة ويعقوب وأبو جعفر بهمزتين سهل الثانية منهما: ابن عامر وأبو جعفر ورويس عن يعقوب والباقون بالتحقيق. ومقصود المؤلف: ممدودة على الاستفهام يعني مُسّهلة وليس المقصود به الاستفهام الحقيقي لأنّه لم يقرأ بها أحد.
(١٠) انظر: المصادر المتقدمة.
(١١) «روح المعاني» (٢٧/ ٣٤٤)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٣٧٨).

وقرأ نافع[١] في رواية عنه بكسر الهمزة على الشرط.

وجملة: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ مستأنفة جارية مجرى التعليل للنهي، وقد تقدّم معنى أساطير الأوّلين في غير موضع.

﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾؛ أي: سنسمه بالكيّ على خرطومه. قال أبو عبيدة[٢]، وأبو زيد[٣]، والمبرِّد[٤]: الخرطوم: الأنف. قال مقاتل[٥]: سنسمه بالسواد على الأنف، وذلك أنه يُسوّد وجهه قبل دخول النار.

قال الفراء[٦]: والخرطوم وإن كان قد خصّ بالسمة، فإنه في مذهب الوجه؛ لأن بعض الوجه يؤدي عن بعض. قال الزجاج[٧]: سيجعل له في الآخرة العلَم الذي يُعرف به أهل النار من اسوداد وجوههم. وقال قتادة[٨]: سنلحق به شيئًا لا يفارقه، واختار هذا ابن قتيبة[٩]، قال: والعرب تقول: قد وسمه مَيْسَم سوء يريدون ألصق به عاراً لا يفارقه.

فالمعنى: أنّ الله ألحق به عاراً لا يفارقه كالوسْم على الخرطوم، وقيل: معنى ﴿سَنَسِمُهُۥ﴾: سنحطمه بالسيف. وقال النضر بن شميل[١٠]: المعنى: سنحدّه على شرب الخمر، وقد يسمى الخمر بالخرطوم، ومنه قول الشاعر[١١]:

تظلُّ يومَك في لهوٍ وفي طربٍ ... وأنتَ بالليلِ شرّابُ الخراطيمِ

[أول شيء خلقه الله القلم]:

وقد أخرج عبد الرزاق، والفريابي، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ في «العظمة»، والحاكم وصححه،

(١) «القراءات الشاذة» (ص١٥٩)، و«روح المعاني» (٢٧/ ٣٤٣).
(٢) «زاد المسير» (٨/ ٣٣٤)، و«الوسيط» (٤/ ٣٣٦).
(٣) «الوسيط (٤/ ٣٣٦)، و«زاد المسير» (٨/ ٣٣٤).
(٤) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٦٦)، و«الواحدي في الوسيط» (٤/ ٣٣٦).
(٥) «الوسيط» (٤/ ٣٣٦).
(٦) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٧٤).
(٧) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢٠٦ ـ ٢٠٧).
(٨) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ١٧٠) بسند صحيح.
(٩) في «تأويل مشكل القرآن» (ص١١٨ ـ ١١٩).
(١٠) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ١٥٩).
(١١) هو الأعرج المُعْنيّ. «البحر المحيط» (٨/ ٣٠٥).

وابن مردويه، والبيهقي في «الأسماء والصفات»، والخطيب في «تاريخه»، والضياء في «المختارة» عن ابن عباس[١] قال: إن أوّل شيء خلقه الله القلمُ، فقال الله له: اكتب، فقال: يا ربّ، وما أكتب؟ قال: اكتب القَدَر، فجرى من ذلك اليوم بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة، ثم طوى الكتاب ورفع القلم، وكان عرشه على الماء فارتفع بخار الماء، ففتقت منه السمٰوات ثم خلق النون، فبسطت الأرض عليه، والأرض على ظهر النون، فاضطرب النون فمادت الأرض، فأثبتت الجبال، فإن الجبال لتفخر على الأرض إلى يوم القيامة.

ثم قرأ ابن عباس: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، والترمذي وصححه، وابن مردويه عن عبادة بن الصامت[٢] سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أوّل ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، فجرى بما هو كائن إلى الأبد».

وأخرج ابن جرير[٣] من حديث معاوية بن قرّة عن أبيه مرفوعاً نحوه.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر عن ابن عباس[٤] قال: إن الله خلق النون، وهي الدواة: وخلق القلم، فقال: اكتب، قال: وما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة.

وأخرج الحكيم الترمذي عن أبي هريرة[٥] مرفوعاً نحوه.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٣٠٧)، و«ابن جرير (٢٣/ ١٤٠)، وفي «تاريخه» (١/ ٣٣، ٥١)، وابن أبي حاتم ـ كما في تفسير ابن كثير (١٤/ ٨٠) ـ وأبو الشيخ في «العظمة» رقم (٩٠٠)، والحاكم (٢/ ٤٩٨)، والبيهقي رقم (٨٠٤)، والخطيب في «تاريخه» (٩/ ٥٩)، والضياء في «المختارة» (١٠/ ١٨) رقم (٨). وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. ولعل الخبر من الإسرائيليات لما فيه من الغرائب. وهو موقوف على ابن عباس.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (١٤/ ١١٤)، وأحمد رقم (٢٢٧٠، ٧/ ٢٢٧)، والترمذي رقم (٢١٥٥، ٣٣١٩). وهو حديث صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ١٤٤) بسند ضعيف.
قال ابن كثير في «تفسيره» (١٤/ ٨٣) وهذا مرسل غريب.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٣/ ١٤٣) بسند ضعيف لضعف ثابت الثُّماليّ.

(٥) أخرجه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٢/ ٣٥٤) وهو حديث باطل كما قال الألباني في «السلسلة الضعيفة» رقم (١٢٥٣).

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر عن ابن عباس(١) قال: ﴿نٓ﴾ الدواة.

وأخرج ابن مردويه عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «النون السمكة التي عليها قرار الأرضين، والقلم الذي خطّ به ربنًا ﷻ القدر خيره وشرّه، [٤/١٦٨] وضرّه ونفعه ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ قال: الكرام الكاتبون».

وأخرج عبد بن حُميد، وابن جرير، وابن المنذر، والحاكم وصححه من طرق عن ابن عباس(٢) في قوله: ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ قال: ما يكتبون.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم(٣) عنه ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ قال: وما يعلمون.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، ومسلم، وابن المنذر، والحاكم، وابن مردويه عن سعد بن هشام(٤) قال: أتيتُ عائشة فقلتُ: يا أمّ المؤمنين أخبريني بخُلق رسول الله ﷺ، قالت: كان خُلقه القرآن، أما تقرأ القرآن ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

وأخرج ابن مردويه، وأبو نعيم في «الدلائل»، والواحدي عنها(٥) «قالت: ما كان أحد أحسن خلقاً من رسول الله ﷺ، ما دعاه أحد من أصحابه، ولا من أهل بيته إلّا قال: «لبيك»، فلذلك أنزل الله ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾».

وأخرج ابن المنذر، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل» عن أبي الدرداء(٦) قال: سئلت عائشة عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: كان خلقه القرآن، يرضى لرضاه، ويسخط لسخطه.

وأخرج ابن أبي شيبة، والترمذي وصححه، وابن مردويه عن أبي عبد الله(٧) الجدلي قال: قلت لعائشة: كيف كان خُلق رسول الله ؟ قالت: لم يكن فاحشاً ولا

---

(١) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٤١).

(٢) أخرجه ابن جرير (٢٣/١٤٨)، والحاكم (٢/٤٩٨) بسند صحيح.

(٣) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٤٢).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (١٤/ ٢١٤) عن رجل من بني سُواءة عن عائشة ﵂.
وأخرجه مسلم في «صحيحه» رقم (٧٤٦)، والحاكم (٢/ ٤٩٩).

(٥) أخرجه أبو نعيم رقم (١١٩)، والواحدي في أسباب النزول (ص٣٢٨).

(٦) أخرجه البيهقي في «الدلائل» (١/ ٣٠٩، ٣١٠).

(٧) أخرجه ابن أبي شيبة (٨/ ٣٣٠)، والترمذي رقم (٢٠١٦) وهو حديث صحيح.

متفاحشاً، ولا صخّاباً في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح.

وأخرج ابن المنذر[١] عن ابن عباس في قوله: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾ قال: تعلم ويعلمون يوم القيامة ﴿بِأَيِّيكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾ قال: الشيطان، كانوا يقولون: إنه شيطان، وإنه مجنون.

وأخرج ابن جرير[٢] عنه في الآية قال: بأيكم المجنون.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم[٣] عنه أيضاً في قوله: ﴿وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ يقول: لو ترخص لهم فيرخصون.

وأخرج ابن مردويه[٤] عنه أيضاً ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ الآية قال: يعني: الأسود بن عبد يغوث.

وأخرج ابن مردويه[٥] عن أبي عثمان النهدي قال: قال مروان لما بايع الناس ليزيد: سُنَّة أبي بكر وعمر، فقال عبد الرحمٰن بن أبي بكر: إنها ليست بسُنَّة أبي بكر وعمر، ولكنها سُنَّة هرقْل، فقال مروان: هذا الذي أنزل فيه: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ﴾ [الأحقاف: ١٧] الآية، قال: فسمعت ذلك عائشة فقالت: «إنها لم تنزل في عبد الرحمٰن، ولكن نزل في أبيك: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ﴾».

وأخرج ابن جرير، وابن مردويه عن ابن عباس[٦] قال: «نزل على النبيّ ﷺ ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ﴾ فلم نعرف حتى نزل عليه بعد ذلك زنيم، فعرفناه له زَنَمَة كزنمة الشاة».

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم[٧] عنه قال: العُتلّ: هو الدعيّ، والزنيم هو المُريب الذي يعرف بالشرّ.

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٤٤).
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٣/ ١٥٤) بسند ضعيف.
(٣) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥).
(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٤٥).
(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٤٦).
(٦) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ١٦٦) بسند صحيح.
(٧) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ١٦٦ ـ ١٦٧)، والحاكم (٢/ ٤٩٩) بسند حسن.

وأخرج عبد بن حميد، وابن عساكر[١] عنه قال: الزنيم: هو الدعيّ.

وأخرج الفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، والحاكم وصححه[٢] عنه أيضاً قال: الزنيم: الذي يُعرف بالشرّ كما تُعرف الشاة بزنمتها.

وأخرج ابن أبي حاتم[٣] عنه قال: هو الرجل يمرّ على القوم، فيقولون رجل سوء.

وأخرج ابنُ المنذر، وابن أبي حاتم عنه[٤] أيضاً في قوله: ﴿زَنِيمٍ﴾ قال: ظلوم.

وقد قيل: إن هذه الآيات نزلت في الأخنس[٥] بن شريق، وقيل: في الوليد بن المغيرة[٦].

[قصة إبتلاء أصحاب الجنة ومغزاها]:

﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

قوله: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ﴾ يعني: كفار مكة[٧]، فإن الله ابتلاهم بالجوع والقحط بدعوة

---

(١) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٤٦).
(٢) أخرجه الخرائطي في «مساوئ الأخلاق» رقم (٢٢٩)، والحاكم (٢/ ٤٩٩).
(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٤٧).
(٤) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ١٦٧)، وابن أبي حاتم ـ كما في «الإتقان» (٢/ ٤٨) ـ بسند صحيح.
(٥) «النكت والعيون» (٦/ ٦٥).
(٦) ذكر القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ١٥٥) عن معظم المفسرين، على أنَّ هذا نزل في الوليد بن المغيرة.
(٧) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ١٦٠).

رسول الله ﷺ عليهم، والابتلاء: الاختبارُ، والمعنى: أعطيناهم الأموال ليشكروا لا ليبطروا، فلما بطروا ابتليناهم بالجوع والقحط.

﴿كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ المعروف خبرهم عندهم، وذلك أَنَّها كانت بأرض اليمن على فرسخين مِنْ صنعاء لرجل يؤدّي حق الله منها، فمات، وصارت إلى أولاده، فمنعوا الناس خيرها وبخلوا بحقّ الله فيها.

قال الواحدي(١): هم قوم من ثقيف كانوا باليمن مسلمين ورثوا من أبيهم ضيعة فيها جنات وزرع ونخيل، وكان أبوهم يجعل مما فيها من كل شيء حظاً للمساكين عند الحصاد والصرام، فقالت بنوه: المال قليل والعيال كثير، ولا يسعنا أن نفعل كما كان يفعل أبونا، وعزموا على حرمان المساكين، فصارت عاقبتهم إلى ما قصّ الله في كتابه.

قال الكلبي(٢): كان بينهم وبين صنعاء فرسخان ابتلاهم الله بأَنْ حرق جنتهم. وقيل: هي جنة كانت بضوران، وضُوران على فراسخ مِنْ صنعاء، وكان أصحاب هذه الجنة بعد رفع عيسى بيسير.

[بطر النعمة ومنع الخير]:

﴿إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾؛ أي: حلفوا ليقطعنها داخلين في وقت الصباح، والصرم: القطعُ للثمر والزرع، وانتصاب ﴿مُصْبِحِينَ﴾ على الحال(٣) من فاعل ليصرمنها، والكاف في ﴿كَمَا بَلَوْنَآ﴾ نعت مصدر محذوف؛ أي: بلوناهم ابتلاء كما بلونا، وما مصدرية(٤)، أو بمعنى الذي، و(إذ) ظرف(٤) لبلونا منتصب به، وليصرمنها جواب القسم.

﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾ يعني: ولا يقولون إنْ شاء الله، وهذه الجملة مستأنفة لبيان ما وقع منهم أو حال.

وقيل: المعنى: ولا يستثنون للمساكين من جملة ذلك القدر الذي كان يدفعه

---

(١) في «الوسيط» (٤/ ٣٣٧).

(٢) «معالم التنزيل» (٨/ ١٩٤ ـ ١٩٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ١٦٠ ـ ١٦١).

(٣) «الفريد» (٤/ ٥٠٧)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٣٩٧)، و«التبيان» (٢/ ١٢٣٤).

(٤) «روح المعاني» (٢٧/ ٣٤٦)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٢٤١).

أبوهم إليهم، قاله عكرمة[١].

﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾؛ أي: طاف على تلك الجنة طائف من جهة الله سبحانه، والطائف قيل: هو نار أحرقتها حتى صارت سوداء، كذا قال مقاتل[٢] وقيل: الطائف جبريل اقتلعها، وجملة: ﴿وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾ في محل نصب[٣] على الحال.

﴿فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ﴾؛ أي: كالشيء الذي صرمت ثماره؛ أي: قطعت، فعيل بمعنى مفعول، وقال الفرّاء[٤]: كالصريم كالليل المُظْلم، ومنه قول الشاعر:

تطاولَ ليلُكَ الجَوْنَ الصريمُ فما ينجابُ عن صُبْحٍ بهيمِ[٥]

والمعنى: أنّها حرقت فصارت كالليل[٦] الأسود، قال: والصريم: الرماد الأسود بلغة خُزيمة.

وقال الأخفش[٧]: أي كالصبح انصرم مِنْ الليل، يعني: أنها يبست وابيضت. وقال المُبِّرد[٨]: الصريم: الليلُ، والصريم: النهار؛ أي: ينصرم هذا عن هذا، وذاك عن هذا، وقيل: سُمّي الليل صَريماً لأنه يقطع بظلمته عن التصرّف.

وقال المؤرِّج[٩]: الصريم: الرملة؛ لأنها لا يثبت عليها شيء ينتفع به. وقال الحسن[١٠]: صُرم منها الخير؛ أي: قُطع.

﴿فَتَنَادَوْاْ مُصْبِحِينَ﴾؛ أي: نادى بعضهم بعضاً داخلين في الصباح.

قال مقاتل[١١]: لما أصبحوا قال بعضهم لبعض ﴿أَنِ ٱغْدُواْ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ﴾ و«أن» في قوله: ﴿أَنِ ٱغْدُواْ﴾ هي المفسِّرة لأنّ في التنادي معنى القول، أو هي المصدرية؛ أي: بأن اغدوا، والمراد: اخرجوا غدوةً، والمراد بالحرث: الثمار والزرع.

---

(١) «النكت والعيون» (٦/ ٦٨).
(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٣٣٧).
(٣) «روح المعاني» (٢٧/ ٣٤٨).
(٤) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٧٥).
(٥) ذكره ابن جرير في «جامع البيان» (٢٣/ ١٧٢)، وفيه صديم بدل بهيم.
(٦) «تهذيب اللغة» (١٢/ ١٨٥).
(٧) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٨/ ١٩٥).
(٨) في «الكامل» (١/ ٣٠٥).
(٩) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ١٦٥).
(١٠) «تفسير الرازي» (٣٠/ ٨٨)، و«معالم التنزيل» (٨/ ١٩٥).
(١١) «معالم التنزيل» (٨/ ١٩٥).

﴿إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ﴾؛ أي: قاصدين للصَرْم، والغدوّ يتعدّى بإلى وعلى، فلا حاجة إلى تضمينه معنى الإقبال كما قيل، وجواب الشرط محذوف؛ أي: إن كنتم صارمين فاغدوا.

وقيل: معنى صارمين: ماضين في العَزْم، مِنْ قولك سيف صارم.

﴿فَٱنطَلَقُواْ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ﴾؛ أي: ذهبوا إلى جنتهم وهم يسرّون الكلام بينهم؛ لئلا يعلم أحد بهم، يقال: خَفَتْ يَخْفِتُ إذا سكن ولم ينبس، ومنه قول دُريد بن الصِّمة[(١)]:

وإنيَ لم أَهْلِكْ سُلالاً ولم أمتْ ... خُفَاتاً وكُلَّاً ظَنَّه بي عُوَّدِي

وقيل المعنى: يخفون أنفسهم من الناس حتى لا يروهم، فيقصدوهم، كما كانوا يقصدون أباهم وقت الحصاد.

والأوّل أولى لقوله: ﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ﴾ فإنّ «أن» هي المفسِّرة للتخافت المذكور لما فيه من معنى القول، والمعنى: يسرّ بعضهم إلى بعض هذا القول، وهو لا يدخل هذه الجنة اليوم عليكم مسكين، فيطلب منكم أن تعطوه منها ما كان يعطيه أبوكم.

﴿وَغَدَوْاْ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ﴾ الحَرْد يكون بمعنى المنْع والقصد.

قال قتادة[(٢)]، ومقاتل[(٣)]، والكلبي، والحسن[(٤)]، ومجاهد[(٥)]: الحرد هنا بمعنى القصد؛ لأن القاصد إلى الشيء حارد. يقال: حرد يَحْرِدُ إذا قصد، تقول: حردت حَرْدك؛ أي: قصدت قَصْدك، ومنه قول الراجز[(٦)]:

أقبلَ سيلٌ جاء مِنْ عندِ اللهْ ... يحردُ حردَ الجَنَّةِ المُغِلَّهْ

وقال أبو عبيدة[(٧)]، والمبرد[(٨)]، والقتيبي[(٩)]: على حرد: على مَنْع، من قولهم:

---

(١) «ديوان دريد بن الصمة» (ص٤٥) وفيه: لم أهلك خفاتاً.
(٢) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ١٧٧) بسند صحيح.
(٣) ذكره عنهما الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٣٣٧)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٨/ ٣٣٧).
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٣/ ١٧٦) بسند صحيح.
(٥) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ١٧٧ ـ ١٧٨) بسند صحيح.
(٦) «الصحاح» (٢/ ٤٦٤).
(٧) في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٦٥).
(٨) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ١٦٦).
(٩) في «تفسير غريب القرآن» (ص٤٧٩).

حَرَدتِ الإبل حَرْداً: إذا قلّت ألبانها، والحرُود من النوق هي القليلة اللبن. وقال السديّ[١]، وسفيان[٢]، والشعبي[٣] ﴿عَلَىٰ حَرْدٍ﴾ على غضب، ومنه قول الشاعر[٤]:

إذا جيادُ الخيلِ جاءتْ تَرْدِي مملوءةً من غضبٍ وحَرْدِ

وقول الآخر:

تَساقَوْا على حرد دماءَ الأساوِدِ[٥]

ومنه قيل: أسد حارد. وروي عن قتادة[٦]، ومجاهد[٧] أيضاً أنهما قالا: على حرد؛ أي: على جدٍ. وقال الحسن[٨] أيضاً: على حاجة وفاقة.

وقيل: على حرد: على انفراد، يقال: حرد يحرد حَرْداً أو حروداً: إذا تنحى عَنْ قومه، ونزل منفرداً عنهم ولم يخالطهم، وبه قال الأصمعي[٩]، وغيره.

وقال الأزهري[١٠]: حَرْد: اسم قريتهم، وقال السديّ[١١]: اسم جنتهم. قرأ الجمهور[١٢]: «حَرْدٍ» بسكون الراء. وقرأ أبو العالية، وابن السميفع بفتحها[١٣]، وانتصاب[١٤] ﴿قَدِرِينَ﴾ على الحال.

قال الفراء[١٥]: ومعنى ﴿قَدِرِينَ﴾: قد قدّروا أمرهم وبنوا عليه.

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ١٦٧)، والماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٦٩).
(٢)(٣) ذكره عنهما الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٣٣٨).
(٤) الرجز لقبيصة بن النصراني «شرح ديوان الحماسة» (٢/ ٦٢٤).
(٥) وصدر البيت:

من وَحْش خَوْضَى يُراعي العيد مبتقلا

وانظر: «ديوان الهذليين» (ص١٢٦).
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٣/ ١٧٧) بسند صحيح.
(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٣/ ١٧٧) بسند صحيح.
(٨) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٣/ ١٧٨) بسند صحيح.
(٩) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ١٦٧).
(١٠) في «تهذيب اللغة» (٤/ ٤١٤). (١١) «زاد المسير» (٨/ ٣٣٦ ـ ٣٣٧).
(١٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ١٦٨)، و«روح المعاني» (٢٧/ ٣٥١)، و«الكشاف» (٦/ ١٨٦).
(١٣) «القراءات الشاذة» (ص١٦٠)، و«روح المعاني» (٢٧/ ٣٥١). القراءة بفتح الراء شاذة.
(١٤) «الفريد» (٤/ ٥٠٨)، و«التبيان» (٢/ ١٢٣٥).
(١٥) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٧٥).

وقال قتادة(١): قادرين على جنتهم عند أنفسهم. [٤/١٦٩] وقال الشعبي(٢): يعني قادرين على المساكين.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا﴾؛ أي: لمّا رأوا جنّتهم، وشاهدوا ما قد حلّ بها من الآفة التي أذهبت ما فيها.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾؛ أي: قال بعضُهم لبعضٍ: قد ضللنا طريق جنتنا(٣)، وليست هذه.

ثم لما تأملّوا وعلموا أنّها جنتهم، وأن الله سبحانه قد عاقبهم بإذهاب ما فيها من الثمر والزرع، قالوا: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾؛ أي: حُرمنا جنتنا بسبب ما وقع منا من العزم على منع المساكين من خيرها، فأضربوا عن قولهم الأوّل إلى هذا القول.

وقيل: معنى قولهم: ﴿إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾ أنّهم ضلوا عن الصواب(٤) بما وقع منهم.

﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾؛ أي: أمثلُهم وأعقلهم وخيرهم ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾؛ أي: هلّا تسبحون يعني: تستثنون، وسُمّي الاستثناء تسبيحاً؛ لأنه تعظيم لله وإقرار به، وهذا يدلّ على أن أوسطهم كان أمرهم بالاستثناء(٥) فلم يُطيعوه، وقال مجاهد(٦)، وأبو صالح(٧)، وغيرهما: كان استثناؤهم تسبيحاً.

قال النحاس(٨): أصل التسبيح التنزيه لله ﷻ، فجعل التسبيح في موضع إن شاء الله، وقيل المعنى: هلا تستغفرون الله من فعلكم، وتتوبون إليه من هذه النية

---

(١) «زاد المسير» (٨/٣٣٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٣١/١٦٨).
(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/١٦٨).
(٣) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/٣٠٩)، وابن جرير في «جامع البيان» (٢٣/ ١٨٠) بسند صحيح عن قتادة.
(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ١٨٠).
(٥) المراد بالتسبيح الاستثناء، لالتقائهما في معنى التعظيم لله ﷻ، لأن الاستثناء تفويض إليه سبحانه، والتسبيحُ تنزيه له تعالى، وكلُ واحدٍ من التفويض والتنزيه تعظيم. «روح المعاني» (٢٧/ ٣٥٢).
(٦) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ١٨٢) بسند ضعيف.
(٧) «تفسير الرازي» (٣٠/ ٩٠).
(٨) في «إعراب القرآن» للنحاس (٢/ ٤٢٦).

التي عزمتم عليها، وكان أوسطهم قد قال لهم ذلك، فلما قال لهم ذلك بعد مشاهدتهم للجنة على تلك الصفة ﴿قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ﴾؛ أي: تنزيهاً له عن أَنْ يكون ظالماً فيما صنع بجنتنا، فإن ذلك بسبب ذنبنا الذي فعلناه.

وقيل: معنى تسبيحهم: الاستغفار؛ أي: نستغفر ربنا من ذنبنا إنا كنا ظالمين لأنفسنا في منعنا للمساكين.

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَـٰوَمُونَ﴾؛ أي: يلوم بعضهم بعضاً في منعهم للمساكين وعزمهم على ذلك.

ثم نادوا على أنفسهم بالويل حيثُ ﴿قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَـٰغِينَ﴾؛ أي: عاصين مُتجاوزين حدودَ الله بمنع الفقراء وترك الاستثناء. قال ابن كيسان[١]: أي: طغينا نعم الله، فلم نشكرها كما شكرها أبونا مِنْ قبل.

ثم رجعوا إلى الله وسألوه أن يعوّضهم بخير منها، فقالوا: ﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ﴾ لما اعترفوا بالخطيئة رجوا مِنْ الله ﷻ أن يبدلهم جنة خيراً من جنتهم.

قيل: إنهم تعاقدوا فيما بينهم، وقالوا: إن أبدلنا الله خيراً منها لنصنعنّ كما صنع أبونا، فدعوا الله وتضرّعوا، فأبدلهم من ليلتهم ما هو خير منها. قرأ الجمهور[٢]: «يُبْدِلنا» بالتخفيف، وقرأ أبو عمرو، وأهل المدينة بالتشديد[٣]، وهما لغتان.

والتبديل[٤]: تغيير ذات الشيء، أو تغيير صفته، والإبدال: رفع الشيء جملة، ووضع آخر مكانه، كما مضى في سورة سبأ.

﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ﴾؛ أي: طالبون منه الخير راجون لعفوه راجعون إليه، وعُدي بإلى، وهو إنما يتعدى بعن أو في لتضمينه معنى الرجوع.

﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ﴾؛ أي: مثل ذلك العذاب الذي بلوناهم به، وبلونا أهل مكة عذاب الدنيا، والعذاب مبتدأ مؤخر، وكذلك خبره.

---

(١) «معالم التنزيل» (٨/ ١٩٧).
(٢) «النشر» (٢/ ٣١٤)، و«التيسير» (ص١٤٥)، و«زاد المسير» (٨/ ٣٣٩)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٧٢).
(٣) انظر: المصادر المتقدمة. (٤) «زاد المسير» (٨/ ٣٣٩).

﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: أشد وأعظم لو كان المشركون يعلمون أنّه كذلك، ولكنّهم لا يعلمون.

وقد أخرج ابن أبي حاتم[(١)] عن ابن عباس في قوله: ﴿كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ قال: هم ناس من الحبشة كان لأبيهم جنة، وكان يطعم منها المساكين، فمات أبوهم، فقال بنوه: إنْ كان أبونا لأحمق كان يطعم المساكين فأقسموا ﴿لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ وأن لا يطعموا مسكيناً.

وأخرج ابن جرير[(٢)] عنه ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ﴾ قال: أمر من الله.

وأخرج عبد بن حميد، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن مسعود[(٣)] قال: قال رسول الله ﷺ: «إيّاكم والمعصية، فإن العبد ليذنب الذنب الواحد، فينسّى به الباب من العلم، وإن العبد ليذنب، فيحرم به قيام الليل، وإن العبد ليذنب الذنب، فيحرم به رزقاً قد كان هيئ له. ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ قد حُرموا خير جنتهم بذنبهم».

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[(٤)] في قوله: ﴿كَالصَّرِيمِ﴾ قال: مثل الليل الأسود.

وأخرج ابن المنذر[(٥)] عنه: ﴿وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ﴾ قال: الإسرار والكلام الخفيّ.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر عنه[(٦)] أيضاً ﴿عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾ يقول: ذوو قدرة.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه[(٧)] أيضاً في قوله: ﴿إِنَّا لَضَالُّونَ﴾ قال: أضللنا مكان جنتنا؟ وأخرجا عنه أيضاً ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ قال: أعدلهم.

---

(١) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٥٠).
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٣/ ١٧٣) من طريق محمد بن الصلت، به.
(٣) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٥١).
(٤) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ١٧٤) بسند ضعيف.
(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٥٢).
(٦) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ١٧٦) بسند صحيح.
(٧) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ١٨١)، وابن أبي حاتم ـ كما في «الإتقان» (٢/ ٤٨) ـ بسند صحيح.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ
﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ
ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟
صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ
وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا
يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ
ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ
أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾.

[حال المتقين وما أعدَّ لهم من النعيم]:

لما فرغ سبحانه مِنْ ذكر حال الكفّار، وتشبيه ابتلائهم بابتلاء أصحاب الجنة المذكورة، ذكر حال المتقين وما أعدّه لهم من الخير، فقال: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾؛ أي: المتقين ما يوجب سخطه من الكفر والمعاصي عنده عَجَلَ في الدار الآخرة جنات النعيم الخالص الذي لا يشوبه كدَر، ولا يُنغّصه خوف زوال.

﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾ الاستفهام(1) للإنكار، وكان صناديد كفار قريش يرون وفور حظهم في الدنيا، وقلة حظوظ المسلمين فيها، فلما سمعوا بذكر الآخرة، وما يعطي الله المسلمين فيها قالوا: إن صح ما يزعمه محمد لم يكن حالنا وحالهم إلّا مثل ما هي في الدنيا، فقال الله مكذباً لهم رادّاً عليهم: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ الآية، والفاء للعطف على مقدر كنظائره.

ثم وبخهم الله، فقال: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ هذا الحكم الأعوج كأن أمر الجزاء مفوّض إليكم تحكمون فيه بما شئتم.

﴿أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾؛ أي: تقرءون فيه، فتجدون المطيع كالعاصي، ومثل هذا قوله تعالى: ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ﴾ [الصافات: ١٥٦ ـ ١٥٧].

---

(١) «روح المعاني» (٣٥٦/٢٧)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٣٨٠).

ثم قال سبحانه: ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾ قرأ الجمهور[١] بكسر «إن» على أنها معمولة لتدرسون؛ أي: تدرسون في الكتاب ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾ فلما دخلت اللام كسرت الهمزة كقوله: علمت إنّك لعاقل بالكسر، أو على الحكاية للمدروس، كما في قوله: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: ٧٨ ـ ٧٩]. وقيل: قد تمّ الكلام عند قوله: ﴿تَدْرُسُونَ﴾ ثم ابتدأ فقال: ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾؛ أي: ليس لكم ذلك.

وقرأ طلحة بن مصرف، والضحاك «أَنَّ لكم» بفتح الهمزة[٢] على أن العامل فيه تدرسون مع زيادة لام التأكيد، ومعنى ﴿تَخَيَّرُونَ﴾: تختارون وتشتهون.

ثم زاد سبحانه في التوبيخ فقال: ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ﴾؛ أي: عهود مؤكدة موثقة متناهية، والمعنى: أم لكم أيمان على الله استوثقتم بها في أن يدخلكم الجنة، وقوله: ﴿إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ متعلق بالمقدر في لكم؛ أي: ثابتة لكم إلى يوم القيامة لا تخرج عن عهدتها حتى يحكمكم يومئذٍ، وجواب القَسَم قوله: ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ لأن معنى: ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ﴾؛ أي: أم أقسمنا لكم.

قال الرازي[٣]: والمعنى: أم ضمنا لكم، وأقسمنا لكم بأيمان مغلظة متناهية في التوكيد. وقيل: قد تمّ الكلام عند قوله: ﴿إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ ثم ابتدأ، فقال: ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾؛ أي: ليس الأمر كذلك.

قرأ الجمهور[٤]: «بالغةٌ» بالرفع على النعت لأيمان، وقرأ الحسن، وزيد بن عليّ بنصبها[٥] على الحال من أيمان؛ لأنها قد تخصصت بالوصف، أو من الضمير في لكم؛ أو من الضمير في علينا.

﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ﴾؛ أي: سل يا محمد الكفار موبخاً لهم ومقرّعاً، أيهم

---

(١) «البحر المحيط» (١٠/ ٢٤٥)، و«الدر المصون» (٦/ ٣٥٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ١٧٢ ـ ١٧٣).

(٢) «البحر المحيط» (١٠/ ٢٤٥)، و«القراءات الشاذة» (ص١٦٠)، و«زاد المسير» (٨/ ٣٣٩).

(٣) في «تفسيره» (٣٠/ ٩٣). قراءة العشرة المتواترة بكسر همز (إنّ)، وفتحها قراءة شاذة.

(٤) «البحر المحيط» (١٠/ ٢٤٥)، و«الدر المصون» (٦/ ٣٥٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢/ ٣٩٨)، و«زاد المسير» (٨/ ٣٤٠).

(٥) «القراءات الشاذة» (ص١٦٠)، و«المحتسب» (٢/ ٣٢٥). قراءة (نصب) (بالغةً) شاذة.

بذلك الحُكُم الخارج عن الصواب كفيل لهم بأن لهم في الآخرة ما للمسلمين فيها؟

وقال ابن كيسان(١): الزعيم هنا: القائم بالحجة والدعوى. وقال الحسن(٢): الزعيم: الرسول.

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ﴾ يشاركونهم في هذا القول ويوافقونهم فيه ﴿فَلْيَأْتُواْ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ﴾ فيما يقولون، وهو أمر تعجيز، وجواب الشرط محذوف، وقيل: المعنى: أم لهم شركاء يجعلونهم مثل المسلمين في الآخرة.

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ «يوم»(٣) ظرف لقوله: ﴿فَلْيَأْتُواْ﴾؛ أي: فليأتوا بها يوم يُكشف عن ساق، ويجوز أن يكون ظرفاً لفعل مقدّر؛ أي: اذكر يوم يكشف.

قال الواحدي(٤): قال المفسرون في قوله: ﴿عَن سَاقٍ﴾ عن شدّة من الأمر(٥).

---

(١) «النكت والعيون» (٦/ ٧٠).
(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ١٧٤).
(٣) «التبيان» (٢/ ١٢٣٥)، و«الفريد» (٤/ ٥١١).
(٤) في «الوسيط» (٤/ ٣٤٠).
(٥) لقد ساق الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ في «تفسيره» (الساق) أقوال الناس بأن المراد شدة الأمر والهول وذكر في الاستشهاد عدة أشعار للعرب، ثم قال: وسيأتي في آخر البحث ما هو الحق، «وإذا جاء نهر الله بطل نهر العقل» ثم ساق حديث الساق المتفق عليه، ثم قال: «ولقد أغنانا الله سبحانه في تفسير هذه الآية بما صح عن رسول الله ﷺ كما عرفت، وذلك لا يستلزم تجسيماً ولا تشبيهاً فليس كمثله شيء».

دعو كل قولٍ عنه قول محمد ... فما أمن في دينه كمخاطر

والتحقيق أنَّ الساق في هذه الآية تحتمل معنيين:

الأول: أن يكون المراد شدة الهول كما فسر بذلك ابن عباس وغيره من المفسرين، فعلى هذا لا تكون هذه الآية من آيات الصفات، فلا يلزم من تفسير الساق بشدة الهول تأويل الصفات ويكون إثبات «الساق» بالسُّنَّة لا بهذه الاية.

الثاني: أنَّ المراد من الساق ساق الله تعالى ورد في الحديث الصحيح فعلى هذا تكون هذه الآية من جملة آيات الصفات فلا يجوز تأويل الساق بشدة الهول والأمر.

ولا منافاة بين القولين؛ فالله يكشف عن ساقه يوم شدة الهول وهذا خلاف قول المعطلة الذين ينفون صفة الساق ولا يثبتونها لا بالقرآن ولا بالسُّنَّة، بل حملوا الآية والحديث على شدة الأمر، وهذا وإن كان محتملاً في الآية لكنه لا يحتمل في تفسير الحديث، لورود الساق مضافة إلى الضمير العائد على الله تعالى.

ولا شك في أن القول الثاني أظهر وأرجح في تفسير الآية، وأولى بأن تفسير الآية به، لما ورد فيه من الحديث السابق كما عرف.

«جامع البيان» (٢٣/ ١٧٥)، و«تفسير ابن كثير» (٧/ ٩٠ ـ ٩١).

قال ابن قتيبة(١): أصل هذا أن الرجل إذا وقع في أمر عظيم يحتاج إلى الجدّ فيه شمّر عن ساقه، فيستعار الكشف عن الساق في موضع الشدّة، وأنشد لدريد بن الصمة(٢):

كميشُ الإزارِ خارجٌ نصفَ ساقِه صبورٌ على الجلاءِ طَلَّاعُ أَنْجُدِ

وقال: وتأويل الآية يوم يشتدّ الأمر كما يشتدّ ما يحتاج فيه إلى أن يكشف عن ساق.

قال أبو عبيدة(٣): إذا اشتدّ الحرب، والأمر قيل: كشف الأمر عن ساقه، والأصل فيه مَنْ وقع في شيء يحتاج فيه إلى الجدّ شمّر عن ساقه، فاستعير الساق والكشف عن موضع الشدّة، وهكذا قال غيره من أهل اللغة(٤)، وقد استعملت ذلك العرب في أشعارها، ومن ذلك قول الشاعر:

أخو الحربِ إنْ عضَّتْ به الحربُ عَضَّها وإنْ شَمَرَتْ عن ساقِها الحربُ شمَّرا(٥)

وقول آخر:

والخيلُ تعدُو عند وقتِ الاشراقِ وقامتِ الحربُ بنا على ساقِ [٤/١٧٠]

وقول آخر أيضاً:

قد كشفتْ عن ساقِها فشدُّوا وجدَّتِ الحربُ بكم فجدُّوا(٦)

وقول آخر أيضاً في سَنَةٍ:

قد كشفتْ عن ساقِها حمراْ ءَ تَبْري اللحمَ عن عُرَّاقِها(٧)

وقيل: ساق الشيء: أصله وقوامه كساق الشجرة، وساق الإنسان؛ أي: يوم

---

(١) في «تأويل مشكل القرآن» (ص١٣٧).
(٢) «ديوان دريد بن الصّمة» (ص٤٩) وقال شارحه:
الكميش: الماضي العزوم، السريع في أموره وأضاف السرعة إلى الإزار على المجاز، ونرى أنَّه فعيل بمعنى مفعول من قولهم: كميش ذيله: أي: قلّصه ويؤيده ما في اللسان: «رجل كميش الإزار مُشمّره».
طلّاع أنجد: ركّاب لصعاب الأمور أو هو السامي لمعالي الأمور.
(٣) في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٦٦). (٤) «تهذيب اللغة» (٩/ ٢٣١).
(٥) البيت لحاتم الطائي وهو في «ديوانه» (ص٤٩).
(٦) ذكره المبرد في «الكامل» (٢/ ٤٩٤) دون نسبة وكذلك القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ١٧٥).
(٧) «تفسير الرازي» (٣٠/ ٩٥).

يكشف عَنْ ساق الأمر فتظهر حقائقه، وقيل: يكشف عن ساق جهنم، وقيل: عن ساق العرش، وقيل: عبارة عن القرب، وقيل: يكشف الربّ سبحانه عن نوره(١)، وسيأتي في آخر البحث ما هو الحق، وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل.

قرأ الجمهور(٢): «يُكْشَف» بالتحتية مبنيّاً للمفعول، وقرأ ابن مسعود، وابن عباس، وابن أبي عبلة «تَكْشفُ» بالفوقية(٣) مبنيّاً للفاعل؛ أي: الشدّة أو الساعة، وقرئ(٤) بالفوقية مبنيّاً للمفعول، وقرئ بالنون(٥)، وقرئ بالفوقية(٦) المضمومة وكسر الشين من أكشف الأمر؛ أي: دخل في الكشف.

﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ قال الواحدي(٧): قال المفسرون: يسجد الخلق كلهم لله سجدة واحدةً، ويبقى الكفار والمنافقون يريدون أن يسجدوا فلا يستطيعون؛ لأن أصلابهم تيبست فلا تلين للسجود.

قال الربيع بن أنس(٨): يكشف عن الغطاء فيقع من كان آمن بالله في الدنيا، فيسجدون له، ويُدعى الآخرون إلى السجود فلا يستطيعون؛ لأنهم لم يكونوا آمنوا بالله في الدنيا، وانتصاب ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ﴾ على الحال من ضمير يدعون، وأبصارهم مرتفع به على الفاعلية، ونسبة الخشوع إلى الأبصار، وهو الخضوع والذلة لظهور أثره فيها.

﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾؛ أي: تغشاهم ذلة شديدة وحسرة وندامة ﴿وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾؛ أي: في الدنيا ﴿وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾؛ أي: معافون عن العلل متمكنون من الفعل. قال إبراهيم التيمي(٩): يُدعون بالأذان والإقامة فيأبون.

---

(١) سيأتي ذكره.

(٢) «البحر المحيط» (١٠/ ٢٤٧)، و«زاد المسير» (٨/ ٣٤٠).

(٣) «المحتسب» (٢/ ٣٢٦)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٢٤٧)، و«معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٧٧). قراءة الجمهور بالتحتية مبنياً للمفعول هي المتواترة، وما عداها فهي قراءات شاذة.

(٤) «البحر المحيط» (١٠/ ٢٤٧)، و«تفسير الرازي» (٣٠/ ٩٥).

(٥) «القراءات الشاذة» (ص١٦٠)، و«زاد المسير» (٨/ ٣٤٠).

(٦) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ١٧٥)، و«الدر المصون» (٦/ ٣٥٨)، و«تفسير الرازي» (٣٠/ ٩٦).

(٧) في «الوسيط» (٤/ ٣٤٠).

(٨) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ١٧٩).

(٩) «معالم التنزيل» (٨/ ٢٠٠).

وقال سعيد بن جبير[١]: يسمعون حيّ على الفلاح، فلا يجيبون. قال كعب[٢] الأحبار: والله ما نزلت هذه الآية إلّا في الذين يتخلفون عن الجماعات. وقيل: يدعون بالتكليف المتوجه عليهم بالشرع فلا يجيبون.

وجملة: ﴿وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾ في محل نصب[٣] على الحال من ضمير يدعون.

﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾؛ أي: خلِّ بيني وبينه، وكل أمره إليّ فأنا أكفيكه.

قال الزجاج[٤]: معناه: لا يشتغل به قلبك، كله إليّ فأنا أكفيك أمره. والفاء لترتيب ما بعدها من الأمر على ما قبلها، و«مَنْ» منصوب[٥] بالعطف على ضمير المتكلم، أو على أنه مفعول معه، والمراد بهذا الحديث: القرآن، قاله السديّ[٦]. وقيل: يوم القيامة، وفي هذا تسلية لرسول الله ﷺ.

وجملة: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ مستأنفة لبيان كيفية التعذيب لهم المستفاد من قوله: ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾، والضمير عائد إلى «مَنْ» باعتبار معناها، والمعنى: سنأخذهم بالعذاب على غفلة، ونسوقهم إليه درجة فدرجة حتى نوقعهم فيه من حيثُ لا يعلمون أن ذلك استدراج؛ لأنهم يظنونه إنعاماً، ولا يفكرون في عاقبته وما سيلقون في نهايته.

قال سفيان الثوري[٧]: يُسبغ عليهم النعم وينسيهم الشكر. وقال الحسن[٨]: كم مِنْ مستدرج بالإحسان إليه، وكم من مفتون بالثناء عليه، وكم من مغرور بالستر عليه. والاستدراج[٩] تركُ المعاجلة، وأصله النقل مِنْ حال إلى حال، ويقال: استدرج فلان فلاناً؛ أي: استخرج ما عنده قليلاً قليلاً، ويقال: درّجه إلى كذا واستدرجه يعني: أدناه إلى التدريج، فتدرج هو.

---

(١) «معالم التنزيل» (٨/ ٢٠٠)، و«المحرر الوجيز» (١٦/ ٨٨).

(٢) «معالم التنزيل» (٨/ ٢٠٠). (٣) «الفريد» (٤/ ٥١١).

(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢١١).

(٥) «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٣٩٩)، و«التبيان» (٢/ ١٢٣٥)، و«الفريد» (٤/ ٥١٢).

(٦) «النكت والعيون» (٦/ ٧٢). (٧) «المحرر والوجيز» (١٦/ ٨٩).

(٨) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ١٨٠)، و«المحرر الوجيز» (١٦/ ٨٩).

(٩) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٣١١).

ثم ذكر سبحانه أنَّه يمهل الظالمين، فقال: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾؛ أي: أمهلهم ليزدادوا إثماً، وقد مضى تفسير هذا في سورة الأعراف والطور.

وأصل الملاوة: المدّة من الدهر، يقال: أملى الله له؛ أي: أطال له المدّة[١]، والملا مقصور: الأرضُ الواسعة، سُمِّيت به لامتدادها.

﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾؛ أي: قويّ شديد، فلا يفوتني شيء، وسَمّى سبحانه إحسانه كيداً، كما سماه استدراجاً لكونه في صورة الكيد باعتبار عاقبته، ووصفه بالمتانة لقوّة أثره في التسبب للهلاك.

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾ أعاد سبحانه الكلام إلى ما تقدّم من قوله: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾؛ أي أم تلتمس[٢] منهم ثواباً على ما تدعوهم إليه من الإيمان بالله.

﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾ المغرم: الغرامة؛ أي: فهم من غرامة ذلك الأجر، مثقلون؛ أي: يثقل عليهم حمله لشحِّهم ببذل المال، فأعرضوا عن إجابتك بهذا السبب، والاستفهام للتوبيخ[٣] والتقريع لهم، والمعنى: أنك لم تسألهم ذلك ولم تطلبه منهم.

﴿أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾؛ أي: اللّوح المحفوظ، أو كلّ ما غاب عنهم، فهم من ذلك الغيب يكتبون ما يريدون من الحُجج التي يزعمون أنها تدلّ على قولهم، ويخاصمونك بما يكتبونه من ذلك، ويحكمون لأنفسهم بما يريدون، ويستغنون بذلك عن الإجابة لك والامتثال لما تقوله.

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾؛ أي: لقضائه الذي قد قضاه في سابق علمه، قيل: والحكم هنا هو إمهالهم وتأخير نصرة رسول الله ﷺ عليهم.

وقيل: هو ما حكم به عليه من تبليغ الرسالة، قيل: وهذا منسوخ[٤] بآية السيف.

﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ يعني: يونس عليه السلام؛ أي: لا تكن مثله في الغضب

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ١٨١). (٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ١٨١).
(٣) «روح المعاني» (٢٧/ ٣٦٤)، و«تفسير أبي السعود» (٢٧/ ٣٦٤).
(٤) «الناسخ والمنسوخ» لابن الجوزي (ص٥٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢٣/ ٢٠٠).

والضجَر والعجلة، والظرف في قوله: ﴿إِذْ نَادَىٰ﴾ منصوب بمضاف محذوف؛ أي: لا تكن حالك كحاله وقت ندائه.

وجملة ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ في محل نصب[1] على الحال من فاعل نادى، والمكظوم المملوءُ غيظاً وكرباً. قال قتادة[2]: إن الله يعزّي نبيه ﷺ، ويأمره بالصبر، ولا يعجل كما عجل صاحب الحوت، وقد تقدّم بيان قصته في سورة الأنبياء ويونس والصافات، وكان النداء منه بقوله: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] وقيل: إن المكظوم: المأخوذ بكظْمه، وهو مجرى النّفَس. قاله المبرّد[3]، وقيل: هو المحبوس، والأوّل أولى، ومنه قول ذي الرّمة:

وأنتَ مِنْ حبِّ ميٍّ مُضْمِرٌ حُزْنَا عاني الفؤادِ قَريحُ القلبِ مَكْظومُ

﴿لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾؛ أي: لولا أن تدارك صاحب الحوت نعمةٌ من الله، وهي توفيقه للتوبة، فتاب الله عليه ﴿لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ﴾؛ أي: لألُقي من بطن الحوت على وجه الأرض الخالية من النبات ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾؛ أي: يُذمّ ويُلام بالذنب الذي أذنبه، ويُطرد من الرحمة، والجملة في محل[4] نصب على الحال من ضمير نبذ. قال الضحاك[5]: النعمة هنا النبوّة. وقال سعيد بن جبير[6]: عبادته التي سلفت.

وقال ابن زيد[7]: هي نداؤه بقوله: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] وقيل: مذموم: مُبْعَد. وقيل: مذنب.

قرأ الجمهور[8]: «تداركه» على صيغة الماضي، وقرأ الحسن، وابن هرمز، والأعمش بتشديد[9] الدال، والأصل: تَتَداركه بتاءين مضارعاً، فأدغم، وتكون هذه القراءة على حكاية الحال الماضية، وقرأ أبيّ[10]، وابن مسعود، وابن عباس: «تداركته» بتاء التأنيث.

---

(١) «روح المعاني» (٢٧/ ٣٦٥)، و«الفريد» (٤/ ٥١٢).

(٢) «النكت والعيون» (٦/ ٧٣).

(٣) «النكت والعيون» (٦/ ٧٣).

(٤) «الفريد» (٤/ ٥١٢).

(٥) «معالم التنزيل» (٨/ ٢٠١).

(٦) «زاد المسير» (٨/ ٣٤٣).

(٧) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ١٨٣).

(٨) «البحر المحيط» (١٠/ ٢٤٩)، و«المحرر الوجيز» (١٦/ ٩٠). قراءة الجمهور هي المتواترة، وما عداها فقراءات شاذة.

(٩) «المحتسب» (٢/ ٣٢٦)، و«القراءات الشاذة» (ص١٦٠)، و«حاشية الشهاب» (٨/ ٢٣٣).

(١٠) انظر: المصادر المتقدمة.

﴿فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾؛ أي: استخلصه واصطفاه، واختاره للنبوّة ﴿فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾؛ أي: الكاملين في الصلاح، وعصمه من الذنب، وقيل: ردّ إليه النبوّة وشفعه في نفسه وفي قومه، وأرسله إلى مائة ألف أو يزيدون، كما تقدّم.

﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ﴾ «إن»[١] هي المخففة من الثقيلة.

قرأ الجمهور[٢]: «ليُزلقونك» بضم الياء من أزلقه؛ أي: أزلّ رجله، يقال: أزلقه عَنْ موضعه إذا نحّاه، وقرأ نافع، وأهل المدينة بفتحها[٣] من زلق عن موضعه: إذا تنحى.

قال الهروي[٤]؛ أي: فيغتالونك بعيونهم، فيُزلقونك عن مقامك الذي أقامك الله فيه عداوةً لك.

وقرأ ابن عباس، وابن مسعود، والأعمش، ومجاهد، وأبو وائل «ليرهقونك»[٥]؛ أي: يهلكونك.

وقال الكلبي[٦]: «يُزلقونك»؛ أي: يَصْدَعونك عما أنت عليه من تبليغ الرسالة، وكذا قال السديّ[٧]، وسعيد بن جبير.

وقال النضر بن شميل[٨]، والأخفش[٩]: يفتنونك. وقال الحسن[١٠]، وابن كيسان: ليقتلونك.

قال الزجاج[١١]: في الآية مذهب أهل اللغة، والتأويل أنهم من شدّة إبغاضهم

---

(١) «الفريد» (٤/ ٥١٢).

(٢) «النشر» (٢/ ٣٨٩)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٧٢)، و«التيسير» (ص٢١٣)، و«معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٧٩).

(٣) انظر: المصادر المتقدمة. وقراءة الجمهور وأهل المدينة متواترتان.

(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ١٨٦).

(٥) «القراءات الشاذة» (ص١٦٠)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ١٨٥). وهي قراءة شاذة.

(٦) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٣١١).

(٧) فقد قالا: «يزلقونك» يصرفونك عمَّا أنت عليه من تبليغ الرسالة.
«الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ١٨٦)، و«معالم التنزيل» (٨/ ٢٠٢).

(٨) «تهذيب اللغة» (٨/ ٤٣١).

(٩) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ١٨٦).

(١٠) ذكره عنهما القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ١٨٦)، والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٢٠٢).

(١١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢١٢).

وعداوتهم يكادون بنظرهم نظر البغضاء أنْ يصرعوك، وهذا مستعمل في الكلام، يقول القائل: نظر إليّ نظراً يكاد يصرعني، ونظراً يكاد يأكلني.

قال ابن قتيبة(١): ليس يريد الله أنهم يصيبونك بأعينهم، كما يصيب العائن بعينه ما يعجبه، وإنما أراد أنهم ينظرون إليك إذا قرأتَ القرآن نظراً شديداً بالعداوة والبغضاء يكاد يُسقْطك، كما قال الشاعر:

يتقارضُون إذا الْتَقَوْا في مجلسٍ ... نظراً يزيلُ مواطِئَ الأقدامِ(٢) [٤/١٧١]

﴿لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾؛ أي: وقت سماعهم للقرآن لكراهتهم لذلك أشدّ كراهة، و﴿لَمَّا﴾ ظرفية منصوبة بيزلقونك، وقيل: هي حرف، وجوابها محذوف لدلالة ما قبله عليه؛ أي: لمّا سمعوا الذكر كادوا يزلقونك.

﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾؛ أي: ينسبونه إلى الجنون إذا سمعوه يقرأ القرآن، فردّ الله عليهم بقوله: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ والجملة مستأنفة، أو في محل نصب(٣) على الحال مِنْ فاعل يقولون؛ أي: والحال أنّه تذكير وبيان لجميع ما يحتاجون إليه، أو شرف لهم، كما قال سبحانه: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤] وقيل: الضمير لرسول الله ﷺ، وإنه مُذّكرٌ للعالمين، أو شرف لهم(٤).

وقد أخرج البخاري(٥)، وغيره عَنْ أبي سعيد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يكشف ربُّنا عَنْ ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياءً وسمعة، فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً».

وهذا الحديث ثابت من طرق في «الصحيحين»(٦) وغيرهما، وله ألفاظ في بعضها طول، وهو حديث مشهور معروف.

وأخرج ابن منده(٧) عن أبي هريرة في الآية قال: يكشف الله ﷻ عن ساقه.

---

(١) في «تأويل مشكل القرآن» (ص١٢٩).

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» (٨/ ٣٤٢، ٤٣٢)، و«المعاني الكبير» (٢/ ٨٤٥).

(٣) «روح المعاني» (٢٧/ ٣٧٠).

(٤) «النكت والعيون» (٦/ ٧٤).

(٥) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٤٩١٩).

(٦) أخرجه البخاري رقم (٤٩١٩)، ومسلم رقم (١٨٣/ ٣٠٢)، وأحمد (٣/ ١٦، ١٧)، والدارمي (٢/ ٣٢٦).

(٧) أخرجه ابن منده في «الردّ على الجهمية» رقم (٨).

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن منده عن ابن مسعود(١) في الآية قال: يكشف عن ساقه تبارك وتعالى.

وأخرج أبو يعلى، وابن جرير، وابن المنذر، وابن مردويه، والبيهقي في الأسماء، والصفات، وضعفه، وابن عساكر عن أبي موسى(٢) عن النبي ﷺ في الآية قال: «عن نور عظيم، فيخرّون له سجداً».

وأخرج الفريابي، وسعيد بن منصور، وابن منده، والبيهقي عن إبراهيم النخعي عن ابن عباس(٣) في الآية قال: يكشف عن أمر عظيم، ثم قال: قد قامت الحرب على ساق. قال: وقال ابن مسعود: يكشف عن ساقه فيسجد كلّ مؤمن، ويقسو ظهر الكافر فيصير عظماً واحداً.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، والبيهقي في «الأسماء والصفات» عن ابن عباس(٤) أنه سئل عن قوله: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ قال: إذا خفي عليكم شيء من القرآن فابتغوه في الشعر فإنه ديوان العرب، أما سمعتم قول الشاعر:

وقامتِ الحربُ بنا على ساقٍ

قال ابن عباس: هذا يوم كربٍ شديد.

روي عنه نحو هذا من طرق أخرى، وقد أغنانا الله سبحانه في تفسير هذه الآية بما صحّ عن رسول الله ﷺ، كما عرفتَ، وذلك لا يستلزم تجسيماً ولا تشبيهاً، فليس كمثله شيء.

دَعُوا كلَّ قولٍ عند قولِ مُحمدٍ فما آمِنٌ في دينهِ كمخاطِرِ

وأخرج ابن المنذر(٥) عن ابن عباس في قوله: ﴿وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٣١٠)، وابن منده رقم (٣).

(٢) أخرجه أبو يعلى رقم (٧٢٨٣)، وابن جرير (٢٣/ ١٩٥)، والبيهقي رقم (٧٥٢)، وابن عساكر في «تاريخه» (٥٨/ ٣٣٣) بسند ضعيف.
وقال البيهقي: تفرد به روح بن جنادة، وهو شامي، يأتي بأحاديث منكرة لا يتابع عليها.

(٣) أخرجه ابن منده رقم (٤)، والبيهقي رقم (٧٥٠).

(٤) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٩٩، ٥٠٠)، والبيهقي رقم (٧٤٦) بسند ضعيف.

(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٥٥).

سَٰلِمُونَ﴾ قال: هم الكفار يدعون في الدنيا وهم آمنون، فاليوم يدعون وهم خائفون.

وأخرج البيهقي[١] في «الشعب» عنه في الآية قال: الرجل يسمع الأذان فلا يجيب الصلاة.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه[٢] عنه أيضاً في قوله: ﴿لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ﴾ قال: ينفذونك بأبصارهم.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البيهقي في «الشعب» رقم (٢٩١٤).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ـ كما في «الإتقان» (٢/ ٤٩).

سُورَةُ الحَاقَّة

[مكية في قول الجميع]:

هي إحدى وخمسون آية، وقيل اثنتان وخمسون وهي مكية. قال القرطبي[(١)]: في قول الجميع.

وأخرج ابن الضريس، والنحاس، وابن مردويه، والبيهقي عن ابن عباس[(٢)] قال: نزلت سورة الحاقة بمكة.

وأخرج ابن مردويه[(٣)] عن ابن الزبير مثله.

وأخرج الطبراني[(٤)] عن أبي برزة أن النبيّ ﷺ كان يقرأ في الفجر بالحآقة ونحوها.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٣ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ۝٤
فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ۝٥ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا
عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ
۝٧ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ۝٨ وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ۝٩ فَعَصَوْا۟
رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ۝١٠ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ۝١١ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ
تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ۝١٢﴾.

---

(١) في «تفسيره» (٢١/١٨٨).

(٢) أخرجه ابن الضريس رقم (١٧، ١٨)، والنحاس في «ناسخه» (ص٧٤٩)، والبيهقي في «الدلائل» (٧/١٤٣).

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/).

(٤) أخرجه الطبراني ـ كما في «فتح الباري» (٢/٢٥٢).

[نهاية الكون الرهيبة: يوم الحساب وما فيه من مواقف للأبرار والفجار]:

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾.

قوله: ﴿ٱلْحَآقَّةُ﴾ هي: القيامة؛ لأن الأمر يَحقُّ فيها، وهي تحق في نفسها من غير شك. قال الأزهري[١]: يقال: حاققته، فحققْتُه أحقّه غالبته فغلبته أغلبه. فالقيامة حاقة؛ لأنها تحاق كل محُاق في دين الله بالباطل، وتخصم كلَّ مخاصم.

وقال في «الصحاح»[٢]: حاقه؛ أي: خاصمه في صغار الأشياء، ويقال: ماله فيها حقّ ولا حِقاق ولا خصومة، والتَّحاقّ[٣]: التخاصُم، والحَاقة والحَقة والحَقّ ثلاث لغات بمعنى.

[ما وجه تسمية القيامة بالحاقة؟]

قال الواحدي[٤]: هي القيامة في قول كلِّ المفسرين، وسُميت بذلك لأنها ذات الحواقّ مِن الأمور، وهي الصادقة الواجبة الصدق، وجميع أحكام القيامة صادقة واجبة الوقوع والوجود.

قال الكسائي[٥]، والمؤرِّج[٦]: الحاقة: يوم الحق، وقيل: سميت بذلك لأن كل إنسان فيها حقيق بأنْ يُجْزى بعمله، وقيل: سميت بذلك لأنها أحقت لقوم النار، وأحقت لقوم الجنة، وهي مبتدأ[٧]، وخبرها قوله: ﴿مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ على أن ما الاستفهامية مبتدأ ثان، وخبره الحاقة، والجملة خبر للمبتدأ الأول، والمعنى: أيّ شيء هي في حالها أو صفاتها، وقيل: إنّ ما الاستفهامية خبر[٨] لما بعدها، وهذه الجملة، وإنْ كان لفظها لفظ الاستفهام، فمعناها التعظيم والتفخيم لشأنها، كما تقول: زيد ما زيد، وقد قدّمنا تحقيق هذا المعنى في سورة الواقعة.

---

(١) في «تهذيب اللغة» (٣/ ٣٧٤).
(٢) في «الصحاح» (٤/ ١٤٦١).
(٣) «الصحاح» (٤/ ١٤٦١).
(٤) في «الوسيط» (٤/ ٣٤٣).
(٥) ذكره البغوي في «تفسيره» (٨/ ٢٠٧).
(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ١٨٩).
(٧) «إعراب القرآن» للنحاس (٥/ ١٩)، و«الفريد» (٤/ ٥١٥)، و«التبيان» (٢/ ١٢٣٦).
(٨) انظر: المصادر المتقدمة.

ثم زاد سبحانه في تفخيم أمرها وتفظيع شأنها وتهويل حالها، فقال: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ﴾؛ أي: أيّ شيء أعلمك ما هي؟؛ أي: كأنّك لستَ تعلمها إذا لم تعاينها وتشاهد ما فيها من الأهوال، فكأنها خارجة عن دائرة علم المخلوقين.

[ما الفرق بين ما أدراك وما يدريك؟]

قال يحيى بن سلّام(١): بلغني أن كل شيء في القرآن وما أدراك، فقد أدراه إياه وعلّمه، وكلّ شيء قال فيه: وما يُدريك، فإنه أخبره به. وما مبتدأ، وخبره أدراك.

﴿مَا ٱلۡحَآقَّةُ﴾ جملة مِنْ مبتدأ(٢) وخبر، محلّها النصب بإسقاط الخافض؛ لأنّ أدرىٰ يتعدّى إلى المفعول الثاني بالباء، كما في قوله: ﴿وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ﴾ [يونس: ١٦] فلما وقعت جملة الاستفهام معلّقة له كانت في موضع المفعول الثاني، وبدون الهمزة يتعدى إلى مفعول واحد بالباء نحو دريت بكذا، وإن كان بمعنى العلم تعدى إلى مفعولين، وجملة: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾ معطوفة على جملة ما الحاقة.

﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ وَعَادُۢ بِٱلۡقَارِعَةِ﴾؛ أي: بالقيامة، وسُمّيت بذلك لأنها تقرع الناس بأهوالها.

وقال المبرّد(٣): عنى بالقارعة: القرآن الذي نزل في الدنيا على أنبيائهم، وكانوا يخوّفونهم بذلك فيكذبونهم، وقيل(٤): القارعة: مأخوذة مِنْ القرعة؛ لأنها ترفع أقواماً وتحط آخرين، والأوّل أولى، ويكون وضع القارعة موضع ضمير الحاقة للدلالة على عظيم هولها وفظاعة حالها، والجملة مستأنفة لبيان بعض أحوال الحاقة.

﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ﴾ ثمود: هم قومُ صالح، وقد تقدّم بيان هذا في غير موضع، وبيان منازلهم، وأين كانت، والطاغية: الصيحة التي جاوزت الحدّ.

وقيل: بطغيانهم وكفرهم، وأصل الطغيان مجاوزة الحدّ.

﴿وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ﴾ عاد: هم قوم هود، وقد تقدّم بيان هذا،

---

(١) «النكت والعيون» (٦/ ٧٦).

(٢) «الفريد» (٤/ ٥١٥)، و«التبيان» (٢/ ١٢٣٦).

(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ١٩٠).

(٤) «النكت والعيون» (٦/ ٧٦).

وذكر منازلهم، وأين كانت في غير موضع، والريح الصَرْصر[1]: هي الشديدة البرد، مأخوذ من الصرّ، وهو البرد، وقيل: هي الشديدة الصوت.

وقال مجاهد[2]: الشديدة السموم، والعاتية التي عتت عَنْ الطاعة، فكأنها عتَتْ على خُزّانها، فلم تُطْعهم ولم يقدروا على ردّها لشدّة هبوبها، أو عتت على عادٍ، فلم يقدروا على ردّها بل أهلكتهم.

﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ﴾ هذه الجملة مستأنفة لبيان كيفية إهلاكهم، ومعنى ﴿سَخَّرَهَا﴾: سلّطها، كذا قال مقاتل[3]، وقيل: أرسلها.

وقال الزجّاج[4]: أقامها عليهم كما شاء، والتسخير: استعمال[5] الشيء بالاقتدار، ويجوز أن تكون هذه الجملة صفة لريح، وأَنْ تكون حالاً منها لتخصيصها بالصفة، أو من الضمير في عاتية.

﴿وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ﴾ معطوف على ﴿سَبْعَ لَيَالٍ﴾، وانتصاب[6] ﴿حُسُومًا﴾ على الحال؛ أي: ذات حسوم، أو على المصدر بفعل مقدّر؛ أي: تحسمهم حسوماً، أو على أنه مفعول به، والحسوم[7]: التتابعُ، فإذا تتابع الشيء ولم ينقطع أوّله عن آخره قيل له الحسوم.

قال الزجّاج[8]: الذي توجبه اللغة في معنى قوله: ﴿حُسُومًا﴾؛ أي: تحسمهم حسوماً تفنيهم وتُذهبهم. قال النضر بن شميل[9]: حسمتهم: قطعتهم وأهلكتهم. وقال الفرّاء[10]: الحسوم: الاتباع مِنْ حَسْم الداء، وهو الكيّ؛ لأن صاحبه يكوى بالمكواة ثُمّ يتابع ذلك عليه، ومنه قول أبي دؤاد:

يُفرّقُ بينِهم زمانٌ طويلٌ ... تتابعَ فيه أعوامٌ حسومٌ[11]

---

(١) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٤٨٢).

(٢) «الوسيط» (٤/ ٣٤٣).

(٣) ذكره البغوي في «تفسيره» (٨/ ٢٠٨).

(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢١٤).

(٥) «المحرر الوجيز» (١٦/ ٩٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ١٩٢).

(٦) «الفريد» (٤/ ٥١٧)، و«التبيان» (٢/ ١٢٣٦)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٤٠٢).

(٧) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٢٣٥)، و«تهذيب اللغة» (٤/ ٣٤٣)، و«الصحاح» (٥/ ١٨٩٩).

(٨) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢١٤ ـ ٢١٥).

(٩) «تهذيب اللغة» (٤/ ٣٤٣).

(١٠) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٨٠).

(١١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ١٩٢) ونسبه لعبد العزيز بن زُرارة الكِلابيّ.

وقال المبرّد[١]: هو من قولك حسمتُ الشيء: إذا قطعته وفصّلته عن غيره، وقيل: الحسم: الاستئصال، ويقال للسيف: حُسام، لأنه يحسم العدو عما يريده من بلوغ عدوانه، والمعنى: أَنَّها حَسمتهم؛ أي: قطعتهم وأذهبتهم، ومنه قول الشاعر: [٤/١٧٢]

فأرسلتْ ريحاً دبوراً عقيماً فدارتْ عليهم فكانتْ حُسُوما[٢]

قال ابنُ زيد[٣]؛ أي: حسمتهم فلم تُبق منهم أحداً. وروي[٣] عنه أنه قال: حسمتُ الأيامَ والليالي حتى استوفتها؛ لأنّها بدأت بطلوع الشمس من أوّل يوم، وانقطعت بغروب الشمس من آخر يوم.

وقال الليث[٤]: الحسومُ: هي الشؤم؛ أي: تحسم الخير عن أهلها، كقوله: ﴿فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ [فصلت: ١٦].

واختلف[٥] في أوّلها، فقيل: غداة الأحد، وقيل: غداة الجمعة، وقيل: غداة الأربعاء.

قال وهب[٦]: وهذه الأيام هي التي تسميها العرب أيام العجوز، كان فيها برد شديد وريح شديدة، وكان أوّلها يوم الأربعاء، وآخرها يوم الأربعاء.

﴿فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ﴾ الخطاب لكلّ من يصلح له على تقدير أنه لو كان حاضراً حينئذٍ لرأى ذلك، والضمير في (فيها) يعود إلى الليالي والأيام، وقيل: إلى مهاب الريح، والأوّل أولى.

وصرعي: جمع صريع، يعني: موتى.

﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾؛ أي: أصول نخل ساقطة أو بالية، وقيل: خالية لا جوف فيها، والنخل يُذكّر ويؤنّث، ومثله قوله: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ [القمر: ٢٠] وقد تقدّم تفسيره، وهو إخبار عن عظم أجسامهم.

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ١٩٢).
(٢) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (١٠/ ٢٥٢).
(٣) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٢١٤) بسند صحيح.
(٤) «تهذيب اللغة» (٤/ ٣٤٤).
(٥) «النكت والعيون» (٦/ ٧٧).
(٦) وهب بن منبه. «معالم التنزيل» (٨/ ٢٠٨).

قال يحيى بن سلام[(١)]: إنما قال خاوية؛ لأن أبدانهم خلت من أرواحهم مثل النخل الخاوية.

﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾؛ أي: من فرقة باقية، أو من نفس باقية، أو من بقية على أن باقية مصدر كالعاقبة والعافية.

قال ابن جريج[(٢)]: أقاموا سبع ليالٍ وثمانية أيام أحياءً في عذاب الريح، فلما أمسوا في اليوم الثامن ماتوا، فاحتملتهم الريح فألقتهم في البحر.

﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ﴾؛ أي: مِنْ الأمم الكافرة.

قرأ الجمهور[(٣)]: «قَبْله» بفتح القاف وسكون الباء؛ أي: ومن تقدّمه من القرون الماضية والأمم الخالية، وقرأ أبو عمرو، والكسائي بكسر القاف[(٤)] وفتح الباء؛ أي: ومَنْ هو في جهته من أتباعه، واختار أبو حاتم[(٥)]، وأبو عبيد القراءة الثانية لقراءة ابن مسعود[(٦)] وأبيّ «ومَنْ معه»، ولقراءة أبي موسى[(٧)] «ومن تلقاءه».

﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ﴾ قرأ الجمهور[(٨)]: «المؤتفكات» بالجمع، وهي: قُرى قوم لوط، وقرأ الحسن، والجحدري: «المؤتفكة» بالإفراد[(٩)]، واللام للجنس، فهي في معنى الجمع.

والمعنى: وجاءت المؤتفكات ﴿بِٱلْخَاطِئَةِ﴾؛ أي: بالفعلة الخاطئة، أو الخطأ على أنها مصدر. والمراد: أنها جاءت بالشرك والمعاصي. قال مجاهد[(١٠)]:

---

(١) «النكت والعيون» (٦/ ٧٨).

(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ١٩٥).

(٣) «النشر» (٢/ ٣٨٩)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٣/ ٣٣٣)، و«جامع البيان» (٢٣/ ٢١٥ ـ ٢١٦)، و«التبيان» (٢/ ١٢٣٦).

(٤) انظر: المصادر المتقدمة.

(٥) ذكره عنهما القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ١٩٥).

(٦) «القراءات الشاذة» (ص١٦١)، و«روح المعاني» (٢٧/ ٣٧٨)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ١٩٥).

(٧) انظر: المصادر المتقدمة. وهي وقراءة ابن مسعود وأبيٍّ شاذتان لمخالفتهما للرسم.

(٨) «النشر» (١/ ٢٩٠، ٣٩٢، ٤٣١)، و«المبسوط» (ص١٠٤)، و«السبعة» (ص١٣٣).

(٩) انظر: المصادر المتقدمة. القراءة بالإفراد شاذة.

(١٠) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٣/ ٢١٧) بسند صحيح.

بالخطايا، وقال الجرجاني[١]: بالخطأ العظيم.

﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾؛ أي: فعصت كلّ أمة رسولها المرسل إليها. قال الكلبي[٢]: هو موسى، وقيل: لوط[٣] لأنّه أقرب، قيل: ورسول هنا بمعنى رسالة، ومنه قول الشاعر:

لقد كذبَ الواشونَ ما بُحْتُ عندَهم ... بسرٍّ ولا أرسلتُهم برسولِ[٤]

أي: برسالة.

﴿فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾؛ أي: أخذهم الله أخذةً نامية زائدة على أخذات الأمم، والمعنى: أنها بالغة في الشدّة إلى الغاية، يقال: ربى الشيء يربو: إذا زاد وتضاعف.

قال الزجاج[٥]: تزيد على الأخذات. قال مجاهد[٦]: شديدة.

﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ﴾؛ أي: تجاوز حدّه في الارتفاع والعلوّ، وذلك في زمن نوح لما أصرّ قومه على الكفر وكذّبوه، وقيل: طغى على خُزّانه من الملائكة غضباً لربه، فلم يقدروا على حبسه.

قال قتادة[٧]: زاد على كل شيء خمسة عشر ذراعاً.

﴿حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾؛ أي: في أصلاب آبائكم، أو حملناهم وحملناكم في أصلابهم تغليباً للمخاطبين على الغائبين. والجارية سفينة نوح، وسميت جارية لأنها تَجْري في الماء، ومحل (في الجارية) النصب[٨] على الحال؛ أي: رفعناكم[٨] فوق الماء حال كونكم في السفينة.

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ١٩٦). (٢) «المحرر الوجيز» (١٦/ ٩٥).
(٣) «الوسيط» (٤/ ٣٤٤).
(٤) البيت لكُثّير عزة. وهو في «ديوانه» (ص٢٧٨) وفيه:
بليلى ولا أرسلتهم برسيل
(٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢١٥).
(٦) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٢١٨) بسند صحيح.
(٧) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٢٢١) بسند صحيح.
(٨) «روح المعاني» (٢٧/ ٣٧٩).

[المقصود من ذكر قصص هذه الأمم وذكر ما حلَّ بها]:

ولما كان المقصود من ذكر قصص هذه الأمم، وذكر ما حلّ بهم من العذاب زَجْر هذه الأمة عن الاقتداء بهم في معصية الرسول قال: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾؛ أي: لنجعل هذه الأمور المذكورة لكم يا أمة محمد عبرةً وموعظة تستدلون بها على عظيم قدرة الله وبديع صنعه، أو لنجعل هذه الفعلة التي هي عبارة عن إنجاء المؤمنين وإغراق الكافرين لكم تذكرة.

﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾؛ أي: تحفظها بعد سماعها أُذن حافظةٌ لما سمعت.

قال الزجاج[١]: يقال: أوعيت كذا؛ أي: حفظته في نفسي أعيه وعياً، ووعيتُ العلم، ووعيت ما قلته كلّه بمعنى، وأوعيتُ المتاعَ في الوعاء، ويقال لكل ما وعيته في غير نفسك: أوعيته بالألف، ولما حفظته في نفسك وعيته بغير ألف. قال قتادة[٢] في تفسير الآية: أُذن سمعت وعقلت ما سمعت.

قال الفراء[٣]: المعنى: لتحفظها كل أذن عظةً لمن يأتي بعد. قرأ الجمهور[٤]: «تَعِيها» بكسر العين. وقرأ طلحة بن مُصرّف، وحميد الأعرج، وأبو عمرو في رواية عنه بإسكان[٥] العين تشبيهاً لهذه الكلمة برحْم وشَهْد وإن لم تكن من ذلك.

قال الرازي[٦]: وروي عن ابن كثير إسكان العين، جعل حرف المضارعة مع ما بعده بمنزلة كلمة واحدة، فخفف وأسكن كما أسكن الحرف المتوسط من فَخْذ وكَبْد وكتْف. انتهى.

والأولى أن يكون هذا من باب إجراء الوصل مجرى الوقف، كما في قراءة من قرأ: ﴿وَمَا يُشْعِرْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٠٩] بسكون الراء، قال القرطبي[٧]: واختلفت القراءة فيها عَنْ عاصم، وابن كثير: يعني: تعيها.

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢١٥ ـ ٢١٦).

(٢) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٢٢٢)، وعبد الرزاق (٢/ ٣١٣) بسند صحيح.

(٣) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٨١).

(٤) «البحر المحيط» (١٠/ ٢٥٦)، و«المبسوط» (ص٤٤٤). القراءة المتواترة هي قراءة الجمهور وبها قرأ العشرة وما روي عن أبي عمرو وابن كثير وعاصم فروايات شاذة.

(٥) انظر: المصادر المتقدمة.

(٦) في «تفسيره» (٣٠/ ١٠٧).

(٧) في «تفسيره» (٢١/ ١٩٨).

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ هذا شروع في بيان الحاقة، وكيف وقوعها بعد بيان شأنها بإهلاك المكذبين.

قال عطاء(١): يريد النفخة الأولى. وقال الكلبي(٢)، ومقاتل: يريد النفخة الأخيرة.

قرأ الجمهور(٣): «نفخةٌ واحدةٌ» بالرفع فيهما على أن نفخة مرتفعة على النيابة، وواحدة تأكيد لها، وحَسُنَ تذكير الفعل لوقوع الفصل. وقرأ أبو السمّال(٤) بنصبهما على أن النائب هو الجار والمجرور.

قال الزجاج(٥): قوله: ﴿فِي ٱلصُّورِ﴾ يقوم مقام ما لم يسمّ فاعله.

﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾؛ أي: رُفعت من أماكنها، وقلعت عن مقارّها بالقدرة الإلٰهية. قرأ الجمهور(٦): «حُمِلَت» بتخفيف الميم. وقرأ الأعمش، وابن أبي عبلة، وابن مقسم، وابن عامر في رواية عنه بتشديدها(٧) للتكثير أو للتعدية.

﴿فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾؛ أي: فكُسِرتا كسرةً واحدة لا زيادة عليها، أو ضُربتا ضربة واحدة بعضهما ببعض حتى صارتا كثيباً مهيلاً وهباءً منبثاً.

قال الفراء(٨): ولم يقل: فَدُكِكْن لأنه جعل الجبال كلها كالجملة الواحدة، ومثله قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣٠] وقيل: دكَّتا: بُسِطتا بسطة واحدة، ومنه: اندك سَنام البعير: إذا انفرش على ظهره.

﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾؛ أي: قامت القيامة ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾؛ أي: انشقت بنزول ما فيها من الملائكة فهي في ذلك اليوم ضعيفة مسترخية.

---

(١) «الوسيط» (٤/ ٣٤٥)، و«زاد المسير» (٨/ ٣٤٨).
(٢) «الوسيط» (٤/ ٣٤٥).
(٣) «البحر المحيط» (١٠/ ٢٥٧)، و«الدر المصون» (٦/ ٣٦٣).
(٤) «روح المعاني» (٢٧/ ٣٨٢)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٢٥٧)، و«القراءات الشاذة» (ص١٦١). وهي قراءة شاذة.
(٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢١٦).
(٦) «البحر المحيط» (١٠/ ٢٥٧)، و«الدر المصون» (٦/ ٣٦٣).
(٧) «القراءات الشاذة» (ص١٦١)، و«المحتسب» (٢/ ٣٢٨)، و«التبيان» (٢/ ١٢٣٧). القراءة بالتشديد قراءة شاذة، وهي رواية شاذة عن أبي عمرو.
(٨) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٨١).

قال الزجاج[١]: يقال لكل ما ضعف جدّاً: قد وهي فهو واهٍ، وقال الفرّاء[٢]: وهيها: تشققُها.

﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ﴾؛ أي: جنس المَلك على أطرافها وجوانبها، وهي جمع رجىً مقصور، وتثنيته رَجَوان مثل قَفًا وقَفَوان، والمعنى: أنها لما تشققت السماء، وهي مساكنهم لجئوا إلى أطرافها. قال الضحاك[٣]: إذا كان يوم القيامة أمر الله السماء الدنيا فتشققت، وتكون الملائكة على حافاتها حتى يأمرهم الربّ، فينزلون إلى الأرض ويحيطون بالأرض ومَنْ عليها.

وقال سعيد بن جبير[٤]: المعنى: والملَكُ على حافات الدنيا؛ أي: ينزلون إلى الأرض، وقيل: إذا صارت السماء قطعاً يقف الملائكة على تلك القطع التي ليست متشققة في أنفسها.

﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾؛ أي: يحمله فوق رؤوسهم يوم القيامة ثمانية أملاك، وقيل: ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عددهم إلّا الله ﷻ، وقيل: ثمانية أجزاء من تسعة أجزاء من الملائكة، قاله الكلبي[٥] وغيره.

﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾؛ أي: يُعرض العباد على الله لحسابهم، ومثله ﴿وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾ [الكهف: ٤٨] وليس ذلك العرض عليه سبحانه ليعلم به ما لم يكن عالماً به وإنما هو عرض الاختبار[٦] والتوبيخ بالأعمال.

وجملة: ﴿لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ في محل[٧] نصب على الحال من ضمير تعرضون؛ أي: تعرضون حال كونه لا يخفى على الله سبحانه من ذواتكم أو أقوالكم وأفعالكم خافية كائنةً ما كانت، والتقدير: أيّ نفس خافية أو فعلة خافية.

وقد أخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[٨] قال: ﴿ٱلْحَآقَّةُ﴾ من أسماء القيامة.

---

(١) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢١٦). (٢) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٨١).
(٣) «جامع البيان» (٢٣/ ٢٢٦)، و«النكت والعيون» (٦/ ٨١)، و«الوسيط» (٤/ ٣٤٥).
(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٢٠١). (٥) «الوسيط» للواحدي (٤/ ٣٤٦).
(٦) «روح المعاني» (٢٧/ ٣٨٩)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٣٩٠).
(٧) «البحر المحيط» (١٠/ ٢٦٠)، و«روح المعاني» (٢٧/ ٣٨٩).
(٨) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٦٤).

وأخرج الفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير[١] عنه قال: ما أرسل الله شيئًا من ريح إلّا بمكيال، ولا قطرة من ماء إلّا بمكيال إلّا يوم نوح ويوم عاد. فأما يوم نوح فإن الماء طغى على خُزّانه، فلم يكن لهم عليه سبيل، ثم قرأ: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ﴾ وأما يوم عاد فإن الريح عتت على خُزّانها فلم يكن لهم عليها سبيل، ثم قرأ: ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾.

وأخرج ابن جرير[٢] عن عليّ بن أبي طالب نحوه.

وأخرج البخاري، ومسلم، وغيرهما عن ابن عباس[٣]، عن النبيّ ﷺ قال: «نُصرت بالصَّبا، وأُهلكت عادٌ بالدبور».

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عمر[٤] مرفوعاً: «قال ما أمر الخزّان على عاد إلّا مثل موضع الخاتم من الريح، فعتت على الخزّان، فخرجت من نواحي الأبواب، فذلك قوله: ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ قال: عتوّها عتت على الخزّان».

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس[٥] في قوله: ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ قال: الغالبة.

وأخرج عبد الرزاق، والفريابي، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، والطبراني، والحاكم وصححه عن ابن مسعود[٦] في قوله: ﴿حُسُومًا﴾ قال: متتابعات.

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٢١٠)، وأخرجه أبو الشيخ في «العظمة» رقم (٧٣٣)، وابن عساكر في «تاريخه» (٦٢/ ٢٦١) بسند حسن.

(٢) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٢١٠ ـ ٢١١) بسند ضعيف لإبهام الراوي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري رقم (١٠٣٥، ٣٢٠٥، ٣٣٤٣، ٤١٠٥)، ومسلم رقم (٩٠٠)، وأحمد رقم (٢٠١٣).

(٤) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٦٤ ـ ٢٦٥)، لأبي الشيخ في العظمة، رقم (٧٢٨، ٨٠٢) عن ابن عباس.
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١١٣): فيه مسلم الملائي وهو ضعيف.

(٥) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٦٤).

(٦) أخرجه عبد الرزاق (٢/ ٣١٢)، وابن جرير (٢٣/ ٢١٢، ٢١٣)، والطبراني رقم (٩٠٦١)، والحاكم (٢/ ٥٠٠) وصححه.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير من طرق عن ابن عباس[(١)] في قوله: ﴿حُسُومًا﴾ قال: تباعاً، وفي لفظ: متتابعات.

وأخرج ابن المنذر[(٢)] عنه ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ﴾ قال: هي أصولها، وفي قوله: ﴿خَاوِيَةٍ﴾ قال: خربة.

وأخرج سعيد بن منصور، وابن المنذر[(٣)] عنه أيضاً في قوله: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ﴾ قال: طغى على خُزّانه فنزل، [٤/١٧٣] ولم ينزل من السماء ماء إلّا بمكيال، أو ميزان إلّا زمن نوح، فإنه طغى على خُزّانه فنزل بغير كيل ولا وزن.

وأخرج سعيد بن منصور، وابن مردويه، وأبو نعيم في الحلية من طريق مكحول عن عليّ بن أبي طالب[(٤)] في قوله: ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «سألتُ الله أن يجعلها أُذنك[(٥)] يا عليّ، فقال عليّ: ما سمعت من رسول الله ﷺ شيئًا فنسيته». قال ابن كثير: وهو حديثٌ مرسل.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، والواحدي، وابن مردويه، وابن عساكر، وابن النجار عن بريدة[(٦)] قال: قال رسول الله ﷺ لعليّ: «إن الله أمرني أن أدنيك ولا أقصيك، وأن أعلمك، وأن تعي، وحقّ لك أن تعي، فنزلت هذه الآية: ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ فأنت أذن واعيةً، يا عليّ». قال ابن كثير: ولا يصح.

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٢١٢) بسند صحيح.

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٦٦).

(٣) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٦٦).

(٤) أخرجه سعيد بن منصور، كما في «فتح الباري» (١٣/ ٥٢٦)، وابن جرير (٢٣/ ٢٢٢، ٢٢٣)، وابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٣٨) ـ وابن مردويه ـ كما في «تخريج أحاديث الكشاف» (٤/ ٨٤) ـ وقال ابن كثير: حديث مرسل.

(٥) وهو حديث ضعيف لإرساله، ومتنه فيه نكارة.

● وفي هذا الأثر والذي بعده بالإضافة إلى ضعفهما ونكارة متنهما. فقد قال ابن تيمية في «منهاج السنّة» (٧/ ١٧١) هذا موضوع باتفاق أهل العلم.

(٦) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٢٢٣)، وابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٤/)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص٣٢٩)، وابن عساكر (٤٢/ ٣٦١)، بسند ضعيف لضعف أبي محمد عبد الله بن الزبير والد أبي أحمد الزبيري.

«الجرح والتعديل» (٥/ ٤٥٦)، و«ميزان الاعتدال» (٢/ ٤٢٢).

وقال ابن كثير: لا يصح أيضاً. وقال ابن تيمية في «المنهاج» (٦/ ٣٨٥): إنَّ هذا الحديث موضوع باتفاق أهل العلم.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر عن ابن عمر[1] في قوله: ﴿أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ قال: أذن عقلتْ عن الله.

وأخرج الحاكم، والبيهقي في «البعث» عن أبي بن كعب[2] في قوله: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ قال: تصيران غبرة على وجوه الكفار لا على وجوه المؤمنين، وذلك قوله: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ [عبس: ٤٠ ـ ٤١].

وأخرج ابن أبي حاتم[3] عن ابن عباس ﴿فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ قال: مُتخرِّقة.

وأخرج الفريابي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم[4] عنه في قوله: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا﴾ قال: على حافاتها على ما لم يهيه منها.

وأخرج عبد بن حميد، وعثمان بن سعيد الدارمي في «الردّ على الجهمية»، وأبو يعلى، وابن المنذر، وابن خزيمة، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والخطيب في «تالي التلخيص»[5] عنه أيضاً في قوله: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ قال: ثمانية أملاك على صورة الأوعال.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم[6] عنه أيضاً من طرق في الآية قال: يقال: ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عددهم إلّا الله، ويقال: ثمانية أملاك رؤوسهم عند العرش في السماء السابعة، وأقدامهم في الأرض السفلى، ولهم قرون كقرون الوَعِلة، ما بين أصل قرن أحدهم إلى منتهاه خمسمائة عام.

وأخرج أحمد، وعبد بن حميد، والترمذي، وابن ماجه، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن أبي موسى[7] قال: قال رسول الله : «يُعرض الناس يوم القيامة ثلاث

---

(١) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٦٧).

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٠٠).

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٦٩).

(٤) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٦٩).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٣/ ٢٢٧).

(٥) أخرجه الدارمي (ص١٩)، وأبو يعلى رقم (٦٧١٢)، وابن خزيمة في كتاب «التوحيد» رقم (١٤٤)، والحاكم (٢/ ٥٠٠)، والخطيب رقم (٢٩٥)، وأبو داود رقم (٤٧٢٣) وهو حديث ضعيف.

(٦) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٢٢٨) من طريق الحكم بن ظهير، به. والحكم «متروك».

(٧) أخرجه أحمد رقم (١٩٧١٥)، والترمذي بإثر رقم (٢٤٢٥)، وابن ماجه رقم (٤٢٧٧) وهو حديث ضعيف.

عَرَضَات، فأما عَرْضتان فجدال ومعاذير، وأما الثالثة فعند ذلك تَطايرُ الصحف في الأيدي، فآخذ بيمينه وآخذ بشماله».

وأخرج ابن جرير، والبيهقي في «البعث» عن ابن مسعود(١) نحوه.

[يوم الحساب وما فيه من مواقف للأبرار والفجار]:

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ (٢٠)
فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ
فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (٢٤) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا
حِسَابِيَهْ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (٢٩) خُذُوهُ فَغُلُّوهُ
(٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢) إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
الْعَظِيمِ (٣٣) وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣٤) فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ
(٣٦) لَّا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ (٣٧) فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (٣٩) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ
كَرِيمٍ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (٤٢) تَنزِيلٌ مِّن
رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٤٣) وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ
(٤٦) فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (٤٧) وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (٤٨) وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ
(٤٩) وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ (٥٠) وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ (٥١) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٥٢)﴾.

لما ذكر سبحانه العَرْضَ ذكر ما يكون فيه، فقال: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾؛ أي: أعطي كتابه الذي كتبته الحفظة عليه من أعماله ﴿فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾ يقول ذلك سروراً وابتهاجاً.

قال ابن السكِّيت(٢)، والكسائي(٣): العرب تقول: ها يا رجل، وللاثنين هاؤما يا رجلان، وللجمع هاؤمُ يا رجال، قيل: والأصل هاكم، فأبدلت الهمزة من

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٢٣٠، ٢٣١) وذكره الدارقطني من حديث أبي موسى مرفوعاً وموقوفاً ثم قال: الموقوف هو الصحيح.
«العلل» (٧/ ٢٥١) فيكون هذا الموقوف الصحيح شاهداً لرواية ابن جرير.
(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٣٤٦).
(٣) «النكت والعيون» (٦/ ٨٣).

الكاف، قال ابن زيد[١]: ومعنى هاؤمُ: تعالَوا. وقال مقاتل[٢]: هلمَّ.

وقيل: خذوا؛ والذي صرّح به النحاة[٣]: أنها بمعنى خُذْ، يقول: ها بمعنى خذ، وهاؤما بمعنى خذا، وهاؤم بمعنى خذوا، فهي اسم فعل، وقد يكون فعلاً صريحاً لاتصال الضمائر البارزة المرفوعة بها، وفيها ثلاث لغات، كما هو معروف في علم الإعراب.

وقوله: ﴿كِتَٰبِيَهْ﴾ معمول لقوله: ﴿ٱقْرَءُوا۟﴾ لأنه أقرب الفعلين، ومعمول ﴿هَآؤُمُ﴾ محذوف يدل عليه معمول ﴿ٱقْرَءُوا۟﴾ والتقدير: هاؤم كتابيه اقرأوا كتابيه، والهاء في كتابيه وحسابيه وسلطانيه وماليه، هي هاء السكت[٤].

قرأ الجمهور[٥] في هذه بإثبات الهاء وقفاً ووصلاً مطابقة لرسم المصحف، ولولا ذلك لحذفت في الوصل، كما هو شأن هاء السكت، واختار أبو عُبيد[٦] أن يتعمد الوقف عليها ليوافق اللغة في إلحاق الهاء في السكت، ويوافق الخط، يعني: خط المصحف. وقرأ ابن مُحيصن، وابن أبي إسحاق، وحميد، ومجاهد، والأعمش، ويعقوب بحذفها[٧] وصلاً، وإثباتها وقفاً في جميع هذه الألفاظ. ورويت هذه القراءة عن حمزة، واختار أبو حاتم[٨] هذه القراءة اتباعاً للغة.

وروي عن ابن محيصن[٩] أنه قرأ بحذفها وصلاً ووقفاً.

﴿إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾؛ أي: علمتُ وأيقنت في الدنيا أني أحاسب في

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٣/ ٢٣١) بسند صحيح.

(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٢٠٦).

(٣) «الفريد» (٤/ ٥١٩)، و«التبيان» (٢/ ١٢٣٧)، و«شرح الكافية» لابن الحاجب (٣/ ٩٢ ـ شرح الرضيّ).

(٤) «روح المعاني» (٢٧/ ٣٩٤)، و«مجاز القرآن» (٢/ ٢٦٨).

(٥) «البحر المحيط» (١٠/ ٢٦١)، و«النشر» (٢/ ١٤٢)، و«تفسير الرازي» (٣/ ١١١). قرأ يعقوب بإثبات الهاء في الكلمات الأربعة وقفاً لا وصلاً، وقرأ حمزة بإثباتها وقفاً لا وصلاً في «سلطانيه» (مالية) وقرأ باقي العشرة بإثباتها في الحالين أم الحذف في الحالين فشاذة. اهـ. «النشر» (٢/ ١٤٢).

(٦) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٢٠٧).

(٧) «البحر المحيط» (١٠/ ٢٦١)، و«النشر» (٢/ ١٤٢).

(٨) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٢٠٧).

(٩) «البحر المحيط» (١٠/ ٢٦١)، و«تفسير الرازي» (٣٠/ ١١١)، و«القراءات الشاذة» (ص١٦١).

الآخرة، وقيل: المعنى: إني ظننت أن يأخذني الله بسيئاتي، فقد تفضل عليّ بعفوه ولم يؤاخذني.

قال الضحاك[١]: كل ظنّ في القرآن مِنْ المؤمن فهو يقين، ومِنْ الكافر فهو شك.

قال مجاهد[٢]: ظن الآخرة يقين وظنّ الدنيا شك. قال الحسن[٣] في هذه الآية: إن المؤمن أحسن الظنّ بربه فأحسن العمل للآخرة، وإن الكافر أساء الظنّ بربه فأساء العمل. قيل: والتعبير بالظنّ هنا[٤] للإشعار بأنّه لا يقدح في الاعتقاد ما يهجس في النفس مِنْ الخطرات التي لا تنفك عنها العلوم النظرية غالباً.

﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾؛ أي: في عيشة مرضية لا مكروهة، أو ذات رضى؛ أي: يرضى بها صاحبها.

قال أبو عبيدة[٥]، والفراء[٦]: راضية؛ أي: مرضية كقوله: ﴿مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: ٦]؛ أي: مدفوق، فقد أسند إلى العيشة ما هو لصاحبها، فكان ذلك من المجاز في الإسناد.

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾؛ أي: مرتفعة المكان لأنها في السماء، أو مرتفعة المنازل، أو عظيمة في النفوس ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ القطوف[٧]: جمع قِطْف بكسر القاف، ما يُقطف من الثمار، والقَطْف بالفتح المصدر، والقِطَاف بالفتح والكسر وقت القطف.

والمعنى: أن ثمارها قريبة ممن يتناولها من قائم أو قاعد أو مضطجع.

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾؛ أي: يقال لهم: كلوا واشربوا في الجنة ﴿هَنِيٓـًٔا﴾؛ أي: أكلاً وشرباً هنيئاً لا تكدير فيه ولا تنغيص ﴿بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾؛ أي: بسبب ما قدّمتم من الأعمال الصالحة في الدنيا.

وقال مجاهد[٨]: هي أيام الصيام.

---

(١) «النكت والعيون» (٦/ ٨٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٢٠٧).
(٢) «النكت والعيون» (٦/ ٨٣). (٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٢٠٧).
(٤) «تفسير أبي السعود» (٦/ ٣٩٠)، و«روح المعاني» (٢٧/ ٣٩٣).
(٥) في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٦٨). (٦) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٨٢).
(٧) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٦٧٨)، و«تهذيب اللغة» (١٦/ ٢٨١).
(٨) «النكت والعيون» (٦/ ٨٤).

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ﴾ حُزْناً وكَرْباً لما رأى فيه من سيئاته ﴿يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ﴾؛ أي: لم أعط كتابيه ﴿وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ﴾؛ أي: لم أدر أيّ شيء حسابي؛ لأن كله عليه.

﴿يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ﴾؛ أي: ليت الموتة التي متّها كانت القاضية، ولم أحي بعدها، ومعنى ﴿ٱلْقَاضِيَةَ﴾: القاطعة للحياة، والمعنى: أنّه تمنى دوام الموت، وعدم البعث لما شاهد من سوء عمله وما يصير إليه من العذاب، فالضمير في ليتها يعود إلى الموتة التي قد كان ماتها، وإن لم تكن مذكورة؛ لأنها لظهورها كانت كالمذكورة.

قال قتادة[١]: تمنّى الموت ولم يكن في الدنيا شيء عنده أكره منه، وشرّ من الموت ما يطلب منه الموت. وقيل: الضمير يعود إلى الحالة التي شاهدها عند مطالعة الكتاب، والمعنى: يا ليتَ هذه الحالة كانت الموتة التي قضيتُ عليّ.

﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ﴾؛ أي: لم يدفع عني من عذاب الله شيئًا على أن «ما» نافية، أو استفهامية، والمعنى: أيّ شيء أغنى عني مالي.

﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ﴾؛ أي: هلكتْ عني حجتي وضلّت عني، كذا قال مجاهد[٢]، وعكرمة[٣]، والسديّ[٤]، والضحاك[٥].

وقال ابن زيد[٦]: يعني: سلطاني الذي في الدنيا، وهو المُلْك، وقيل: تسلطي على جوارحي. قال مقاتل[٧]: يعني: حين شهدت عليه الجوارح بالشرك، وحينئذٍ يقول الله ﷻ: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾؛ أي: اجمعوا يده إلى عنقه بالأغلال ﴿ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾؛ أي: أدخلوه الجحيم، والمعنى: لا تصلوه إلّا الجحيم، وهي النار العظيمة.

﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ﴾ السلسلةُ: حِلقٌ مُنتظمة، وذرعها:

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٢٣٤) بسند صحيح.
(٢) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٢٣٦) بسند صحيح.
(٣) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٢٣٦) من طريق النضر بن عربيٍّ، به.
(٤) «النكت والعيون» (٦/ ٨٥).
(٥) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٢٣٧) بسند حسن.
(٦) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٢٣٧) بسند صحيح.
(٧) «الوسيط» (٤/ ٣٤٧).

طولُها. قال الحسن(١): الله أعلم بأيّ ذراع هو.

قال نوف الشامي(٢): كل ذراع سبعون باعاً كل باع أبعد مما بينك وبين مكة، وكان نوف في رحبة الكوفة. قال مقاتل(٣): لو أنّ حَلْقة منها وضُعت على ذُرْوة جبل لذاب كما يذوب الرصاص، ومعنى ﴿فَٱسْلُكُوهُ﴾: فاجعلوه فيها، يقال: سلكته الطريق: إذا أدخلته فيه.

قال سفيان(٤): بلغنا أنها تدخل في دُبره حتى تخرج من فيه. قال الكلبي(٥): تسلك سلك الخيط في اللؤلؤ. وقال سُويد بن أبي نجيح(٦): بلغني أن جميع أهل النار في تلك السلسلة، وتقديم السلسلة للدلالة على الاختصاص كتقديم الجحيم.

وجملة: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ﴾ تعليل لما قبلها.

﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾؛ أي: لا يحثُّ على إطعام المسكين مِنْ ماله، أو لا يحث الغير على إطعامه، ووضع الطعام موضع الإطعام، كما يوضع العطاء موضع الإعطاء، كما قال الشاعر:

أكفراً بعد ردِّ الموت عنّي ... وبعدَ عطائِك المالَ الرِّتاعا(٧)

أي: بعد إعطائك، ويجوز أن يكون [٤/ ١٧٤] الطعام على معناه غير موضوع موضع المصدر، والمعنى: أنه لا يحث نفسه أو غيره على بذل نفس طعام المسكين.

وفي جعل(٨) هذا قريناً لترك الإيمان بالله مِنْ الترغيب في التصدّق على المساكين وسدّ فاقتهم، وحثّ النفس والناس على ذلك ما يدلّ أبلغ دلالة، ويفيد أكمل فائدة على أنّ منعهم من أعظم الجرائم وأشدّ المآثم.

﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ﴾؛ أي: ليس له يوم القيامة في الآخرة قريب ينفعه أو يشفع له؛ لأنه يوم يفرّ فيه القريب من قريبه، ويهرب عنده الحبيب من حبيبه.

---

(١) «الوسيط» للواحدي (٤/ ٣٤٧)، و«المحرر الوجيز» (١٦/ ١٠٢).
(٢) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٢٣٨) بسند ضعيف.
(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٢١٠).
(٤) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٣١٥).
(٥) «الوسيط» (٤/ ٣٤٨).
(٦) «الوسيط» (٤/ ٣٤٨).
(٧) البيت للقطامي. وهو في «ديوانه» (ص٣٧).
(٨) «روح المعاني» (٢٧/ ٤٠١).

﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾؛ أي: وليس له طعام يأكله إلّا من صَديد أهل النار، وما ينغسل مِنْ أبدانهم من القيح والصديد، وغسلين فِعْلين مِنْ الغَسْل.

وقال الضحاك[(١)]، والربيع بن أنس: هو شجر يأكله أهل النار. وقال قتادة[(٢)]: هو شرّ الطعام. وقال ابن زيد[(٣)]: لا يعلم ما هو ولا ما الزقوم إلّا الله تعالى. وقال سبحانه في موضع آخر ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ [الغاشية: ٦] فيجوز أن يكون الضريع هو الغِسْلين، وقيل: في الكلام تقديم وتأخير، والمعنى فليس له اليوم ها هنا حميم إلّا من غسلين على أن الحميم هو الماء الحار ﴿وَلَا طَعَامٌ﴾؛ أي: ليس لهم طعام يأكلونه، ولا ملجئ لهذا التقديم والتأخير.

وجملة: ﴿لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ﴾ صفة لغسلين، والمراد أصحاب الخطايا وأرباب الذنوب. قال الكلبي[(٤)]: المراد: الشرك. قرأ الجمهور[(٥)]: «الخاطئون» مهموزاً، وهو اسم فاعل من خطئ إذا فعل غير الصواب متعمداً، والمخطئ من يفعله غير متعمد. وقرأ الزهري، وطلحة بن مصرف، والحسن: «الخاطيون» بياء مضمومة[(٦)] بدل الهمزة.

وقرأ نافع في رواية عنه بضم الطاء[(٧)] بدون همزة.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ۝٣٨ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ هذا ردّ لكلام المشركين كأنه قال: ليس الأمر كما تقولون، و«لا» زائدة، والتقدير: فأقسم بما تشاهدونه وما لا تشاهدونه.

قال قتادة[(٨)]: أقسم بالأشياء كلِّها ما يُبصر منها وما لا يبصر، فيدخل في هذا جميع المخلوقات، وقيل[(٩)]: إن «لا» ليست زائدة، بل هي لنفي القسم؛ أي:

---

(١) ذكره عنهما ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٦/ ١٠٢).
(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٢١١).
(٣) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٢٤٠) بسند صحيح.
(٤) «الوسيط» (٤/ ٣٤٨).
(٥) «البحر المحيط» (١٠/ ٢٦٤)، و«النشر» (١/ ٣٩٧). قراءة الجمهور هي المتواترة ومعها قراءة أبي جعفر (الخاطُون) بضم الطاء بدون همز، أم الرواية عن نافع فشاذة.
(٦) «القراءات الشاذة» (ص١٦١)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٢٦٤)، و«المحتسب» (٢/ ٣٢٩).
(٧) «القراءات الشاذة» (ص١٦١)، و«تفسير الرازي» (٣٠/ ١١٦).
(٨) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٢٤١) بسند صحيح عن ابن زيد.
(٩) «تفسير الرازي» (٣٠/ ١١٦).

لا أحتاج إلى قَسَم لوضوح الحقّ في ذلك، والأوّل أولى ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾؛ أي: إن القرآن لتلاوة رسول كريم، على أن المراد بالرسول محمد ﷺ؛ أي: إنّه لقول يبلغه رسول كريم.

قال الحسن[١]، والكلبي، ومقاتل: يريد به جبريل، دليله قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير: ١٩ ـ ٢٠] وعلى كل حال، فالقرآن ليس من قول محمد، ولا من قول جبريل عليه السلام، بل هو قول الله، فلا بدّ من تقدير التلاوة أو التبليغ.

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ كما تزعمون؛ لأنَّه ليس من أصناف الشِّعْر ولا مشابه لها ﴿قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: إيماناً قليلاً تؤمنون، وتصديقاً يسيراً تصدقون، و«ما»[٢] زائدة.

﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ﴾ كما تزعمون، فإن الكهانة أمر آخر لا جامع بينها وبين هذا ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾؛ أي: تذكراً قليلاً، أو زماناً قليلاً تتذكرون، و«ما» زائدة، والقلة في الموضعين بمعنى النفي؛ أي: لا تؤمنون ولا تتذكرون أصلاً.

﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ قرأ الجمهور[٣] بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هو تنزيل.

وقرأ أبو السمّال بالنصب على المصدرية[٤] بإضمار فعل؛ أي: نزل تنزيلاً، والمعنى: إنه لقول رسول كريم، وهو تنزيل من ربّ العالمين على لسانه.

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ﴾؛ أي: ولو تقوّل ذلك الرسول، وهو محمد أو جبريل على ما تقدّم، والتقوّل تكلّف القول، والمعنى: لو تكلّف ذلك وجاء به من جهة نفسه، وسمي الافتراء تقوّلاً لأنه قول متكلف، وكلّ كاذب يتكلف ما يكذب به.

قرأ الجمهور[٥]: «تقوّل» مبنيّاً للفاعل. وقرئ مبنيّاً[٦] للمفعول مع رفع بعض.

---

(١) «النكت والعيون» (٦/ ٨٦)، و«زاد المسير» (٨/ ٣٥٤).
(٢) «الفريد» (٤/ ٥٢٢)، و«روح المعاني» (٢٧/ ٤٠٦).
(٣) «البحر المحيط» (١٠/ ٢٦٥)، و«الدر المصون» (٦/ ٣٧٠)، و«المحرر الوجيز» (١٦/ ١٠٤).
(٤) انظر: المصادر المتقدمة. القراءة بالنصب شاذة.
(٥) «البحر المحيط» (١٠/ ٢٦٥)، و«الدر المصون» (٦/ ٣٧٠)، و«تفسير الرازي» (٣٠/ ١١٨).
(٦) انظر: المصادر المتقدمة. هي قراءة شاذة.

وقرأ ابن ذكوان[١]: «ولو يَقَول» على صيغة المضارع، والأقاويل جمع أقوال، والأقوال جمع قول.

﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ﴾؛ أي: بيده اليمين. قال ابن جرير[٢]: إن هذا الكلام خرج مخرج الإذلال على عادة الناس في الأخذ بيد من يعاقب.

وقال الفراء[٣]، والمبرد[٤]، والزجاج[٥]، وابن قتيبة[٦]: ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ﴾؛ أي: بالقوّة والقدرة.

قال ابن قتيبة[٧]: وإنما أقام اليمين مقام القوّة؛ لأن قوّة كل شيء في ميامنه، ومن هذا قول الشاعر:

إذا ما رايةٌ نُصِبَتْ لمجدٍ   تلقَّاها عُرابةُ باليمينِ[٨]

وقول الآخر:

ولَّما رأيتُ الشمسَ أشرقَ نورُها   تناولتُ منها حاجتي بيميني[٩]

﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾ الوتين: عِرْق يجري في الظهر حتى يتصل بالقلب، وهو تصوير لإهلاكه بأفظع ما يفعله الملوك بمن يغضبون عليه.

قال الواحدي[١٠]: والمفسرون يقولون: إنه نياط القلب. انتهى. ومن هذا قول الشاعر:

إذا بلَّغتْني وحَمَلتِ رَحْلي   عَرابةَ فاشْرقِي بدمِ الوتينِ[١١]

---

(١) «القراءات الشاذة» (ص١٦١)، و«المحتسب» (٢/ ٩٢٣)، و«روح المعاني» (٢٧/ ٤١٠). والرواية عن ابن ذكوان شاذة عنه.

(٢) في «جامع البيان» (٢٣/ ٢٤٣).
قال ابن جرير: لأخذنا منه باليد اليمنى من يديه، قالوا: وإنَّما ذلك مثلٌ، ومعناه: إنَّا كنا نُذلُه ونُهينه، ثم نقطعُ منه بعد ذلك الوتين. قالوا: إنما ذلك كقول ذي السلطان إذا أراد الاستخفاف ببعض من بين يديه، لبعض أعوانه: خذ بيده فأقِمْه، وافعل به كذا وكذا، قالوا: وكذلك معنى قوله: ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ﴾؛ أي: لأهنَّاه. كالذي يُفعلُ بالذي وصفنا حاله.

(٣) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٨٣).

(٤) «الوسيط» للواحدي (٤/ ٣٤٩).

(٥) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢١٨).

(٦) في «تأويل مشكل القرآن» (ص١١٧).

(٧) في المصدر المتقدم.

(٨) البيت للشمَّاخ في «ديوانه» (ص٣٣٦).

(٩) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٢١٤).

(١٠) «الوسيط» للواحدي (٤/ ٣٤٩).

(١١) قائله الشَّماخ وهو في «ديوانه» (ص٣٢٣).

﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾؛ أي: ليس منكم أحد يحجزنا عنه ويدفعنا منه، فكيف يتكلّف الكذب على الله لأجلكم، مع علمه أنه لو تكلف ذلك لعاقبناه، ولا تقدرون على الدفع منه؟ والحَجْزُ: المنع ﴿حَاجِزِينَ﴾ صفة لأحد، أو خبر لما الحجازية.

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾؛ أي: إنّ القرآن لتذكرة لأهل التقوى لأنهم المنتفعون به.

﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ﴾؛ أي: أنّ بعضكم يكذب بالقرآن، فنحن نجازيهم على ذلك، وفي هذا وعيد شديد.

﴿وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾؛ أي: وإن القرآن لحسرة وندامة على الكافرين يوم القيامة عند مشاهدتهم لثواب المؤمنين.

وقيل: هي حسرتهم في الدنيا حيَن لم يقدروا على معارضته عند تحدّيهم بأن يأتوا بسورة من مثله.

﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾؛ أي: وإن القرآن لكونه من عند الله حقّ، فلا يحول حوله ريب، ولا يتطرّق إليه شك ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾؛ أي: نزّهه عما لا يليق به، وقيل: فصلّ لربك، والأوّل أولى.

وقد أخرج ابن جرير عن ابن عباس في قوله: ﴿إِنِّى ظَنَنتُ﴾ قال: أيقنت.

وأخرج سعيد بن منصور، وابن أبي حاتم عن البراء بن عازب[١] ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ قال: قريبة.

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر عن البراء[٢] في الآية قال: يتناول الرجل من فواكهها وهو قائم.

وأخرج ابن أبي حاتم، والبيهقي في «البعث» عن ابن عباس[٣] في قوله: ﴿فَٱسْلُكُوهُ﴾ قال: السلسلة تدخل في استه ثم تخرج مِنْ فيه، ثم يُنْظَمون فيها كما يُنظم الجراد في العود، ثم يُشْوى.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم، كما في «فتح الباري» (٦/ ٣٢١).
(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (١٣/ ١٤٠)، وعبد بن حميد ـ كما في «فتح الباري» (٦/ ٣٢١).
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم ـ كما في «التخويف من النار» (ص١٣٠) ـ، والبيهقي رقم (٥٩٤).

وأخرج أبو عبيد، وعبد بن حميد، وابن المنذر عن أبي الدرداء[١] قال: إن لله سلسلةً لم تزل تغلي منها مراجل النار منذ خلق الله جهنم إلى يوم تلقى في أعناق الناس، وقد نجانا الله من نصفها بإيماننا بالله العظيم، فَحُضِّي على طعام المسكين يا أمّ الدرداء.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم من طريق عكرمة عن ابن عباس[٢] قال: الغِسْلين: الدّم والماء والصديد الذي يسيل من لحومهم.

وأخرج الحاكم وصححه عن أبي سعيد الخدري[٣]: عن النبي ﷺ قال: «لو أَنْ دلواً مِنْ غسلين يُهراق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا».

وأخرج ابن المنذر[٤] عن ابن عباس قال: الغسلين: اسم طعام من أطعمة أهل النار.

وأخرج ابن جرير[٥] عنه ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ يقول: بما تَرون وما لا ترون.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر عن ابن عباس[٦] في قوله: ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ﴾ قال: بقدرةٍ.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر[٧] عنه قال: ﴿ٱلْوَتِينَ﴾ عِرْقُ القلب.

وأخرج الفريابي، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم والحاكم[٨] عنه أيضاً قال: ﴿ٱلْوَتِينَ﴾ نياطُ القلب.

---

(١) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٧٤).

(٢) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٧٥).

(٣) أخرجه الحاكم (٢/ ٥٠١). وهو حديث ضعيف. «ضعيف الجامع» رقم (٤٨٠٣).

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٧٥).

(٥) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٢٤٢) بسند ضعيف.

(٦) عزاه إليهما السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٧٦).

(٧) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٢٤٤) بسند صحيح.
وقد عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٧٦) إلى ابن جرير وابن المنذر.

(٨) أخرجه الفريابي ـ كما في «تغليق التعليق» (٤/ ٣٤٧) وفي «فتح الباري» (٨/ ٦٦٤) ـ، وابن جرير (٢٣/ ٢٤٤)، وابن أبي حاتم ـ كما في «تغليق التعليق» (٤/ ٣٤٧) وفي «فتح الباري» (٨/ ٦٦٤) ـ، والحاكم (٢/ ٥٠١) وقال الحافظ: إسناده قوي.

وأخرج ابن المنذر، والحاكم، وصححه عنه[١] أيضاً قال: هو حبلُ القلب الذي في الظهر.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٥٠١).

سُورَةُ سَأَلَ سائِل

ويُقال سورة المعارج، هي أربع وأربعون آية.

وهي مكية. قال القرطبي[١]: باتفاق.

وأخرج ابن الضريس، والنحاس، وابن مردويه عن ابن عباس[٢] قال: نزلت سورة سأل بمكة.

وأخرج ابن مردويه[٣] عن ابن الزبير مثله.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ﴿١﴾ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ﴿٢﴾ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ﴿٤﴾ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا ﴿٧﴾ يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسۡـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمٗا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمۡۚ يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةٗ لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدۡعُواْ مَنۡ أَدۡبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوۡعَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾.

قوله: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ﴾ قرأ الجمهور[٤]: «سأل» بالهمزة، وقرأ نافع، وابن عامر، بغير همزة[٥]، فمن همزَ، فهو من السؤال وهي اللغة الفاشية، وهو إما مُضمّن معنى الدعاء، فلذلك عُدّي بالباء، كما تقول دعوتُ كذا، والمعنى: دعا داعٍ

(١) في «تفسيره» (٢١/ ٢١٨).

(٢) أخرجه ابن الضريس رقم (١٧)، والنحاس في «ناسخه» (ص٧٤٩)، والبيهقي في «الدلائل» (٧/ ١٤٢، ١٤٣).

(٣) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٧٧).

(٤) «النشر» (٢/ ٣٩٠)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٣٤)، و«التيسير» (ص٢١٤)، و«زاد المسير» (٨/ ٣٥٧).

(٥) انظر: المصادر المتقدمة. وقرأ أيضاً بغير همزٍ أبو جعفر.

على نفسه بعذاب واقع، ويجوز أن يكون على أصله، والباء بمعنى عن كقوله: ﴿فَسْئَلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩] ومَنْ لم يهمز، فهو إما من باب التخفيف[١] بقلب الهمزة ألفاً، فيكون معناها معنى قراءة مَنْ همز، أو يكون من السيلان.

والمعنى: سال وادٍ في جهنّم، يقال له: سائل، كما قال زيد بن ثابت[٢]. ويؤيده قراءة ابن عباس[٣]: «سال سيل» وقيل[٤]: إن سال بمعنى: التمس، والمعنى: التمس مُلْتمِس عذاباً للكفار، فتكون الباء زائدة كقوله: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾ [المؤمنون: ٢٠] والوجه الأوّل هو الظاهر. [٤/١٧٥]

وقال الأخفش[٥]: يقال: خرجنا نسأل عن فلان وبفلان. قال أبو عليّ[٦] الفارسي: وإذا كان من السؤال، فأصله أن يتعدّى إلى مفعولين، ويجوز الاقتصار على أحدهما ويتعدى إليه بحرف الجر.

وهذا السائل: هو النضر بن الحارث[٧] حين قال: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢] وهو ممن قُتل يوم بدر صَبْراً، وقيل: هو أبو جهل[٨]، وقيل: هو الحارث بن النعمان[٨] الفهري، والأوّل أولى لما سيأتي.

وقرأ أبيّ، وابن مسعود «سال سال»[٩] مثل: مال مال على أن الأصل سائل، فحذفت العين تخفيفاً، كما قيل: شاكٍ في شائك السلاح. وقيل: السائل هو نوح عليه السلام[١٠]، سأل العذاب للكافرين، وقيل: هو رسول الله ﷺ[١١] دعا بالعقاب عليهم.

---

(١) «التبيان» (٢/ ١٢٣٩)، و«معاني القرآن وإعرابه» للزجاج (٥/ ٢١٩).
(٢) «روح المعاني» (٢٧/ ٤١٦)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٢٧١).
(٣) «القراءات الشاذة» (ص١٦١)، و«المحتسب» (٢/ ٣٣٠). وهي قراءة شاذة.
(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٢١٨)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٢٧١).
(٥) ذكره الجوهري في «الصحاح» (٥/ ١٧٢٤). (٦) في «الحجة» (٦/ ٣١٦ ـ ٣١٧).
(٧) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٢١٩)، و«روح المعاني» (٢٧/ ٤١٤).
(٨) «روح المعاني» (٢٧/ ٤١٤)، و«الوسيط» (٤/ ٣٥٠ ـ ٣٥١)، و«زاد المسير» (٨/ ٣٥٧).
(٩) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٦/ ٢٠٥)، و«التيسير» (ص٢١٤)، و«النشر» (٢/ ٣٩٠).
(١٠) «الوسيط» (٤/ ٣٥١)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٢١٩ ـ ٢٢٠).
(١١) «الكشاف» (٦/ ٢٠٥).

وقوله: ﴿بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ يعني: إما في الدنيا كيوم بدر، أو في الآخرة، وقوله: ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ صفة[١] أخرى لعذاب؛ أي: كائن للكافرين، أو متعلق بواقع، واللام للعلة، أو بسأل على تضمينه معنى دعا، أو في محل رفع على تقدير: هو للكافرين، أو تكون اللام بمعنى على، ويؤيده قراءة أبيّ[٢]: «بعذاب واقع على الكافرين».

قال الفرّاء[٣]: التقدير بعذاب للكافرين واقع بهم، فالواقع من نعت العذاب، وجملة: ﴿لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾ صفة أخرى لعذاب، أو حال منه، أو مستأنفة، والمعنى: أنه لا يدفع ذلك العذاب الواقع به أحد.

وقوله: ﴿مِّنَ اللَّهِ﴾ متعلق بواقع؛ أي: واقع من جهته سبحانه، أو بدافع؛ أي: ليس[٤] له دافع من جهته تعالى ﴿ذِى الْمَعَارِجِ﴾؛ أي: ذي الدرجات التي تصعد فيها الملائكة، وقال الكلبي[٤]: هي السمٰوات، وسماها معارج لأن الملائكة تعرج فيها، وقيل: المعارج مراتب نعم الله سبحانه على الخلق، وقيل: المعارج: «العظمة»، وقيل: هي الغرف[٥].

وقرأ ابن مسعود: «ذي المعاريج» بزيادة[٦] الياء، يقال: معارج ومعاريج مثل مفاتح ومفاتيح.

﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾؛ أي: تصعد في تلك المعارج التي جعلها الله لهم، وقرأ الجمهور[٧]: «تَعْرُج» بالفوقية، وقرأ ابن مسعود، وأصحابه، والكسائي، والسلمي بالتحتية[٨].

والروح: جبريل، أفرد بالذكر بعد الملائكة لشرفه، ويؤيد هذا قوله: ﴿نَزَلَ بِهِ

---

(١) «الفريد» (٤/ ٥٢٦)، و«روح المعاني» (٢٧/ ٤١٦).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٢٢٢)، و«حاشية الشهاب» (٨/ ٣٢٢)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٢٧٢). وهي قراءة شاذة مخالفة للرسم.

(٣) في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٨٣).

(٤) «المحرر الوجيز» (١٦/ ١٠٧).

(٥) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٢٢٢)، و«روح المعاني» (٢٧/ ٤١٧).

(٦) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٢٢٣). وهي مخالفة للرسم.

(٧) «النشر» (٢/ ٣٩٠)، و«التيسير» (ص٢١٤)، و«جامع البيان» (٢٣/ ٢٥١)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٣٥).

(٨) انظر: المصادر المتقدمة.

﴿ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣]، وقيل: الروح هنا: ملك آخر عظيم غير جبريل(١).

وقال أبو صالح(٢): إنّه خلق من خلق الله سبحانه كهيئة الناس، وليسوا من الناس. وقال قَبيصة بن ذُؤيب(٣): إنه روح الميت حين تقبض، والأوّل أولى. ومعنى ﴿إِلَيْهِ﴾؛ أي: إلى المكان الذي ينتهون إليه، وقيل: إلى عرشه، وقيل: هو كقول إبراهيم: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ [الصافات: ٩٩]؛ أي: إلى حيثُ أمرني ربي.

﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ قال ابن إسحاق(٤)، والكلبي(٥)، ووهب بن منبه(٦): أي عَرْجُ الملائكة إلى المكان الذي هو محلها في وقت كان مقداره على غيرهم لو صعد خمسين ألف سنة، وبه قال مجاهد(٧).

وقال عكرمة(٨): وروي عن مجاهد(٩) أن مدة عمر الدنيا هذا المقدار لا يدري أحدٌ كم مضى، ولا كم بقي، ولا يعلم ذلك إلّا الله.

وقال قتادة(١٠)، والكلبي(١١)، ومحمد بن كعب(١٢): إنّ المراد: يوم القيامة، يعني: أن مقدار الأمر فيه لو تولّاه غيره سبحانه خمسون ألف سنة، وهو سبحانه يفرغ منه في ساعة، وقيل: إن مدّة موقف العباد للحساب، هي هذا المقدار، ثم يستقرّ بعد ذلك أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار.

وقيل: إن مقدار يوم القيامة(١٣) على الكافرين خمسون ألف سنة، وعلى المؤمنين مقدار ما بين الظهر والعصر، وقيل: ذكر هذا المقدار لمجرد التمثيل والتخييل لغاية ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها، أو لطول(١٤) يوم القيامة باعتبار ما فيه من الشدائد والمكاره، كما تصف العرب أيام الشدّة بالطول وأيام الفرح بالقصر،

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٢٢٣).
(٢)(٣) ذكره عنهما الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٩٠).
(٤) «معالم التنزيل» (٨/ ٢٢٠). (٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٢٢٤).
(٦) ذكره الرازي في «تفسيره» (٣٠/ ١٢٤).
(٧) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٢٥١ ـ ٢٥٢) بسند ضعيف.
(٨) «المحرر الوجيز» (١٦/ ١٩)، و«جامع البيان» (٢٣/ ٢٥٢).
(٩) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٢٢٤). (١٠) «معالم التنزيل» (٨/ ٢٢٠).
(١١) «النكت والعيون» (٦/ ٩٠). (١٢) «النكت والعيون» (٦/ ٩٠).
(١٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٣/ ٢٥٣) بسند صحيح.
(١٤) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٢٢٦)، و«روح المعاني» (٢٧/ ٤٢١).

ويُشبّهون اليوم القصير بإبهام القطاة والطويل بظل الرمح، ومنه قول الشاعر:

ويـومٍ كَـظِـلِّ الـرُّمْـحِ قَـصَّـرَ طـولَـه دمُ الزِقِّ عنَّا واصطفافُ المزاهِرِ[(١)]

وقيل: في الكلام تقديم وتأخير؛ أي: ليس له دافع من الله ذي المعارج في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة تعرج الملائكة والروح إليه، وقد قدّمنا الجمع بين هذه الآية وبين قوله في سورة السجدة ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [السجدة: ٥] فارجع إليه. وقد قيل في الجمع[(٢)]: إنّ من أسفل العالم إلى العرش خمسين ألف سنة، ومن أعلى سماء الدنيا إلى الأرض ألف سنة؛ لأن غلظ كل سماء خمسمائة عام، وما بين أسفل السماء إلى قرار الأرض خمسمائة عام.

فالمعنى: أنّ الملائكة إذا عرجت مِنْ أسفل[(٣)] العالم إلى العرش كان مسافة ذلك خمسين ألف سنة، وإن عرجوا من هذه الأرض التي نحن فيها إلى باطن هذه السماء التي هي سماء الدنيا كان مسافة ذلك ألف سنة، وسيأتي في آخر البحث ما يؤيد هذا عن ابن عباس[(٤)].

ثم أمر الله سبحانه رسوله ﷺ بالصبر فقال: ﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾؛ أي: اصبر يا محمد على تكذيبهم لك وكفرهم بما جئت به صبراً جميلاً لا جزع فيه[(٥)] ولا شكوى إلى غير الله، وهذا معنى الصبر الجميل، وقيل: هو أن يكون صاحب المصيبة في القوم لا يدري بأنه مصاب.

قال ابن زيد[(٦)]، وغيره: هي منسوخة بآية السيف.

---

(١) قائله شبرقة بن الطفيل. «لسان العرب» (صفف).

(٢) ذكره الرازي في «تفسيره» (٣٠/ ١٢٤). (٣) «تفسير الرازي» (٣٠/ ١٢٤ ـ ١٢٥).

(٤) سيأتي نصه وتخريجه.

(٥) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٦/ ٩١) عن مجاهد.

(٦) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٢٥٥)، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» (٣/ ١٢٥) بسند صحيح.
وقد ردّه ابن جرير والنحاس.
وقال ابن جرير: أنَّه كان أُمر بالعفو بهذه الآية، ثم نُسخ ذلك، قولٌ لا وجه له؛ لأنه لا دلالة على صحة ما قال، من بعض الأوجه التي تصحُّ منها الدّعاوي، وليس في أمر الله نبيَّه ﷺ في الصبر الجميل على أذى المشركين، ما يوجب أن يكون ذلك أمراً منه له به في بعض الأحوال، بل كان ذلك أمراً من الله له، به في كلِّ الأحوال؛ لأنّه لم يزلْ ﷺ من لَدُنْ بعثه الله إلى أن اخترمه، في أذى منهم وهو في كلِّ ذلك صابرٌ على ما يلقى منهم من أذى قبل أن يأذن الله له بحربهم وبعد إذنه له بذلك.

﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا﴾؛ أي: يرون العذاب الواقع بهم، أو يرون يوم القيامة بعيداً؛ أي: غير كائن لأنهم لا يؤمنون به، فمعنى ﴿بَعِيدًا﴾؛ أي: مستبعداً محالاً، وليس المراد: أنهم يرونه بعيداً غير قريب. قال الأعمش[١]: يرون البعث بعيداً؛ لأنهم لا يؤمنون به كأنهم يستبعدونه على جهة الاستحالة[٢]، كما تقول لمن تناظره هذا بعيد؛ أي: لا يكون.

﴿وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾؛ أي: نعلمه كائناً قريباً؛ لأن ما هو آت قريب. وقيل: المعنى: ونراه هيناً في قدرتنا غير متعسر ولا متعذر، والجملة تعليل للأمر بالصبر.

[أحداث كونية كبرى ستقع في هذا اليوم]:

ثم أخبر سبحانه متى يقع بهم العذاب فقال: ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ﴾ والظرف متعلق[٣] بمضمر دلّ عليه واقعٌ، أو بدل من قوله: ﴿فِى يَوْمٍ﴾ على تقدير تعلقه بواقع، أو متعلّق بقريباً، أو مقدّر بعده؛ أي: يوم تكون إلخ، كان كيت وكيت، أو بدل من الضمير في نراه، والأوّل أولى.

والتقدير: يقع بهم العذاب ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ﴾ والمُهْل[٤]: ما أذيب من النحاس والرصاص والفضّة.

وقال مجاهد[٥]: هو القيح من الصديد والدم. وقال عكرمة[٦]، وغيره: هو دِرْديّ الزيت، وقد تقدّم تفسيره في سورة الكهف والدخان.

﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ﴾؛ أي: كالصوف المصبوغ، ولا يقال للصوف عهن إلّا إذا كان مصبوغاً. قال الحسن[٧]: تكون الجبال كالعهن، وهو الصوف الأحمر، وهو أضعف الصوف.

وقيل: العهن: الصوف ذو الألوان[٨]، فشبّه الجبال به في تكوّنها ألواناً،

---

(١) أخرجه عبد بن حميد كما في «الدر المنثور» (٨/ ٢٨١).
(٢) ذكره الزجاج في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢٢٠).
(٣) «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٤٠٦)، و«الفريد» (٤/ ٥٢٧)، و«التبيان» (٢/ ١٢٣٩).
(٤) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٧٨١)، و«الصحاح» (٥/ ١٨٢٢).
(٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٢٢٨). (٦) «الجامع لأحكام القرآن» (١٩/ ١٣٣).
(٧) «المحرر الوجيز» (١٦/ ١٠٩).
(٨) «مجمع البيان» (٢٩/ ٥٥).

كما في قوله: ﴿جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ [فاطر: ٢٧] فإذا بست وطيرت في الهواء أشبهت العهن المنفوش إذا طيرته الريح.

﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾؛ أي: لا يسأل قريب قريبه عن شأنه في ذلك اليوم لما نزل بهم من شدّة الأهوال التي أذهلت القريب عن قريبه، والخليل عن خليله[١]، كما قال سبحانه ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٧].

وقيل: المعنى: لا يسأل حميم عَنْ حميم، فحذف الحرف[٢] ووصل الفعل.

قرأ الجمهور[٣]: «لا يَسْأل» مبنيّاً للفاعل، قيل: والمفعول الثاني محذوف، والتقدير: لا يسأله نصره ولا شفاعته، وقرأ أبو جعفر، وأبو حيوة، وشيبة، وابن كثير في رواية عنه على البناء[٤] للمفعول.

وروى هذه القراءة البزّي[٥] عن عاصم، والمعنى: لا يسأل حميم إحضار حميمه، وقيل: هذه القراءة على إسقاط حرف الجرّ؛ أي: لا يسأل حميم عن حميم، بل كلّ إنسان يسأل عن نفسه وعن عمله.

وجملة: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ مستأنفة، أو صفة لقوله: ﴿حَمِيمًا﴾؛ أي: يبصر كلّ حميم حميمه، لا يخفى منهم أحد عن أحد. وليس في القيامة مخلوق إلّا وهو نصب عين صاحبه، ولا يتساءلون ولا يكلم بعضهم بعضاً لاشتغال كل أحد منهم بنفسه.

وقال ابن زيد[٦]: يبصر الله الكفار في النار الذين أضلوهم في الدنيا، وهم الرؤساء المتبوعون. وقيل: إن قوله: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ يرجع إلى الملائكة؛ أي: يعرفون

---

(١) «جامع البيان» (٢٣/ ٢٥٧).

(٢) «التبيان» (٢/ ١٢٣٩)، و«الفريد» (٢/ ٥٢٧).

(٣) «جامع البيان» (٢٣/ ٢٥٩)، و«النشر» (٢/ ٣٩٠)، و«زاد المسير» (٨/ ٣٦١)، و«روح المعاني» (٢٧/ ٤٢٥).

(٤) انظر: المصادر المتقدمة. قراءة أبي جعفر متواترة وقرأ على البناء للمفعول.

(٥) كذا قال القرطبي والشوكاني.
وذكر أبو عمرو الداني في «جامع البيان» (٢/ ٤٥٤) هو رواية البرجمي عن أبي بكر عن عاصم، والبزي عن ابن كثير باختلاف فيه. وذكر قراءة شيبة بن مجاهد في «السبعة» (ص٦٥٠) وقال: وهو غلط. ما حكاه الشوكاني وقبله القرطبي عن عاصم فرواية شاذة عنه والبزي عن ابن كثير له وجهان وجه بالبناء للمفعول والآخر بالبناء للفاعل. اهـ.

(٦) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٦/ ١١٠).

أحوال الناس لا يخفون عليهم، وإنما جمع الضمير في يبصرونهم، وهما للحميمين حملاً على معنى العموم؛ لأنهما نكرتان في سياق النفي، قرأ الجمهور(١): «يُبصِّرونهم» بالتشديد، وقرأ قتادة بالتخفيف(٢).

ثم ابتدأ سبحانه الكلام فقال: ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ﴾ المراد بالمجرم: الكافر، أو كلّ مذنب ذنباً يستحق به النار لو يفتدي من عذاب يوم القيامة الذي نزل به، ﴿بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَاحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ﴾ فإنّ هؤلاء أعزّ الناس عليه وأكرمهم لديه، فلو قبل منه الفداء لفدى بهم نفسه، وخلص مما نزل به من العذاب، والجملة مستأنفة لبيان أن اشتغال كل مجرم بنفسه بلغ إلى حدّ يودّ الافتداء من العذاب بمن ذكر.

قرأ الجمهور(٣): «من عذاب يومئذٍ» بإضافة عذاب إلى يومئذٍ. وقرأ أبو حيوة(٤) بتنوين: «عذابٍ» وقطع الإضافة.

وقرأ الجمهور(٥): «يومِئذٍ» بكسر الميم، وقرأ نافع، والكسائي، والأعرج، وأبو حيوة بفتحها(٦).

﴿وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ﴾؛ أي: عشيرته الأقربين الذين يضمّونه في النسب، أو عند الشدائد، ويأوي إليهم. قال أبو عبيدة(٧): الفصيلة دون القبيلة.

وقال ثعلب(٨): هم آباؤهم [٤/ ١٧٦] الأدنون. قال المبرّد(٩): الفصيلة: القطعة من أعضاء الجسد. وسميت عشيرة الرجل فصيلة تشبيهاً لها بالبعض منه. وقال مالك(١٠): إن الفصيلة: هي التي تربيه.

---

(١) «البحر المحيط» (١٠/ ٢٧٤)، و«زاد المسير» (٨/ ٣٦١).

(٢) «القراءات الشاذة» (ص١٦١)، و«روح المعاني» (٢٧/ ٤٢٥). القراءة بالتخفيف شاذة.

(٣) «التيسير» (ص٢١٤)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (١/ ٥٣٣)، و«النشر» (٢/ ٢٨٩)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٢٧٥).

(٤) انظر: المصادر المتقدمة. وهي قراءة شاذة والمتواترة قراءة العشرة بإضافة العذاب إلى يوم.

(٥) «النشر» (٢/ ٢٨٩)، و«التيسير» (ص٢١٤)، و«معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٢٥).

(٦) انظر: المصادر المتقدمة.

(٧) في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٦٩).

(٨) «روح المعاني» (٢٧/ ٤٢٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٢٣٠).

(٩) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٢٣٠).

(١٠) «النكت والعيون» (٦/ ٩٢).

﴿وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾؛ أي: ويودّ المجرم لو افتدى بمن في الأرض جميعاً من الثقلين وغيرهما من الخلائق.

وقوله: ﴿ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ معطوف على يفتدي؛ أي: يودّ لو يفتدي، ثم ينجيه الافتداء، وكان العطف بثم لدلالتها على استبعاد النجاة، وقيل: إن يودّ تقتضي جواباً، كما في قوله: ﴿وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ﴾ [القلم: ٩] والجواب، ثم ينجيه، والأوّل أولى.

وقوله: ﴿كَلَّآ﴾ ردع[١] للمجرم عن تلك الودادة، وبيان امتناع ما ودّه من الافتداء، و «كلا» يأتي بمعنى حقاً، وبمعنى لا مع تضمنها لمعنى الزجر والردع، والضمير في قوله: ﴿إِنَّهَا لَظَىٰ﴾ عائد إلى النار المدلول عليها بذكر العذاب، أو هو ضمير مبهم يفسره ما بعده، ولظى علَم لجهنم، واشتقاقها من التلظيّ في النار، وهو التلهّب.

وقيل: أصله لظظ، بمعنى: دوام العذاب، فقلبت إحدى الظاءين ألفاً، وقيل: لظى: هي الدركة الثانية من طباق جهنم.

﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾ قرأ الجمهور[٢]: «نزاعةٌ» بالرفع على أنه خبر ثانٍ لإنّ، أو خبر مبتدأ محذوف، أو تكون لظى بدلاً من الضمير المنصوب، ونزاعة خبر إنّ، أو على أن نزاعة صفة للظى على تقدير عدم كونها علَماً، أو يكون الضمير في إنها للقصة، ويكون لظى مبتدأ، ونزاعةٌ خبره، والجملة خبر إنّ، وقرأ حَفْص عن عاصم، وأبو عمرو في رواية عنه، وأبو حيوة، والزعفراني، والترمذي، وابن مقسم «نزاعةً» بالنصب[٣] على الحال.

وقال أبو علي[٤] الفارسي: حمله على الحال بعيد؛ لأنه ليس في الكلام ما يعمل في الحال، وقيل: العامل فيها ما دلّ عليه الكلام من معنى التلظي، أو النصب

---

(١) «روح المعاني» (٢٧/ ٤٢٧)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ٣٩٧).
(٢) «التيسير» (ص٢١٤)، و«النشر» (٢/ ٣٩٠)، و«جامع البيان» (٢٣/ ٢٦١)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ٣٣٥)، و«التبيان» (٢/ ١٢٤٠).
(٣) انظر: المصادر المتقدمة. قراءة حفص عن عاصم بالنصب متواترة، والرواية عن أبي عمرو شاذة.
(٤) «معاني القرآن» للزجاج (١/ ٢٢١)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٢٣٢).

على الاختصاص، والشوى: الأطراف، أو جمع شواة، وهي جلدة الرأس، ومنه قول الأعشى[(١)]:

قـالَـتْ قـتـيـلـةُ مـا لَـهُ ... قـد جُـلِّـلَـتْ شَـيـبـاً شُـوَاتُـهْ[(٢)]

وقال الحسن[(٣)]، وثابت[(٤)] البناني: ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾؛ أي: لمكارم الوجه وحُسْنه، وكذا قال أبو العالية[(٥)]، وقتادة[(٦)].

وقال قتادة[(٧)]: تَبْري اللحم والجلد عن العظم حتى لا تترك فيه شيئًا.

وقال الكسائي[(٨)]: هي المفاصل. وقال أبو صالح[(٩)]: هي أطراف اليدين والرجلين.

﴿تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ﴾؛ أي: تدعو لظى مَنْ أدبر عن الحقّ في الدنيا ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾؛ أي: أعرض عنه ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ﴾؛ أي: جمع المال فجعله في وعاء.

وقيل: إنها تقول إليّ يا مُشرك[(١٠)]، إلي يا منافق، وقيل: معنى تدعو: تَهْلك، تقول العرب: دعاك الله؛ أي: أهلكك، وقيل: ليس هو الدعاء باللسان، ولكن دعاؤها إياهم تمكنها من عذابهم، وقيل: المراد أن خزنة جهنم تدعو الكافرين والمنافقين، فأسند الدعاء إلى النار[(١٠)]، مِنْ باب إسناد ما هو للحال إلى المحلّ.

وقيل: هو تمثيل وتخييل، ولا دعاء في الحقيقة، والمعنى: أَنَّ مصيرهم إليها، كما قال الشاعر[(١١)]:

ولـقـدْ هَـبَـطْـنَـا الـوادِيَـيـنِ فُـوَادِيـاً ... تدعو الأنيسَ به العضيضُ الأَبْكَمُ

---

(١) لم نقف على البيت في ديوان الأعشى.
(٢) ذكره ابن جرير (٢٣/ ٢٦١)، وأبو عبيدة في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٦٩).
(٣) «النكت والعيون» (٦/ ٩٣).
(٤) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٨٢) إلى ابن المنذر عن ثابت البناني.
(٥) «زاد المسير» (٨/ ٣٦٢).
(٦) وأخرجه ابن جرير (٢٣/ ٢٦٣) عن قتادة قال: أي: نزاعة لهامته، ومكارم خَلقهِ وأطرافه.
(٧) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٢٦٣) عن الضحاك بسند حسن.
(٨) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٢٣٤). (٩) «النكت والعيون» (٦/ ٩٣).
(١٠) انظر: هذه الأقوال في: «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٢٣٥)، و«النكت والعيون» (٦/ ٩٤)، و«روح المعاني» (٢٧/ ٤٢٩ ـ ٤٣٠).
(١١) ذكره ابن قتيبة في «المعاني الكبير» (٢/ ٦٠٣).

والعضيضُ الأبكم: الذباب، وهي لا تدعو، وفي هذا ذمّ لمن جمع المال فأوعاه، وكنزه ولم ينفقه في سبل الخير، أو لم يؤدّ زكاته.

وقد أخرج الفريابي، وعبد بن حميد، والنسائي، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه عن ابن عباس(١) في قوله: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ﴾ قال: هو النضر بن الحارث قال: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنفال: ٣٢] وفي قوله: ﴿بِعَذَابٖ وَاقِعٖ﴾ قال: كائن ﴿لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ﴾ قال: ذي الدرجات.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر(٢) عنه في قوله: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ﴾ قال: سال: وادٍ في جهنم.

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم(٣) عنه أيضاً في قوله: ﴿ذِي ٱلۡمَعَارِجِ﴾ قال: ذي العلوّ والفواضل.

[وجه الجمع بين قوله تعالى: ﴿أَلۡفَ سَنَةٖ﴾ وقوله تعالى: ﴿خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾]:

وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم(٤) عنه أيضاً في قوله: ﴿فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾ قال: مُنْتهى أمره من أسفل الأرضين إلى منتهى أمره من فوق سبع سماوات مقدار خمسين ألف سنة، ويوم كان مقداره ألف سنة قال: يعني بذلك: ينزل الأمر من السماء إلى الأرض، ومن الأرض إلى السماء في يوم واحد، فذلك مقدار ألف سنة؛ لأن ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام.

وأخرج ابن أبي حاتم(٥) عنه أيضاً قال: غِلَظُ كلِّ أرض خمسمائة عام، وغلظ كل سماء خمسمائة عام، وبين كل أرض إلى أرض خمسمائة عام، ومن السماء إلى

---

(١) أخرجه النسائي في «الكبرى» رقم (١١٦٢٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٦٩٠)، والحاكم (٢/ ٥٠٢).

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٧٨).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم ـ كما في «الإتقان» (٢/ ٤٩).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٤/ ١٢٦ ـ ١٢٧) ـ بسند ضعيف لضعف ابن أبي سليم.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٤/ ١٢٧) ـ بسند ضعيف، لضعف عبد الوهاب بن مجاهد وهو ابن جبير.

السماء خمسمائة عام، فذلك أربعة عشر ألف عام، وبين السماء السابعة وبين العرش مسيرة ستة وثلاثين ألف عام، فذلك قوله: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، والبيهقي في «البعث» عنه(١) أيضاً في قوله: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: ٥] قال: هذا في الدنيا تعرج الملائكة في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدّون، وفي قوله: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ فهذا يوم القيامة جعله الله على الكافر مقدار خمسين ألف سنة.

وأخرج ابن أبي حاتم، والبيهقي(٢) عنه أيضاً في قوله: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ قال: لو قدّرتموه لكان خمسين ألف سنة من أيامكم. قال: يعني: يوم القيامة. وقد قدّمنا عن ابن عباس الوقف في الجمع بين الآيتين في سورة السجدة.

وأخرج أحمد، وأبو يعلى، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «البعث» عن أبي سعيد الخدري(٣) قال: «قيل يا رسول الله ﴿يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ ما أطول هذا اليوم؟ فقال: والذي نفسي بيده إنه ليُخفّف عن المؤمن حتى يكون أهون عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا». وفي إسناده درّاج عن أبي الهيثم، وهما ضعيفان.

وأخرج ابن أبي حاتم، والحاكم، والبيهقي في «البعث» عن أبي هريرة(٤) مرفوعاً قال: ما قدر طول يوم القيامة على المؤمنين إلّا كقدر ما بين الظهر إلى العصر.

وأخرج الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» عن ابن عباس(٥) في قوله: ﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ قال: لا تشكو إلى أحد غيري.

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٢٥٣)، والبيهقي في «الشعب» (١/ ٣٢٤) معلقاً.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ـ كما في «تفسير ابن كثير» (١٤/ ١٢٨).
وقال ابن كثير: إسناده صحيح.

(٣) أخرجه أحمد رقم (١١٧١٧)، وأبو يعلى رقم (١٣٩٠)، وابن جرير (٢٣/ ٢٥٣، ٢٥٤)، وابن حبان رقم (٧٣٣٤)، والبيهقي في «الشعب» (١/ ٣٢٤) معلقاً وقال محققو المسند: إسناده ضعيف.

(٤) أخرجه الحاكم (١/ ٨٤)، والبيهقي في «الشعب» (١/ ٣٢٤) معلقاً وقد صححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٢٤٥٦).

(٥) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٨٠).

وأخرج أحمد، وعبد بن حميد، وابن المنذر، والخطيب في «المتفق والمفترق» والضياء في «المختارة» عن ابن عباس[١] في قوله: ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ﴾ قال: كدُرْدِيّ الزيت.

وأخرج ابن جرير[٢] عنه قال: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ يعرف بعضهم بعضاً ويتعارفون، ثم يفرّ بعضهم من بعض.

وأخرج ابن جرير[٣] عنه أيضاً في قوله: ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾ قال: تنزع أمّ الرأس.

﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

قوله: ﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ قال في «الصحاح»[٤]: الهلَعُ في اللغة: أشدّ الحرْص، وأسوأ الجزع وأفحشُه يقال: هَلِع بالكسر، فهو هَلِعٌ وهَلُوع على التكثير. وقال عكرمة[٥]: هو الضجور. قال الواحدي[٦]: والمفسرون يقولون تفسير الهلع ما بعده يعني: قوله: ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾؛ أي: إذا أصابه الفقر والحاجة، أو المرض، أو نحو ذلك، فهو جزوع؛ أي: كثير الجزع، وإذا

---

(١) أخرجه أحمد رقم (١٩٤٦)، والخطيب (١/ ٦٣٩)، والمقدسي في «المختارة» رقم (٩) بسند ضعيف.

(٢) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٢٥٧، ٢٥٨) بسند ضعيف.

(٣) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٢٦٢) بسند صحيح.

(٤) «الصحاح» (٣/ ١٣٠٨).

(٥) «زاد المسير» (٨/ ٣٦٣).

(٦) في «الوسيط» (٤/ ٣٥٣).

أصابه الخير من الغنى والخَصْب والسعة، ونحو ذلك، فهو كثير المنع والإمساك.

وقال أبو عبيدة[(١)]: الهلوع: هو الذي إذا مسّه الخير لم يشكر، وإذا مسه الشرّ لم يصبر. قال ثعلب[(٢)]: قد فسّر الله الهلوع: هو الذي إذا أصابه الشرّ أظهر شدّة الجزع، وإذا أصابه الخير بخل به ومنعه الناس، والعرب تقول: ناقة هلوع، وهِلْواع: إذا كانت سريعة السير خفيفته، ومنه قول الشاعر:

صَكَّاء ذِعْلُبَةٍ إذا استدبَرْتَها ... حَرَجٍ إذا استقبلْتَها هِلْوَاعِ[(٣)]

والذعلبة: الناقةُ السريعة، وانتصاب هلوعاً وجزوعاً ومنوعاً على أنها أحوال مقدّرة، أو محققة؛ لكونها طبائع جبل الإنسان عليها، والظرفان معمولان لجزوعاً ومنوعاً.

﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾؛ أي: المقيمين للصلاة، [٤/١٧٧] وقيل: المراد بهم: أهل التوحيد، يعني: أنهم ليسوا على تلك الصفات من الهلع والجزع والمنع؛ وأنهم على صفات محمودة وخلال مَرْضية؛ لأنَّ إيمانهم وما تمسّكوا به مِنْ التوحيد ودين الحق يزجرهم عن الاتصاف بتلك الصفات، ويحملهم على الاتصاف بصفات الخير.

ثم بيّنهم سبحانه. فقال: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾؛ أي: لا يشغلهم عنها شاغل، ولا يصرفهم عنها صارف، وليس المراد بالدوام: أنهم يصلون أبداً. قال الزجاج[(٤)]: هم الذين لا يزيلون وجوههم عن سمت القبلة. وقال الحسن[(٥)]، وابن جريج[(٦)]: هو التطوع منها. قال النخعي[(٧)]: المراد بالمصلين: الذين يؤدّون

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/٢٣٦). (٢) «روح المعاني» (٢٧/ ٤٣٠).

(٣) قائله المسيَّب بن عَلس. «المفضليات» (ص٦١).

وأما معناه: فقوله: صكاء، مَنْ الصكك، وهو تقارب العُرقوبين، يقول: كأنها نعامة في تقارب عُرْقُوبَيْها، ويحمد من النجائب تقاربُ العُرقوبين. ـ والعرقوبين من الدابة: ما يكون في رجلها بمنزلة الركبة في يدها.

وقوله: الحَرَج هو سرير عمل عليه الموتى، شبهها به لطولها.

والهلواع: الحديدة السريعة.

«شرح اختيارات المفضل» (١/٣٠٩ ـ ٣١٠).

(٤) في «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٢٢٢). (٥) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/٢٣٨).

(٦) «النكت والعيون» (٦/ ٩٥)، و«زاد المسير» (٨/ ٣٦٤).

(٧) أخرجه ابن جرير (٢٣/٢٦٨) من طريق سفيان، به.

الصلاة المكتوبة، وقيل: الذين يصلونها لوقتها، والمراد بالآية جميع المؤمنين، وقيل: الصحابة خاصة، ولا وجه لهذا التخصيص لاتصاف كل مؤمن بأنه من المصلين.

﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ﴾ قال قتادة(١)، ومحمد بن سيرين(٢): المراد الزكاة المفروضة.

وقال مجاهد(٣): سوى الزكاة، وقيل: صلة الرحم، والظاهر أنه الزكاة لوصفه بكونه معلوماً، ولجعله قريناً للصلاة، وقد تقدّم تفسير السائل والمحروم في سورة الذاريات مستوفى.

﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾؛ أي: بيوم الجزاء، وهو يوم القيامة لا يشكون فيه ولا يجحدونه، وقيل: يصدّقونه بأعمالهم، فيتعبون أنفسهم في الطاعات ﴿وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾؛ أي: خائفون وجلون مع ما لهم من أعمال الطاعة استحقاراً لأعمالهم، واعترافاً بما يجب لله سبحانه عليهم(٤).

وجملة: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ مقرّرة لمضمون ما قبلها مبينة أن ذلك مما لا ينبغي أن يأمنه أحد، وأن حق كل أحد أن يخافه ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ إلى قوله: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ قد تقدم تفسيره في سورة المؤمنين مستوفى.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾؛ أي: لا يخلّون بشيء من الأمانات التي يؤتمنون عليها، ولا ينقضون شيئًا من العهود التي يعقدونها على أنفسهم. قرأ الجمهور(٥): «لأماناتِهم» بالجمع، وقرأ ابن كثير، وابن محيصن: «لأمانتهم» بالإفراد(٦)، والمراد: الجنس.

﴿وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ﴾؛ أي: يُقيمونها على مَنْ كانت عليه من قريب أو بعيد، أو رفيع أو وضيع، ولا يكتمونها ولا يغيرونها، وقد تقدّم القول في الشهادة

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٢٧٠) بسند صحيح.
(٢) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٢٣٨).
(٣) «المحرر الوجيز» (١٦/ ١١٤). (٤) «روح المعاني» (٢٧/ ٤٣٦).
(٥) «النشر» (٢/ ٣٢٨)، و«التيسير» (ص١٥٨)، و«زاد المسير» (٨/ ٣٦٤)، و«الكشف عن وجوه القراءات» (٢/ ١٢٥).
(٦) انظر: المصادر المتقدمة.

في سورة البقرة، قرأ الجمهور[(١)]: «بشهادتهم» بالإفراد، وقرأ حَفْص، ويعقوب وهي رواية عن ابن كثير بالجمع[(٢)].

قال الواحدي[(٣)]: والإفراد أولى لأنّه مصدر، ومن جمع ذهب إلى اختلاف الشهادات. قال الفرّاء[(٤)]: ويدل على قراءة التوحيد قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ﴾ [الطلاق: ٢].

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾؛ أي: على أذكارها وأركانها وشرائطها، لا يُخلّون بشيء من ذلك. قال قتادة[(٥)]: على وضوئها وركوعها وسجودها.

وقال ابن جريج[(٦)]: المراد: التطوّع، وكرر ذكر الصلاة لاختلاف ما وصفهم به أوّلاً، وما وصفهم به ثانياً، فإن معنى الدوام: هو أن لا يشتغل عنها بشيء من الشواغل، كما سلف؛ ومعنى المحافظة: أن يراعي الأمور التي لا تكون صلاة بدونها.

وقيل: المراد: يحافظون عليها بعد فعلها من أن يفعلوا ما يحبطها ويبطل ثوابها، وكرّر الموصولات للدلالة على أن كل وصف من تلك الأوصاف لجلالته يستحقّ أن يستقلّ بموصوف منفرد.

والإشارة بقوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ إلى الموصوفين بتلك الصفات ﴿فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ﴾؛ أي: مستقرّون فيها، مكرمون بأنواع الكرامات، وخبر المبتدأ قوله: ﴿فِى جَنَّٰتٍ﴾.

وقوله: ﴿مُّكْرَمُونَ﴾ خبر آخر، ويجوز أن يكون الخبر مكرمون، وفي جنات متعلق به.

﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ﴾؛ أي: أيّ شيء لهم حواليك مسرعين؟ قال الأخفش: مهطعين مسرعين، ومنه قول الشاعر:

بِمَكَّةَ أَهلُها ولقدْ أراهُم ... إليهم مهطِعِيْنَ إلى السَّماعِ[(٧)]

---

(١) «البحر المحيط» (١٠/٢٧٦)، و«النشر» (٢/٣٩١)، و«التيسير» (ص٢١٤). قرأ بالجمع حفص ويعقوب وباقي العشرة بالإفراد، والرواية عن ابن كثير شاذة «النشر» (٢/٣٩٠).

(٢) انظر: المصادر المتقدمة.

(٣) في «الوسيط» (٤/٣٥٤).

(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/٢٤٠).

(٥) «النكت والعيون» (٦/٩٩٦).

(٦) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (١٦/١١٥).

(٧) قائله يزيد بن مفرّغ الحميري وهو في «ديوانه» (ص١١٠) وروايته.

وقيل: المعنى: ما بالهم يسرعون إليك يجلسون حواليك، ولا يعملون بما تأمرهم؟ وقيل: ما بالهم مسرعين إلى التكذيب؟ وقيل: ما بال الذين كفروا يسرعون إلى السماع إليك، فيكذبونك ويستهزئون بك؟ وقال الكلبي(١): إن معنى ﴿مُهْطِعِينَ﴾: ناظرين إليك.

وقال قتادة(٢): عامدين، وقيل: مسرعين إليك مادّي أعناقهم مديمي النظر إليك.

﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾؛ أي: عَنْ يمين النبيّ ﷺ وعن شماله جماعات متفرقة، وعزين(٣) جمع عِزَة، وهي العُصْبة من الناس، ومنه قول الشاعر(٤):

ترانا عنده والليلُ داجٍ ... على أبوابه حِلَقاً عِزِيْنَا

وقال الراعي(٥):

أخليفةَ الرحمٰنِ إنَّ عشيرتي ... أَمْسَى سُرَاتُهم إليك عِزِيْنَاً

وقال عنترة(٦):

وقِرْنٍ قد تركتُ لذي وليٍّ ... عليه الطيرُ كالعُصَبِ العِزِيْنَا

وقيل: أصلها عزوة من العزو؛ كأن كلَّ فرقة تعتزي إلى غير مَنْ تعتزي إليه الأخرى.

قال في «الصحاح»(٧): والعِزَة: الفِرْقة من الناس، والهاء عوض من التاء، والجمع عِزَى وعزون.

وقوله: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ﴾ متعلق بعزين، أو بمهطعين.

= بدجلة أهلها ولقد أراهم ... بدجلة مهطعين إلى السماع

(١) «النكت والعيون» (٦/ ٩٦).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٢٣/ ٢٧٨) بسند صحيح.

(٣) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٥٦٥).

(٤) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٢٤١)

(٥) وهو في «ديوان الراعي النميري» (ص٢٢٨) برواية:

أولي أمر اللّٰه إنَّ عشيرتي ... أمسى سَوَامهمُ عِزينَ فلولا

(٦) في «ديوان عنترة» (ص١٧٩) وروايته:

وقرنٍ قد تركت لدى مَكَرٍّ ... عليه سبائياً كالأرجوان

(٧) في «الصحاح» (٦/ ٢٤٢٥).

﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ قال المفسرون[١]: كان المشركون يقولون: لئن دخل هؤلاء الجنة لندخلنّ قبلهم، فنزلت الآية.

قرأ الجمهور[٢]: «أن يُدْخَل» مبنيّاً للمفعول، وقرأ الحسن، وزيد بن عليّ، وطلحة بن مصرّف، والأعرج، ويحيى بن يَعْمُر، وأبو رجاء، وعاصم في رواية عنه على البناء للفاعل[٣].

ثم ردّ الله سبحانه عليهم فقال: ﴿كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: من القذر الذين يعلمون به، فلا ينبغي لهم هذا التكبر.

وقيل: المعنى: إنا خلقناهم من أجل ما يعلمون، وهو امتثال الأمر والنهي، وتعريضهم للثواب والعقاب، كما في قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، ومنه قول الأعشى[٤]:

ءَأَزْمَعْتَ من آلِ ليلى ابتكاراً وشطَّتْ على ذي هوىً أنْ يُزَارَا

وقد أخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن عكرمة[٥] قال: سئل ابن عباس عن الهلوع، فقال: هو كما قال الله: ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾.

وأخرج ابن المنذر[٦] عنه: ﴿هَلُوعًا﴾ قال: الشره.

وأخرج ابن أبي شيبة في «المصنف» عن ابن مسعود[٧] ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ قال: على مواقيتها.

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن المنذر عن عمران بن حصين[٨] ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ قال: الذي لا يلتفت في صلاته.

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٢٤٣).

(٢) «جامع البيان» (٢٣/ ٢٨١)، و«معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٢٣)، و«الحجة» لأبي علي الفارسي (٦/ ٣٢٢). المتواتر قراءة الجمهور، والقراءة بالبناء للفاعل شاذة، وهي رواية شاذة عن عاصم.

(٣) انظر: المصادر المتقدمة.

(٤) في «ديوانه» (ص٩٥).

(٥) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٢٦٦) بسند ضعيف من طريق العوفي، به.

(٦) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٨٤).

(٧) أخرجه ابن أبي شيبة (١/ ٣١٦).

(٨) أخرجه ابن أبي شيبة (٢/ ٤٢).

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن عقبة بن عامر(١): ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ﴾ قال: هم الذين إذا صلّوا لم يلتفتوا.

وأخرج ابن المنذر(٢) من طريق أخرى عنه نحوه.

وأخرج ابن جرير(٣) عن ابن عباس ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهۡطِعِينَ﴾ قال: ينظرون ﴿عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾ قال: العُصَبُ من الناس عن يمين وشمال معرضين يستهزئون به.

وأخرج مسلم(٤)، وغيره عن جابر قال: دخل علينا رسول الله ﷺ المسجد، ونحن حلق متفرقون فقال: «ما لي أراكم عِزين».

وأخرج أحمد، وابن ماجه، وابن سعد، وابن أبي عاصم، والباوردي، وابن قانع، والحاكم، والبيهقي في «الشعب»، والضياء عن بشر بن جحاش(٥) قال: قرأ رسول الله ﷺ ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهۡطِعِينَ﴾ إلى قوله: ﴿كَلَّآۖ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّمَّا يَعۡلَمُونَ﴾، ثم بزق رسول الله ﷺ على كفه، ووضع عليها أصبعه، وقال: «يقول الله: ابن آدم أنّى تُعْجزني، وقد خلقتك من مثل هذه حتى إذا سوّيتك وعدّلتك مشيت بين بُردين، وللأرض منك وئيد، فجمعتَ ومنعتَ حتى إذا بلغت التراقي قلتَ: أتصدقُ وأنّى أوان الصدقة»؟

---

(١) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٨٤).
أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٢٦٨، ٢٦٩) من طريق يزيد بن أبي حبيب به.

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٨٤).

(٣) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٢٧٨، ٢٧٩) بسند ضعيف.

(٤) أخرجه مسلم في «صحيحه» رقم (٤٣٠)، وأبو داود رقم (٤٨٢٣)، والنسائي في «السنن الكبرى» رقم (١١٦٢٢).

(٥) أخرجه أحمد رقم (١٧٨٤٢ ـ ١٧٨٤٥)، وابن ماجه رقم (٢٧٠٧)، وابن سعد (٧/ ٤٢٧)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» رقم (٨٦٩، ٨٧٠)، وابن قانع (١/ ٧٦)، والحاكم (٢/ ٥٠٢)، والبيهقي رقم (٣٤٧٣) وهو حديث صحيح وقد صححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (١٠٩٩).

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

قوله: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ «لا» زائدة كما تقدّم قريباً، والمعنى: فأقسم ﴿بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾ يعني: مشَرْق كلِّ يوم مِنْ أيام السنة ومغربه. قرأ الجمهور(١): «المشارق والمغارب» بالجمع، وقرأ أبو حيوة، وابن محيصن، وحميد بالإفراد(٢).

﴿إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾؛ أي: على أن نخلق أمثلَ منهم، وأطوع لله حين عصوه ونُهلِك هؤلاء ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾؛ أي: بمغلوبين إن أردنا ذلك بل نفعل ما أردنا لا يفوتنا شيء ولا يعجزنا أمر؛ ولكن مشيئتنا وسابق علمنا اقتضيا تأخير عقوبة هؤلاء، وعدم تبديلهم بخلق آخر.

﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟﴾؛ أي: اتركهم يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم، واشتغل بما أُمرتَ به ولا يعظمنّ عليك ما هم فيه، فليس عليك إلّا البلاغ ﴿حَتَّىٰ [٤/١٧٨] يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾ وهو يوم القيامة، وهذه الآية(٣) منسوخة بآية السيف.

قرأ الجمهور(٤): «يلاقوا»، وقرأ أبو جعفر، وابن محيصن، وحميد، ومجاهد «حتى يَلْقوا»(٥).

﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾ يوم بدل من يومهم، و(سراعاً) منتصب(٦) على الحال من ضمير يخرجون.

قرأ الجمهور(٧): «يَخْرُجون» على البناء للفاعل.

---

(١) «البحر المحيط» (١٠/ ٢٧٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٢٤٥)، و«الدر المصون» (٦/ ٣٨٠).
(٢) «القراءات الشاذة» (ص١٦١)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٢٧٧).
(٣) «الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٢٤٦)، و«زاد المسير» (٨/ ٣٦٦).
(٤) «البحر المحيط» (١٠/ ٢٧٨)، و«النشر» (٢/ ٣٧٠)، و«الدر المصون» (٦/ ٣٨٠).
(٥) «النشر» (٢/ ٣٩١)، و«البحر المحيط» (١٠/ ٢٧٨).
(٦) «مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٤٠٩).
(٧) «البحر المحيط» (١٠/ ٢٧٩)، و«الدر المصون» (٦/ ٣٨٠)، و«المبسوط» (ص٤٤٧).

وقرأ السلمي، والأعمش، والمغيرة، وعاصم في رواية على البناء[(١)] للمفعول، والأجداث جمع جَدَث، وهو القبر.

﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ قرأ الجمهور[(٢)]: «نَصْب» بفتح النون وسكون الصاد.

وقرأ ابن عامر، وحفص بضم[(٣)] النون والصاد، وقرأ عمرو بن ميمون، وأبو رجاء بضم النون[(٤)] وإسكان الصاد.

قال في «الصحاح»[(٥)]: والنّصْب ما نُصب فعبُد من دون الله، وكذا النُصب بالضم، وقد يحرّك. قال الأعشى[(٦)]:

وذا النُّصُبِ المنصوبِ لا تَعْبُدَنَّهُ ولا تعبدِ الشيطانَ والله فاعْبُدَا

والجمع الأنصاب، وقال الأخفش[(٧)]، والفراء[(٨)]: النُّصُب جمع النَّصْب، مثل رَهْن ورُهُن، والأنصاب جمع النُصُب فهو جمع الجمع، وقيل: النُصُب جمع نِصاب، وهو حَجْر أو صنم يذُبح عليه، ومنه قوله: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ [المائدة: ٣].

وقال النحاس[(٩)]: نُصْب ونُصُب بمعنى واحد، وقيل معنى ﴿إِلَىٰ نُصُبٍ﴾: إلى غاية، وهي التي تنصب إليها بصرك، وقال الكلبي[(١٠)]: إلى شيء منصوب علم أو راية؛ أي: كأنّهم إلى علَم يدعون إليه، أو راية تنصب لهم يوفضون، قال الحسن[(١١)]: كانوا يبتدرون إذا طلعت الشمس إلى نصبهم التي كانوا يعبدونها من دون الله لا يلوي أوّلهم على آخرهم.

---

(١) «القراءات الشاذة» (ص١٦١)، و«روح المعاني» (٢٧/ ٤٤١). المتواتر قراءة الجمهور أما القراءة على البناء للمفعول فهي قراءة شاذة، ورواية شاذة عن عاصم.

(٢) «التيسير» (ص٢١٤)، و«النشر» (٢/ ٣٩١)، و«فتح الباري» (٨/ ٥١٠)، و«جامع البيان» (٢٣/ ٢٨٥).

(٣) انظر: المصادر المتقدمة.

(٤) «القراءات الشاذة» (ص١٦١)، حاشية الشهاب (٨/ ٢٤٧). هي قراءة شاذة.

(٥) في «الصحاح» (١/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥).

(٦) في «ديوان الأعشى» (ص١٨٧).

(٧) ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (١٠/ ٢٧٧).

(٨) ذكره ابن زنجلة في «حجة القراءات» (ص٧٢٥).

(٩) في ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٢٤٧).

(١٠) «معالم التنزيل» (٨/ ٢٢٦)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٢١/ ٢٤٧).

(١١) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٢٨٧)، وابن أبي حاتم ـ كما في «فتح الباري» (٣/ ٢٢٦).

وقال أبو عمرو(١): النّصْب: شبكة الصائد يسرع إليها عند وقوع الصيد فيها مخافة انفلاته. ومعنى يُوفضون(٢): يُسْرعون، والإيفاض: الإسراع. يقال: أوفض إيفاضاً؛ أي: أسرع إسراعاً، ومنه قول الشاعر:

فـوارسُ ذبـيـانَ تـحـتَ الـحـديـدِ كـالـجـنِّ يُـوفـضْـنَ مِـنْ عَـبْـقَـرِ(٣)

وعبقر: قرية من قرى الجن، كما تزعم العرب، ومنه قول لبيد(٤):

كـهـولٌ وشُـبَّـانٌ كـجِـنَّـةِ عـبـقـرِ(٥)

وانتصاب(٦) ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ﴾ على الحال من ضمير يوفضون، وأبصارهم مرتفعة به، والخشوع: الذلة والخضوع؛ أي: لا يرفعونها لما يتوقعونه من العذاب.

﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾؛ أي: تغشاهم ذلة شديدة.

قال قتادة(٧) هي: سواد الوجوه، ومنه غلام مراهق: إذا غشيه الاحتلام، يقال: رهِقه بالكسر يَرهقُه رَهْقاً؛ أي: غشيه، ومثل هذا قوله: ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

والإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى ما تقدّم ذكره. وهو مبتدأ وخبره ﴿ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾؛ أي: الذي كانوا يوعدونه في الدنيا على ألسنة الرسل قد حاق بهم وحضر، ووقع بهم من عذابه ما وعدهم الله به، وإنْ كان مستقبلاً، فهو في حكم الذي قد وقع لتحقّق وقوعه.

وقد أخرج سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس(٨) في قوله: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾ قال: للشمس كل

---

(١) ذكره الألوسي في «روح المعاني» (٢٧/ ٤٤٢).

(٢) «مفردات ألفاظ القرآن» (ص٨٧٧)، و«تهذيب اللغة» (١٢/ ٨١).

(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٢٤٨)، والجوهري في «الصحاح» (٢/ ٧٣٤).

(٤) «ديوان لبيد» (ص٥٤).

(٥) وصدر البيت:

ومـــن فَـــادَ مـــن إخـــوانـــه

(٦) التبيان (٢/ ١٢٤١)، و«الفريد» (٤/ ٥٣٢)، و«مشكل إعراب القرآن» (٢/ ٤٠٩).

(٧) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢١/ ٢٤٨).

(٨) عزاه إليهم السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٨٦).

يوم مطلع تطلع فيه، ومغرب تغرب فيه غير مطلعها بالأمس وغير مغربها بالأمس.

وأخرج ابن جرير[1] عنه ﴿إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ قال: إلى علَم يَسْتبقون.

= أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٢٨٤) بسند ضعيف.

(١) أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٢٨٥، ٢٨٦) بسند ضعيف.

فهرس موضوعات الجزء التاسع

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع — الصفحة

الموضوع **الصفحة**

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

تفسير سورة الطور ٢٣٩

الموضوع **الصفحة**

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع **الصفحة**

الموضوع | الصفحة

الموضوع **الصفحة**

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع **الصفحة**

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

مفكرة

مفكرة

مفكرة

مفكرة

مفكرة

مفكرة

مفكرة

دار ابن الجوزي 8428146

9 786038 298749